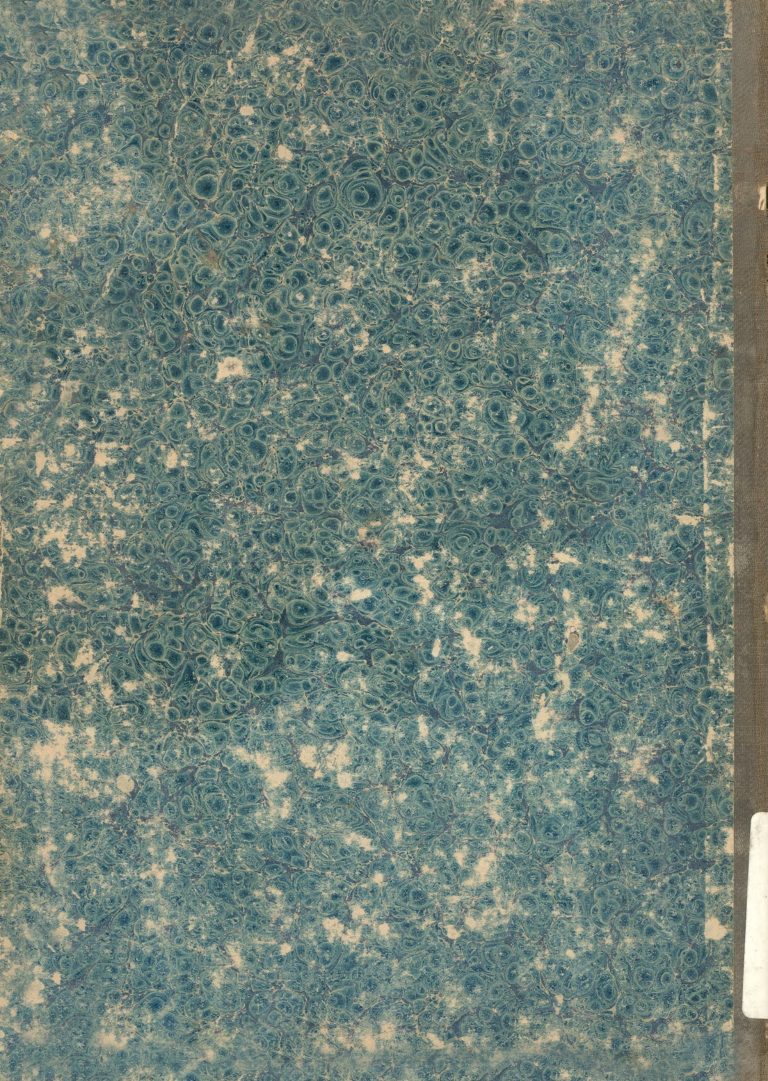
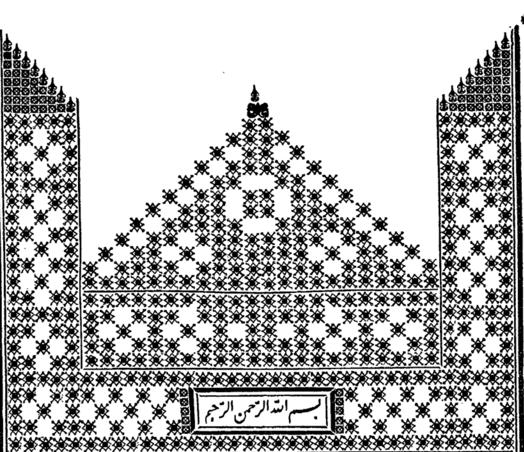


فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء

للعلامة الاديب والفهامة الاريب الشيخ أحمد
ابن محمد بن عربشاه الحنفي
تغمده الله تعالى برحمته
والطفه الخفي
آمين

*(وبهامشه كتاب كليلة ودمنه تأليف بيدبا الفيلسوف الهندي
وترجمة عبد الله بن المقفع الكاتب من اللغة الفهلوية الى اللغة العربية)*



(الحمد لله) الذى شهدت الكائنات بوجوده وشمل الموجودات عميم كرمه وجوده ونطقت الجمادات بقدرته وأعربت العجماوات عن حكمته وتخاطبت الحيوانات بلطيف صنعته وتناغت الاطيار بتوحيده وتلاغت وحوش القفار بتفريده كل باذل جهده وان من شئ الا يسبح بحمده بل المكان ومن فيه والزمان وما يحويه من نام وجامد ومشهود وشاهد تشهد بانه اله واحد منزه عن الشريك والمعاند مقدس عن الزوجة والولد والوالد مبرأ عن المعاند والمنادد مسبح باصناف المحامد (أحمده) حمدا تنطق به الشعور والجوارح وأشكره شكرا يصيد نعمه صيد المصيد بالجوارح (وأشهد) ان لا اله الا الله وحده لا شريك له رب أودع أسرار ربوبيته فى بريته وأظهر أنوار صمديته فى جوانى بحره وبريته فبعض يعرب بلسان قاله وبعض يعرب بلسان حاله وتسبحه السموات باطيطها والارض بغطيطها والابحر بخريرها والاسد بزئيرها والحمام بهديرها والطير بتغريدها والرياح بهبوبها والبهائم بهبيبها والهوام بكشيشها والقدور بنشيشها والخيل بضبحها والكلاب بنبحها والاقلام بصريرها والنيران بزفيرها والرعود بجيجها والبغال بشحيجها والانعام برغائها والذباب بطنينها والقسى برنينها والنياق بحنينها كل قد علم صلاته وتسبيحه ولازم فى ذلك غبوقه وصبوحه وعمروا بذلك أجسادهم وأرواحهم ولكن لا تفقهون تسبيحهم (وأشهد) أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى من صدقه تم سوله أفضل من بعث بالرسالة وسلمت عليه الغزالة وكلمه الحجر وآمن به المدر وانشق له القمر ولبت دعوته الشجر واستجار به الجمل وشكا اليه شدة العمل وحن اليه الجذع ودرعليه يابس الضرع وسبحت فى كفه الحصباء ونبع من بين أصابعه الماء وصدقه ضب البرية وخاطبته الشاة المصلية صلى الله عليه صلاة تنطق بالاخلاص وتسعى لقائلها بالخلاص وعلى آله أسود المعارك وأصحابه شموس المسالك وسلم تسليما وزاده شرفا وتعظيما *(أما بعد)* فان الله المقدس فى ذاته المنزه عن سمات النقص فى صفاته قد أودع فى كل ذرة من مخلوقاته من بديع صنعه ولطيف آياته ومن الحكم والعبر ما لا يدركه البصر ولا تكاد تهتدى اليه

الفكر

(بسم الله الرحمن الرحيم)
الحمد لله الذى خلق الانسان فى أحسن تقويم وخصه دون المخلوقات بشرف التكريم ووهبه عقلا يتدبر به ما فى السموات والارض من آيات ليسلك بارشاده أوضح المحجات ويمحو بنوره ظلمات الريب والالباس قائلا سبحانه وتلك الامثال نضربها للناس والصلاة والسلام على من بين معالم العرفان المختص بجوامع الكلم فى غاية البيان سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين *(أما بعد)* فان أتحف العوارف وألطف المعارف علم يتوصل به الى صدق الفراسة ويستنبط منه حسن السياسة وأحسن مالاح على صفحات ذلك الوجه وجنته كتاب كليله ودمنه من الكتب التى ترجمت فى صدر الدولة العباسية من اللغة الاعجمية الى اللغة العربية لانه فى ضروب السياسة أكبر آية وفى جوامع الحكم والآداب أبلغ غاية حرى بان يكتب بسواد المسك على بياض الكافور وحقيق بان يعلق بخيوط النور على نحور الحور ولذلك عكف على الاعتناء به أصناف الناس فترجموه من العربية

الفكر ولا يصل اليه فهم ذوي النظر ولكن بعض ذلك للبصر بالرصد ظاهر يدركه كل أحد قال الله تعالى وجل ثناؤه جلالا وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون وقال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وقال عز من قائل في كلامه الطائل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون وقال الشاعر

فقي كل شيء له آية * تدل على انه واحد

لكن لما كثرت هذه الآيات والحكم وانتشرت أزهار رياضها في وهاد العقول والأكم وترادف ما فيها من العجائب والعبر وتكرر رورود مراسيمها على رعايا السمع والبصر وعادتها النفوس ولم يكترث بوقوعها القلب الشموس ولم يستحسن من وجودها ولم يلتفت الا جدودها فكثر في ذلك أقوال الحكماء وتكررت مقالات العلماء فلم تصغ الاسماع اليها ولا عولت الافكار عليها فقصد طائفة من الاذكياء وجماعة من حكماء العلماء ممن يعلم طرق المسالك ابراز شيء من ذلك على ألسنة الوحوش وسكان الجبال والعروش وما هو غير مألوف الطباع من البهائم والسباع وأصناف الاطيار وحيتان البحار وسائر الهوام فيسندون اليها الكلام لتميل اسماعه الاسماع وترغب في مطالعته الطباع لان الوحوش والبهائم والهوام والسوائم غير معتادة لشيء من الحكمة ولا يسند اليها أدب ولا فطنة بل ولا معرفة ولا تعريف ولا قول ولا فعل ولا تكاليف لان طبعها الشماس والاذى والافتراس والافساد والنفور والعدوان والشرور والكسر والتفريق والنهش والتمزيق فاذا أسند اليها مكارم الاخلاق وأخبر بأنها تعاملت فيما بينها بموجب العقل والوفاق وسلكت وهي مجبولة على الخيانة سبل الوفاء ولازمت وهي مطبوعة على الكدورة طرق الصفاء أصغت الآذان الى استماع أخبارها ومالت الطباع الى استكشاف آثارها وتلقتها القلوب بالقبول والصدور بالانشراح والبصائر بالاستبصار والارواح بالارتياح لكونها أخبارا منسوجة على منوال عجيب وآثارا أسديت لحمتها في صنع بديع غريب لاسيما الملوك والامراء وأرباب العدل والرؤساء والسادة والكبراء وابناء الترفه والنعم وذوو المكارم والكرم اذا قرع سمعهم قول القائل صار البغل قاضيا والنمر طائعا لاعاصيا والقرد رئيس الممالك والثعلب وزير الذلك والدب مؤرخا أديبا والحمار منجما طبيبا والكلب كريما والجمل نديما والغراب دليلا والعقاب خليلا والحدأة صاحبة الامانة والفأرة كاتبة الخزانة والحية راقية والبومة ساقية وضحك النمر متواضعا وغدا الاسد لارشاد الذئب سامعا ورقص الغزال في عرس القنفذ وغنى الجدي فطرب الجدجد وتصادق القط والجرذان وصار السرحان راعي الضان وعانق الليث الحمل والذئب الجمل ورفع الباشق الحمامة على رقبته وحمل ارتاحت لذلك نفوسهم وزال عبوسهم وانشرحت خواطرهم وسرت سرائرهم وأصغت اليه أسماعهم ومالت اليه طباعهم وأدى طيشهم الى أن طاب عيشهم ولكن أهل السعادة وأرباب السيادة ومن هو متصد لفصل الحكومات والذي رفعه الله الدرجات فانتصب لاغاثة الملهوفين وخلاص المظلومين من الظالمين والمتنبهون بتوفيق الله تعالى لدقائق الامور وحقائق ما تجري به الدهور اذا تأملوا في لطائف الحكم والفرائد التي أودعت في هذه الكلم ثم تفكروا في نكت العبر وصفات العدل والسير والاخلاق الحسنة والقضايا المستحسنة المسندة الى ما لا يعقل ولا يفهم وهم من أهل القول الذي يشرف به الانسان ويكرم يزدادون مع ذلك بصيرة ويسلكون بها الطرق المنيرة فتتوفر مسراتهم وتتضاعف لذاتهم وربما أدى بهم فكرهم وانتهى بهم في أنفسهم أمرهم أن مثل هذه الحيوانات مع كونها حيوانات اذا اتصفت بهذه الصفة وهي غير مكلفة وصدر منها مثل هذه الامور

الى الغانم من سائر الاجناس ثم اغتالت نسخه بالعربية أيدي الدهور والاعصار وطارتها من رياح الحوادث اعصار فقيض الله صاحب الفتوحات السنية والهمة العلية العلوية حامي ذمار المسلمين والاسلام ماد سرادق العدل على كافة الانام قاهر الطغاة والجبابرة ومرغم أنوف المتمردة الفاجرة أمير امراء المؤمنين وسيف الله المسلول على أعناق المعتدين الحاج محمد علي باشا لازالت بذباب سيفه مهج العدا تلاشى ولا برحت ألويته بالنصر منشوره وعساكره في كل وجهة مظفرة منصوره فأعمل في خدمة الشريعة الغراء وسلوك المحجة الواضحة البيضاء كلا من حد السيف وسنان القلم حتى فجر بمتون الصفائح والصحائف ينابيع النصر والحكم وتصدى لاحياء رميم المكرمات الدوارس وانتدب لاعادة دارس العلوم بانشاء المدارس جامعا بين داني الشرف وقاصيه حقيقا بما قلت فيه

ماذا أقول وكيف القول في ملك
قد فاق ملوك الاعصر الاول
مجدا أنت ان أحدك مبتهلا
وان طلبت لك العلياء ألك على
قد أعجز البلغاء اللسن منقبة
عنها روو ابن صدق القول والعمل

الغريبة والقضايا الحسنة العجيبة فنحن أولى بذلك فيسلكون تلك المسالك وقد ضرب الله ذو الجلال فى كلامه العزيز الامثال فقال مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون وقال سبحانه بعد ذلك وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال سبحانه ما أعظم شأنه يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب وقال تعالى ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وقال تعالى وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون وقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا وقال تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين أسند سبحانه وتعالى الافعال والاقوال الى الجمادات بعد ما وجه الخطاب اليها وقال تعالى ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فماله من مكرم وكل ما جاء فى هذه الطريقة فانه بالنسبة اليه تعالى حقيقة لانه قادر على كل شئ وسواء عنده الميت والحى ولا فرق فى كمال قدرته بالنظر الى قدرته ومشيئته وتصور كمال عظمته وهيبته بين الناطق والصامت والنامى والجامد والشاهد والغائب والآتى والذاهب كما لا فرق فى هذا الكمال بين الماضى والاستقبال وقال تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وقال فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض وقال تعالى قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وقال فى الهدهد فقال أحطت بما لم تحط به وقال الشاعر

ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب وقالت العرب فى أمثالها قال الجدار للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى قل لمن ورائى يتركنى ورائى وقالوا أكرم من الاسد ومن أشهر أمثالهم قالوا ان الارنب التقطت تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها فانطلقا الى الضب فقالت الارنب يا أبا الحسين قال سميعا دعوت قالت أتيناك لنختصم اليك قال عادلا حكيما قالت اخرج الينا قال فى بيته يؤتى الحكم قالت انى وجدت تمرة قال حلوة فكليها قالت فاختلسها منى الثعلب قال لنفسه بغى الخير قالت فلطمته قال بحقك أخذت قالت فلطمنى قال حر انتصر لنفسه قالت فاقض بيننا قال قد قضيت فذهبت هذه الاقوال كلها أمثالا وقالوا تحككت العقرب بالافعى وقال الشاعر

قام الحمام الى البازى يهدده * واستصرخت باسود البر أضبعه

وهذا أمر مستفيض مشهور معروف بين الانام غير منكور والحصر فى هذا المعنى يتعسر والاستقصاء يتعذر وانما الاوفق التمثيل والتنظير والاستدلال بالقليل على الكثير فيتفكه السامع تارة ويتفكر أخرى ويتنقل فى ذلك من الاخفى الى الاجلى ويتوصل بالتأمل فى معانيه من الادنى الى الاعلى ومن جملة ما صنف فى ذلك واشتهر فيما هنالك ووفق على نظائره بخبره ومنظره وحاز فنون الفطنة كليله ودمنه والتمثل بحكمة الطباع كتاب سلوان المطاع والمفحم بنظمه العجيب كل شاعر وأديب معجز الضراغم الصادح والباغم وفى غير لسان العرب ممن يتعاطى فن الادب جماعة رضعوا أفاويقه وسلكوا من هذا النمط طريقه لكن تقادم عصرهم واشتهر أمرهم وتكرر ذكرهم وصارت مصنفاتهم مطروقه وعتاق نجائبها فى ميدان التأمل عتيقه فقلدت من دهرى فلذه وعملت بموجب لكل جديد لذه وسيرت فارس الافكار فى ميدان هذا المضمار وقصدت من الفائدة ما قصدوه ومن العائدة فى الدارين ما رصدوه وجمعت ما بلغنى عن نقلة الاخبار وحملة الآثار ورواة الاسفار على لسان شيخ اللطائف ومنبع المعارف

أعلى الممالك ما يبنى على الاسل
والطعن عند محبيهن كالقبل
وما تقر سيوف فى ممالكها
حتى تقلقل دهرا قبل فى القلل
مثل الملوك بغى أمرا فقربه
طول الرماح وأيدى الخيل والابل
وعزمة بعثتها همة زحل
من تحتها بمكان الترب من زحل
على الفرات أعاصير وفى حلب
توحش للقى النصر مقتبل
تتلو سنته الكتب التى نفذت
ويجعل الخيل أبدالا من الرسل
يلقى الملوك فلا يلقى سوى جزر
وما أعدوا فلا يلقى سوى نفل
الفاعل الفعل لم يفعل لشدته
والقائل القول لم يترك ولم يقل
والباعث الجيش قد غالت عجاجته
ضوء النهار فصار الظهر كالطفل
الجو أضيق ما لاقاه ساطعها
ومقلة الشمس فيه أحير المقل
ينال أبعد منها وهى ناظرة
فما تقابله الا على وجل
قد عرض السيف دون النازلات به
وظاهر الحزم بين النفس والغيل
ووكل الظن بالاسرار فانكشفت
له ضمائر أهل السهل والجبل
هو الشجاع يعد البخل من جبن

وامام

واماما الطوائف ومجمع العوارف ذى الفضل والاحسان أبي المحاسن حسان ووضعت هذا الكتاب نزهة لبنى الآداب وعمدة لاولى الالباب من الملوك والنواب والامراء والحجاب وجعلته عشرة أبواب ومن الله أستمد الصواب وأستغفره من الخطا فى الجواب انه رحيم تواب كريم وهاب *(وسميته فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء)* شعر

فان يفض بحر على تهدمنه على * در ينير عيون العقل فى السدف
ألبسته من خلاعات النهى خلعا * وربما ازدان عقد الدر بالخزف
والفضل يحتاج فى ترويج سلعته * الى الخرافة والمعقول للخرف
فاعبر الى البحر تجن الدر منه ولا * يلهيك عن دره أضحوكة الصدف

(الباب الاول) فى ذكر ملك العرب الذى كان لوضع هذا الكتاب السبب *(الباب الثانى)* فى وصايا ملك العجم المتميز عن أقرانه بالفضل والحكم *(الباب الثالث)* فى حكم ملك الاتراك مع ختنه الزاهد شيخ النساك *(الباب الرابع)* فى مباحث عالم الانسان مع العفريت جان الجان *(الباب الخامس)* فى نوادر ملك السباع ونديمه أمير الثعالب وكبير الضباع *(الباب السادس)* فى نوادر التيس الشرقى والكلب الافرقى *(الباب السابع)* فى ذكر القتال بين أبى الابطال الريبال وأبى دغفل سلطان الافيال *(الباب الثامن)* فى حكم الاسد الزاهد وأمثال الجمل الشارد *(الباب التاسع)* فى ذكر ملك الطير العقاب والحجلتين الناجيتين من العقاب *(الباب العاشر)* فى معاملة الاعداء والاصحاب وسياسة الرعايا والاحباب ونكت وأخبار وتواريخ أخيار وأشرار

(الباب الاول فى ذكر ملك العرب الذى كان لوضع هذا الكتاب السبب)

(قال) الشيخ أبو المحاسن بلغنى عن ذى فضل غير آسن انه كان فيما غبر من الزمان قيل من الاقيال غزير الافضال عزيز الامثال وارث المعارف حائز الفضائل واللطائف وافر السيادة كامل السعادة ذو حكم مطاع وجند وأتباع وممالك واسعة ذات أطراف شاسعة تحت أوامره ملوك عده ذو سطوات ونجده وله من الاولاد الذكور خمسة أنفار كل بالسيادة مذكور وبالعلم والحلم والحكم مشهور ومشكور متوشح للسلطنة متول من والده مكانا من الامكنة وكان أسعدهم عند أبيه وهو متميز على اخوته وذويه شمسى المنظر ايا سى المخبر ذا فهم مصيب واسمه فى فضله حسيب قد حصل أنواعا من العلوم وأدركها من طريقى المنطوق والمفهوم وكان لهذا الفضل الجسيم يدعى بين الصغير والكبير الحكيم فلما دعا أباهم داعى الرحيل وعكم الى دار البقاء أجمال التحميل استولى على السرير أكبر أولاده وأطاعه اخوته ورؤس أمرائه وأجناده وصار السعد يراقبه والملك بلسان الحال يخاطبه شعر

نجوم سماء كلما انقض كوكب * بدا كوكب تأوى اليه كواكب

واستمر اخوته فى خدمته مغتنمين أيادى طاعته رافلين فى خلع محبته ومودته ومضى على ذلك برهة وهم فى أرغد عيش ونزهة ثم انه حصل فى خواطر الاخوه ما خطر فى خواطر الالداء من الجفوه وقلوب الحساد من الصدو والنبوه فداخلتهم النفاسه وطلبوا كأخيهم الرياسه فقلبوا لاخيهم ظهر المجن وأظهر كل ما أكن وقال فيه ما أجن وأرادشق العصا وان يشهر عنه انه عصى غير أن أخاهم الحكيم تفكر فى هذا الامر الوخيم وأمعن فيه النظر وساورته الوساوس والفكر فانه وان كان أغزرهم ذكاء وأوفرهم وفاء فهو أصغرهم عمرا وأحقرهم قدرا لا طاقة له على الاستبداد ولا أن ينحاز الى أحد من ذوى العناد اذ الانحياز الى أحدهم ترجيح بلا مرجح وتصحيح لاحد التأويلين بلا مصحح فأداه اجتهاده الى الانخزال وتقليد مذهب الاعتزال والقول بوجوب رعاية الاصلح ومن أمكنه العزلة خصوصا فى زمن الفتنة فقد أفلح فأخذ يفكر فى تعاطى أسباب الخلاص وكيفية التفصى من عهدة هذا الاقتصاص واستنهض الفكرة الحائرة لتظفر

وهو الجواد يعد الجبن من بخل
يعود من كل فتح غير مفتخر
وقد أعد اليه غير محتفل
ولا يجير عليه الدهر بغيته
ولا تحصن درع مهجة البطل
اذا خلعت على عرض له حلل
وجدتها منه فى أبهى من الحلل
بذى الغباوة من انشادها ضرر
كما تضر رياح الورد بالجعل
لقد رأت كل عين منه مالئها
وجربت خير سيف خيرة الدول
فما تكشفت الاعداء عن ملل
من الحروب ولا الآراء عن زلل
وكم رجال بلا أرض لكثرتهم
تركت جمعهم أرضا بلا رجل
مازال طرفك يجرى فى دمائهم
حتى مشى بك مشى الشارب الثمل
يا من يسير وحكم الناظرين له
فيما يراه وحكم القلب فى الجذل
ان السعادة فيما أنت فاعله
وفقت مرتحلا أو غير مرتحل
أجر الجياد على ما كنت مجريها
وخذ بنفسك فى أخلاقك الاول
ينظرن من مقل أدمى أحجتها
قرع الفوارس بالعسالة الذبل
فلا هجمت بها الا على ظفر
ولا وصلت بها الا الى أمل

به من سور هذه الدائرة وتأخذ به على جهة واحدة الى ان يجلى غبار هذه المناكدة ثم اتبع الكتاب فى مشاورة الاصحاب فاستشار ثقة من أهل المقة وعرض عليه العزلة وكيف يتمكن من هذه النعمة الجزلة فقال له بعد أن استصوب رأيه طريق التوصل الى الانفراد باذا الدرايه أن تستأذن فى تأليف تصنيف وترصيف تأليف يشتمل على فنون من الحكمة وأنواع من دقائق الادب والفطنة ولطائف التهذيب وأخلاق العباد ويكون عونا على اكتساب مصالح المعاش والمعاد وتتوفر به مكارم الاخلاق والشيم وعوالى تهذيب النفس وطرائف الفضل والحكم فيظهر بذلك غزارة علمك ويشتهر بين الخاص والعام نباهة فضلك وحلمك ولا يقف أحد فى طريقك ولا يقدر أحد أن يتصدى لتعويقك وتحصل بذلك فوائد جمة أدناها الخلاص من ورطة هذه الغمة الى أن ينجلى دجاها وتتجلى شمس الاستقامة وضحاها فاستقر رأى الحكيم حسيب على العمل بهذا الرأى المصيب ثم توكل على الله واعتمده وتوجه الى ما قصده ودخل غير مرتبك على الملك وقبل الارض ووقف فى مقام العرض وذكر ما عزم عليه أو توجه قصده اليه بعبارة رقيقة وألفاظ رشيقة فتأمل الملك فى خطابه وتوقف فى جوابه وكان للملك وزير ذو فضل غزير فى غاية الحصافة والمعرفة والظرافة ان لطف كان رافه وان كثف كان آفة بعيد الغور ان رفع أبلغ الى الثريا وان وضع أنزل الى الثور بينه وبين الحكيم من سالف العهد القديم عداوة وكدورة شديدة مؤبدة وتحاسد الا كفاء على قمل وعداوة النظراء جرح لا يندمل فبلغه ما أنهى الحكيم الى مسامع الملك الكريم فتصدى للمعارضة وتهيأ للمعاكسة والمناقضة وأقبل يرفل فى ثوب المكر وقد شدد دهاء الختل والختر حتى وقف فى مقامه واستطرد الى قضية الحكيم فى كلامه فأجرى الملك كلام أخيه واستشار الوزير فيه فاغتنم الفرصة وأراد القاءه فى غصة بايراد مثل قصد به ايذاءه وقصه ثم قال أما ما قصده الحكيم من العزلة فهو رأى قويم وفكر مستقيم لان الاعداء اذا تفرقوا تشققوا ومتى قلوا ذلوا وقد قيل

وما بكثير ألف خل وصاحب * وان عدوا واحدا لكثير

واذا انقص من أعداء الملك واحد سيما مثل اللئيم حسيب الحكيم فهى نعمة طائلة وسعادة واصلة ودولة مستحبة وكالقبل نعمة غير مترقبة ويتوصل من ذلك الى تشتيت أمرهم الحالك وتصارم أقوالهم وتخالف أحوالهم واضطراب رأيهم وأفعالهم وقد قيل

وتشتت الاعداء فى آرائهم * سبب لجمع خواطر الاحباب

وأما ما قصده وضع الكتاب فانه خطأ لا صواب وتعبيره بان فيه فوائد وحكما وأقوال العلماء والحكما وأن يرفع به للعلم علما فانه مكر وخديعة من سوء السريرة وخبث الطبيعة يريد أن يسترجهله وأن يظهر على فضل الملك فضله ويشتمل بذلك الوسواس على قلوب الناس فتنصرف الوجوه اليه وتقبل الرعايا عليه ولكن يا مولانا الملك لا تمنع ذلك المنهمك وأجبه الى ما سأل وطالبه بما بذل وألزمه بالانفراد ودعه وما أراد فان عدم اجتماعه بالناس لناؤه أمن من الباس فيشتغل حينئذ بنفسه ويتقلب فى طرده وعكسه وأسأل مولانا السلطان ذا الايادى والاحسان قبل الاذن له وشروعه فى المسئلة أن يجمع بينى وبينه لأبين شينه وزينه وأظهر لمولانا السلطان زره ومينه فيتحقق دسائسه وما بنى عليه وساوسه وادى اليه فكره ووصل اليه خداعه ومكره فعند ذلك يصدر أمره الشريف بما يقتضيه رأيه المنيف فأجابه الى سؤاله وأمر طائفة من رجاله فسيرهم الى الآفاق بمراسيم جمعها الاتفاق الى رؤساء مملكته وكبراء دولته فاستدعى العلماء وذوى الفضل والحكماء وأولى الآراء والفصحاء ومن يشار اليه بالفضائل ويتسم بسمة من الفواضل وكل أديب أريب من بعيد أو قريب وقاطن وغريب وبين لهم مكانا يجتمعون اليه وزمانا لا يتأخرون عنه ولا يتقدمون عليه فاجتمع القوم فى ذلك اليوم حسبما برز المرسوم فى المكان المعلوم وجلس الملك فى مجلس عام وحضره الخاص والعام واستدعى أخاه الحكيم وقابله بالاحترام والتكريم

(ومن جملة) ما جعله للدين والدنيا زينة وعيدا ولارباب الحروب والمحاريب موسما سعيدا دار الطباعة التى أنشأها ببولاق حيث لم يكن مثلها فى سائر الاقطار والآفاق لان الكتب تطبع فيها من سائر العلوم بكل لغة وبكل رسم مع تلون المداد كما هو معلوم فصادف سعده المقترن من الله بالمنة وجود نسخة مطبوعة بالعربى فى غير بلاد العرب من كتاب كليلة ودمنة وهى التى ترجمها عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور فى أيام أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور وكانت ترجمتها من اللغة الفهلوية الى العربية واتفق الناس على صحة تلك النسخة لشهرة مصححها بالالمعية حيث قال فى ديباجتها اجتمع عندى من كتاب كليلة ودمنة نسخ شتى متفقة السياق والانتظام مختلفة العبارة والالفاظ وكان من عددها نسخة قديمة العهد عجيبة الخط غير أنه كان يوجد فيها مع جودتها بعض الغلطات وقد ذهب منها أيضا بتصريف الشهور والايام أوراق جعلت عوضا عنها أوراق غيرها جديدة العهد رديئة الخط ليست على هيئة الباقى والنسخة المذكورة هى التى اخترتها حتى تكون هى الاصل الذى اعتمد عليه عند طبع هذا

وأنواع الاحسان والتعظيم ثم قال أيها الاخ الكريم والفاضل الحكيم كان تقدم منك الالتماس بالاذن فى تصنيف كتاب ينفع الناس مشتمل على الفوائد وفنون الحكم الفرائد يكسب الثواب الجزيل ويخلد الذكر الجميل فأحببت أن يكون ذلك بحضرة العلماء ومجمع الاكابر والفضلاء واتفاق آراء الحكماء وأرباب الدولة والمناصب وذوى الوظائف والمراتب وأهل الحل والعقد المتصرفين فى الحكم والامثال والنقد ليأخذ كل منهم حظه ويشنف سمعه ويزين لفظه ولحظه فتعم الفائدة وتشمل العائدة ويتحقق كل سامع وقائل مالك من الفضائل والفواضل وتميزك على أقرانك ورؤساء زمانك ويبلغ الاطراف وسائر الاكناف ماأسديت للناس من اسعاف وماقصدتهم من احسان والطاف فيتوفر لك الدعاء ويكثر لك الشكر والثناء لعظم فضلك وحسن آدابك فى نقلك وقد أذنا لك فى الكلام وسلمنا اليك بيد تصريفك فيه الزمام لعلمنا أنك فارس ميدانه وفى بيان معانيك بديع بيانه ولسان فصاحتك يدحرج كرة البلاغة كيف شاء بصولجانه فقل مابدا لك أحسن الله حالك فنهض الحكيم من مكانه وحسر طرف لثامه وبادر الى الارض بالتثامه وقال حيث أذن مولانا السلطان وتصدق بالاذن فى حسن البيان فلابد من اتمام الاحسان وذلك بالاصغاء وحسن الرعاية والارعاء فان حسن الاستماع هو طريق الانتفاع وهو الدرجة الثانية وهى مرتبة سامية فان حسن الأدا هى المرتبة الاولى وتليها أيها الملك المطاع مرتبة حسن الاستماع ثم تليها فى الزيادة مرتبة الاستفادة والمرتبة الرابعة وهى الجامعة النافعة درجة العمل وبها الفضل اكتمل وأما الغاية القصوى والدرجة العليا والمرتبة الفاخرة فهى الاخلاص فى العمل وطلب الآخرة واتباع رضا المولى بترك السمعة والريا ثم لتحط العلوم الوضيئة أن النصيحة من حيث هى نصيحة تتميز القلوب غيظا منها وتنفر النفس عنها لان النفس مائلة الى الفساد والنصيحة داعية الى الرشاد والنصيحة محض خير وبر والنفس مطبوعة على الاذى والشر فبينهما تنافر من أصل الخلقة وتباين من نفس الفطرة والنفس تميل الى ماجبلت عليه والنصيحة تجذب الى ماتدعو اليه قال العزيز الجبار حكاية عن الكفار ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى لاكفر بالله وأشرك به ماليس لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار فالسعيد من تأمل فى معانى الحكم وسلك السبيل الاقوم وتدبر فى عواقب الامور بالافتكار وتلقى الاشياء من طرق الاعتبار وقد قيل

اذا لم يعن قول النصيح بقول * فان معاريض الكلام فضول

ثم عش واسلم وتيقن واعلم يا ملك الزمان أن أفضل شئ حل فى وجود الانسان وأحسن جوهرة تزين بها عقد تركيبه العقل الداعى الى كيفية تهذيبه فى اساليبه وأفضل درة ترصع بها تاج العقل فى تزيينه وترتيبه الخلق الحسن الذى فضل الله به خير خلقه فى تعليمه وتأديبه وخاطب بذلك نبيه الكريم فقال وانك لعلى خلق عظيم وبالخلق الحسن ينال شرف الذكر فى الدارين ولايضع الله الخلق الحسن الا فى من اصطفاه من الثقلين وأفضل جنس الانسان بعد الرسول الرفيع الشان الملك الذى يحيى أحكام شريعته ويمشى على سننه وطريقته واذا كان الملك حسن الخلق والفعال فهو فى الدرجة العليا من الكمال قال الرسول النجيب صاحب التاج والقضيب محمد المصطفى الحبيب صلى الله عليه وسلم صلاة يتمسك بأذيالها الطبيب ويترنح لنسمات قبولها الغصن الرطيب ألا أخبركم على من تحرم النار على كل هين لين سهل قريب وروى أن ذلك السيد السديد الكامل المكمل الرشيد أتى برجل فكلمه وأرعد فقال هون عليك فانى لست بملك ولاجبار وأنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد ومن جملة حسن الخلق العدل والشفقة على الرعية والفضل واذا حسن خلق الملوك العلية صلحت بالضرورة الرعية طائعة أو كارهة وسعت فى ميدان الطاعة فارهة فان الناس على دين ملوكهم وسالكون طرائق سلوكهم وارذل عادة الملوك الطيش والخفة وأن يكون ميزان عقله خالى الكفة وان عدم الثبات والوقار من عادة الاطفال والصغار والرجل الخفيف القليل

الكتاب غير انى كلما عثرت فيه على غلطة أو ماشتبه على القارئ فهمه قابلتها بما عندى من النسخ غيرها وأثبت مارأيت لفظه أفصح ومعناه أوضح انتهى كلامه * ثم ان تلك النسخة المطبوعة عرضت هى وغيرها على شيخ مشايخ الاسلام وقدوة عبد الانام مولانا الشيخ حسن العطار أدام الله عموم فضله مادام الليل والنهار فقال يصح أن لايوجد لها فى الصحة مثال لشهرة مصححها بالضبط وسعة الاطلاع على الاقوال وحينئذ اتفقت الآراء على أن يكون المعول فى طبع ذلك الكتاب عليها ومنتهى اختلاف النسخ ووفاقها اليها فبادرت اشارة الامر بصريح الامتثال وتنزهت فى رياض تلك النسخ سائم الطرف والبال فوجدت المطبوعة أفصحها عبارة وأوضحها اشارة وأصحها معنى وأحكمها مبنى غيران فيها الفاظا حادت عن سنن العربية وبعض معان مالت بالركاكة عن أن تفهم بطريقة مرضية فقربت أضياف المعانى بأى لفظ تشتهيه وصاحب البيت أدرى بالذى فيه خصوصا مع وجود المواد التى تكشف عن وجوه الصحة نقاب الاشتباه ومن كان ذا مكنة فلينفق مما آتاه الله مستعينا على ذلك بما لدى من النسخ

الحيله لايقدر على تدبير الامور الجليلة ولاباب يوجدله ولاطاقه للدخول فى الاشغال الشاقه ولايستطيع أن يتحمل ثقل الرياسة ويتعاطى الايالة والسياسة ولاقدرة له على فصل الحكومات المشكله والقضايا العريضة المعضلة ولاالوصول الى اثبات السيادة ولاالدخول فى أبواب السعادة فان تدبير الممالك وسلوك هذه المسالك يحتاج الى رجل كالجبل فى السكون والوقار أوان الثبات وكالبحر الهائج والسيل الهامر أوان الحركات واعلم ياذا العلا والمالك المال والهما أنه يجب على الملك الكبير اجتناب الاسراف والتبذير فانه حافظ دماء الناس وأموالهم مراقب مصالحهم فى حالتى حالهم وما لهم والمال الذى فى خزائنه قد اجتمع من وجوه مكامنه ومن خراج مملكته ومن اعدائه ومعادنه انما هو للرعية ليذهب عنهم البليه ويصرفه فى مصالحهم ومايحدث من حوائجهم وجوائحهم فهو فى يده امانة وصرفه فى غير وجهه خيانة فكما لاينبغى أن يتصرف فى مال نفسه بالتبذير كذلك لايتصرف فى أموالهم بالاسراف والتقتير ومصداق هذا المقال قول ذى الجلال جل كلاما وعز مقاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فينبغى للملك بل يجب ان لايستتر عن الرعية ولايحتجب وان لايبادر برسوم الابعد تحقيق المعلوم ولا يبرز مرسومه مالم يتحقق فيه معلومه وذلك بعد التأمل والتدبر وسترعورة القضية والتفكر وهذا الان مرسوم السلطان على فم أبناء الزمان وهو بمنزلة القضاء النازل من السماء واذا نزل القضاء وفتحت له أبواب السماء فلايرد ولايصد ولايعوقه عن مضيه عدد ولاعد ولاحيلة فى منعه لاحد وأمر أولى الامر على زيد وعمرو كالسهم الخارج من الوتر بل شبه القضاء والقدر تعجز عن ادراك سره قوى البشر فكما أنه اذا نفذ سهم القضاء والقدر لايمنعه ترس حيلة ولايصده درع حذر فكذلك أمر السلطان لايثبت لرده حيوان ولايمكن تلقيه الابالامضاء والاذعان فاذا لم يتدبر قبل ابرازه فى عواقب ما له واعجازه ربما ادى الى الندم والتأسف حيث زلت القدم ولايفيد التلافى بعد التلاف ولايرد السهم الى القوس وقد خرق الشغاف وكما أن الملك سلطان الانام كذلك كلامه سلطان الكلام وكل ماينسب اليه فهو سلطان جنسه فيجب عليه حفظ كلامه كحفظ نفسه

(وحسبك ياملك الزمان لطيفة للملك أنوشروان) فبرزت المراسيم الشريفه ببيان تلك اللطيفه فقال الحكيم ذكر أهل السير ونقلة الاثر أن الملك أنوشروان كان راكبا فى السيران فجمح به فرسه وقوى عليه نفسه فاستخف شانه وجبذ عنانه فهمزه ولكزه وضربه ووخزه فزاد جموحا ومادجوحا فتجاذبا العنان فانقطع وكاد أنوشروان أن يقع فلاطف الفرس فاستكان وتجلد ان كاد يدخل فى خبر كان فلما وصل الى محل ولايته واستقر راجف قلبه من مخافته دعا بسائس المركوب فلبى دعوته وهو مرعوب فلعنه وشتمه وأراد أن يقطع يده وقدمه وقال تلجم هذه الداهيه بلجام سيور واهيه فانقطعت فى يمينى وكاد الفحل يرمينى ثم دعا بالمقارع وبالجلاد ليقطع منه الاكارع فقال السائس المسكين أيها الملك المكين وصاحب العدل والتمكين أسألك بالله الذى رفعك الى هذا المقام أن تسمع لى هذا الكلام فقال قل ولاتطل قال كأن هذا العنان يقول وكلامه فصل لافضول ومقوله قريب من العقول الملك أنوشروان سلطان الانس وفرسه سلطان هذا الجنس وقد تجاذبنى قوة سلطانين فأين لى طاقة هذا الثبات لهما ومن أين لاجرم ذهب منى الحيل فتمزقت بين سلطان الانس وملك الخيل فأعجب أنوشروان من السائس هذا البيان فانعم عليه وأطلقه ومن رق عقابه وعذابه اعتقه وانما أوردت هذا البيان ليتحقق مولانا السلطان ان حركاته ملكة الحركات وصفاته سلطانة للصفات وكلامه ملك الكلام فلايصرفه فى كل مقام وليصنه بالتأمل قبل القول وليحتط ابرززه ويحفظه بالصدق والطول واذا أمر بأمر فلايرجع فيه بل يستمر على ماأمر به لئلا يقال سفيه ثم اعلم ياملك الرقاب أن كلا من الثواب والعقاب له حد معلوم ومقدار مفهوم ينبغى للملك أن لايتعدى لذلك حدا وعلى الملك أن يصغى للنصيحة ممن مودته صحيحة وقد جرب منه الصدق

وعلم

التى بخط القلم معولا على عناية من علم الانسان مالم يعلم حتى أثمرت اشاعة ذلك الكتاب مع غاية التحرير بحديقة تلك المطبعة المشرقة بطوالع التنوير على يد مصحح ما بها من الكتب العربية المستمد من مولاه الاعانة والمعية راجى من للافضل يونى عبد الرحمن الصفتى غفر الله ذنوبه وستر فى الدارين عيوبه مع سائر المسلمين بحرمة طه ويس عليه الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه الكرام

(باب مقدمة الكتاب)

قدمها بهنود بن سحوان ويعرف بعلى بن الشاه الفارسى ذكر فيها السبب الذى من أجله عمل بيدبا الفيلسوف الهندى رأس البراهمة لدبشليم ملك الهند كتابه الذى سماه كليله ودمنه وجعله على ألسن البهائم والطير صيانة لغرضه فيه من العوام وضنا بما ضمنه عن الطغام وتنزيها للحكمة وفنونها ومحاسنها وعيونها اذهى للفيلسوف مندوحة ولخاطره مفتوحة ولمحبها تثقيف ولطالبيها تشريف وذكر السبب الذى من أجله انفذ كسرى أنوشروان ابن قباذ بن فيروز ملك الفرس برزويه رأس الاطباء الى بلاد الهند لاجل كتاب كليله ودمنه وما كان من تلطف برزويه عند

وعلمنـه الاخـلاص فى النطق لاسـيما اذا كان ذا عقل صحيح وود صريح ولا ينفر من خشونة النصيحة ومرارتها فبرودة الخاطر وسـلامة القلب حرقة حرارتها فان الناصح المشـفق كالطبيب الحاذق فان المريض الكئيب اذا شكا الى الطبيب شدة ألمه من مرارة فمه يصف له دواء مرا فيزيد حرارته حرا فلا يجد بدا من شربه وان كان فى الحال ينهض بكربه لعلمه بصدق الطبيب وانه فى الرأى مصيب وماقصد بالدواء المر زيادة الضر وانما قصد بألمه عود الحلاوة الى فمه ولا يستحقر النصيحة ان كانت صادقة صحيحة ولا الناصح خصوصا الرجل الصالح فان سليمان وهو من أجل الانبياء الكرام عليهم الصلاة والسـلام وأحد من ملك الدنيا وحكم على الجن والانس والطير والوحش والهوام استشار نملة حقـيرة فنجح فى أمره وخالف وزيره آصف بن برخيا فابتلى بفقره وسلب من جميع ما ملك وصار كما قيل أجير الصياد السمك ثم قال الحكيم حبيب أيها الملك الحسيب وأنا لما رأيت أمور المملكة قـد اختلت ومباشرى مصالح الرعية قلوبهم اعتلت ولعبوا بالثقيل والخفيف واستطال القوى منهم على الضعيف ومدوا أيديهم الى الاموال بالباطل واظهر والحالى فى حلية العاطل وخرجوا عن دائرة العدل واطرحوا أهل العلم والدين والفضل وتولى المناصب غـير أهلها ونزلت المراتب الى غـير محلها وحرم المستحقون وأبطل المحققون الى أن وقع الاختلال وعم الفساد والضلال وقويت أعضاد الظلمة على العباد وسائر القرى والبلاد وهذا لا يليق بشرف مولانا الملك ولا بأصله ولا يجوز فى شرع المروأة أن يكون الظلم طراز عدله اذ قدره العلى وأصله الزكى أعظم مقاما من ذلك ولا يحسن أن ينتشر الاصيت رأفته فى الممالك وعلى الخير مضى سلفه الكرام وانطوى على مآثرهم صحائف الايام وقد قيل

فان الظـلم من كل قبيح ✱ وأقبح مايكون من النبيه

وقيل

ولم أرفى عيوب الناس شيأ ✱ كنقص القادرين على التمام

ماوسعنى الا الانحياز الى العزلة والتعلق بذيل الانفراد والوحدة وما أمكننى ان اعـل شـيأ ولا اقطع دون العـرض على الآراء الشريفة وامتثال ماتبرزه مراسيمها المنيفة فقـد قال الناصح فى بعض النصائح لا تخاطب الملوك فيـما لم يسألوك ولا تقدم على مالم يأمروك فلما أذن فى الكلام قت هذا المقام فقات قطرة من بحور وذرة من طيور ورأيت ذلك واجبا على ونفعه عائدا الى وذكرت بعض ماوجب على سائر الناصحين ولزم ذكره جميع المسـلمين من طريق واحدة ولزمنى انا من طرق متعددة ادناها طريق المروة واعلاها بل اغلاها وثيق الاخوة التى هى أقوى الاسباب واعظم الوصلات فى هذا الباب فان لحمة القرابة هى السبب الذى لا يقطعه سـيف الحدثان والبنيان الذى لا يهدمه معول الزمان وأساس الاخوة عنوان الفتوة قال الله تعالى وعز جالا وتقدس كمالا سنشد عضدك باخيك وقال القائل

أخاك اخاك ان من لا أخاله ✱ كساع الى الهيجا بغير سلاح

✱(وناهيك يازين الملك بقصة الواهى مع الضحاك)✱ قال أخبرنا أيها الحكيم بذلك الحديث القديم قال الحكيم بلغنا عن التاريخ الباذخ الشماريخ أن الضحاك كان من أحسن الناس سيرة وأصفاهم سريرة قد فاق الناس فضلا وبلغ ذكره الآفاق عـدلا فتزيا له ابليس فى صورة الدهاء والتلبيس فزعم ذلك الطباخ انه طباخ وصار كل يوم يهيء له من أطيب الاطعمة ولذيذ الاغدية مايعجز به غيره ولا يقدر أحـد أن يسير سيره ولم يأخذ على ذلك جراية فبلغت مرتبته عنده النهاية واسـتمر على ذلك مدة مديده وأياما عديده والناس تكره أن تخدم بغير أجرة خصوصا فى هذا الزمان رؤساء الاعيان فقال له الامام فى بعض الايام لقـد أوجبت علينا يدا وشكرا وما سألتنا على ذلك أجرا فاقترح ماتختار أكافئك باسهار فقال تمنيت عليك أن أقبل بين كتفيك فأنى لى بذلك أن يقال قبل بدن الضحاك فأعجبه ذلك وأجابه وحسر عن بدنه ثيابه وأدار ظهره اليه فقبل لوحى كتفيه ثم غاب عن عينه ولم يقف على أثره ولا عينه فبمجرد

دخوله الى الهند حتى حضر اليه الرجل الذى استنسخه سرا من خزانة الملك ليسلامع ماوجد من كتب علماء الهند وقد ذكر الذى كان من بعثه برزويه الى مملكة لهند لاجل نقل هذا الكتاب وذكر فيها مايلزم مطالعه من اتقان قراءته والقيام بدراسته والنظر الى باطن كلامه وانه ان لم يكن كذلك لم يحصـل على الغاية منه وذكر فيها حضور برزويه وقراءة الكتاب جهرا وقد ذكر السبب الذى من أجله وضع بزرجمهر بابا مفردا يسمى باب برزويه المتطبب وذكر فيه شأن برزويه من أول أمره وآن مولده الى أن بلـغ التأديب وأحب الحكمة واعتبر فى أقسامها وجعله قبل باب الاسد والثور الذى هو أول الكتاب (قال) على بن الشاه الفارسى كان السبب الذى من أجله وضع بيـدبا الفيلسوف لدبشليم ملك الهند كتاب كليله ودمنه أن الاسكندر ذا القرنـين الرومى لما فـرغ من أمر الملوك الذين كانوا بناحية المغـرب سار يريد ملوك المشرق من الفرس وغيرهم فـلم يزل يحارب من نازعه ويواقع من واقعه ويسالم من وادعه من ملوك الفرس وهم الطبقة الاولى حتى ظهر عليهم وقهر من ناواه وتغلب عـلى من حاربه فتفرقوا طرائق وتمزقوا خرائق فتوجه بالجنود نحو بلاد الصين فبدأ فى طريقه بملك الهند ليدعوه الى طاعتـه والدخول فى ملته وولايته

مالشمه ومشقه جنسه أخذته حكة وشكه وموضع لثمه شكه ثم خرج من موضع فيه سلعة تالذعه شرلذعة وتاسعه أحراسعة ثم صارا حيتين أشبهتا كيتين فصار يستغيث ولا مغيث فطلب الاطباء فاعياهم هذا الداء ثم لم يقر له قرار ولم يأخذه سكون ولا اصطبار الا بدماغ الانسان دون سائر الحيوان فشديد الفتك ولاجل الادمغة استعمل السفك فضجر الناس لهذا الباس وصاحوا وناحوا وغدوا مستغيثين وراحوا فوقع الاتفاق بعد الشقاق على الاقتراع لدفع النزاع فمن خرجت قرعته كسرت قرعته وأخذ دماغه وحصل لغيره فراغه فعالجوا به الكيتين وغذوا به الحيتين فيبرد الالم ويخف السقم ففي بعض الادوار خرجت القرعة على ثلاثة أنفار فربطوا بالاغلال ودفعوا الى النكال ليجرى عليهم ماجرى على الامثال فبينماهم فى الحبس بين طالع نحس وطرد وعكس وقف للضحاك امرأة وضيه واستغاثت به فى هذه القضيه فادناها وسأل ما دهاها فقالت ثلاثة أنفار من دار لاصبر لى عنهم ولا قرار وحاشى عدل السلطان أن يرضى بهذا العدوان ولدى كبدى وأخى عضدى وزوجى معتمدى وكل مسجون يسقى كاس المنون فرق لها الضحاك وقال لا يعمهم الهلاك فاذهبى يامغاثة واختارى واحدا من الثلاثة وجهزها الى الحبس ليقع اختيارها على من يدفع اللبس فتصدى لها الزوج وتمنى الخلاص من ذلك البوج فتذكرت ما مضى من عيشها معه وانقضى واستحضرت طيب اللذات والاوقات المستلذات فأتت اليه ومالت عليه فتحركت الانفس الانسانية والشهوة الحيوانية فهمت بطلبه وتعلقت بسببه فوقع بصرها على ولدها فلذة كبدها فرأت صباحة خده ورشاقة قده فتذكرت طفوليته وصباه وتربيتها اياه وحمله وارضاعه وتناغيه وأوضاعه فعطفت عليه جوارحها ومالت اليه جوانحها فقصدت أن تختاره وتريح أفكاره فلمحت أخاها باكيا مطرقا عانيا قد أيس من نفسه وتيقن الاقامة بحبسه لانه يعلم انها لاتترك زوجها وابنها ولا تختاره عليهما ولا تميل الا اليهما ففكرت طويلا واستعملت الرأى الصائب دليلا ثم أداها الفكر الدقيق وأرشدها التوفيق وقالت أختار أخى الشقيق فبلغ الضحاك ما كان من أمرها واختيارها لاخيها بفكرها فدعاها وسألها عن سبب اختيارها أخاها وقال ان أتت بجواب صواب وهبتها اياهم مع زيادة الثواب وان لم تأت بفائدة قاطعة وعائدة فى الجواب نافعة كانت فى قتلهم الرابعة فقالت اعلم واسلم أنى ذكرت زوجى وطيب عشرته وأوقات معانقته ولذته وما مضى معه من حسن العيش وانقضى من خفة الاحلام والطيش فملت اليه وعولت فى الطلب عليه ثم أبصرت ابنى فتذكرت مقامه فى بطنى وما مضى لى عليه من عاطفة وشفقة عامة فى الايام السالفة فهيجنى حبه القديم وشكله القويم فملت الى اختياره وخلاصه من بواره ثم لمحت أخى المتقدم عليهما فقست مقامه بالنظر اليهما فقلت انى امرأة مرغوبة فتية عاقلة مطلوبة ان راح زوجى فعنه بدل وان حصل لى زوج وجد الولد وحصل فتهيأ الغرض ووجد عنهما العوض وأما الاخ الشقيق فما عنه عوض فى التحقيق لان أبوينا ماتا وفاتا وصار اتحت الارض رفاتا فهذا الذى أدى اليه افتكارى ووقع عليه اختيارى وأنشده لسان الحال فيما قال (شعر)

وكم أبصرت من حسن ولكن * عليك من الورى وقع اختيارى

قال فاستحسن الضحاك هذا الكلام ووهبها جماعتها مع زيادة الانعام *(قال الحكيم)* وانما أوردت هذا المثل لمولانا الملك الاجل وعرضته على الحضار ومسامع النظار ليعلم أن لى عن كل شئ بدلا وأما عن مولانا السلطان فلا كما قال من أجاد فى المقال

وقد تعوضت عن كل بمشبهه * فما وجدت لايام الصبا عوضا

وليس لى عوض الا فى بقاء ذاتك المحروسة ودوام حياتك العزيزة المأنوسة ثم انى أخاف والعياذ بالله تعالى أن هذه الفتن التى قد أقبلت والحركات الداهية التى وجوه الخلاص منها قد أشكلت تستأصل شأفة

وكان على الهند فى ذلك الزمان ملك ذو سطوة وباس وقوة ومراس يقال له (فور) فلما بلغه اقبال ذى القرنين نحوه تأهب لمحاربته واستعد لجاذبته وضم اليه اطرافه وجد فى التألب عليه وجمع له العدة فى أسرع مدة من الفيلة المعدة للحروب والسباع المضراة للوثوب مع الخيول المسرجة والسيوف القواطع والحراب اللوامع فلما قرب ذو القرنين من فور الهند وبلغه ما قد أعدله من الخيل التى كأنها قطع الليل مما لم يلقه بمثله أحد من الملوك الذين كانوا فى الاقاليم فتخوف ذو القرنين من تقصير يقع به ان عجل المبارزة وكان ذو القرنين رجلا ذا حيل ومكايد مع حسن تدبير وتجربة فرأى اعمال الحيلة والتمهل واحتفر خندقا على عسكره وأقام بمكانه لاستنباط الحيلة والتدبير لامره وكيف ينبغى له أن يقدم على الايقاع به فاستدعى بالمنجمين وأمرهم بالاختيار ليوم موافق تكون له فيه سعادة لمحاربة ملك الهند والنصرة عليه فاشتغلوا بذلك وكان ذو القرنين لا يمر بمدينة الا أخذ الصناع المشهورين من صناعها بالحذق من كل صنف فأنتجت له همته ودلته فطنته أن يقدم الى الصناع الذين معه أن يصنعوا خيلا من نحاس مجوفة عليها تماثيل من الرجال على بكرة تجرى اذا دفعت مرت سراعا وأمر اذا فرغوا منها ان تحشى

أسلافنا الكرام وتقرض شرف أجدادنا الملوك العظام فاخترت العزلة لذلك فانها أسلم الطرق والمسالك (قال الملك) لقد صدقت اذا نطقت وتحريت الصواب فى الخطاب وأنا أتحقق حسن نيتك وخلوص طويتك وحسن وفائك ويمن آرائك فانك أخ شقيق وصدوق صديق ولكن تعلم ان هذا الوزير رجل خطير ورأيه مستنير وفضله غزير وهو من أصل كبير وله علينا حق كثير وأريد ان يقع ماعزمت عليه وفوضت فكرك المصيب اليه مع محاورته ومناظرته ومشاورته فان كلا منكما ناصح مشفق وحكيم مدقق وعالم محقق وفى مثل هذه الاشياء اذا تفقت الآراء وطال النفس تكاشف نور القبس وسعد البحث وتمكن النجث وصح الحق ووضح الصدق لاسيما اذا كان الكلام بين عالمين والسؤال والجواب من فاضلين كاملين *(قال الحكيم)* أيها الملك العظيم اذا قام الانسان فى صدد المعارضة وتصدى فى البحث الى المعاكسة والمناقضة لاسيما ان كان من أهل الفصاحة واللسن وساعده فى ذلك الادراك الحسن لايعجز ان يقابل الايجاب بالسلب والاستقامة بالقلب والعكس بالطرد والقبول بالرد ويكفى فى جواب المتكلم اذا أورد مسئلة لانسلم وقد قيل فى الاقاويل لاتنفع الشفاعة باللجاج ولا النصيحة بالاحتجاج اما انا فقد بذلت جهدى وأديت فى النصيحة ماعندى وكشفت عن مخدرات التحقيق استار السبك وكررت على محك التصديق آثار الحك فان وعيتم كلامى بسمع حى فقد تبين الرشد من الغى وان أعرضتم عن عين اليقين فلا اكراه فى الدين فتصدى الوزير للكلام وحسر عن ثغر بيانه اللثام وبرز فى ملابس الملاينة والخداع وسلك بخبث الطباع طرق الملاطفة والاصطناع ودس السم فى الشهد ونزل من اليفاع الى الوهد وقال الحمد لله الكريم الذى من على مولانا الملك بهذا الاخ الحكيم الفاضل الحليم الكامل العليم الناظر فى العواقب ذى الرأى المصيب والفكر الثاقب فلقد بالغ فى النصيحة بعباراته الصحيحة واشاراته المليحة وكل شئ أبداه الى المسامع وأنهاه هو الذى يرتضيه العقل ويرضيه العدل ويقبله الطبع القويم اذ هو المنهج المستقيم يترتب عليه الذكر الجميل ويحصل به الثواب الجزيل لكن الذى نعرفه فى حفظ الرياسة واقامة ناموس السياسة هو الذى عليه القوم فى هذا اليوم وجرت عليه عادات الاكابر وانخرط فى سلكه الاصاغر فان الزمان فسد والفضل فيه كسد وزاد فيها الحقد والحسد وتشرب المكر والاذى الروح والجسد وكل فى الروغان ثعلب وفى العدوان أسد وصار هذا مقتضى الحال والمحمود من الخصال والمطلوب من الرجال والناس يدورون بزمانهم بقدر مكانهم وامكانهم وقد قيل الناس بزمانهم اشبه منهم بآبائهم وبعض السياسات عند أهل الرياسات يقتضى العقوبة بالتغريم وأخذ المال بالترسيم ولولا عفو الملك عن الجرم ماطمع كل مؤذ ومجرم ومن الحماقة والبله معاقبة من لاذنب له فان وضع الاشياء فى محالها وذمام الامور والمناصب فى يد أهلها هو أحد قوانين الشرع والسياسة ومقتضى العقل والكياسة والعدل والرياسة والعقل والفراسة والفضل والنفاسة وناهيك أيها الحكيم الفاضل قول القائل

ومن لايذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لايظلم الناس يظلم

وماقيل

لايسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم

ومن مقالات الملك أتابك أردشير بن بابك رب اراقة دم تمنع من اراقة دم وفى أمثال العرب القتل أنفى للقتل وقيل

لعل عتبك محمود عواقبه * وربما صحت الاجساد بالعلل

وهذا كله مصداق قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة *(وناهيك ياذا القدر الخطير قصة قابوس بن بشكمير)* قال الحكيم للوزير أخبرنى أيها الدستور الكبير بكيفية ما أنت اليه مشير قال الوزير ذكر ان قابوس بن بشكمير ذلك الاسد المبير قبض عليه جماعة كانوا جبذوا أيديهم من الطاعة من أركان دولته وبنيان صولته ثم قيدوه وحبسوه وأقاموا ولده مقامه وأجلسوه ثم انهم لم يأمنوا غوائله وأفكاره

أجوادهما بالنفط والكبريت وتلبس وتقدم امام الصف فى القلب ووقت مايلتقى الجمعات تضرم فيهما النيران فان الفيلة اذا لفت خراطيمها على الفرسان وهى حامية وات هاربة وأوعز الى الصناع بالتشمير والانكماش والفراغ منها فجدوا فى ذلك وعجلوا وقرب أيضا وقت اختيار المنجمين فأعاد ذو القرنين رسله الى فور بما يدعوه اليه من طاعته والاذعان لدولته فأجاب جواب مصر على مخالفته مقيم على محاربته فلما رأى ذو القرنين عزيمته سار اليه بأهبته وقدم (فور) الفيلة أمامه ودفعت الرجال تلك الخيل وتماثيل الفرسان فاقبلت الفيلة نحوها ولفت خراطيمها عليها فلما أحست بالحرارة ألقت من كان عليها وداستهم تحت أرجلها ومضت منهزومة هاربة لاتلوى على شئ ولا تمر بأحد الا وطئته وتقطع (فور) وجمعه وتبعهم أصحاب الاسكندر وأثخنوا فيهم الجراح وصاح الاسكندر ياملك الهند ابرز الينا وابق على عدتك وعيالك ولا تحملهم على الفناء فانه ليس من المروأة أن يرمى الملك بعدته فى المهالك المتلفة والمواضع المجحفة بل يقيهم بماله ويدفع عنهم بنفسه فابرز الى ودع الجند فأينا قهر صاحبه فهو الاسعد فلما سمع فور من ذى القرنين ذلك الكلام دعته نفسه لملاقاته طمعا فيه وظن ذلك فرصة فبرز اليه الاسكندر فتجاولا على ظهرى فرسيهما

الصائلة فتآمروا أن يسبكوه ويعمدوا الى دمه فيسفكوه فأرسلوا اليه قاتلا فوثب اليه سائلا وقال له ماسبب قتلي وماناسم من أجلي مع كثرة احساني اليهم واسبال ذيل اكرامي وانعامي عليهم وتربيتي اياهم كالاولاد وفلذ الاكباد وصوني اياهم عمن آذاهم فقال كثرة اراقة الدماء هاجت عليك الغرماء وأكثرت لك الخصماء لما تغيرت خواطرهم عليك خافوا وقبل أن تحيف عليهم حافوا فقال قابوس والله ماسبب هذا النكد والبوس واثارة هؤلاء الخصماء الاقلة اراقتي للدماء يعني لو أراق دماء القائمين عليه ماوصل هذا المكروه اليه فلما أبقى عليهم أفنوه وحين ترك أذاهم آذوه وانما أوردت هذا النظير ليقف خاطرك الخطير ان أمور الرياسه وقواعد السياسه كانت تقتضي السبك وأحرى بالعفو والترك واما الآن فذلك الحكم قد انتسخ والفساد في قلوب العباد رسخ وقد قيل

تلجى الضرورات في الامور الى * سلوك مالا يليق بالادب

ومزاج الزمان قد تغير والمعروف منه قد تنكر وقد أعرضوا عن طاعة السلطان واتبعوا مخادعة الشيطان وكل منهم قد شرخ وباض الشيطان في دماغه وفرخ وتصور لخيالاته الفاسده ومحالاته الكاسده انه بما يكيد يبلغ مايريد وهيهات وشتان

لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

وهذا كما قال الله تعالى يعدهم ويمنيهم ومايعدهم الشيطان الاغرورا وماشعروا ان الملوك والسلاطين ممن اختاره الله تعالى وألبسه من خلع جبروته كمالا وجلالا وجعلهم بأموره قائمين وبعين عنايته ملحوظين وكما ان الرسل والانبياء والسادة الاعلام الاصفياء هم صفوة الله من خليقته ومختاروه من خير بريته من غير كد ولاجهد ولاسعي منهم ولاجد مابرطلوا على النبوة والرسالة ولارشوا على نيل هذه الكرامة والنبالة انما هو محض فضل من الله تعالى وعناياته والله أعلم حيث يجعل رسالاته كذلك الملوك والسلاطين والقائمون باقامة شعائر الدين هم ممن اختاره الله على خلقه وأجرى على يديه لهم بحار كرمه ورزقه والسلطان ظل الله في أرضه يجري بين عباده شريعة نفله وفرضه قال من له الخلق والامر أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر وقد غفل أهل هذه الممالك عن السلوك في هذه المسالك وعن درك هذه الحقائق وأعرضوا عن الدخول في أحسن الطرائق وهي طريق المحاشمة والصلح والمكارمة وعدوا المكر من أحسن الرياسة والعقل والكياسة والتحيل لاكل أموال الناس من الذكاء ومظالم العباد من خلال الصدق والصفاء وتملقهم للملوك والسلاطين من أسباب الوصول الى الاغراض مع تحسين الظواهر وفي البواطن أمراض فظواهرهم ظواهر الانس تشتمل على المودة والانس ومافيهم تحت الثياب الا كلاب وذئاب ولاجل هذا سلطنا الله عليهم ومد يد بطشنا اليهم نعاملهم بالفراسة ونعمل بما تقتضيه الكياسة وتصوبه الآراء السلطانية من قواعد السياسة قال الحكيم حسيب بعدما أدرك مافي هذا الكلام من نكر غير مصيب اعلم أيها الوزير المانع الناصح والدستور الشفيق المصالح أن الرعية بمنزلة السرج والملك بمنزلة الشمس في البرج واذا تلألأ على صفحات الاكوان وأنار في وجه الزمان والمكان أشعة نور الشمس الوهاج فأي شعاع ووجود يبقى للسراج وان أنوار قلوب الرعايا ومايحصل لها من اشراق ومزايا انما هي من فيض أشعة ملوكهم وان الرعية تتبع الملوك في سلوكهم فاذا صفت مرآة قلب السلطان أشرقت بالطاعة قلوب الرعايا والاعوان بل الزمان والمكان تابعان لما يضمره وينويه السلطان وقد قيل اذا تغير السلطان تغير الزمان *(وهل أتاك أيها الدستور واقعة الرئيس مع بهرام جور)* قال الوزير أخبرنا باقعة كيف كانت تلك الواقعة قال الحكيم أخبرني شيخ عليم بالفضل مشهور أن بهرام جور وكان ذا أيد عزم على الصيد فخرج في عسكر جرار واستوى في الصحاري والقفار وبينماهم قد تفرقوا وانتشر الاوقد حركت يد الشمال غربال المطر ثم تراكم من السحاب على وجه عروس السماء النقاب وانهل الغمام المدرار وصارت الدنيا جنات تجري من تحتها

ساعات من النهار ليس يلقى أحدهما من صاحبه فرصة ولم يزل الايتغار كان فلما أعيا الاسكندر أمره ولم يجد له فرصة ولا حيلة أوقع ذو القرنين في عسكره صيحة عظيمة ارتجت لها الارض والعساكر فالتفت فورعند ماسمع الزعقة وظنها مكيدة في عسكره فعاجله ذو القرنين بضربة امالته عن سرجه وتبعه بأخرى فوقع الى الارض فلما رأت الهند مانزل بهم وماصار اليه ملكهم حملوا على الاسكندر فقاتلوه قتالا أحبوا معه الموت فوعدهم من نفسه الاحسان ومنحه الله اكتافهم فاستولى على بلادهم وملك عليهم رجلا من ثقاته وأقام بالهند حتى استوثق له ماأراد من أمرهم واتفاق كلمتهم ثم انصرف عن الهند وخلف ذلك الرجل عليهم ومضى متوجها نحو ماقصد له فلما بعد ذو القرنين عن الهند بجيوشه تغيرت الهند عما كانوا عليه من طاعة الرجل الذي خلفه عليهم وقالوا ليس يصلح للسياسة ولا ترضى الخاصة والعامة أن يملكوا عليهم رجلا ليس هو منهم ولا من أهل بيوتهم فانه لايزال يستذلهم ويستقلهم واجتمعوا ليملكون عليهم رجلا من أولاد ملوكهم فملكوا عليهم ملكا يقال له دبشليم وخلعوا الرجل الذي كان خلفه عليهم الاسكندر فلما استوثق له الامر واستقر له الملك طغى وبغى وتجبر وتكبر وجعل يغزو من حوله من الملوك وكان مع ذلك مؤيدا مظفرا منصورا فهابته الرعية فلما رأى ماهو عليه من

الانهار وأقبلت سوابق السيول تجرى فى مضمارها الخيول فتشتت العساكر وتشوشت الخواطر فقصد بهرام جور كفرا من الكفور وطلب القرى من تلك القرى منفردا عن عسكره مخفيا من خبره فنزل بيت الرئيس وهو رجل خسيس فلم يقم من حقه بالواجب لانه لم يعلم ذلك الراكب فتشوش خاطره وتكدرت ضمائره وتغيرت عليهم نيته وان لم تتغير بشريته فلما أقبل الليل جاء الراعى وهو يدعو بالويل ويشكو كثرة المحن من قلة اللبن وذكر أن المواشى لم تدر ضرعا مع ان رعيتها كانت أحسن مرعى ولا وقف لذلك على سبب ولا درى كيف حالها وانقلب وكان للرئيس بنت تخجل الاقمار بخدها وتقصف الاغصان على قدها فلما سمعت كلام الراعى قالت والله أنا أعرف السبب والداعى وهو ان السلطان الذى نيته حفظ أوطاننا تغيرت نيته علينا وتقدم ضميره بالسوء الينا فظهر النقص فى ماشيتنا وسيتعدى ذلك الى أنفسنا وحاشيتنا وقد قيل اذا هم الحاكم بالجور على الرعايا أدخل الله النقص فى أموالهم حتى الزروع والضروع قال أبوها فاذا كان الامر كذلك فلا مقام لنا فى هذه الممالك فالاولى ان نتحول عن هذا المكان الى مقام لا يضمر فيه سوأ لرعيته السلطان ونستريح فى ظل حاكمه ونرعى فى مسارح مكارمه كل هذا وبهرام يصغى الى هذا الكلام فقالت البنت ان كان ولا بد من الانتقال واقتعاد مطية الارتحال فما نصنع بهذه الاثقال والازواد الثقال نقدم لهذا الضيف منها يحصل التخفيف عنها ويقع بذلك فائدتان احداهما حسن المضيف وثانيتهما التخفيف فامتثل أبوها أمر بنته ونقل الى الضيف ما حواه بيته من طعام وشراب ونقل وكباب وبسط بساط النشاط وأخذ فى دواعى الانبساط وانتقل من الحاشمة الى المكالمة والمنادمة وعمل بموجب ما قيل

وما بقيت من اللذات الا * أحاديث الكرام على المدام

فلما هجم جيش السكر وهزم جند العقل والفكر تذكر بهرام مجالسه ومؤانسته فيها ومحادثته وما فيها من مغازلة الغزلان وأصوات الاغانى والقيان فأبانت حشمة السلطنة عن مضمرها وتفوه بشئ يلوح بخبرها وشاقت نفسه الى معتادها فأعرب شطحها عن مرادها وقال للرئيس أيها النديم الكيس لو كان لنا من يطربنا بصوته ويبهجنا بصورته ولو أنها وصيفة أو ذو صورة لطيفة ولا نطلب زيادة عن النظر وحسن المفاكهة والسمر والمنادمة الى السحر لزالت وحشة الاغتراب ودهشة حدة الشراب فانه قيل الشراب بغير نغم غم وبغير دسم سم وان مذهبنا ما قيل

أتأذنون لصب فى زيارتكم * فانكم فى محل السمع والبصر

لا يضمر السوء ان طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

فنهض الرئيس وترك مذهبه الخسيس واستعمل المروة وسلك سبيل الفتوة وأنشد يقول

وكل قيادة لاخ وخل * بلا جعل فتلك من المروءة

وأخطر البال ما نظمه الشاعر وقال

يا ناظم الشعر فى مقام فتى * يقود فاسمع مقالة الظرفا

ألف هذا حروفه سمعت * همته هذا ناألف الحرفا

ومن مذهب المجوس اباحة فرج العروس فدخل فى بيته وذكر ما جرى بينه وبين ضيفه لبنته وقال أى ربيبة الحسن والاحسان أظن أن ضيفنا من أكابر الاعيان ومقره فى حضرة السلطان وقد التمس منى ما يزيد بسروره ويطيب حضوره وحبوره ويلهيه بمفاكهته وحسن منادمته وما عندنا من يصلح لذلك أى مادة السرور سواك وأنا أعرف بعفتك ونزاهتك وحسن محاضرتك ومفاكهتك وصيانة رأيك ورزانة عقلك وذكائك فان رأيت أن تمتعيه بالنظر الى جمالك وتمتنيه بغنجك ودلالك ولو بلحظه أو بلفظه ثم تعودى الى كناسك بين أهلك وناسك فقالت لا أمر منك واليك وما أريد أن أشق عليك وليس فى ذلك عار ولا فى خدمة الضيف واكرامه شنار فأجابت أباها وكان ذلك عن رضاها بل جل قصدها ومناها

الملك والسطوة عبث بالرعية واستصغر أمرهم وأساء السيرة فيهم وكان لا يرتقى حاله الا ازداد عتوا فمكث على ذلك برهة من دهره وكان فى زمانه رجل فيلسوف من البراهمة فاضل حكيم يعرف بفضله ويرجع فى الامور الى قوله يقال له بيدبا فلما رأى الملك وما هو عليه من الظلم للرعية فكر فى وجه الحيلة فى صرفه عما هو عليه ورده الى العدل والانصاف فجمع لذلك تلامذته وقال أتعلمون ما أريد ان أشاوركم فيه اعلموا انى أطلت الفكرة فى دبشليم وما هو عليه من الخروج عن العدل ولزوم الشر ورداءة السيرة وسوء العشرة مع الرعية ونحن ما نروض أنفسنا لمثل هذه الامور واذا ظهرت من الملوك الا لنردهم الى فعل الخير ولزوم العدل ومتى أغفلنا ذلك وأهملناه لزم وقوع المكروه بنا وبلوغ المحذورات الينا اذ كنا فى أنفس الجهال أجهل منهم وفى العيون عندهم أقل منهم وليس الرأى عندى الجلاء عن الوطن ولا يسعنا فى حكمتنا ابقاؤه على ما هو عليه من سوء السيرة وقبح الطريقة ولا يمكننا مجاهدته بغير ألسنتنا ولو ذهبنا الى أن نستعين بغيرنا لم تتهيأ لنا معاندته وان أحس منا بمخالفته وانكارنا سوء سيرته لكان فى ذلك بوارنا وقد تعلمون ان مجاورة السبع والكلب والحية والثور على طيب الوطن ونضارة العيش لغرر بالنفس وان الفيلسوف لحقيق أن تكون همته مصروفة الى ما يحصن به نفسه

دأقبلت الى خدمة الضيف واعتت معه من لحاظها وقدها بالرمح والسيف الى ان صادته بلحظها المكسور فأمسى قلبه وهو في يدها أسور وكان قد خرج للصيد فصيد وصار مع سلطانه لها من جملة العبيد ثم انه أنشد يقول

أرى ماء وبي عطاش شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

ثم قرر في ضميره انه اذا وصل الى سريره يطلب هذا الرئيس ويصاهره ويقطعه هذه القرية ويعاشره ويجعل بنته خونده ويسلم الى أبيها جنده فما استتم هذا الخاطر الخطير حتى جاءهم الراعي المستجير وقال ان الغنم التي ما بضت بقطرة ولا درت درة قد امتلأت ضروعها القاحلة فهاهي دارة حافلة قد صارت كالسيول على السابلة فلم يبق وعاء الا امتلأ وقد روى من الجيران الملأ وها هي تشخب وتسيل وفاضت فأروت الحقير والجليل وأغنت الجيران وكانها غدران فقالت بنت الرئيس لله الحمد والتقديس الذي أصلح نية سلطاننا حتى استقر رنا في أوطاننا وعاد علينا ما سلبناه ورجع الينا ما طلبناه فعجب بهرام جور من هذه الامور ولما أصبح الصباح وركب فرسه وراح استقر في ولايته الزاهرة وأمضى ما كان نواه من المصاهرة وأسبل عليه ذيل الانعام وزاده من الاكرام ما انتظم به أمره واستقام وانما أوردت هذا الخبر لتعلموا أن الزمان في المجيء والمر مطيع لما أضمر السلطان وما أظهر وما أحلاه في أمر رعيته وما أمر وقد قيل عدل السلطان خير من خصب الزمان واذا لم يكن الملك برعيته شفيقا ولا بارا ولا رفيقا ولم يتجاوز عن مسيئهم متلهفا الدعائهم مشغوفا بمحبتهم محسنا لمحسنهم فانما يحفظ ما منهم فالاولى بهم ان يهاجروا عن مملكته ويخرجوا عن اقليم ولايته قال رب العالمين لنبيه وحبيبه سيد المرسلين ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فينبغي للحاكم ان لا يؤاخذ احدا بجريرة أحد أبدا قال الله جل ذكرا ولا تزر وازرة وزر أخرى ولو طلب أحد بجريرة أحد ولحق البريء بسبب المذنب عقوبة ونكد لفسدت المملكة وانتشرت المهلكة واضطربت الرعية وانخرمت القواعد العلية ولو فعل ذلك المتقدم من الملوك لهلك الصعلوك وانسد الطريق المسلوك وانخرمت القاعدة على المالك والمملوك ولم يبق للتاج شيء ولا على وجه الارض حي ويجب على من باشر عند الملوك أمرا من الامور أو حكما على الجمهور ان يكون في دينه متينا وعلى الناس أمينا سديد الفكر قويم النظر صدوق النطق ظاهر الصدق دائر مع الحق يقظان مراقب في خواتيم أمره والعواقب عادلا بين الاخصام شفيقا على الخاص والعام ثابتا في النوازل معدودا في البوازل مشغولا بتهذيب نفسه متذكرا يومه في غده وامسه متميزا بالشمائل المرضية على ابناء جنسه واضعا الاشياء في محلها منقطعا بنفسه عن جاهها وقلها مقيما كل احد في مقام لا يتعداه ومنصب معلوم لا يتخطاه حتى تستقيم بذلك أمور المملكة وتصان من الوقوع في مهاوي التهلكة ويطمئن خاطر مخدومه ويركن اليه في منطوق قوله ومفهومه فيقبل قوله وفعله ويعرف فصله وفضله وكذلك يجب ان يكون الملك كريم الاعراق لطيف الاخلاق شريف الاعلاق وأن يكون في جميع احواله متمسكا بذيل افضاله مراعيا سيرة اجداده من الملوك سالكا طريقة الملوك من حسن السلوك لان من لا يشيد اركان اسلافه ولا يقوي بنيان اشرافه يصيبه مثل ما اصاب الذئب مع الجدي المغني المصيب فسأل الملك من أخيه أن يذكر ذلك المثل ويبديه * فقال بلغني يا مليك الارض انه كان في بعض الغياض لذئب وجار أهل وجار فخرج يوما لطلب الصيد ونصب لذلك شباك الكيد وصار يجول ويصول ولا يقع على محصول فأثر فيه الجوع والغوب وآذنت الشمس بالغروب فصادف بعض الرعيان يسوق قطيعا من الضان وفيهما بعض جديان فهم عليها لشدة الجوع بالهجوم ثم أدركه من خوف الراعي الوجوم لانه كان متيقظا وعلى ماشيته متحفظا فجعل يراقبه من بعيد والحرص والشره يزيد والراعي سائق والذئب عائق فتخلف جدي غبي غفل عنه الراعي الزكي فادركه الذئب النشيط واقتطعه بأمل بسيط وبشر نفسه بالظفر وطار بالفرح واستبشر فلما رأى الجدي الذئب علم انه أصيب بيوم عصيب وظفر منه باوفر نصيب

من نوازل المكروه ولواحق المحذور ويدفع المخوف لاستجلاب المحبوب ولقد كنت أسمع أن فيلسوفا كتب لتلميذه يقول ان مجاورة رجال السوء والمصاحبة لهم كراكب البحر هو ان سلم من الغرق لم يسلم من المخاوف فاذا هو أورد نفسه موارد الهلكات ومصادر المخوفات عد من الحمير التي لا انفس لها لان الحيوانات البهيمية قد خصت في طبائعها بمعرفة ما تكتسب به النفع وتتوقى به المكر وه وذلك انك لم ترها تورد أنفسها موردا فيه هلكتها وانها متى أشرفت على مورد مهلك لها مالت بطبائعها التي ركبت فيها شحا بانفسها وصيانة لها الى النفور والتباعد عنه وقد جمعتكم لهذا الامر لانكم أسرتي ومكان سري وموضع معرفتي وبكم أعتضد وعليكم اعتمد فان الوحيد في نفسه والمفرد برأيه حيث كان فهو ضائع ولا ناصر له على ان العاقل قد يبلغ بحيلته ما لا يبلغ بالخيل والجنود * والمثل في ذلك ان قنبرة اتخذت ادحية وباضت فيها على طريق الفيل وكان للفيل مشرب يتردد اليه فمر ذات يوم على عادته ليرد مورده فوطئ عش القنبرة وهشم بيضها وقتل فراخها فلما نظرت مساءها علمت ان الذي نالها من الفيل لا من غيره فطارت فوقعت على رأسه باكية ثم قالت أيها الملك لم هشمت بيضي وقتلت فراخي وأنا في جوارك أفعلت هذا استصغارا منك لامري واحتقارا لشأني قال هو الذي حملني فتدارك

فتدارك نفسه بنفسه واستحضر حيلة جاشه وحدسه ومكره بما أضمره في نفسه وعلم انه لا ينجيه من هذه الورطة الوبيلة الا مغيث الخداع والحيلة وأذكره الخاطر ما قال الشاعر

ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلا * به الخطب الا وهو بالقصد يبصر

فتقدم بجأش صليب وقبل الارض بين يدي الذيب وقال يحييك الراعي لجنابك داعي يسلم عليك وقد أرسلني اليك يشكر صداقتك وشفقتك وحشمتك ومرافقتك ويقول قد تركت بحسن آدابك عادة اجدادك وآبائك فلم تتعرض لمواشيه وحفظت بنظرك حواشيه وقد حصل لضعافها الشبع وامست بجوارك آمنة من الجوع والفزع وحصل لها الامن من الجزع فالله يجعل جوارك وغياضك احسن مجتمع لان عجاف ماشيته شبعت وروبت واستنعشت وقويت فأراد مكافاتك وتطلب مصافاتك ومصادقتك فأرسلني اليك لتأكلني وأوصاني أن أطربك بما أغني فاني حسن الصوت في الغناء وصوتي يزيد في شهوة الغذاء فان اقتضى رأيك الاسعد غنيتك غناء ينسي أبا اسحق ومعبد وهو شيء لم يظفر به آباؤك ولا أجدادك ولا يناله أعقابك وأولادك يقوي كرمك وشهوتك وقرمك ويطيب مأكلك وينسيك مأملك وان صوتي اللذيذ ألذ للجائع من جدي حنيذ بخبز سميذ وللعطشان من قدح نبيذ ورأيك أعلى وامتثالك أولى فقال الذئب لا بأس قد أجبت سؤالك فغن ما بدا لك فرفع الجدي عقيرته ورأى في الصياح خيرته وملأ الدنيا عياطا واعقبه ضراطا وأنشد

وعصفور الهوى يهوى جراده * كما عشق الحروف أبا جعاده

فاهتز الذئب طربا وتمايل عجبا وعجبا وقال أحسنت يا زين الغنم ولكن هذا الصـ[illegible]ـمن الم فارفع صوتك في الزير فقد أخجلت البلابل والزرازير وزدني يا مغني قولي

أقر هذا الزمان عيني * بالجمع بين المنى وبيني

ولكن ياسيدي المغني هذا من أوج الحسيني فاغتنم الجدي الفرصه وأزاح بعياطه الغصه وصرخ صرخة أخرى اذكره الطامة الكبرى ورفع الصوت كمن عاين الموت وخرج من دائرة الحجاز الى العراق وكاد يحصل له من ذلك الانفتاق وقال

فقوائم انظر واحالي * أبو مذقة أكالي

فسمعه الراعي يشدو فأقبل بالمطراق يعدو فلم يشعر الذئب الذاهل وهو لحسن السماع غافل الا والراعي بالعصا على قفاه نازل فرأى الغنيمة في النجاه وأخذ في طريق النجاه وترك الجدي وأفلت ونجا من سيف الموت المصلت وصعد الى تل يتلفت بعد ما تفلت فأقعى يأكل يديه ندامة ويخاطب نفسه بالملامة وقال أيها الغافل الذاهل والاحمق الجاهل متى كان على سماط السرحان الغناء والاوزان وأي جدك فاني وأبي مفسد جاني كان لا يأكل الا بلا أغاني وعلى صوت المثالث والمثاني فلولا انك ما عدلت من طريقة آبائك مافاتك لذيذ غذائك ولا أمسيت جائعا تتلوى وبجمر فوات الفرصة تتكوى وبات يحرك ضرسه ونابه ويخاطب نفسه لما نابه ويقول

وعاجز الرأي مضياع لفرصته * حتى اذا فات أمر عاتب القدرا

وانما أوردت هذا النظير لمولانا الملك والوزير ليعلم أن العدول عن طرائق الاصول ليس الا داعية الفضول ولا يساعده معقول ولا منقول وأموره ذميمة وعاقبته وخيمة وناهيك ما هو كالعلم ومن يشابه أبه فما ظلم ويؤخذ من مفهوم هذه الحكم أن من لم يشابه أبه فقد ظلم خصوصا الملوك والسلاطين الذين اختار رفعتهم رب العالمين وذلك لئلا يدخل على قواعد المملكة من حركات الاختلال والاختلاف حركه ولله يا ذا الاحسان ما قيل في شأن الملك أنوشروان

لله در أنوشروان من رجل * ما كان أعرفه بالوغد والسفل

نهاهم أن يمسوا عنده قلما * وأن يذل بنو الاحرار بالعمل

وكل هذا من عدم التدبر والتامل في العواقب والتذكر ومن ترك التامل والافتكار أصابه ما أصاب ابن

على ذلك فتركته وانصرفت الى جماعة الطير فشكت اليها ما نالها من الفيل فقلن لها وما عسى ان نبلغ منه ونحن طيور فقالت للعقاعق والغربان أحب منكن ان تسرن معي اليه فتفقؤا عينيه فاني احتال له بعد ذلك بحيلة أخرى فأجابوها الى ذلك وذهبوا الى الفيل فلم يزالوا ينقرون عينيه حتى ذهبوا بهما وبقي لا يهتدي الى طريق مطعمه ومشربه الا ما يقممه من موضعه فلما علمت ذلك منه جاءت الى غدير فيه ضفادع كثيرة فشكت اليها ما نالها من الفيل قالت الضفادع ما حيلتنا نحن في عظم الفيل وأين نبلغ منه قالت أحب منكن أن تسرن معي الى وهدة قريبة منه فتنقون فيها وتضجون فانه اذا سمع أصواتكن لم يشك في الماء فيهوى فيها فأجابوها الى ذلك واجتمعوا في الوهدة فسمع الفيل نقيق الضفادع وقد أجهده العطش فأقبل حتى وقع في الوهدة فانحطم فيها وجاءت القنبرة ترفرف على رأسه وقالت أيها الطاغي المغتر بقوته المحتقر لامري كيف رأيت عظم حيلتي مع صغر جثتي عند عظم جثتك وصغر همتك فليشر كل واحد منكم بما يسنح له من الرأي قالوا بأجمعهم أيها الفيلسوف الفاضل والحكيم العادل أنت المقدم فينا والفاضل علينا وما عسى أن يكون مبلغ رأينا عند رأيك وفهمنا عند فهمك غير أننا نعلم ان السباحة في الماء مع التمساح تغرير والذنب فيه لمن تدخل عليه في موضعه والذي يستخرج السم من ناب الحية فيبتلعه ليجرب به على نفسه فليس الذنب للحية ومن

آوى مع الحمار فقال الملك أفدنا أيها المختار كيفية هذه الاخبار (قال الحكيم) كان في جوار بستان مأوى لابن آوى وكان ذلك البستان كأنه قطعة من الجنان غفل عنها رضوان كثير الفواكه والرطب خصوصا التين والعنب وكان ابن آوى يدخل البستان من مجرى الماء ويأكل الثمار كيفما أحب واختار وينصرف ذلك الخبيث ويأخذ في الفساد ويعيث كأنه ذميم ترك الذمام أو لئيم من بني اللئام فتضرر البستاني من اضرار ذلك الجاني وعجز عن صيده ودفع كيده فراقب دخوله ليختله ويغوله الى أن رآه يوما دخل وفي البستان حصل ويأكل العنب اشتغل فبادر الى نقرة الماء فسدها وسد الطرق التي أعدها ودخل الى الباغي وحصل ذلك الطاغي وحصره وأوهنه وضربه الى أن أثخنه فذهبت قواه وشلت يداه ورجلاه فتصور أنه مات لما سكنت عنه الحركات فأسحطه بذنبه ورماه وعلى العظام الرفات ألقاه فاستمر لا يفيق ملقى على الطريق الى أن تراجعت اليه نفسه وقوي جأشه وحسه فتحرك وهو هشيم وتنفس وهو سقيم ثم تدحرج الى منزله وقد أحاط به سوء عمله الى أن صح فهمه وقوي جسمه فافتكر فيما جرى من الجار القديم عليه من العذاب الاليم فقال اذا كان جار العمر وقرين الدهر قصد ماري ولم يرع لي حق جواري لاجل قوت فضل عن أقواته وأثبت أجره في ديوان حسناته وشد لحتفي على حاقي مسد الطنب ولم يعمل بقوله تعالى والجار الجنب بل لو رمق في بدني أدنى رمق أو أقل حركة لما تركه فلا خير لي في جواره ولا قرب داره فان سلمت هذه المرة فما كل مرة تسلم الجرة والاليق بالحال الترحال وطلب الرزق بالتوكل والرفق والذي شق الاشداق تكفل لها بالارزاق وان الاله الخالق لم يغذ بقطع الرزق ثم انه افتكر في جهة السفر وأين يكون المستقر وكان لابيه الذميم ذئب وهو صاحب قديم ساكن في بعض الغياض المجاورة للدوح والرياض فتوجه اليه وترامى عليه وتوسل بصحابة أبيه لديه وقال صداقة في الآباء قرابة في الابناء وذكر له حاله وما جرى له وأن جاره خانه ولم يرع حقه ومكانه فقصد أن يكون تحت ظله نازلا في محله ليفوز بمجالسته ويحظى بمؤانسته ويقضي باقي عمره في خدمته ولا يفارق وفاءه حتى يحصل في حضرته فتلقاه بالقبول والاقبال والفضل والافضال والبشر والبشاشة واليسر والهشاشة وبسط له فراشه وأزال قبضه وانكماشه ودهشته واستيحاشه وأبسه رياشه وتذكر والده وجدد معاهده وأسدى اليه من احسانه ما أنساه ذكر أوطانه خصوصا جوار جاره وبستانه وأنشده بديها

فأهلا بمحبوب قديم وداده * وسهلا بمن قد كان والده أبي

تحكم على مالي وروحي ومسكني * وأهلي وأولادي وجاهي ومنصبي

ولم يكن عند الذئب ما يطعمه ضيفه ويشبع جوفه فاستعد للكياد وعزم على الاصطياد فقال ابن آوى أين تريد وتتركني وأنا وحيد فقال أمنت خوفك فأريد ان اشبع جوفك ومن المعلوم ان عدم الضيافة لوم فقال لا تتعب فأنا أذهب الى صاحب حمار كأنه تيس مستعار يصغي الى قولي ويعتمد على قوتي وحولي فاني اخدعه والى دارك أشيعه فأوثقه حبالك وافعل معه ما بدالك فصيره لنا طعاما فانه يكفينا اياما فاستصوب الذيب رأى ذلك المريب وتوجه ذلك الغدار ليأتيه بالحمار وصعد تلا ينظره ويرتقب ما يكون خبره ولما توجه ابن آوى لطلب الزبون انتهى في سيره الى طاحون واذا بحمار قد اوثقوه حبلا واوسعوه ذلا وعلى ظهره حمل قد قصم ظهره وادمى دبره فطرحوا حمله واصلحوا حبله وتركوه يسعى وفي المرج يرعى فتقدم ابن آوى اليه وسلم سلام معرفة عليه واظهر له المحبة والوداد وسأله عن اهله والاولاد فقال له اي اهل وولد وانا في هذا البوس والنكد ما بين حمل ثقيل وجوع طويل وركوب وسخر ومصائب أخر هذا يركب وهذا يضرب وهذا يسحب وهذا يحمل حمله وهذا ينخس بالمسله وهذا يحبس على الجوع والذله وهذا يقود بحبله وهذا يردد بثقله وهذا يعود ولكن بكلام ثقيل فكأني في مشاقي كما قيل

فدخل على الاسد في غابته لم يأمن وثبته وهذا الملك لم تفزعه النوائب ولم تؤدبه التجارب ولسنا نأمن عليك ولا على أنفسنا سطوته وانا نخاف عليك من سورته ومبادرته بسوء اذا لقيته بغير ما يحب فقال الحكيم بيدبا لعمري لقد قلتم فاحسنتم لكن ذو الرأي الحازم لا يدع ان يشاور من هو دونه أو فوقه في المنزلة والرأي الفرد لا يكتفى به في الخاصة ولا ينتفع به في العامة وقد صحت عزيمتي على لقاء دبشليم وقد سمعت مقالتكم وتبين لي نصيحتكم والاشفاق علي وعليكم غير أني قد رأيت رأيا وعزمت عزما وستعرفون حديثي عند الملك ومجاوبتي اياه فاذا اتصل بكم خروجي من عنده فاجتمعوا الي وصرفهم وهم يدعون له بالسلامة ثم ان بيدبا اختار يوما للدخول على الملك حتى اذا كان ذلك الوقت ألقى عليه مسوحه وهي لباس البراهمة وقصد باب الملك وسأل عن صاحب اذنه فارشد اليه وسلم عليه وأعلمه وقال له اني رجل قصدت الملك في نصيحة فدخل الآذن على الملك في وقته وقال بالباب رجل من البراهمة يقال له بيدبا ذكر ان معه للملك نصيحة فأذن له فدخل ووقف بين يديه وكفر وسجد له واستوى قائما وسكت ففكر دبشليم في سكوته وقال ان لم يقصدنا الا لامرين اما ان التمس منا شيئا يصلح به حاله ولامر لحقه فلم يكن له به طاقة ثم قال ان كان للملوك فضل في ممالكها فان للحكماء فضلا في حكمتها أعظم لان الحكماء اغنياء عن الملوك بالعلم وليس الملوك ... ولا

ولا يقيم على ضيم يراد به * الا الاذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته * وذا يشج فلا يرثي له احد

فتفجع ابن آوى وتوجع وحوالق واسترجع والتهب واضطرم واظهر التحرق لما رآه من الالم وأخذ يلومه على صحابة بني آدم والمصابرة على ما يلجئه الى الندم من ايذائهم وجفائهم وتحمل بلائهم وعدم وفائهم وقال له حتام هذا الذل والتطوق بهذا الغل وتحمل أنواع الهوان من البعض والسكل وايلام هذا العطاش والجوع وعدم القرار والهجوع وأرض الله واسعة الفضاء شاسعة الارجاء وحتام تذوب من اللغوب تحت هذا الحمل الثقيل والجور العريض الطويل فقال لو وجدت ملجأ أو مسرح أو مدخلا أو مطرح أو مغارات أو منجح لوليت اليه وأنا اجمع وتخلصت من هذا البلاء العظيم والشقاء الجسيم ولو رأيت أحدا شفيقا أو مصافيا صديقا يهدي الى الخلاص طريقا لاستغنيت بآرائه ولاستشفيت لدائي بدوائه قال ابن آوى يا أكمه اني أعرف بالقرب اجمه ازهارها فائحة وأنوارها لائحة وانهارها بالصفاء غادية ورائحة غياضها نضرة ورياضها خضرة وربا ها حصينة وذراها أمينة وانا ساكن فيها آمن في ضواحيها ونواحيها فان اقتضى رأيك ذهبت بك اليها لتعتكف عليها فان أعجبتك سكنتها ووقيت النوائب وأمنتها فانها بمعزل عن السباع الجواسر والضباع الكواسر والجوارح النواسر لا يطرقها انسان ولا يدخلها حيوان وسترى من خير جار وحسن الجوار وستحمد عاقبة مقالي وما ترا ه من افعالي وتخلص من جفاء بني آدم وتبقى في نعيم منعم وتعيش معنا في عيش رغيد وعمر هني سعيد وتحصل المؤانسة ويمن المعاشرة والمجالسة واما أنا فلا اجد رفيقا مثلك وليس لي الى صديق غيرك مسلك فلما سمع الحمار هذا الحوار رغب في الخلاص من الاقتناص والبلاء الذي هو فيه والشقاء الذي يؤلمه ويؤذيه فسلم قياده الى ابن آوى وقال سر بنا الى ماذكرت من مأوى لئلا يرانا ارصد أو يشعر بنا أحد ثم أعجلا في السير واشبها في سيرهما الطير فتقدم الحمار سابقا واضيا ابن آوى لاحقا فجدع وغاط وخاط وبالط ونادا الحمار الى ان كنت تعبت فاركب على فقال الحمار بل انت اركب ولا تتعب فطفر ابن آوى على الحمار وصار لا يقر له قرار وابن آوى يهديه الطريق وهو في نهيق وشهيق فلما قربا من الاجمه فتح عينيه ذلك الاكمه ورفع آذانه وبصره فرأى الذئب قاعدا منتظره فعرف ان تلك مكيده نصبها ابن آوى لصيده فقال * تأتي الخطوب وانت عنها نائم * ثم استحضر عقله المفقود واستعمل عقله الموجود وعرف انه غفل عن نفسه وقد سعى برجليه الى رمسه وانتقل من المرض الذي هرب منه الى نكسه ومن خموله وذله الى تعسه ونكسه فتردد متفكرا واقام متحيرا فقال له ابن آوى مالك اسرع فقد احسن الله حالك وامن فكرك وانعش بالك وجعل الى عافية الخير مآلك لئلا يدركنا احد أو يلحقنا ضرر ونكد فقال الحمار يا أخي شاهدت قدود اغصان رشيقه ونشقت روائح ريحان عبقه وسمعت خرير الانهار واصوات البلابل والهزار فندمت حيث لم اقطع علائقي واودع جاري ومرافقي وأبت مالي من التعلقات واجيء وما ورائي التفات وأنا ان ولجت هذه الغيضه ورعيت مروج هذه الروضه ورأيت ما فيها من المنتزهات الهتني عما لي من تعلقات فتضيع لذلك مصلحتي وتذهب عند جيراني ودائعي وذخيرتي ولا اقدر على مفارقة هذا المقام النزه ومجاورة مثلك أيها الجار الفكه وقد عزمت على الرجوع لاصحب مالي من مال وأثاث مجموع واجيء وقلبي مطمئن وخاطر عن الالتفات مستكن قال ابن آوى اترك مالك ولا تؤخر اوقات السرور وساعات الفراغ والحبور وما خلفته فهو لك وتلافيه أمر مستدرك ولا بأس ان تدخل هذا المكان وتدور في هذا البستان وتتعاهده ولو مره وتشاهده ولو نظره ثم تعود وتفعل ما تريد وبالجملة فتأخير أوقات السرور غير محمود ولا مشكور فقال الحمار الامر كذلك وقال الله شر المهالك ولكن أقوى الدواعي في هذه القضية والحامل على الرجوع وان كان بليه وصيه من أبي كانت عندي خفيه كنت أعمل بها وأمشي في دربها ولا أفارقها في نومي ولا يقظتي وكنت جعلتها حرزا اعلقه

باغنياء عن الحكماء بالمال وقد وجدت العلم والحياء الفين متآلفين لا يفترقان متى فقد أحدهما لم يوجد الآخر كالمتصافيين ان عدم منهما أحد لم يطب صاحبه نفسا بالبقاء بعده تأسفا عليه ومن لم يستح من الحكماء ويكرمهم ويعرف فضلهم على غيرهم ويصونهم عن مواقف المهانة وينزههم عن المواطن الرذلة كان ممن حرم عقله وخسر دنياه وظلم الحكماء حقوقهم وعد من الجهال ثم رفع رأسه الى بيدبا وقال له نظرت اليك يا بيدبا ساكتا لا تعرض حاجتك ولا تذكر بغيتك فقلت ان الذي أسكته هيبة سورته أو حيرة ادركته وتاملت عند ذلك من طول وقوفك وقلت لم يكن لبيدبا ان يطرقنا على غير عادة الا لامر حركه لذلك فانه من أفضل أهل زمانه فهلا نسأله عن سبب دخوله فان يكن من ضيم ناله كنت اولى من أخذ بيده وسارع في تشريفه وتقدم في البلوغ الى مراده واعزازه وان كانت بغيته غرضا من أعراض الدنيا أمرت بارضائه من ذلك فيما أحب وان يكن من أمر الملك ومما لا ينبغي للملوك ان يبذلوه من أنفسهم ولا ينقادوا اليه نظرت في قدر عقوبته على ان مثله لم يكن ليجترئ على ادخال نفسه في باب مسئلة الملوك وان كان شيأ من أمور الرعية يقصد فيه الى أصرف عنايتي اليهم نظرت ما هو فان الحكماء لا يشيرون الا بالخير والجهال يشيرون بضده وأنا قد فسحت لك في الكلام فلما سمع بيدبا ذلك من الملك أفرخ عنه روعه وسري عنه ما كان وقع في نفسه

فى رفقتى واذا لم تكن معى فى مسيرى ومضجعى لا يقرلى قرار ولا يأخذنى اصطبار و يعترينى شبه الاوهام وأرى خيالات فاسدة فى المنام وتغلب على دماغى فنون السوداء ولا أجد منها دواء لذلك الداء وفيها وصايا نفيسة لروح العقل بمنزلة الاعضاء الرئيسه فاذا حصلت على تلك الوصية المعينه فقضية ماسواها هينه ثم ألوى راجعا لاساءه الابن آوى ولا طائعا فافتكر ابن آوى انه اذا ترك الحمار وحده فوته قصده وخيب الله كده وأبطل حيله وجهده فرأى لنفسه المنفعة أن يرجع معه فربما ينجح سعيه و يسلب من الحمار وعيه فقال يا أخى شوقتنى بهذه القضيه الى الاطلاع على تلك الوصية لاستفيد منها وآخذ حظى من الفضل عنها فلابد من مصاحبتك والذهاب معك ومرافقتك فقال الحمار لادافع ولا مشاقق ولا مانع أن تكون لى مرافق فقال ابن آوى فهل فى حفظك منها شئ فان كان فألقه الى لنتذاكر فى الطريق ولا يؤثر فينا التعب والضيق فقال نصيحة واحدة هى يصدق شاهده وهى كلمة مجملة فوائدها فيها مجملة وهى ان أبى قال لى اياك أن تفارق هذه الوصية فان فارقتها وقعت فى بليه وسأخبرك بسائرها فى المسير اذ تذكرت أيها البصير ثم سار قليلا وأفكر طويلا وقال وهذه أخرى سنحها ذكرى وارتضاها فكرى وهى اذا وقعت فى شدة ورمت الخلاص منها عده فتصور أصعب منها يحصل لك التفصى عنها وتهون عليك وتعدها نعمة اسديت اليك فتشتغل بشكرها وتستأنس بذكرها فقال ابن آوى احسنت يا حمار وهذا مقام الاخيار والصالحين والابرار ثم سار سيرة رائثه وقال والله هذه نصيحة ثالثه فقال قل واسلم وطل فقال لا تحسب ان الصديق الجاهل خير من العدو العاقل فان علم العدو العاقل خير لك من جهل الصديق الجاهل فقال ابن آوى ما احلى كلامك واعلى فى اللطف مقامك وانزه منادمتك وافكه مكالمتك بالله شنف المسامع فانى لك بقلبى وجوارحى سامع فقال مهلا حتى اتذكرها واتصورها كما ينبغى واتفكرها وانتهى أمر ابن آوى على تعبه وساقه القضاء الى رمسه فوصل الى الضيعة وقد وقع ابن آوى فى ضيعه فالح على الحمار فقال الحبرنى فما بقى لى اصطبار فقال قال لى أبى بكلام فصيح عربى لا تحمل مقامك ومقيلك بمكان يكون فيه ابن آوى دليلك والذئب فيه جارك وخليلك وان جعلت لك فى مثل هذا المكان ساحه فما ترى يكون لك فيه من الراحه وان اردت ان تخلص من هذا المكان فانصب الآذان وارفع ذكر الله بالاذان فانه ينجيك من الضيق ثم رفع عقيرته بالنهيق فسمعه معارفه من الكلاب فسارت اليه مستبشرة بحسن الاياب وسارعت اليه واجتمعت حواليه فما شعر ابن آوى الا وهو متورط فى البلوى فطفر للهرب فادركه من الكلاب الطلب فاحتوشته وانتوشته واختطفته واقتطفته ووزعته ومزعته ومرشته وقرشته فلم تبق منه عينا ولا اثرا وذهب دمه فى تدبيره هدرا وانما أوردت هذا المثال وعرضته على الرأى العال ليعلم ان الاغترار بالكلام محال والاصغاء الى الحكايات والقول البطال من غير تنقل من الفاظها الى معانيها وتامل فى مآل مقاصدها وغاويها والاعتماد على القضايا المزخرفة والركون الى الامور المسفسفة لا يفيد سوى الندم وزلة القدم والاصل فى الولايات والمناصب التفكر فى الخواتيم والتأمل فى العواقب والافليس فى ذلك سوى اضاعة العمر والمصير الى المهالك وقلت شعرا

وأسعد من يكسى الولاية من اذا * نضا ثوبها يكسى الثناء المطرزا

فلما انتهى الكلام الى هذا المقام ورأى الوزير برأيه المنير ما فى هذه الفصول من الفضل دون الفضول اعترف للملك حسيب بالفضل الحسيب والرأى المصيب وحسن النصيحة والبيان وصحة الدليل والبرهان فاذعن للحق وأناب الى الصدق وقال لقد أتيت النصيحة من بابها وأوصلتها الى طلابها وكل كلام قرنته وبيان حررته انما هو شكر أحرزته وطريق سداد بينتها وسبيل رشاد أوضحتها وباب صواب فتحته وميزان احسان أرجحته وعلى كل عاقل ومستمع وناقل أن يقتدى بهذه النصائح و يوصلها الى السائح والسانح ويغنم فوائدها وعوائدها وموائدها ويعمل بموجبها ولا يخرج عن مذهبها ثم ان الملك لما أصغى الى هذا الفصل وفهم ما تضمنه من حكمة وفضل أفرغ على أخيه وأهله وذويه لباس

من خوفه وكفرله وسجد ثم قام بين يديه وقال أول ما أقول أسأل الله تعالى بقاء الملك على الابد ودوام ملكه على الامة لانه قد منحنى الملك فى مقامى هذا محلا جعله شرفا لى على جميع من بعدى من العلماء وذكرا باقيا على الدهر عند الحكماء ثم أقبل على الملك بوجهه مستبشرا به فرحا بما بداله منه وقال قد عطف الملك على بكرمه واحسانه والامر الذى دعانى الى الدخول على الملك وحملنى على المخاطرة لكلامه والاقدام عليه نصيحة اختصصته بها دون غيره وسيعلم من يتصل به ذلك انى لم أقصر عن غاية فيما يجب للمولى على الحكماء فان فسح فى كلامى ووعاه عنى فهو حقيق بذلك وما يراه وان هو ألقاه فقد بلغت ما يلزمنى وخرجت من لوم يلحقنى قال الملك يا بيدبا تكلم مهما شئت فانى مصغ اليك ومقبل عليك وسامع منك حتى أستفرغ ما عندك الى آخره واجازيك على ذلك بما انت أهله قال بيدبا انى وجدت الامور التى اختص بها الانسان من بين سائر الحيوان أربعة أشياء وهى جماع ما فى العالم وهى الحكمة والعفة والعقل والعدل والعلم والادب والروية داخلة فى باب الحكمة والحلم والصبر والوقار داخلة فى باب العقل والحياء والكرم والصيانة والانفة داخلة فى باب العفة والصدق والاحسان والمراقبة وحسن الخلق داخلة فى باب العدل وهذه هى المحاسن واضدادها هى المساوى فمتى كملت هذه فى واحد لم

الانعام ووفاه بمزيد الاكرام وقال لقد فهمت أيها الاخ الشفيق فى تدقيق النصح بالتحقيق وحللت المشكل وجلوت الطريق وأديت حق الفتوة وواجب المروأة وشرائط الاخوة والآن قد حكمناك فى ولايتنا ووليناك على حكامنا وقضاتنا وبسطنا يدك فى الاقاليم وأطلقنا لسانك فى التعاليم فتحكم فى الرؤس والاطراف واحكم فى الآفاق والاكناف واشرع فيما أنت بصدده ولا تتقيد بالمخالف ولدده وكن منشرح الصدر نوى الظهر قرير العين مبسوط اليدين مبارك الطلعة حسن السيرة صبيح الوجه طيب القلب والسريره طويل العضد والساعد ممدوحا عند الغائب والشاهد خلى البال هنى الحال فانك من بطن كريم ونفذ على الطاعة مستقيم وفى الفضائل ذو قدم وصدق وفى الصناعة ذو صنع وحذق فلا تتوان فيما عزمت عليه وقصدت اليه من النصائح الملوكيه والفصول العلمية والعمليه وأتحفنا بتلك الحكم السنيه والخصال البهيه والشمائل المرضيه فانها لذة الاشباح وغذاء الارواح والطراز المضىء على خلع المساء والصباح فنهض الحكيم من مجثمه وقبل ثغر الارض بثغر جبينه وفمه وامتثل المراسيم الشريفة واشتغل بتأليف هذه الحكم الظريفه وترتيبها بالعبارات اللطيفه واستطرد فى تأليف هذه الحكم من حكايات ملك العرب الى وصايا ملك العجم والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله على كرمه الاتم واحسانه الاعم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(الباب الثانى فى وصايا ملك العجم المتميز على أقرانه بالفضل والحكم)

(وقال الراوى) حسان معدن الظرافة والاحسان فتوجه الحكيم حسيب الاديب الاريب الى ايراد الاخبار عن الهداة الاخيار فحكى أن ملكا من ملوك الامصار وسلاطين العجم يدعى شهريار كان من العجم وكان فى الحكم والجود واللطف والكرم أمة من الامم ملكه عظيم وفضله جسيم ولايته فى أحسن اقليم حسن السياسة وافر الكياسه ثناؤه عاطر وعطاؤه ماطر ووابل الحشمة من سحائب هيبته قاطر وله من الاولاد وفلذ الاكباد ستة رجال الى المجد والكرم عجال وكل له فى الفضل والافضال أوسع مجال مشهور بالزعامة مجبور بالشهامة كفه سخى وكنفه أريحى ذو شجاعة باسله وبراعة كامله وحشمة وافره وهيبة زاجره وهمة أبحرها بالمكارم زاخره مع رفق ولين للصعلوك المسكين وصلابة فى الدين وكان الاكبر سنا منهم متميزا فى هذه الشيم عنهم وأعطر طيبا وأوفر نصيبا فكأنه فى شانه قيل

هذا الذى دانت الدنيا لطلعته * والدين والملك والايام والامم

فلما دنت شمس عمر أبيهم للافول وقارب غصن عيشه الذبول وعزم فراش الاجل على طى بساط حياته وأورد بريد الفناء منشور تسليمه الى متولى وفاته أحضر بنيه وأكابر ذويه وقال اعلموا يا بنى انى استوفيت نصيبى من الدنيا وارتقيت من لذاتها الى الدرجة العليا وذقت حلوها ومرها وعاينت حرها وقرها وعرفت خيرها وشرها ومع ارتقائى فيها الى المنازل الفاخره عملت بمقتضى وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة فتزودت بماوصلت اليه اليد وما أخرت عمل اليوم الى الغد ولم تلهنى الغفلة ولا ارخاء المهلة عن الاستحضار لساعة الرحلة بل لم أزل للرحيل مستوفزا وللتحول والانتقال متجهزا وأنا اليوم عنكم راحل وسفينة عمرى أرست بالساحل وهذا سفر لا رجعة فيه ولا عودة لمسافر كم اليكم تنثنيه وهذا أمر محتوم وقدر معلوم وقضاء قدره فى الازل رب لا يزال ولم يزل سلطان ملكه لا يبيد وكل الملوك تحت أمره عبيد لا راد لما قضاه ولا مانع لما أمضاه ولا هادم لما بناه ولا صاد لما سواه حكم بالموت على مخلوقاته وساقه لا باب قوة فى رده ولا طاقة وقد خفف من وجدى أن لى مثلكم بعدى وانكم خلفى وبحبوسلنى وفيكم من يقوم مقامى ولا يمحو أيامى ولا يدرس آثارى ولا يطفئ نار أنوارى وها أنا أعهد اليكم وأستخلف الله عليكم وان كنتم الى الوصية غير محتاجين ولكن الذكرى تنفع المؤمنين واعلموا أن أزكى زهر تتنور به بصائر العقل فى رياض العبودية ورد الشكر وأزكى عطر تتعطر به مجامر العقل

تجزيه ازيادة فى نعمة الى سوء الحظ من دنياه ولا الى نقص ولم يتأسف على مالم يعن التوفيق بيقاته ولم يحزنه ماتجرى به المقادير فى ملكه ولم يدهش عند مكروه فالحكمة كنز لا يفنى على انفاق وذخيرة لا يضرب اهابالاملاق وحلة لا تخلق جدتها ولذة لا تصرم مدتها ولئن كنت عند مقامى بين يدى الملك امسكت عن ابتدائه بالكلام فان ذلك لم يكن منى الا لهيبته والاجلال له ولعمرى ان الملوك لاهل أن يهابوا الاسيما من هو فى المنزلة التى حل فيها الملك عن منازل الملوك قبله وقد قالت العلماء الزم السكوت فان فيه سلامة وتجنب الكلام الفارغ فان عاقبته الندامة وحكى أن أربعة من العلماء ضمهم مجلس ملك فقال لهم ليتكلم كل بكلام يكون أصلا للادب فقال أحدهم أفضل خلة العلم السكوت وقال الثانى ان من انفع الاشياء للانسان ان يعرف قدر منزلته من عقله وقال الثالث انفع الاشياء للانسان أن لا يتكلم بما لا يعنيه وقال الرابع أروح الامور على الانسان التسليم للمقادير واجتمع فى بعض الزمان ملوك الاقاليم من الصين والهند وفارس والروم وقالوا ينبغى ان يتكلم كل واحد منا بكلمة تدون عنه على غابر الدهر قال ملك الصين أنا على مالم أقل أقدر منى على رد ماقلت قال ملك الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة فان كانت له لم تنفعه وان كانت عليه أوبقته قال ملك فارس أنا اذا تكلمت بالكلمة ملكتنى واذا لم

في غياض الحرية وورد الفكر وأن الشكر قيد النعم وسبب لازدياد الفضل والكرم قال الله تعالى وجل جلاله لئن شكرتم لأزيدنكم وقد قيل من شكر القليل استحق الجزيل وان الفكر يعلي المقامات ويعطي الكرامات واحتملوا الأذى تأمنوا ولا تهنوا النائبة ولا تحزنوا ولا تظنوا الجود والكرم في التبذير والبخل والتقتير من جملة التدبير فقد نصب للاعلام أعلاما من قال عز مقاما وكلاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال جل خبيرا وخبيرا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا واتبعوا الأقوال الأفعال فلا خير في قول ليس بفعال ولا تشوهوا محاسن شيبكم بزخارف الكذب فان الصدق أول ما ينبغي وأعظم ما يجب ووسخ كلمة واحدة بالكذب ناطقة لا ينقيه ألف كلمة صادقة ومن تعود الكذب في نطقه لا يعتمد على صدقه ودار والأعداء مداراة الأوداء يزد صديقكم ويكثر فريقكم ويجل ودودكم ويقل عدوكم وحسودكم وعليكم بملازمة الأخيار واياكم وصحبة الأشرار ولا تطلبوا الرغبة في صحبة الأشرار سبيلا ولا تقيموا على ذلك أبدا دليلا فمن غالط نفسه في مجالسة الأشرار وطلب وفاء ممن جبل على طبيعة الفجار فقد أوجع نفسه بأقوى كيه وأصابه ما أصاب الفلاح مع الحيه فسأل الأولاد الدهم المالك عن كيفية ذلك فقال ذكر ان واحدا من الأكياس طلب العزلة عن الناس ولازم انقطاعه وانقطع عن الجمعة والجماعه واشتغل لاقامة أوده بالزراعه وانعزل في ذيل جبل وصاحب حية كانت تأنس اليه بكلامه وتأكل من فضلات طعامه فترقت بينهما المعاهدة الى ان بلغت الى المعاقدة بان تكون صادقة خالية عن المماذقة ولا تكون كصحبة أبناء الزمان تكرع من الغدر في غدران ولا مشوبة بنفاق ولا مدخولة برياء وشقاق وان تنعقد بينهما المودة والاخاء في حالتي الشدة والرخاء فراعى هذا مده وكل حافظ عهده مراع صحبته ووده وكان الرجل اذا عنت له قضية عرضها على الحية واستشارها وأخذ أخبارها وتخرج هي اليه وتترامى على رجليه ففي بعض الأيام وعام من الأعوام وقع برد شديد وثلج وجليد فرأى الحية وقد سقطت قواها وخمدت أعضاها ووقعت في شر حال وبرد ووبال فحملته الشفقة والصداقه والعهد الذي أحكما وثاقه على أن آواها وحملها في مخلاة حماره وأدناها ووضع المخلاة في رأس البهيم وتوجه لضرورة ذلك الفهيم فحست الحية بنفس أبي زياد وتحرك عرق العدوان القديم وعاد وفعل خبثها خاصيته المألوفه ولعب سمها سيمته المعروفه متبعا حديثه حرام على النفس الخبيثة ان تخرج من الدنيا حتى تسيء لمن أحسن اليها فعضت الحية شفة الحمار الرقيقه عضة مخب لاقى في خلوة عشيقه وبرد مكانه من حرها وهربت الحية الى جحرها وانما أوردت هذا المثال لتعلموا ياذوي الأفضال أن من صحب الأشرار ورغب في مودة الفجار لا يأمن العثار ولا يسلم من الانكاد والبوار وقد قيل ان صحبة الأخيار كجرة النضار بطيئة الانكسار سريعة الانجبار وصحبة الأشرار كجرة الفخار سريعة الانكسار بطيئة الانجبار وبالجملة فما في صحبة الناس فائدة ولا في مخالطة الناس كبير عائدة وقد قيل

ولم تر من بني الدنيا سلاما * فان تره فبالغه سلامي

وينبغي أن تكون غيبتكم وحضوركم وأحوالكم وأموركم واجتماعكم وفراقكم وصلحكم وشقاقكم في حالتي السراء والضراء والبؤس والرخاء على وتيرة واحدة وهي الخالية عن الأغراض الفاسدة أعني اذا رضيتم فبالحق واذا غضبتم فللحق واذا توجهتم فللحق ولا تبطر وافي حالة النعم ولا تضجر وافي حالة النقم وعلى كل حال فلا يقع بينكم اختلال وذلك بتفرق الكلمة واختلافها وتصادمها وعدم ائتلافها فانه قيل

ان الذليل الذي ليست له عضد * مثل الوحيد بلا مال ولا عدد

(وقيل أيضا)

كونوا جميعا يابني اذا اعترى * خطب ولا تتفرقوا أجنادا

تأبى القداح اذا اجتمعن تكسرا * واذا افترقن تكسرت أفرادا

أتكلم بها ما سكتها قال ملك الروم ماندمت ٢٠ على ما لم أتكلم به قط ولقد ندمت على ما تكلمت به كثيرا والسكوت عند الملوك أحسن من الهذر الذي لا يرجع منه الى نفع وأفضل ما استطال به الانسان لسانه غير ان الملك أطال الله مدته لما فسح لي في الكلام وأوسع لي فيه كان أولى ما بدأ به من الأمور التي هي غرضي أن يكون ثمرة ذلك له دوني وان اختصصته بالفائدة لي على ان العقبى هي ما أقصد في كلامي له وانما نفعه وثمرته راجع اليه وأكون أنا قد قضيت فرضا وجب علي فأقول أيها الملك انك في منازل آبائك وأجدادك من الجبابرة الذين أسسوا الملك قبلك وشيدوه دونك وبنوا القلاع والحصون ومهدوا البلاد وقادوا الجيوش واستجاشوا العدة وطالت لهم المدة واستكثروا من السلاح والكراع وعاشوا الدهور في الغبطة والسرور فلم يمنعهم ذلك من أكتساب جميل الذكر ولا قطعهم عن ارتكاب الشكر ولا استعمال الاحسان الى من خولوه والارفاق بمن ولوه وحسن السيرة فيما تقلدوه مع عظم ما كانوا فيه من غرة الملك وسكرة الاقتدار وانك أيها الملك السعيد جده الطالع كوكب سعده قد ورثت أرضهم وديارهم وأموالهم ومنازلهم التي كانت عدتهم فأقمت فيما خولت من الملك وورثت من الأموال والجنود فلم تقم في ذلك بحق ما يجب عليك بل طغيت وبغيت وعتوت ولا

ولا تثقوا باحد من الكبار والصغار الا بعد الاختبار في الشدة والضعف والرفق والعنف والبؤس والرخاء والخوف والرجاء ولا تقدموا على قديم الاصحاب أحدا ولا على الموثوق بهم من لا جربتموه أبدا وقد قيل في المثل المشهور النحس المعروف خير من الجيد المنكور وقيل أيضا خير الاشياء جديدها وخير الاصحاب قديمها وأسسوا قواعد أخراكم في دنياكم واغتنموا السعادة الباقية من الدار الفانية وعاملوا تجدوا وازرعوا تحصدوا وتفكروا من أول يومكم أحوال عزكم ومن أوائل عمركم أواخر دهركم ومن ليلة الهلال سرار شهركم فكل من له صدق قدم يتفكر وهو موجود حالة العدم ومن زمان شبابه حالة الهرم كما فعل التاجر المراقب وما آل اليه في العواقب فقبل الارض الاولاد وقالوا مولانا السلطان أعظم من أفاد لو تصدق على عبيده الطائعة ببيان تلك الواقعة (قال الملك) ذكر الحكماء وذوو الفضل من العلماء أنه كان في بعض الامصار تاجر من أعيان التجار ذو مال جزيل وجاه عريض طويل ونعمة وافرة وحشم وخدم متكاثرة من جملتهم غلام مخايل السعادة من جبينه لائحة وروائح النجابة من أذيال شمائله فائحة قد أفنى عمره في خدمة مولاه ولم يقصر لحظة في طلب رضاه فقال له سيده في بعض الايام لك على حق يا غلام وأنا أريد مكافاتك وأطلب موافاتك فتوجه هذه المرة في هذه السفرة فمهما ربحت فهو لك بعد أن أعتقتك من قيد رق أشغالك ثم أوثق مركبا وفسح له في السير شرقا ومغربا ووصاه باشياء امتثل مرسومها والتزم منطوقها ومفهومها فقال له مولاه سأرفعك على اضرابك واغنيك عن أمثالك وأصحابك وأجعلك كاكبر من في الدنيا وأجمع رفقتك بمنزلة المولى ثم أخذ في تعبية البضائع وأوسق مركبه المتاجر والمنافع وسلمه الى الهواء والماء بعد أن توكل على رب السماء فسار بعض أيام وهو في أهنى مرام وأطيب عيش ومقام الماء رائق والهواء موافق والنكد مفارق والسرور مرافق حتى كأنه نوح وخضره الملاح وموسى وفتاه حافظا الالواح وبينهما السفينة من نسف العواصف أمينة تجاري السهم والطير وتباري الدهم في السير فاذا بالرياح هاجت والامواج ماجت وأشباح البحر تصادمت وأطواد الامواج على العرفاء تلاطمت فعجز ذلك الملاح والحافظ وتشمر مذهب ابنه أبو الجاحظ وترك سمة الوقار والسكينة ورقم نقش الحروف في ألواح السفينة فشاهدوا من ذلك الهواء الاهوال وغدا قاع البحر كالجبال وصار ذلك الغراب بمن فيه من الاصحاب كاحوال الدنيا بين صعود وهبوط وقيام وسقوط طورا يستأمنون الافلاك ويناجون الاملاك وينهون اخبار ظلمات صاحب الحوت الى السماك وطورا يهبطون الغور وينظرون قرن الثور ويرون قوائمه من تحت الزور فلم يزالوا عاجزين حيارى سكارى وماهم بسكارى يتناشدون

وفلك ركبناه والبحر ذو ✱ هواء فثار وحار ومارا

فطورا علونا السماء وطورا ✱ رمتنا الى ارضه منها انحدارا

وآخر الامر نسفت السفينة الرياح وألقى كاتب الحاصب الى كل حرف من حروف الجبال لوحا من الالواح وأوعز الله سهلها وخرقها فاغرقها وأهلها وذهب البحر باموالها وأرواحها وتعلق الغلام بلوح من الواحها واستمر تقذفه الامواج وتصدمه أثباج البحر الهياج الى ان وصل الى ساحل فخرج وهو كئيب ناحل وصعد الى جزيرة فواكهها غزيرة ووصفها عجيب ليس بها داع ولا مجيب فجعل يمشي في جنباتها الى أن أداه التوفيق الى فم طريق فسار في تلك الجاده وهداية الله له ماده فانتهى به المسير الى أن تراءى له سواد كبير وبلغ مملكة عظيمة وولاية جسيمة ورأى على بعد مدينة مسورة حصينة فعمد الى ذلك البلد وتوجه نحوها وقصد فاستقبله طائفة من الرجال نساء ورجال يتبعهم جنود مجنده وطوائف محشده مع طبول تضرب وفوارس تلعب وزمور تزعق وألسنة بالثناء تنطق حتى اذا وصلوا اليه ترامو اعليه وأكبوا بين يديه يقبلون يديه ورجليه مستبشرين برؤيته متبركين بطلعته ثم ألبسوه الخلع السنية

وعلوت على الرعية وأسأت السيرة وعظمت منك البلية وكان الاولى والاشبه بك ان تسلك سبيل اسلافك وتتبع آثار الملوك قبلك وتقفو محاسن ما أبقوه لك وتقلع عما عاره لازم لك وشينه واقع بك وتحسن النظر برعيتك وتسن لهم سنن الخير الذي يبقى بعدك ذكره ويعقبك الجميل فخره ويكون ذلك ابقى على السلامة وأدوم على الاستقامة فان الجاهل المغتر من استعمل في أموره البطر والامنية والحازم اللبيب من ساس الملك بالمداراة والرفق فانظر أيها الملك ما ألقيت اليك ولا يثقلن ذلك عليك فلم أتكلم بهذا ابتغاء غرض تجازيني به ولا التماس معروف تكافيني فيه ولكني أتيتك ناصحا مشفقا عليك فلما فرغ بيدبا من مقالته وقضى مناصحته ارعب قلب الملك ما غاظ له في الجواب استصغارا لامره وقال لقد تكلمت بكلام ما كنت أظن ان أحدا من أهل مملكتي يستقبلني بمثله ولا يقدم على ما أقدمت عليه فكيف أنت مع صغر شانك وضعف منتك وعجز قوتك ولقد أكثرت اعجابي من اقدامك علي وتسلطك بلسانك فيما جاوزت فيه حدك وما أجد شيأ في تأديب غيرك ابلغ من التنكيل بك وذلك عبرة وموعظة لمن عساه ان يبلغ ويروم مارمت أنت من الملوك اذا أوسعوا لهم في مجالسهم ثم أمر به ان يقتل ويصلب فلما مضوا به فيما أمر فكر فيما أمر به فاحجم عنه ثم أمر بحبسه وتقييده فلما حبس أنفذ في طلب تلامذته

وقدموا له فرسا عليه بكنبوش ذهب وسرج مغرق ووضعوا له التاج على المفرق ومشوا في الخدمة بين يديه والجنائب في الموكب تجر لديه ينادون حاشاك واليك سلطان الناس قادم عليك حتى وصلوا الى المدينة ودخلوا قلعتها الحصينة ففرشوا شقق الحرير ونثروا النثار الكثير واجلسوه على السرير وأطلقوا مجامر الندو العبير ووقف في خدمته الصغير والكبير والمأمور والامير والدستور والوزير وانشدوه

قدمت قدوم البدر بيت سعوده * وأمرك فينا صاعد كصعوده

وقالوا اعلم يامولانا انك صرت لنا سلطانا ونحن كلنا عبيدك وتابع مرادك ومريدك فافعل ماتختار وتحكم في الكبار منا والصغار وأمر مالك من مرسوم فامتثاله علينا محتوم ومامنا الا له مقام معلوم فجعل يتفكر في أمره ومبداه ويتأمل ماصار اليه ويتدبر في منتهاه فقال ان هذا الامر لابد له من سبب ولابد له من آخر ومنقلب فانه لم يصدر في عالم الكون سدى وان لهذا اليوم من غير شك غدا وان الصانع القديم القادر الحكيم السميع العليم البصير الحي المريد الكريم لم يقدر هذه الافعال على سبيل الاهمال ولم يحدث حدثا عبثا ولاعبثا وجعل يلازم هذه الافكار آناء الليل وأطراف النهار وهو مع ذلك قائم بشكر النعمه ملازم باب مولاه بالطاعة والخدمه واضع الاشياء في محلها والمناصب في يد أهلها ملتفت الى أحوال الرعية عامل بينهم بالعدل والسويه متعهد أمور الكبار والصغار بانواع الاحسان وأصناف المبار مؤسس قواعد المملكة والسلطنه على أركان العقل والعدل مهما أمكنه متفحص عن مصالح المملكة سالك مع كل من أرباب الوظائف مايقتضي مسلكه ثم وقع اختياره من بين أولئك الجماعه على شاب جليل البراعة له في سوق الفضل والوفاء أوفر بضاعه متصف بأنواع الكمال متحل بزينة الادب والجمال فاتخذه وزيرا وفي أموره ناصحا ومشيرا فجعل يلاطفه ويرضيه ويكرمه ويدنيه ويفيض عليه من ملابس الانعام وخلع الافضال والاكرام ماملأ به حبة قلبه واستصفى خالص وده لبه وسكن في سويدائه وتمكن به من ضمير احشائه الى ان اختلى به وتلطف في خطابه واستنصحه في جوابه وسأله عن أمر امرته وسبب رفعته وسلطنته من غير معرفة الرفاق ولا أهلية ولا استحقاق ولاهو من بيت الملك ولا في بحر السلطنة له فلك ولا معه مال ولاخيل يهديها ولارجال ولامعرفة يدلي بها ولاشجاعة وفضيلة يهتدي بتهذيبها فقال ذلك الشاب في الجواب اعلم أيها الملك الاعظم أن هذه البلدة وعساكر اقليمها وجنده قد اختبروا وأمروا واصطلحوا على عادة أخرى سألوا الرحمن أن يقيض لهم في كل آوان شخصا من جنس الانسان يكون عليهم ذا سلطان فاجابهم الى ذلك فسلكوا في أمره هذه المسالك وذلك أنهم في اليوم الذي قدمت عليهم يرسل الله تعالى رجلا من عالم الغيب اليهم فيستقبلونه كما استقبلوك ويسلكون معه طريقة الملوك من غير نقص ولازياده وقد صارت هذه لهم عادة فيستمر عليهم سنة في هذه المرتبة الحسنه فاذا انقضى الاجل المعدود وجاء ذلك اليوم الموعود عمدوا الى ذلك السلطان وقد صار فيهم ذا امكان ومكان وعلاقة ونشب واخاء ونسب وثبتت له أوتاد وصار له أهل وأولاد وجروه برجله من التخت وسلبوه ثوب العزة والبخت وألبسوه ثوب الذل والنكال وأوثقوه بالسلاسل والاغلال وحملوه الاهل والاقارب وأتوا به الى بحر قريب فوضعوه في قارب وسلموه الى موكلين ليوصلوه الى ذلك الجانب فيوصلونه الى ذلك البر وهو قفر أغبر ليس به أنيس ولارفيق ولاجليس ولاصديق ولازاد ولاماء ولانشو ولانماء ولامغيث ولامعين ولاقريب ولاقرين ولاقدرة ولاامكان على الوصول الى العمران ولاظل ولاظليل ولا الى الخلاص سبيل ولا الى طريق النجاة دليل فيستمر هنالك عريانا وحيدا فريدا طريدا الى ان يهلك عطشا وجوعا لايملك اقامة ولايستطيع رجوعا ثم يستانف أهل هذه البلاد مالهم من فعل معتاد فيخرجون بالاهبة الكامله الى تلك الطريق السابله فيقيض الله تعالى لهم رجلا فيفعلون معه مثل مافعلوا مع غيره قولا وعملا وهذا دأبهم وديدنهم وقد ظهر لك ظاهرهم وباطنهم

ومن كان يجتمع اليه فهو باقي البلاد واعتصموا بجزائر البحار فمكث بيدبا في حبسه اياما لا يسأل الملك عنه ولا يلتفت اليه ولا يجسر أحد ان يذكره عنده حتى اذا كان ليلة من الليالي سهر الملك سهرا شديدا فطال سهره ومد الى الفلك بصره وتفكر في تفلك الفلك وحركات الكواكب فاغرق الفكر فيه فسألت به الى استنباط شئ عرض له من أمور الفلك والمسئلة عنه فذكر عند ذلك بيدبا وتفكر فيما كلمه به فارعوى لذلك وقال في نفسه لقد أسأت فيما صنعت بهذا الفيلسوف وضيعت واجب حقه وحملني على ذلك سرعة الغضب وقد قالت العلماء أربعة لاينبغي أن تكون في الملوك الغضب فانه أجدر الاشياء بصاحبه مقتا والبخل فان صاحبه ليس بمعذور مع ذات يده والكذب فانه ليس لاحد أن يجاور وعدم الرفق في المحاورة فان السفه ليس من شأنها وانى آتى الى رجل نصح لي ولم يكن بلاغا فعاملته بضد مايستحق وكافأته بخلاف مايستوجب وما كان هذا جزاءه مني بل كان الواجب ان أسمع كلامه وأنقاد لما يشير به ثم أنفذ في ساعته من يأتيه به فلما مثل بين يديه قال له يابيدبا ألست الذي قصدت الى تقصير همتي وعجزت رأيي في سيرتي بما تكلمت به آنفا قال له بيدبا أيها الملك الناصح الشفيق والصادق الرفيق انما انبأتك بما فيه صلاح لك ولرعيتك ودوام ملكك لك قال له الملك يابيدبا أعد علي كلامك كله ولاتدع منه حرفا الا .فقال

فقال ذلك الغلام الاملح لذلك الوزير المصلح فهل اطلع أحد ممن تقدم على عاقبة هذا المأتم قال قد عرف ذلك وتحقق أنه عن قريب هالك ولكن غرور السلطنة ياهبه وسرور التحكم والتسلط يطغيه وحضور اللذة الحاصلة لسوء العاقبة ينسيه ولا يفيق من غفلته ويستيقظ من رقدته الا وعامه قد مضى والاجل المضروب قد انقضى وقد أحاطت به نوازل البلاء وهجم عليه نوازل القضاء فيستغيث ولا مغيث وينادي بالخلاص ولات حين مناص فلما سمع الغلام هذا الكلام أطرق مفكرا وبقي متحيرا وعلم أنه لابد للايام ان تمضي وهذا الاجل المضروب ينقضي وانه ان لم يتدارك أمره ويتلافى خيره وشره ويتدبر حاله ومصيره ومآله هلك هلاك الابد ولم يشعر به أحد فأخذ يفكر في هذا الخلاص والتفصي من شرك الاقتناص ثم قال للوزير الناصح الخبير أيها الرفيق الشفيق والنصوح الصديق جزاك الله خيرا وكفاك ضيما وضيرا اني قد فكرت في شئ ينفع نفسي ويحيها ويدفع شر هذه البلية التي وقعت فيها وأريد معاونتك وأطلب مساعدتك فاني رأيتك في الفضل متميزا بين اقرانك فائقا في محاسن الشيم على أصحابك واخوانك فقال افعل ياذا الزعامة وحبالك وكرامه قال اعلم أيها الصاحب الاعظم ان الرجوع الى هذا المكان الذي كنت فيه خارج عن الامكان والاقامة في هذا الملك المعهود انما هي الى أجل معدود ووقت محدود وانقضاؤه على البتات وكل ما هو آت آت وكيفية الخروج قد عرفت وطريقها تقررت ووصفت ولهذا قيل ياذا الفضل الجزيل دخلنا مضطرين وأقمنا متحيرين وخرجنا مكرهين ولم يتجه مخلص من هذا المقنص الا طريق واحد وسبيل غير متباعد وهو أن تأخذ طائفة من البنائين وجماعة من المهندسين والنجارين وتذهب بهم أيها الوزير الى مكان اليه نصير فتأمرهم ان يبنوا هنالك مدينة ويشيدوا الباقيها اماكن مكينة ومخازن وحواصل وتملؤها من الزاد المتواصل من المآكل الطيبة والاطعمة والاشربة اللذيذة المستعذبة ولا تغفل عن الارسال ولا تختر الامهال والاهمال في الظهيرة والاسحار والغدو والآصال اذ أوقاتنا محدوده وأنفاسنا معدوده وساعة تمضي منها غير مردوده واذا فات شئ من ذلك الوقت فلا نعوض عنه الا الخيبة والمقت فننقل هنالك ما يكفينا على حسب طاقتنا ومقدار قدرتنا واستطاعتنا فاذا تم ودنا منا الم نرحل عنها بحيث اذا نقلنا من هذه الديار وطرحنا في تلك المهامه والقفار وجفانا الاصحاب وتخلى الاخلاء عنا والاحباب وأنكرنا المعارف والاوداء واحتوشتنا في تلك البيداء فنون الداء نجد ما نستعين به على اقامة الاود مدة اقامتنا في ذلك البلد فأجاب بالسمع والطاعه واختار من المعمارية جماعه واحضر المراكب وقطع البحر الى ذلك الجانب وجعل الملك يمدهم بالآلات والادوات على عدد الانفاس ومدى الساعات الى ان أنهى المعمارية العماره وأكملوا حواصل الملك وداره وأجروا فيها الانهار وغرسوا فيها الاشجار فصارت تأوي اليها الطيور بالليل والنهار ويترنم فيها البلبل والهزار بانواع التسبيح والاذكار وغدت من أحسن الامصار وبنوا حواليها الضياع والقرى وزرعوا منها الوهاد والثرى ثم أرسل اليها ما كان عنده من الخزائن ونفائس الجواهر والمعادن وأرسل من طريف التحف اليها ومن حاجاته المعول عليها بحيث لو أقام بها سنين قامت بكفايته وفضلت خزائنها عن حاجته وأكثر من ارسال ما يلزم من الادوات والاشربة والمطعومات وجهز الخدم والحشم وصنوف الاستعدادات من النعم فلما انقضت مدة ملكه ودنت أوقات هلكه الا ونفسه الى مدينته تاقت وروحه الى مشاهدتها اشتاقت وهو مستوفز للرحيل ورابض للنهوض والتحويل فلما تكامل له في الملك العام لم يشعر الا وقد أحاط به الخاص والعام ممن كان يفديه بروحه من خادمه وناصحه ومن كان سامعا لكلمته من أعيان خدمه وحشمته وقد تجردوا الجذبه من السرير ونزع ما عليه من لباس الحرير ومشوا على عادتهم القديمة وسلبوه الحشمة الجسيمه ومملكته العظيمه وزالت الحشمة والكلمة والحرمة وشدوا وثاقه وذهبوا به الى الحراقه ووضعوه وقدر نطوه في المركب الذي هيؤه وأوصلوه الى ذلك البر من البحر فيا

تجشئه فجعل بيدبا ينثر كلامه والملك مصغ اليه وجعل دبشليم كلما سمع منه شيئا ينكت الارض بشئ كان في يده ثم رفع طرفه الى بيدبا وأمره بالجلوس وقال له يا بيدبا اني قد استعذبت كلامك وحسن موقعه من قلبي وأنا ناظر في الذي أشرت به وعامل بما أمرت ثم أمر بقيوده فحلت وألقى عليه من لباسه وتلقاه بالقبول فقال بيدبا يا أيها الملك ان في دون ما كلمتك به نهاية لمثلك قال صدقت ايها الحكيم الفاضل وقد وليتك من مجلسي هذا الى جميع أقاصي مملكتي فقال له أيها الملك اعفني عن هذا الامر فاني غير مضطلع بتقويمه الا بك فاعفاه عن ذلك فلما انصرف علم ان الذي فعله ليس برأي فبعث فرده وقال اني فكرت في اعفائك فيما عرضته عليك فوجدته لا يقوم الا بك ولا ينهض به غيرك ولا يضطلع به سواك فلا تخالفني فيه فاجابه بيدبا الى ذلك وكان عادة ذلك الزمان اذا استكتبوا وزيرا ان يعقدوا على رأسه تاجا ويركب في أهل المملكة ويطاف به في المدينة فامر الملك أن يفعل ببيدبا ذلك فوضع التاج على رأسه وركب في المدينة ورجع فجلس بمجلس العدل والانصاف يأخذ للدني من الشريف ويساوي بين القوي والضعيف ورد المظالم ووضع سنن العدل واكثر من العطاء والبذل واتصل الخبر بتلامذته فجاؤه من كل مكان فرحين بما جدد الله له من جديد رأى الملك في بيدبا وشكروا الله تعالى على توفيق بيدبا في ازالة

وصل اليه الا وقد أقبلت خدمه عليه وتمثلت طوائف الحشم والناس لديه ودقت البشائر لمقدمه وحل فى سروره المقيم ونعمه واستمر فى أتم سرور واستقر فى أوفر حبور ثم قال الملك للاولاد وفلاذ الاكباد وانما أوردت هذا المقال على سبيل المثال فاصغوا الى حسن التنظير حتى أبين لكم النظير وعوا ما أقول بآذان القبول وتأملوا رموز المعانى من هذه الالفاظ التى أخجلت المثانى ثم تفكروا وتبصروا وبعد التذكر والتبصر تدبروا أما ذلك العام المعهود فانه الولد فى أول الوجود وأما المركب الذى أودعه فهو بطن امه الذى استودعه وانكسار السفينه هو انشقاق المشيمه والجزيرة التى خرج اليها فهى الدنيا التى دخل عليها والناس الذين استقبلوه فأقاربه وذووه وأهلوه يربونه بالملاطفة والعلال ويعاملونه بالاكرام والافضال وذلك الشاب الذى هو وزيره فهو عقله ومن اعانه نوره والسنة المضروبة أجله المحتوم وعمره المعدود المعلوم ونزوله عن سريره عبارة عن آخرته ومصيره وخروجه من الدنيا بالاكراه وشروعه فى دخوله الى أخراه والبحر الثانى الذى طرح فيه هو أحوال ما يعاينه عند الموت ويعانيه والبر القفر اللحد والقبر فالسعيد يتفكر فى كيفية أموره وأحواله ومبدأ أمره ومآله ثم يتدبر فى قل هذا وجله ويستعد لما خلق من أجله ويتحقق ان الاقامة فى الدنيا يسيره وهى بالنسبة الى الاقامة بدار البقاء قصيره وانه اذا جاء وقته المحتم لا يتأخر عنه ساعة ولا يتقدم فيأخذ فى الازدياد ويتهيأ ما أمكن ليوم المعاد ويعد نفسه كالمسافر الذى أتى بعض الحاضر فلا يقيم أكثر من يوم وقد رحل عن القوم كما قيل

ألا انما الدنيا كمنزل راكب * أناخ عشيا وهو بالصبح راحل

الى سفر طويل زاده قليل قفاره يابسه وطرقه دامسه لا أنيس فيه ولا رفيق ولا مصاحب ولا صديق ولا دليل ولا خليل ولا مغيث ولا مقيل ولا ماء ولا معين ولا صاحب ولا معين فيهيئ لهذا السفر بقدر الامكان ما قدر من الزاد والماء والمركب والكلا ونور الطريق والمسافر والرفيق والخادم والانيس والمنادم والجليس ويمهد المضجع للمبيت والمقيل ويهيئ الموضع فى النزول والرحيل وبالجملة لا يترك من أفعال الخير شيأ الا فعله ولا يجعلا الا فصله ولا متأخرا الا قدمه ولا تعاملا فى مبايعة الا أسلفه وأسلمه وليعلم أن كل ذلك محتاج اليه ومصروف لديه اذا نقل الى دار البقاء وأقبل عليه فاذا جاء وقت الرحيل ونادى منادى الانتقال والتحويل وجد ما كان فى عمله حاضرا وكل ما قدمه الى رياض الخير نزها ناضرا كما قال ذو الجلال وأخبر به الصادق فى الوعد والمقال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون معنى أن لا تخافوا الا خوف عليكم فيما هو امامكم ولا تحزنوا على ما خلفتم وراءكم فاذا دخل فى قبره وجده روضة من رياض الجنة يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وأما الشقى الغافل الغبى الذى أهمل أمره ونسى الله وذكره وأهمل ما خلق لاجله وتاه فى بيداء الضلال وسبله فقد اغتر بهذه اللذة اليسيرة فى تلك المدة القصيرة واستمر سكران فى ميدان العصيان من خمرة الطغيان وتردى لباس الردى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فانهدمت عمارتهم وما ربحت تجارتهم حتى اذا جاءه الوقت المعلوم ونزل به الاجل المحتوم ونظر امامه وتراءت له الاعلام فاما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم نزل من دار الغرور الى دار الشرور فندم ولا ينفعه الندم وقد زلت به القدم فخاب مآبا وقال ياليتنى كنت ترابا فانظروا يا أولادى وعدتى وعتادى حال الفريقين وتأملوا مآل الفئتين فقد بذلت فى النصيحة جهدى وأستخلف الله عليكم من بعدى فقال أكبر ولده وهو اسلك مجاسنهم وواسطة عقدهم جزى الله مولانا عن شفقته خيرا وأولاه على حسن النصيحة أجرا وذخرا فلقد أحييت قلوبا بزواهر حكمك وشنفت أسماعا بجواهر كلمك ولكن اخوتى وان كانوا من أولى العلم وأرباب النباهة والحلم والعقل الغزير والفضل الجم الكثير والرأى المصيب المنير غير أن حدة الشباب عليهم غالبه ودواعى النفس بشهواتها مطالبه لا سيما ان حصلوا

دبشليم عما كان عليه من سوء السيرة واتخذوا ذلك اليوم عيدا يعبدون فيه فهو الى اليوم عيد عندهم فى بلاد الهند ثم ان بيدبا لما أخلى فكره من اشتغاله بدبشليم تفرغ لوضع كتب السياسة ونشط لها فعمل كتبا كثيرة فيها دقائق الحيل ومضى الملك على ما رسم له بيدبا من حسن السيرة والعدل فى الرعية فرغبت اليه الملوك الذين كانوا فى نواحيه وانقادت له الامور على استوائها وفرحت به رعيته وأهل مملكته * ثم ان بيدبا جمع تلامذته فأحسن صلاتهم ووعدهم وعدا جميلا وقال لهم لست اشك انه وقع فى نفوسكم وقت دخولى على الملك ان قلتم ان بيدبا قد ضاعت حكمته وبطلت فكرته اذ عزم على الدخول على هذا الجبار الطاغى فقد علمتم نتيجة رأيى وصحة فكرى وانى لم آته جهلا به لانى كنت أسمع من الحكماء قبلى تقول ان الملوك لها سكرة وكذلك الشباب فالملوك لا تفيق من السكرة الا بمواعظ العلماء وآداب الحكماء والواجب على الملوك ان يتعظوا بمواعظ العلماء والواجب على العلماء تقويم الملوك بألسنتها وتأديبها بحكمتها واظهار الحجة البينة اللازمة لهم ليرتدعوا عما هم عليه من الاعوجاج والخروج عن العدل فوجدت ما قالت العلماء فرضا واجبا على الحكماء للملوك لهم ليوقظوهم من سنة سكرتهم كالطبيب الذى يجب عليه فى صناعته حفظ الاجساد على صحتها أو ردها

على

على ملك عريض وكرعوا من ألبانه المحض والخيض فان اتفق مع ذلك موافق منافق أوصاحب مماذق أوصديق خدوع أومباطن مكارهلوع أضلهم عن سواء السبيل وصار الى طريق المخالفة أوضح دليل فتتحول صداقتنا عداوه وتتبدل فيها بالمرارة الحلاوه فينتزع الرخاء وينتزع الاخاء ويبغي بعضنا على بعض وتعود الاخوة على موضعها بالنقض ويتولد من ذلك الفتن ويظهر من العداوة ما بطن فالرأى عندى انه مادام زمام التصرف فى يد الامكان يتصرف مولانا السلطان على مقدار جهده فى مصلحة عبده بحيث لا أكون مضغة للماضغ ومشغلة لكل قلب فارغ ولا يسلمني لاسباب الحوادث ومخالب الدهر الكوارث فانه بذلك يكفيني من نوائب الزمان مايدهيني والعياذ بالله المنان من مفارقة مولانا السلطان جعلني الله تعالى فداءه ولا أرانى فيه يوما ساءه فلياخذ بيدى من هذه الورطة وليرحني من شر هذه الخطة فانه قد قيل من لا يقبل المستقيل ولا يغيث المستغيث ولا ينتفع بمعنى هذا الحديث ولا يدفع غصة هذه القصه ويفوت عند الامكان الفرصه يصيبه من حوادث الزمان ما أصاب بعض الجرذان الذى لم يخلص الغزاله الواقعة فى شرك الحباله قال السلطان قل لى كيف كانت قصته وما كانت قضيته (فقال) ذكر أن بعض الصيادين المحتالين الكيادين نصب حباله ليصيد غزاله فعلق بها مهاة من المها وطلبت مجالا واضطربت يمينا وشمالا فوقعت عينها على جرذ من الجرذان عتيد يتفرج عليها من بعيد فنادته بلسان ذلق وأثنت عليه بلسان طلق وقالت يافارس ميدان المروة والنجدة والفتوة والموصوف بالشطارة والقوة هذا وقت الكرم وأوان استعمال مكارم الشيم وفعل المعروف واغاثة الملهوف وصرف الهمه الى كشف الغمه نعم وان كانت طرائق الصداقة بيننا معدومه ونقوش التنافر على صحف خواطرنا مرقومه ونقود المعرفة والاخاء فى جنب التباين غير مبذوله ومرآة التوافق فيما بيننا غير مصقولة لكن فى الشدائد يعرف الاخاء والاخوان كثيرون فى الرخاء كما قيل

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة * بل فى الشدائد تعرف الاخوان

وقد قصدتك فى الخلاص وقرض شرك الاقتناص ونجاتى من سكين القناص فاقرض هذه الشبكة باسنانك الحداد وافتح بينى وبينك باب الوداد فانى أصلح لك صديقا وأنا أكون لك عتيقا وأعرف لك الجميلة فأصير عبدا لك الى الممات وادركنى قبل الوفاة والفوات ومع هذا ياذا الجاه لا يكن عملك الالله فقد قيل

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

فقهقه الجرذ وقهقر ولعب بابطه وتمسخر وتمرغ يمينا وشمالا وتقصف طربا ودلالا وسخر بالغزالة وكلامها وبادر الى عذلها وملامها وتبرد بحرارتها وتحلى بمرارتها وقال شهوتك الرديه وحرص نفسك الشقيه رمياك فى هذه البليه وتحركت سجيته الذميمة وطبيعته اللئيمة وأضرط بها ورقرق وطفر وصفق وقال عصب الرأس الصحيح من الجبل الصريح والتعرض لموارد الفناء من دلائل البلاهة والعناء ولو تعرضت لشبكة الصياد حكمت على عقلى بالفساد وحاشى فكرى المصيب ورأيي النجيح النجيب أن اجاب لنفسى مرضا واصيرها سهما للصياد وغرضا ولو فعلت ذلك لتصديت للمهالك وتصدى لى الصياد فعادانى وترصد لى وآذانى وحفر بالمعول وكرى وأوقد النيران فى بحرى فسلبنى قرارى وبغيتى ومسارى وأقل الاقسام أن يجليني عن ديارى ان خلصت من الموت بسلام ولا استطيع بعدها المقام وقد قيل لا تسلك غير طريقك ولا تصاحب سوى رفيقك وأما انا فمالى بصداقتك حاجة فدعى عنك الطمع واللجاجة ثم هز عطفيه ونظر الى كتفيه وتبختر فى مشيته وتمايل فى غشيته وولى فى تيهه وكبره يريد الدخول فى جحره وقد ترك الظبي آيسا فى حبائل فكره وضره وحبائل شدائده وشره فقيض الله له حدأه خطفته ونبأت به فى الهواء نبأه وأما الظبي فلما أيس من الجرذ واعانته توجه الى الرحمن بكليته وقطع آماله عن كل أحد ورفع ضرورته الى الواحد الصمد وأخلص نيته الصادقه وقطع من الخلائق علائقه ثم جاء الصياد فاوثقه وقصد به البلد

الى الصحة فكرهت ان يموت او اموت ومايبقى على الارض الا من يقول انه كان بيدبا الفيلسوف فى زمان دبشليم الطاغى فلم يردعه عما كان عليه فان قال قائل انه لم يمكنه كلامه خوفا على نفسه قالوا كان الهرب منه ومن جواره اولى به والانزعاج عن الوطن شديد فرأيت ان اجود بحياتى فاكون قد اتيت فيما بينى وبين الحكماء بعدى عذرا فحملتها على التغرير والظفر بما اريده وكان من ذلك ما انتم معاينوه فانه يقال فى بعض الامثال انه لم يبلغ أحد مرتبة الا باحدى ثلاث اما بمشقة تناله فى نفسه واما بوضيعة فى ماله او وكس فى دينه ومن لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب وان الملك دبشليم قد بسط لسانى فى ان اضع كتابا فيه ضروب الحكمة فليضع كل واحد منكم فى اى فن شاء وليعرضه على لانظر مقدار عقله واين يبلغ من الحكمة فهما قالوا أيها الحكيم الفاضل واللبيب العاقل والذى وهب لك ما منحك من الحكمة والعقل والادب والفضيلة ماخطر هذا ببالنا ساعة قط وأنت رئيسنا وفاضلنا وبك شرفنا وعلى يدك انتعاشنا ولكن سنجهد أنفسنا فيما أمرت ومكث الملك على ذلك من حسن السيرة زمانا يتولى ذلك له بيدبا ويقوم به ثم ان الملك دبشليم لما استقر له الملك وسقط عنه النظر فى أمور

الاعداء بما قد كفاه ذلك بيدبا صرف همته الى النظر فى الكتب التى وضعتها فلاسفة الهند لآبائه وأجداده

قصادفه شخص فاشتراه منه وأعتقه ولم أورد هذه اللطيفة الى المسامع الشريفة الا ليعلم ان التوانى عن فك العانى واغاثة الملهوف أمر مخوف لا يرغب فيه ذو عقل وباغاثة الملهوف وأخذ بيد الجار ورد النقل ولا بد من تأمل اعقاب القضايا قبل نزولها وطلب طريقة رفعها قبل حلولها والخلاص من ورطتها قبل بغتتها وأسأل من صدقات مولانا الذى بالاحسان أولانا الارشاد الى عمل طريقه لطيفة نظيفة نقية خفيفة تكون عدتى فى شدتى مبقية للود بينى وبين اخوتى (قال الملك) نعم ماقلت وحيث فى ميدان الصواب جلت فاعلم أن فى مملكتى ملوكا كبراء وأساطين امراء ورجالا وجنودا وأبطالا وأسودا أنا نشأتهم ولنصرة مثلك اعددتهم كل منهم ذو وفاء ومودة وصفاء وباطنه خال من المكر والجفاء يقومون معك بادنى اشاره ويحفظون جانبك من النهب والغاره وخصوصا فلان أميرممالك خراسان فانه أفصحهم خطابا وأمنعهم جنابا وأوسعهم فى العقل رحابا وأشدهم محبه وأقربهم مودة وقربه وأوفاهم عهدا واصفاهم ودا سيجدك فى حال اضطرارك اليه فلا يكون اعتمادك بعد الله الا عليه مع أنى ساعلمهم بجمعهم وآمرهم بايصال نفعهم وأوكد عليهم فى ذلك فلا يخطر شئ من التكدير بالك فقبل ولده الارض ووقف فى مقام العرض وقال أيها الملك المجاب ان محبة غالب الاصحاب وصداقة أكثر الاحباب ومن يدعى خلوص المودة ويبذل ظاهرا فى ذلك جهده انما هى لاغراض وناشئة عن اعراض وأمراض فاذا حصل ذلك الغرض وزال العرض والمرض بردت عن المحبة قلوبهم وفرغت من نقد المودة جيوبهم وظهر بالجفاء وعدم الوفاء عيوبهم ومن جملة ذلك الحسد الذى لم يخل منه جسد على نيل مرتبه أو البلوغ الى منقبه وتمنى زوال نعمة المحسود وعدم الرضا بقضاء المعبود فاذا لم يحصل المراد تبدل القرب بالبعاد والمحبة بالبغضه والصحة بالمرضه كما جرى لنديم الملك الظاهر مع صديقه المسافر قال الملك لولده أخبرنى بكيفية نكده وماتولد من قضية حسده (قال الولد) اخبرنى المملوك انه كان عند بعض الملوك جماعة من العلماء وطائفة كثيرة من الندماء كل منهم لطيف المحاوره نظيف المعاشره خفيف المكاثره ظريف الحركة كثير البركه وبينهم شخص قد ساواهم بهذه الصفات وفاتهم فى علو الدرجات أظرفهم لهجه والطفهم بهجه وأشرفهم نهجه عذب الكلام حلو المنادمه تقبل الفصاحة ثغر ألفاظه فى خطابه ويتهلل محيا البلاغة لاشراق جواهر جوابه اسمه رشيق وهو لكل عشيق وللملك أكرم نديم وأقدر خديم وصديق قديم يقبل عليه ويميل دون الكل اليه ففى بعض الايام قدم على الرشيق بعض الاعجام وكان من بغداد من ذوى الفسق منهم والفساد رجل من الشطار عيار مكار خوان غدار مستحق الرجم ليس فى السماء له نجم غير انه متظاهر بجميل الخصال وانه يخدم أهل الفضل والافضال فعلق بطبعه من شمائلهم وتلبس ظاهرا بفضائلهم فتلقاه الرشيق بما يقتضيه كرمه ويليق وبالغ فى اكرامه وتقدم فى احترامه وأكرم نزله وأفاض عليه نعما جزله ومال اليه بكليته وجعله من خواص جماعته فصار كل يوم يبدى فضلا ويفتح بابا من الكلام وفصلا الى أن غلب على ذلك الزنديق حسد النديم المسمى برشيق لكونه من خواص الحضرة السلطانيه وقصاص الخدمة الملكية وكبير الندماء وخطير القدماء فالتمس من النديم ذلك الوغد الذميم أن يوصله الى الحضرة الشريفه ويسبل عليه ظلال نعمه الوريفه فافكر الرشيق الفكر الدقيق فى عقبى هذه القضية ومايحدث عنها من البليه فانه قد كان أدرك من ذلك الشيطان سوء أفعاله من أقواله ووخيم عزماته من شمائل حركاته وشؤم سكناته وتحقق ذلك من عذبات لسانه وفلتاته وكل شئ تزرعه ينفعك الا ابن آدم اذا زرعته يقلعك ومن أكرم ذا حسد ورأى من أمره عكسه فلا يلومن الا نفسه فصار يسوف به ويدافعه ويمانعه ويصانعه ويدارى الوقت خوفا من المقت الى أن أيس منه وقطع الرجاء عنه فالتهب قيظ غضبه واشتعل شواظ لهبه فما رأى لبرود هذه الغصة الا كتابة قصه يعرضها ذلك المنهمك على آراء الملك يضع فيها الشدة حسده من الرشيق ويفت من عضده ويفترى ذلك المجترى عليه ماهو عنه برى فراقب الفرصه وكتب القصه يذكر له مساوى

وقع فى نفسه ان يكون له أيضا كتاب مشروح ينسب اليه تذكر فيه أيامه كما تذكر آباؤه وأجداده من قبله فلما عزم على ذلك علم انه لا يقوم بذلك الا بيدبا فدعاه وخلا به وقال له يا بيدبا انك حكيم الهند وفيلسوفها وانى فكرت ونظرت فى خزائن الحكمة التى كانت للملوك قبلى فلم أر فيهم أحدا الا وقد وضع له كتاب يذكر فيه أيامه وسيرته وينبئ عن أدبه وأهل مملكته فمنه ما وضعه الملوك لانفسها وذلك افضل حكمة فيها ومنه ما وضعته حكماؤها وأخاف أن يلحقنى ما لحق أولئك مما لاحيلة لى فيه ولا يوجد فى خزائنى كتاب أذكر به بعدى وانسب اليه كما ذكر من كان قبلى بكتبهم وقد أحببت ان تضع لى كتابا بليغا تستفرغ فيه عقلك يكون ظاهره سياسة العامة وتأديبها وباطنه اخلاق الملوك وسياستها للرعية على طاعة الملك وخدمته فيسقط بذلك عنى وعنهم كثير مما نحتاج اليه فى معاناة الملك وأريد ان يبقى لى هذا الكتاب بعدى ذكرا على غابر الدهور فلما سمع بيدبا كلامه خر له ساجدا ورفع رأسه وقال أيها الملك السعيد جده علا نجمك وغاب نحسك ودامت ايامك ان الذى قد طبع عليه الملك من جودة القريحة ووفور العقل حركه لعالى الامور وسمت به نفسه وهمته الى أشرف المراتب منزلة وابعدها غاية وادام الله سعادة الملك وأعانه على ما عزم من ذلك واعاننى على بلوغ مراده فليأمر الملك بما شاء من ذلك فانى صائر

فيها ومن جملة مساويها ان يحسد الرشيق من الداء العتيق ما أعجز الاطباء وأعيا الحكماء الالباء وان ذلك الداء يعدى وفعل الالزام يتعدى فيردى وان كثيرا من الناس الاخيار ممن اطلع على دائه ومعضل بلائه يتحامون صحبته و يجتنبون قربه ومؤاكلته وان هذه نصيحة عرضها وعلى نفسه فرضها اذ القيام باداتها واجب عليه وانهاؤها الى المسامع الشريفة مندوب اليه فلما وقف الملك على مضمون ما أنهاه ذلك الخبيث فيما ادعاه تذكر ما قاله لبيد للنعمان عن وزيره العبسي فيما مضى من الزمان وهو

نحن بنو ام البنين الاربعه * ونحن خير عامر من صعصعه

الملك جاوزنا بلادا مسبعه * نخبر عن هذا خبيرا فاسمعه

مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه * ان استه من برص ملمعه

وانه يدخل فيها اصبعه * يدخلها حتى يوارى اشجعه

* كانما يطلب شيا ضيعه *

فاشمأزت من الرشيق نفسه وزوى في رياض مصاحبته غرسه فامر الحجاب والبوابين أن يكونوا الدخوله على الملك آبين فلما أن جاء الرشيق وقصد الدخول بجاش وثيق منعوه من الدخول فرجع خائبا خاسرا و بقي حائرا باثرا ولم يشك أن هذا الضرب سهم غرب لانه لم يعلم السبب فقضى من الزمان العجب فشرع يتفحص عن سبب البعاد و يتردد بين اغوار وانجاد و يذهب رائد فكره كل مذهب و يعزم على توابعه ليقفوا على موانع المطالب الى ان وقف على السبب المضرم وعلم انه الاحسان الى ذلك المجرم وظهر لذلك الحبر البر من قوله الاحسان الى الاثيم سلف في الشر فاجتمع بجماعة من أصحابه وطائفة من خاص أحبابه وعرض عليهم قصته واستدفع باآرائهم غصته ثم تعرى من لباسه عند الخواص من أناسه لينظروا الى جسده وباسه فرأوا بدنا كسبائك الفضة وأطرافا ناعمة غضة وأعضاء تحسبها من الحور غوانيها مسلمة لا شية فيها فأجمعوا على سلامتها وذكروا للملك محاسنها بعلامتها وشهدوا بحسن صفاتها ورونق بهائها وأنها سليمة عن الادواء بريئة من كل داء وكأنه في شأنه قيل

وأعجب ما شاهدت في وصله وقد * نزعنا غلالات وثوب حياء

تلالؤ نور في ترقرق مائه * وصورة روح في مثال هواء

وانما الشدة الحسد عاب ذلك الجسد فقال الملك صدقتم و بالحق نطقتم ولكن كيف وقد قيل

قد قيل ذلك ان صدقا وان كذبا * فما اختيالك في شيء وقد قيلا

ثم قال الملك لجماعته المنتظمين في سلك طاعته الذي يدور في معلومي و يبرز به مرسومي أن لا يدخل الرشيق على ولا يصوب نظره الى فاني اذا نظرته تذكرت ما قيل واستحضرته فتشمئز النفس والخاطر و يتكدر الباطن والظاهر و يتشوه وجه العيش الناضر ثم أمر له بمال جزيل واقطاع عظيم جليل ومنعه من المثول بين يديه والدخول عليه وانما أوردت هذه الحكاية المتضمنة لهذه النكاية لتحيط العلوم الشريفه والآراء المنيفه أن بعض المدعين للصداقة واحكامها باحكام الوثاقه لا يعتمد على دعواهم ولا يركن الى مضمون فحواهم فربما تكون صداقتهم من هذا القبيل فتؤدى الى داء ثقيل وغم عريض طويل فلا يمكن علاجه ولا يسلك منهاجه وأعظم ما في ذلك ما يؤدى الى المهالك وهو عداوة الاقرباء من الابناء والآباء وذوى نصائح الاخاء فان ذلك غل قمل وجرح لا يندمل ومرض لا يبرا و يفضى بصاحبه الى توسد الثرى وان عداوة الاجانب أسهل من محاسنة القرائب وان القرائب انما يرجون لدفع الداء فاذا كانوا هم الاعداء فقد أعضل الداء (ومن شواهدها) أيها الملك الفاضل ما جرى لابن سلطان بابل مع عمه الظالم الخاتل الخائن القاتل فقال الملك الكبير أظهرنا على صورة ذلك أيها الخبير (قال) ذكر أهل التاريخ أيها العالى الشماريخ أنه كان في ممالك بابل ملك عظيم فاضل كريم

الى غرضه يجتهد فيه برأيي قال له الملك يابيدبا لم تزل موصوفا بحسن الرأي وطاعة الملوك في أمورهم وقد اختبرت منك ذلك واخترت أن تضع هذا الكتاب وتعمل فيه فكرك وتجهد فيه نفسك بغاية ما تجد اليه السبيل وليكن مشتملا على الجد والهزل واللهو والحكمة والفلسفة فكفر له بيدبا وسجد وقال قد أجبت الملك ادام الله ايامه الى ما أمرني به وجعلت بيني وبينه أجلا قال وكم هو الاجل قال سنة قال قد أجلتك وأمر له بجائزة سنية تعينه على عمل الكتاب فبقي بيدبا مفكرا في الاخذ فيه وفي أي صورة يبتدئ بها فيه وفي وضعه ثم ان بيدبا جمع تلامذته وقال لهم ان الملك قد ندبني لامر فيه فخرى وفخركم وفخر بلادكم وقد جمعتكم لهذا الامر ثم وصف لهم ما سأل الملك من أمر الكتاب والغرض الذي قصد فيه فلم يقع لهم الفكر فيه فلما لم يجد عندهم ما يريد فكر بفضل حكمته وعلم أن ذلك أمر انما يتم باستفراغ العقل واعمال الفكر وقال أرى السفينة لا تجرى في البحر الا بالملاحين لانهم يعدلونها وانما تسلك اللجة بمدبرها الذي تفرد بامرتها ومتى شحنت بالركاب الكثيرين وكثر ملاحوها لم يؤمن عليها من الغرق ولم يزل يفكر فيما يعمله في باب الكتاب حتى وضعه على الانفراد بنفسه مع رجل من تلامذته كان يثق به فخلا به منفردا معه بعد ان أعد من الورق الذي كانت تكتب فيه الهند شيأ ومن القوت ما يقوم به وتلميذه تلك المدة وجلسا في مقصورة

الشمائل عدله مذكور وفضله مشهور همته عاليه ونحور ممالكه بعقود فواضله حاليه وأفواه مسالكه كثغور الغواني بشنب العدل والامان زاهيه وله ولد صاحب حسن وجمال وفضل وافضال وملاحة ودلال وصباحة وكمال غير أنه صغير السن لم تمر به التجارب ولم يبل أحوال الاباعد والاقارب لامارس الانام ولاساس الايام ولاسبر العدو والصديق ولاخبر الحريق والرحيق ولافرق بين المرافق والمنافق والمصادم والمصادق والمصارم والملاصق فلما دنت وفاة أبيه جمع اخصاءه وذويه وأراد أن يعهد الى ولده ويرقيه الى سنده ومستنده ثم دبر في أموره وأحواله وتفكر في مصيره ومآله وخشي أنه ربما أخل بشئ من القواعد فابعد الادنى وأدنى الاباعد أو وضع شيأ في غير محله أو ولى منصبا غير أهله وذلك لعدم تدبر أو فساد تصور أو نشوز رفيق أو فقد مرشد وشفيق أو لغرض فاسد من كاشح أو حاسد فيختل نظامه ويعوج قوامه ويفسد أمره فيخونه زيده وعمره وكان للملك أخ بل انه فخ يدعى المقه ويظهر انه ثقه وله حنو وشفقه فعهد اليه واعتمد عليه وسلمه ولده وجعله وصيه ومستنده وأجلسه مكانه وأشهد عليه من رؤساء المملكة أركانه أنه اذا توشح ولده بالولايه وآنس منه رشده بالرعية والرعايه يجلسه على السرير ويسلمه الكبير من جنده والصغير ويكون هو له أحسن وزير وأمين مشير ونظام ملكه ورأس فلكه وعضد ساعده وساعد مساعده وأتابك عساكره وعماد الامر وأوامره فان نفس ولده في سن جهلها تكون عونا من أعوان رعونة الصبا في حزنها وسهلها ويؤدي اليه ملكه بمقتضى قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فقبل أخوه ذلك منه بقبول حسن وتكفل له انه يأسو جراح الملك على وجه مستحسن واظهر الود والترفق والتملق والترقرق والتاهف والتأرق والتأسف والتحرق وبكى وتأوه وشكا وتذلل وتمسكن حتى تمكن فلما اقضى الملك نحبه وأجاب ربه صعد على السرير وتمكن من الجليل والحقير وتشربت أضلاعه وعمرت بحب الحكومة والتسلط في دور طمعه رباعه وابن أخيه في كفالته والممالك في ايالته واستمر الصغير تحت نظره لايفارقه في سفره ولاحضره يكتسب كل يوم مخايل السعاده ويطرح من حركاته شمائل السياده ويظهر على أعطافه الملوكية يوما فيوما آثار الحسنى وزياده الى ان ارتفع قدرا وصار في الكمال هلالا وبدرا فشم عمه من رياض همته عرف الطلب وقوى في ذلك ما كان تقدم من سبب وعرف انه لابد له في ذلك من تسريحه فلو منعه لقام كل الخلق باستهجانه وتقبيحه فتحل عقوده وتقل جنوده ويختل عن عسكره بنوده وتفنى صورته وسيرته وينقض من حبل عمره مريرته فلا يحصل من الملك الا على الهلك فاعمل الكيد وخرج الى الصيد فتفرقت العساكر وانفرد الملك الماكر ومعه ابن أخيه فاختلى به في تيه فوثب عليه وفجعه بكريمتيه وألقاه في البريه الى مخاليب المنيه وتركه وحيدا أعمى لايجد دليلا ولا يهتدي سبيلا ولايعرف مقرا ولا مقيلا ثم اجتمع بعسكره ظانا انه فاز بظفره مخبرا بوفاته وتعمية خبره ففرغ باله وأصلح رجاله واطمأن خاطره واستقرت أموره واستقامت جوره فلما هجم جيش الليل أقبلت السباع من الوادي كانها السيل وقصدت الوحوش والهوام ما لها من مأوى ومقام وعوت الذئاب وزأرت الاسود وهمرت النمور والنسور والفهود فساورت ابن الملك الهموم وأورثته أصناف الغموم واحتوشته المخاوف والوجوم فلجأ الى جناب الحي القيوم جناب لايخيب قاصده ولايصدر الابنيل الامل وارده وصار يحسس بيديه ويصغي الى الحيوان بأذنيه ويتمشى الى كل جانب ويهوي بيديه الى الاطراف والجوانب ويتعلق بحبال الهواء كالغريق الغاطس في الماء فوقعت يده على شجره فعلق فيها بيديه وظفره وصعد عليها وأوى اليها وتوجه بقلبه الى خالقه وموجده ورازقه وقطع عما سواه أسباب علائقه واشتغل بالذكر والتسبيح وفوض أمره الى الله سبحانه وتعالى بامل فسيح واستمر في هذا الويل برهة من الليل وكان طائفة من الجان المهره كل ليلة تأوي الى هذه الشجرة فيتذاكرون ما جرى في العالم وما صدر في عالم الكون والفساد

والاحكام ورتب فيه أربعة عشر بابا كل باب منها قائم بنفسه وفي كل باب مسئلة والجواب عنها ليكون لمن نظر فيه حظ وضمن تلك الابواب كتابا واحدا وسماه كتاب كليلة ودمنة ثم جعل كلامه على ألسن البهائم والسباع والطير ليكون ظاهره لهوا للخواص والعوام وباطنه رياضة لعقول الخاصة وضمنه أيضا ما يحتاج اليه الانسان من سياسة نفسه وأهله وخاصته وجميع ما يحتاج اليه من أمر دينه ودنياه وآخرته وأولاه ويحضه على حسن طاعته للملوك ويجنبه ما تكون مجانبته خيرا له ثم جعل له باطنا وظاهرا كرسم سائر الكتب التي برسم الحكمة فصار الحيوان لهوا وما ينطق به حكما وأدبا فلما ابتدأ بيدبا بذلك جعل أول الكتاب وصف الصديق وكيف يكون صديقان وكيف تقطع المودة الثابتة بينهما بحيلة ذي النميمة وأمر تلميذه ان يكتب على لسان بيدبا مثل ما كان الملك شرطه في ان يجعله لهوا وحكمة فذكر بيدبا ان الحكمة متى دخلها كلام الغفلة أفسدها واستجهل حكمتها فلم يزل هو وتلميذه يعملان الفكر فيما سأله الملك حتى فتق لهما العقل أن يكون كلامهما على لسان بهيمتين فوقع لهما موضع اللهو والهزل بكلام البهائم وكانت الحكمة ما نطقا به فاصغت الحكماء الى
من

من أعمال بنى آدم و يقيمون أفراحهم و يتعاطون أشراحهم فلما اجتمعوا تلك الليلة ذكر كل قوله وماجرى من الحوادث ومن المفرحات والسكربات وماوقع من العجائب واتفق من واقعات الغرائب فقال واحد من القوم ومن اعجب ماوقع اليوم من الامر الكريه مافعله ملك بابل بابن أخيه وذكر لهم القضيه وماتضمنته من بليه وجعل يتأرق و يتحرق و يتبرم و يتضرم و يحرق الارم و يتعجب من عدم وفاء بنى آدم فقال رئيس الجان وهذا غير بديع من طبع الانسان فانه مجبول على الغدر مطبوع على الدهاء والمكر ألم تسمع قول قائلهم في وصف فضائلهم وقبيح شمائلهم مما انخرط في سالك الفضل بدون منع ولا حجز اذا كان الغدر طباعا فالثقة بكل أحد عجز ثم قال الرئيس اعلموا يانفيس انى اعلم ما يزيل هذا الالم و يطفئ هذا الضرم و يشفى هذا السقم وهو أن هذه الشجرة النجيبه لها خاصية عجيبة اسمها شجرة النور وفضلها فى ذلك مشهور اذا أخذ من عصارة ورقها ووضعها الاعمى على حدقها انجلى عماها بقدرة رب براها وخالقها فسواها ورد اليها بصرها و زاد نظرها ثم ان الخرابة الفلانية فيها حجر حية بذيه وهى تابعة ملك بابل الفاعل هذا الفعل السافل وحياته متعلقة بحياتها وموته موقوف على مماتها لان طالعه على طالعها وطبعه اللئيم مطبوع على طابعها فبمجرد ماتموت الحية يموت و ينقل من درج الملك الى درج الملكوت كل ذلك وابن الملك يسمع هذا القول فلجأ الى ذى القوة والحول حتى من عليه بعد شديد العقاب بهذا الطول وجعل ينادى و يبتهل و يقول متى جبين الصبح يهل و ينشد

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بامثل

فلما أصبح الصباح ونادى مؤذن السعد حى على الفلاح تيمم ابن الملك وصلى وحمد الله على النهار اذ تجلى ورض بين حجرين من ورق الشجرة واكتحل بمائه فرد الله عليه بصره ثم وجه ذهابه الى تلك الخرابة ورصد خروج تلك الحية اللاطئة وضربها ضربة غير خاطئة فاحاط بها نازل الهلك وفى الحال خر الملك ميتا على سرير الملك و بينما العزاء عليه قائم واذا بصاحب السرير عليهم قادم وقد قصد ملك أبيه وتمكن من ملكه وذويه وتصرف فيه كماشاء وألبسه خلعة الملك من يؤتى الملك من يشاء و ينزع الملك ممن يشاء وانما أوردت هذا التمثيل خوفا أن يكون صاحب مولانا الملك الجليل الذى بخراسان من هذا القبيل فتبدل المحبة بالبغض وترجع على موضوعها بالنقض ثم ان بعض الاصحاب والاخوان يفعل مايفعله من الخير والاحسان على سبيل المكافاه لا على طريق المروأة والمصافاه فاذا كافأ بالاحسان عاد الى ما كان عليه من العدوان فاسأل الحضرة الشريفه والمراحم المنيفه ذات الفضل المشهور والاحسان المأثور التأمل فى عواقب هذه الامور لئلا يصيبنا ما أصاب المسافر ضيف الحداد المبادر من العفريت الملقى فى الحافر قال أخبرنى أيها الولد النجيب عن ذلك الامر العجيب وقاك الله شر الوجيب (قال) بلغنى من رواة الاخبار أن شخصا من الاخيار لازم الاسفار وقطع القفار بجاب مشارق الارض ومغاربها وبلغ أكنافها وجوانبها وشاهد عجائبها وغرائبها وقاسى حر الزمان وقره وذاق حلوه ومره وعانى خيره وشره فأداه بعض المسير الى بلد كبير فرأى فى بعض نواحيه وطرف من بعض ضواحيه طائفة من الصبيان قد اجتمعوا فى مكان فوصل اليهم ذلك الفقير فوجدهم واقفين على حفير يرمون فيه بالاحجار وهم يستغيثون بالستار من العدو المكار والخبيث الغدار والحسود القديم والكافر الذميم والشيطان الرجيم فسألهم ماهذه المعضله فقالوا عفريت وقع فى هذه البئر المعطله وهو عدو قديم نريد أن نقتله فقال افسحوا حتى أنظر اليه وأساعدكم عليه ففسحوا عن ذلك الطوى فنظر فى قعر الركى فرأى فى جانب منها عفريتا متزويا وقد هشموه وكسروه وحطموه وكاد يهلك مما رجموه فعندما نظر اليه رق له وعطف عليه وقال أفضل المعروف اغاثة الملهوف وان لم يكن بيننا سابقة صداقه ولا وشيجة محبة ولا علاقه بل عدا وتناجبلى ومباينتنا أزليه لكن فعل الخير لا يبور ولله عاقبة الامور واذا قصد الانسان فعل الخير

حكمه وتركوا البهائم واللهو وعلموا انها السبب فى الذى وضع لهم ومالت اليه الجهال عجبا من محاورتهم وفهموهم ولم يشكوا فى ذلك واتخذوه لهم وادركوا معنى الكلام ان يلهموه ولم يعلموا الغرض الذى وضع له لان الفيلسوف انما كان غرضه فى الباب الاول ان يخبر عن تواصل الاخوان كيف تتأكد المودة بينهم على التحفظ من أهل السعاية والتحرز ممن يوقع العداوة بين المتحابين ليجر بذلك نفعا الى نفسه فلم يزل بيدبا وتلميذه فى المقصورة حتى استتم عمل الكتاب فى مدة سنة فلما تم الحول أنفذ اليه الملك ان قد جاء الوعد فماذا صنعت فانفذ اليه بيدبا انى على ماوعدت الملك فليأمرنى بحمله بعد ان يجمع أهل المملكة لتكون قراءتى هذا الكتاب بحضرتهم فلما رجع الرسول الى الملك سر بذلك ووعد يوما يجمع فيه أهل المملكة ثم نادى فى أقاصى بلاد الهند ليحضروا قراءة الكتاب فلما كان ذلك اليوم أمر الملك ان ينصب لبيدبا سرير مثل سريره وكراسى لابناء الملوك والعلماء وأنفذ فاحضره فلما جاءه الرسول قام فلبس الثياب التى كان يلبسها اذا دخل على الملوك وهى المسوح السود وحمل الكتاب تلميذه فلما دخل على الملك وثب الخلائق بأجمعهم وقام الملك شاكرا فلما قرب من الملك كفر له وسجد ولم يرفع رأسه فقال له الملك يا بيدبا ارفع رأسك فان هذا يوم هناء وفرح وسرور وأمره الملك أن يجلس فحين جلس لقراءة

فلا عليه ان فعله مع أهله أو الغير وقد قيل للتمثيل أيها الانسان قد عداك الذم افعل الخير وألقه في اليم ثم منع عنه الكبير والصغير وساعده على الخروج من البير واستنقذه من أيديهم وأطلقه فكان كمن اشتراه واعتقه فلما رأى العفريت هذا الاحسان من ذلك الانسان من غير سابقة ولا عرفان قبل يده ورجله وشكر له هذه الفعله وقال اني عاجز عن مكافأتك يا انسان في هذا الاوان وأنا اسمي فلان فان وقعت في ضيق أو ضلالت في طريق فنادني باسمي أحضر اليك بجسمي وأنفعك في ضيقك وأرشدك الى طريقك وأكافئك أيها اللوذعي بما فعلته معي ثم ودع كل صاحبه وخالف في السير جانبه فوصل السائح الى بلد من البلاد له فيها صديق حداد فنزل عنده فأكرمه ورحب به وخدمه وكان لتلك البلدة عادة حسنة انهم في يوم معين في كل سنه يقربون من يقدم عليهم فيه ولا يسالون أخامل هو ام نبيه فان لم يقدم عليهم غريب في ذلك اليوم اقترع فيما بينهم القوم فمن خرجت قرعته سحبوه وكسر واقرعته وقربوه فوافق ذلك اليوم قدوم السائح ولم يدر سواه من غادو رائح ولا شعر به أحد من أهل تلك البلد فأخذوا في القرعة بالاجتهاد فطرقت القرعة قرعة الحداد فقبضوا عليه وعزموا على تقريبه فقال عندي غريب لم يكن أحد يدري به فلم يدر السائح الا وقد أحاطت به الشوائح فهجموا عليه وربطوا عنقه ويديه ثم سحبوه وحبسوه وفي أضيق مكان أجلسوه وأشهروا النداء انه حصل للحداد الفداء فعلم السائح القضيه وتحقق أنه تورط في بليه فذكر اسم العفريت وقد علقه الهم علوق النار بالكبريت فحضر لساعته ووقته فرأى السائح في هوله ومقته واطلع على جملة الشان فقال لاتخش باذا الاحسان اعلم ان أمير هذه البلد له ولد هو واحد أبويه واني الآن أصرعه بين يديه ثم انادي في النادي ان رمتم شفاء هذا العليل فهو بدعاء ذلك الرجل الجليل السيد الصالح الزاهد السائح ضيف الحداد الذي بسببه حصلت هذه الانكاد فاطلقوه والتمسوا دعاءه فان فيه لعليلكم شفاءه ولا تطلبوا من غيره دواءه فاذا طلبوك وأعزوك وأرغبوك وأكرموك واحترموك فادع بما يرفع نكدهم فاني اذ ذاك أترك ولدهم فاذا رأوا منك هذه الكرامه بالغوا وسلموك الزعامه وخيروك بين الرحيل والاقامة وأقل ما يفعل معك السلامه ثم ذهب الى ابن الملك وخبطه وحل في أعضائه وربطه فتخبط الصبي وتخيل وتكسل وتخبل وكادت روحه تخرج وبدرج مع من يدرج فاشتغلوا بشانهم عن أمر قربانهم فطلبوا الاطباء فاعياهم علاج هذا الداء ولم يقدروا على علاجه وتعديل مزاجه وتقويم اعوجاجه واشتغلت الخواطر وتنكد البادي والحاضر فعند ذلك نادى العفريت من ذلك البيت يسمعون كلامه ولا ينظرون مقامه ان زوال هذا العارض ومنع هذا الداء المعارض عند رجل قدوه مستجاب الدعوة رجل صالح زاهد سائح عالم عامل كامل فاضل هو بركة البلاد والعباد مادة الصلاح وقاطع الفساد وهو ضيف الحداد الذي فرط منكم في حقه سوء الادب فادركوه بالطلب وأسرعوا نحوه والتمسوا منه دعوه والا فولدكم هالك عنوه وبادروا بالحوق لئلا يخرج السهم من فوق فان سهم هذا المصاب بسبب ذلك أصاب فركب الملك بنفسه وسارع الى باب حبسه ودخل عليه وأكب على رجليه وطلب دعاءه ورام لولده شفاءه فتوضأ وصلى وأعرض عنهم وتولى وتوجه ودعا فحصل للولد الشفا ونهض في الحال كأنما نشط من عقال ثم ان العفريت الجائح أتى الرجل السائح وقال لاتحسب اني اذا كافيتك صادقتك أو صافيتك كيف وعداوتنا قديمة مغروزه وغروس التباغض في حدائق ذواتنا مركوزه أنا من نار وأنت من تراب شيمتك الترابيه وشيمتي الاحراق والخراب ومتى استقام أعوج مع قوام أو وجد بين المتباينين التئام وانما كان هذا الوفاء لئلا ينسب الي الجفاء ونحن على الكدر دون الصفاء وعلى ما نحن عليه من العدوان وان لم يصر بيننا معرفة ولا كان ثم صار شعلة لهب وترك السائح وذهب (ثم قال ابن الملك) ومن أنواع المحبة والصداقه وما يتأكد فيهما من العلاقه نوع

الكتاب سأله الملك عن معنى كل باب من أبواب الكتاب والى أى شئ قصد فيه فأخبره بغرضه فيه وفي كل باب فازداد الملك منه تعجبا وسرورا وقال له يا بيدبا ما عدوت الذي في نفسي وهذا الذي كنت أطلب فاطلب ما شئت وتحكم فدعا له بيدبا بالسعادة وطول الجد وقال أيها الملك أما المال فلا حاجة لي فيه واما الكسوة فلا اختار على لباسي هذا شيأ ولست أخلي الملك من حاجة قال الملك يا بيدبا ما حاجتك فكل حاجة لك قبلنا مقضية قال يأمر الملك ان يدون كتابي هذا كما دون آباؤه وأجداده كتبهم ويأمر بالمحافظة عليه فاني أخاف ان يخرج من بلاد الهند فيتناوله أهل فارس اذا علموا به فالملك يأمران لا يخرج من بيت الحكمة ثم دعا الملك بتلامذته وأحسن لهم الجوائز* ثم انه لما ملك كسرى أنوشروان وكان مستبشرا بالكتب والعلم والادب والنظر في أخبار الاوائل وقع له خبر الكتاب فلم يقر قراره حتى بعث برزويه الطبيب وتلطف حتى أخرجه من بلاد الهند فاقره في خزائن فارس

(باب بعثة برزويه الى بلاد الهند)

(أما بعد) فان الله تعالى خلق الخلق برحمته ومن على عباده بفضله وكرمه ورزقهم ما يقدرون به على اصلاح معايشهم في الدنيا ويدركون به استنقاذ أرواحهم من العذاب في الآخرة وأفضل ما رزقهم الله تعالى ومن به عليهم العقل الذي هو الدعامة لجميع الاشياء فلا يقدر أحد في

يجتبه

محبـه تتوفر فيـه الرغبه ينشأ من فرط الشهوه و يركب من صاحبه على الصهوه وتميل اليـه النفس والطبيعه ولـكن تكون استحالته سريعه فيزول بأدنى سبب و يشبه شواظ اللهب يتلهب ساعـة وقد ذهب و ربما أدى الى الهلاك والعطب كما فعـل بالبطة الثعلب حيث كانت محبتها غير صادقة ومودتها بالشهوة ممـدوده وشتان ما بين المحبـة الخالصة والمحبة المنافقـة لاجرم أدت الى عكسها وازهاق نفسها قال الملك أخبرني أيها الخبير كيف هو هذا النظير (قال ابن الملك) ذكر أن زوجا من البط كان له مأوى على شـط جار بين رياض ومروج وغياض أزاهـيرها عطره وورياحينها نضره وقريب من وكر البطتين مأوى لابي الحصين فحصل لذلك الثعلب المرض المسمى بداء الثعلب فـقط و بره وتمعط صوفه وشعره وذاب جسمه وتهرى لحمه وقارب التلف واللحاق بمن سلف وصار كما قيل

أصبح فى أمراضه يعذب * كخرقة بال عليها الثعلب

فلما أنحله السقم وأضناه قالت له سلحفاه لما زاد به المرض واشتط دواء دائك كبد البط فان أكلت كبد بطه نصلت من هذه البلاء البته فقال ومن لى بهذا الدواء اذ ليس لى حراك والبط فى الهواء فشفاء هـذا الداء العضال من باب التعليق بالمحال وكأنا شاعر يعنيني اذ سمع أنيني و رأى سكوني تحت احمال شجوني بقوله

فقال قم قلت رجلى لا تطاوعنى * فقال خذ قلت كفى لا تواتينى

ثم استنهض همته واستخنى نهمته وصمم عزيمته واستعمل فكره واستورى مكره وقال لنفسـه لا ينجيك من هذا الانكال الا التشبث بذيل المحال لعل الله واهب العطية يظفرني بهذه الامنية ثم توجه وهو يتشحط الى صوب البط وصار يتلظى فى جنبات الشط الى ان لاح له بعد الاين أنثى هاتين البطتين فتخفى الى ان قاربها ثم واثبها فما ساعدته القوة فهوى فى هوه فما وسعه الا أن غالط وأظهر المودة وخالط وعبرت عيناه وبالط وأرى من نفسه ان تلك الوثبه انما هى من داعية المحبه ونهضة الاشتياق الى الاحبه ثم بادر وقال مرحبا بالجارة الصالحه ومن نعوتها بسك العفة فائحه وأخلاقها غادية ببشر الخير رائحه المخدرة المحجبه الحبيبة النجيبه حياك الله من قرينة رضيه جميلة الاوصاف بهيه فما أكثر احسانك وفضائلك وأوفر امتنانك وفواضلك لقد عممت باحسانك جميع معارفك وجيرانك وأطعت زوجك وحلالك وتحقق كل أحد حسن الشيم جلالك ومازال ينفق عليها من حواصل هذه الخزعبلات و يفعم أردان عقلها من معادن هـذه التمويهات حتى سكنت بعض السكون وركنت اليه أدنى ركون ثم أخـذ فى الايناس وتمهيد قواعـد الاساس حتى اطمأنت واستكانت واستكنت ثم قال انا لله ولا حول ولا قوة الا بالله تر بين ما رأى فيك زوجك من الخلل ولاح له من عيب حتى فعـل ما فعل قالت وما فعل ذلك الجمل قال لولا ان الغيبـة ريبه والنميمة مشؤمه ونقل المجالس القبيحه وان كانت وقائعها صحيحه أمر مذموم وهذا معلوم لكنت أفصحت وأشبعت القول ونصحت ولكن الصبر على الضرائر فعل الحرائر والورد لا يخلو عن شوك ولا الشباب عن نوع نوك فلما سمعت هـذه النجوه حركتها المحبة الممزوجة بالشهوه ان ألحت عليه وسألت ايضاح ما لديه وأقسمت عليه بحق الجوار الا ما أطلعها على هذه الاسرار فقال لولا أن الجوار ذمـه لما فهت بكلمـه خصوصا وقـد ألححت بالقسم وتشفعت بالجوار والذمم وأيضا لولا وفور الشـفقه وعظم المحبـة والمقه واعتمادى عليك انك ثقه وان صدرك مخزن الاسرار وانك سيدة الاحرار ما أطلعتك عـلى شىء مما كان وصار الا ان زوجك المشتط قد خطب بنت ملك البط وله فى هذه المكيده مدة مديده آخرها اليوم كان قد أرسـل الى القوم الماشـية والخطابه أن يهيؤا أسبابه فلما سمعت هـذا الكلام ساورها من الغـيرة الضرام ولا تشك فى انه صادق وذهلت عن التبين فى خـبر الفاسق وجميع الاخبار عن الازواج يتوقف فيها النساء الا خبر الزواج ثم انها تماسكت وأرت تجلدا وتمالكت وقالت أحـل الله من الازواج ما طاب له لا حيـلة الا الانقياد وترك المراد وموافقة السـنة والجماعه

الدنيا على اصلاح معيشته ولا احراز نفع ولا دفع ضر الا به وكذلك طالب الآخرة المجتهد فى العـمل المنجى به روحه لا يقدر على اتمام عمله وا كماله الا بالعقل الذى هو سبب كل خـير ومفتاح كل سعادة فليس لاحد غنى عن العقل والعقل مكتسب بالتجارب والادب وله غريزة مكنونة فى الانسان كامنة كالنار فى الحجر لا تظهر ولا يرى ضوءها حتى يقدحها قادح من الناس فاذا قدحت ظهـرت طبيعتها وكذلك العـقل كامن فى الانسان لا يظهر حتى يظهره الادب وتقويه التجارب ومن رزق العقل ومن به عليه وأعين على صدق قريحته بالادب حرص على طلب سعد جده وأدرك فى الدنيا أمله وحاز فى الآخرة ثواب الصالحين وقد رزق الله الملك السعيد أنوشروان من العقل أفضله ومن العلم اجزله ومن المعرفة بالامور أصوبها وسدده من الافعال أسـدها ومن البحث عن الاصول والفروع أنفـعه و بلغه من فنون اختلاف العلم و بلوغ منزلة الفلسفة ما لم يبلغه ملك قط من الملوك قبله حتى كان فيما طلب و بحث عنه من العلم أن بلغه عن كتاب بالهند علم انه أصل كل أدب ورأس كل علم والدليـل على كل منفعة ومفتاح عمل الآخرة وعلمها ومعـرفة النجاة من هـولها فامر الملك وزيره بزرجمهران يبحث له عن رجل أديب عاقل من أهل مملكته بصـير بلسان الفارسية ماهر فى كلام الهند و يكون بليغا باللسانين جميعا حريصا على طلب العلم مجتهدا فى استعمال الادب مبادرا فى طلب العلم

والدخول تحت الامر بالسمع والطاعه وماذا يفيد التدله والحيره ان الحلال جدع أنف الغيره قال والامر كما ذكرت وما أحسن ما فتكرت وصبرت وما يمكن الطعن في الحلال ولكن هذا دليل الملال وكل من ادعى هواك وتخلل في طريق سواك ولو بخلال من سواك فلا شك أنه قلاك وبنار الهجر والجفاء سلاك وليس هذا ساعة وتمضي ولا حادثة تقع ثم تنقضي انما هو أمر دائم ونزاع أبد الدهر قائم وأنا ما أخشى الا عليك بما يصل من النكد اليك فان حقك ثابت علي وضررك عائد الي فانك جارة قديمه معروفة بحسن الشيمه لم أر منك الا الاحسان وعدم التعرض الى ايذاء الجيران وكل منا قد اعتاد بالآخر وباهى بصحبته وجواره وفاخر وأخاف ان يتجدد لي في الجوار من يتصدى لي بالاضرار ويؤذي ولا يعرف حق الجار لا يعرفني ولا أعرفه ولا ينصفني ولا أنصفه فيتكدر لي الوقت ولا أخلو من نكد ومقت لا سيما وأنا ضعيف مبتلى بنحيف فلا يستقيم الحال ولا أقدر على الارتحال ولا أزال بسدد المضارب ويقتل منه في الذروة والغارب حتى أرفيها سهمه ونفذ في سويدائها من مكره بسهمه فاسترشدته الى وجه الحيله في هذه النازله الوبيله فقال الرأي السديد والفكر الرشيد أنه اذا أوصل قوله بفعله وأتبع في اداء فرضه بنفله واختار غيرك عليك طلقيه وألف زوج لديك وأرض الله واسعه وهو المعتدي في المقاطعه وأنا أكون السفير في زوج يجعل البدر المنير يعمر دارك ويعرف مقدارك ويخدم كابك وجارك ويملأ وكرك خيرا وبطنك طيرا ودارك شعيرا وبرا مع كونه وافر الحشمه مسموع الكلمة قد جمع بين طرفي الاصالة والحرمه فقالت هذا الذي تقول أمر معقول والى الآن ما وقع وعلى تقدير ان يقع ان حصل الشقاق والنفاق وترجيح الانذال المستجدة على الكرام العتاق فيكون بيننا هذا الاتفاق وان وقعت بيننا المعادله ولم يحصل في حقي منه مساهله ولا للضرة علي مفاضله كيف أشاققه وعلى فعل مباح أضايقه فضلا عن أني أفارقه وكيف أخرب داري وأضر بحبي وجاري وأشمت بي الاعداء ويحتاط بي من كل جهة البلاء ولكن الرأي المحمود عندي يا ودود الصبر في كل حال على الدهر الكدود وتجرع الغصص الا لا يشمت الحسود كما قيل في التمثيل ما بي دخول جهنم ولكن بي شماتة اليهود فلما رأى الخبيث انه لم يفده هذا الحديث ولم تتم له الحيله وافكاره الوبيله قال أقول الحق الذي حصحص ولا عنه محيد ولا مخلص ان زوجك قد نقل اليه انك اخترت غيره عليه وانك عاشقه وصحبتك له مخادعة ومماذقة وثبت ذلك لديه وعقد اعتقاده عليه وعزمه على الزواج انما هو تعلل واحتياج لفتح باب الشر وتعاطي أسباب النكد والضر وقد ثبت عندي ان ذاك الافاك الاثيم السفاك يريد أن يجرعك كأس الهلاك فتيقظي لنفسك وتداركي غدك في أمسك قبل حلول الك في رمسك واستعمي قبل عكسك وأنا منذ سمعت هذه الاخبار لم يقر لي قرار وذلك لوفور الشفقة وحسن الجوار وقد زدت ضعفا على ضعفي وكدت لهذا الغم أسقى كاس حتفي وأنت يا غرض الحاسد تعلمين ان ليس لي غرض فاسد وهذا بديهي التصور لا يحتاج الى تدبر ولا تفكر ولقد غرت عليك والامر في هذا كله منك واليك فتكدر خاطرها وتشوشت ضمائرها وضاقت بها الحيل وتاه منها العلم والعمل ومن يسمع يخل وصالت أفكارها وجالت وبدر منها ان قالت والله لو أمكنني لقتلته ولو وجدت فرصة لاغتلته واسترحت من نكد الدهر المغبر وهذا العيش الوحش المكدر فالتقط الثعلب هذه الكلمة من فيها وعلم ان سهم ختله نفذ فيها لان عقود المحبة انحلت وصورة المودة القديمة زالت واضمحلت وتلاشت الصداقة بالكلية وانمحت شهوانها بادني جزئيه فقال لا تهتمي لذلك يا ضرة هند فعندي عقار من عقاقير الهند أحلى في المذاق من ساعة التلاق وامضى من السيف في حكم الفراق اسمه اكسير الموت وتدبير الفوت وسم ساعه وتفريق الجماعه لو أكل منه ذرة أو شم منه نشره لقتل في الحال وفرق الاوصال من غير امهال فان اقتضى رأيك الاسد ان تخلصي من هذا النكد ناولتك منه شذره تكفيك الذرة منه أمره فان شئت أطعمته وان شئت أشممته ولولا انك عزيزة علي لم أذه لك من

والبحث عن كتب الفلاسفة فقالوا برجل أديب كامل العقل والادب معروف بصناعة الطب ماهر في الفارسية والهندية يقال له برزويه فلما دخل عليه كفر له وسجد بين يديه فقال له الملك يا برزويه اني قد اخترتك لما بلغني من فضلك وعلمك وعقلك وحرصك على طلب العلم حيث كان وقد بلغني عن كتاب بالهند مخزون في خزائنهم وقص عليه ما بلغه عنه وقال له تجهز فاني مرحلك الى أرض الهند فتلطف بعقلك وحسن أدبك ونافذ رأيك لاستخراج هذا الكتاب من خزائنهم ومن قبل علمائهم فتستفيد بذلك وتفيدنا وما قدرت عليه من كتب الهند مما ليس في خزائننا منه شيء فاحمله معك وخذ معك من المال ما تحتاج اليه وعجل ذلك ولا تقصر في طلب العلوم وان أكثرت فيه النفقة فان جميع ما في خزائني مبذول لك في طلب العلوم وأمر باحضار المنجمين فاختاروا له يوما يسير فيه وساعة صالحة يخرج فيها وحمل معه من المال عشرين جرابا كل جراب فيه عشرة آلاف دينار فلما قدم برزويه بلاد الهند طاف بباب الملك ومجالس السوقة وسال عن خواص الملك والاشراف والعلماء والفلاسفة فجعل يغشاهم في منازلهم ويتلقاهم بالتحية ويخبرهم بانه رجل غريب قدم بلادهم لطلب العلوم والادب وانه محتاج الى معاونتهم في ذلك فلم يزل كذلك زمانا طويلا يتأدب عن علماء الهند بما هو عالم بجميعه وكأنه لا يعلم منه شيا وهو

هذه

هـذه الامور بشئ ولقد فضلتك على روحي فما كتمني هذا السر ولا تبوحي فتحملت منه جبلته وعرفت قدرته وفضيلته وطلبت منه الدوا لتذهب به عن قلبها الجوا وتقتل زوجها المسكين وتسلم من نكده وتستكين وزالت تلك المحبة القديمة ونسيت الصحبة والصداقة القويه ووعدها الثعلب أن يأتيها بالعقار وفارقها على هذا القرار ثم انها انتظرته ليفي بوعدها واحترق صبرها من نارسمها ووقدها وتقاعد الثعلب عنها ينتظر ما يتأتى منها فحملها مثير الوجد اليه وساقها الاجل المحتوم الى ان قدمت عليه فدخلت وكره وقبلت يده وصدره فتمكن منها ذلك الغادر ومزقها كما يريد فصارت كالامس الغابر وانما أوردت هذا التمثيل لئلا يكون أصحاب مولانا السلطان من هذا القبيل فيكون المعتمد عليهم والمستند اليهم كالنائم على تيار الانهار والمؤسس بنيانه على شفا جرف هار قال الملك معاذ الله يا ولدي وقرة عيني وكبدي أن يكون صاحبي ومعتمدي من هذا النمط وشبيها بالعفريت والثعلب والبط بل كل من أصحابي وسائر أوليائي وأحبابي ما منهم الا الصديق المهذب والرفيق المؤدب والشفيق المدرب والعتيق المجرب وقد جربته في المودة والاخاء والشدة والرخاء والمروأة والسخاء كما جرى ذلك للتاجر المجرب صديقه في الشدة والارتخاء قال الولد نعم مولانا الامام بتقرير هذا الكلام (قال الملك) بلغني أن بعض التجار الاكرمين الاخيار والكرماء الابرار كان له مال جزيل وولد صالح جليل سعيد الطالع سديد المطالع عالي الهمه متوالي الحشمه ميمون الحركات جميل الصفات حسن الصوره مشكور السيره طاهر السريره وكان أبوه قد تخيل فيه مخايل السعاده وتفرس فيه آثار النجابة والاجاده فكان لا يصبر عن تأديبه وارشاده الى سبيل الخير وتهذيبه وتربيته بمكارم الاخلاق وترتيبه فقال له يا بني ان الانسان يحتاج الى كل شئ وأعظم ما يحتاج اليه ويعول في التحصيل عليه الصاحب الصافي والصديق المصافي والرفيق المساعد في وقت الشدائد فان المال ميال والذهب ذاهب والفضة منفضه والملبوس بوس والمأكل متآكل والخيل خيال والفواضل شواغل والدهر قاصي والعصر عاصي والاقارب عقارب والوالد معاند والولد كمد والاخ فخ والعم غم والخال خيال والدنيا وما عليها لا يركن اليها وما ثم الا رفيق ذو وفاء مجبول على الصدق والصفاء ان غبت ذكرك وان حضرت شكرك مأمون على نفسك ومالك وأهلك وعيالك في حالك ومآلك ان غاب صانك وان حضر زانك فهو أفضل موجود يقتنى وأحسن مودود يصطفى فان ظفرت به فتشبث بسببه ثم قال له يا بني قد أقمت في الحضر وانقضى لك فيه ما ذقت مما حلا ومر فلا بأس أن تحيط علما بأحوال السفر فان السفر محك الرجال ومجلبة الاموال ومكسبة التجارب ومرآة العجائب والغرائب فاعزم على بركة الله تعالى وتوكل عليه وأصحب معك فيه ما تحتاج اليه ثم أفاض عليه المال وأضاف اليه صالحي الرجال وحين ودعه ووصاه واستودعه قال يا بني لا تجعل دأبك وطلبك واكتسابك الا استجلاب الصاحب النافع دون سائر المنافع فانه أوفر بضاعة وأربح تجاره وأبس على الصديق الصدوق أبدا خساره واجعله في سفرك نصب عينك واشتره بنفسك ومالك ونقدك ودينك وقد قيل

أخاك أخاك ان من لا أخا له ✻ كساع الى الهيجا بغير سلاح

والمراد به الصديق واعلم ان الاخ الصلبي ربما يضرك وأما الصديق الصالح فانه أبدا يسرك والصاحب الشفيق خير من الاخ الشقيق وقد قيل رب أخ لم تلده أمك فقبل الشاب وصية أبيه ثم توجه في حشمه وذويه بقصد جميل ومال جزيل فمكث غير بعيد ثم عاد وهو سعيد فقال له أبوه حييت وحييت ما أسرع ما جئت قل لي أين ذهبت وماذا اكتسبت فقال يا أبت امتثالا مرسومك الكريم واكتسبت بالمال كل ولي حميم وقد جئت بهم زمرا وعدتهم خمسون نفرا كل منهم صديق صادق ورفيق موافق في الفضل بارع والى الخير مسارع وفي الرخاء صادق الاخاء وفي الشدة أوفى عدة قال أبوه يا بني كيف تصفهم بهذه الصفة

فيما بين ذلك يستر بغيته وحاجته واتخذ في تلك الحالة لطول مقامه أصدقاء كثيرة من الاشراف والعلماء والفلاسفة والاسوقة ومن أهل كل طبقة وصناعة وكان قد اتخذ من بين أصدقائه رجلا واحدا اتخذه لسره وما يجب مشاورته فيه للذي ظهر له من فضله وأدبه واستبان له من صحة اخائه وكان يشاوره في الامور ويرتاح اليه في جميع ما أهمه الا أنه كان يكتم منه الامر الذي قدم من أجله لكي يبلوه ويخبره وينظر هل هو أهل ان يطلعه على سره فقال له يوما وهما جالسان يا أخي ما أريد ان اكتمك من أمري فوق الذي كتمتك فاعلم اني لامر قدمت وهو غير الذي يظهر مني والعاقل يكتفي من الرجل بالعلامات من نظره حتى يعلم سر نفسه وما ينطوي قلبه عليه قال له الهندي اني وان لم أكن بدأتك واخبرتك بما جئت له واياه تريد وانك تكتم أمرا تطلبه وتظهر غيره فما خفي على ذلك منك ولكني لرغبتي في اخائك كرهت ان أواجهك به وانه قد استبان ما تخفيه مني فاما اذ قد اظهرت ذلك وافصحت به وبالكلام فيه فاني مخبرك عن نفسك ومظهر لك سريرتك ومعلمك بحالك التي قدمت لها فانك قدمت بلادنا لتسلبنا كنوزنا النفيسة فتذهب بها الى بلادك وتسر بها ملكك وكان قدومك بالمكر والخديعة ولكني لما رأيت صبرك ومواظبتك على طلب حاجتك والتحفظ من ان يسقط

وتعرفهم بهذه المعرفه ولم تجربهم في قضيه ولا واقعة صعبة أو رخية وقد قيل

لا تمدحن امرأ حتى تجربه * ولا تذمنه من غير تجريب

وقد قيل أيضا

اذا رمت أن تصفي لنفسك صاحبا * فمن قبل أن تصفي له الود أغضبه

فان كان في وقت التغاضب راضيا * والا فقد جربته فتجنبه

(وقيل أيضا)

الناس أكيس من ان يمدحوا رجلا * مالم يروا عنده آثار احسان

واعلم ياذا اللطائف اني خائف أن يكون أصحابك وأصدقاؤك واحبابك مثل أصحاب الرئيس المدبر الخامل النفيس الذين رعوه في روضه وفره وتركوه في قفر فقره قال ابنه يا أبت كيف ورد ذلك وثبت قال التاجر ذكر رواة الاخبار أنه كان في بعض الامصار رجل رئيس كبير نفيس له أموال وافره وجهات متكاثره وأماكن عامره وضياع ومزدرعات وبساتين واقطاعات وعقار له ارتفاعات فكان ولده يمد يده الى كل معصية ومفسده ويجترئ ذلك السفيه على كل مايلوح له من جهات أبيه والتف عليه جماعه من عبيد البطن والمجاعه كأنهم طير قرلى ان رأى خيرا تدلى وان رأى شرا تعلى ومد يد الاسراف في التبذير والاتلاف وصار أبوه ينصحه ويردعه عن جوعه ويكبحه وقال له يابني استعمل الارتفاق في الانفاق واستخلص من الرفاق ذوي الاشفاق واعلم أن هذا المال هو لك مدخر ولتصرفك فيه منتظر وانما أنا لك خازن والله تعالى مجاز على فعالي من مساو ومحاسن وتيقن أن المال هو عزك في الدنيا وزادك الى الاخرى وأن له وجوها ومصارف وعوارف ومعارف فاذا صرف في غير محله ودفع الى غير أهله كان اثما ووبالا وفي الآخرة عذابا ونكالا واحق الناس المستحق لنزول الباس من اكتسب المال حلالا وبذره في الفساد يمينا وشمالا وادخر به اثما وخبالا فصرفه الى من لايحمده وعليه حسابه ونكده وأنت اذا صرفت مالك وزرعته في غير مواضعه زرعته وانفقته على من لايعرف فضيلتك ولايحمل جميلتك ولايشكر صنعك ولايقصد نفعك ولايحاب لك خيرا ولايكشف عنك ضيرا خرجت من عز الدنيا وفوتت زاد الاخرى وهؤلاء الذين قبالك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين ثمرة صحبتهم الندامة وعاقبة أمرهم الخيبه والملامه والبعد عنهم غنيمة وسلامه واذا كان الامر كذلك فاياك ياولدي ثم اياك من صحبة هؤلاء الاحداث والتلوث بقربهم فانهم اخباث واحتفظ بصون مالك ولاتنفقه الا على نفسك وعيالك وفيما يبقي ماء وجهك في حالك ومآلك ولازال أبوه قابض عنانه بقدر طاقته وامكانه يذكره هذه الوصيه بكرة وعشيه حتى أدركته المنيه وخلف ذلك المال العريض لذلك الولد المريض فمد يده كما كان الى كل مفسده ونسي يومه وغده وشرح في مناه متن اللهو وقرر بحديث من كتاب فقه الزهو باب الانجاس وسجود السهو واجتمع عليه قرناء السوء وحضروا وخلاله واهم الجوفباضوا في الفساد وصفروا وغابوا عن الرشاد وما حضروا وصاروا يعظمونه ويكرمونه ويحترمونه فاذا كذب صدقوه واذا ضرط سمتوه وشمتوه واذا نهق طربوا واذا اخطأ صوبوا واذا قعد قاموا واذا قام ناموا يفدونه بالمهج والارواح ويلازمون خدمته في المساء والصباح وكان له أم مدبره عاقلة مفكره فقالت له يابني لاتكن صبي وتذكر وصايا أبيك واياك ومن يليك وتأمل ما لديك واحفظ مالك وما عليك ودبر معاشك وصن ماء وجهك ورياشك واعلم ان أصحابك وعشراءك وأحبابك وندماءك ورفقاءك وأخصاءك وأصدقاءك كلهم عبيد البطن ولو رقأت بذي شيق أوحصن لا خير عندهم ولامير وجميعهم كسيرو ويرغبوا اياك وصحبة من لايتولاك لاتركن الى صداقتهم ولاتعتمد على موافقتهم فانهم في الرخاء يأكلونك وفي البلاء يتركونك والى مخالب القضاء يسلمونك رأس مال محبتهم مافي يديك واساس بنيان مودتهم مايرونه من النعماء عليك فان قلت والعياذ بالله فلوا وخذلوك في عقد النوائب مربوطا وانحلوا وأقبل الاقسام ياذا الاصل السام ان تجرب أصحابك وتختبر من يلازم بابك ويقبل بشفاه المودة أعتابك في شئ نابك أعجز عن حمله نابك من حوادث القضاء أوفي حالة من أحوال الغضب والرضاء أو السعة والضيق

منك الكلام مع طول مكثك عندنا بشئ يستدل به على سريرتك وامورك ازددت رغبة في اخائك وثقة بعقلك فأحببت مودتك فاني لم أر في الرجال رجلا هو أرصن منك عقلا ولا احسن ادبا ولا اصبر على طلب العلم ولا أكتم لسره منك ولاسيما في بلاد غربة ومملكة غير مملكتك وعند قوم لاتعرف سنتهم وان عقل الرجل ليبين في ثمان خصال الاولى منها الرفق والثانية ان يعرف الرجل نفسه فيحفظها والثالثة طاعة الملوك والتحري لما يرضيهم والرابعة معرفة الرجل موضع سره وكيف ينبغي ان يطلع عليه صديقه والخامسة ان يكون على ابواب الملوك اديبا ملق اللسان والسادسة ان يكون لسره وسر غيره حافظا والسابعة ان يكون على لسانه قادرا فلا يتكلم الا بما يأمن تبعته والثامنة ان كان بالمحفل لايتكلم الا بما يسئل عنه فمن اجتمعت فيه هذه الخصال كان هو الداعي الخير الى نفسه وهذه الخصال كلها قد اجتمعت فيك وبانت لي منك فالله تعالى يحفظك ويعينك على ما قدمت له فصادقتك اياي وان كانت لتسلبني كنزي وفخري وعلمي فانك أهل لان تسعف بحاجتك وتشفع بطلبتك وتعطى سؤلك فقال له برزويه اني قد كنت هيأت كلاما كثيرا وشعبت له شعوبا وأنشأت له أصولا وطرقا فلما انتهيت الى مابدأتني به من اطلاعك على أمري الذي قدمت له وأقبحه علي من ذات نفسك

والضيق أو التكذيب والتصديق فمن وجدته ناصحا صادقا أو مطاوعا مصادقا وفى كل الاحوال موافقا وفى الرخاء والشدة مرافقا يوثق به فى الغيبة والحضور وحالتى السرور والشرور يؤدى الامانه ويجتنب الخيانه ويغار على دينك وعرضك ويساعدك على اداء سنتك وفرضك فاركن اليه واعتمد فى أمورك عليه ومن وجدته منافقا وفى اخلاصه مماذقا ينسج شقة الوداد بوجهين ويتكلم كخائض المداد بلسانين فلا تقربه ولا تصحبه فان بعده غنيمه والخلاص منه نعمة جسيمه وانظر بعين الثبات ما فى هذه الابيات من حسن الصفات فمن كان بها متصفا فتمسك باذياله فانه من أهل الصفا وهى هذه

وقد قيل قول المرء يكشف عقله * ويبدى سجاياه وما كان يكتم
فهذا كلامى مظهر ما أكنه * وأكثر هذا الخلق عن عيبهم عموا
فمن شيمتى انى مطيع اصاحبى * وأصلح عن خصمى وان كنت أخصم
وأرضى لنفسى دون ماهو حقها * وألزمها الخل ماليس يلزم
اذا قال أصغى للمقال واننى * لاعلم منه بالمقال وأفهم
ولم أشك من خل اتى لاعلنى * ومن لى بخل لا يمل ويسأم
وأقطع فى بحثى وان كنت غالبا * واسكت حتى قيل ذا ليس يعلم
لابقى وداد الناس لى لا أضيعه * ومن لا يدارى الناس يرمى ويرغم
وفى كل ذا تقوى الاله شعائرى * ولا بد من لا يتقى الله يندم
ولا نقص فى عقلى وأسباب نعمتى * وانى وانى بالكمال مكرم
ولى همة يسمو الى الاوج قدرها * ولكن خمول المرء للدين أسلم
ووجه اعتقادى مثل عرضى أبيض * ودينى متين واعتمادى مقوم
وحسبى من دنياى قوت وخرقة * يبلغنى آثار من قد تقدموا
فهذى غرزات لدى واننى * لادعو الى هذى الخصال وأعزم

فأثر هذا الكلام فيه وتأمل ما تضمنته خاويه ثم أراد ان يجرب ملازميه ومن بروحه وجسده يفديه فقال يوما من الايام وقد اجتمعوا على منادمة المدام اتفق أمر عجيب وشأن غريب وهو أنه كان عندنا هاون فى زاويه تخزون زنته ربع قنطار أتى البارحة عليه الفار فقرضه وأكله وعمه بالاكل وشمله فلم يدرك من ذلك النحاس فى مكانه الا مافضل من برادة أضراسه وأسنانه فترشفت ثغور آذانهم منطقه واستحلى كؤسها كل منهم وصدقه وقالوا هذا وقع بغير شك لان الهاون كان فيه ودك والفار أسنانه باضعة وأضراسه لجين حوافيش بغداد قاطعه فلما رأى انهم وافقوه وصوبوا كلامه وصدقوه ازدادت فيهم محبته وقويت اليهم رغبته حيث رفعوا رتبه وستروا فى جيب مكنونهم عيبه وحققوا محاله وصدقوا مقاله فاسرع الى أمه مسرورا فرحا محبورا منشرحا وقال يا أماه انظرى كلام أصحابى واخبرى مقام أحبابى ذكرت لهم كلاما باطلا ومن حلية الصدق والامكان عاطلا فحققوه بلا مريه وأثبتوا حقيقته من غير فريه وصاغوا له من جواهر التوجيه أبهى حليه وذكر ما جرى لهم وله من الجنون والانبساط والوله فقالت له أمه يا ولدى ويا مهجة كبدى هذا أمر يضحك منه الجاهل ويبكى على حالك منه العاقل كما قيل

أمور تضحك السفهاء منها * ويخشى من عواقبها اللبيب

اعلم أيها الذاهل الغافل انك لست من أصحابك على طائل وهؤلاء اعداء فى صورة أوداء وهم فى التمثيل كما قيل اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

وتيقن ان هؤلاء فى النعمة خداعون وفى النقمة لذاعون وأنت شاب غرير وباعقاب الامور لست ببصير لا مارست الخلق ولا فرقت بين الصادق من ذوى الملق لا اخبرتهم ولا سبرتهم ولا دخلت مداخلهم ولا ميزت

ورغبتك فيما ألقيت من القول اكتفيت باليسير من الخطاب معك وعرفت الكبير من أمورى بالصغير من الكلام واقتصرت به معك على الايجاز ورأيت من اسعافك اياى بحاجتى مادلنى على كرمك وحسن وفائك فان الكلام اذا ألقى الى الفيلسوف والسر اذا استودع الى اللبيب الحافظ فقد حصن وبلغ به نهاية أمل صاحبه كما يحصن الشئ النفيس فى القلاع الحصينة قال له الهندى لا شئ أفضل من المودة ومن خلصت مودته كان أهلا أن يخالطه الرجل بنفسه ولا يدخر عنه شيأ ولا يكتمه سرا فان حافظ السر رأس الادب فاذا كان السر عند الامين الكتوم فقد احترز من التضييع مع انه خليق أن لا يتكلم به ولا يتم سر بين اثنين قد علماه وتفاوضاه فاذا تكلم بالسر اثنان فلابد من ثالث من جهة أحدهما أو من جهة الآخر فاذا صار الى الثلاثة فقد شاع وذاع حتى لا يستطيع صاحبه ان يجحده ويكابر عنه كالغيم اذا كان منقطعا فى السماء فقال قائل هذا غيم منقطع لا يقدر أحد على تكذيبه وأنا قد بداخلنى من مودتك ومخالطتك سرور ولا يعدله شئ وهذا الامر الذى تطلبه منى اعلم انه من الاسرار التى لا تكتم فلابد أن يفشو ويظهر حتى يتحدث به الناس فاذا فشا فقد سعيت فى هلاك هلا كالا اقدر على الفداء منه بالمال وان كثر لان ملكا فظا غليظا يعاقب على الذنب الصغير أشد العقاب فكيف مثل هذا الذنب

العظيم واذا جاءتني المودة التي بيني وبينك فاسعفتك بحاجتك لم يرد عقابه عن شئ قال برزويه ان العلماء قد مدحت
الصديق اذا كتم سر صديقه
وأعانه على الفوز وهذا
الامر الذي قدمت له لمثلك
ذخرته وبك ارجو بلوغه
وأنا واثق بكرم طباعك
ووفور عقلك واعلم أنك
لا تخشى مني ولا تخاف ان
أبديه بل تخشى أهل بيتك
الطائفين بك وبالملك أن
يسمعوا بك وأنا ارجو ان
لا يشيع شئ من هذا الامر
لاني انا ظاعن وأنت مقيم
وما أقمت فلا ثالث بيننا
فتعاهدا على هذا جميعا
فاجابه الهندي الى ذلك
الكتاب والى غيره من
الكتب فاكب على تفسيره
ونقله من اللسان الهندي
الى اللسان الفارسي
واتعب نفسه وانصب بدنه
ليلا ونهارا وهو مع ذلك
وجل وفزع من ملك الهند
خائف على نفسه من ان يذكر
الملك الكتاب في وقت ولا
يصادفه في خزانته فلما
فرغ من انتساخ الكتاب
وغيره مما أراده من سائر
الكتب كتب الى أنوشروان
يعلمه بذلك فلما وصل
اليه الكتاب سر بذلك سرورا
شديدا ثم تخوف معاجلة
المقادير أن تنغص عليه
فرحه فكتب الى برزويه يامره
بتعجيل القدوم فسار برزويه
متوجها نحو كسرى فلما
رأى الملك ما قد مسه من
الشحوب والتعب والنصب
قال له أيها العبد الناصح الذي يأكل ثمرة ما قد غرس ابشر وقر عينا فاني مشرفك ومبالغ بك أفضل درجة وأمره ان يريح بدنه . . فقد

خارجهم وداخلهم ان الصديق الصادق والرفيق الفائق من بصرك عيوبك وغفر لك بعد نصيحتك ذنوبك وأطلعك على حقائق الاشياء ونبهك على ما خفي من أمور الدنيا وأرشدك الى ما يزينك ويصلح به دنياك ودينك وأبكاك اذا نصحك لا من اضحكك وفضحك وأما الذي يدلس ويلبس ويوسوس ويهوس ويروج الباطل ويحلي العاطل فذلك ليس بصديق على التحقيق وانما هو عدو فلا يكن لك معه قرار ولا هدو فلم يلتفت الشاب الى هذا الخطاب حيث كان مصادما لغرضه غير شاف لعلته ومرضه وقال صدق من نطق وفاه بالكلام الحق من قال افشاء السر الى النساء فعل الاحمق ثم تركها وتغو واستمر هو مع اقرانه يلهو وداوم على تلك الحال حتى اذا دنت انفادها الاموال وبيع الرخيص والغالي فما استفاق من سكرته واستيقظ من رقدته الا والاموال قد ذهبت والديون قد ركبت وهو ينشد والى مذهبه يرشد

ليذهبوا في ملامي أينما ذهبوا * في الخمر لا فضة تبقى ولا ذهب

الى ان ذهبت السكرة وجاءت الفكرة ونفقت البيضاء والصفراء في الحمراء والخضراء وأصبح ملقى على الارض السوداء واتعس من فوق الغبراء وأفلس من تحت الزرقاء وتراجع عنه الاصحاب وعاداه الاصدقاء والاحباب ورجعوا عنه بعد ما شمتوا منه وصار ناديه يناديه

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وصارت محبتهم له تكلفا ورؤيتهم اياه تعسفا فاتفق له في بعض الايام ان قال في أثناء الكلام لذلك الجمع بعينه الذين كانوا أجمعوا على صدق مينه الفار الغدار أكل انا في الدار البارحة رغيفا كاملا فأتى على أكله شاملا فما أبقى منه لبابه ولا غادر من غدير وجوده صبابه فتنادوا المحال بالحال والكذب في الاقوال الفار الضعيف كيف يأكل الرغيف وهو عاجز نحيف وتناولوه بالطعن وتناوشوه بألسنة السب واللعن وزيفوا أقواله وسفهوا أفعاله وانما ذكرت هذا الكلام يا أعز غلام وأحسن من البدر التمام لتعلم ان أكثر من يدعي صدق الصحابة من ذوي المعارف والقرابة انما دعواه كذابة كسحاب صيف لا يديم انسكابه وان الشخص مع الناس الاوغاد والاكياس بمنزلة كوز الفقاع ان رأوا فيه حلاوة الانتفاع استلموه وبالايدي رفعوه وقبلوه ورشفوه واذا مصوا محصوله وفرغوه رموه وتركوه وتحت الاقدام طرحوه ثم قال التاجر لولده راحة روحه وجسده وان كان من صحبتهم وفي سفرك اكتسبتهم مثل هؤلاء الاصحاب فاياك ان تفتح لهم الباب وترفع بينك وبينهم الحجاب (فقال الولد) معاذ الله الواحد الاحد يا أبت عندي ثبت انهم بدور كرام وصدور عظام يقومون لقيامي وينصتون لكلامي ويجيبون ندائي ويؤمنون على دعائي وهم أخلاء في السراء والضراء (فقال أبوه) اعلم يا ابني وقرة عيني اني عمرت سبعين سنة وعاينت من الامور الخشنة والحسنة وبلوت الاصحاب وتلوت الاعداء والاحباب ورأيت الدنيا وأهلها وقلبت وعرها وسهلها ولم أترك من جنس بني آدم في أكناف الآفاق واطراف العالم من أمم العرب والعجم نوعا لم أخبره وصنفا لم أسبره فلم يصف لي على التحقيق غير صديق ونصف صديق فانت يا بني العزيز الغالي كيف قدرت بالتوالي في هذه المدة اليسيره على جمع هذه الطائفة الكثيره وها أنا يا امام أريك مصداق هذا الكلام وأطلعك من بين الاصحاب على ما لهم من مقام ثم عمد الى شاة فذبحها وبدمها في ثياب طرحها ثم دبجها وفي كفن ادرجها وقال لابنه قم يا ذا الارتقاء أرني هؤلاء الاصدقاء واحدا بعد واحد لتحقق غيب عيبهم بالشاهد وتعرف طرائقهم وتتبين حقائقهم ثم وضع الشاة في عدل واخفى كل هذا الفعل وحمل العدل على ظهر غلام وخرج ليلا والناس نيام وقصد أحد الاصحاب وطرق عليه الباب فخرج مسرعا اليه وترامى متواضعا بين يديه وأظهر البشر والسرور والابتهاج والحبور وبالغ في الاحتشام والاكرام والاحترام وشكر مساعي الاقدام ثم بادر الى دعوته للدخول وتعاطى انجاح ماله من سؤل ومامول فقال له الشاب يا زين الاصحاب وعين الاحباب دع الكلام لضيق المقام

فقد دهتني دهيه وعرتني بليه وأعظم بها من قضيه ويا لها من رزيه فقال ماهي وقيت الدواهي فقال كان بيني وبين واحد من أهل الشقاوة خصومه قديمة وأسباب عداوة اسمه معروف وذكره موصوف لشخص مفقود لم يكن له حقيقة في الوجود وهو من أكابر الزمان واحد الرؤساء والاعيان فتلاقينا في خلوه وتداعينا ما بيننا من جفوه وتنابشنا الاسباب وتهاوشنا باللعن والسباب وتناولنا في الشقاق شق الاعراق وتأذت القلوب من الاغراض بالامراض وتنقلنا من المكالمه الى المشاتمه ومن المواصمه للملاكمه وترقينا من الكفاح الى الجراح فثارت النفس المشؤمه الى ايقاع حركة ذميمه فضربته فجرحته وقتيلا طرحته ولم يشعر بنا أحد من أهل البادية والبلاد وندمت غاية الندم وأنى يفيد وقد زلت القدم وجرى قلم القضاء بما حكم ثم افتكرت بمن أستعين على هذا الامر اللعين وأدرت في خاطري كل مساعد ومعين فلم يمل القلب الا اليك ولا استقر الخاطر في ركونه الا عليك وقد قصدت جنابك ويممت بابك اذ أنت أعز مخدوم والسر عندك مكتوم وها هو مقتولا أتيتك به محمولا فاحفر لهذه الجثة حفيره واخفني عندك أياما يسيره الى أن تطفأ هذه النائرة وتسكن الفتنة الثائره وهذا وقت المروءه وزمان الفتوه والقيام بحق الصداقة والاخوه فلما سمع الصاحب الابق هذا الكلام القلق تضجر وتضرر وتنكد وتضور وقال يا أخي بيتي ضيق مع انه حجر مضيق لا يسع أولادي ولا زادي وعتادي واذا ضاق عن الاحياء فكيف بالاموات وهذه بلية من أوحش البليات وأظنها لا تخفى على الناس ويدركها أولو الفراسة والاغبياء فضلا عن الاكياس لان قضايا كم قبل اليوم مشهوره وبلغني ان عداوتكم قديمة مذكوره وفي التواريخ وصدور الكتب مسطوره ولكم وقعات ونوازل وله أيتام كأنهم الزغب الحوازل وأما أنا فلا يمكنني الدخول فيها ولا تعاطيها بوجه من الوجوه ولا تلافيها فاكفني شرها وانذهب الى غيرها واني اكتم سرها فلا تخف من جهتي شرها فألح عليه فما أفاد ورده غير ظافر بما أراد فلما أيس منه تركه وانتقل عنه ودار على سائر أصحابه وذكر لهم مثل الاول وخطابه فكان جواب الجميع مثل جوابه الى ان اتى على الجميع واستوفى شريفهم والوضيع ورأى ماهم عليه من طبع بديع كأنهم كانوا متواردين على شرب هذا الصنيع فعاد الى دار أبيه ورجع الى صحة بيان التنبيه فقال له يا بدر الفلك أحققت صدق ما قلت لك وتبينت ماهية أصدقائك وحقيقة أوليائك وانهم نقش حيطان ورقش غيطات وغمام بلا مطر وأكمام بلا زهر وأجام بلا ثمر (ثم قال) قم يا زين الاحباب أريك ما قلت لك من حقيقة الاصحاب ثم دخلا الطريق وقصدا نصف الصديق وطرقا الباب فخرج وتلقاهما بالترحاب فقال له ذلك المقال وقصدا بمعونته الخلاص من ذلك العقال فقال حبا وكرامه حللتما بمنزل السلامه انا بكم نشيط وأجلكم بي بسيط غير اني اعلمكم ان منزلي غير فسيح حتى ادفن فيه هذا الذبيح وليس لي مخبأة ولا مخدع ولا اسكن في مطاويه ولا مصنع وأخاف ان أمركم لا يختفي وبهذا المقدار في امركم لا كتفي ويدي لا تملك غيره وقد وقعت بهذا السبب في حيره وبالجملة والتفصيل أنا أكفيكما شر هذا القتيل فقالا لا نقنع بذلك ولكن سد عنا المسالك فقال توجها حيث شئتما فلا أنا سمعت ولا أنتما قلتما فتوجها الى الصديق الكامل وذكرا له الامر الحامل وقصدا بتلاقيه كرمه الشامل فقال لهما أوقى غير ذلك وقاكما الله شر المهالك فقالا لا الا دفن هذا المقتول واخفاء هذا الامر المهول وأن نكون تحت أذيالك الساتره حتى تسكن هذه الفتنة الثائره فان أهله يطلبونا فان وجدونا سلبونا ولا يرضون الا بالدمار وخراب الديار ولا يقنعون بالمال والعقار وهذه قضية عظيمه وداهية جسيمه فان كنت تنهض باطفائها وحمل أعبائها وتسعى في اخفائها فقد قصدناك ودون الاصحاب أردناك فان عجزت عن سدها فلا عتب عليك في ردها ولا تتكلف فوق طاقتك ولا تتجشم لاجلنا غير استطاعتك فقال سبحان الله واسوأتاه هذا يوم المروأة والوفاء وتذكر وسائل اخوان الصفاء ولكم الفضل اذ قصدتموني والجميلة التامة حيث أردتموني

سبعة أيام فلما كان اليوم السابع أمر الملك ان يجتمع اليه الامراء والعلماء فلما اجتمعوا أمر برزويه بالحضور فحضر ومعه الكتب ففتحها وقرأها على من حضر من أهل المملكة فلما سمعوا ما فيها من العلم فرحوا فرحا شديدا وشكروا الله على ما رزقهم ومدحوا برزويه واثنوا عليه وأمر الملك ان تفتح لبرزويه خزائن اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة وأمره ان يأخذ من الخزائن ما شاء من مال أو كسوة وقال يا برزويه اني قد أمرت ان تجلس على مثل سريري هذا وتلبس تاجا وتترأس على جميع الاشراف فسجد برزويه للملك ودعا له وطلب من الله وقال اكرم الله تعالى الملك كرامة الدنيا والآخرة وأحسن عني ثوابه وجزاءه فاني بحمد الله مستغن عن المال بما رزقني الله على يد الملك السعيد الجد العظيم الملك ولا حاجة لي بالمال لكن لما كلفني ذلك وعلمت انه يسره ان أمضي الى الخزائن فآخذ منها طالبا لرضانه وامتثالا لامره ثم قصد خزانة الثياب فأخذ منها تختا من طرائف خراسان من ملابس الملوك فلما قبض برزويه ما اختاره ورضيه من الثياب قال اكرم الله الملك ومد في عمره أبد الابدان الانسان اذا اكرم وجب عليه الشكر وان كان قد استوجبه تعبا ومشقة فقد كان نيه مارضاء الملك وأما أنا فما لقيته من عناء وتعب ومشقة لما اعلم ان لكم فيه الشرف يا أهل هذا البيت فاني لم أزل الى هذا اليوم تائبا راضيا كم أري العسير

أما والله لو كان ألف قتيل لوار يته وكل ما كان من أمر غيره جار يته ودار يته لا يسمع أبدا خبره ولا ترى عينه ولا أثره وأما أنتما فأفديكما بروحي وأولادي وطريفي وتلادي وعندي ديار أنزه من جنان الابرار وأفيح من كل دار فادخلوها بسلام آمنين فانها تشرح كل قلب حزين ولو أقمتم بها سنين ما شعر بكم أحد من العالمين فيها أرغب نديم وأقرب خديم وأحسن جليس وأعز أنيس فان تعلوا مقامها ولا تعدموا اكرامها فأنتم عند من لا يمل أبدا نزيله ولكم في ذلك الفضل والجميلة قال التاجر شكر الله سعيك وحفظ على أصحابك مودتك ورعيك ثم ودعه وانصرف وقد عرف الولد من حقيقة الامر ما عرف (ثم) قال لولده يا بني وأعز عندي من كل شي ان اتخذت الصديق فليكن صديقك على هذا الطريق والا فالانفراد أحسن والعزلة أوفق ان أمكن كما قيل

فاق حبي كل الملاح كمالا * هكذا هكذا والا فلالا

ولقد أرشد من أنشد حيث قال هذا المقال

ما في زمانك من ترجو مودته * ولا صديق اذا جار الزمان وفى

فعش فريدا ولا تركن الى أحد * اني نصحتك فيما قد جرى وكفى

(ثم ان الملك) قال لاولاده يا ذوي الافضال ان غالب أصحابي من الامراء والرؤساء الكبراء خصوصا فلان أمير ممالك خراسان هم من هذا القبيل وأنا عودتهم هذا الجميل فكونوا في الحقيقة متمسكين بأسباب هذه الطريقة (فلما) أكمل وصيته أولاده هيأ لسفره عتاده وذكر الله وزاده ثم ودعهم من دار الشرور وانتقل الى دار الحبور والسرور وقد عهد الى أكبر أولاده واستودعهم الله وهو القاهر فوق عباده من لا تضيع الودائع لديه ولا يخيب من توكل عليه فسمعوا الوصية وأطاعوا وتعلقوا باذيال أهدابها فما ضاعوا واستمر واتحت أمر أخيهم كما كانوا في حياة أبيهم كأن أباهم ما مات ولم يقع بينهم شتات فدام لهم السرور وانحسمت عنهم مواد الشرور وأشرقت بهم ممالكهم وأملاكهم ودارت بالسعود أفلاكهم (ثم) ان الحكيم حسيب انتقل من كلامه العجيب بعد فراغه من حكم ملك الاعجام الى فوائد ملك الاتراك الهمام فشنف المسامع وشرف كل راء وسامع وشرع في القال والقيل وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(الباب الثالث في حكم ملك الاتراك مع ختنه الزاهد شيخ النساك)

(قال) الشيخ أبو المحاسن حسان صاحب الحسن والمحاسن والاحسان ثم نهض الحكيم حسيب الاديب الاريب ووقف في مقام حده وقبل موطئ أخيه بشفاه خده وقال لقد بلغني أيها السلطان ان في قديم الزمان كان في الترك ملك يسمى خاقان من الملوك العادلين والسلاطين الفاضلين برسم العدل معروف وبقصم الجور موصوف كسر الاكاسره وقصر الاقاصره ونحر الجبابره وتغرغم الدعار النبالة القاهره ملك بلاد الختن والخطا واستولى على ممالك المغل والحنا وأطاع أوامره الترك والتتار واستسلم لرأيه سكان الدست والقفار وكان يأجوج من جملة خدمه ومأجوج من بعض عبيده وحشمه كأنه وارث لذرية يافث قوي في أخذ الملك من ممالك الصين وأخذ الى أطراف الشمال باليمين ولم يكن له من البنين والبنات مع كثرة السراري والزوجات سوى بنت واحده لطلعتها الاقمار شاهده

شمس ولا كالشمس عند زوالها * بدر ولا كالبدر في نقصانه

بل بهرت الشمس جمالا والبدر كمالا وفاقت ملاح الدنيا شمائل وخصالا وهي عزيزة في قلب أبيها كريمة على خواصها وذويها فصارت ملوك الاطراف يخطبونها ومن أبيها يطلبونها فكان أبوها يفوض الامر اليها ويعتمد في تزويجها عليها وهي لا ترغب في طالب ولا تصغي لخطبة خاطب الى ان عنست وخطابها أيست وكان أبوها كما ذكر ذا فطنة بالغه وهيبة دامغه نخشى حوادث الزمان واختلى بها في مكان وقال

فيه يسيرا والشاق هينا والنصب والاذى سرورا ولذة لما اعلم ان لكم فيه رضا وقربة عندكم ولكني اسألك أيها الملك حاجة تسعفني بها وتعطيني فيها سؤلي فان حاجتي يسيرة وفي قضائها فائدة كثيرة قال أنوشروان قل فكل حاجة لك قبلنا مقضية فانك عندنا عظيم ولو طلبت مشاركتنا في مملكة الهلنا ولم نرد طلبتك فكيف ما سوى ذلك فقل ولا تحتشم فان الامور كلها مبذولة لك قال برزويه أيها الملك لا تنظر الى عنائي في رضاك وانكماشي في طاعتك فانما أنا عبدك يلزمني بذل مهجتي في رضاك ولو لم تجزني لم يكن ذلك عندي عظيما ولا واجبا على الملك ولكن لكرمه وشرف منصبه عمد الى مجازاتي وخصني وأهل بيتي بعلو المرتبة ورفع الدرجة حتى لو قدر أن يجمع لنا بين شرف الدنيا والآخرة لفعل فجزاه الله عنا أفضل الجزاء قال أنوشروان اذكر حاجتك فعلي ما يسرك فقال برزويه حاجتي ان يأمر الملك أعلاه الله تعالى وزيره بزرجمهر ابن البختكان ويقسم عليه ان يعمل فكره ويجمع رأيه ويجهد طاقته ويفرغ قلبه في نظام تأليف كلام متقن محكم ويجعله بابا يذكر فيه أمري ويصف حالي ولا يدع من المبالغة في ذلك أقصى ما يقدر عليه ويأمره اذا استتم أن يجعله أول الابواب التي تقرأ قبل باب الاسد والثور فان الملك اذا فعل ذلك فقد بلغ بي وبأهلي غاية الشرف وأعلى المراتب وأبقى لنا ما لا يزال ذكره باقيا على

اعلمي يامعدن اللطاف ان البنت في منزل أبيها كالماء الواقف ان مكث أسن وان لم يستعمل انتن ولا أقول ذلك ملالا ولا عجزا ولا استثقالا بل لابد للمرأة من زوج يلمها فيسترها ويضمها ونعم الختن القبر واحلى من البنت الصبر فان رأيت الرغبة في الزواج طلبت لك كفؤا من الازواج وكان ذلك استر لعرضك وأدنى لاقامة سنتك وفرضك وافرغ لخاطر أبيك واشرح لخدمتك وذويك فقالت أحسن الله الرحمن الى مولانا الخاقان وكفاه كل جان من الانس والجان ان البنين من جملة النعم والبنات من اعداد النقم ونعم الدنيا عليها الحساب ونقمها اسباب الاجر والثواب قال رب الارباب فيما أنزله من الخطاب في محكم الكتاب المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا وقد جاء في بعض التفاسير ان الباقيات الصالحات هي البنات فمولانا الملك بعد وجودي نقمة عليه من معبودي واسأل الصدقات الملوكيه والمراحم الوالديه ان لا يعجل في أمر تزويجي وان لا يبادر كيفما اتفق الى تزويجي فان التأمل في ذلك أولى وثناء في الدنيا وثواب في الاخرى وذلك لان الكفاءة في الزواج معتبره وقد قرر ذلك الفقهاء البرره وان لم يكن الزوج للمرأة كفؤا فزواجها به يقع سخرية وهزؤا ولا يفيد سوى الغرامه والفضيحة والندامه فقال الملك لا أزوجك الا بكفء كريم يكون لك أدنى خديم وفي الناس أعلى مقام عظيم قالت يامولانا الملك وقاك الله شر المتهمك لا تحمل اعتراضي على الاساءه وانما اسأل عن كيفية الكفاءه فان كانت بالملك والمال فان ذلك في معرض الزوال وان كانت بانتساب الانساب فان ذلك خطأ الاصواب قال منزل الكتاب العزيز الوهاب فاذا نفخ في الصور فلا انساب وقال من لا يعجز عليه كذبه من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه وانما الفقهاء حكموا بالظاهر والله يتولى السرائر ونحن في قيد الانقياد ولا يسعنا الا ما أمر به الشرع وأراد واما انا فكفئي الكريم انما هو الكامل الحليم الفاضل الرحيم قال الملك بارك الله في رأيك وعقلك انا لا ازوجك الا بملك مثلك أو ابن ملك مثل أبيك يرعاك ويكرم خدمك وذويك يعدل بالسويه ويحكم على سائر الرعيه قالت أيها الملك الكبير صاحب التاج والسرير انما اعرف الملك الامين يعرف بملك الحكم على نفسه في سيره ويكون متمكنا من الحكم على غيره فيحق ان يقال في ملكه ذي الجلال خلد الله سلطانه وشيد أركان ملكه وبنيانه قال الملك ومن هو ذاك بارك الله فيك وهداك قالت أما الحاكم على نفسه فهو المالك ازمام جوارحه وحسه قد جعل خزائن القلب والسمع معدنا لجواهر العقل والشرع فيما اقتضاه العقل امضاه وعمل بمقتضاه وما ارتضاه الشرع وقضاه كان فيه انقياده ورضاه قد تحلى بعقود مكارم الاخلاق ولو كان في أسمال أخلاق وشغل نفسه بتهذيبها واجتهد في خلاصها من شرك عيوبها واهتم بعيوبه عن بعيده وقريبه وبغيضه وحبيبه فذلك الحاكم على نفسه المميز على أبناء جنسه وأما حكمه على غيره فهو أن يكون في سلوكه وسيره منعزلا عن الناس في زوايا الباس لا يسأل عن أحوالهم وعيوبهم ولا ينظر الى ما تحت أيديهم وجيوبهم مالكا لزمام العزله متنعما بهذه النعمة الجزله قد اتخذ التقوى والقناعه أحسن حرفة وأربح بضاعه قد سلم الناس من يده ولسانه لا يدري بشانهم ولا يدرون بشانه فذلك الحاكم على غيره الفائز من ملك الدارين بخيره فهو الذي خلد ملكه وسلطانه واتضح للعالمين برهانه فان وجد بهذه الصفات موافي فانه لي كفء مكافي وانه كالبدر جلي نقي الصدر لله ولي فاذا أنعم الزمان بمثل هذا مثلا فنعم نعم والا فلا لا فجعل ملك الختن يتطلب مثل هذا الختن وأرسل القصاد الى أطراف البلاد يسالون سكان الاكناف وقطان الاطراف عن موصوف بهذه الاوصاف واستمروا على ذلك مده كل باذل جهده حتى أرشدوا بعد زمان أن المكان الفلاني فيه فلان رجل أعرض عن العرض فلم يكن له في الدنيا غرض وهو بحسن الصفات موصوف وفي كرخ العبادة والاجتهاد معروف جامع لهذه الصفات ليس له الى الدنيا وأهلها التفات مشغول باكتساب الآخره وطالب نعمتها الفاخره وهو من نسل الملوك وقد ترك وراءهم السلوك وسلك في العلم والعمل

الآيد حيثما قرئ هذا الكتاب فلما سمع كسرى أنوشروان والعظماء مقالته وماسمت اليه نفسه من محبة ابقاء الذكر
واستحسنوا طلبته واختياره
قال كسرى حبا وكرامة
لك يابرزويه انك لاهل أن
تسعف بحاجتك فاأقل
ماقنعت به وأيسره عندنا
وان كان خطره عندك
عظيما ثم أقبل أنوشروان
على وزيره بزرجمهر فقال
له قد عرفت مناصحة برزويه
لنا وتجشمه المخاوف والمهالك
فيما يقربه منا واتعابه بدنه
فيما يسرنا وما أتى به الينا
من المعروف وما أفادنا الله
على يديه من الحكمة
والادب الباقي لنا فخره وما
عرضنا عليه من خزائننا
لنجزيه بذلك على ما كان منه
فلم تمل نفسه الى شئ من ذلك
وكان بغيته وطلبته منا أمرا
يسيرا رآه هو الثواب مناله
والكرامة الجليلة عنده فاني
أحب ان تتكلم في ذلك
وتسعفه بحاجته وطلبته
واعلم ان ذلك مما يسرني ولا
تدع شيأ من الاجتهاد
والمبالغة الابلغته وان
نالتك فيه مشقة وهو ان
تكتب بابا مضارعا لتلك
الابواب التي في الكتاب
وتذكر فيه فضل برزويه
وكيف كان ابتداء أمره
وشانه وتنسبه اليه والى
حسبه وصناعته وتذكر
فيه بعثته الى بلاد الهند في
حاجتنا وما أفادنا على يديه من
هناك وشرفنا به وفضلنا على
غيرنا وكيف كان حال
برزويه وقدومه من بلاد الهند فقل ما تقدر عليه من التقريظ والاطناب في مدحه وبالغ في ذلك أفضل المبالغة واجتهد في ذلك اجتهادا

السبيل الاقوم حتى كأنه محمد بن الحسن أو ابراهيم بن أدهم ولشدة ماهو لنفسه مجاهد سماه الناس الملك الزاهد فاجمع الخاقان على مصاهرته وجعل التقرب اليه قربة لآخرته فاخبر ابنته به وكان جل مطالوبها ومطالوبه وعقد بينهم النكاح وحصل الفلاح والصلاح فوافق شن طبقه وصار لعين مرامها كالحدقة ومضى على ذلك برهة وهما في طيب عيش وتزهه فاشتاق الخاقان في بعض الازمان الى رؤية ابنته وسرور مهجته فقام لدارها بقصد مزارها لينظر حالها وما عليها ومالها فوجدها في عيش هني وأمر سني فسألها عن أحوال زوجها الزاهد وكيف صبرها على حالها الجاهد فاثنت خيرا وكفت ضرا وضيرا وقالت جميع ما يبرزه ويأتيه على حسب ما أريده وأرتضيه وارتفاعات أحوالنا بسعادة مولانا في دفاتر الامن منضبطه وعقود حياتنا بيمين صدقاته في نحو الرفاهية غير منفرطه غير ان بيتنا واحد وبسبب ذلك يتضرر هذا العابد فيه نبيت وفيه نقيل وبجوانبه ما نامن خفيف وثقيل وقوت ونقود وخادم ومولود فلا يتفرغ من الغوغاء للعباده لانها تستدعي عزلة العابد وانفراده وتخليه للمناجاة معبوده ليظفر من حلاوة الطاعة بمقصوده فاسأل مولانا الخاقان ذا الفضل والاحسان بيتا يتخلى فيه للعباده ومكانا اضع فيه خرثي البيت وعتاده فقال حبا وكرامه وقربا وسلامه (ثم) اجتمع الملك بصهره الذي به فاخر وذكر له انه أعطاه بيتا آخر أحدهما يكون لخلوته ومبيته والآخر يضع فيه ما يحتاجه من عتاده وقوته فقال الزاهد أيها الملك الماجد فعلت ذلك التقسيم خاطري وتوزع فكري ومراتري ولا طاقة لي أن أتعلق بمكانين وما جعل الله لرجل من قلبين وانما الزاهد من همه في الدنيا واحد فانه على عدد التعلقات يتوزع القلب الشتات واذا تعددت الاماكن يحتاج كل منها الى ساكن أو حافظ أو ضابط أو حارس أو رابط وأنا لا اعتماد لي بحفظ نفسي أيها الولي فكيف يكون لي اقتدار على حفظ الاغيار واذا انقسمت أفكاري وفسد بالي فكيف أقدر على صلاح حالي وأنى يصلح مع فسادي أموري معاشي ومعادي ثم اني اذا وزعت نفسي فقد نهبت راقد حرصي والحرص افعى قاتل وأسد صائل يقتلني بسهمه بل بمجرد شمه فقال الملك الكبير لا تهتم لذلك أيها الزاهد الخطير فان لي أماكن عديده وقصورا مشيده وحواصل مصونه وخزائن مكنونه الكل تحت تصرفك واختيارك لا منازع لك فيه ولا مشارك فاجعل لكل جنس من قماشك واثاثك وريا شك وما يقوم باودك ومعاشك مكانا على حده وناحية حفظ منفرده واتخذ لنفسك مقاما خاصا بك لا عاما وأنا أقيم على كل مكان حارسا ان شئت راجلا وان شئت فارسا فعند احتياجك الى شي أتاك هنا ميسرا من غير كد ولا عي وتفرغ أنت لعبادتك واشتغالك بامور آخرتك (قال) الزاهد أيها الملك الجاهد الاغترار بالقصور من جملة القصور والاعتماد على الحصون من دواعي الجنون واذا ورد من الملك الغفور طلب على يد القبور فماذا تجدي الدور والقصور وماذا تنفع الحصون أو يدفع كل مكان مصون واذا آذن بالجلول ذلك الخطب المهول تود النفس لو كانت القصور والمهود والبروج المشيده اذل من أفحوص قطاه وأقل من عطش بزاه وقد قيل

قميص من القطن أو حلة * وشربة ماء قراح وقوت
ينال بها المرء ما يرتجي * وهذا كثير على من يموت

واعلم أيها الخاقان ان النفس لها خادمان مطيعان محبيان ولما تأمر به سميعان وهما الشهوة والحرص الشديد الدعوه أما الشهوة فرائد الاكل الكثير والشرب وأما الحرص فعايد الرعونة والعجب وقد قيل

فهذا يقود الى طبعه * وهذا يسوق الى ربعه

فيهما الليل والنهار وسراو جهارا يزينان لها ما طبعا عليه ويجذبانها الى ما جبلا اليه ويتقاضيانها حقهما ويطالبانها مستحقهما ولابد للمخدوم من اقامة أود خادمه واسترضاء أنيسه ومنادمه وقد قال من أتقن المقال

ان اللبيب أخا اللبيب هو الذي * مع تيهه يحنو على عشاقه

يكون غرض هذا الكتاب الذي ينسب الى برزويه أفضل من أغراض تلك الابواب عند الخاص والعام وأشد مشاكلة بحال هذا العلم فانك أسعد الناس كلهم بذلك لانفرادك بهذا الكتاب واجعله أول الابواب فاذا أنت عملته ووضعته في موضعه أعلمني لأجمع أهل المملكة وتقرأه عليهم فيظهر فضلك واجتهادك في محبتنا فيكون لك بذلك فخر فلما سمع برزجهر مقالة الملك خر له ساجدا وقال ادام الله لك أيها الملك البقاء وبلغك أفضل منازل الصالحين في الآخرة والاولى لقد شرفتني بذلك شرفا باقيا الى الابد ثم خرج برزجهر من عند الملك فوصف برزويه من أول يوم دفعه أبواه الى المعلم ومضيه الى بلاد الهند في طلب العقاقير والادويه وكيف تعلم خطوطهم ولغتهم والى ان بعثه انوشروان الى الهند في طلب الكتاب ولم يدع من فضائل برزويه وحكمته وخلائقه ومذهبه امرا الا وسقه وأتى به باجود ما يكون من الشرح ثم أعلم الملك بفراغه منه فجمع أنوشروان أشراف قومه وأهل مملكته وأدخلهم اليه وامر برزجهر بقراءة الكتاب وبرزويه قائم الى جانب برزجهر

وكذا الرئيس وأنت أكبر جنسه * من فاض في الخدام من أرزاقه
يهتم ان حضروا له بنواله * يغتم ان غابوا على أشواقه
مع ان حشمته وفائض علمه * ترقى بكل منتهى استحقاقه

ولكن رضا هذين الخادمين غاية لا تدرك وفقد مقصوديهما نهاية عميقة المسالك وقد قال سيد الانام عليه الصلاة والسلام يوما وهو بين الاصحاب كالشمس ليس دونها حجاب والبدر لا يحجبه سحاب لا يملأ جوف ابن آدم الا التراب والحرص مهلك والشهوة قاتله وكل منهما في الدمار والبوار علة كامله وناهيك يا ذخر الحق وغياثه اخبار اللصوص الثلاثة فطالب الملك من الزاهد ايضاح هذا الشاهد (فقال) ذكر أهل الروايه أن لصوصا ثلاثة كانوا على سبيل الاشتراك متعاطين اسباب التحرم والهلاك واستمروا على ذلك مده حتى استولوا من الاموال على عده ففي بعض الليال ظفروا بجملة من الاموال ودخلوا الى مكان داثر خال بنية الاقتسام وكانوا محتاجين الى الطعام فوجدوا في ذلك المكان الداثر صندوقا مملوأ من الجواهر ففرحوا وانشرحوا وتصوروا لاولئك الخاسرين انهم ربحوا فقالوا ان اشتغلنا بقسمة هذا المجموع كابدنا وأهلكنا كلب الجوع فالاولى طلب الطعام قبل الاقتسام ولو بادنى التهام و يسير التقام ثم أرسلوا واحدهم الى المدينة ورفقهم ليأتيهم بما يسد رمقهم فلما انفصل عن مكانهما وغاب عن أعينهما تحركت نفسه الخبيثه بشهوة أججت تأريثه وقواها الحرص المشوم لشدة الشره الملوم ودعاه داعي الفساد الى الاستيلاء على المال بالانفراد فعزم على ختلهما فوضع في الطعام سما لقتلهما وأما هما فعلى قتله عزما واستعدا لذلك بعد ما جزما ليصير المال بينهما نصفين و يصيرا في ذلك كالاخوين الالفين و يكون ذلك كانه وراثة لان شر الرفقاء ثلاثة ولم يدعهما الى ذلك غير داعي الشهوه وأكد ذلك داعي الحرص وأبخس بهما من دعوه فلما فصل ذلك بالاكل بادرا اليه بالقتل ثم بعد ما قتلاه عمدا الى الطعام فأكلاه فبردا في الحال وتركا ذلك المال ولحقا بصاحبهما التالف وسيبا تليد المال والطارف وانما أوردت هذه الموعظة لانها على أحوال الدهر موقظه وان كان مولانا الخاقان في أموره متيقظا لكن قد قال رب العالمين وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين واعلم يا مولانا الخاقان كفاك الله مكايد الشيطان وأنجح مقاصدك على ممر الزمان أن الدرجة العليه والمرتبة السنيه لا تنال بقوة ولا عزمه ولا شجاعة ولا همة وانما هي عناية ربانيه وأسرار رحمانية لاقوام سبقت لهم من الله الحسنى وزياده وانتظموا في سلك أهل السعاده فهم أهل الفضل والسياده اسبغ الله عليهم سواطع الانوار وقطعهم عن قواطع الاشرار فهم السادة الاخيار والقادة الابرار قاموا بأداء ما وجب عليهم وتركوا ما خلفهم واستبشروا بما اليهم فأنوارهم ساطعه وأسرارهم لجميع الاوهام قاطعه تركوا زخارف هذه الدار وأرادوا دار القرار وجوار الملك الغفار فهم الهداة الى الله الدالون على الله لا يعتريهم كدر الاوهام ولا يشتغلون عن خدمة خالقهم مدى الايام هم العباد المكرمون العباد المقربون قال الله تعالى وهو أصدق القائلين في كتابه المكنون ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون واعلم أن اعدى عدوك بين جنبيك وهي نفسك التي قط ما ركنت اليك فاعص هواها ولا تعطها مناها فان في اتباعها الندم عاجلا والحسرة آجلا لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع ولا تظن أنها اذا أعطيت مناها شكرت أو اذا ذكرتها من برها ذكرت بل متى أمنتها كفرت أو آنستها نفرت أو أرخيت عنانها بطرت وأشرت وان نالت مطلبا أو تناولت مأربا انتقلت عنه وطلبت أعلى منه فليس لها دواء الا القمع عن دواعي الهوى كما قيل

النفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

وكما قيل أيضا

وما النفس الا حيث يجعلها الفتى * فان أهملت تاقت والا تسلت

وكما قيل أيضا

قنع النفس بالقليل والا * طلبت منك فوق ما يرضيها

من حضره على بزرجمهر وشكره ومدحه وأمر له الملك بمال جزيل وكسوة وحلى وأوان فلم يقبل من ذلك شيئا غير كسوة كانت من ثياب الملوك ثم شكر له ذلك برزويه وقبل رأسه ويده واقبل برزويه على الملك وقال أدام الله لك الملك والسعادة فقد بلغت بي وبأهلي غاية الشرف بما أمرت بزرجمهر من صنعة الكتاب في أمري وابقاء ذكري

(باب غرض الكتاب)

(ترجمة عبد الله بن المقفع)

هذا كتاب كليله ودمنه وهو مما وضعته علماء الهند من الامثال والاحاديث التي الهموا ان يدخلوا فيها ابلغ ما وجدوا من القول في النحو الذي أرادوا ولم تزل العلماء من أهل كل ملة يلتمسون ان يعقل عنهم ويحتالون في ذلك بصنوف الحيل ويبتغون اخراج ما عندهم من العلل حتى كان من تلك العلل وضع هذا الكتاب على افواه البهائم والطير فاجتمع لهم بذلك خلال أما هم فوجدوا منصرفا في القول وشعوبا يأخذون منها واما الكتاب فجمع حكمة ولهوا فاختاره الحكماء لحكمته والسفهاء للهوه والمتعلم من الاحداث ناشط في حفظ ما صار اليه من أمر يربط في صدره ولا يدري ما هو بل يعرف انه قد ظفر من ذلك بمكتوب مرقوم وكان كالرجل الذي لما استكمل الرجوليه وجد أبويه قد كنزا له كنوزا وعقدا له عقودا استغنى بها عن الكدح فيما يعمله من أمر

وإياك وطول الامل فانه مفسدة للعلم والعمل قال الحكماء وعقلاء العلماء الامل شبكة الشيطان وموجب الحرمان فاجهد ما دام لك على النفس ملكه أن تخلص نفسك من هذه الشبكه ولا تهتم للاقوات فكل ما قسم ما فيه فوات وكل ما هو آت آت وكل ما رقمه القلم في القدم واثبته قضاء الله تعالى عليك وأنت في العدم سواء كان خيرا ام شرا نفعا أم ضرا فأنت ملاقيه وعلى كل حال موافيه فاقطع دواعي الطمع عمن لا يضر ولا ينفع لا عمن أن شاء ضر وان شاء نفع ولا تجمع الاملاك في الجماعات والجمع ولا تتعب لجوع وعري واكتساء وشبع فقد قيل اذا شبعت فلا تهتم للجوع فكم من شبعان مات قبل أن يجوع واذا اكتسيت فلا تهتم للعريه فكم من مكتس مات وثيابه جديدة مطويه واعلم أن طبع الدنيا بالمخالفه كأنها على المخالفة مخالفه فاذا ضربت عنها يدك اليك أقبلت عليك وجاءت تهوي تحت قدميك واذا طلبتها هربت منك وكلما ارتبطت اليها انحلت عنك وقد قيل أيها الملك الجليل

مثل الرزق الذي تطلبه * مثل الظل الذي يمشي معك
أنت لا تدركه مستعجلا * واذا وليت عنه تبعك

ثم اعلم أيها الخاقان انك وان كنت ذا التصرف والسلطان وأن هذه الخلائق رعيتك نافذة فيها أمراسيمها مثلك الا انك في الحقيقة واحد منهم لا تزيد بشيء في الذات والصفات عنهم ولكن الله القديم العالم الحكيم سلطان السلاطين بل خالق الاولين والآخرين رفعك عليهم وتقدم بأمره أن يطيعوك اليهم فقال من له الخلق والامر أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر فهم قد أذعنوا لك وأطاعوك فراعهم كما هم راعوك واطلب لهم اسنى المراعي وأبهاها وأوردهم أعذب المشارب وأصفاها فان الملك الذي سلمهم اليك سوف يتقدم بالسؤال عنهم اليك وقد قال من أنت خليفته على أمته كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته فكن لهم كما تريد أن يكونوا لك ودن لهم كما تحب أن يدينوا لك واعلم أيها الملك الودود أن هذه النقود ان لم تصرف في مصارفها وتبذل في وجوه الطاعة في مطارفها فانما يجر يضرم في نار جهنم كما قال من يقول للشيء كن فيكون يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون فاسمع أيها الملك الصالح نصيحة مشفق ناصح ولا تغتر بالدنيا وزهرتها ولا تنظر الى حلاوتها وخضرتها وإياك والميل الى نزهتها ونضرتها فانك ان ملت اليها أسرتك أو جبرتها على الركون اليها كسرتك وحسبك من كلام الرب الغفور ومن بيده مقاليد الامور ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور (قال) الراوي لهذه الحكم والفتاوى فلما وعى ما قال الختن هذه الصائح الصادقة من الختن أمر بها فسطرت ثم نشرت وشهرت وعلى المنابر قرئت وعلى رؤس الاشهاد ذكرت وأبلغها ابنته وقرر لها مقدار زوجها وحكمته وميله عن الدنيا ورغبته فقالت هذا الذي كنت أردته وعلى مسامع مولانا الخاقان سردته ثم انها أقبلت على طاعة ربها وبعلها واصلاح أحوالها في قولها وفعلها وقضيا عمرهما في أنواع العباده واكتسبا بطاعتهما في الدارين الحسنى وزياده ثم اقتدى بهما الملك وعسكره حتى انتشر في آفاق المملكة بالعدل والصلاح خبره الى أن اندرج الى رحمة الله تعالى ذلك الرعيل وبقي ذكره مخلدا على صفحات الايام جيلا بعد جيل وقد قيل في ذلك من أحسن القيل

كانوا شموسا تضيء الدهر طلعتهم * وفي طريق المعالي يقتدى بهم
غابت فلولا سناهم كالبدر واضحا * من بعدهم تاه أهل الفضل في الظلم

هكذا يكون طالب السعادة الابديه والكرامة السرمديه اذا ملكه الله زمام الرعيه يحسن سيره في الدنيا ويتيقظ لتحصيل السعادة الكبرى ويشتغل بما يرضى عنه المولى وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم *(تمت بحمد الله تعالى)* نوادر ملوك العرب والعجم والاتراك ويلي ذلك مباحث زاهد الانس العالم مع شيطان الجن الآثم الافاك ونسأل الله المسؤل أن يحقق لنا من كرمه واحسانه المأمول

ويعصمنا

معيشته فأغناه ما أشرف عليه من الحكمة عن الحاجة الى غيرها من وجوه الادب وينبغي لمن قرأ هذا الكتاب أن يعرف الوجوه التي وضعت له والى أي غاية جرى مؤلفه فيه عند ما نسبه الى البهائم وأضافه الى غير مفصح وغير ذلك من الاوضاع التي جعلها امثالا فان قارئه متى لم يفعل ذلك لم يدر ما أريد بتلك المعاني ولاي ثمرة يجتني منها ولاي نتيجة تحصل له من مقدمات ما تضمنه هذا الكتاب وانه وان كان غايته استتمام قراءته الى آخره دون معرفة ما يقرأ منه لم يعد عليه شيء يرجع اليه نفعه ومن استكثر من جمع العلوم وقراءة الكتب من غير اعمال الرويه فيما يقرؤه كان خليقا أن لا يصيبه الا ما أصاب الرجل الذي زعمت العلماء أنه اجتاز ببعض المفاوز فظهر له موضع آثار الكنوز فجعل يحفر ويطلب فوقع على شيء من عين وورق فقال في نفسه ان أنا أخذت في نقل هذا المال قليلا قليلا طال علي وقطعني الاشتغال بنقله واحرازه عن اللذة بما أصبت منه ولكن سأستأجر أقواما يحملونه الى منزلي وأكون أنا آخرهم ولا يكون بقي وراءي شيء يشغل فكري بنقله وأكون قد استظهرت لنفسي في اراحة بدني عن الكد بيسير أجرة أعطيها لهم ثم جاء بالحمالين فجعل يحمل كل واحد منهم ما يطيق فينطلق به الى منزله فيفوز به حتى اذا لم يبق من الكنز شيء انطلق خلفهم الى منزله فلم يجد فيه من المال شيئا

و يعصمنا بفضله من عثرات الفضول والصلاة والسلام على أعظم نبي وأكرم رسول وعلى آله وأصحابه وأكرم بالصديق والفاروق وذى النورين وزوج البتول واخوانه من الانبياء والمرسلين صلاة وسلاما يشتملان العفو عنا والقبول ويمن بالكرم والفضل على قطوعنا بالوصول آمين والحمد لله رب العالمين

(الباب الرابع فى مباحث عالم الانسان مع العفريت جان الجان)

(قال) الشيخ أبو المحاسن من ماء ينابيع علمه فى مجارى بدن الفضل غير آسن فلما انتهى الحكيم حسيب ذو الفضل النسيب حكاية ما طرزه مما نسجه وحاك وفصله خياط تقديره على قامة المجد من خلع حكم العرب والعجم والاتراك شكره أخو الفيل على هذا القيل وأفاض عليه من نيل نواله جزيل النيل وأدرك من ذلك الانموذج علو علمه وسمو حلمه وجميل حكمه وجليل حكمه ثم قال يا أستاذ بلغنى أن ببغداد خرج منها خارج من نار من مارج وهبط الى مدارك الخزى عن المعارج وأصل ذلك المشوم من عفريت خلق من نار السموم وان شخص ذلك الشيطان جبل من سخام الدخان فاهذا ركب وجهه السواد وتركب سائر جسده من الرماد فهو جنى ذميم وشيطان رجيم وقد شرع ذلك الخناس فى الافساد والوسواس وتعاطى ايذاء أكابر الناس وانه فى هذه الايام نفى الى بلاد الشام فلم يوافقه ذلك المقام لانه مهاجر الانبياء الكرام وهذا مجبول على سجايا اللئام وطباع أهل الفساد والاجرام فأقام فيها بالاضطرار والاضطرام مدة أشهر وعدة أعوام وأخذ فى الاضلال والتضليل فاضل خلقا كثيرا عن سواء السبيل وتستر ذلك الجان بجلباب الانتساب الى جنس الانسان ولبس بشق العصا ثوب العصيان فكمن كمون الشوك تحت ورق الورد والريحان واحتمى فى حمى الشقاق والنفاق بشقائق النعمان والحق انه من نسل العفاريت وكان عند الجن مقيله والمبيت ومن ألبانهم له غذاء وتربيت فقال له الملك هديت ووقيت فان يكن عندك من ذلك شئ فشنف من جواهر حكمه أذنى فانك حكيم الجن والانس وكريم النوع والجنس (قال الحكيم) نعم أيها الملك العظيم أنا جهينة الاخبار ومزينة الاخيار وحكيم الحكم ولى فى البيان اعلى علم أما هذا الشخص المذكور فانه بالفسق والفساد مشهور وورق شره فى البلاد منشور وكتاب عناده بين العباد مسطور وبيت حسده لنعم الله تعالى على خلص أوليائه بالفجور معمور وله صفات تعيسه وأخلاق خسيسه تأنف مردة الشياطين منها وتستنكف العفاريت عنها وكم له من دواهى شرها غير متناهى لا يفى بذكرها هذا الخطاب ولا يسع سردها هذا الكتاب بل ولا يقوم بذلك دفتر ولا حساب ولكن البعرة تدل على البعير فقس من هذا التقدير الكثير على اليسير وقد كان أراد نشر الفساد ببلاد العراق وبغداد فعاكسه القدر وأحاد فنفى من تلك البلاد فوصل ارم ذات العماد وتعاطى أسباب ما هو عليه من الزندقة والالحاد فاثار أصناف الفتن وأنواع العناد وابتدع من الشر والبدع ما يخرج عن حصر التعداد وهو على ما هو عليه من المناكدة والمجاحده وقصده الاعوج من تعديل أقوال الرافضة والملاحده وسيوضع لذلك مصنف متسع على حده ولقد بلغنى أيها الملك الهمام أنه حصل له فى ذلك المقام مع عالم من علمائها الاعلام قضايا كبته على خيشومه وأظهر بها ذلك العالم دسائس خبثه وشومه مثل ما اتفق لعالم الانسان مع شيطان العفاريت وجان الجان فى غابر الدهر وماضى الزمان فقال الفيل العظيم أخبرنا بذلك أيها الحسيب الكريم (فقال) ذكر أن فى الازمان الغابرة كانت صنوف الجن للانس ظاهره تتراءى بأشكال مختلفة وتتزيا بأمثال غير مؤتلفه وتظهر لهم الخيالات العجيبه والصور المموهة الغريبة فتضلهم ضلالا مبينا وتأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم شمالا ويمينا وتخاطبهم مشافهه وتوافيهم مواجهه ففى بعض الايام ظهر ببلاد الشام مهبط الوحى ومهاجر الانبياء الكرام ومحط رحال الرجال من أهل الفضل والافضال رجل من العباد وأفراد الزهاد فاق الاقران بالصلاح وساد أهل الزمان بالورع والفلاح وحاز طرفى العلم والعمل فكمل كثيرا منهم بعدما كمل واسترشدوا الخلق الى خالقهم ويحثهم

لاقليلا ولا كثيرا واذا كل واحد من الجاهلين قد فاز بما جاء له لنفسه ولم يكن له من ذلك الا العناء والتعب لانه لم يفكر فى آخر أمره وكذلك من قرأ هذا الكتاب ولم يفهم ما فيه ولم يعلم غرضه ظاهرا و باطنا لم ينتفع بما بدا له من خطه ونقشه كالوان رجلا قدم له جوز صحيح لم ينتفع به الا ان يكسره وكان أيضا كالرجل الذى طلب علم الفصيح من كلام الناس فاتى صديقا له من العلماء له علم بالفصاحة فاعلمه حاجته الى علم الفصيح فرسم له صديقه فى صحيفة صفراء فصيح الكلام وتصاريفه ووجوهه فانصرف المتعلم الى منزله فجعل يكثر قراءتها ولا يقف على معانيها ثم انه جلس ذات يوم فى محفل من أهل العلم والادب فاخذ فى محاورتهم فجرت له كلمة اخطأ فيها فقال له بعض الجماعة انك قد اخطأت والوجه غير ما تكلمت به فقال كيف اخطئ وقد قرأت الصحيفة الصفراء وهى فى منزلى فكانت مقالته اهم أوجب للحجة عليه وزاده ذلك قربا من الجهل و بعدا من الادب * ثم ان العاقل اذا فهم هذا الكتاب وبلغ نهاية علمه فيه ينبغى له ان يعمل بما علم منه لينتفع به ويجعله مثالا لا يحيد عنه فاذا لم يفعل ذلك كان مثله كالرجل الذى زعم ان سارقا تسور عليه وهو نائم فى منزله فعلم به فقال والله لاسكتن حتى انظر ماذا يصنع ولا أذعره ولا أعلمه انى قد علمت به فاذا بلغ مراده قمت اليه فنغصت ذلك عليه ثم انه امسك عنه وجعل السارق يتردد وطال تردده فى جمعه..

فى الانابة والتوكل على رازقهم ويرضونه ويرضيهم فى الطاعه واتباع السنة والجماعة ويقبح الدنيا فى أعينهم
ويحذرهم غدراتها فى مكمنها عند مأمنهم وكان لانفسه المباركة نقوش فى النفوس يجذبها الى ما يريد جذب
الحديد المغناطيس ففى مدة يسيره تبعه طوائف كثيره وانتشر صيته الى الآفاق وصفا للعباد وقت
الطاعة وراق وضربت اليه أكباد الابل وامتلأت به الدنيا من العلم والعمل واضطرب أمر المرده
والشياطين العنده وتعطلت أسواق الفسوق وخرج عرق المعاصى من العروق وتخملت العفاريت
وتنكست اعلام الجن المصاليت وضل سبيل الضلال كل مارد خريت وبطلت زخارفهم وتمويهاتهم
وعطلت وساوسهم وتشويهاتهم وأهانهم الناس وكسد الوسواس وفسد فعل الخناس فلما ضل سعيهم
وكاد يقع نعيهم اجتمع العفاريت العتاه والشياطين الطغاه والمردة العصاه الى ابليسهم العنيد وهو
شيطان مريد صورته من أقبح الصور له أظلاف كأظلاف البقر ووجه كالتمساح وشكل كالرماح وخرطوم
طويل ورأس كالفيل وعيون مشققة بالطول وأنياب كأنياب الغول وشعر كالشهم وجلد كالارقم
وهو يلهث كالكلاب ومن ورائه عدة ذئاب فشكوا اليه حالهم وأطالوا فى الشكوى قالهم وقالوا
ياشيخ التلبيس وابن عم ابليس لقد عمرت المدارس وبطلت منها الوساوس وتعمرت المساجد بكل راكع
وساجد وقائم وقاعد وقارئ وجاهد فطرد كل شيطان مارد وغشى سنن الحلال فوثب منا الاحتيال
وأمر بالمعروف فوقعنا على الامر المخوف وكثرت الحجاج فتقطعت منا الاوداج وأديت الزكوات والحقوق
فطردمنا كل عقوق وقام الحق فنام الفسق وعبد الله فى المغارات والكهوف واستد علينا السبيل فعلى
من نطوف ولم يبق لنا على بنى آدم سلطه وصرنا فى بحارهم أقل من نقطه وعند جهرهم بأذكارهم أذل من
ضرطه لا وساوسنا تؤثر فى أفكارهم ولا بمجالسنا تعطل من أذكارهم ولا تخيلاتنا تتراءى لابصار أسرارهم
فان استمر الحال على هذا المنوال لا يبقى لنا فى الدنيا مقام ولا لابن الجن والانس كلام (فلما وعى) العفريت
فحوى هذه الشكوى وتأمل مافى مطاويها من نازلة احاطت بهم وبلوى اشتعلت نيران غضبه وتأججت
شواظات لهبه ثم قال أمهلونى أتلوى واتركونى أتلوم واتروى وأفتكر فى هذه البليه وأكشفها عن جليه
فان الامور لا تتنج لامانيها مالم يتأمل من فراغها فى جوانبها ونواحيها وتحقيق المسائل انما يوجد من محكميها
وحاكميها وكان هذا العفريت العاتى المارد الغير المواتى تحت يده وأمره من مقتبسى تلبيسه ومكره
والشياطين المرده واغوال العفاريت العنده طوائف شتى وامم لا تحصى وممن فاقهم فى المكر والمراء
أربعة أشخاص كبراء وزراء كل منهم فى الشيطنة والمواسه ومعرفة طرق الوسوسه كابى على بن سينا فى
علم الهندسه غاية لا تدرك ونهاية لا تستدرك فاجتمع هذا الغول بوزرائه ورؤساء أشياعه وكبرائه ثم قال
لهم أفتونى فى أمرى وساعدونى على فكرى وسكرى ووجه الخطاب لكبيرهم الذى علمهم السحر المشار
اليه فى الدهاء والمكر وقال له ما رأيك فى هذه القضية والمواقف الرديه والداهية الدهيه فقال الوزير
يامولانا الامير وصاحب المكر والتدبير ان العقلاء وذوى التجارب من الحكماء تفرسوا بأمر قاطع
من الوقائع القواطع فقالوا شيآن لا بقاء لهما الروح فى الجسد والسعد فى الطالع وهذا هو الصواب
ولكل أجل كتاب ومادام الاجل باقيا والسعد راقيا ومادام السلامة ساقيا وحافظ العوارض واقيا
لا ينفع الجد ولا يدفع الجد ولا يرفع الجهد ما أثبت السعد فاذا تم الاجل وبطل من السعد العمل
انتكس السعد وانقلب وفارقت الروح بلا سبب واذا كان كذلك فهذا الرجل الناسك سعده عمال وطالعه
فى اقبال فكل سهم مكر فوقناه الى نحو حياته يعود علينا وكل رمح فكر صوبناه الى شاكلة بقائه
يرجع الينا فالرأى عندى ان نتربص حتى تدور به الدوائر ولا نهتم باحتيال محتال ولا مكر ماكر الى
أن تنقضى مدته ويسقط من سعد طالعه قوته فعند ذلك يفيد سعينا ولا يضيع كدنا (فقال) العفريت
للوزير الثانى يا أفضل حاجى أنت ماذا تقول وكيف تشير أن نصول فى ميدان هذا الامر ونجول فقال

ماعجزه فغلب الرجل النعاس فنام وفرغ اللص مما اراد وامكنه الذهاب واستيقظ الرجل فوجد اللص قد اخذ المتاع وفاز به
فاقبل على نفسه يلومها
وعرف أنه لم ينتفع بعلمه
باللص اذ لم يستعمل فى أمره
ما يجب وقد يقال ان العلم
لا يتم الا بالعمل وان العلم
كالشجرة والعمل به كالثمرة
وانما صاحب العلم يقوم
بالعمل لينتفع به وان لم
يستعمل ما يعلم فليس يسمى
عالما ولو ان رجلا كان عالما
بطريق مخوف ثم سلكه على
علم به سمى جاهلا ولعله
ان يكون قد حاسب نفسه
وجدها قد ركبت أهواء
هجمت بها فيما هو اعرف
بضررها فيه واذاها من ذلك
السالك فى الطريق المخوف
الذى قد عرفه ومن ركب
هواه ورفض ما ينبغى ان يعمل
بما جربه هو أو أعلمه به
غيره كان كالمريض العالم
برديء الطعام والشراب
وجيده وخفيفه وثقيله ثم
يحمله الشره على أكل رديئه
وترك ما هو أقرب الى النجاة
والتخلص من علته وأقل
الناس عذرا فى اجتناب محمود
الافعال وارتكاب مذمومها
من أبصر ذلك وميزه وعرف
فضل بعضه على بعض كما أنه
لو ان رجلين احدهما بصير
والآخر اعمى ساقهما الاجل
الى حفرة فوقعا فيها كانا
اذا صارا فى قعرها بمنزلة واحدة
غير ان البصير اقل عذرا عند
الناس من الضرير اذ كانت
له عينان يبصر بهما وذلك
بما صار اليه جاهل غير عارف وعلى العالم أن يبدأ بنفسه ويؤدبها بعلمه ولا تكون غايته اقتناء العلم لمعاونة غيره.

رأى

رأى مولانا الوزير سديد وكل ما أشار به فهو أمر جيد ولكن كيف يهمل أمر العدو ويركن مع وجوده الى قرار وهدو وإذا كان طالعه في قوة فاهماله يزيد في قوته والتهاون في أمره مساعدة في معاونته ومعاونة في مساعدته وهذا من علامات العجز والانكسار ومن أقوى الادلة في الانحطاط والصغار وان رب الارباب وضع عالم الكون والفساد على الاسباب فلا بد من تعاطيها في هذا الباب وبذل المجهود في معاملات الاعداء والاحباب ولم يقتصر الشارع على التقدير والطالع اذ فيه حسم مادة الشرائع والتعرض لابطال حكم الصانع فعندي أن نبذل الجهد في حسم مادتهم وتعاطي كسر شوكتهم وبذل الجهد والجد بما تصل اليه اليد وثبات الاقدام في اثبات الاقدام كما قال الشاعر وهو سلم الخاسر في ثبت الجاسر

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

وهذا الشاعر المسمى أخذه من أخينا بشار الاعمى من لنا بوجوده انس وهو شيطان الانس حيث يقول ذلك الغول

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فاعزموا على هدم ما يبنون وصدم ما يعنون والاخذ في تمزيق جادتهم وتفريق كلمتهم اذ لا اطلاع لنا على مساعدة الطالع ولا حد لبقاء الاجل فضلا عن أن نقول هذا الحد جامع أو مانع وهذا الرأى عندي أولى ورأيك يا رئيس التلبيس أعلى ودونك يا غول هذا القول

اذا كانت الاعداء غلا فانهم * اذا لم تطأهم أصبحوا مثل ثعبان

ومن هذا المقال يا أبا الاغوال

واللص ليس له دليل سائر * نحو الذي يبغي كنوم الحارس

(والاصل) في هذا كله حسم مادتهم وردجادتهم وذلك باهلاك مرشدهم وافساد زاهدهم فان قدرنا على اهلاكه وتمزيق حباله وأشراكه تشتت شملهم وتبتت جلهم وقلهم (فقال) العفريت للوزير الثالث وكان أنجس عابث قل لي أيها الوزير ماسنح لك من التدبير في هذا الامر المبير والخطب الخطير وماذا ترى فيه وتشير فقال لاشك أن الطباع تميل الى ما تسمعه وما يلقى الى النفس لابد أن يؤثر موقعه وما أشار به ودبره الوزيران وهما نعم المشيران فهو لا يخلو عن فوائد بل هو متحل بعقود الفرائد واني لاعلم انه أثر في الخواطر كما يؤثر في الرياض السحب المواطر وبالجملة فللكلام تأثير في النفس كما تظهر آثاره في الحس ولهذا ترى رقيق الشعر يفعل ما لا يفعله دقيق السحر وجليل العباره فيه من الاثاره ما يشجع الجبان وينشط الكسلان ويسخي البخيل وينجي الذليل ويسحر الارواح ويسخر الاشباح ويعطف القلوب ويؤلف بين المحب والمحبوب ويصير العدو صديقا ويغايظ الاحرار رفيقا وتامل يا نبيه ما قيل في البديه

حديث اذا ما ادمت دهري به انتحى * وكف عن الايذا وعاد الى الاخا

اذكره أخلاق مالكه الذي * تعلم منه العلم والحلم والسخا

أنال به ما لا ينال بغزوة * وأرواح أشباح أتت بعد شمخا

وهذه قضيته تحتاج الى اعمال الرويه وامعان النظر وتدقيق الفكر وعندي الرأى السعيد السديد والفكر الحميد المجيد ان التعرض الى هذا الرجل المتدين الداعي الى طريق الحق المبين ليس بمحمود ولا طالع قاصده بمسعود فانه على الحق متشبث بأذيال الصدق ومن قصد مصادمة الحق اصطدم وفي مهاوي الهلاك ارتدم وقد كان في بني اسرائيل رجل من أهل التبجيل عاملا بالتوراة والانجيل مشغولا بالعبادة باذلا في اقامة الحق اجتهاده فتعرض له جماعة من أهل الفسق والخلاعه فتعاطوا اهلاكه وفجعوا به نساكه فقتلوه بغير حق ففار له الدم ورق فاخبرني من لا يتهم بكذبه انه قتل سبعمائة ألف نفس بسببه فذهب بسبب ذلك الصالح من بني اسرائيل الصالح بالطالح ومن كان مع الحق هاديا الى الصدق فان الله تعالى معه ومن كان الله معه منعه وحرسه وما ضيعه ومن تصدى اضياع ما حفظ الله وعزم على ابتذال من أعزه ولاه وكلاه

ويكون كالعين التي يشرب الناس ماءها وليس لها في ذلك شيء من المنفعة وكدودة القز التي تحكم صنعته ولا تنتفع به فينبغي لمن طلب العلم ان يبدأ بعظة نفسه ثم عليه بعد ذلك ان يقبسه فان خلالا ينبغي لصاحب الدنيا ان يقتنيها ويقتبسها منها العلم والمال ومنها اتخاذ المعروف وليس للعالم ان يعيب امرأ بشيء فيه مثله ويكون كالاعمى الذي يعير الاعمى بعماه وينبغي لمن طلب امرا ان يكون له فيه غاية ونهاية يعمل بها او يقف عندها ولا يتمادى في الطلب فانه يقال من سار الى غير غاية فيوشك ان تنقطع به مطيته وانه كان حقيقا ان لا يعني نفسه على طلب ما لا حد له وما لم ينله أحد قبله ولا يتأسف عليه ولا يكون لدنياه مؤثرا على آخرته فان من لم يعلق قلبه بالغايات قلت حسرته عند مفارقتها وقد يقال في أمرين انهما يجملان بكل أحد أحدهما النسك والآخر المال وقد يقال في أمرين انهما لا يجملان بكل أحد الملك ان يشاركه في ملكه والرجل ان يشاركه في زوجته فالخلتان الاوليان مثلهما مثل النار التي تحرق كل حطب يقذف فيها والخلتان الاخريان كالماء والنار اللذين لا يمكن اجتماعهما وليس ينبغي للعاقل ان يقنط أحدا ساق الله اليه صنعا وقد كان مرتقبا منه غير ذلك * (ومن أمثال هذا) * ان رجلا كان به فاقة وجوع وعري فألجأه ذلك الى ان سأل أقاربه واصدقاءه فلم يكن عند أحد منهم فضل يعود به عليه فبينما هو ذات ليلة في منزله اذ بصر

فقد قصد خراب عمره وعمارته وباع رأس مال تجارته وربحه بخسارته وجنى بيده على نفسه وحفر بيد تدبيره مهواة رمسه واسمع يا نعم العون ماجرى لمؤمن آل فرعون حيث كان على السداد داعيا الى سبيل الرشاد وقصد اهلاكه أهل الفساد فقال وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد فغلبوا هنالك وانكسروا ووقاه الله سيئات مامكروا وأيضا لو قتلنا هذا الرجل وكان على أيدينا له حمام الاجل فلاشك انه يقوم مقامه من يلم عظامه ويرم زمامه ويحيي بعده أيامه فيقيم شعاره ويكتب ماقدم وآثاره فان تلامذته كثيرة وطوائف جماعاته غزيرة فينتظم لهم بعده الامر ولايضرهم لنا من كيدنا الجر واذا علموا أن ذلك منا واشتهر ذلك الكيد عنا أخذوا منا حذرهم وصوبوا الينا عداوتهم ومكرهم ثم عملوا على استئصالنا واستعدوا لقتالنا لانا أهلكنا معتقدهم وهدمنا عمادهم ومعتمدهم ولايمكننا بعد ذلك طلب المسالمة والسلامه وتستمر العداوة بيننا وبينهم الى يوم القيامة مع ان عداوتنا قديمه وبالجملة فعاقبة من عادى أولياء الله وخيمه اذا تقرر هذا القول وثبت بطريق المعقول فاعلم أيها الغول والشيطان المهول أن الرأي الصواب في هذا المصاب أن نبادر الى هذا الرجل وجماعته بافساد طاعتهم وطاعته وحيث لايتيسر لنا المواجهه ولا الخطاب والمشافهه ولا الاضلال في الظاهر بصورة المجاهر فنزين لهم حب الدنيا وشهواتها والميل الى زينتها ولذاتها والركون اليها والاعتماد عليها ونلقي اليهم طول الامل وبعد الاجل فنثبطهم بذلك عن العمل وندعوهم الى التهاون والكسل ثم بعد ذلك نحلو خدود عرائس الحرص على ابصار أفكارهم وقدود موائس الشح وحب المال على أعين خيالاتهم وبصائر أسرارهم فاذا ذاقت ألسنة عقولهم حب الدنيا وتمكنت في أدمغة سويدائهم الرغبة في الآباء والابناء سلبوا حلاوة الطاعه وتفرقت منهم الجماعه وزاغوا عن الطريق الاقوم وراغوا عن السبيل الأمم فنتوصل اذ ذاك منهم الى مقاصدنا ونوقعهم كيفما اخترنا في مصايد مراصدنا لانهم هبطوا من سماء المنازعة الى الارض واهلكوا بأيديهم أنفسهم اذ بغى بعضهم على بعض فتحاسدوا وتحاشدوا وتدابروا وتفاخروا وتكالبوا وتضاربوا وتواثبوا وتجانبوا وتناهبوا وتسالبوا وتلاسبوا وتقابلوا وتقاتلوا وتفرقوا وتمزقوا وتحرقوا وغرقوا وانحاز كل منهم الى ناحيه وأعجب كل برأيه فلاتعرف منهم الفرقة الناجيه اذ تفرقت أهواؤهم وتصادمت آراؤهم وجذبتهم اغراضهم الى الانحناء وجاءتهم أمراضهم مع الاهواء ومال كل منهم الى صوب وأيس منهم الى الصواب الاوب وتعددا لخلق الذمر وليس كل اصاحبه جلد النمر ثم بعد ذلك زلوا وأزلوا وضلوا وأضلوا فتمكنا فيهم كما نريد وتصرفنا فيهم تصرف السادات في العبيد وسلطنا عليهم دواعي الغضب والشره ولعبنا بشيوخهم لعب الصبيان بالكره فنصوب لهم أقوالهم ونزخرف لهم أفعالهم كما قال من خلقهم وأحوالهم وزين لهم الشيطان أعمالهم ولانقصد بذلك الا كبراءهم وفضلاءهم وعلماءهم وزهادهم ورؤساءهم وحكامهم وحكماءهم ولانفتر عن مكايدتهم ولانميل عن مكايدتهم ونجري في عروقهم ونسكن في فروقهم ونحركهم في رعودهم وبروقهم فان تحركوا الى خير سكناهم وان سكنوا عن شر حركناهم وان عزموا على الآخرة صددناهم وان جزموا الى مواطن رددناهم وان أموا مفسدة قدناهم أوهموا الى معصية سقناهم ولابد لهذا العمل الكثير من تأثير ولبيدق جد في المسير أن يصير وبالجملة فنبذل في كل عامة جهدنا وجدنا ولاغضاضة في ذلك علينا لانه صنعة أبينا وجدنا وقد أخبر بذلك جدنا اللعين لما خالف رب العالمين كما أخبر في الكتاب المبين في قوله فبعزتك لاغوينهم أجمعين فاذا رآهم الناس وقع بينهم الباس حصل لهم منهم الياس وتراجعوا عنهم وهربوا منهم وفسد اعتقادهم فيهم بل قتلوهم بأيديهم فاذا ظهر فسوقهم وكسد سوقهم فان شئنا أوقفنا حالهم وان رمنا الى الهلاك نسوقهم وأوثق مايتوصل به اليهم من الاسباب هي حالة الانفراد والاعجاب وحالة الاجتماع للكذاب فان الاعجاب يهوي في النار والكذب يخرب الديار * وناهيك قضية

بسارق في منزله فقال والله مافي منزلي شئ أخاف عليه فليجهد السارق جهده فبينما السارق يجول اذ وقعت يده على خابية فيها حنطة فقال السارق والله ماأحب أن يكون عنائي الليلة باطلا ولعلي لا أصل الى موضع آخر ولكن سأحمل هذه الحنطة ثم بسط قميصه ليصب عليه الحنطة فقال الرجل أيذهب هذا بالحنطة وليس ورائي سواها فيجتمع علي مع العري ذهاب ماكنت اقتات به ومايجتمعان والله هاتان الخلتان على أحد الا أهلكتاه ثم صاح بالسارق وأخذ هراوة كانت عند رأسه فلم يكن للسارق حيلة الا الهرب منه وترك قميصه ونجا بنفسه وغدا الرجل به كاسيا وليس ينبغي ان يركن الى مثل هذا ويدع مايجب عليه من الحذر والعمل في مثل هذا الصلاح معاشه ولا ينظر الى من تؤاتيه المقادير وتساعده على غير التماس منه لان أولئك في الناس قليل والجمهور منهم من أتعب نفسه في الكد والسعي فيما يصلح أمره وينال به ماأراد وينبغي أن يكون حرصه على ماطاب كسبه وحسن نفعه ولايتعرض لما يجلب عليه العناء والشقاء فيكون كالحمامة التي تفرخ الفراخ فتؤخذ وتذبح ثم لايمنعها ذلك ان تعود فتفرخ موضعها وتقيم بمكانها فتؤخذ الثانية من فراخها فتذبح وقد يقال ان الله تعالى قد جعل لكل شئ حدا يوقف عليه ومن تجاوز في الاشياء حدها أوشك ان يلحقه التقصير عن بلوغها ويقال من كان سعيه لآخرته ودنياه

الناجح

التاجر مع عبده الكذاب الفاجر فسأله شيخ الجن عن بلية ذلك القن (فقال) ورد في الخبر عن شخص معتبر قال كان بمكان تاجر ذو مال وزوجة ذات جمال كل يهوى صاحبه ويرعى جانبه ويفديه بروحه ويترشف رضابه في غبوقه وصبوحه كأنهما زوج حمام وفي بدمام ففي بعض الايام قال أحدهما لرفيقه وهو يرشف من كأس عقيقه شهد رضابه بخمرة ريقه لو كان لنا عبيد يتعاطى مالنا من حاجة ويخلصنا من جبلة عمرو وزيد فذهب التاجر الى سوق الرقيق فوجد مع النخاس عبدا اذا قد رشيق ينادي عليه أبيعه بكذا على مافيه من أذى فقال وما عيبه قال كذبه لا على الدوام وانما هو مرة في كل عام فقال عيب هين وشيء بين فاشتراه وأتى به الى داره وارتضاه فاستمر في خدمة حسنه حتى أتى عليه سنه ونسي سيده عيبه وأمن ريبه وجرب بالامانة يده وبالطهارة جيبه فلما مضى عليه عام كان سيده في الحمام فأتى البيت في بعض الحوائج في صورة الجمل الهائج شاهقا ناشرا صائحا ثائرا صارخا واويلاه واسيداه وامولاه فسئل مالك لا أحسن الله حالك ولا أنعش بالك فقال رمح البغل بسيدي فاتفق أن تهالك وسلم الروح لخالقها وقال لوارثه تسلم مالك فأقيم العزاء والصخام وتركهم وأتى للحمام وهو يبكي وينوح ويصرخ ويصيح فسأله مولاه مادهاه فقال وقع البيت على كل من أويت ولم يبق في الدار نافخ نار فهلك الكبير والصغير ونهب ما فيها من جليل وحقير فخرج وهو يستغيث من حديث ذلك الخبيث فوجد أهل البيت سالمين ورأوه من الناجين فعزم على خباطه فذكره ماسلف من اشتراطه ثم انه استقام ونسي هذا الكلام ومضى عليه عام فاستأنف ذلك الخبيث أمرا عبيث وقال لامرأة مولاه ياهنتاه ان كنت نائمة فاستيقظي وخذي حذرك وتيقظي واعلمي أن نية صاحبك أن يأتي حبالك على غاربك لانه قد عشق عليك ونبذ حبل حالك اليك وتعلق قلبه ببنت رجل كبير ولا ينبئك مثل خبير وقد حملني على نصيحتك الشفقة وما أسديت الي من احسان وصدقة فبادري قبل حلول الباس ونزول الفأس في الراس فأثر فيها هذا الحديث فاستشارت ماتفعله ذلك الخبيث فقال لو ظفرت بشيء من شعره لكفيتك مؤنة مكره وفكره فان لي صاحبا منجما واستاذا معلما يرقي الشعور ويجعلها في البخور واذا وجد الى خيشومه مساغه ودخل البخور دماغه صار عبدا لك على الدوام وحظيت عنده بالمراد والمرام وارتقيت الى أعلى مقام ولكن ينبغي أن يكون من شعر لحيته النابت على ترقوته قالت وأنى لي أصل الى ذلك وقال الله شر اذاك فقال اذا نام وغرق في المنام فاحلقي منه بموسى لتكفي الضرر والبوسى وأنا آتيك بموسى يحلق الشعور فافعلي ذلك من غير أن يكون له شعور فاتفقا على ذلك الاتفاق وأتاها بموسى حلاق ثم توجه الى مولاه وقد اضمر له مادهاه وقال اشعرت ياذا الفضائل ان زوجتك البديعة الشمائل تغير خاطرها عليك وتقدمت بالاساءة اليك ولولا انك شفيق علي وعزيز ومكرم لدي ما أنبأتك من أخبارها بشيء فاني أريد أن يكون ما نميته اليك مكتوما الى أن يصير عندك محققا معلوما وقد أرسل اليها من يخطبها وأمالها عنك بما يرغبها واتفق معها انها تقتلك وتستريح وتصبح في فراشك وأنت ذبيح وذلك بيدها ومبديتك وقد أرسل اليها من الجواهر والاموال أضعاف قيمتك فان أردت مصداق هذا الكلام فتناوم عندها في المنام ليزول الشك باليقين وتتحقق اني من الصادقين فأثر هذا الكلام فيه وخاف من مكر النساء ودواهيه فلما أقبل العشاء واحضروا العشاء تناول من ذلك الطعام ونهض الى الفراش لينام وأظهر بين القوم انه غرق في النوم وغمض عينيه وانغط وسال لعابه وغط فنهضت الزوجة اليه وفتحت الموسى ودخلت عليه ومدت يدها الى لحيته ووضعتها على ترقوته ففتح عينيه فرأى آلة الموت متوجهة اليه فما تمالك ان وثب عليها وجثم اليها وخرج زمام تفكره عن يد تأمله وتدبره وخطف الموسى من كفها وسقاها كأس حتفها فلما رأى فوران الدم أدركه لاحق الندم وقد تبدل الوجود بالعدم ووقع القال والقيل واشتهر أمر القتيل وعلق في شرك الاقتناص وعومل في صاحبه

فحياته له وعليه ومن كان سعيه للدنيا خاصة فحياته عليه ويقال في ثلاثة أشياء يجب على صاحب الدنيا اصلاحها وبذل جهده فيها منها أمر معيشته ومنها ما بينه وبين الناس ومنها ما يكسبه الذكر الجميل بعده وقد قيل في أمور من كن فيه لم يستقم له عمل منها التواني ومنها تضييع الفرص ومنها التصديق لكل مخبر ورب مخبر بشيء عقله ولا يعرف استقامته فيصدقه وينبغي للعاقل أن يكون لهواه متهما ولا يقبل من كل أحد حديثا ولا يتمادى في الخطا اذا التبس عليه أمره حتى يتبين له الصواب وتستوضح له الحقيقة ولا يكون كالرجل الذي يحيد عن الطريق فيستمر على الضلال فلا يزداد في السير الاجهدا وعن القصد الابعدا وكالرجل الذي تقذى عينه فلا يزال يحكها حتى ربما كان ذلك الحك سببا لذهابها ويجب على العاقل أن يصدق بالقضاء والقدر ويأخذ بالحزم ويحب للناس ما يحب لنفسه ولا يلتمس صلاح نفسه بفساد غيره فانه من فعل ذلك كان خليقا أن يصيبه ما أصاب التاجر من رفيقه (فانه) قال انه كان رجل تاجر وكان له شريك فاستأجرا حانوتا وجعلا متاعهما فيه وكان احدهما قريب المنزل من الحانوت فأضمر في نفسه أن يسرق عدلا من أعدال رفيقه ومكر الحيلة في ذلك وقال ان أتيت ليلا لم آمن ان أحمل عدلا من أعدالي او رزمة من رزمي ولا أعرفها فيذهب عنائي وتعبي باطلا فأخذ رداءه

بالقصاص * وانما أوردت هذا الكلام لتعلم ان ما أهلك الانام واوقعهم في شرك الآثام والكفر والفسوق والحرام مثل الكذب في الكلام وهو لنا أوثق زمام ولجذبهم الى ما قصدناه من المرام أحكم خطام واعظم خزام (فاستحسن) العفريت هذا الراى واستصوبه وأعجبه ما تضمنه من معان واستغرب به (ثم قال) رأيت يا أصحاب من الرأى الصواب ان اجتمع بهذا العالم الزاهد العامل العابد في محفل غاصه وأسأله عن مسائل عامة وخاصه وعن اسرار رقيقة أطالبه فيها بمجازها والحقيقه وأنا أعرف أنه يفحم عن جوابي ويلجم عند أول خطابي فاذا عجز عن جواب المسائل في تلك الجموع والمحافل تحقق الحاضرون جهله فنبذوه من أول وهله واعترفوا لنا بالفضل الوافر والعلم الغزير المتكاثر فصاروا لنا أوداء والفضل ما شهدت به الاعداء ورجعوا عن اعتقاده ونفضوا أيديهم من محبته ووداده وربما سعوا في دماره وخراب دياره فيكفونا أمره ويزيحون عنا شره وأقل الاقسام ان جماعة ذلك الامام اذا رأوا ما لنا في الفضل من تجاره وعلموا ان رأس مال امامهم الخساره التهوا بالسهو وسهوا باللهو وانفضوا عنه وتركوه وهذا ان لم يكونوا سفكوه وسكبوه كما فعل صاحب البستان بالمزرعه من الغدر والتفخيذ مع غرمائه الاربعه فسأل الوزرا عن غدر ذلك الغدر كيف جرى (قال العفريت) كان من تكريت رجل مسكين ينظر البساتين ففي بعض السنين قدم قرية منين وسكن في بستان كأنه قطعة من الجنان فاكهة ونخل ورمان ففي بعض الاعوام أقبلت الفواكه بالانعام ونثرت الثمار ملابس الاشجار من الاذيال والاكمام فالجأت الضرورة ذلك الانسان أن خرج من البستان ثم رجع في الحال فرأى فيه أربعة رجال أحدهم جندي والآخر شريف والثالث فقيه والرابع تاجر ظريف قد أكلوا وسقوا وناموا واتفقوا وتصرفوا في ذلك تصرف الملاك وأفسدوا افسادا فاحشا خادشا ومارشا وناوشا وناكشا فاضر ذلك بحاله ورأى العجز في أفعاله اذ هو وحيد وهم أربعة وكل عنيد فبادر الى التأخيذ وعزم على التفخيذ فابتدأ بالترحيب والبشاشه والاكرام والهشاشه وأحضر لهم من أطايب الفاكهه وطايبهم بالمفاكهه وسامح بالممازحه ومازح بالمسامحه الى أن اطمأنوا واستكانوا واستكنوا ودخلوا في اللعب ولاعبوه بما يجب فقال في أثناء الكلام أيها السادة الكرام لقد حزتم أطراف المعارف والطرف فأي شيء تعانون من الحرف فقال أحدهم أنا جندي وقال الآخر وأنا رسول الله جدي وقال الثالث أنا فقيه وقال الرابع أنا تاجر نبيه فقال والله لست بنبيه ولكن تاجر سفيه وقبيح الشكل كريه أما الجندي فانه مالك رقابنا وحارس حجابنا يحفظنا بصولته ويصون أنفسنا وأموالنا وأولادنا بسيف دولته ويجعل نفسه لنا وقايه وينكي في أعدائنا أشد نكايه فلو مد يده الى كل ما نا ورزقه فهو بعض استحقاقه ودون حقه وأما الشريف فان جده هدانا ومن النار أنجانا وقد ملكنا كرامة وحبا لقوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى وقد تشرف به اليوم مكاني وحلت به البركة على وعلى بستاني وأما سيدنا العالم فهو مرشد العالم وهو سراج ديننا الهادي الى يقيننا فاذا شرفونا باقدامهم ورضوا أن نكون من خدامهم فلهم الفضل علينا والمنة الواصلة الينا وأما أنت يا رابعهم وشرجان تابعهم بأي طريق تدخل الى بستاني وتتناول سفرجلي ورماني هل بايعتني بمسامحه وتركت لي المرابحه أولك علي دين أو عاملتني نسيئة دون عين ألك علي جميله وهل بيني وبينك وسيله تقتضي تناول مالي والهجوم على ملكي ومنالي ثم مد يده اليه فلم يعترض من رفقائه أحد عليه لانه أرضاهم بالكلام واعتذر عما يتطرق اليه من ملام فاوثقه وثاقا محكما وتركه مغرما ثم مكث ساعه وهو على الخلاعة مع الجماعه وغامز الجندي والشريف على الفقيه الظريف فقال يا أيها العالم الفقيه والفاضل النبيه أنت مفتي المسلمين وعالم بمنهاج الدين على فتواك مدار الاسلام وكلمتك الفارقة بين الحلال والحرام بفتواك تستباح الدماء والفروج فمن افتاك بالدخول في هذا والخروج أفتني يا عالم الزمان محمد بن

وألقاه على العدل الذي اضمر أخذه ثم انصرف الى منزله وجاء رفيقه بعد ذلك ليفتح اعداله فوجد رداء شريكه على بعض أعداله فقال والله هذا رداء صاحبي ولا أحسبه الا قد نسيه وما الرأى ان ادعه ههنا ولكن أجعله على رزمه فلعله يسبقني الى الحانوت فيجده حيث يحب ثم أخذ الرداء فالقاه على عدل من أعدال رفيقه وقفل الحانوت ومضى الى منزله فلما جاء الليل أتى رفيقه ومعه رجل قد وطأه على ما عزم عليه وضمن له جعلا على حمله فصار الى الحانوت فالتمس الازار في الظلمة فوجده على العدل فاحتمل ذلك العدل وأخرجه هو والرجل وجعلا يتراوحان على حمله حتى أتى منزله ورمى نفسه تعبا فلما أصبح افتقده فاذا هو بعض اعداله فندم أشد الندامة ثم انطلق نحو الحانوت فوجد شريكه قد سبقه اليه ففتح الحانوت وفقد العدل فاغتم لذلك غما شديدا وقال واسوأتاه من رفيق صالح قد استأمنني على ماله وخلفني فيه ماذا يكون حالي عنده ولست أشك في تهمته اياي ولكن قد وطنت نفسي على غرامته ثم أتى صاحبه فوجده مغتما فسأله عن حاله فقال اني قد افتقدت الاعدال وفقدت عدلا من أعدالك ولا أعلم بسببه واني لا أشك في تهمتك اياي واني قد وطنت نفسي على غرامته فقال له يا أخي لا تغتم فان الخيانة شر ما عمله الانسان والمكر والخديعة لا يؤديان الى خير وصاحبهما مغرور أبدا وما

ادريس افتاك بهذا أم النعمان أم أحمد بن حنبل أم مالك فسمح لك بذلك أما سمعت قول معز العلماء ومجلها ومذل الجهلاء لجهلها يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها واذا ارتكب مثلك هذا المحظور وتعاطى العلماء والمفتون أقبح الامور فلا عتب على الاجناد والاشراف ولا على الجهلاء الاجلاف ثم مد يده الى جلابيبه وأوثقه بتلابيبه فاحكمه وثاقا وآلمه رباطا فاستنجد بصاحبيه الى جانبيه فما أنجداه ولا رفداه ثم جلس يلاهي الجندي الساهي وغامزه على الشريف ذي النسب الظريف ثم قال أيها السيد الاصيل النجيب الجيد الحسيب لا تعتب على كلامي ولا تستثقل ملامي أما الامير فانه رجل كبير ذو قدر خطير له الجيلة التامه والفضيلة اللامه وأنت يا ذا النسب الطاهر والاصل الباهر والفضل الزاهر سلفك الطيب أذن لك في الدخول الى مالا يحل لك أم جدك الرسول افتاك باستباحة الاموال امزوج البتول انبأك ان أموالنا لآل البيت حلال واذا كنت يا طاهر الاسلاف لا تتبع سنة آبائك الاشراف من الزهد والعفاف فلا عتب على الاوباش والاطراف ثم وثب اليه وكتف يديه ولم يعطف الجندي عليه ولم يبق الا الجندي وهو وحيد فانتصف منه البستاني كما يريد وأوثقه رباطا وزاد لنفسه احتياطا ثم أوجعهم ضربا وأشبعهم لعنا وسبا وجمع عليهم الجيران واستعان بالجلاوذة وأصحاب الديوان وحملهم برباطهم وعمائمهم تحت آباطهم الى باب الوالي وأخذ منهم ثمن ما أخذوه من رخيص وغالي وانما أوردت ما جرى لتعلموا أيها الوزرا أن التفخيذ بين الاعداء بالتاخيذ أمر من السهام في تنفيذ الاحكام واحكام التنفيذ وهذا قبل تعاطي أسباب البياسه وفتح أبواب الوسوسه فانه يقال في الامثال عقدة تحل باللسان لا يؤخر حلها الى الاسنان ونعم ما أرشد من أنشد

فكم عقدة أغنى اللسان بحلها ✽ تراخت وقد أعيت نواجذ اسنان

(ثم قال العفريت) للوزير الرابع ما ترى في هذا الامر الواقع فقال حيث تردد الامر بين آراء مختلفه وأقوال متفاوتة غير مؤتلفه وأقيم على كل قول برهان ودليل فتعدد النقل وتبلد العقل وعميت وجوه الترجيح ودرست طرق التصحيح فلا يمكن القول باحدها ولا الميل الى مفردها فان ذلك ترجيح بلا مرجح وتصحيح بلا مصحح فربما يتصور الشئ خيرا وتكون عقباه شرا ويتوهم شرا فتظهر عاقبته خيرا وقد قال منزل الفرقان على أشرف جنس الانسان وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم وكم من قضية يتصورها الفكر صوابا ويذهل عما تتضمنه من خطا مآبا وكذلك النفس تتصور شيأ بصفة وهو بالعكس ولذلك شاهد من وقائع الحس فليس على ذلك معول وشاهده قضية المضيف مع ولده الاحول فقال العفريت وكيف ذلك أيها النحريت (قال الوزير) اخبرني شخص فاضل انه كان رجل كامل كريم الشمائل محبوب الخصائل مرغوب الفضائل غزير الثراء يحب الفقراء عذب الموارد مترصد للصادر والوارد لا يسال الضيف من أين ولا كيف وهو كما قيل للضيف والسيف ورحلة الرجال في الشتاء والصيف فنزل في بعض الايام ضيف من أصحابه الكرام فزاد في اكرامه وأحضر ما طاب من طعامه فلما رفع السماط ووضع للبسط بساط قال لضيفه الصديق عندنا قارورة من الشراب العتيق كنت ادخرته لنزلك وأعددته لمثلك وما عندي سواها فان رأيت أحضرناها وتعاطينا الراح لطلب الانشراح فانها مادة الافراح كما قيل

ومابقيت من اللذات الا ✽ أحاديث الكرام على المدام

فسمع الضيف مقاله وتحمل جميله ودعاله وأجاب سؤاله فاشار المضيف المفضل الى ولده الاحول وقال اذهب الى المقصوره فان هناك قاروره واياك أن تنكسر فان صدع الزجاج لا ينجبر وما بنا ضيرها ولكن ما عندنا غيرها فتوجه الى ذلك المكان فتراءى له قارورتان فرجع من وقته ونادى لمقته أيها الاب المفيد هناك قارورتان فأيهما تريد فخجل من ضيفه وغضب لئلا ينسب الى اللوم والكذب فقال لابنه يا ابن البظرا

عادو بالبغي الا على صاحبه وأنا احد من مكر وخدع واحتال فقال له صاحبه وكيف كان ذلك فأخبره بخبره وقص عليه قصته فقال له رفيقه ما مثلك الا مثل اللص والتاجر فقال له وكيف كان ذلك (قال) زعموا ان تاجرا كان له في منزله خابيتان احداهما مملوأة حنطة والاخرى مملوأة ذهبا فترقبه بعض اللصوص زمانا حتى اذا كان بعض الايام تشاغل التاجر عن المنزل فاستغفله اللص ودخل المنزل وكمن في بعض نواحيه فلما هم باخذ الخابية التي فيها الدنانير اخذ التي فيها الحنطة وظنها التي فيها الذهب ولم يزل في كد وتعب حتى اتى بها منزله فلما فتحها وعلم ما فيها ندم فقال له الخائن ما ابعدت المثل ولا تجاوزت القياس وقد اعترفت بذنبي وخطئي عليك وعزيز على أن يكون هذا كهذا غير أن النفس الرديئة تامر بالفحشاء فقبل الرجل معذرته واضرب عن توبيخه وعن الثقة به وندم هو عند ما عاين من سوء فعله وتقديم جهله ✽وقد ينبغي للناظر في كتابنا هذا أن لا تكون غايته التصفح لتزويقه بل يشرف على ما يتضمن من الامثال حتى يأتي الى آخره ويقف عند كل مثل وكلمة يعمل فيها رويته ويكون مثل الاخوة الثلاثة الذين خلف لهم أبوهم المال الكثير فتنازعوه بينهم

فاما الاثنان الكبيران فانهما اسرعا في اتلافه وانفاقه في غير وجهه وأما الصغير فانه عند ما نظر ما صار اليه أخواه

ا كسر احداهما وهات الاخرى فأخذ العصا وعبر وضرب أحدهما كان تراءى للبصر فلم يكن غير وعاء واحد وقد انكسر فخرج الى أبيه وهو من الفكر في تيه وقال امتثلت ما امرت واخذت العصا وضربت فانكسرت احدى القارورتين ولا أدري الاخرى ذهبت الى اين فقال يابني ان الخطأ منك واليك والخطأ في ذلك كان من نظر عينيك (وانما أوردت) هذا القول لتعلم أيها الغول المهول ان أقوى طرق العلم العين واذا حصل في ادراكها الخلل والشين تراءى الصدق بصورة المين والشئ الواحد بشكل اثنين وهذا أمر محسوس لا تنكره النفوس فكيف ترى تكون عين الفكر المصون وهي بأنواع الحجب محجوبه وبتخيلات الوهم وقضاياه مشوبه ومرآتها انما هي المعاني دون المحسوسة المشاهدة المباني (فعلى هذا) ينبغي التأمل في عقبى هذه الحوادث والتدبر في قصارى هذه الامور والكوارث ثم الاخذ في تعاطيها والشروع في اسباب تلافيها انما يكون بعد امعان الانظار وانعام التدبر والافكار (ثم اعلم) أيها الرئيس الداهي النفيس شيخ المكر والتلبيس والبلسة والتدليس ان الله القديم القادر الحكيم لم يخلق في الموجودات ولم يوجد في المخلوقات أعز جوهرا من الانسان فانه فضله على جنسي الملك والجان واختصه بدقيق النظر وعميق الفكر وسرعة الادراك فهو مع عدم الحراك يحكم وهو ساكن على ما تحت الثرى وفوق الافلاك وشمله بعوائده وعوده بفوائده ولطف به في مصادره وموارده فهو ارحم به من والدته المشفقة ووالده ووكل بحفظه الكرام الكاتبين وملائكته المقربين ورباه في حجر نعمته على موائد لطفه وكرمه ورحمته كما تربي الوالدة الشفيقة والظئر الرقيقة لرقيقه وألهمهم العلم الغزير والقدر الخطير والرأي والتدبير واطلعهم على غامض الاسرار ودقائق الافكار وان علمنا بالنسبة الى علمهم وحلمنا في القياس الى ثباتهم وحلمهم كنسبة علم الفلاح المغتر الى علم الطبيب المعبر بحسن النظر قال العفريت أخبرني بذلك ياشيخ المصاليت (قال الوزير) أخبرني شيخ كبير انه رأى في نومه فلاح كانه خرج من بطنه مفتاح فلما أصبح الصباح جاء الى رجل من أهل الصلاح يعبر المنامات وكان ذا كرامات فقص عليه رؤياه وطلب منه تعبير مارآه فقال له يارئيس هذا منام نفيس لا اذكر ما فيه من تعبير الا بدينار كبير تحصل له بشاره فناوله ديناره فقال يولد لك ولد ذكر يكون سببا للفتوح والظفر وكان له زوجة حامل بقي لها ايام قلائل فولدت ابن غلام بعد ثلاثة أيام فاستبشر الفلاح بالظفر والنجاح ثم بعد مدة حصل للفلاح شدة من مرض آلمه واصاب قدمه فجاء الى معبر المنام وشكا اليه الالام وقال الم في قدمي ضاعف همي واضعف هممي فقال له الطبيب لا بأس ياحبيب هذا داء هين وعلاجه بين اعطني دينارا ثانيا أصف لك دواء شافيا فاعطاه ما اشتهى واستوصفه الدوا فقال ضمد بمحة بيض كثيرة الابزار وضع عليه عسلا مسخنا على النار ففعل ذلك فبرئت قدمه وزال بالكلية ألمه ففكر الفلاح في فعل المعبر الطبيب وقوله المصيب وامره العجيب فانه بادنى عبارة عبر المنام وبادنى اشارة ازال الالام فرأى الراحه في ترك الفلاحه والاشتغال بعلم الطب والتعبير فانه امر هين يسير وبادنى امر حقير يحصل المال الكثير فباع آلات الزراعه وعزم على تعاطي مافي الطب والتعبير من صناعه وجمع كتبا ودفاتر وكراريس مخرمة مناثر ووسع اكمامه ووضع على راسه عمامة كغمامه وجمع عقاقير واوراق وبسط بسطه في بعض الاسواق واشار على لسان مخبر ان المكان الفلاني فيه طبيب معبر وهو استاذ الزمان وعلامة الاوان وتلامذته في الطب حكماء اليونان وفي التعبير ابن سيرين وكرمان وتصدر كابي زيد وساسان عاملا بما قاله شيخ البيان وهو

الطب أهون علم يستفاد فطر * بين الانام به طير الزنابير
واجمع لذلك كراريسا منثرة * وجملة من حشيش من عقاقير
وضع على الرأس قبارا تدوره * كقبة النسر في وزن القناطير

من اسرافهما وتخلصهما من المال اقبل على نفسه يشاورها وقال يانفسي انما المال يطلبه صاحبه ويجمعه من كل وجه لبقاء حاله وصلاح معاشه ودنياه وشرف منزلته في اعين الناس واستغنائه عما في أيديهم وصرفه في وجوهه من صلة الرحم والانفاق على الولد والافضال على الاخوان فمن كان له مال ولا ينفقه في حقوقه كان كالذي يعد فقيرا وان كان موسرا وان هو احسن امساكه والقيام عليه لم يعدم الامرين جميعا من دنيا تبقى عليه وحمد يضاف اليه ومتى قصد انفاقه على غير الوجوه التي علمت لم يلبث أن يتلفه ويبقى على حسرة وندامة ولكن الرأي ان أمسك هذا المال فاني ارجو ان ينفعني الله به ويغني اخوتي على يدي فانما هو مال ابي ومال ابيهما وان أولى الانفاق على صلة الرحم وان بعد فكيف باخوتي فانفذ فاحضرهما وشاطرهما في ماله وكذلك يجب على قارئ هذا الكتاب ان يديم النظر فيه من غير ضجر ويلتمس جواهر معانيه ولا يظن ان نتيجته الاخبار عن حيلة بهيمتين أو محاورة سبع لثور فينصرف بذلك عن الغرض المقصود ويكون مثله مثل الصياد الذي كان في بعض الخلجان يصيد فيه السمك في زورق فرأى ذات يوم في ارض الماء صدفة تتلألأ حسنا فتوهمها جوهرا له قيمة وكان قد ألقى شبكته في البحر فاشتملت على سمكة كانت قوت يومه فخلاها وقذف

واخرج

واجمع معاجين من رب تخالطها * واسحق سفوفا كحال العواوير
وسم ماشئت من أسماء مغربة * كالسند والهند والسرحا وخنفور
وقل من الهند جاء هذا ومن عدن * هذا وهذا أتى من ملك فغفور
وذا من البحر بحر الصين معدنه * وذا من البر بر المدعو ببربور
فان رأيت بالاستسقاء ذا ورم * فقل تورم من لسع الزنابير
ان اقشعر فقل برد عراه وان * يحم قل حر وهيج التناتير
وان أتاك مريض لاتخف وأشر * بما ترى من دواء دونه البورى
فان يعش قل دوائي كان منعشه * وان يمت قل أتاه حكم مقدور
كذلك الرمل والتنجيم خذه على * هذا المثال وخض في علم تعبير
فان أصبت فقل علمي ومعرفتي * وفي التخالف قل ضد المقادير
وان رأيت فقيها فر منه ولا * تنطق بحضرته في فسق وتكفير
وأنت تحتاج في هذا وذاك الى * ذوق ومعرفة مع حسن تدبير

فاتفق أن زمام خليفة الانام رأى في المنام شيأ أهاله وغير حاله فحصل له في رأسه صداع وفي فؤاده أوجاع فسمع بهذا الربع الجديد وانه أستاذ مفيد فأرسل اليه وعرض ما رآه عليه فقال هذا منام يدل على خير وانعام وبقاء ذكر الزمام على الدهر والاعوام ولكن لا أعبر هذه الاحلام الا بدينار تمام فناوله دينارا وأظهر لذلك استبشارا فقال له يولد لك غلام بعد ثلاثة أيام فضحك الزمام من هذا الكلام وقال يا امام أنا رئيس الخدام طواشي بلاشي لا زوجة ولا سريه ولا آلة ولا شهيه فمن أين لي هذه السعاده ولا فرحت بحسن الحسنى فاني تحصل هذه الزياده فلا تسخر مني وكف كلامك عني وأخبرني بتعبير هذا المنام ودع عنك الملام فقال حقا أقول وأنا جربت هذا المنقول وقد عبرت لك هذا التعبير ولا ينبئك مثل خبير فقال الزمام يا أخي دع هذا المقال فان وجود الولد مني محال وأنا رجل بي وجع ومابقي في منتجع فقال وماذا تشكو وألمك في أي مكان هو فقال في فؤادي أوجاع وفي رأسي صداع فقال يازين من فاخر اعطني دينارا آخر أصف لك أيسر دواء يحصل لك منه العافية والشفاء فدفع اليه الدينار وطلب منه دواء الدوار ومابفؤاده من ألم أورثه الوهج والضرم فقال يا أبا الفيض ضمد رجلك بمحة بيض مضافا اليها عسل مشتار وليكن ذلك مسخنا بالنار فاستشاط الطواشي غضبا وفار كالنار شواظا ولهبا وعرف انه جاهل وعن طرق العلم غافل فأدبه التأديب البالغ ورده الى ما كان عليه من منادمة السالغ واستمر على كلاحته بعد رجوعه الى فلاحته (وانما أوردت) هذا المثال ياغول الاغوال لتعلم اننا اذا اشتغلنا بمناظرتهم اشتطنا في محاورتهم لانه في دقيق الاسرار وعميق الافكار وتحقيق الانظار لايقاوم أحد جنس الانسان فكيف يستطيع الجان معارضة من أيده الله تعالى برفيع المعاني وبديع البيان فاذا قابلناهم في المباحث بالمعارضه تعود مسئلتنا علينا بالمناقضة فلما رأى العفريت خور ذلك الصغريت وانه نكل عن المقاومه ونكص عن المصادمه خاف أن تكون آراء الوزراء تبعا لرأيه في عدم لقائه وظنهم مستحسنين لذهابه مستصوبين لآرائه فارخى عنان الكلام ليقف على ماعندهم من مرام وكان عزمه المباحثه والمنابذة والمباعثه والتصدي للاقدام والقاء المسائل بحضرة الخاص والعام لكن مشى مع امام الوزراء ايرى ماهم عليه من الآراء (فقال الوزير) نعم ماقلت أيها الوزير والرأي ماأشرت من الرأي والتدبير فان الله تعالى خلقنا من النار وطبعها الاهلاك والدمار واحراق كل رطب ويابس وبارد وحار والظلم والخسار والافناء والجهل والبوار وطلب الرفعة وعدم القرار وافساد ماتجده من غير فرق بين نفاع وضرار وخلقهم من تراب واليه الاياب وطبعه الحلم والسكون والترابية والركون والعلم

نفسه في الماء ليأخذ الصدفة فلما أخرجها وجدها فارغة لاشئ فيها مما ظن فندم على ترك ما في يده للطمع وتأسف على مافاته فلما كان في اليوم الثاني تنحى عن ذلك المكان والقى شبكته فاصاب حوتا صغيرا ورأى أيضا صدفة فلم يلتفت اليها وساء ظنه بها فتركها فاجتاز بها بعض الصيادين فأخذها فوجد فيها درة تساوي أموالا وكذلك الجهال على اغفال امر التفكر والاغترار في امر هذا الكتاب وترك الوقوف على اسرار معانيه والاخذ بظاهره دون الاخذ بباطنه ومن صرف همته الى النظر في ابواب الهزل كرجل أصاب أرضا طيبة حرة وحبا صحيحا فزرعها وسقاها حتى اذا قرب خيرها وأينعت تشاغل عنها بجمع مافيها من الزهر وقطع الشوك فأهلك بتشاغله ماكان أحسن فائدة واجل عائدة (وينبغي) للناظر في هذا الكتاب ان يعلم انه ينقسم على اربعة اغراض احدها ماقصد فيه الى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة ليسارع الى قراءته اهل الهزل من الشبان فتستمال به قلوبهم لانه الغرض بالنوادر من حيل الحيوانات (والثاني) اظهار خيالات الحيوانات بصنوف الاصباغ والالوان ليكون انسا لقلوب الملوك ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة في تلك الصور والثالث أن يكون على هذه الصفة فيتخذه الملوك والسوقة فيكثر بذلك انتساخه ولا يبطل فيخلق على مرور الايام ولينتفع بذلك المصور والناسخ أبدا (والغرض

والعدل والاحسان والفضل ومع هذا فلو خرجوا عن مادة ما جبلوا عليه وتلبسوا بغير ما ندبوا اليه ولو أدنى الخروج وراءوا اما المارج من مروج لتحكمنا فيهم كما نختار ولعبنا بهم كما يلعب بالكرة الصغار ونحن اذا خرجنا عن دائرة طبعنا وتخالفت أوصاف أصلنا وفرعنا ونقلنا الى دائرة الخير عن جادة الشر اقدام صنعنا لا يقع لنا منهم صيد ولا يؤثر لنا فيهم سيف كيد فاذ عجزنا عن الايذاء في الظاهر لم يبق الا الاغواء من باطن الضمائر والتعلق بأسباب ما نصل اليه من الحيل البواطن والظواهر فقد قال الحكماء وأهل التجارب ومن ابتلى من مكايد الدهر بالنوائب ومنى من ذلك بالعجائب والغرائب اذا تصدى الانسان وقصد غريمه وعجز عن مقاومته في الحكومة والخصومة فعليه بهدم ذلك الجبل بمغناطيس الخداع ومعاول الحيل ويستعين في ذلك باهل النجدة وذوى البطش الشديد والشدة فيتوصل بهم الى حسم ذلك الداء ولو كانوا أعداء غير أوداء فتسليط بعض الاعداء على بعض من أعظم سنة بل من أحسن فرض ولقد أحسن من قال

تفرقت غنمى يوما فقلت لها * يارب سلط عليها الذئب والضبعا

ولا يوجد في هذا الباب لجمع شمل الاعداء أوثق من تفريق الاحباب ومصداقه قوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا وما قويت أعضاد الاسلام الا باجتماع كلمة الانصار والائتلاف ولهذا قصد من نافقوا لما ترافق الانصار وتوافقوا أن يتشاقوا ويتفارقوا فأنزل عليهم واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وهذا الفن يحتاج الى فكر عميق ومكر دقيق وعقل كبير وفعل كثير ومصيب رأى وتدبير وسلوك في طريق اصطناع كما فعلت الفارة من الخداع فقال الوزير ينعم مولانا الباقعة بتحقيق هذه الواقعة (فقال) سمعت أن بعض التجار كان له بستان في دار والى جانبه حاصل فيه الغل المتواصل وفي ذلك الحاصل وكر لشاطر من شطار الفار له عدة منافذ والى الجهات طرق وما آخذ أحدها الى جهة البستان والبستان كأنه جنة رضوان فكانت الفارة ذات الشطارة والمهارة تأخذ من الغلات وأطايب الطعامات ما يكفيها غداء وعشاء صيفا وشتاء وفي وقت الصيف تخرج من ذلك المنزل اللطيف الى جهة البستان فتتمشى بين الغدران وترقى الى أعلى الاغصان وتتمرغ في المروج والرياض وتتخطر في ظلال الدوح والغياض ثم تعود الى وكرها وتأرز الى جحرها وكان عيشها هنيا وأمرها رضيا ومضى على ذلك دهرها وانقضى في أرغد عيش عمرها ففي بعض الاحيان خرجت على العادة للتنزه في البستان فمر بسكنها افعوان فرأى مكانا مكينا وسكنا حصينا بالاطعمة محفوفا وبطيب الاغذية مكنوفا فدخله واستوطنه وترك ما سواه من الامكنة فلما رجعت الفارة الى مكانها المألوف وجدت به العدو الظالم العسوف واحاط بها من الامر المخوف ما يحصل من الذئب اذا عانق الخروف فاسرعت الى أمها وشكت اليها نوائب غمها وما دهمها من نوازل همها فقالت أمها لاشك انك ظلمت أحدا أو وضعت على يتيم اليس لك يدا أو تعديت الحدود أو عاملت مغرما بالصدود فجوزيت باخراجك من وطنك وابعادك عن مقرك وسكنك ومن ظلم ضعيفا عاجزا سلط الله عليه قويا لا كزا وقد رأيت يا أنسي في حديث قدسي اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيرى فلا تطيلي الكلام ولا تتصورى أنك ترجعين الى مالك من مقام ولا طاقة لك على مقاومة الثعبان فدعى تعب الخاطر واطلبي لك مأوى غير هذا المكان فتوجهت الى ملك الفار والجرذان وشكت ما بها من ذلك الشيطان وقالت أنا في خدمتك ومعدودة من رعيتك عمرى على ذلك مضى وزمانى في اخلاص العبودية انقضى وأبى كان في خدمة أبيك وجدى عبد جدك وذويك لم نزل في رق الطاعة متمسكين بحبل سنة الولاء مع الجماعة كل ذلك لامر يدهم أو نازلة تقدم فنستدفع ذلك الخطب بخطابكم ونستكفى هول ذلك النازل بعتابكم والآن لقد وقعت حادثة بالباب عابثة وبالافكار عائثة وللارواح كارثة وذلك انى خرجت من مسكنى لطلب قوتى ثم رجعت الى مبيتى فوجدت ظالما قد استحوذ عليه وغاصبا قد دخل اليه وهو ثعبان مالى به يدان وقد ترامیت على جنابك أستدفع

الرابع) الاقصى وذلك مخصوص بالفيلسوف خاصة انتهى باب غرض الكتاب *(باب برزويه ترجمة بزرجمهر بن البختكان)*

(قال برزويه) رأس أطباء فارس وهو الذى تولى انتساخ هذا الكتاب وترجمه من كتب الهند وقد مضى ذكر ذلك من قبل فيما مضى ان أبى كان من المقاتلة وكانت أمى من عظماء بيوت الزمازمة وكان منشئى فى نعمة كاملة وكنت اكرم ولد ابوى عليهما وكانا بى أشد احتفاظا من دون اخوتى حتى اذا بلغت سبع سنين اسلمانى الى المؤدب فلما حذقت فى الكتابة شكرت أبوى ونظرت فى العلم فكان أول ما ابتدأت به وحرصت عليه علم الطب لانى كنت عرفت فضله وكلما ازددت منه علما ازددت فيه حرصا وله اتباعا فلما همت نفسى بمداواة المرضى وعزمت على ذلك أمرت نفسى ثم خيرتها بين الامور الاربعة التى يطلبها الناس وفيها يرغبون ولها يسعون فقلت أى هذه الخلال ابتغى فى علمى وأيها أحرى بى فأدرك منه حاجتى المال أم الذكر أم اللذات أم الآخرة وكنت وجدت فى كتب الطب ان أفضل الاطباء من واظب على طبه لا يبتغى الا الآخرة فرأيت ان أطلب الاشتغال بالطب ابتغاء الآخرة لئلا أكون كالتاجر الذى باع ياقوتة ثمينة بخرزة لا تساوى شيأ مع انى قد وجدت فى كتب الاولين ان الطبيب الذى يبتغى بطبه أجر الآخرة لا ينقصه ذلك حظه من الدنيا وان مثله مثل الزارع

هذا

هذا البلاء بك فقال ملك الفار ياسائبة الاشفار من ترك ماله سائبا فقد جعله ذاهبا وقال ذوو الاعتبار وأولو الابصار ينبغي بل يجب على الدزدار وحافظ القلعة والحصار أن تكون رجله ذات عرج وانكسار لئلا يكون دينار وجوده خارج الدار وأنت أيتها الفاره فرطت في أمرك والمفرط أولى بالخساره وقد خاب منك السعي لانهم قالوا أظلم من أفعى ومن ظلم الافعوان انه لا يكد نفسه في حفر مكان وتهيئة مبان ومغان ولكنه حيث وجد مسكنا اتخذه لنفسه مقاما ووطنا وهذا قد عرف مكانك المنزه وهو جبار شره فلا يزايله ولا يقابله ومن أين يلتقي مثل هذا المأوى وفي المثل عرف الكلب بيت العميا فالاولى ان ترتادي لك موضعا فتتخذيه مقاما ومرتعا فقالت الفاره وقد تأثرت لهذه العباره يا أيها السلطان وملك الفار والجرذان فما فائدة خدمتي وانقيادي أبي وطاعة جدي الكبير الابي واذا كنتم في الدنيا لا تنفعوننا وفي الآخرة لا تشفعون لنا ولا تدفعون في الاولى صدمات الدواهي والبلا ولا تحمون الاوداء عن مواطئ اقدام الاعداء ولا تدفعون في الاخرى نوائب الطامة الكبرى ولا تحاولون بعالكم من الاستيلاء غرف الدرجات العلى فأي فائدة لكم علينا ونعمة منكم تسدى الينا وهل أنتم الا كما قيل في الاقاويل

اذا لم يكن لي منك عز ولا غنى * ولا عند ما يغتالني الدهر موئل
فكل التفات لي اليك تكرم * وكل سلام لي عليك تفضل

فقال ملك الفار يا قليلة الاستبصار العديمة العقل والافتكار اذا اجتهدنا في ردك الى مكانك وكنا على الثعبان كجندك وأعوانك فهل تشكين يامسكينه وبنت مسكين في أن الافعى تتوجه الى سلطانها وتخبره بشانها وانها أخرجت من مكانها وتستنصر باعوانه وتنتصر على سلطاننا بقوة سلطانه وتستجيش وتستغيث وتغري علينا ذلك الخبيث كما فعل الرافضي العادي العلقمي البغدادي حين دعا التتار العظام لخراب مدينة السلام ومن بعده الذميم نابذ الامام وقصد دمار ديار الشام ولا طاقة لنا بعساكر الحيات ونحن في أحيائهم كعساكر الاموات فتذهب الاموال والارواح وتتعب القلوب والاشباح ومع هذا الامر المعلوم حصول القصد والظفر موهوم فبالله اتركيني واذهبي واطلبي لك مسكنا غيره ولا تتعبي فقالت هذا منزلي القديم وميراثي عن سلفي الكريم وأين أذهب وفيمن أرغب ان لم تغثني هلكت وانذهلت وانسلبت فقال لا تطيلي القول فلا قوة لنا ولا حول فلما أيست الفاره المكارة الغداره تركت سلطانها وذهبت وسلكت طريقها وانقلبت وأنشدت فارشدت

أبعين مفتقر اليك نظرتني * فحقرتني وقذفتني من حالق
لست الملوم أنا الملوم لانني * أنزلت آمالي بغير الخالق

ثم غاصت في بحر الفكر وتشبثت باذيال المكر واستعرضت على مرآة أفكارها وجوه الحيل واستورت من زناد آرائها شرار النظر في الجدل وأخذت تطوف في أكناف البستان فعثرت في طوافها على ذلك الافعوان نائما تحت ورده منطوقا في أهنى رقده فرقت غصنا من الاغصان فلاح لها الباغبان قد سقى البستان وهو تعبان متكئا في الرياض على مسكبة ريحان فاغتنمت الفرصة ونزلت اليه وقربت منه ودارت حواليه ثم وثبت على وجهه وكان نائما فانتهض مرعوبا قائما فذهبت واختفت وبذا القدر اكتفت فرجع ونام وغرق في المنام فدخلت في قميصه ورقصت فاستيقظ منجبا منزعجا فرآها فهربت ونكصت ثم عادت واتكا بعد ما غضب واشتكى فوثبت على وجهه وادخلت ذنبها في أنفه فنهض مستيقظا مجدا فرآها واقفة لا تتعدى فقصدها فهربت ثم رجع فأتت وأتت فنام في مسنده فقربت منه وعضته في يده فانكته وآلمته وأوهجته بما أضرمته فطفر من مرقده وأخذ غصنا بيده وقصدها وقد ذاق نكدها فهربت غير بعيد فرأى وجهها من جديد فتبعها فمشت ثم وقفت وارتعشت تطمعه في صيدها وهو غافل عن كيدها فتبعها وهي قائده حتى انتهت به الى الحية الراقده فعندما رأى الثعبان

الذي يحرث أرضه ابتغاء الزرع لا ابتغاء العشب ثم هي لا محالة نابت فيها ألوان العشب مع نابت الزرع فأقبلت على مداواة المرضى ابتغاء أجر الآخرة فلم أدع مريضا أرجو له البرء وآخر لا أرجوله ذلك الا اني أطمع ان يخف عنه بعض المرض الا بالغت في مداواته ما أمكنني القيام عليه بنفسي ومن لم أقدر على القيام عليه وصفت له ما يصلح وأعطيته من الدواء ما يتعالج به ولم أرد ممن فعلت معه ذلك جزاء ولا مكافأة ولم اغبط أحدا من نظرائي الذين هم دوني في العلم وفوقي في الجاه والمال وغيرهما مما لا يعود بصلاح ولا حسن سيرة قولا ولا عملا ولما تاقت نفسي الى غشيانهم وتمنت منازلهم أثبت لها الخصومة فقلت لها يا نفس اما تعرفين نفعك من ضرك الا تنتهين عن تمني ما لا يناله أحد الا قل انتفاعه به وكثر عناؤه فيه واشتدت المؤنة عليه وعظمت المشقة لديه بعد فراقه يا نفسي اما تذكرين ما بعد هذه الدار فينسيك ما تشرهين اليه منها الا تستحين من مشاركة الفجار في حب هذه العاجلة الفانية التي من كان في يده شيء منها فليس له وليس بباق عليه فلا يألفها الا المغترون الجاهلون يا نفس انظري في أمرك وانصرفي عن هذا السفه واقبلي بقوتك وسعيك على تقديم الخير واياك والشر واذكري ان هذا الجسد موجود لآفات وانه مملوء أخلاطا فاسدة قذرة تعقدها الحياة والحياة الى نفاد كالصنم المفصلة أعضاؤه اذا ركبت ووضعت يجمعها مسمار واحد

نسي أفعال بنت الجرذان فقتل تلك الافعى ولم يخب للفأرة مسعى (وانما أوردت) هذه الحكاية لتقفوا
منها على طريق النكاية ولتعلموا الضعيف اذا كان له أعدا كيف يوقعهم في مصايد الردى واذا استعمل
اللبيب العقل المصيب والفكر العجيب وساعده في ذلك قضاء وقدر نال ما أمل وأمن ما حذر وأفلح أمره
ونجح فكره وهذا اذا كان الضعيف مظلوما والقوي ظالما غشوما كما أنتم عليه مما توجهتم اليه من
معاداة شيخ الشام المستحق للتبجيل والاكرام والتعظيم والاحترام فانه على الحق وأنتم ظالمون وقاصد
الصدق وأنتم كاذبون يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون فهذا أمر
مشكل وداء معضل فاني تصح أبدانكم وقلوبكم مرضى ومن يحبكم وأنتم محسوبون من البغضاء. وكيف
تتقفون وأنتم على الباطل وفي أي ذوق يحلي ما منكم من عاطل وأنا أخاف أي اخلاف أن تسفر هذه
القضايا بعد ارتكاب البلايا وتحمل المشاق والتعب باقتحام موارد الهلاك والنصب عما هو أشد وأنكى
وأحر لعينكم وأبكى كما أصاب مضيف العراق من زوجته زبيدة ذات النطاق حين بدا منها الزنبور على
حافة التنور فقال الوزير للعفريت اخبرنا هذا الصوت يا ذا الصيت (قال) نزل في بعض الرستاق من بلاد
العراق فقير نحيف على مسكين ضعيف وكان بعض أيام الخريف والبرد الشديد يقطع الحديد فبعد
ما طبخوا وتعشوا سجروا النار ليتدفؤا فبقي كل من الحضور يتدفأ على جانب التنور فقعد الضيف مقابل
زوجة المضيف فظهر من تحت نقابها وجه ذلك الحر الظريف ولاح من تحت السجيف كأنه قرص أو رغيف
أو قند عسلي نظيف أو خد جندي نتيف أو القمر شق نصفين أو بدر لاح من تحت ذيل حنين فلما أحس
بحرارة النار وظهر على وجهه الاحمرار صار يتلمظ ويتحلى ولسانه من الحر والدفء تدلى فلمحه الضيف
وهو يتثاءب فتمطى قائم رمحه ونحوه قام وتصاوب وقد قيل في الاقاويل عضوان متعاونان وهما اليدان
وعضوان مختلفان وهما الرجلان وعضوان متتابعان وهما العينان وعضوان متصاحبان وهما اليد
والفم وعضوان متباغضان وهما الاست والانف وعضوان متوافقان وهما العين والاير وكان الضيف
يسارقه النظر ويترشف شفاهه بلسان الفكر ويود في مطالعة جبينه لو أتبع العين بالاثر وجعل يتغنى
ويترنم ويهيم بما يتكلم ليس في العاشقين اقنع مني * انا أرضى بنظرة من بعيد
فتنبه امام هواه الماجد وجعل يقوم ويقع وهو راكع ساجد ويسلم على محرابه أحسن التحيات
ويتشهد رافعا أصبعه بالسلام والصلوات ثم غلبته الحيرة فأخذ يجلد عميره فنظر صاحب البيت فرأى
الضيف غارقا في ذيت وذيت مشغولا بكيت وكيت متأملا معنى هذا البيت

وعند الملتقى انكشف المغطى * تثاءب كسها أيري تمطى

فأراد أن ينبه ربة البيت دار على هذا العشار لتستر حالها وتغطي مالها بطريقة لا يؤبه اليها ولا يقف
ضيفها عليها فمد يده الى سفود وحرك به النار ذات الوقود فعلق من النار به في الطرف وما شعر بذلك
أحد وما عرف ثم لعب ساعة بذلك العود وأوصل في خفية طرفه الى ذلك الشق المعهود انتيقظ فتحفظها
فشوطها وأحرها وأحرق رأس السفود بظرها فالتأمت وانضبطت واحترقت واختبطت وتحركت
بزعقة فضرطت فزادت فضيحة العين فضيحة الانف والاذن ولم يحصل من تلك الحركة الا الخجالة والغبن (وانما
أوردت) هذه الحكايات لتتأملوا في الغايات والنهايات فان من لا يراقب ما يأتي في العواقب ما الدهر له
بصاحب وهذا الرجل الصالح القيم الراجح ما فاق أقرانه وساد أصحابه واخوانه الا بشيء تقدم به عليهم
وتحقق موجب تقدمه لديهم وذلك درجات العلم والعمل فبذلك ساد الرجل وكمل وقال منزل الآيات
وخالق البريات يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقد برع في أنواع العلوم واطلع
على حقيقتها من طريقي المنطوق والمفهوم وأنتم عن طريقه غافلون وعن حقيقة ما هو عليه ذاهلون
واعلموا أن طريقه واحدة وهي الحق وطرقكم متعددة وكلها فسق واتباعه على اتباعه مخالفون وأنتم

يشد بعضه بعضا فاذا أخذ ذلك المسمار تساقطت الاوصال يا نفس لا تغتري بصحبة احبابك واصحابك ولا تحرصي على ذلك كل الحرص
فان صحبتهم على ما فيها من
السرور كثيرة المؤنة وعاقبة
ذلك الفراق ومثلها مثل
المغرفة التي تستعمل في
حدتها لسخونة المرق فاذا
انكسرت صارت وقودا يا نفس
لا يحملنك اهلك واقاربك
على جمع ما تهلكين فيه
ارادة صلتهم فاذا أنت
كالدخنة الارجة التي تحترق
ويذهب آخرون بريحها
يا نفس لا يبعد عليك أمر
الآخرة فتميلي الى العاجلة
في استعجال القليل وبيع
الكثير باليسير كالتاجر
الذي كان له ملء بيت من
الصندل فقال ان بعته وزنا
طال علي فباعه جزافا بأبخس
الثمن وقد وجدت آراء
الناس مختلفة وأهواءهم
متباينة وكل على كل راد
وله عدو ومغتاب ولقوله
مخالف فلما رأيت ذلك لم
أجد الى متابعة أحد منهم
سبيلا وعرفت اني ان
صدقت أحدا منهم لا علم لي
بحاله كنت في ذلك كالمصدق
المخدوع الذي زعموا في
شأنه ان سارقا علا ظهر
بيت رجل من الاغنياء
وكان معه جماعة من أصحابه
فاستيقظ صاحب المنزل من
وطئهم فعرف امرأته ذلك
فقال لها رويدا اني لاحسب
اللصوص علوا على البيت
فأيقظيني بصوت يسمعه
اللصوص وقولي الا تخبرني
أيها الرجل عن أموالك هذه الكثيرة وكنوزك العظيمة فاذا نهيتك عن هذا السؤال فألحي علي بالسؤال ففعلت المرأة ذلك

في

فى طرائقكم القدد مختلفون فقد قال الله تعالى فى محكم تنزيله وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقال بعض أهل الفضل وكلامه فى بيان الحق فصل ماناظرت ذا فنون الاغلبته وماناظرنى ذوفن الاغلبنى وانما أخشى ان ناظرت هذا الرجل الكامل الفاضل ان لاأحصل منه على طائل ويظهر فضله قصورى فيهدم بنيان قصورى فقال الوزراء بعدان اتفقت الآراء كلها واحده متفقة متعاضده نعم مارأى مولانا لرئيس صاحب التدليس واسناد التلبيس والنجب أولاد ابليس ونحن أيضا باتعه نخشى عاقبة هذه الواقعه ولقد جرى مثل هذا المجرى بين بزرجمهر ومخدومه كسرى فى قضية فاق فيها الوزير مخدومه الكبير فسأل العفريت وزراءه عن بيان ذلك الشان كيف كان (فقالوا) بلغنا أيها الخناس الملقى الوسواس فى صدور الناس أن بزرجمهر الوزير كان ذا علم غزير ورأى وتدبير وبديهة جواب تفحم الكد والتفكير وكان حكيم زمانه وعليم أوانه وممن فاق فى الفضل والحكم سائر أترابه وأقرانه وكان مقربا عند مخدومه يزيد فى كل وقت فى تكريمه وتعظيمه وتوقيره وتفخيمه ويصغى الى نصائحه ويعد قربه من أعظم مناجحه ويصبر على كلامه الصادع ووعظه القارع ونصحه القادع لما فيه من الفوائد والمنافع والحكم والبدائع وقد قيل من أحبك نهاك ومن أبغضك اغراك فكان الوزير يبادر قبل سائر الخدم فى وظائف الخدم ويعجل من الليل والظلم حتى كأنه يوافق النجم أو يسابقه فى الرجم ومع ذلك كل يوم يجد مخدومه راقدا فى النوم فيقرعه بالغفلة وينقم عليه هذه الفعله ويعلن بالندا وينادى فى الملا فيقول أفق يامحجوب وتيقظ حتى تظفر بالمطلوب فن باكر نجح ومن غلس المطلوب أفلح ومن تخلف فى النوم سبقه الى المنزل القوم وفاته المطلوب ولا يدرك المحبوب واترك لذة الكرى فعند الصباح يحمد القوم السرى وكان كسرى يجد لهذا الكلام أنواعا من الآلام لانه كان يطيل السهر الى وقت السحر عاكفا على المدام وسماع الانغام ومغازلة الغزلان ومعاقرة الندمان واحياء الليل عمرثان فاذا نام واستراح امتد نومه الى الصباح فلا يوقظه الاعياط الوزير وصراخ ذلك الصائح النذير فلما طال عليه المطال وغلب عليه من ذلك الملال ارصد للوزير فى الطريق من منعه عن التكبير بالتعويق فتصدى له الرصد وأعروا رأسه والجسد وأخذوا قماشه وسلبوا رياشه فرجع الى بيته ممكرها ولبس ثيابا غيرها فابطأ فى ذلك اليوم وتخلف فى الخدمه عن القوم ولم يجئ الا وقد استيقظ كسرى من النوم وهو جالس فى صدر الايوان وحواليه مباشرو الديوان وسائر الوزراء والاركان وعامة الجند والاعوان كل فى مقامه ضابط زمامه فادى بزرجمهر وظائف الخدمة على عادته ووقف فى مكانه مع جماعته فقال كسرى ماد عامولانا الوزير فى هذا اليوم المنير الى التخلف والتأخير وترك التبكير وانشاده بالتبكير قول الشاعر الكبير

بكرا صاحبى قبل الهجير * ان ذاك النجاح فى التبكير

فقال ان الحرامى عارضنى امامى وقصدنى فى ظلامى فأخذ شاشى وسلبنى قماشى ورياشى فرجعت الى كناسى وجددت زينتى ولباسى فهذا سبب تأخيرى وعدم تبكيرى وموجب تخلفى عن وعظى وتذكيرى فقال كسرى ما أفادك التذكير الا الغرامة فى التبكير ولولاه ماسلب القماش ولاذهب الرياش ولاقام الحرامى بالمعاش فاين الفلاح فى القيام قبل الصباح فقال بزرجمهر فى الحال وقد أصاب فى الجواب ليس ذلك كذلك ياامامى وانما بكر قبلى الحرامى ولم أباكر أنا بالنسبة اليه فرجع فائدة تبكيره منى عليه فعجب كسرى من خطابه وسرعة بديهته فى جوابه (وانما أوردت) هذا القول بين يدى امامنا الغول وشيخ المردة المهول ليعلم ان كسرى وان كان عالما وفاضلا وحا كما اذعن لكلام وزيره واتبع رأى مشيره وانصف من نفسه اذ أدرك الوزير بفهمه مالم يدركه هو بحسه فاسترسل معهم العفريت فيما هم عليه والتخلف عما ندبهم اليه وقال فبأى الحبائل نصيدهم وبماذا نكيدهم فقال أحد

وسألته كما أمرها وأنصتت اللصوص الى سماع قولهما قال لها الرجل ايتها المرأة قد ساقك القدر الى رزق واسع كثير فكلى واسكتى ولا تسألى عن أمر ان أخبرتك به لم آمن ان يسمعه أحد فيكون فى ذلك ما أكره وتكرهين ثم قالت المرأة اخبرنى أيها الرجل فلعمرى مابقربنا أحد يسمع كلامنا فقال لها انى أخبرك انى لم أجمع هذه الاموال الامن السرقة قالت وكيف كان ذلك وما كنت تصنع قال ذلك لعلم أصبته فى السرقة وكان الامر على يسيرا وأنا آمن من ان يتهمنى أحد أو يرتاب فى قالت فاذ كرلى ذلك قال كنت اذهب فى الليلة المقمرة أنا وأصحابى حتى أعلو دار بعض الاغنياء مثلنا فانتهى الى الكوة التى يدخل منها الضوء فارقى بهذه الرقية وهى شولم شولم سبع مرات واعتنق الضوء فلا يحس بوقوعى أحد فلا أدع مالا ولا متاعا الا أخذته ثم أرقى بتلك الرقيه سبع مرات واعتنق الضوء فيجذبنى فأصعد الى أصحابى فنمضى سالمين آمنين فلما سمع اللصوص ذلك قالوا قد ظفرنا الليلة بما نريد من المال ثم أنهم أطالوا المكث حتى ظنوا ان صاحب الدار وزوجته قد هجعا فقام قائدهم الى مدخل الضوء وقال شولم شولم سبع مرات ثم اعتنق الضوء لينزل الى أرض المنزل فوقع على أم رأسه منكسا فوثب اليه الرجل بهراوته وقال له من أنت قال أنا المصدق المخدوع المغتر بما لا يكون أبدا وهذه

الوزراء بالنساء فانهن زمارة المحن وطبل المحن والطبل لا يضرب تحت الكساء هن أعظم وسائلنا وأحكم أرهاقنا وحبائلنا وناهيك ما قاله العزيز العليم الذي جبلهن على غير تقويم وفطرهن على الكيدان كيدكن عظيم وجعل كيدنا بالنسبة الى كيدهن سخيفا فقال ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال سيد السادات ورئيس الرؤساء ماتركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء وقال الولي ومن قدره الرفيع علي

ان النساء شياطين خلقن لنا * نعوذ بالله من شر الشياطين

وقال من أجاد في المقال وشنف المسامع بالاقوال حيث قال

وما حز أعناق الرجال سوى النسا * وأي بلاء جاء لسن له أهلا

فكم نار شر أحرقت كبد الورى * ولم يك الا مكرهن لها أصلا

وانهن أشراك الاشراك وأوهاق الازهاق وأسواق الفساق ومصايد المصائب ومراصد النوائب وحسبك ياذا الدها ما أوهى ذلك الحكيم حين سها وأذعن لزوجة الرئيس اذ نبهته على ما عنه لها فسأل العفريت عن تلك الحاله وبيان ما فيها من المقاله (فقال) ذكر أن حكيما من العلماء وعالما من الحكماء أولع بضبط مكر النساء وشرع في تدوينه صباحا ومساء وصار يجول البلدان ويطالع لذلك كل ديوان ويكتب ما يكون وما كان ويحرر من ذلك الاوزان بالمكيال والميزان فنزل في بعض الآناء على حي من الاحياء فصادف ذلك التعيس بنت الرئيس فتلقته امرأة ظريفه ذات شمائل لطيفه وحركات رشيقة خفيفة وقابلته بالترحاب وفتحت للدخول الباب فاقبل عليها وترامى اليها فانزلته في صدر البيت وأخذت معه في كيت وكيت كأنها معرفة قديمه وحديثة كريمه وكان زوجها غائبا قد قصد جانبا فشرعت في نزل الضيف لئلا تنسب الى بخل وحيف فاخذ يطالع في ديوانه ويسرح سوائم طرفه في ظرف بستانه يشغل أوقاته ويتفكر ما فاته ليتعاطى اثباته فقالت له ضرة الريم ما هذا الكتاب العظيم أيها الفاضل الحكيم فقال شيء صنعته وكتاب ألفته وهو في الغربة أنيسي وفي الوحدة جليسي فقالت ياذا الحكم والحلم ما فيه من فنون العلم فقال سر مصون وأمر مخزون ودر مكنون لا يجوز ابداؤه ولا يحل افشاؤه فقالت ياذا الشكل الظريف والوصف اللطيف والعلم المنيف هذا التعريف لا يليق بالتصنيف فان فائدة التصنيف الاشتهار وثمرة العلم الانتشار ودونك ما قاله الكئيب في مخاطبة الحبيب

أذقني من رضابك يا حبيبي * فما الشهد دون الذوق لذه

وما أخذ الله على الجهال أن يتعلموا حتى اخذ على العلماء أن يعلموا فقال الامر كذلك يازين الامور ولكن هذا علم يصان عن ربات الخدور فقالت ان الله الجليل الذات الجميل الصفات ذكر المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات وما منع نساء الانسان الخيرات الاطهار أن يسألن المصطفى المختار عليه أفضل الصلاة والسلام عن غسل المرأة في الاحتلام ولا أن يلجن معه المخاضة في السؤال عن الحائض والمستحاضة فخمع في ميدان الامتناع وأصر على الممانعة والدفاع وقال يا حصان هذا سر يصان لا سيما عن في دينه وعقله نقصان فأغراها هذا المقال على الالحاح في السؤال وزادت في اللجاج ومارت في الاحتجاج وترامت لديه وأقسمت بدلالة الدال عليه فقال هذا علم لم أسبق اليه جمعت فيه مكر النساء ومن أجاد منهن ومن أساء ومن تعاطت لطائف الحيل وخفي الفعل وخفيف العمل ومن دعت بدعاها حتى بلغت مناها ومن وقعت في الشدائد فاحتالت بدقيق فكرها الثاقب المكايد وتخلصت من شرك المصايد فلما سمعت ما قال ووعت صكت وجهها واغربت تقهقها وتمايلت تمايل القضيب وقالت سر غريب وأمر عجيب وضيعة عمر حاصل فيما لا تحته طائل وشغل سر وبال في جمع أمر محال لقد ركبت المشاق وكلفت نفسك ما لا يطاق ونسفت الرمل بالكربال وغرفت البحر بالغربال ووزنت الطور بالمثقال وتحملت الذر بالاثقال فارجع عن هذا الغلط ولا تلزم ذلك الشطط فان مكر ربات الخدور

ثمرة رفيقك * فلما تحرزت من تصديق مالا يكون ولم آمن أن صدقته ان يوقعني في مهالكة عدت الى طلب الاديان والتماس العدل منها فلم أجد عند أحد ممن كلمته جوابا فيما سألته عنه فيها ولم أر فيما كاموني به شيئا يحق لي في عقلي أن أصدقه ولا أن أتبعه فقلت لما لم أجد ثقة آخذ منه فالرأي أن الزم دين آبائي وأجدادي الذي وجدتهم عليه فلما ذهبت ألتمس العذر لنفسي في لزوم دين الآباء والاجداد لم أجد لها على الثبوت على دين الآباء طاقة بل وجدتها تريد ان تتفرغ للبحث عن الاديان والمسئلة عنها والنظر فيها فوسوس في قلبي وخطر على بالي قرب الاجل وسرعة انقطاع الدنيا واغتباط أهلها وتخرم الدهر حياتهم ففكرت في ذلك وقلت اما أنا فكأني الرجل الذي زعموا انه عاشق بامرأة ذات بعل وان تلك المرأة حفرت له سربا من بيتها الى الطريق وجعلت باب ذلك السرب عند جب الماء وفعلت ذلك خوفا من بعلها أو غيره ممن تخافه فتسكون اذا رتابت من أحد تخرج الرجل من ذلك السرب فاتفق ذات يوم ان الرجل كان عندها وبلغها أن زوجها بالباب فقالت للرجل على عجل منها وبخيفة بادر اخرج من السرب الذي عند جب الماء فانطلق الرجل الى ذلك المكان فلم يجد جب الماء فرجع اليها وقال لها ان الجب الذي ذكرت لي ان السرب عنده ليس هنالك فقالت له يا أيها المائق وما تصنع بالجب

لا يدخل ضبطه بسطر تحت مقدور فقال لها أنت غبيه وعن هذا الكلام غنيه وان كنت فاضلة ذكيه انا قد بلغت فى ذلك الغايه وأحطت به بداية ونهايه ووقفت على مجمله ومفصله فلم يشذ عنى شئ من آخره وأوله فسلمت وما تكلمت وغالطت وما بالطت وسارت وما مارت وفوضت اليه هذا التحقيق وسلكت معه غير هذا الطريق حتى كان هذا الكلام فى هذا المقام شيأ فريا ونسيا منسيا ثم نزلت من برج المنازله وأخذت تلك الغزالة فى المغازله وانتهى بهما المقال الى هذا السؤال فقالت أيها اللبيب الماهر ما معنى قول الشاعر

يهددنى بالرمح ظبى مهفهف * لعوب بالباب البرية عابث
ولو كان رمحا واحدا لاتقيته * ولكنه رمح وثان وثالث

فالرمح الواحد قامته والرمح الثانى ماحوته راحته وقل لى يا أبا الحرث ما هو الرمح الثالث فقال ذلك النبيه قيل ما يظهر من تثنيه فان هز لين اعطافه وسرعة انعطافه تراه العينان كأنه رمحان وقيل ما يظهر من ذلك المهفهف عند هزه الرمح المثقف فانه يتراءى للعين الشكل الواحد اثنين ولهذا نظير فى اليوم المطير وأحسن مثال عند رشق النبال وفى تدوير المحجن وفتل الصولجان عند سرعة الدوران وقيل كان معه رمحان فعده واحدا وهما اثنان وعندى يا دمية القصر انه ليس المراد الحصر وانما المراد التكثير يا ضرة البدر المنير لان عطفه كلما انهزهزه حصل فى صدر المتيم وخزه ورمح قامته يتثنى ويتقصف فتارة يميل وأخرى يتثقف واطعنا لعشاق يخطر ويتهفهف فالمتيم لا يبرح من قده فى طعنات كلم يزل من سهام جفنه فى بحرات ووخزات وهو من المجاز المرسل اذ المراد الطعن من ذلك الاسل وكان قصده أن يسرد الاعداد لا الى غاية ويبلغ بها الى ما لا نهاية فيقول ثان وثالث ورابع وخامس وسادس وسابع فلم تسع القافيه يا من هى بوصلها شافيه وبرضابها عافيه ونظير هذا باخره ان تستغفر لهم سبعين مره وليس المراد الحصر يا رقيقة الخصر ويا عين العين فى السبعين حتى لو زاد على هذا العدد لغفر لهم الواحد الصمد بل المراد أنه لا يغفر لهم ولو زاد فقالت يا صاحب البيان وربه انما عنى بالرمح الواحد زبه فأفصحت له بالكلام عما لها من مرام كأنها الثة بنات همام نفعلت عن الرجل واستحت لما أفصحت عن مقصودها وأوضحت فقالت حييت وحييت لا تستح واصنع ما شئت فحركت بهذا الكلام العابث من الشيخ الحكيم الرمح الثالث فصد الهايد الفاجر العائث وذهب بذلك الرجل الحازم وراودها مراودة العازم الجازم وصارت تلك اللاعبة بين الاطماع والمناعه تتثنى وتتقصف فتارة تتثقف وأخرى تتخسف وبينماهما فى المجاذبه والمداعبة والمطايبه وهى تتزوى وتلين وتصعب وتستكين اذ تراءى لها زوجها من بعيد فقالت جاء زوجى وهو عنيف عنيد فسلب القرار وطلب الفرار ووقع ذلك الحكيم النبيه فى فتنة فيها الحليم سفيه ودهمه ما هو أهم مما هو فيه من دواهى العشق ودواعيه ونسى العشق والعشيق وطلب الخلاص من المضيق وأظهر صورة حاله ما عناه الشاعر فى قاله

سألت مجربا طبا عليما * خبيرا بالوقائع مستعاذا
وقلت ألشهد أحلى أم رضاب * أم النيك الذى للروح حاذى
فقال وحق ربى النفس أولى * اذا جاء الجزا هذا وهذا

واشتغل الحكيم بنفسه وخاف حلول رمسه وكان فى طرف البيت صندوق مقفل عليه ستر مسبل ففتحت له الصندوق ورعت له بانحطاته عن زوجها الحقوق وأمرته بولوجه ليكفى من زوجها شر خروجه فشكر لها صنعها وامتثل وانسل الى ذلك اللحد الضيق ودخل فأقفلت عليه أغلاقه وأحكمت وثاقه ثم تلقت زوجها بالترحاب ودخلت معه فى الاطعمة من كل باب وقدمت له ما أكل وانسدحت له فركب وركل ثم قالت أخبرك يا حبيب بوقوع أمر غريب وحادث بديع عجيب وهو أنه قدم حكيم فاضل حليم عالم عظيم فاكرمت نزله وبوأت منزله وكان معه كتاب فيه العجب العجاب فسألته عما حوى

الاحق الخ ودع عنك الحق والتردد فقال لها كيف أمضى وقد خلطت على وذكرت الجب وليس هنالك فلم يزل على مثل هذه الحال حتى دخل رب البيت فاخذه وأوجعه ضربا ورفعه الى السلطان (فلما) خلصت من التردد والتحول رأيت ان لا أتعرض لما أتخوف منه المكروه وأن اقتصر على عمل تشهد النفس انه يوافق كل الاديان وكففت فكرى عن القتل والضرب وطرحت نفسى عن المكر وهو الغضب والسرقة والخيانة والكذب والبهتان والغيبة وأضمرت فى نفسى ان لا أبغى على أحد ولا أكذب بالبعث ولا القيامة ولا الثواب ولا العقاب وزايلت الاشرار بقلبى وحاولت الجلوس مع الاخيار بجهدى ورأيت الصلاح ليس كمثله صاحب ولا قرين ووجدت مكسبه اذ وفق الله وأعان يسيرا ووجدته يدل على الخير ويشير بالنصح فعل الصديق بالصديق ووجدته لا ينقص على الانفاق منه بل يزداد جدة وحسنا ووجدته لا خوف عليه من السلطان ان يغصبه ولا من الماء أن يغرقه ولا من النار ان تحرقه ولا من اللصوص أن تسرقه ولا من السباع وجوارح

 الطيران تمزقه ووجدت الرجل الساهى اللاهى المؤثر اليسير يناله فى يومه ويعدمه فى غده على الكثير الباقى

فقال مكر النسا فقالت له هذا شيء لا يحصى ولا يحصر ولا يجمعه ديوان ولا دفتر فلم يسلم الى ولم يعول على وذ كر أنه أنهاه ولم يدع من مكر النساء فنا الا أودعه اياه فما وسعني الا اني غازلته وداعبته وهازلته فطمع من لين محاورتي في حسن مزاورتي وطلب مني ذلك العقوق ما هو أعز من بيض الانوق وبينا نحن في العيش الرغيد واذا بك أقبلت من بعيد كل ذلك والحكيم يسمع قولها وما تخبر به بعلها فلما سمع الزوج هذا الكلام اضطرب وزمجر واصطخب وقال وأين هذا الفاسق الفاجر المنافق والله لاذيقنه كأس التلف ولالحقنه بمن سلف فلم يبق في الحكيم مفصل الا ارتجف فقالت ها هو في الصندوق مختنق فخذ ثارك منه واشتفي فنهض وصاح هات المفتاح فعلم الحكيم أن عمره ذهب وراح وكان سبق من زمان بين الزوجين عقد رهان انه من فتح منهما الصندوق غلب وأقام اصاحبه بما طلب فلما ذكرت له حكاية الحكيم ندعته عقد الرهن القديم وذهل لشدة الغيره ووفور الحيره وتوجه الى الصندوق فبمجرد ما فتح القفل المغلوق صاحت عليه غلبتك يا معشوق فأد ما ثبت لي عليك من الحقوق فتذكر عقد المراهنه ولم يشك أن كلامها كان مداهنه فضحك بعد ما كان عبس وألقى المفتاح من يده وجلس ولعنها ومكرها ولعبها وفكرها ثم اصطلحا وانشرحا وزادا نشاطا ومرحا ثم خرج في ضروراته وتوجه الى حاجاته فاقبلت تلك العروس الى الحكيم المحبوس وأفرجته من الاعتقال وذكرت له هذه المناقلة والانتقال وقالت أيها الحكيم العظيم هل كتبت هذه المناقلة في كتابك الكريم فقال لا والله الرحمن الرحيم واني قد سلمت اليك وتبت الى الله على يديك (وانما أوردت) هذا المثال لاعرض على شيخ السعالي وامام الاغوال ان النساء في هذه الحركه أعظم متشبث وأقوى شبكه وهن لسلب اللب من الرجال أضعاف فتنة المسيح الدجال خلقهن أعوج وخلقهن أهوج ورأيهن غير سديد والرجال لهن أذل عبيد وان كن ناقصات عقل ودين فهن الكاملات في سلب العقل المتين والفكر الرزين وأذهب للب الرجل الحازم والعقل السديد الجازم وهل أخرج آدم من جنة المأوى الا قصة صدمته من قبل حوا وما قتل هابيل قابيل الا بفتنة الزوجة كقابيل وكذلك قصة من أوتي الآيات فانسلخ منها وقد عرف كل ذلك ابتداؤه وانتهاؤه وغالب من عصى الله وأسا انما كان سبب كفره واخزائه النسا فلا تعترضوا على هذا الرأي المتين ولا تتعرضوا لهذا الرجل فانه على الحق المبين ولا تقصدوا المعارضته وسؤاله فربما يكون مجالكم أضيق من مجاله ولا نقدر على مناقشته ويظهر جهلنا وعجزنا عند مباحثته فقال سائر الوزراء هذا الرأي أصوب الآراء فانا الى الآن ما بارزناهم بالمخاشنة وانما كنا ناتيهم بالمخادعة والمحاسنه فنزين لهم الباطل ونحلي لهم العاطل ونشوه وجه الحق ونسود طلعة الصدق الى ان ظهر هذا الرجل ونحن على ذلك فوقف في طريقنا وأراهم الدرب السالك وعلا شانه ووضح برهانه ونحن على ما نحن عليه من الاغواء والقائهم في مهاوي الاهواء والحرب بيننا وبينهم سجال فلو كاشفناهم بسوء الفعال انكشف لهم زيف نقدنا وبطل ما كنا نسوله بجهدنا فاذا ظهر الحق من الباطل وتميز الحالي من العاطل أخذوا حذرهم وضبطوا أمرهم وداروا بالعداوه وضربوا بالملوحة بعد الحلاوه ثم ظفرنا بهم موهوم ونصرنا عليهم غير معلوم فما نظفر الا بالندامه ونرضى اذ ذاك بغنيمة السلامه ويستمر هذا العار علينا الى يوم القيامه وقد قيل

لا تسع في الامر حتى تستعد له * سعي بلا عدة قوس بلا وتر

فعند ذلك استشاط العفريت غضبا وطار شرر الهذا الاشتعال ولهبا وقال لقد عظمتم من شأن الانسان وأوهنتم بل أهنتم جانب اخوانكم الجان وضيعتم حقوق الاخوان وأبطلتم حكاية السعالي والغيلان ونسيتم فتن جدكم الاعلى الباقية على ممر الزمان ونحن أدق حيله وأجل جماعة وقبيله وأوسع ذكرا وأسرع مكرا وأقدم وجودا وأعظم جنودا وأغزر علما وادرا كا وفهما ولا أرى لكم همة صادقه

أو نهمة يصيبها أصاب التاجر الذي زعموا انه كان له جوهر نفيس فاستأجر لثقبه رجلا في اليوم بمائة دينار وانطلق به الى منزله ليعمل واذا في ناحية البيت صنج موضوع فقال التاجر للصانع هل تحسن أن تلعب بالصنج قال نعم وكان بلعبه ماهرا فقال التاجر دونك والصنج فاسمعنا ضربك به فاخذ الرجل الصنج ولم يزل يسمع التاجر الضرب الصحيح والصوت الرفيع والتاجر يشير بيده ورأسه طربا حتى أمسى فلما حان الغروب قال الرجل للتاجر أومر لي بالاجرة فقال له التاجر وهل عملت شيأ تستحق به الاجرة فقال له عملت ما أمرتني به وأنا أجيرك وما استعملتني عملت ولم يزل به حتى استوفى منه مائة دينار وبقي جوهره غير مثقوب فلم أزدد في الدنيا وشهواتها نظرا الا ازددت فيها زهادة ومنها هربا وجدت الناسك هو الذي يمهد للمعاد كما يمهد الوالد لولده ووجدته هو الباب المفتوح الى النعيم المقيم ووجدت الناسك قد تدبر فعلته السكينة فشكر وتواضع وقنع فاستغنى ورضي ولم يهتم وخلع الدنيا فنجا من الشرور ورفض الشهوات فصار طاهرا واطرح الحسد فوجبت له المحبة وسخت نفسه بكل شيء واستعمل العقل وابصر العاقبة فأمن الندامة ولم يخف الناس ولم يدب اليهم فسلم منهم فلم أزدد في أمر النسك نظرا الا ازددت فيه رغبة حتى هممت أن أكون من أهله ثم تخوفت ان لا أصبر على عيش الناسك ولم آمن ان ... ولا ...

ولاعزيمة موافقة وأماماقات لكم ماتقدم من القول الالاخبرمافى فرائض علمكم من الرد والعول فلا أقوالكم سديده ولاأفعالكم رشيده ولقد حل بكم الصغار وسطابكم من الانس الصغار وأماأنا فلابدلى من المباحثه والمناقشة والمنابذه والالقاء للمسائل والابحاث فى الرسائل من غير وسائط ولاوسائل ليهلك من هلك عن بينه ويحيا من حى عن بينه فاعلموا ذلك وتحققوه ثم أمعنوا النظر فيه ودققوه وهذا هو الرأى الذى صممت عليه فليتوجه كل منكم بقلبه وقالبه اليه ويقل فى ذلك غثه وسمينه ويلق هجان قوله وهجينه ولايدخر شيأ من آرائه فلابدلى من القائه واعلموا أن الوادى الحرار الذى هو الى جهة جار لو اتفقت الآراء على صرف جريانه الى جهة أخرى وأن يسد عن هذه الجهة المجرى فانهم لو قصدوا ذلك من أسفل الوادى لسخر منهم الحاضر والبادى ولايتهيأ لفاعله مايتمناه حتى يسد طريق الماء من أعلاه وأنتم ان قصدتم معالى الامور واهملتم رؤس الجهور ثم تعمدتم الاراذل وتبدلتم الاكابر بالاوغاد والاسافل فانكم اذا اعمار وقد ضيعتم فى غير حاصل الاعمار وقد قيل

اذا كنت لابد مستتربا * فمن أعظم التل فاستترب

وما اللجين كالرصاص والجروح قصاص ولايكافأ الرئيس الابالرئيس ولايقابل النفيس بالخسيس وأى فخر للملوك اذا نازلوا السوقة والصعلوك وقد قيل

ألم تر أن السيف يزرى بقدره * اذا قلت هذا السيف أمضى من العصا

وما اكتفى صناديد قريش يوم بدر بدون أكفائهم فى النسب والقدر وماذا تفيد سياستكم وتعدى شيطنتكم ووسوستكم وأنتم أولو الزعاره وذوو الشطارة والدعاره اذا قهرتم من الانس وعلا كم أضعف جنس وهم أقصر أعمارا ونحن أطول أطوارا لم نزل نصادم الجبال ونقتحم الاهوال ونظهر كاشتنا فى باب الخبال ومن قبل جدنا اللعين جادل رب العالمين فقال فى حق جدهم أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين وقال لاغوينهم أجمعين وقال ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين وهم يموتون وهو من المنظرين وعلى كل حال نحن أقوى منهم واجرا واعرف بطريق الخبث والمكر وادرى وبالجملة الحكم على الشئ فرع عن تصوره والشخص لايحكم على شئ الابعد تصوره وتقرره وهذا الانسان الى الآن لاسبرناه ولاخبرناه ولاعرفناه فكيف تقطعون له بالغلبه وتفضلون علينا مسيره ومنقلبه وان لم تفصحوا بالعباره فقد دللتم على ذلك بالاشاره وكنيتم عنه بالتلويح والكناية ابلغ من التصريح هذا ونحن كم قد أضللنا من حكيم واذللنا من عليم وأفسدنا من عقائد وعقدنا من فسائد ونصبنا لهم من مصايد وأرصدنا عليهم من مراصد وأبطلنا من طاعات وعطلنا من خيرات وأخللنا من صلوات وأحبطنا من زكوات ومنعنا من حجات وصدقات وضيعنا من ميراث ونفقات واسقطنا من اعمال صالحات وكم لنا فى الشر من سوق ومن سوق الى فسوق والقاء فى حرام وتسربل بمظالم وآثام وكم لنا من احكام أحكام على القضاة والحكام يستحلون بها السحت والحرام ويأكلون بها أموال الايتام ويستبيحون بها الدماء والفروج وكم دخلنا فيهم فاخرجنا منهم الاسلام اخفى خروج وكم لنا فيهم من مصائب لعصائب وحواصب مناصب وكتائب نوائب وعجائب نواهب وغرائب نوادب نسلبهم بها دينهم ونغبنهم اعتقادهم الحق ويقينهم وكم لنا فى سكونهم الى الطاعات من حركات وفى ركونهم الى الخيرات من سقطات وكم لهم الى الطاعات من همم فبردناها وساوسنا فحصل منها فى أحشائهم الضرم وفى وجود خيرهم العدم وفى صحة ايمانهم السقم وفى شباب صدقهم الهرم وفى سكون امانهم الضربان والالم وفى دائرة حلالهم الحرام والحرم وكم وكم وكم وكم ونحن الآن على ما كنا عليه وهو الذى طبعنا عليه وندبنا اليه دأبنا عن الحق اضلالهم وعن الصراط المستقيم ازلالهم والى الباطل دلالتهم وادلالهم تزين لملوكهم الاجتراء ولكبرائهم الافتراء ولرؤسائهم الازدراء

تركت الدنيا وأخذت فى النسك أن أضعف عن ذلك ورفضت أعمالا كنت أرجو عائدتها وقد كنت أعملها فانتفع بها فى الدنيا فيكون مثلى فى ذلك مثل الكلب الذى مر بنهر وفى فيه ضلع فرأى ظله فى الماء فهوى ليأخذه فاتلف ماكان معه ولم يجد فى الماء شيأ فهبت النسك مهابة شديدة وخفت من الضجر وقلة الصبر وأردت الثبوت على حالتى التى كنت عليها ثم بدالى أن اصبر على ما أخاف أن لاأصبر عليه من الاذى والضيق والخشونة فى النسك ومايصيب صاحب الدنيا من البلاء وكان عندى أنه ليس شئ من شهوات الدنيا ولذاتها الاوهو متحول الى الاذى ومولد للحزن فالدنيا كالماء الملح الذى لايزداد شاربه شربا الاازداد عطشا وهى كالعظم الذى يصيبه الكلب فيجد فيه ريح اللحم فلايزال يطلب ذلك اللحم حتى يدمى فاه وكالحدأة التى تظفر بقطعة من اللحم فيجتمع عليها الطير فلاتزال تدور وتدأب حتى تعيا وتعطب فاذا تعبت القت مامعها وكالكوز من العسل الذى فى أسفله السم الذى يذاق منه حلاوة عاجلة وآخره موت ذعاف وكأحلام النائم التى يفرح بها الانسان فى نومه فاذا استيقظ ذهب الفرح فلما فكرت فى هذه الامور رجعت الى طلب النسك وهزنى الاشتياق اليه ثم خاصمت نفسى اذهى فى شرورها سارحة وقد لاتثبت على أمر تعزم عليه كقاض سمع من خصم واحد فحكم له فلما حضر الخصم الثانى عاد الى الاول

ولعلمائهم المراء ولزهادهم الرياء ولتجارهم الربا ولامرائهم سفك الدما ولنسائهم السلاطة والزنا
ولخواصهم الغيبة والنميمه ولعوامهم الخوض فى كل جريمه وللمشايخ قول الزور ولنسائهم الوقاحة
والفجور وهذا دأبنا ودأبهم ولم تزل أوهاقنا ورقابهم فان قلنا نصل بهم هذا الواصل فان هذا تحصيل
الحاصل وان قلنا نستأنف عملا جديدا فانا لم نترك فى ذلك ما يبقى مزيدا وقد بلغنا فى ذلك كله الغايه
وها نحن ملابسون منه ما ليس وراءه نهايه ولم يبق الا المقابله فى المقاتله والمباشره بالمكاثره والمفاتحه
فى المقابحه والمكالحه فى المناكحه فلما سمع الوزراء هذا الكلام عرفوا أن أسباب دولتهم آذنت
بانصرام غير أنهم لم يقدروا على المخالفه فاوسعهم الا المطاوعه والمؤالفه لئلا ينسبهم الى غرض فيصيبهم
منه عرض أو مرض فحسنوا له رأى المصادمه ومباحثة العالم والمقاومه واتفقت الآراء أن يرسلوا للعالم
أولا وانتخبوا من يصلح أن يكون مرسلا فيحمله العفريت فى الرساله ما تتضمنه من الحماسة والبساله
حسبما يراه رأيه التعيس وفكره المدبر الخسيس وكان فى شياطينه المرده وغيلانه العتاة العنده
عفريت من الجن مارد مسن اسمه مصن بن مصن قد أضل عقائد وأزل قواعد وأشرب بغض بنى آدم
وغمس طائفة منهم فى نار جهنم بعدما غطسهم من المعاصى فى يم لا عنعه وجوم عن الهجوم ولا يخاف
الرجوم من النجوم طالما أطال البوائق فى المغارب والمشارق وأضرم نيران الافساد بين الخلائق
وملأ ما بين الخافقين من مواقع الصواعق وفوح نتانة الوساوس وفساء الظربان فى المجالس وانقض
للشر والفتن على كل قائم وجالس فكم له توفيق بين الحرامين وتفريق بين الحلالين وسفك دماء بين
الاخوين والقاء البغضة بين المحبين والعداوة بين الالفين والعربدة بين السكارى والحروب بين
المسلمين والنصارى وبالجملة فقد أوتى من الوسوسة والتلبيس صنوفا كثيرة فاق بها على ذرية ابليس
فانتدبه العفريت الملم الى هذا الامر المهم واه هلاه الى أن انسلخ اهاب الضو ثم طار فى عنان الجو حتى
وصلا الى سفح الجبل متعبد ذلك العالم البطل الذى ملأ الدنيا بالعلم والعمل ثم كمن العفريت فى مغاره
وأرسل رسوله بالسفاره يقول أبلغ عالم الانس صاحب الكرامات والانس ومقرب حظيرة القدس عن شيخ
العفاريت الطغاة المصاليت أنى من قديم الزمان وبعيد الحدثان أضللت كثيرا من الناس بالمكر والخداع
والوسواس وفى أمثالى نزلت قل أعوذ برب الناس وابن عمى هو الوسواس الخناس وكان من جنس بنى
آدم كذا كذا ألف عالم خدامى ومعى وجندى وتبعى منهم رؤس الزهاد وعلماء العباد وعلى محبتى مضوا
وباتباع أوامرى قضوا فانا فتنة العالم وأعدى أعداء بنى آدم الشيطان الرجيم وابليس الذميم اسم
ذاتى ووصف صفاتى أنا مقتدى الشياطين ورأس العفاريت المتمردين ومحل غضب رب العالمين
خلقت من مارج من نار وطبعت على القاء البوار والدمار رجوم النجوم انما اعدت لاجلى وعتاة الغولة
لا تصل رؤسها الى مواطئ رجلى الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب آية منعتى وان الشياطين
ليوحون الى أوليائهم طراز خلعتى أأسجد لمن خلقت طينا مقام مقالى لاحتنكن ذريته الا قليلا مجال
جدالى لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا منشور القديم بعدهم وعنيهم وما يعدهم
الشيطان الا غرورا مرسومى الكريم الشياطين تستمد من زواخر مكرى والاعور اللعين يقتبس من
ضمائر فكرى لم تمر قضية فى الزمان الغابر الاولى الشركة فيها ولا حدثت محنة لنبى ولا ولى الا وأنا متعاطيها
جدى ابليس نهض لجدى التعيس والى نحو آدم هوى فعصى ربه فغوى وأنا قضيت بالتسويل حتى
قتل قابيل هابيل وحلت بقوم نوح عن النصوح وأرشدت المجوس الى عبادة النار ووضعت الناقوس
وأضللت عادا وثمود وشدادا ونمرود وبعثت على عبادة الاصنام فى البيت الحرام وعلى كيفية القاء ابراهيم
فى نار الجحيم وهديت قوم لوط الى الخوض فى الثلوط ومحافر القلوط وسولت لاولاد يعقوب وحاولت فى
قضية أيوب وتصديت لام اسمعيل وعارضت ابناها وهو مع الخليل وأنسيت يوشع قصة الحوت وساعدت

وقضى عليه ثم نظرت فى الذى أكابده من احتمال النسك وضيقه فقلت ما اصغر هذه المشقة فى جانب روح الابد وراحته
ثم نظرت فيما تشره اليه
النفس من لذة الدنيا فقلت
ما امر هذا وأوجعه وهو
يدفع الى عذاب الابد
وأهواله وكيف لا يستحلى
الرجل مرارة قليلة تعقبها
حلاوة طويلة وكيف لا تمر
عليه حلاوة قليلة تعقبها
مرارة دائمة وقلت لو ان رجلا
عرض عليه ان يعيش مائة
سنة لا يأتى عليه يوم واحد
الا بضع منه بضعة ثم أعيد
عليه من الغد غير انه يشرط
له اذا استوفى السنين المائة
نجا من كل الم واذى وصار
الى الامن والسرور كان
حقيقا ان لا يرى تلك السنين
ولا شيأ منها وكيف يأبى
الصبر على ايام قلائل يعيشها
فى النسك واذى تلك الايام
قليل يعقب خيرا كثيرا
فانعلم ان الدنيا كلها بلاء
وعذاب أوليس الانسان
انما يتقلب فى عذاب الدنيا
من حيث يكون جنينا الى
ان يستوفى أيام حياته
فانا نجد فى كتب الطب ان
الماء الذى يقدر منه الولد
السوى اذا وقع فى رحم
المرأة يختلط بدمها ومائها
فيثخن ويغلظ ثم تمخض
الريح ذلك الماء والدم حتى
تتركه كالجبن ثم كالرائب
الثخين الغليظ ثم تقسم
فيه اعضاء الولد لايان ولادته
فان كانت انثى فوجهها
قبل وجه أمها وان كان
ذكرا فوجهه قبل ظهر أمه ويداه على وجنتيه وذقنه على ركبتيه وهو منقبض فى المشيمة كأنه صرة مصرورة

على

على صاحب الحوت وجلست بالعصيان على تخت سليمان وحضرت وقعة طالوت وساعدت عليه جالوت وأنا كنت العون لهامان وفرعون وبحسن ضبطى قتل موسى القبطى وأنا فتنت داود وأغويت قارون واليهود وسلطتهم على الوالدة والمولود ودللت على نشر زكريا وذبح يحيى وجرأت على قتل الانبياء والاوليا وتوصلت بتزيين الوسواس لقاتلى الذين يأمرون بالقسط من الناس ودعوت الى عبادة العجل قوم موسى وساعدت فى التفريق والاضلال بين أمة عيسى وكم أغويت من رهبان بما زخرفت من صلبان وقد بلغنى من جميع مسترقى السمع وطن على أذنى ووعاه خاطرى ووقر فى ذهنى وأنا أشارف التخوم وأسارق النجوم وأسابق الرجوم ان لى اسماء تذكر فى السماء منها لغايظ الرتبه وشيخ نجد وزب العقبه والمقيم فى الدست البيضه والغوى على نقض عهد بنى قريظه والمحرض على أحد وبدر من الصناديد كل جليل القدر والمشهور فى أحد بالندا والملقى العرب بالردة الى الردى وأنا المتسبب فى قتل عمر وعثمان والهلاك على أمير الشجعان والغوى فى وقعتى الجمل وصفين والملقى الفتن بين جنود المسلمين وانشرى سرى الى يزيد وفاض للحجاج والوليد وبى تكثر البدع بين الجماعات والجمع ويظهر من الفتن ما بطن ويغلب من التتار وأهل البوار والخسار أنواع الشرور والجدال الى حين يظهر الدجال وتستمر هذه الامور الى يوم البعث والنشور وبالجملة والتفصيل أنا شيخ التكفير والتضليل وتلك صنعتى من الابتداء وحرفتى الى الانتهاء ثم انك نبعت فى هذا الزمان وظهرت فى هذا المكان تريد أن تهدم ما بنيته وتعوج بصلاحك ما بفسادى سويته وترد كلامى وتعاكسنى فى مرامى وأنا كنت فى قديم الزمان من قبل ان توجد أنت فى هذا المكان ناديت بين بنيه وشهرت فى ذويه قولى

كلوا واشربوا وازنوا ولوطوا وقامروا * وهيا اسرقوا واسراوخوضوا الدماجهرا

ولا تتركوا شيأ من الفسق مهملا * مصيركم عندى الى الجنة الحمرا

وكانوا قد سمعوا وأجابوا واطاعوا وانابوا وشملى بهم منتظم وأمرى بتفريق كلمتهم ملتئم واسهم مرامى المشومه نافذة فى المشارق والمغارب وسيوف مناشرى المسمومه قاطعة فى الاعاجم والاعارب كم لى فى الاطراف والآفاق والاكناف من قاض ونائب ومانع من الخير حاجب وأمير وصاحب ووزير وكاتب ومشير وحاسب وجليس ونديم وتابع وخديم وناظر وعامل وناقص وكامل وكم لى من جانى منوط بتفريق قلوبهم وجمع سويداتها الى بابى وكم لى فى المدارس ذو وساوس وفى الجوامع والبيع والصوامع من مذكر وواعظ وامام وحافظ ومقرئ وعابد وشيخ وزاهد وكم لى فى الزوايا من خبايا وفى أصحاب الروايات من درايات وفقيه فى النادى فاق الحاضر والبادى يعلم لى فى الشيطنة أولادى وفى البيلسة حفدتى وأجنادى وأما سائر الفساق فى الآفاق وسكان الاسواق وقطان الجبال والرستاق ورجال الصحارى والاوراق فكلهم لى عشاق والى دينى مشتاق وسل عنى أرباب الحانات وسكان الخانات وبالجملة غالب الطوائف وأرباب الوظائف على باب خدمتى واقف وعلى طاعة مراسمى ليلا ونهارا عاكف مناى مناهم ورضاى رضاهم وان خالف بعض سرى نجواهم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم وأنت الآن جئت برايتك وسالوسك وطامتك وناموسك تبدد عنى عساكرى وتشرد من بنى الانس عشائرى وتشتت جوعى وتخلى من الفسق والفساق ربوعى من غير أن تشاورنى ولا تخبرنى ولا تحاورنى ولا تبحث معى ولا تناظرنى وها أنا قد جئت اليك ونزلت كالقضاء المبرم عليك أريد أن أناظرك فى أنواع من العلوم واسألك عن حقائقها من طريق المنطوق والمفهوم بحضرة من الجن والانس وسائر نوع الحيوان والجنس فيظهر اذ ذاك جهلك فينبذك قومك وأهلك ويتركك معتقدوك ويتراجع عنك مريدوك وأفسد بين العالم صيتك وأتلفه فاجعل بيننا وبينك موعدا لانخلفه * فلما وصل رسول العفريت الكافر الى الشيخ العابد والعالم الزاهد الجاهد المجاهد فعندما وقع نظر الشيخ عليه ووصلت

وهو يتنفس من متنفس ضيق شاق عليه وليس من عضو الا وهو مقمط بقماط قوته حوالبطن وثقله وتحته ماتحته من الظلمة والضيق وهو منوط بحبل من سرته الى سرة امه ومن تلك المعى يمص ويقتبس الطعام فهو بهذه المنزلة فى الظلمة والضيق الى يوم ولادته واذا كان ابان المخاض والولادة سلطت ريح على رحم المرأة فتهب للجنين قوة يقدر بها على الحركة فيضرب برأسه قبل المخرج من ضيقه وحرجه فاذا وقع الى الارض فأصابته ريح أولمسته يد وجد لذلك من الالم ما يجده الانسان اذا سلخ جلده ثم هو فى انواع العذاب ان جاع فليس به استطعام أو عطش فليس به استسقاء أو وجع فليس به استغاثة مع ما يلقى من الوضع والحل واللف والدهن والمسح ان أنيم على ظهر لم يستطع تقلبا ثم يلقى اصناف العذاب مادام رضيعا فاذا أفلت من عذاب الرضاع أخذ بعذاب الادب فاذيق منه ألوانا من عنف المعلم وضجر الدرس وسآمة الكتابة ثم له من الدواء والحمية والاسقام والاوجاع أوفى حظ فاذا أدرك كانت همته فى جمع المال وتربية الولد ومخاطرة الطلب والسعى والكد والتعب وهو مع ذلك يتقلب مع أعدائه الباطنين اللازمين له وهى الصفراء والسوداء والريح والبلغم والدم والسم المميت والحية اللادغة مع الخوف من السباع والهوام مع صرف الحر والبرد والمطر والرياح ثم انواع عذاب الهرم لمن يبلغه فلو لم يخف من هذه

سهام لحظاته اليه كاد أن يذوب كالملح وأن لا يقوم الفساد للصلح فبهت الذى كفر وأخذته الدهشة والحور وغاب عليه الانبهار وكاد يحترق من الانوار واستولى عليه الرجيف وسقط من الوجيف فما أبدى ولا أعاد ولا قام للصلاح ذلك الفساد فقال له الشيخ مالك ومالك وما حالك وغير حالك وما موجب دخولك على وأنت غير منسوب الى فقال كف عنى أنوارك واطو عنى أسرارك حتى أقول فانى رسول فمالى طاقة برؤيتك ولا سواغ وما على الرسول الا البلاغ فقال رسول أى طعين وشيطان لعين فقال أنا رسول محبك العفريت المشقوق الحوافر الواسع المناخر المسلوب المفاخر أبى السعالى الكافر العالى قد أقبل اليك فى جمع كثير وعدد من الجن غزير ومعه رؤس العفاريت والعتاة المصاليت والطغاة المفاليت وقد حملنى اليك رسالة تتضمن من الخبث شناعة وبسالة ان شئت أديتها وان أبيت رديتها فقال قل ما تريد وأبلغ ما معك عن ذلك العنيد وأوجز ما تقول ولعن الله المرسل والرسول فأبلغ الرسالة وأداها وأسال فى أوديتها مؤداها فقال الزاهد وكان بالاحوال خبيرا واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا والله ما لكم شبه فى هذا الكيد الا الحمار فى الوحل والحمام فى شبكة الصيد قل لمرسلك أرى قدمك أراق دمك وهواك أهواك وأفعالك أنعى لك وسؤالك أسوالك وخبالك أخنى لك فأولى لك أولى لك ولعن الله أولى لك لاشك أن الله تعالى أراد دماركم وان يمحو آثاركم ويخلى دياركم فتستريح البلاد من فسادكم والعباد من عنادكم أما أنا فأذل الخلق وأحقر الداعين الى الحق ولكن بعون الله وقدرته والهامه وقوته لى من العلم والفضل ما أجيبه ويقتله من خوفه وجيبه وسيظهر فى الجمع على رؤس الاشهاد عويله ونحيبه وسيبين الله فى سنن الخالق فروضه ويكشف صحيح الحق ومريضه واذا ادعى بدعاوى طويلة عريضه فان الله تعالى قتل نمروذ العاتى ببعوضه يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون أما سمع ذلك الملعون وعلم الشقى المغبون انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون فمتى أراد يحضر ويسبر نفسه وخدمه ويخبر ويصحب معه من يريد من كل جنى عنيد وشيطان مريد فان الحق يحق فيبطل الباطل ويتميز فى حلبة السباق الحالى من العاطل فرد هذا الجواب الرسول وكشف عن حقيقة المقول ثم ان العفريت المخذول سأل الرسول عن اوضاع الشيخ الزاهد وأحواله فى المساجد والمشاهد وما شاهده من أموره وحكاياته وحركاته وسكناته وأخلاقه ومعاملاته وكيفية هيئته وصورته وما شاع عنه فى قومه من سيرته فقال رأيت رجلا سعيد الحركات كامل البركات صورته جميله وأوصافه نبيله وهيئته جليله بدنه نحيل وفضله عريض طويل وكلامه الصادع فى امثالنا ثقيل قاطع فقذف الله فى قلبه الفزع وأخذته نوافض الرعب والهلع فقال أما والله ان هذه الاوصاف اصعبة الاعراق والاعراف وستطرحنا وراء جبل قاف وانها السيمة الصلاح وعلامة الفوز والنجاح وانهم لهم المنصورون وحزب الله الغالبون ولقد ندمت على مراسلته وكان الاولى سلوك طريق مجاملته ولكن الشروع ملزم ولابد أن أتم ما عليه أعزم فواعده الى وقت معلوم ثم انه حضر وأحضر معه من جنده كل جنى ظلوم وعفريت غشوم ومتمرد مشؤم ومخلوق من قبل من نار السموم واجتمع من بنى آدم عند الشيخ تلامذته وأصحابه الصالحون وجماعته وكانوا الجم الغفير والجمع الغزير واشترطوا بعد ما خبطوا واختبطوا وحلوا وارتبطوا أنه ان أجاب الشيخ سؤالات العفريت وسرى فى نارهم سريان النار فى الكبريت لا يظهر بعد ذلك اليوم لبنى آدم أحد من أولئك القوم بل يكونون عن الابصار مختفين وتحت الارض فى الجزائر والخرائب كزنادقة بغداد مستطين وان عجز الشيخ عن جواب سؤاله يهلكه العفريت مع خيله ورجاله ثم شرع العفريت فى الرسائل والقاء المسائل فقال العالم على كم قسم بالعرض والجسم وهل للعالم موجد وهل هو واحد أو متعدد فقال الزاهد الامام العالم على ثلاثة أقسام (الاوّل) مفردات العناصر كالتراب والماء والنار والهواء وتسمى

الامور رشيأ وكان قد أمن ووثق بالسلامة منها فلم يكفر فيها الوجب عليه أن يعتبر بالساعة التى يحضره فيها الموت فيفارق الدنيا ويتذكر ما هو نازل به فى تلك الساعة من فراق الاحبة والاهل والاقارب وكل مضنون به من الدنيا والاشراف على الهول العظيم بعد الموت فلو لم يفعل ذلك لكان حقيقا ان يعد عاجزا مفرطا محبا للدناءة مستحقا اللوم فمن ذا الذى يعلم ولا يحتال لغد جهده فى الحيلة ويرفض ما يشغله ويلهيه من شهوات الدنيا وغرورها ولاسيما فى هذا الزمان الشبيه بالصافى وهو كدر فانه وان كان الملك حازما عظيم المقدرة رفيع الهمة بليغ الفحص عدلا مرجوا صدوقا شكورا رحب الذراع مفتقدا مواظبا مستمرا عالما بالناس والامور محبا للعلم والخير والاخيار شديدا على الظلمة غير جبان ولا خفيف القياد رفيقا بالتوسع على الرعية فيما يحبون والدفع لما يكرهون فانا قد نرى الزمان مدبرا بكل مكان فكأن أمور الصدق قد نزعت من الناس فأصبح ما كان عزيزا فقده مفقودا وما كان ضائرا وجوده موجودا وكأن الخير أصبح ذابلا والشر ناضرا وكأن الفهم أصبح قد زالت سبله وكأن الحق ولى كسيرا وأقبل الباطل تابعه وكأن اتباع الهوى واضاعة الحكم أصبح بالحكام موكلا وأصبح المظلوم بالحيف مقرا والظالم لنفسه مستطيلا وكأن الحرص أصبح فاغرا فاه من كل جهة يتلقف ما قرب منه وما بعد وكان

الاستقصيات

الاستقصا ~ت وأصول الكائنات والمركبات من هذه الاجزاء المفرده لاتستمر على حالة واحده ولاتخلو من حركة وانتقال ودأبها التغير من حال الى حال (الثانى) الاجرام العلويه كالسموات وكواكبها المضيه وهى متحركة بالبروج وحركتها دائرة مالها من مركزها خروج فهى متحركة من بعض الجهات ساكنة كالفصوص فى المرصعات وتوصف فى حركتها بالصعود والهبوط والارتفاع والسقوط والرجوع والاقبال واستقامة الحال والاحتراق والانصراف والانحطاط الى الحضيض والاشراف ويحكم عليها بالافتراق والاقتران والتربيع والتثليث والتسديس فى السيران والمقابلة فى الرجعه وبطء السير والسرعه وينسب اليها مايحدث فى العالم السفلى من جزئى الوقائع والكلى ومن نحوسة وسعاده ونقص وزياده وخير وشر ونفع وضر وتأثر وتأثير وقليل وكثير وانحراف واعتدال وحدوث وزوال وصحة وسقم وسكون وألم ووجود وعدم فبعض من لم يعرف الطريقه يسند هذه الاشياء على الحقيقة وذلك لقصور فهمه وقلة العقل كقول الجاهل أنبت الربيع البقل وبعض من لم يكن له ادراك يزعم أن هذا اشراك ولايسند هذه الحوادث اليها ولايعول فى ذلك أبدا عليها لابالحقيقة ولابالمجاز ولايسلم فى ذلك الى طريقة المجاز والمحققون من العلماء والراسخون فى العلم من حكماء الفقهاء يسندون هذه الحوادث والتأثير الى قدرة اللطيف الخبير الصانع القدير الفاعل المختار الذى يخلق مايشاء ويختار فاذا نسبوا هذه الافعال الى غير ذى الجلال فانما يجعلونها فى ذلك الباب كالآلات والاسباب كتأثير الخبز فى الاشباع والنار فى الاحراق والايجاع وكفعل الماء فى الارواء والدواء فى الادواء وانما ذلك كله بتقدير صانعها وما أودعه فيها من خواص بدائعها وصفات ودائعها كخاصية الاسهال المودعة فى السقمونيا وخواص التصبير وغيره الكامنة فى الموميا والاسكار فى الخمر والاحراق فى الجمر وقد رأينا القوة النامية عقيب الامطار الهامية والشمس حامية تهيج وتنمو وتموج وتزكو وهذا الصنع البديع اذا حلت الشمس فى برج الحمل وقت الربيع واذا انتقلت الى برج الاسد احترق ذلك الجسد وعند نقلها الى الميزان ينقلب هذا الزمان وكذا اذا تحولت الغزالة الى برج الجدى فكأنه بلغ الى محل الهدى فتموت اذ ذاك قوة الزمان ويضعف لذلك غالب الحيوان وهذا كله مشاهد محسوس لايمكن أن تنكره النفوس خواص وضعها خالق الكون يستفاد بعضها من الطعم والريح واللون وبعضها لايدرك ما أودع فيه الا بارشاد خالقه ومنشيه هكذا جرت سنة العزيز الوهاب أن الاحكام والوقائع تناط بالاسباب وقد يتخلف منها الاثر عن المؤثر ليعلم من ذلك وجود القاهر المدبر وانها مقهورة تحت الامر ومقسورة قسر العقل مع الخمر ولولا أن ذلك من سر جسيم لما تخلفت النار عن احراق ابراهيم ولما ولدت مريم عيسى ولا أغرق البحر القبط وأنجى بنى اسرائيل وموسى وكم من آكل وهو جيعان وشارب وهو عطشان ومتدثر يتدفأ بالنار وهو بردان والفلك الاعظم محيط بهذه الاجرام ونسبتها اليه كنقطة لابحر الطام متأثرة بتأثيره دائرة بتدويره يتصرف فيها على حسب ماشاءه باريها ومصرفه فيها منشيها فاطر السموات والارض جامع الخلائق ليوم العرض وكما هى محاطة بالدائرة الفوقانيه كذلك هى محيطة بالكرة التحتانية (القسم الثالث) العقول والنفوس الملكية وهى أشرف من الاجرام العلوية ومقام هذه العقول فى مقام عزيز الوصول يسمى أعلى عليين وجواهرها لاتوصف بتحريك ولاتسكين ولابهذه البساطة والتركيب وأمرها بديع وشأنها عجيب وأما العرض فما لايقوم بذاته وهو فى العالم كالالوان والطعوم وأصواته والروائح والقدر وارادته وأما الجسم فما تركب من جوهرين فاكثر وما قام بنفسه يسمى الجوهر *(وأما)* الموجد للعالم فهو واحد لايتثنى وأحد لايتجزا ولو لم يكن للعالم صانع لكان العالم أضيع ضائع وهل رأيت مصنوعا بلا صانع وسقفا مرفوعا بلا رافع وهل نفى الصانع الا مكابر ومايجحده الا النفوس الكافره فقال العفريت فما الدليل على وجود الصانع العقل والنقل أم أحدهما متبوع والآخر

الرضا أصبح مجهولا وكان الاشرار يقصدون السماء صعودا وكان الاخيار يريدون بطن الارض وأصبحت المروءة مقذوفا بها من أعلى شرف الى أسفل درك وأصبحت الدناءة مكرمة ممكنة وأصبح السلطان منتقلا عن أهل الفضل الى أهل النقص وكانت الدنيا جزلة مسرورة تقول قد غيبت الخيرات وأظهرت السيآت * فلما فكرت فى الدنيا وأمورها وان الانسان هو أشرف الخلق فيها وأفضله ثم هو لاينقلب الا فى الشرور والهموم عرفت انه ليس انسان ذو عقل الا وقد أغفل هذا ولم يعمل لنفسه ويحتل لنجاتها فعجبت من ذلك كل العجب ثم نظرت فاذا الانسان لايمنعه من الاحتيال لنفسه الا لذة صغيرة حقيرة غير كبيرة من الشم والذوق والنظر والسمع واللمس لعله ان يصيب منها الطفيف أو يقتنى منها اليسير فاذا ذلك يشغله ويذهب به عن الاهتمام لنفسه وطلب النجاة لها فالتمست الانسان مثلا فاذا مثله مثل رجل نجا من خوف فيل هائج الى بئر فتدلى فيها وتعلق بغصنين كانا على سمائها فوقعت رجلاه على شئ فى طى البئر فاذا حيات أربع قد أخرجن رؤسهن من أجحارهن ثم نظر فاذا فى قعر البئر تنين فاتح فاه منتظر له ليقع فيأخذه فرفع بصره الى الغصنين فاذا فى أصلهما جرذان أسود وأبيض وهما يقرضان الغصنين دائبين لايفتران فبينما هو فى النظر لامره والاهتمام لنفسه اذ أبصر قريبا منه كوارة فيها عسل نحل

تابع فقال العالم الزاهد قد أطبقت العقلاء وأجمعت الحكماء أن العقل دليل على وجود الصانع وبه الدلالة والشرع له تابع وكما هو الدليل على وجود الذات كذلك هو الدليل المستقل على اثبات الصفات وهي صفات الكمال ونعوت الجلال فقال العفريت فما الدليل على وحدانيته فقال الزاهد كل من العقل والشرع كاف في دلالته قال العفريت فما المراد من عالم الكون والفساد فقال العالم معرفة أمور المبدا والمعاد قال العفريت فما أفضل العقل أم النقل فقال العالم كل منهما حجة الله قد أسنده لمن عباده من يراه وذلك ان الله لما أرشدنا الى الدين القويم وثبت أقدام توحيدنا على الصراط المستقيم نبهنا الى أن المقصود من الدخول في دائرة الوجود معرفة موجدنا المعبود كما قال من يقول للشئ كن فيكون وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون ثم طلب مراضيه بما تبرز به أوامره وتقتضيه وذلك هو الرشاد ياذا المكر والعناد الى المعارف الالهية وما به نظام المعاش ونجاة المعاد وليس لنا دليل في العلم والتعريف سوى طريقتين مرشدتين الى التوقيف على أمور المبدا والمعاد وما بينهما في دار التكليف احداهما ما جبلنا عليه وما اكتسبناه من العقل وثانيتهما ما بلغنا من الاخبار الصحيحة والنقل فالعقل لا يدخل في اثبات المعارف الالهية ولا في هذا الباب المقدم من الامور المعاشية والمعادية وهو حجة الله القاطعة البالغة وأصل براهينه الساطعة الدامغة وبواسطته استعبد عباده المكلفة والى من خصه به أرسل رسله ثم العقل جوز ارسال الرسل ولا يرد ما تقوى به اتوضيحا لسبل والنقل لا يأتي بما يناقض العقل وانما يرد بما يزكى قضاياه ويصقل مرائي أحكامه أحسن صقل ونظير ما حصل للعقل بالشرع من الاستئناس ما حصل للكتاب من معاضدة السنة والاجماع والقياس ولو ورد المنقول بما يناقض المعقول لاشبه فرعا وجد ماله من أصول اذا أقبلت مواكب الاوامر الالهية على لسان الرسول خضعت جماجم العقول منقادة بزمام الانقياد والقبول سامعة لما يرد منها مطيعة لما يصدر عنها فتارة يظهر للعقل ما للاوامر الشرعية من الحكم كنار على علم وتارة يعجز عن الاطلاع على ما تضمنته الاحكام النقلية من الحكم فاذا ورد الشرع بحكم وكان للعقل في حكمته ادراك آثره وأكده واستمسك به في تصرفاته أقوى استمساك وان لم يكن له في ادراكه مدخل نادى بلسان العجز والتسليم سبحان من لا يسئل عما يفعل والحاصل ان سلطان العقول في ممالك خليفة الشرع وولايته معزول ومن جملة ما ورد على لسان السمع على لسان عدول صاحب الشرع الصادق في المقال مما ليس للعقل فيه مجال أحوال المعاد ومبدؤها ما بطرأ على العباد في حد هذا الكون من الفساد فقال العفريت أخبرني ياذا الانسان مخلوق مماذا وما الآدمية والنفس الانسانية وهل هي واحدة أو متعددة وما مآلها الى اين بعد وقوع البين فقال العالم الانسان مخلوق بامصفعه من هذه العناصر الاربعة التي مر ذكرها وتبين أمرها التراب والماء والنار والهواء فاذا تمازجت واعتدلت اذا تزاوجت حصل لها من التركيب أمزجة ثمانية لا على الترتيب والآدمية عبارة عن القوة المميزة بين الحسن والقبيح والفاسد والصحيح والحق والباطل والحالي والعاطل والخير والشر والنفع والضر والمميزة لهذه الاشياء الفارقة يقال لها النفس الناطقة وهي ثلاثة أنواع ياخارج الطباع أحدها الروح الطبيعية القائمة بالكبد وهي من الاغذية تستمد الثانية الروح الحيوانية ومقامها القلب أي كلب وللابدان منها حراك واستمدادها من حركات الافلاك الثالثة الروح النفسانية ومقامها في الدماغ ومنها الحركات الذهنية والقوة النامية القوية تطلب غذاءها من الروح الطبيعية والقوة المميزة تطلب ما يسعدها في الدارين من الروح النفسانية ويبعدها في المقامين عن الاسباب الشقية واستمدادها وقوتها من الاجرام العلوية وأعلى مقامات هذه النفس الحكمة والحكمة أوفى منحة وأوفر نعمة وقد قال تعالى يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب ومصير هذه الارواح الى عالم الغيب لاجل

فذاق العسل فشغلته حلاوته وألهته لذته عن الفكرة في شيء من أمره وان يلتمس الخلاص لنفسه ولم يذكر ان رجليه على حيات أربع لا يدري متى يقع عليهن ولم يذكر ان الجرذين دائبان في قطع الغصنين ومتى انقطع وقع على التنين فلم يزل لاهيا غافلا مشغولا بتلك الحلاوة حتى سقط في فم التنين فهلك فشبهت البئر بالدنيا المملوأة آفات وشرورا ومخافات وعاهات وشبهت الحيات الاربع بالاخلاط الاربعة التي في البدن فانها متى هاجت أو أحدها كانت كحمة الافاعي والسم المميت وشبه الجرذان الاسود والابيض بالليل والنهار اللذين هما دائبان في افناء الاجل وشبه التنين بالمصير الذي لا بد منه وشبه العسل بهذه الحلاوة القليلة التي ينال منها الانسان فيطعم ويسمع ويشم ويلمس ويتشاغل عن نفسه ويلهو عن شأنه ويصد عن سبيل قصده * فحينئذ صار أمري الى الرضا بحالي واصلاح ما استطعت اصلاحه من عملي لعلي ان أصادف باقي أيامي زمانا أصيب فيه دليلا على هداي وسلطانا على نفسي وقواما على أمري فأقمت على هذه الحال وانتسخت كتبا كثيرة وانصرفت من بلاد الهند وقد نسخت هذا الكتاب * انقضى باب برزويه المتطبب

* (باب الاسد والثور وهو اول الكتاب) *

(قال دبشليم الملك) لبيدبا الفيلسوف وهو رأس البراهمة اضرب لي مثلا المتحابين يقطع بينهما الكذوب المحتال

الثواب

الثواب والعقاب وقيل حقيقة نفس الانسان أيها المارد الشيطان لطيفة روحانيه ودقيقة ربانيه
لها تعلق ربانى بقلبه وقالبه الجسمانى وهى المدركة العالمه العارفة الفاهمه بها يتكلم الانسان
وتبصر العينان وتسمع الاذنان وتبطش اليدان وتمشى الرجلان وهى المخاطبة والمعاتبة والمثابة
والمعاقبة والمطلوبة والطالبه ويطلق عليها لفظ القلب تارة ولفظ الروح أخرى ويقال لها النفس مرة
ولفظ العقل أيضا وابن آدم هو المخصوص بهذه الكرامات وبهذه النفس دون سائر الحيوانات وان
كان يطلق على الجميع ان لها نفسا بالاشتراك لكن هذه النفس الناطقة والنطق هو الادراك واختلف
أيضا وتحيرت الالباب فى معرفة الارباب وتاهت الافكار والفطن فى كيفية تعلقها بالبدن ولا
يحصل لاحد على هذا وقف الا بطريق الولاية والكشف وهذه النفس لما كثرت صفاتها وتضادت
نعوتها تخالفت أوصافها وازداد فى صفاتها اختلافها حتى قسموها فقالوا أنواعها ثلاثة ناطقة وشهوانيه
وغضبية رضيه فالناطقة مسكنها الدماغ ولها فيه مساغ والكبد مسكن الشهوانيه والقلب مسكن
الغضبيه لرضيه فأية نفس غلبت أختيها جذبت أحوالهما وصفاتهما اليها وهذه يا أتعس ز وبعه
كالعناصر الاربعه فانها اذا فسد مزاجها وعدل عن الاعتدال ازدواجها عسر علاجها واستحال الى
المطلوب الطالب وعجز عن المعالجة الطابب فسد البيان وانهدمت الاركان وقيل هما روح ونفس
بغير التباس وهما ضدان بل ندان لا يجتمعان ولا يرتفعان وطبع النفس يا أثيم طبعك طبع الشيطان
الرجيم كالنار فى جوهرها وخاصة عنصرها تنسب اليها الصفات الذميمه والخلال غير المستقيمه
كالجهل والغضب والحدة والصخب واللؤم والسفه والطيش والشره والحمية والشهوة والقسوة
والجفوه والحسد واللجاج والحقد والاحتجاج والحرص والبخل والتوانى والكسل والحمق والخيانه
والفجور وعدم الامانه والترفع والرياء والمخاصمة والمراء وسائر الاخلاق الذميمه والاوصاف المشؤمة
الملومه والملكات الخبيثة الرديه والحركات الشيطانيه فهى كالنار فى احراقها وحدتها واستشاطتها
وشدتها ودخانها ولهيبها واهلاكها وتعذيبها واقدامها فى اعدامها وأكل ما تجده وما تصل اليه تفسده
وطلب العلو والغليان والغلو وطبع الروح يا أنحس مجروح طبع الماء فى النشو والنماء ينسب
اليه كل خلق كريم وطبع سليم صافى الجوهر ما لامه تطهر شيمته الحياء والعلم والصدق والحلم
والتفويض والتوكل والتسليم والتحمل والاحتمال والاناه والصبر والمواساة والتودد والاسداء
والسكون والاعطاء والركون والبذل والرضا والفضل والحياء والعدل والتواضع والعفه وعدم الترفع
واللطف والسلاسة والسهولة وسرعة الانقياد واللين والوداد والرقة والصفاء والكرم وعدم الجفاء
الى سائر الاخلاق المحموده والاوصاف المطلوبة المودوده وايتهما قويت غلبت وجذبت الاخرى اليها
وسلبت وسيرتها على طبعها واستخدمتها على ربعها فكم من شيطان يرى فى صورة انسان ومن
انسان غلبت عليه أخلاق الجان ومن جان فى صور انسان ونظير هذا الروح والبدن يدركه ذو العقل
والفطن فان الروح من عالم نورانى لطيف سماوى والبدن من عالم ظلمانى كثيف أرضى فأيهما
غلب على صاحبه جذبه الى مركزه فى جانبه قال الله تعالى وعز كمالا وجل جلالا يا عيسى انى متوفيك
ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وقال جل علاء ورفعناه مكانا عليا وقال ولو شئنا لرفعناه بها
ولكنه أخلد الى الارض فالانبياء عليهم السلام صارت أجسادهم أرواحا والكفار مثلك صارت أنفسهم
ظلمانية أشباحا وقيل بل هى أربعه الانفس أربعه امارة وهى أنفس مثلك الكفار الطغاه ولوامة وهى
أنفس العصاه وملهمة وهى أنفس المخلصين ومطمئنة وهى أنفس الانبياء والمقربين والحق يا جاحده
ما هى الا نفس واحده لكن لما تجلت فى ملابس الصفات وتكثرت لها الاخلاق والسمات نوعوها
وبمقتضى التنويع فرعوها تنزيلا للتنويع بالصفات منزلة التنويع فى الذات فيقال كانت نفس

حتى يحملهما على العداوة والبغضاء قال بيدبا اذا ابتلى المتحابان بان يدخل بينهما الكذوب المحتال لم يلبثا ان يتقاطعا
ويتدابرا (ومن أمثال ذلك) أنه كان بارض دستاوند رجل شيخ وكان له ثلاثة بنين فلما بلغوا أشدهم أسرفوا فى مال أبيهم ولم يكونوا احترفوا حرفة يكسبون لانفسهم بها خيرا فلامهم أبوهم ووعظهم على سوء فعلهم وكان من قوله لهم يا بنى ان صاحب الدنيا يطلب ثلاثة أمور لن يدركها الا باربعة أشياء أما الثلاثة التى يطلب فالسعة فى الرزق والمنزلة فى الناس والزاد للآخرة واما الاربعة التى يحتاج اليها فى درك هذه الثلاثة فاكتساب المال من أحسن وجه يكون ثم حسن القيام فيما اكتسب منه ثم استثماره ثم انفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضى الاهل والاخوان فيعود عليه نفعه فى الآخرة فمن ضيع شيأ من هذه الاحوال لم يدرك ما أراد من حاجته لانه ان لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به وان هو كان ذا مال واكتساب ثم لم يكن يحسن القيام به أوشك المال ان يفنى ويبقى معدما وان هو وضعه ولم يستثمره لم تمنعه قلة الانفاق من سرعة الذهاب كالكحل الذى لا يؤخذ منه الا غبار الميل ثم هو مع ذلك سريع فناؤه وان أنفقه فى غير وجهه ووضعه فى غير موضعه
واخطأ به مواضع استحقاقه صار بمنزلة الفقير الذى لا مال له ثم لم يمنع ذلك ماله من التلف بالحوادث والعلل التى تجرى

هـذا شيطانيه فتاب فصارت رحمانيـه وكانت نفس ذلك أبيـه فصارت دنيه قال من براها ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها قـد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها قال العفريت أخبرني أيها الباصر كيف تركيب هذه العناصر فقال الزاهـد بحسب الخفة واللطافه والثقل والكثافه ولما كان عنصر التراب أثقـل كان أركـد من غيره وأنزل ومن فوقه عنصر الماء وفوق الماء عنصر الهواء ومن فوق هذه الثلاثة عناصر عنصر النار وهو بهم محيط دائر وكذلك كل عنصر محيط بما تحته وقد حققت هذا وعلمته قال العفريت أخبرني عن أقرب الاشياء اليك قال العالم الاجل أقرب الاشـياء الاجل قال أخبرني عن أبعد الاشياء عنك قال العالم الاكبر مالم يقسم ولم يقدر قال أخبرني عن الشئ الممكن عوده قال الدولة ان زالت وتغيرت واستحالت يمكن ردها ولا يستحيل عودها قال أخبرني عن الشئ المستحيل عوده قال الشباب بغير شك ولا ارتياب قال أخبرني عما لا يمكن بالا كتساب ولا ينال الا بتوفيق الوهاب قال العقل الغريزي فانه وهبي عزيزي قال أخـبرني عما لا يمكن ضـبطه ولا ينضـبط ربطه قال الدهر اذا ولى والسـعد اذا تجلى قال أخبرني باذا الجد عن الهزل الذي يراد به الجد قال ابراز حـكم الامثال والآيات على لسان الحيوانات والجمادات قال أخـبرني عما لا يمكن الاحاطة به ولا الوقوف على معرفة كنهه قال عظمة صانع الكائنات وخالق الموجودات تعالى ان يحاط به علما وتقدس أن تدرك عظمته معرفة ووهما ولهذا قال سيـد المرسلين وحبيب رب العالمين لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقال سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وهـذا مصداق قوله تعالى وما قدروا الله حق قـدره * فلما طالت المقاوله وانتهت الى هذا الكلام المجادله أقبـل الليل وحل بالعفريت وجنده الويل وتصدع المجلس وقام العفريت وهو مبلس وتواعدوا الى الصباح عند قول حي على الفـلاح أن تجتمع الوجوه الصباح لرد جواب الشياطين القباح فتفرقوا وقـد أحاط بالعفريت الوهم ونفـذ في أحشائه من سهام الذل أقطع سهم وبات لا يقر له قرار ولا يأخذه اصطبار وساوره الافتكار وثاوره الهم والدمار والغم والبوار

الى ان أضاء الصبح كالحق مقبلا * وولى ظلام الليل كالجهل مدبرا

فاجتمع من كان بالامس حاضرا ومن سمع بحضورهم ولم يكن ناظرا من جموع الانس والجن وطوائف الحن والبن وأخـذ كل مقامـه وابتـدأ العفريت كلامه وقال ما منبع الصفات الحميده والشمائل السعيده المبارز كرها القار أمرها وهي يا هذا نتيجة ماذا فقال العالم المحقق العامل المـدقق هي ثمرة العـقل القويم الهادي الى الصراط المستقيم ويكفي العقل الشريف انه مناط التكليف له الله يخاطب وبه يثيب ويعاقب وبه يأخذ وبه يعطي وتابعه يصيب ولا يخطي وكلما كان العـقل أتم كانت محاسن الاخلاق أعم وكلما كان رأي العـقل أصوب كان في اقتناء مكارم الاخلاق أرغب قال العفريت فهل هو نوع متحد أو طريقه متعدد قال الشيخ العقل نوعان وحكمه واحد لا يختلف فيه اثنان أحدهما العقل الغريزي اللطيف وهو مناط التكليف يحدثه الرحمن ويتدرج الى بلوغ الانسان فيكمل اما بالسن أو الاحتلام ويجري عليه اذ ذاك قلم الاحكام ويدخل في حيز المخاطبين من ذوي الاحلام ويترتب عليه الحساب والعقاب من الحـلال والحرام والثاني يحصل بالاكتساب والتجربة في كل باب ولهـذا يقال ان الشيوخ أكمل عقلا من الشباب وقيل من بيضت الحوادث سواد لمته وأخلقت التجارب لباس جدته وارضعه الدهر من وقائع الايام اخلاف ذريته وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف أقداره وأقضيته كان جديرا برزانة العقل ورجاحته فهو في قومه بمنزلة النبي في أمته قال بعض الحكماء كفى بالتجارب تأدبا وبتقلب الايام عظة وقالوا التجربة مرآة العقل وقال

ألم تر أن العـقل زين لاهله * ولكن تمام العـقل طول التجارب

(قال) العفريت ما فائدة العـقل (قال العالم) فائدته الارشاد في بيـداء الجهالة الى جادة الرشاد والاعانة في

عليه كبس الماء الذي لا تزال المياه تنصب فيه فان لم يكن له مخرج ومفاض ومتنفس يخرج الماء منه بقدر ما ينبغي خرب وسال ونز من نواح كثيرة وربما انبثق البثق العظيم فذهب الماء ضياعا * ثم ان بني الشيخ اتعظوا بقـول أبيهم وأخذوا به وعلموا ان فيه الخير وعولوا عليـه فانطلق أكبرهم نحو أرض يقال لها ميـسون فأتى في طريقه على مكان فيه وحل كثير وكان معه عجلة يجرها ثوران يقال لاحدهما شتربه والآخر بنـدبه فوحل شتربه في ذلك المكان فعالجه الرجل وأصحابه حـتى بلغ منهم الجهد فلم يقدروا على اخراجه فـذهب التاجر وخلف عنده رجلا يشارفه لعل الوحـل ينشف فيتبعه بالثور فلما بات الرجـل بذلك المكان تـبرم به واستوحش فـترك الثور والتحق بالتاجر فاخبره ان الثور قـد مات وقال له ان الانسان اذا انقضت مـدته وحانت منيته فهـو وان اجتهد في التوقي من الامور التي يخاف فيها على نفسـه الهـلاك لم يغن ذلك عنه شيأ وربما عاد اجتهاده في توقيه وحذره وبالا عليه (كالذي) قيل ان رجـلا سلك مفازة فيها خوف من السباع وكان الرجل خبيرا بوعث تلك الارض وخوفها فلما سار غير بعيد اعترض له ذئب من أحـد الذئاب واضراها فلما رأى الرجل ان الذئب قاصد نحوه خاف منه ونظر يمينا وشمالا ليجد موضعا يتحرز فيه من الذئب فلم ير الا قرية خلف وادفذهب

الشدائد والوقوع في مصايد المكايد وحصول الخلاص من شرك الاقتناص واجابة الاغاثة عند الاستعانة والاستغاثة ومد المعونة اذا انكسرت من الجبل السفينة في بحر الملامة والخلاص الى بر السلامة والاغناء من كنز السعادة والصبر عند استيلاء نوائب الفقر قال فمن العاقل في العالم ومن يطلق عليه هذا الاسم من بني آدم قال العالم العاقل من يحتمل اذا ضيم ومن هو في الغضب حليم فاذا أعطى شكر واذا منع صبر ويعفو اذا قدر ويستهين بأمور الدنيا ولا يغفل عن أمور الاخرى (قال العفريت) ما الفائدة في حب الدنيا والرغبة الى ما فيها من الاشيا ولاي معنى غلب الحرص والهوى والرغبة فيها على أهلها وبنيها (قال العالم) لاجل قيام العالم وانتظامه على المنهج الاقوم وبقائه المطلوب الى الاجل المضروب الذي قدره موجده القديم الذي أنشأه أول مرة وهو بكل خلق عليم ولابد من أن تتم كلمته وتنفذ مشيئته ولولا الحرص والامل لبطل العلم والعمل فانهما حجاب الغفلة يغشيان أعين البصائر ويغطيان طرق الاستدلال والضمائر فلذلك ذهلت العقول عن التأمل في العواقب واشتغلت بالتهائم عما يجب عليها ان تراقب ولولا طول الامل لما رجي العمل ولما انتظم أمر المعاش ولا اهتم لادخار قوت ورياش ولا افتكر صاحب اليوم في أحوال غد ولا ارتفعت المعاملات وما داين أحد أحدا ولا زرع زارع ولا غرس غارس ولا بنى بان ولا اخضر يابس ولانقرض اذ ذاك نظام العالم وبانقراضه تنقرض أمور بني آدم (قال العفريت) أخبرني عن أصل الانسان ومم جوهره وجوهر الملك والجان (قال) الشيخ أما جوهر الملك فمن العقل المحض براه رب السموات والارض ولذلك لا يصدر من الملائكة الا الشيم المباركة من الطاعات لمولاهم والانقياد لاوامر من أنشاهم وامتثال ما أمر من أمر مروم وما منا الا له مقام معلوم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وأما جوهر الجان وأصلك يا أنحس شيطان فمن الاخلاق الذميمة والصفات المشؤمة فلهذا لا يوجد منكم الا المكر والبليسة والشيطنة والوسوسة وأنحس بصفاتكم من صفة ولم يكن بينكم وبين الحق معرفة فانتم يا أنحس بغيض وأنحس نهيض مع الملائكة في طرفي نقيض وأما جوهر الانسان فما اشتملت عليه صفاتا الملك والجان فمن غلب عقله شهوته ألبس من مكارم الشيم خلعته واضمحلت ظلمات نفسه في أنواع الطاعة وتجلت صفات ذاته من سنن الابرار في جماعة وخط رسم اسمها قلم الكرام الكاتبين كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون فهو وان كان بجسمانه مع الانس له حضور وأنس لكن بسره في عالم الملكوت حضرة القدس فهو بصفاته المباركة أشرف من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله واستولت على قلبه حب الغفلة فانغمس في بحر الشهوات واستحوذتم أنتم عليه بذميم الصفات وأشقاه القدر السابق ولم يعقكم عن التصرف فيه عائق فهو بالنهار ساه وبالليل لاه استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون فهو أخسر من أرذل الحيوانات وأدنى من أدنى الجمادات فقد خاب مآبا وتعس انقلابا ويقول يوم القيامة يا ليتني كنت ترابا (قال الراوي) فلما انتهى الكلام الى هذا المقام أمسك العفريت عنانه وأخرس الله لسانه وظهر فضل الزاهد وعلمه ووفور حكمه وحكمه وفهمه وانه أصاب فيما أجاب ولزم العفريت ومن معه من الجن والعفاريت وطوائف المردة والشياطين والعندة المتمردين وذوي الابلاس والوسواس الخناس ما شرطوه على أنفسهم من التخفي وعدم الظهور والتفرق في الخرائب والكفور فتفرقوا واختفوا ومصلبين ومجدعين انتفوا وسكنوا الخرائب والحمامات والحانات والخانات فلم يظهروا بعد ذلك للانس وحصل منهم بذلك للانس الانس واستراحوا من مشاهدة طلعتهم القبيحة واستمرت الى يوم القيامة من تلك القبائح مستريحة * وهذا آخر الباب والله أعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

* (الباب الخامس في نوادر ملك السباع ونديمه أمير الثعالب وكبير الضباع) *

بمسرعا نحو القرية فلما أتى الوادي لم يرَ عليه قنطرة ورأى الذئب قد ادركه فألقى نفسه في الماء وهو لا يحسن السباحة وكاد أن يغرق الا انه بصر به قوم من أهل القرية فتواقعوا لاخراجه فأخرجوه وقد أشرف على الهلاك فلما حصل الرجل عندهم وأمن على نفسه من غائلة الذئب رأى على شط الوادي بيتا مفردا فقال أدخل هذا البيت فاستريح فيه فلما دخله وجد جماعة من اللصوص قد قطعوا الطريق على رجل من التجار وهم يقتسمون ماله ويريدون قتله فلما رأى الرجل ذلك خاف على نفسه ومضى نحو القرية فاسند ظهره الى حائط من حيطانها ليستريح مما حصل به من الهول والاعياء اذ سقط الحائط عليه فمات قال التاجر صدقت قد بلغني هذا الحديث * وأما الثور فانه خلص من مكانه وانبعث فلم يزل في مرج مخصب كثير الماء والكلأ فلما سمن وأمن جعل يخور ويرفع صوته بالخوار يطلب البقرات وكان قريبا منه أجمة فيها أسد عظيم وهو ملك تلك الناحية ومعه سباع كثيرة وذئاب وبنو آوى وثعالب وفهود ونمور وكان هذا الاسد منفردا برأيه غير آخذ برأي أحد من أصحابه فلما سمع خوار الثور ولم يكن رأى ثورا قط ولا سمع خواره لانه كان مقيما مكانه لا يبرح ولا ينشط بل يؤتى برزقه كل يوم على يد جنده وكان فيمن معه من السباع ابنا آوى يقال لاحدهما كليلة وللآخر دمنة وكانا ذوي دهاء وعلم وأدب فقال دمنة

(قال) الشيخ أبو المحاسن المرتوي من بحار الحكمة بماء غير آسن فلما أنهى الحكيم هذا الباب العظيم عن عالم الانس والشيطان الرجيم تنبه الملك لغزارة حكمه فافرغ عليه خلع احسانه وكرمه وغمسه في غدير فضله ونعمه ثم أمر أن يقوى الطباع ويذكر نوادر الوحوش والسباع لتنبسط النفس وترتاض وتحلى بعقود عقيد هذه الاحماض فقبل أرض العبودية بشفاه الادب وانتهض لاداء ما عليه من المراسيم وجب وقال كان في بعض الغياض أسد رباض عظيم الصورة كريم السريرة والسيره وافي الحشمه عالي الهمه كثير الاسماء والالقاب عزيز الاصحاب كبير بين الامراء والحجاب والوزراء والنواب يدعى في جوانب مملكته وأطراف ولايته بحيدرة وبيهس وضيغم والدوكس والغضب والضرغام والعنبس والطيثار والهندس والغضنفر والهرماس والغضبان وأبي العباس الى سائر الاسماء والالقاب والكنى وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى وهو مطاع في ممالكه وولاياته وأقاليمه مترشف ثغور الامتثال بشفاه أمثلته ومراسيمه وكان له من خواص الندماء وكبراء الجلساء نديمان كندماني جذيمه يلازمان حضرته ويلجان حرمه أحدهما ثعلب يدعى أبا نوفل والآخر ضبع يسمى أخا نهشل طبعهما ظريف وشكلهما لطيف ومحاضرتهما مرغوب به وصحبتهما مطلوبه وكان في خدمته دب هو وزيره ومعتمده ومشيره كافل أمور مملكته ومدبر مصالح رعيته والملك مفوض أمور الرعية اليه ومعتمد لما يعلم من كفايته عليه ومشغول ليلا ونهارا بمباشرة نديميه فاتسع خيال الوزير وأخذ في مجال التفكير الى النديمين لكونهما ناصحين قديمين ربما يصدر منهما عند الملك ما يحط منزلته ويفسد ان الحسد الذي لم يخل منه جسد صولته واستحوذ عليه هذا الخيال واتسع في ميدانه الجال فكان خائفا على وظيفته ومنصبه مترقبا منهما ما يكون عزله بسببه فنشأ من ذلك في خاطره جساوه أورثته قساوة وجذبته الى عداوه ووقر في قلبه ذلك وتأكد وطال عليه من الدهر الامد فكان يترقب لهما الفرص ليوقعهما من الغصص في قفص ويسابقهما قبل انتباه ويتغدى بهما قبل أن يتعشيا به ويقول لابد من تنظيف الطريق قبل حصول التعويق وقد أحسن من قال واتقن في المقال

ومن لم يزح عن دربه الشوك قبل أن * يطأه فلا يعتب اذا شاك رجليه

وأقل الاقسام أن يبعدهما عن حضرة الملك الهمام فاتفق أن في بعض الاسحار تجاذب الملك ونديماه أطراف الاسمار فأثرفهم السهر لطيب السمر في ضوء القمر وحلاوة ما جنوا منه من ثمر عاملين بما قيل

متى ما أصادف من أحب بخلوة * أصرح بما أرجوه من متكتم

يقول فأصغي أو أبث فينثني * ليسمع قولي كالمشوق المتيم

أسامره لا أن أمل حديثه * وآمره كل الامور سوى نم

فأخذت الملك عيناه فاستند الى متكاه فانحل من طرفه وكاه فلم يتمالك أبو نوفل ان ضحك لما غنت زمارة الملك فتنبه من ضحكه وتعجب من جراءته وفتكه ثم استمر متناوما لينظر ما يصدر منهما فابتدره أخو نهشل وزجره فقال ويلك ماذا رأيت وأي عجب سمعت ووعيت حتى ترتبك في الضحك أما قرأت وفهمت وسمعت وعلمت أن الضحك بلا سبب من قلة الادب وان الحشم وسائر الخدم ومن نادم الملوك وجالسهم يحترم أمورهم ويعظم مجالسهم سواء غابوا أو حضروا ناموا أو سهروا قاموا أو قعدوا استيقظوا أو رقدوا وقد قيل رفع قلم الحساب والضبط والعتاب عن الصبي والمجنون والعاشق والمفتون وكذلك السكران والنائم لا سيما السهران وعذر النائم يا مسكين أعظم من عذر الباقين فان النوم أخو الموت وفيه ما ليس في غيره من الفوت وقد قال صاحب الشرع الذي زكا منه الاصل والفرع حفظه الله بجنود الصلاة والسلام وحرسه يعتذر عن النائم العين وكاء السه وقال ذو الصدق والتصديق رفع قلم التكليف عن النائم حتى يفيق وانما اعتبر الشرع أحوال

لاخيه كليله يا أخي ما شأن الاسد مقيما مكانه لا يبرح ولا ينشط قال له كليله ما شأنك أنت والمسئلة عن هذا نحن على باب ملكنا آخذين بما أحب وتاركين ما يكره ولسنا من أهل المرتبة التي يتناول أهلها كلام الملوك والنظر في أمورهم فامسك عن هذا واعلم انه من تكلف من القول والفعل ما ليس من شأنه أصابه ما أصاب القرد من النجار قال دمنه وكيف كان ذلك (قال كليله) زعموا ان قردا رأى نجارا يشق خشبة بين وتدين وهو راكب عليها فاعجبه ذلك ثم ان النجار ذهب لبعض شأنه فقام القرد وتكلف ما ليس من شغله فركب الخشبة وجعل ظهره قبل الوتد ووجهه قبل الخشبة فتدلت خصيتاه في الشق ونزع الوتد فلزم الشق عليهما فخر مغشيا عليه ثم ان النجار وافاه فرآه موضعه فاقبل عليه يضربه فكان ما لقي من النجار من الضرب أشد مما أصابه من الخشبة (قال دمنه) قد سمعت ما ذكرت ولكن اعلم أن كل من يدنو من الملوك ليس يدنو منهم لبطنه وانما يدنو منهم ليسر الصديق ويكبت العدو وان من الناس من لا مروأة له وهم الذين يفرحون بالقليل ويرضون بالدون كالكلب الذي يصيب عظما يابسا فيفرح به وأما أهل الفضل والمروأة فلا يقنعهم القليل ولا يرضون به دون ان تسمو به نفوسهم الى ما هم أهل له وهو أيضا لهم أهل كالاسد الذي يفترس الارنب فاذا رأى البعير تركها وطلب البعير ألا ترى ان الكلب

النيام وساواهم باليقظى صونا لبعض الاحكام فى نحو من خمس وعشرين مسئله ضبطها من الفقهاء الكمله ولقد طالعت فى كتاب الاخلاق ان الله الكريم الخلاق حيث جعل جنسا من الامم فى طبائع وصفات متساوى القدم فلا يعتب أحد أحدا ولا يزدريه ولا ينقم عليه عيبا هو فيه وعلى الخصوص اذا صدر من الملوك شئ يعاب فلا يحمل ذلك منهم الا على الفضل والصواب وكل ما كان فى غير الملوك معتبه فانه اذا صدر من الملوك يعد منقبه ويجب على من يجالس الملوك وكان له فى خدمتهم سلوك واختص بمحاضرتهم واستعد لمناظرتهم ان لا يبصر منهم الا المحاسن ولا يخبر عنهم الا بالاحاسن وقد قيل من جالس الملوك بغير أدب حبسه فانه خاطر بروحه وعرض للبلاء نفسه وقال الله الاعظم فى كتابه المحكم لنبيه صلى الله عليه وسلم فاستقم كما أمرت ولهذا قال عليه السلام شيبتنى هود وأخواتها وما ساد العجم والعرب الا بسلوك طريق الادب وقال عليه الصلاة والسلام أدبنى ربى فاحسن تأديبى فقال المغفل أبو نوفل اذا طهر القلب من الخيانة وعاملت اليد بالامانة وتنقى العرض من العيوب وكان اللسان غير كذوب وزكت النفس بالحلم وعريت عن الجهل بلباس العلم يصلح لها أن تسخر بكل أحد وتفخر على أكبر من يكون ولو أنه الاسد وأنا اذا طار بهذه الصفات طيرى فلا على اذا ضحكت على غيرى فقال أخو نهشل لا تقل ذلك لا واستعذ بالله من الجهل والخيلا واعلم يا ذا الكرامات أن الجاهل يعرف بثلاث علامات احداها يا محبوب أن يرى نفسه عارية عن العيوب الثانية يا رفيق الخير ان يرى نفسه اعلم من الغير الثالثة أن يرى انه انتهى فى فنون العلم والنهى وبلغ أعلى المراتب وهذا أكبر المعايب وقالت الحكماء اذا رأيت نفسك عارية عن العيوب وتصديت لتتبع عثرات الناس بالغيوب وفتشت عن عيوبهم الجيوب فأنت حينئذ غارق فى بحر العيوب وبالذى أنت طالبه مطلوب وانظر يا ذا السكينه ماذا قاله الامام مالك رضى الله تعالى عنه حبر المدينة ليكن جل مطلوبك حرصك على تفقد عيوبك وقم بذلك على نفسك وذاتك مقام حسادك ورقبائك وعداتك وقال ذو هدى وما قال سدى

لكل فتى خرج من العيب ممتلى * على كتفه منه ومن أهل دهره

فعين عيوب الناس نصب عيونه * وعين عيوب النفس من خلف ظهره

فقال أبو نوفل صدقت ونصحت اذا نطقت فجزاك الله عنى خيرا ووقاك شرا وضيرا ولكن يا أخى وقعت هفوه على سبيل السهوه وحصلت زله على غفله واللفظ عن غير نظر كالسهم اذا رمى عن الوتر لا يمكن رده ولا توقفه وصده كما قيل

القول كاللبن المحلوب ليس له * رد وكيف يرد الحالب اللبنا

ولكن الذنب والاجترا اذا لم يشتهرا لا يتوجه عليهما العتاب ولا يستحق مرتكبهما العقاب اذا استغفر وأناب وأنا وان وقع منى الخطا آمن بحمد الله من شر الجزا ومن المؤاخذة بالجريمه وان كانت عاقبتها وخيمه لانها بينك وبينى وأنت بمنزلة روحى وعينى ورفيقى وصاحبى ومراعى حقى وجانبى فسرى عندك مصون وأمرى عن الاشاعة مخزون وقد قال الحكماء ذوو التجارب لا تودع السر الا عند صاحب صدوق صديق ومحب شفيق وأنت هو ذاك الموثوق فاطرحه من سويداء قلبك فى أسفل الصندوق فان استمر عندك ساكنا صرت من وبال أمره آمنا ولا يبعد ذلك من شفقتك وسابق صداقتك ووفائك بالمروه وقيامك بحقوق الاخوه وأسأل احسانك ان تجيب اصاحبك القديم مرجوه قال أخو نهشل أعجب لابى نوفل كيف يغفل أما سمعت يا عاقل قول القائل من علامات الجاهل ان يقرض ماله باللطف ثم يتقاضاه بالفظاظة والعنف وان يودع سره وخفاياه وأمره عند من يحتاج أن يتضرع اليه ويقسم فى اخفائه واكتتامه عليه ثم يحلفه ان لا يبديه ولا يذكره لاحد ولا ينهيه وقد قالت الحكماء لا تودع أحدا سرا فان فعلت فاتلك السرلان كتمانه قيدهم وعناء وابداءه كيد هلاك وبلاء وقد قيل

يتصبص بذنبه حتى ترمى له الكسرة وان الفيل المعترف بفضله وقوته اذا قدم اليه علفه لا يعتلفه حتى يمسح ويتملق له فمن عاش ذا مال وكان ذا فضل وافضال على أهله واخوانه فهو وان قل عمره طويل العمر ومن كان فى عيشه ضيق وقلة وامساك على نفسه وذويه فالمقبور أحيا منه ومن عمل لبطنه وقنع وترك ماسوى ذلك عد من البهائم (قال كليلة) قد فهمت ما قلت فراجع عقلك واعلم ان لكل انسان منزلة وقدرا فان كان فى منزلته التى هو فيها متماسكا كان حقيقا ان يقنع وليس لنا من المنزلة ما يحط حالنا التى نحن عليها (قال دمنه) ان المنازل متنازعة مشتركة على قدر المروأة فالمرء ترفعه مروأته من المنزلة الوضيعة الى المنزلة الرفيعة ومن لا مروأة له يحط نفسه من المنزلة الرفيعة الى المنزلة الوضيعة وان الارتفاع الى المنزلة الشريفة شديد والانحطاط منها هين كالحجر الثقيل رفعه من الارض الى العاتق عسر ووضعه الى الارض هين فنحن أحق أن نروم ما فوقنا من المنازل وان نلتمس ذلك بمروأتنا ثم كيف نقنع بهما ونحن نستطيع التحويل عنها (قال كليلة) فما الذى اجتمع عليه رأيك (قال دمنه) أريد ان أتعرض للاسد عند هذه الفرصة فان الاسد ضعيف الرأى ولعلى على هذه الحال ادنو منه فاصيب عنده منزلة ومكانة (قال) كليله وما يدريك ان الاسد قد التبس عليه امره (قال) دمنه بالحس والرأى اعلم ذلك منه فان

وكل سر جاوز الاثنين شاع * وكل علم ليس فى القرطاس ضاع

ولم يقصد بالاثنين الا الشفتين وقال الشاعر

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذى يستودع السر أضيق

(وقال أيضا) لا تودعن ولا الجماد سريرة * فمن الجمارة مايسر وينطق

واذا المحك أضاع سر أخ له * وهو الجماد فمن به يستوثق

(وقال أيضا) صن السر عن كل مستخبر * وحاذر فما الحزم الا الحذر

اسيرك سرك ان صنته * وأنت أسير له ان ظهر

وكل ماتحرك به اللسان انتشر فى الكون والمكان وناهيك يا نامر قضية الحرامى مع الطامر قال أبو نوفل كيف تلك يا أخا نهشل (قال) بلغنى ان رجلا من الحرامية واللصوص الكرارية كانت نفسه ذات الخيانه تحرضه على الدخول من حواصل الملك الى الخزانه وانه لرؤية الخزانة مشتاقه ولمعانقة فاسق التحرم عشاقه وكان جاهدا فى أن يعطيها من مناها مايرضيها ولكن كانت نجوم الحراس بالرصد ولرجوم ذلك الشيطان كل يعد وكتم ذلك السر عن الاخوان ومضى عليه برهة من الزمان وهو يكابد اكتتامه ويخاف من السوء ختامه والقدر كائن والكائن حائن الى ان طفح عليه ماقصد وغلا نجر سره فى قلبه وقذف بالزبد فطلب صاحبا يتلفظ به اليه ويعتمد فى اكتتام سره عليه واختلا فى حجرته فقرصه برغوث فى حجرته فمد يده اليه وأفشى سره معتمدا عليه وقال فى خاطره عند افشاء سرائره لا لهذا لسان يقدر على البيان وعلى تقدير أن لو كان فهو مثل ولدى تربى من دم كبدى ولحم جسدى واطلع على عورتى فلا يقصد عثرتى ولا يكشف سرى ولا يهتك سترى ثم أدنى فاه حتى وافاه وقال يا أبا طامر وكاتم السر فى السرائر انى عزمت كالمنهمك على الدخول الى خزائن الملك لاستصفيها وآخذ مافيها فاكتم هذا السر عنى وامصص ماشئت من الدم منى ثم طرحه فى سراويله واستمر فى نيته على أباطيله ثم قصد فى بعض الليالى ما كان يخلو به على التوالى ويرصده فى المكامن من الدخول الى الخزائن فلاحت له فرصة فانتهزها واستعمل دقائق صنعه وابرزها وانتقل من ذلك الى المبيت واطى تحت سرير الملك كالعفريت والملك نائم فوق السرير على فراش الحرير معانق الظبى الغرير وخرزة التاج عند رأسه تقد كأنها سراج متقد فقصد اللص أخذها واقتطاعها وفلذها فامهل القوم الى ان استغرقوا فى النوم وبينما هو متفكر فيما به اذ خرج البرغوث من ثيابه ودخل الى جسد السلطان وقص عليه بلسان القرص كل ما كان من شأن اللص فنهض الملك من مرقده فرأى نقطة على جسده فطلب النور لينظر الامور فرأى برغوثا طار ونزل تحت السرير فقصوا أثره فى المسير فوجدوا الحرامى الكبير فربطوه كالاسير ووقع فى الامر العسير بالامر اليسير فصار كما قيل

مشى برجليه عمدا نحو مصرعه * ليقضى الله أمرا كان مفعولا

(وانما أوردت هذا المثل) لتعلم يا أبا نوفل أن سر الفؤاد لا يؤمن عليه الجماد فضلا عن متحرك من حيوان ونعوذ بالله ان كان من جنس الانسان وقد قيل للحيطان آذان ومن امثال العجم الاو باش للديوان أكواش فلما انقضى هذا الكلام وكان الاسد قد استوفاه على التمام وقد أثار فى أحشائه لهبا نهض من مرقده ممتلئا غضبا واستحال وتحرك وأمر بابى نوفل فقبضوا عليه ووضعوا الغل فى رقبته والسلاسل فى يديه ورجليه وأمر الى السجن برفعه بعد التنكيل به وصفعه فتشوش خاطر صديقه وجليسه ورفيقه ثم انفض المجلس العظيم ودخل الملك الى الحريم فتوجه أخو نهشل الى السجن المقفل ولام صاحبه أبا نوفل وزاد فى التعنيف وقال أيها الاخ الظريف ألم تعلم أن الشخص اذا تكلم يضبط كلامه عليه ويعود محصول مايلفظ به اليه وقد قال الرب المجيد مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد

الرجل ذا الرأى يعرف حال صاحبه وباطن امره بما يظهر له من دله وشكله (قال كليلة) فكيف ترجو المنزلة عند الاسد ولست بصاحب السلطان ولا لك علم بخدمة السلاطين (قال دمنه) الرجل الشديد القوى لا يعجزه الحمل الثقيل وان لم تكن عادته الحمل والرجل الضعيف لا يستقل به وان كان ذلك من صناعته (قال كليله) فان السلطان لا يتوخى بكرامته فضلاء من بحضرته ولكنه يؤثر الادنى ومن قرب منه ويقال ان مثل السلطان فى ذلك مثل شجر الكرم الذى لا يعلق الا باكرم الشجر وكيف ترجو المنزلة عند الاسد ولست تدنو منه (قال دمنه) قد فهمت كلامك جميعه وماذكرت وأنت صادق لكن اعلم ان الذى هو قريب من السلطان ولا ذلك موضعه ولا تلك منزلته ليس كمن دنا منه بعد البعد وله حق وحرمة وانا ملتمس بلوغ مكانتهم بجهدى وقد قيل لا يواظب على باب السلطان الا من يطرح الانفة ويحمل الاذى ويكظم الغيظ ويرفق بالناس فاذا وصل الى ذلك فقد بلغ مراده (قال كليله) هبك وصلت الى الاسد فما توفيقك عنده الذى ترجو ان تنال به المنزلة عنده والحظوة لديه (قال دمنه) لو دنوت منه وعرفت اخلاقه فرفقت فى متابعته وقلة الخلاف له واذا اراد امرا هو فى نفسه صواب زينته له وصبرته عليه وعرفته بما فيه من النفع والخير وشجعته عليه وعلى الوصول اليه حتى يزداد به سرورا واذا

اراد امرا يخاف عليه ضره وشينه بصرته بما فيه من الضر والشين واوقفته على ما في تركه من النفع والزين بحسب ما أجد

عتيد وان كثرة الكلام تضر بالنفس أكثر مما يضر بالبدن الطعام وكل هذا المصاب انما جاء من قبل الاعجاب وكثرة الكلام والغرور وعدم التأمل في عواقب الامور قال الشاعر

ما ان ندمت على سكوتي مرة * ولقد ندمت على الكلام مرارا

قال حكماء الهند وفضلاء السند ما دام الكلام في الفؤاد ولم يبد منه على اللسان باد ولم يصب منه سائل حرف في صدفة الآذان أو وعاء الطرف فهو كالبنت البكر المشهورة الذكر كل أحد يخطبها ويميل اليها ويطلبها ويتمنى ان يراها ويترشف لماها فان ألقي الى المسامع ووعاه كل ناظر وسامع فهو كالعجوز الشوها اذا سألوها وقلوها وهي تلازم صباحا ومساء ويفر منها الرجال والنساء ويحيد كل أحد عنها فاذا تكلمت أسكتت واذا سلمت أعرض عنها وقال بعض الحكماء اللسان أسد وهو حارس الرأس والجسد ان حبسته حرسك وان أطلقته جبسك وان سلطته افترسك وقالوا الكلام أسيرك ما لم تبده فان تكلمت به فأنت أسيره قال بعض الحكماء انا على ما لم أقل أقدر مني على ما قلت وقال عيسى صلوات الله عليه العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت الا عن ذكر الله وواحد منها في ترك مجالسة السفهاء وقال نبي الحرمين وامام الثقلين صلوات الله وسلامه عليه الصمت حكمة وقال عليه الصلاة والسلام البلاء موكل بالمنطق وقال الحكماء السكوت يستر عيب الجهل ويعظم حرمة الملوك ولقد آذيت نفسك وتسببت فيما أوجب حبسك وأقلقت ودودك وأشمت حسودك ولقد كانت حصتي من بلائك وما دهاني من شدة عنائك أعظم من كل حصة وقصتي في ذلك أعجب من كل قصة اذ أنت رفيقي وزميلي وفي حضرة الملك ومنادمته عديلي نشأنا على ذلك وسلكنا في الموافقة والمرافقة أقوم المسالك وكنت المرجو لمخافي وابابي في مطافي ومشتكى حزني ومشتفى شجني ومخزن أسراري وأعظم أستاري وراوية أخباري في احباري وراوية أسفاري في اسفاري ومن أين ألقى مثلك رفيقا أو أجد صديقا شفيقا وأنت صاحب السراء ومصاحب الضراء وأنشد

ومن أين ألقى بعد سبعين حجة * رفيقا لكن أرضعته قهوة الصبا

أديب أريب يالم أمل مقامه * ولا ما في يوما حكيمه اما هذيا

ويعز علي ويعظم لدي ان أراك في هذه الحاله ثم أجرى سحائب دموعه الهطاله * وقال

وما على الحر أنكى أن يرى حزنا * في محنة ضاق عنها دونه الحيل

ولقد تحيرت في هذا الامر المهول وما أدري قصاراه الى ماذا يؤل وليلة الغم الصراح عماذا يسفر فيها الصباح فأنكى لذلك أبو نوفل وبكى وتضرع الى الله وشكا وقال يا أعز الاصحاب وأحب الاحباب لقد أثر عندي ما قلت من الكلام أكثر مما أصابني من الآلام كيف يغتفر لاحد الجانبين ويطلق أحد القيدين واني يعتذر بالقضاء والقدر لاحدى الغصتين وهل شئ في عالم الكون والفساد جاء خارجا عما قدره الله واراد وكنا في هذا سواء وبه والعبد معه ورمح المنيه ولكن الجد اذا أقبل ولاحظ بسعده وتفضل فكل حركة تصدر من الغبي العاجز يعجز عن مقاومتها البطل المبارز وكل قول يتفوه به الجاهل يدع دليل معانيه أدلة العقلاء في مجاهل ومذاهل ودعا من ذوي الاراء المنضطبة المناهل تأتي من عقنقل الحيرة في مجاهلها مناهل فيصير كل وجه اليها مائل وكل انسان بها قائل وقوام كل سعد وقبول اليها قائل كما قيل

واذا السعادة لاحظتك عيونها * نم فالمخاوف كلهن أمان

واصطد بها العنقاء فهي حبائل * واقتد بها الجوزاء فهي عنان

ونعوذ بالله من ليل السعد اذا أدبر وصبح الخمول اذا أسفر فان اللبيب اذ ذاك يخطئ ما كان يصيب ويفعل العاقل ما لا يرتضيه باقل فيكون جهد النفس زيادة في العكس

واذا تولى الجد يحتاج الذكي * في رأيه قبل الزوال مراحا

وانقلاب الدهر وانعكاس الزمان شيمة معهوده وخصلة معدوده كما قيل

اليه السبيل وانا أرجو ان ازداد بذلك عند الاسد مكانة ويرى مني ما لا يراه من غيري فان الرجل الاديب الرفيق لو شاء ان يبطل حقا ويحق باطلا لفعل كالمصور الماهر الذي يصور في الحيطان صورا كأنها خارجة وليست بخارجة وأخرى كأنها داخلة وليست بداخلة (قال كليله) اما ان قلت هذا وقلت هذا فاني أخاف عليك من السلطان فان صحبته خطرة وقد قالت العلماء ان أمورا ثلاثة لا يجترئ عليهن الا أهوج ولا يسلم منهن الا القليل وهي صحبة السلطان وائتمان النساء على الاسرار وشرب السم للتجربة وانما شبه العلماء السلطان بالجبل الصعب المرتقى الذي فيه الثمار الطيبة والجواهر النفيسة والادوية النافعة وهو مع ذلك معدن السباع والنمور والذئاب وكل ضار مخوف فالارتقاء اليه شديد والمقام فيه أشد (قال دمنة) صدقت فيما ذكرت غير انه من لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب ومن ترك الامر الذي لعله يبلغ فيه حاجته هيبة ومخافة لما لعله ان يتوقاه فليس ببالغ جسيما وقد قيل ان خصالا ثلاثة لن يستطيعها أحد الا بعون من علو همة وعظيم خطر منها عمل السلطان وتجارة البحر

ومناجزة العدو وقد قالت العلماء في الرجل الفاضل الرشيد انه لا يرى الا في مكانين ولا يليق به غيرهما اما مع الملوك مكرما أو مع النساك

ومن ذا الذي ما غره صرف دهره * فاضحكه يوما ولم يبكه سنه

وانا كنت غافلا وان لم أكن جاهلا وقد يكون الشخص عما تحققه ذاهلا وذلك لما كان عودني الزمان وألفته من سالف الدوران وارخاء العنان ونيل الاماني والامان واسبال ذيل النعم والاحسان الدائم والكرم فمشيت على ما كنت أعهده وفي نفسي أجده وأيضا كانت لذة عشرتك ونعيم صحبتك وحسن موافقتك وعز مرافقتك أنساني كل بليه وأمنت بذلك كل رزيه فالهاني عن التنكد ودهتني غفلة عن التوزع والتبدد مثل ما أصاب ذلك الهدهد قال أخوه شل أسرد ذلك المثل (فقال) ذكروا ان الله مجري الخير علم بعض عبيده الصلحاء منطق الطير فصاحب منها هدهدا وازداد ما بينهما توددا ففي بعض الايام مر بالهدهد ذلك الامام وهو في مكان عال ملتفت الى ناحية الشمال وهو مشغول بالتسبيح يسبح الله بلسانه الفصيح فناداه يا صاحب التاج والقباء والديباج لا تقعد في هذا المكان فانه طريق كل فتان ومطروق كل صائد شيطان ومقعد أرباب البنادق ومرصد أصحاب الجلاهق فقال الهدهد اني عرفت ذلك وانه مسلك المهالك قال فلاي شئ عزمت على القعود فيه مع علمك بما فيه من دواهيه قال أرى صبيا وأظنه غويا نصب لي فخا يروم لي فيه زخا وقد وقفت على مكايده ومناصب مصايده وعرفت مكيدته أين هي والى ماذا تنتهي وأنا أتفرج عليه وأتقدم للضحك اليه وأتعجب من تضييع أوقاته وتعطيل ساعاته فيما لا يعود عليه منه نفع ولا يفيده في تعاطيه سوى الصفع وأسخر من حركاته وأتبسم من عرعلى خزعبلاته فتركه الرجل وذهب وقضى حاجاته وانقلب فرأى الهدهد في يد الصبي يلعب به لعب الخلي بالشجي ولسان حاله يلهج بمقاله

كعصفورة في يد طفل يهينها * تقاسي حياض الموت والطفل يلعب

فلا الطفل ذو عقل يرق لحالها * ولا الطير مطلوق الجناح فيهرب

فناداه وقال يا أبا عباد كيف وقعت في شرك الصياد وقلت لي انك وعيت ورأيت ما رأيت فقال أما سمعت ان الهدهد اذا نقر الارض يعرف مسافة ما بينه وبين الماء ولا يبصر شعرة الفخ وذلك لينفذ ما كتبه الله تعالى وقدره من قضائه وقدره وناهيك في قضية القضاء والقدر قضية آدم أبي البشر مع موسى الكليم عليهما الصلاة والتسليم لما جرت عليه أحكام القضا والقدر فتمت مشيئة الله تعالى السابقة في علمه وجرى ما لم تدركه عقول الفحول في ميدان ارادته من سوابق حكمه وحكمه وأنشد الهدهد

يا سائلي عما جرى * والعين مبصرة القدر أوما سمعت بأن اذا * جاء القضا عمي البصر

(وقال أيضا) ان كنت أخطأت فما أخطأ القدر * ان القضاء اذا أتى يعمي البصر

واسمع أيها العاقل قول القائل

اذا أراد الله أمرا لامرئ * وكان ذا عقل وسمع وبصر

وحيلة يفعلها في دفع ما * يأتي به محتوم أسباب القدر

أصم أذنيه وأعمى قلبه * وسل منه عقله سل الشعر

فلا تقل فيما جرى كيف جرى * فكل شئ بقضاء وقدر

وأنا لما اغتررت بحدة بصري ذهلت عما يحول في فكري فغطت حدة استبصاري فوقعت في فخ اغتراري أما سمعت يا همام قول الامام اذا حلت المقادير ضلت التدابير ثم قال أبو نوفل وقد أثر فيه كلام أخيه نهشل

دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء

(وانما أوردت) هذه الحكاية لتحقق عني ما في تقريعك وتوبيخك من نكايه وتعلم ان الامور كلها جلها وقلها جارية على وفق ما قضاه الله تعالى وقدره واثبته في سابق علمه في اللوح المحفوظ وسطره وان كانت الاحكام في هذا الباب تضاف الى العلل والاسباب ولا شك في هذا ولا ارتياب فقدمر ان الذهول

متعبدا كالفيل انما جماله وبهاؤه في مكانين اما أن تراه وحشيا أو مركبا للملوك (قال كليلة) خار الله لك فيما عزمت عليه ثم ان دمنة انطلق حتى دخل على الاسد فسلم عليه فقال الاسد لبعض جلسائه من هذا فقال فلان بن فلان قال قد كنت أعرف اباه ثم سأله اين تكون قال لم أزل مرابطا لباب الملك رجاء ان يحضر امر فأعين الملك فيه بنفسي ورأيي فان أبواب الملوك تكثر فيها الامور التي ربما يحتاج فيها الى الذي لا يؤبه به وليس أحد يصغر أمره الا وقد يكون عنده بعض الغناء والمنافع على قدره حتى العود الملقى في الارض ربما نفع فيأخذه الرجل فيكون عدته عند الحاجة اليه فلما سمع الاسد قول دمنة أعجبه وظن ان عنده نصيحة ورأيا فاقبل على من حضر فقال ان الرجل ذا العلم والمروأة يكون خامل الذكر خافض المنزلة فتأبى منزلته الا ان تشب وترتفع كالشعلة من النار يضربها صاحبها وتأبى الا ارتفاعا فلما عرف دمنة ان الاسد قد عجب منه قال ان رعية الملك تحضر باب الملك رجاء أن يعرف ما عندها من علم وافر وقد يقال ان الفضل في أمرين فضل المقاتل على المقاتل والعالم على العالم وان كثرة الاعوان اذا لم يكونوا مختبرين ربما تكون مضرة على العمل فان العمل ليس رجاؤه بكثرة الاعوان ولكن بصالحي الاعوان ومثل ذلك مثل الرجل الذي يحمل الحجر الثقيل فيقتل به نفسه ولا يجد له ثمنا

شغلني عن الفضل بالفضول وان العذر غير مقبول فان الجهل لا يكون حجة ولا مخاص لسالك الاسواء المحجه وقد طال الكلام والحق بيدك والسلام وأما الآن فجل المقصود من لطفك المعهود وبذل المجهود وتذكر سابق العهود وقديم الصداقه وأكيد المحبه والعلاقه عطف الخواطر الملكيه ورجوعها الى ما كانت عليه من الصدقات السنيه والعواطف الملوكيه وأقل الاقسام الخلاص من هذه البليه وعلمك قد أحاط بأوثق مناط انى شخص وحيد بين ملازمي الخدمة فريد لم يكن لي أخ سوالك وأنت مشتكاى وأنا مشتكاك وهذا أوان الفتوة وزمان المروّه وعدم التخلي عن الاخوان والانبعاث بالهمة الثابتة الاركان والسعي في خلاص الصاحب القديم من هذا البلاء العظيم واسألك بسالف الخدمه والمودة ذات القدمه ان لا تذكر ما سلف من التقصير الموجب للتلف فاني معترف أني للذنب مقترف وانشد

جاوزت في اللوم حدا قد اضربه * من حيث قدرت أن اللوم ينفعه

واني اذا تفكرت وتصورت ما وقع اذا تذكرت وان كان قد مضى يضيق بي الفضا وأغرق في عرق الحيا وتسود في عيني الدنيا فكأنه في هذا القبيل عني قيل

كأن فؤادي في مخالب طائر * اذا ما ذكرت الحب يشتد بي قبضا

وهذا القدر من الاعلان يكفي واني أستحلي اذا مر بخاطري غصص حتفي ثم علا زفيره وشهيقه وبدا من لهيب قلبه بريقه ومن وادي دمعه عقيقه حتى خيف عليه غريقه وحريقه ورق له عدوه وصديقه وبكى لبكائه رفيقه قال أخو نهشل اعلم أيها الاخ المفضل اني لم أقل ذلك الكلام للعدوان والملام فضلا عن ايحاش قلب وايلام ولكن لما تألم جناني أجرى الله ذلك على لساني ولم يكن لذلك الحديث باعث ولا قصد عابث أو عائث ولكن صفو المحبة ووفور الصدق أو جبا التلفظ بذلك النطق وكيف لا أدرك دقائق المعاني وأنا الهائم في ثمار فضائلك الجاني وأما بذل الاجتهاد من أهل الوداد فهل يخطر ببالك غير ذلك ويأبى الله والاخلاق الكريمه وما علمته من همة وشيمه وفواضل فضائل من موائح خصالك اقتبستها ومطارف معارف على منوال سجاياك نسجتها ان أتخلف عن التعلق بأهدابها واغلق ابواب مقاصدها في وجوه طلابها وانا ان لم أبذل مجهودي واصرف موجودي في مساعدة خلي وصديقي وصاحبي ورفيقي بما تقتضيه المروأة والفتوه والصداقة القديمة والاخوه والا فأي فائدة في وجودي لوالدي ومولودي وطارفي وتليدي وصديقي وودودي وقد قيل أربعة أشياء فرض عين في شريعة المروأة على المحبين وكذلك الاخوان وسائر الاصحاب والخلان الاول المشاركة في النوائب وتعاطي دفعها من كل جانب الثاني اذا ضل أحدهم عن طريق السداد يردونه الى سبيل الرشاد ولا يتركونه على غير الصواب بل يستلطفونه بألطف خطاب الثالث اذا صدر من أحدهم نوع جفاء يلاقونه بالوفاء والصفاء ولا يتركونه على شفا ولا ينسون الوفا القديم بالجفاء الحادث فربما يتفرع على ذلك ما يؤكده من العوائث الرابع لا يؤاخذون المقصر في حال الغضب بل يرجئون عقوبته الى أن يطفأ اللهب فربما يتعدى بواسطة الغضب الحد فيقع بسبب ذلك بين الاصحاب نكد ثم ان أبا نوفل قال لاخي نهشل المبادرة أولى الى التلافي لئلا يسابق الجنود الى تلافي وهذا المصاب انما جاء بغته وأخذ قلوبنا واسماعنا بهته فاستعمل فكرك القويم وتوجه الى التدارك بقلب سليم فقال ها أنا أذهب على الفور لهذا المطلب النافع وأقوى العزيمة واجتهد في دفع الموانع فأول ما ابتدئ بقصد الملك وانظر ما يصدر منه قولا وفعلا في هذا الامر المشتبك فابني على ذلك ما يناسبه وأجاريه فيما يميل اليه خاطره ولا أجاذبه ثم توجه الى الاسد ودخل عليه فوجد الدب جالسا بين يديه وقد بلغه قضية النديم وانه حل به العذاب الاليم فاغتنم الفرصه وبادر ليتم على أبي نوفل الغصه ويتعاطى في أمره قصة وحصه فاراد أخو نهشل ان يفتتح الكلام ثم أفكر في أنه ربما عاكسه الدب في المرام وانه اذا قام في المناقضة لا يمكنه مقابلته بالمعارضه وان سكت فالسكوت رضا وان وافق فعلى غير مراده مضى

والرجل الذي يحتاج الى الجذوع لا يجزئه القصب وان كثر فانت الآن أيها الملك حقيق ان لا تحقر مروأ وأنت تجدها عند رجل صغير المنزلة فان الصغير ربما عظم كالعصب يؤخذ من الميتة فاذا عمل منه القوس اكرم فتقبض عليه الملوك وتحتاج اليه في البأس واللهو واحب دمنه أن يرى القوم ان ما ناله من كرامة الملك انما هو لرأيه ومروأته وعقله لانهم عرفوا قبل ذلك ان ذلك لمعرفته اياه فقال ان السلطان لا يقرب الرجال لقرب آبائهم ولا يبعدهم لبعدهم ولكن ينبغي ان ينظر الى كل رجل بما عنده لانه لا شئ أقرب الى الرجل من جسده ومن جسده ما يدوى حتى يؤذيه ولا يدفع ذلك عنه الا بالدواء الذي يأتيه من بعد فلما فرغ دمنه من مقالته هذه أعجب الملك به اعجابا شديدا وأحسن الرد عليه وزاد في كرامته ثم قال لجلسائه ينبغي للسلطان ان لا يلج في تضييع حق ذوي الحقوق والناس في ذلك رجلان رجل طبعه الشراسة فهو كالحية ان وطئها الواطئ فلم تلدغه لم يكن جديرا ان يغره ذلك منها فيعود الى وطئها ثانيا فتلدغه ورجل أصل طباعه السهولة فهو كالصندل البارد الذي اذا أفرط في حكه صار حارا مؤذيا ثم ان دمنه استأنس بالاسد وخلا به فقال له يوما أرى الملك قد أقام في مكان واحد لا يبرح

 منه فما سبب ذلك فبينما هما في هذا الحديث اذ خار شتربه خوارا شديدا فهيج الاسد وكره ان يخبر دمنه بما ناله

وعلم دمنه ان ذلك الصوت قد دخل على الاسد ريبة وهيبة فسأله هل راب الملك سماع هذا الصوت قال لم يربني شيء سوى ذلك (قال دمنه)

ليس الملك بحقيق ان يدع مكانه لأجل صوت فقد قالت العلماء انه ليس من كل الاصوات تجب الهيبة قال الاسد وما مثل ذلك (قال دمنه) زعموا ان ثعلبا اتى أجة فيها طبل معلق على شجرة وكلما هبت الريح على قضبان تلك الشجرة حركتها فضربت الطبل فسمع له صوت عظيم باهر فتوجه الثعلب نحوه لاجل ما سمع من عظيم صوته فلما أتاه وجده ضخما فأيقن في نفسه بكثرة الشحم واللحم فعالجه حتى شقه فلما رآه اجوف لاشيء فيه قال لا ادري لعل افشل الاشياء اجهرها صوتا واعظمها جثة وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم ان هذا الصوت الذي راعنا لو وصلنا اليه لوجدناه أيسر مما في أنفسنا فان شاء الملك بعثني واقام بمكانه حتى آتيه ببيان هذا الصوت فوافق الاسد قوله فأذن له بالذهاب نحو الصوت فانطلق دمنه الى المكان الذي فيه شتربه فلما فصل دمنه من عند الاسد فكر الاسد في امره وندم على ارسال دمنه حيث أرسله وقال في نفسه ما اصبت في ائتماني دمنه وقد كان ببابي مطروحا فان الرجل اذا كان يحضر باب الملك وقد ابطات حقوقه من غير جرم كان منه أو كان مبغيا عليه عند سلطانه أو كان عنده معروفا بالشره والحرص أو كان قد اصابه ضر وضيق فلم ينعشه

أشار

فامسك عن الكلام ورأى السكوت مقتضى المقام ثم امعن النظر وأجال قداح الفكر فرأى انه ان انفصل المجلس من غير أن يفصح بشيء ويتبس ربما يفوت المقصود أو يسابقه بالمعاكسة عدو أو حسود لاسيما مثل الوزير الرفيع الخطير صاحب الرأى والتدبير وهو عدو قديم وفي طرق الخزي نظيره عديم فاذا بادر الملك بالكلام ربما يقع منه فلتة بعقام كما قيل

أتاني هواها قبل ان أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فتلقاه الملك بقبول فيصول كما يختار في ميدان الفتك ويجول فتنعقد الامور وتتقصد وتنعقف الاخلاق الاسدية وتتمرد فرأى الاولى المبادرة بالكلام والوقوف في مقام الشفاعة أنسب بالمقام فان عارض أحد عرف أن جوهر كلامه عرض ولا تصدى الا لغرض وكان الملك قد سمع كلامه بعد معرفة سلامته والقائه على أبي نوفل عذله وملامه وكلامه بلا شك مقبول وما لاحد عنه عدول وكان الدب منتظرا خروجه من عند الملك حتى يختلي بالكلام معه وينهمك فادرك أخو نهشل هذا المرام فوقف في مقام الدعاء وبادر بالكلام ثم قال بعد وظائف الدعاء والقيام بما يجب من مراسيم الثناء العلوم الشريفة والآراء المنيفة محيطة ان من عادة الملوك العظام واخلاق السلاطين الكرام العفو عن الجرائم والاغضاء عن العظائم لاسيما اذا صدر ذلك من أحد المخلصين والعبيد المتخلصين على سبيل السهو والخطا لا على سبيل العمد والاجترا

من ذا الذى ما ساء قط * ومن له الحسنى فقط

وان العبد الاذل أبا نوفل الواقع في الخطر الخطير المعترف بالذنب والتقصير متوقع غفرها من صدقات الحضرة الملوكية ومراحمها وما اعتاده من حلمها الشامل ومكارمها ويحتم على الملوك القيام بقبول الشفاعه دون سائر الخدم والجماعه خصوصا وقد كان رفيقا نديما ومصاحبا قديما ولم يقصد المملوك بذلك الا سوق الحسنات الكثيفة الى دفاتر الصدقات الشريفه وقصد الخير وذهاب الاسى والضير وانتشار صيتها في الآفاق والاطراف بالعلم والحلم والعفو والصفح والفضل والعدل والالطاف فلان الاسد من هذا الخطاب وعرف أن قصد الشافع من هذا انما هو الثواب والصواب فاطرق مليا ولم يحر من الاجوبة شيا فتأثر الدب الخبيث والعدو القديم لهذا الحديث وخاف أن يكون السكوت رضا وان هو رضي يفوت منه المنى والاطراق علامة الحلم والسكوت في الحرب دليل السلم ومن فوت الفرصه وقع في غصه ومتى يقع أبو نوفل المختال في مثل هذا العقال وما أطرف مقال من قال

وان رأيت غراب البين في شرك * فاذبح وكل وذر الافراخ في عنق

(وقد قيل) اذا صارت الاعداء غلافا لهم * اذا لم تطأهم أصبحوا مثل ثعبان

وكم ذا يقاسي من اذاه وقرصه * على ضعفه ان صار داخل آذان

فانبرى وانبرم وتصدى للمعاكسة ذلك البرم وغطى دسائس لؤمه بنقوش الكرم وقال اعلم أيها النديم القديم ومن هو للملك أوفى خديم أن الواجب على جميع الخدام أن يكونوا في الصدق متساوي الاقدام ولا يقدموا على نصح الملك غرضا ولا يطلبوا سوى رضاه على النصيحة عرضا ولا عوضا فلا يصادقوا الخائن ولا يصدقوا المائن ولا يواطئوا الخاطي ولا المذنب المتعاطي ولو بالكلام الواطي ولا يخفوا الخيانة والجنايه ولا يرعوا في ذلك أدنى الرعايه فساعد السارق سارق ومعاضد المارق مارق والقيام مع الجاني جنايه واخفاء الخيانة نكايه وفي هذا الكلام كفايه ومن اعتذر من جناية جان لاسيما ان كانت في حق ملك أو سلطان فهو شريك فيها بل أعظم جرما من متعاطيها لان عظم الجنايه ياذا الدرايه انما هو بحسب المجني عليه وان ذلك لوهن عائد اليه لا على مقدار الجاني وأنت لا تجهل هذه المعاني ولهذا قال بعض أهل الافضال ان تعاطي الفساد ياذا الرشاد ليس فيه صغيره وأن كل ما يخالف الامر كبيره وذلك بالنظر الى الجناب الاقدس القاهر تعالى وتقدس فقال أخو نهشل كلام ولانا الوزير هو المفضل وما

أشاربه هو الصواب المعدل ولكن يا مولانا الوزير علمك الخطير خبير باننا كلنا محل الخطا والتقصير ولا يسع الكبير منا والصغير الا الحلم الغزير والعفو عن كثير وقل لي من هو البرىء عن الهفوه والذى لا يتوقع من مولانا الملك عفوه وان لم تقع الشفاعه فى الجانى وذى الخلاعه ويخاف سنة الجماعه فالمحسن لا يحتاج الى شفاعه ومن لم يجبر المكسور ويأخذ بيد المقهور فما يجد عند انكساره جابرا ولا يؤخذ بيده حين يصير عاثرا وقد قيل من مثلك الفضيل وصاحب الادب الجزيل

اذا أصبحت فينا ذا اقتدار * وأمرك فى رقاب الخلق جارى * أقل واقبل عثارا واعتذارا
فمن يقبل يقل عند العثار * فما زال الصغار تروم عفوا * وغفران الكبائر من كبار

وأحسن العفو ياذا السلوك عفو السلاطين والملوك لاسيما اذا عظم الجرم وكبر الاثم فان العفو اذا ذلك صادر من ملك ذى سلطان قادر مع قوة الباعث على المؤاخذه والقدرة الشاملة النافذه وغير الملوك من العاجز والصعلوك عفوهم انما هو بعجز خشيه أو لتمشية غرض مشيه والملوك انما يؤثر عنهم الخلال الحميده والخصال الشريفة السعيده والاكابر يعفون والاصاغر يهفون وقد قسم الحكماء والحكام ما يقع من الذنب والآثام أربعة أقسام فاسمع يا كبير هفوة وتقصير وخيانة ومكروه وحرروا ذلك وضبطوه وذكروا لكل جزاء قرروه فجزاء الهفوة العتاب وبه نطق الكتاب وجزاء التقصير الملامه على ما أورث من ندامه وجزاء الخيانة العقوبه فان فى ارتكابها العاقل صعوبه وأعظم بعقابها مشوبه وما يرتكب المكروه الا الغافل المعتوه وجزاؤه أيضا بمثله وهذا على مقتضى العقل وعدله والذى صدر فى سابق القدر * من المخاص أبى نوفل انما هي هفوة بهازل وجزاؤه على هذا الحساب انما هو العقاب وقد استوفاه وزياده وفى هذا لمولانا الملك الاراده فان شاء عاقب على الذنب الصغير وان شاء عفا عن الجرم الكبير والهفوة لا يكاد يسلم منها الخواص فضلا عمن هو فى شرك العبودية والاقتناص ولأن يؤثر الفضل عن الملك وعلى طريق عفوه يسلك الدرب المسلك خير من أن يؤثر عنه لنفسه الانتقام ويخلد ذلك على صفحات الايام ولاشك أن سيرة العفو والفضل أفضل من القصاص والعدل وذلك هو اللائق بالحشمه والاوثق للحرمه والاجدر لناموس السلطنة والابقى على ممر الدهور والازمنه وقد قال سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ينادى مناد يوم القيامة من كان له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله ولقد كان جماعة من عظماء الملوك والاكابر يبحثون عن تعاطى الذنوب والاجرام من الاصاغر لاسيما لمن يتعرض لذات الملك ونفسه ويستعين بطوائف على فساده من ابناء جنسه فاذا اقدروا عليهم عفوا وتلذذوا بالعفو والاحسان واستعفوا وحسبك يا أبا جهينه ومن فضله أعذب مزينه واقعة ابن سليمان المخلدة على ممر الازمان وما تضمنت من مكارم الاخلاق التى تعطرت بها الآفاق فتوجه الاسد اليه ومال وقال أخبرنا يا أخا شبل كيف كان هذا المثال (قال) لما انتهت أيام بنى اميه وتطرزت خلع الايام باعلام الدولة العباسيه واشرق بطالعة أبى العباس السفاح فى دياجير الدهر أيمن صباح بأحسن فلاح اختفت نجوم أفلاك بنى أميه وكوا كب من بقى من تلك الزواهر المضيه وكان منهم ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك بن مروان وجعل السفاح يتطلبهم ويرغب من يدرى بهم ويرهبهم الى ان ظهر ابن سليمان وكان من أمره ما كان فحكى انه كان بالحيره مختفيا فى همّ وحيره قال ففى بعض الايام تراءت لى على سطح سواد أعلام فوقع فى نفسى وغلب على حدسى انها قد جاءت لطلبى راغبة فى عطبى فتنكرت فى الحال واختفيت وخرجت من الحيرة والى الكوفة آتيت فدخلتها خائفا أترقب ولم يكن لى فيها مترصد ولا مترقب ولا صديق أركن اليه ولا صاحب اعول عليه فصرت فى تلك البلاد مثل المنشد ببغداد

بغداد دار لاهل المال منعمة * وللمفاليس دار الضنك والضيق

أو كان قد اجترم جرما فهو يخاف العقوبة منه أو كان يرجو شيأ يضر الملك وله منه

نفع أو يخاف من شيء مما ينفعه ضرا أو كان

لعدو الملك مسالما ولمسالمه محاربا فليس السلطان بحقيق ان يعجل بالاسترسال الى هؤلاء والثقة بهم والائتمان لهم فان دمنه داهية اديب وقد كان ببابى مطروحا مجفوا ولعله قد احتمل على بذلك ضغنا ولعل ذلك يحمله على خيانتى واعانة عدوى ونقيصتى عنده ولعله صادف صاحب الصوت اقوى سلطانا منى فرغب فيه عنى ويميل معه على ثم قام من مكانه فمشى غير بعيد فبصر بدمنه مقبلا نحوه فطابت نفسه بذلك ورجع الى مكانه ودخل دمنه على الاسد فقال له ماذا صنعت وماذا رأيت قال رأيت ثورا هو صاحب الخوار والصوت الذى سمعته قال فما قوته قال لا شوكة له وقد دنوت منه وحاورته محاورة الاكفاء فلم يستطع لى شيأ قال الاسد لا يغرنك ذلك منه ولا يصغرن عندك أمره فان الريح الشديد لا تعبأ بضعيف الحشيش لكنها تحطم طوال النخل وعظيم الشجر (قال دمنه) لا تهابن أيها الملك منه شيأ ولا يكبرن عليك أمره فانا آتيك به ليكون لك عبدا سامعا مطيعا قال الاسد دونك وما بدا لك فانطلق دمنه الى الثور فقال له غير هائب

ولا مكترث ان الاسد أرسلنى اليك لآتيه بك وأمرنى ان نت عجلت اليه طائعا ان أؤمنك على ما سلف من ذنبك فى التأخر عنه وتركك لقاءه

ظللت حيران أمشي في أزقتها * كأنني مصحف في بيت زنديق

فأداني المسير الى باب كبير منظره جليل وداخله دهليز طويل ليس فيه أحد من الحجاب والرصد فدخلت اليه وبه مكان فجلست عليه واذا برجل جسيم جميل الشكل وسيم على فرس جواد مع طائفة من الاجناد فدخل الى دهليز الباب وفي خدمته غلمانه والاصحاب الى ان نزل عن دابته وانفرد عن جماعته فلما رآني في وجيف ووجل قال من الرجل فقلت خلك الذم مختف على دم واستجرت بجوارك ونزلت في ديارك فقال أجارك الله لاتخف من سواه ثم أدخلني حجرة لطيفة تشتمل على أشياء ظريفة قد جعلها مضيفه ينزلها كل من قصده جهله أو عرفه فمكثت عنده حولا أصول في نعمه صولا ولا يسألني فعلا ولا قولا بل كان يركب من الاسحار وينزل اذا انتصف النهار وذلك كل يوم لاتأخذه عن ذلك سنة ولانوم فسألته في بعض الايام ونحن في أهني مقام وقد صرت عيبة سره ومرآة قلبه وصدره عن ركوبه ونزوله وموجب تنقله وحلوله فقال ان ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك بن مروان قتل أبي صبرا وأورثني بذلك نكدا وضرا وأوهج في فؤادي لهبا وجمرا وقد دارت على بني أمية الدوائر وبلغني انه بالكوفة مختف حائر فأنا كل يوم اركب اليه وافتش عليه لعل الله يوقعني به لاشفي قلبي بقتله من كربه فآخذ بثاري واكشف عني عاري وأطفئ لهبي وآخذ ثار أبي قال ابن سليمان فعجبت من قضاء الرحمن وكيف ساقني أرجلي الى شبكة مقتلي وأمشاني القضاء برجلي الى من هو دائر على قتلي فاستحييت منه ومن الله وكرهت عند ذلك الحياة فسألته عن اسم أبيه لاتحقق مايبديه وينهيه فأخبرني فعرفته وتذكرت اني أنا قتلته فقلت ياهذا وجب علي حقك وأنا غريمك ومشترك وقد قرب الله خطاك وأنالك مناك فقال وماذاك فقلت أنا ابراهيم الذي على طلبه تهيم وأنا قاتل أبيك فافعل بي مايرضيك وخذ ثارك وأطفئ نارك فقال كأنه طال بك الجفاء وأضر بك الاختفاء فأردت بالموت الخلاص واستندت لدعوى القصاص فقلت لا والله الذي علم السر وأخفى بل قلت الحق وفهمت بالصدق وخلاص الذمة في الاولى أخف من قصاص الاخرى وأولى أنا فعلت بأبيك الاذى في يوم كذا ومكان كذا بسبب كذا قال فلما علم ذلك مني وتحقق أنه صدر عني احمرت عيناه وانتفخت شفتاه وقامت عروقه ولمعت بروقه وأزبدت شدوقه وأطرق الى الارض وكاد يأكل بعضه البعض وجعل يرجف ويرعد ويزأر كالاسد ويتململ كريشة تقلبها الريح في قاع البلد واستمر على ذلك زمانا يتأمل فيما يفعله بي اساءة أو احسانا الى أن سكنت رعدته وبردت همته فأمنت سطوته وقهر حدي سورته ثم أقبل علي ورفع رأسه الي وقال أما أنت فستلقى أبي غدا فيقتص له منك جبار السما وأما أنا فلا أخفر ذمتي ولا أضيع جواري وحرمتي ولايصل اليك مكروه مني ولكن قم واخرج عني فلست آمن نفسي عليك ولا أقدر بعد اليوم انظر اليك ثم دفع الي الف دينار وقال استعن بها على ماتختار فلم آخذها ولانظرت اليها وخرجت من داره ولم أعرج عليها ولم أر أكرم من ذلك الرجل ولا أحلم ولا أعظم مكارم منه ولا أجسم (وانما أوردت) هذه الحكاية وقى الله مولانا الملك شر النكاية ليعلم ان الذنب الكبير يستدعي العفو الكثير ممن قدره عظيم وحسبه جسيم ونسبه كريم كما قيل في محكم الكتاب الحكيم ولاتستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ومايلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الاذو حظ عظيم فقال الوزير ناموس السلطنة وحشمتها وهيبة الملك وحرمتها لها شروط كل منها محرر مضبوط وبالمحافظة عليه محوط ولابد من اقامة أركانها وتشييد بنيانها ويجب الوفاء بها على الملوك والممالك ويفترض القيام بها على سلاطين الممالك والاخلال برعايتها وهن في الولاية فلاغنى عن العمل بها ورعايتها أحسن رعاية فمن ذلك أن لايسامح جماعة ولايغفل عنهم وعن كيدهم ساعة فساعة ولايركن اليهم في اقامة ولاتسير حيث لايصدر عنهم للملك ولا للمملكة خير فمنهم من يعزل الانسان عن منصبه من

وان أنت تأخرت عنه وأحببت أن أعجل الرجعة اليه فأخبره قال له شتربه ومن هو هذا الاسد الذي أرسلك الي وأين هو وما حاله (قال دمنه) هو ملك السباع وهو بمكان كذا وكذا ومعه جند كثير من جنسه فرعب شتربه من ذكر الاسد والسباع وقال ان أنت جعلت لي الامان على نفسي أقبلت معك اليه فأعطاه دمنه من الامان ماوثق به ثم أقبل والثور معه حتى دخلا على الاسد فأحسن الاسد الى الثور وقربه وقال له متى قدمت هذه البلاد وما أقدمكها فقص شتربه عليه قصته فقال له الاسد اصحبني والزمني فاني مكرمك فدعا له الثور وأثنى عليه * ثم ان الاسد قرب شتربه وأكرمه وأنس به وائتمنه على أسراره وشاوره في أمره ولم تزده الايام الا عجبا به ورغبة فيه وتقريبا منه حتى صار أخص أصحابه عنده منزلة فلما رأى دمنه أن الثور قد اختص بالاسد دونه ودون أصحابه وانه قد صار صاحب رأيه وخلواته ولهوه حسده حسدا عظيما وبلغ منه غيظه كل مبلغ فشكا ذلك الى اخيه كليله وقال له ألا تعجب يا أخي من عجز رأيي وصنعي بنفسي ونظري فيما ينفع الاسد وأغفلت نفع نفسي حتى جلبت الى الاسد ثورا غلبني على منزلتي (قال كليله) قد أصابك ما أصاب الناسك قال دمنه وكيف كان ذلك

(قال كليله) زعموا ان ناسكا أصاب من بعض الملوك كسوة فاخرة فبصر به سارق فطمع في الثياب فأتى الناسك وقال له اني غير

غير نوف لعزله عن سببه ومنهم من يوالي اعداء الملك وهو ذو اجتراء منهمك ومنهم من يراعي مصلحة نفسه ويقدمها على مصلحة مخدومه في حالتي رخائه و باسه ومنهم من يفشي سره ولا يراعي خيره وشره ومنهم من يتعرض لسقطه وغلطه لتغيير خاطره وسخطه ومنهم من ينتقص حرمته و ينتهك عظمته وحشمته ومنهم ذو الطبع اللئيم المفسد في الحريم ولا شك ان أبا نوفل المهمل المغفل قد ارتكب بعض هذه الصفات وهو متلبس باشنع الحركات وهذا يدل على لؤم أصله وشؤم محله وسوء طويته وفساد نيته ومن أكرم اللئيم فهو الملوم وهذا أمر معلوم وقد قيل

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

فقال آخو نهشل الفقير لا تقل ذلك أيها الوزير فان أبا نوفل عبد خديم ومخلص قديم وظريف نديم ومحب صديق وودود شفيق أمين ثقة ذو وفاء ومقة محب ناصح وجليس صالح لم يعلم مولانا الملك عليه الا الخير ولم يزل يسير في طريق العبودية أحسن سير ولم يطلع منه على شيء يعيبه ولا يشينه في الدارين ولا يريبه بل هو ملازم لوظائف عبوديته مباشر لما يجب عليه من شرائط خدمته لم يصدر عنه أبدا غش لمخدومه ولا خروج عن امتثال أوامر مرسومه فان صدرت منه هفوة نادرة أو سهوة بادرة أو جفوة سادرة فلم مولانا الملك لا يقتضي بل ولا يرتضي اطراح هذه الاوصاف المتعاضده لاجل هذه الزلة الواحده كما قيل

فان يكن الفعل الذي ساء واحدا * فافعاله اللاتي سررن ألوف

مع أنه حصل له من كسر الخاطر واحراق القلب واغراق الجفن الماطر ما لا يجبره الا العواطف السلطانيه والمراحم الشريفة الملوكيه ونظرة من الحنو والعطف وذرة من الشفقة والالطاف تكفيه ومن أليم الجفاء تحييه وبعد شدة الممات تحييه والا فلا نعرف أحدا يجبر كسر ذلك الوهن أبدا الا الآلاء السلطانيه من يد العاطف تعالى مقامها الى درجات السمو والعطف والحنو ثم عطف على الدب وقد حفر لايقاعه الجب وقال أما أنا مع قلة البضاعه واحتقار مقامي بين الجماعه فقد أقمت نفسي لما وجب علىّ فيها في مقام الشفاعه فلا أقصر فيها ولا أرجع عنها ومن يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها وأسأل صدقات مولانا أبي الماس المساعدة في انجاز هذا الالتماس وان يكون هذا شريكا لي في احراز هذا الجمل والوصول الى أنواع الفضل من هذا الفصل فانه يرد عنا فتنه ومن يشفع شفاعة سيئة وأرجو من وزير الممالك أن لا يقع منه مخالفة في ذلك فان من سكن الكرم في ربعه لا يصدر منه الا ما يليق بكرم طبعه واللئيم يتكلف بل يحسد عليه ويتأسف اذا شرع في مكارم الاخلاق وتعاطى فيها ما لم يقسمه له مقسم الارزاق ترى وجوه محاسنها في مكامنها تستتر منه بانقاب النشوز وأبكار خدودها في قصورها تتراءى لعينه في صورة شوهاء عجوز فلا يطاوعه لسانه في طيب المقام الى طيب المقال ولا يبعثه جنانه الى مباشرة حسن الفعال فيصير كما قيل

يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل

والناس على دين ملوكهم سالكون طريق سلوكهم وحيث كان مولانا الملك مجبولا على الشفقة الكامله والمراحم الشامله فكان يجب على ذمتنا و يلزم دائرة همتنا أن نتخلق باخلاقه العليه ونتشبث باهداب شمائلها الرضيه ونتعاون جميعا على التزين بلابسة ملابسها البهيه ونستضيء بل نهتدي في دياجير المعاش بدراري افلاك صفاتها الزكيه فان العبد فيما يتعاناه مجبول من طينة مولاه وان الله جل وعلا لا يضيع أجر من أحسن عملا قال فالجم الدب ذو الساقطة بما فعله به من المغالطه ثم امسكوا عن الكلام وانتظروا ما يصدر من الضرغام فلم يبد خطابا ولا أنهى جوابا سوى أن قال صلوا في الرحال ولا تبدوا ولا تعيدوا ولا تنقصوا في هذه القضية ولا تزيدوا حتى أمعن فيها النظر واستشير فيها مشير الفكر فمهما أشار اليه الرأي وارشد الى اتباعه الهدى فيما يتعلق بحاله تقدمت الحكم بامتثاله فلما انصرفوا توجه أخو نهشل الى الحبس وذكر لاخيه ما جرى بينه و بين ذلك النحس ثم قال أبشر بالنجاح والفلاح والصلاح فقد رأيت

أريد أن اصحبك فاتعلم منك وآخذ عنك فاذن له الناسك في صحبته فصحبه متشبها به ورفق له في خدمته حتى اذ ظفر به أخذ تلك الثياب فذهب بها فلما افتقد الناسك ثيابه علم أن صاحبه قد أخذها فتوجه في طلبه نحو مدينة من المدن فمر في طريقه بوعلين يتناطحان حتى قد سالت دماؤهما فجاء ثعلب يلغ في تلك الدماء فبينما هو في ولوغه في تلك الدماء اذ أقبل عليه الوعلان بنطاحهما فقتلاه ومضى الناسك حتى دخل تلك المدينة فلم يجد فيها مأوى الا بيت امرأة فنزل بها واستضاف عندها وكانت للمرأة جارية تؤاجرها وكانت الجارية قد علقت رجلا وهي له مريدة وقد أضر ذلك بمولاتها فاحتالت لقتل الرجل في تلك الليلة التي استضاف بها الناسك ثم ان الرجل وافى فاسقته من الخمرة حتى سكر ونام ونامت الجارية الى جانبه فلما استثقلا نوما عمدت الى سم كانت قد اعدته في قصبة لتنفخه في دبر الرجل فلما أرادت ذلك بدرت من دبر الرجل ريح فعكست السم الى حلق المرأة فوقعت ميتة وكل ذلك بعين الناسك وسمعه فلما رأى ذلك خرج يبتغي منزلا غيره فاستضاف عند رجل اسكاف فاتى به امرأته وقال لها انظري الى هذا الناسك وأكرمي مثواه وقومي بخدمته فقد دعاني بعض أصدقائي للشرب عنده ثم انطلق ذاهبا وكان للمرأة خليل والسفير بينهما امرأة حجام فارسلت امرأة الاسكاف الى امرأة الحجام تأمرها بالمصير اليها

فى جيب الفوز نور صباح ولاشك ان الله الغفور يجرى على يدى ولسانى من الامور ما يجلب السرور ويذهب الشرور فكن أوثق صبور وان حصل فى الطريق عقبة تعويق فلا يكن فى صدرك حرج فان وراءها باب الفرج فانا ظفر مقرون بالصبر والصبر مشفوع باليسر وقد أجاد صاحب الانشاد

اصبر على ما جرى من سابق قدما * فمركب الصبر بالامهال تلحقه

فشكر له جميل سعيه ثم عرض على مشير وعيه فقال كنت أرى ان هذه القضية تؤخر ويرجى السعى فى أمرها ولا يذكر وسبب ذلك ان الطالع قد أدبر والحظ عن المساعدة قد تأخر واذا تحرك الشخص والسعد ساكن وتبسم الدهر والزهر بالك وطاب شكر مسالمته وهو شاك فهو كقاطع البحر بالمراكن والبانى على ثبجه أماكن لا يصلح له عمل ولا ينجح له أمل فيشبه اذ ذاك الحمار المعصوب العينين فى المدار يقطع بالمسير زمانه ولا يفارق مكانه كذلك من يتعاطى الاعمال والسعد غير عمال فلا يستفيد الا التعويق والتبعيد ففى تلك الحال ينبغى الامهال لا الاهمال الى أن يتوجه السعد بالاقبال فعند ذلك مد الشباك وصد السماك فان السعد أتاك والدهر واتاك وناهيك قصة كسرى القديم مع وزيره بزرجمهر الحكيم فسأل أخا نهشل بيان ما نقل من المثل أخوه أبو نوفل (فقال) بلغنى أن كسرى أراد التنزه فثنى الى حديقة عنان التوجه وطلب الحكيم بزرجمهر وجلسا تحت دوحة تزهر على بركة ماء أصفى من دموع العشاق وأنقى من قلوب الحكماء ثم طلب طائفة من البط الناعب قدامه فى البركة وتنغط وجعل ينادم وزيره ويتلقف منه حكمه المنيره ويتفرج على البط وهو يلعب ويتأمل فى أنواع حكم الصانع القديم ويطرب وصار يعبث بالخاتم فى أصبعه ويسرح فى رياض الصنع سوائم منظره ومسمعه فسقط الخاتم من أصبعه وهو ساه وشاهد بزرجمهر هذا الامر فما أبداه ولا أنهاه فالتقمته بطه وغطت فى الماء غطه وكان فيه فص ثمين وكسرى به من المغرمين فلما اسود قلم الاقتدار بياض النهار وأكمل مشقه على قرطاس الاقطار أذن كسرى للوزير بالانصراف وقد أسبغ عليه خلع الانعام والاسعاف ودخل كسرى الى الحرم وافتقد من أصبعه الخاتم فلم يتذكر ما جرى له ولا وقف على كيفية هذه الحاله فارسل يطلب الوزير البارع وسأل منه عن خاتمه الضائع وكان الوزير قد نظر فى الطالع فرأى أن الكلام فى أمر الخاتم غير نافع فلو تكلم بصورة الواقع ذبح جميع البط وما وجد لان الطالع مانع فكتم أمره وكامه بكلام لحقيقة الحد جامع مانع ثم انصرف وذهب واستمر كسرى على الطلب ولم يزل بزرجمهر يراقب الاوقات وينظر فى أحوال الساعات الى ان استقام الطالع وزال من السعد المانع وتيمن الفال وحسن البال وحال الوبال فتوجه بزرجمهر الى خدمة مخدومه وأخبره بما كان مخفيا من أمر الخاتم فى جيب مكتومه وأنه سقط من أصبعه وهو على البركة فى موضعه فبادرت بطه الى الغطه فاختطفته وابتلعته بعد ما التقمته فاحضروا البط جميعه وذبحوا من عرضه واحدة بعينه فوجدوا الخاتم فى حشاها ولم تحوج الى ذبح سواها ثم سال كسرى الحكيم الاديب لم لم يخبره بهذا الامر الغريب فى أول وقوعه وصدوره وما موجب تأخيره فقال كان اذ ذاك الجد فى انعكاس والسعد فى انتكاس والطالع فى سقوط والنجم فى هبوط وأما الآن فالطالع استقام والسعد كالخادم أقام ونجم السعود قد حال عنه الهبوط والوبال وفى استقامة السعد واقباله من بعد يفعل الشخص ما شاء فالدهر معه جار سواء جارى أو ماشى (وانما أوردت) هذا التنظير لتعلم ان معاندة التقدير أمر خطير وخطب عسير فربما يفرغ الانسان جهده فى المبالغه ويكون الامر فيه ممانعه ومراوغه فينعكس المرام ولم يحصل سوى اضاعة أيام ولم أذكر هذه المفاوضه الا على سبيل العرض لا المعارضه لما أعلم منك من وفور الفضيله وان مقاصدك على كل حال جميله فقال أخو نهشل الامر كما زعمت وأشرت به ورسمت ولكن خشيت ان لم أبادر يسبقنى عدو غادر أو حسود ماكر أو مبغض مكابر فينهى الى المسامع ما ليس بواقع فلم

وتعرف خليلها خلو وجهها وقالت ان زوجي قد ذهب ليشرب عند بعض أصدقائه وان يعود الا سكران فقولى له يسرع البكرة ثم ان خليل المرأة جاء فقعد على الباب ينتظر الاذن وجاء الاسكاف سكران فرأى الرجل وارتاب به ودخل مغضبا الى امرأته فاوجعها ضربا ثم أوثقها فى اسطوانة فى المنزل وذهب فنام لا يعقل وجاءت امرأة الحجام تعلمها ان الرجل قد أطال الجلوس فماذا تأمرين فقالت لها ان شئت فأحسنت الى وحللتينى وربطتك مكانى حتى انطلق الى خليلى وأعجل العودة فأجابتها امرأة الحجام الى ذلك وحلتها وانطلقت الى خليلها وأوثقت هى نفسها مكانها فاستيقظ الاسكاف قبل ان تعود زوجته فناداها باسمها فلم تجبه امرأة الحجام وخافت من الفضيحة ان ينكر صوتها ثم دعاها ثانية فلم تجبه فامتلا غيظا وحنقا وقام نحوها بالشفرة فجدع انفها وقال خذى هذا فاتحفى به صديقك وهو لا يشك فى أنها امرأته ثم جاءت امرأة الاسكاف فرأت صنع زوجها بامرأة الحجام فساءها ذلك وأكبرته وحلت وثاقها فانطلقت الى منزلها مجدوعة الانف وكل ذلك بعين الناسك وسمعه ثم ان امرأة الاسكاف جعلت تبتهل وتدعو على زوجها الذى ظلمها ثم رفعت صوتها ونادت زوجها أيها الفاجر الظالم قم فانظر كيف صنعت بى وصنع الله بى كيف رحمنى ورد انفى صحيحا كما كان فقام وأوقد المصباح ونظر فاذا انف

نشعر

نشعر أيها البطل الاوى ولج قلب الملك أنواع من مكر ودخل فيصير كما قيل

أتانى هواها قبل ان أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

لاسيما وقد تقرر فى الامثال عند غالب الرجال أن الدعوى لمن سبق لا لمن صدق وبالجملة يا أبا عويله اذا كانت مقاصد الشخص جميله فان الله تعالى ينجحها ولا يفضحها ويدبرها ولا يدمرها وان كان فى الظاهر وعند البادى والحاضر يظهر فى بعض القضايا نوع هم وغم لكن ذلك لسر لم يطلع عليه الامدبر العالم واذا فوض الشخص الامور الى العزيز الغفور الذى هو مدبر الطالع والغارب وفى الحقيقة رب المشارق والمغارب وعلم أن مقاليد الامور بيد تدبيره وان ملوك الارض تحت تصريف تقديره وتسخيره استراح فى كل المطالع وأخلص التوكل فنجاه الله من كل الوقائع وأوصله الى ما رام من المطامع (وحسبك) قضية الناصح الاستاذ الامين الدمشقى مع الخائن جاسوس بغداد وهى طويلة طائله فى مجلدة كامله وأيضا لم أبادر بمفاتحة السلطان فى أمرك يا أعز الاخوان الالئلا أنسب الى تهاون وتوان وما من شروط المروه والصداقة والاخوه أن يخالف الفطن فى مثل هذا الموطن عن مساعدة الاصحاب ومعاونة الاحباب لاسيما صديق مثلك وحبيب متسم بفضلك وانى لا أدع من أنواع الاجتهاد وما يحسن بيانى فى الاصدار والايراد شيأ الا فعلته ولا أمرا الا قدمته ولا فكرا الا استعملته ولو بذلت فى ذلك روحى ومالى وخيلى ورجالى وانى مباكر باب الملك وملازمه كاحسن من سلك فان رأيته مكرما مقامى مصغيا الى كلامى خاطبته بما يليق وسلكت فى الشفاعة وحلو العبارة أوضح طريق وان شاهدت فى خلقه شكاسه وفى طبعه شراسه وصعوبة وشماسه سلكت سبيل حسن السياسه وفى الجملة استعمل علم الفراسه وفى كل حكم نظيره وقياسه واستعين بالاقرباء والاوداء واغالط المناقض والمعارض من الاعداء وأقصد النجح واراقبه وارتقب السعد واخاطبه واسلك مع كل أحد ما يناسبه فالعدو أفتله والحسود أخذله والعذول أفتله والمحب احتمله والمبغض ابتله ومن تصلب فى المدافعه أمتله الى أن ينقضى هذا الامر وينطفئ منه الجمر ويقبل مبشر الامانى بالطبل والزمر ثم انه بات مفكرا وبادر الى الصباح مبكرا وأم أبواب السلطان قبل سائر الخدم والاعوان فوجد الدب قد سبقه وجلس من عين المكر فى الحدقة وقد فوق سهم الكيد وصوبه الى شاكلة الصيد ولم يبق الا اطلاقه ليشد من المرمى وثاقه فقبل النديم الارض وأعان سلامه وقطع على أبى جعد كلامه وعارض ملامه وناقض مرامه وقال أدام الله أيام السعاده وأعوام الحسنى وزياده المستمدة من بقاء مولانا السلطان وعمر دهره الخالد على تعاقب الزمان ووطأ قمم الامم مواطئ قدمه وأطاب بطيب حياته معايش عبيده وخدمه كانت المواعيد الشريفه والآراء المنيفه سبقت بالتأمل فى أمر عبيدها القديم وخديمها الفقير العديم وجالب سرورها أبو نوفل النديم مع ما كان لائحا وعلى صفحات الرضاء واضحا من شمائل الاخلاق الملوكيه ومكارم الشيم السلطانيه ان مراحمها ستأخذ بيد العاثر وتقيل عثرته بحسن المآثر بحيث يشرح الخاسر ويربح الخاسر والمملوك يسأل مراحمها ويرجو مكارمها أن لا تخيب ظنه وان تجبر بتحقيق ظنه وهنه وان تجرى مماليكها وعبيدها على ما عودها من الصدقات قديمها وجديدها ثم أنشد والى الرضا أرشد

أرجو أبا العباس ان يروى لنا * عن ثغره الضحاك نورا يقتبس

فاترأ تبسم ضاحكا من قولها * متهلل النحوى ولا تقرأ عبس

فتبسم أبو العباس ابتسامه ظهرت منها للرضاء علامه فاشتعل الدب من الغيظ وكاد يتمزق من الغيظ وعلم ان عقد أمره انفرط ونجم سعده من فلك السعد سقط وأنه لم يكتسب من مكايد الشقاوه الاهاتيك العداوه وانكشف عنده ما لكه ما وطأه من مغطى وقرأ كل أحد حديث ذلك الموطا وغلب عليه الوجد فى الحال فخرج عن دائرة الاعتدال وسكر من خمرة العداوة فطفح وعربد وشطح فقال كل من ستر على أعداء الملك

زوجته صحيح فاستغفر الها وتاب من ذنبه واستغفر الى ربه وأما امرأة الحجام فانها لما وصلت الى منزلها سائتفكرت فى طلب العذر عند زوجها وأهلها فى جدع انفها ورفع الالتباس فلما كان عند السحر استيقظ الحجام فقال لامرأته هاتى متاعى كله فانى أريد المضى الى بعض الاشراف فاتته بالموسى فقال لها هات الآلة جميعها فلم تأته الا بالموسى فغضب حين أطالت التكرار ورماها به فالقت نفسها الى الارض وولولت وصاحت انفى انفى وجلبت حتى جاء أهلها واقرباؤها فرأوها على تلك الحال فاخذوا الحجام فانطلقوا به الى القاضى فقال له القاضى ما حملك على جدع انف امرأتك فلم تكن له حجة يحتج بها فامر به القاضى ان يقتص منه فلما قدم للقصاص وافى الناسك فتقدم الى القاضى وقال له أيها الحاكم لا يشتبهن عليك هذا الامر فان اللص ليس هو الذى سرقنى وان الثعالب ليس الوعلان قتلاه وان البغى ليس السم قتلها وان امرأة الحجام ليس زوجها جدع انفها وانما نحن فعلنا ذلك بانفسنا فسأله القاضى عن التفسير فاخبره بالقصة فامر القاضى باطلاق الحجام (قال دمنه) قد سمعت هذا المثل وهو شبيه بامرى ولعلى ما ضرنى أحد سوى نفسى ولكن ما الحيلة (قال كليله) اخبرنى عن رأيك وما تريد ان تعزم عليه فى ذلك (قال دمنه) اما أنا فلست اليوم ارجو ان تزداد منزلتى عند الاسد فوق ما كنت عليه ولكن التمس

فهو فى الخيانة والجناية مشترك وكل من شفع فى الجانى فهو فى قيد العصيان عانى بل هو أشد من المباشر اذ هو مع شر المتعاطى ومكاثر والابقاء على المعصية شر منها والرضا بكفر الكافر فتنة بفرعنها وما أظنك أيها النديم العارف اقديم لمعرفة هذا القدر عديم فان أبيت الا الاصرار ومساعدة الفجار ومعاونة الاشرار فأنت حينئذ مستخف الهيبة ولى نعمتك مستنقص حرمة مالك رقبتك طالب لابتذاله مستهين بمقام جلاله راض بتسليط الانذال والاوغاد الارذال على انتهاك حرمته وابتذال أستار حشمته ونحن لانرضى بداء الذمامه ولا كيد للمخالف ولا كرامه فعند ذلك استشاط الغضنفر وتأثر بكلام الوزير وتغير وزأر وهمر وزفر زفرة وزمجر وكاد أن يثب على أبى جهر ثم انه تماسك وتناسى الغدر وتناسك وقال يا أبا سلمه كبرت كلمه غيبة الاصحاب والنميمة بين الاحباب وساءت حركه وبئست ملكه تناسى الحقوق وتعاطى العقوق واطراح جانب الصديق الصدوق والرفيق الشفوق واضاعة خدمة الخديم لاسيما النديم القديم ولم تزل الاصاغر تستمطر مراحم الرؤساء والاكابر ولم تبرح الملوك تعطف على مساكينها الصعلوك أنسيت ماقلت لك فى حقيقة من ملك وهو

ليس المليك الذى تشقى رعيته * وانما الملك مولى يحفظ الخدما

وأيضا لم تزل الاصحاب تساعد أصحابها وتستعطف عليها ملوكها وأربابها وترفع بحسن السفارة من ستائر الدهشة حجابها ويثبتون بذلك الاجر العظيم والثواب الجسيم والثناء العاجل والجزاء الآجل فى صحائف مخاديمهم ويعدون ذلك أربح معالمهم ويبذلون فى ذلك الجهد ويبلغون فيه غاية الكد وذلك مما يجب عليهم ويتقدم بالمحافظة عليه اليهم كما قيل

يستعطفون الاكابر * يستعبدون الاصاغر يحيون رسم الاوائل * يعلمون الاواخر

وأى فائدة واستفاده أيها الوزير أبا قتاده فى رعية ملك لاتتفق قلوبهم ولاتستر بينهم عيوبهم ولا تطهر بالصفاء جيوبهم ولا تتجافى عن مضاجع الجفاء جنوبهم ولا يتساوى فى الوفاء حضورهم وغيوبهم تراهم فى الغيبة ينهش بعضهم بعضا قذفا ويرعون لحومهم قذفا كبهائم لاقت فى مرعاها قتا وفى الحضور تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ثم ان كان أخو نهشل ساعد أخاه أبا نوفل فذلك شئ يجب عليه ويندب اليه فانه صاحبه القديم وجليسه القويم وان تخلى عنه فماذا يرتجى منه وجبر النوائب هو محك الاصحاب وبجر المصائب يظهر من تبر الصداقة لباب وقد قام فى هذه النوائب بعدة أشياء كلها عليه واجب أولها القيام بحق أخيه والسعى فى خلاصه من هذا الامر الكريه ثانيها اساق الى صحائفى الحسنات وقصد لى رفع الدرجات ثالثها طلب رضا خاطرى ومايشرح صدرى ويسر سرائرى رابعها مامباعدتى عن الآثام وخلاص ذمتى من الوقوع فى الحرام فربما حملنى العنود والخلق الشرود على التعدى فى الحدود خامسها اشتهار اسمى بالفضل وعدم المؤاخذة بالعدل فيشيع فى الآفاق عنى مكارم الاخلاق سادسها انتشار صيتى بحسن الوفاء والقيام بحقوق الاخوان وعدم الجفاء سابعها انه غرس فى قلوب الاماثل محبته وزرع فى أرواح الافاضل مودته وان كان صدر من أبى نوفل ماصدر فانه اعترف بالذنب وعنه اعتذر فنعمل معه بالظاهر والله تعالى يتولى السرائر كما قيل

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا * ان بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من أرضاك ظاهره * وقد أجلك من يعصيك مستترا

ولو بلغت هذه الحكاية غاية الشرو نهاية النكايه ماتدنى واقعة الملك الصافح عن عدوه المؤذى المسافح فقبل الدب الارض وقام فى مقام العرض وسأل الملك بيان اليعلم بحسن التصريف فرزانها ويقيس عليها أوزانها (فقال) ذكر أن بعض السلاطين تصدى له عدو من الشياطين يحرض عليه الاعادى ويفسد عليه الحاضر والبادى ويجتهد فى اقامة رمسيره فى ازالة الملك عن سريره ويغرى به العساكر

ان أعود الى ما كانت حالى عليه فان أمورا ثلاثة العاقل جدير بالنظر فيها والاحتيال لها بجهده منها النظر فيما مضى من الضر والنفع أن يحترس من الضر الذى أصابه فيما سلف لئلا يعود الى ذلك الضرر ويلتمس النفع الذى مضى ويحتال لمعاودته ومنها النظر فيما هو مقيم فيه من المنافع والمضار والاستيثاق مما ينفع والهرب مما يضر ومنها النظر فى مستقبل ما يرجو من قبل النفع ومايخاف من قبل الضر فليستتم مايرجو ويتوقى مايخاف بجهده وانى لما نظرت فى الامر الذى به ارجو ان تعود منزلتى وماغلبت عليه مما كنت فيه لم أجد حيلة ولا وجها الا الاحتيال لآكل العشب هذا حتى أفرق بينه وبين الحياة فانه ان فارق الاسد عادت لى منزلتى ولعل ذلك يكون خيرا للاسد فان افراطه فى تقريبة الثور خليق ان يشينه ويضره فى أمره (قال كليله) ما أرى على الاسد فى رأيه فى الثور ومكانه منه ومنزلته عنده شينا ولا شرا (قال دمنه) انما يؤتى السلطان ويفسد أمره من قبل ستة أشياء الحرمان والفتنة والهوى والفظاظة والزمان والخرق فأما الحرمان فانه يحرم صالح الاعوان والنصحاء والساسة من أهل الرأى والنجدة والامانة وترك التفقد ممن هو كذلك وأما الفتنة فهو تحارب الناس ووقوع الحرب بينهم وأما الهوى فالاغرام بالنساء والحديث واللهو والشراب والصيد وما أشبه ذلك وأما الفظاظة فهى

فيقابله

فيه ابله ظاهرا بالنواكر و باطنا بالمواكر وما فسد منه ما فسد الا بدواعي الحقد والحسد فجعل الملك يسترضيه بالهبات فلا يرضى ويستدنيه بالصلات فلا تزيده صلاته الا بعدا ونقضا كما قيل

الى كم يدارى القلب حاسد نعمة * اذا كان لا يرضيه الا زوالها

فاضطر الملك من أموره واشتغل لايقاعه بمذوره وجعل ينصب له شرك الوقائع ويجتهد في ايقاعه بكل دان وشاسع وذلك الباغي أحذر من الغراب واسهر من طالع الكلاب والملك لا يقر له قرار ولا يطيب له عيش لا بالليل ولا بالنهار فكان من أحسن الاتفاق ان علق ذلك الباغي ببعض الاوهاق فحمل الى حضرة الملك وهو في قيد البلاء مشتبك فلما رآه في قيد النكد بادر الى الارض فسجد وقال الحمد لله المغيث حيث أمكن منك أي خبيث أترى هذا في المنام فهو أضغاث أحلام أم سمح الزمان بأهل العدوان وانا يقظان ثم شرع في السب والتجديع والتوبيخ والتقريع واقسم بفالق الاصباح وخالق الارواح والاشباح ليفعلن بذلك النباح من النكال والجراح ما فعل المصطفى عليه الصلاة والسلام مع سراق اللقاح وليذيقنه كأس الباس وليجرعنه من خمر المنية أمر كاس ثم أمر الجلادان يأتيه بماله من النطع والسيف والعتاد فعلم ذلك الزنديق انه وقع في الضيق وانه لا ينجيه أخ ولا صديق ولا افتداء بشقيق ولا حميم وشفيق فضلا عن مال ومنال أو خيل ورجال فلما غسل يده من العيش استهوته الخفة والطيش فشرع في السباب ودخل في الشتم من كل باب ورفع بفاحش الكلام الصوت وقال ما بعد الموت موت فسأل الملك أحد الوزراء ماذا يقول من الافتراء هذا الظالم الجترى الباغي المفترى فقال يدعو بدوام البقاء ورفعة مولانا الملك والارتقاء ويقول ما أحسن العفو عند المقدره واللطف والكرم أيام الميسره وان لم يكن ثم مجال للمعذره ولو جعل العفو شكر المقدرة لكان أولى وأعلى مقاما في مكارم الشيم وأحلى كما قيل

ما أحسن العفو من القادر * لا سيما عن غير ذي ناصر

ويترحم على أسلاف مولانا السلطان الذين كان شيمتهم العفو عن ذوي العصيان وكان ذلك منتهى لذتهم وغاية أمنيتهم وما أجدر مولانا الملك ان يحيي مكارم سلفه ويجعل العفو كلمة باقية في خلفه ولا زال يقول من هذا المقول حتى لان له القلب القاسي ورق له قلب الملك الجاسي فأمر باطلاقه ومن عليه باعتاقه وكان أحد الوزراء وأركان الامراء شخص يعاكس هذا الوزير ويناقضه فيما يراه ويشير وبينهما مرت أسباب عداوه أحلى في مذاق طبعهما من الشهد والحلاوة كل مترصد للآخر زله متوقع لايقاعه في شبكة البلاء غفله فحين رأى شقة الحال نسجت على هذا المنوال وجد فرصة للمقال فتقدم وقال ما أحسن الصدق وأعز كلام الحق خصوصا في حضرة المخدوم وهذا أمر معلوم عدو مبين وحسود مهين لم يترك من أنواع العداوة شيأ الا تعاطاه ولا من الافساد والشر صنفا الا حياه قد أهلك الحرث والنسل وبدل جنى الصلاح من الفساد بخمط وأثل الى ان أمكن الله تعالى منه وحان تفريغ الخواطر الشريفة عنه ثم انه في مثل هذا المقام بين الخواص والعوام يثاب الاعراض من الامراض ويجهر بالسوء من القول ويصرف في الخنى والسب ماله من قوة وحول كيف يحل السكوت عن جرائمه وتغطية مساويه وعظائمه فضلا عن ان تحلى سيآته في خلع الحسنات وتحلى شوهاء سوء أخطأ أدعيته بملابس أحسن الدعوات ومع هذا يطلب له التوقع والخلاص والاطلاق من شرك الاقتناص وهو على ما هو عليه من الاساءة المنسوبة اليه اما والله يا مولانا الهمام وسلطان الانام ما قال الا كذا كذا من قبيح الكلام وتناول العرض المصون بالسب والدعاء والملام فتغير خاطر الملك وتعكر وتشوش صافي خاطره وتكدر ثم قال أيها الوزير ذو الصدق في التحرير والله وحقك ان كذب هذا الوزير عندي خير من صدقك فانه بكذبه أرضاني والى طريق الحق هداني واصفى خاطري من الكدر وأطفأ ما كان تلهب في غيظي من شرر ونجاني من دم كنت أريقه ولا يهتدي الى كيفية استحلاله طريقه فاصلح بذلك ذات البين

افراط الشدة حتى يجمع اللسان بالشتم واليد بالبطش في غير موضعهما وأما الزمان فهو ما يصيب الناس من السنين والموت ونقص الثمرات والغزوات وأشباه ذلك وأما الخرق فاعمال الشدة في موضع اللين واللين في موضع الشدة وأن الاسد قد أغرم بالثور اغراما شديدا هو الذي ذكرت لك انه خليق ان يشينه ويضره في أمره (قال كليلة وكيف تطيق الثور وهو أشد منك وأكرم على الاسد منك وأكثر أعوانا (قال دمنه) لا تنظر الى صغري وضعفي فان الامور ليست بالضعف ولا القوة ولا الصغر ولا الكبر في الجثة فرب صغير ضعيف قد بلغ بحيلته ودهائه ورأيه ما يعجز عنه كثير من الاقوياء أولم يبلغك ان غرابا ضعيفا احتال لاسود حتى قتله (قال كليلة) وكيف كان ذلك (قال دمنه) زعموا ان غرابا كان له وكر في شجرة على جبل وكان قريبا منه جحر ثعبان أسود فكان الغراب اذا أفرخ عمد الاسود الى فراخه فأكلها فبلغ ذلك من الغراب وأحزنه فشكا ذلك الى صديق له من بنات آوى وقال له أريد مشاورتك في أمر قد عزمت عليه قال وما هو قال الغراب قد عزمت ان اذهب الى الأسود اذا نام فأنقر عينه فافقأها لعلي استريح منه قال ابن آوى بئس الحيلة التي احتلت فالتمس أمرا تصيب فيه

بغيتك من الاسود من غير ان تغرر بنفسك وتخاطر بها واياك ان يكون مثلك مثل العلجوم الذي أراد قتل

وأصار المتعادين أحسن محبين وخلد ذكري بجميل الصفات وسلك بي طريقة أجدادي الرفات وأما أنت فكدرت عيشي وأثرت غضبي وطيشي وأسمعتني الكلام المر وقد مسني منك الضر وأما أنا فقد أعتقت هذا وأطلقته فلا أرجع في ايذائه وقد أعتقته وقد ثبت لهذا الوزير على حقوق لا ينكرها الا ذو عقوق ولا تسعها الاوراق والرقوق فكذبه عندي خير من صدقك و باطله أحلى على قلبي من حقك ولهذا قال ذو الافضال ما كل ما يعلم يقال (وانما أوردت) هذا الكلام باكرام لتعلموا ان السلطان بمنزلة الامام واركانه له تبع في القعود والقيام ولا يتم الائتمام الا بالاتفاق بين الرفاق فاذا كان الجماعة مجتمعين طائعين لامامهم مستمعين استقام القيام وانتهوا من جميل التحيات الى السلام ولا يقع لهم انتظام مع مخالفتهم لحال الامام هذا قائم وهذا قاعد وهذا راكع وهذا ساجد وهذا نائم وهذا هاجد وأيضا السلطان بمنزلة القلب والراس و بمنزلة الاعضاء رؤساء الناس و باقي الرعية خدم للرأس والاعضاء منتظرين لما تبرز به المراسيم من الزجر والامضاء فاذا اتفقت الاعضاء واصطلحت انتظمت أمور كل من الرأس والرعية وانصلحت واذا وقع اختلاف وتباين في الاعضا صار كل من الرأس والقلب والرعية مرضى ولقد صدق من قال وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرضى المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وخلاصة هذا الكلام ان قصدي ان تكون أحوال رعيتي على النظام لا يقع بينهم شقاق ولا تنافر ولا نفاق وأما أبو نوفل فيكفيه جزاؤه وخجلته فقد انتهت وتمت عقوبته وأخذ حده ولا يليق بكرمي ان أرده وهذا الذي ورثته عن اسلافي وهو الحق اللائق بمحاسن شيمي وأوصافي فلما سمع الوزير هذا الكلام وجرح فؤاده نصل هذا الملام ندم غاية الندم وعلم انه قد زلت به القدم وانه لا حاجته قضى ولا على صديقه أبقى ولم يستفد مما أبداه من فحم سوى اظهار معاداة أبي النجم وانه اذا تخلص من حبسه وكربه و رجع عند الملك الى منادمته وقربه لابد ان يتصدى لمعاداته وسلبه ولا يفيده بعد ذلك افعاله ولا يسمع في أبي نوفل أقواله فانصرف من عند الملك الطيشار لا يدرى أين يضع قدمه من الافتكار حتى وصل الى منزله واختلى في فكره بعمله وفرغ للخلاص من هذه الورطة طرقا وتفرقت رواد أفكاره في منازل الخلاص فرقا فأدى نصيب الرواد من الآرا ومفيد القصاد من الشورى الى السعي في مصالحة أبي نوفل وازالة ماوقع من الغبار في وجوه الصداقة وتخلل ثم أدى افتكاره وأورى من زند رأيه شراره الى ان الذى وقع منه قد اشتهر وعلم به أصحاب البدو والحضر فاذا طلب من بعده الصلح فذلك في غاية القبح اذ كل من في حجره حجر يتحقق ان ذلك خور وعجز فصار يتردد بين هذه الافكار و يتأمل ما فيها من تحقيق الانظار وتدقيق الاسرار فبينما هو في بحر الافتكار يلاطمه الموج ويصدمه التيار دخل عليه صفي له صافي الوداد وهو ظبي أغر يدعى مبارك الميلاد ذكي الجنان فصيح اللسان دقيق النظر عميق الفكر ذو رأي صواب وشفقة كاملة على الاصحاب فرآه مطرقا الى الارض في فكر ذي طول وعرض فسلم عليه وتقدم بالسؤال اليه عن نشوز باله وتوزع حاله فطلب الوقوف على ما ناله لينظر عاقبة أمره وما آل له فأخبره بموجب ذلك وانه قد سدت في وجهه المسالك فقال مبارك الميلاد يا صحيح الوداد أنت قد زعمت ان مولانا السلطان قد ترك أبا نوفل الندمان وطرحه اطراحا لا رجعة فيه وانه بعد اليوم لا يذكره ولا يدنيه وان عثرته لا تقال وغصته لا تزول وقصته لا تزال هيهات هيهات يا أبا الترهات الملوك ان لم يعرفوا حقوق خدمهم ولم يثبتوا في ديوان احسانهم قدم قدمهم خصوصا هذا الملك العظيم الذى انفاس شيمه تحيي العظم الرميم ونحن قد زجينا عمرنا في خدمه واذا بارد غموه وحلاوة كرمه وغذاء أرواحنا اغماه وغوادي حلمه ورواسخ نعمه مع ان أبا نوفل لم يقع في محذور معضل يوجب تناسي ذممه وابتذال حرمته وحرمه وانه استغفر وأناب واعتذر وتاب واعلم أيها الوزير الاكرم ان ذوي النهى والحجر اذا أرادوا الشروع في أمر تأملوا في مبداه غايته ومنتهاه وهذا التقرير كالجلوس المقصود من عمل السرير

السرطان فقتل نفسه قال الغراب وكيف كان ذلك (قال ابن آوى) زعموا ان علجوما عشش في أجمة كثيرة السمك فعاش بها ما عاش ثم هرم فلم يستطع صيدا فأصابه جوع وجهد شديد فجلس حزينا يلتمس الحيلة في أمره فمر به سرطان فرأى حالته وما هو عليه من الكآبة والحزن فدنا منه وقال مالي أراك أيها الطائر هكذا حزينا كئيبا قال العلجوم وكيف لا أحزن وقد كنت أعيش من صيد ما ههنا من السمك واني قد رأيت اليوم صيادين قد مرا بهذا المكان فقال أحدهما لصاحبه ان ههنا سمكا كثيرا أفلا نصيده أولا فقال الآخر اني قد رأيت في مكان كذا سمكا أكثر من هذا السمك فلنبدأ بذلك فاذا فرغنا منه جئنا الى ههنا فافنيناه وقد علمت انهما اذا فرغا مما هنالك انتهيا الى هذه الاجمة فاصطادا ما فيها فاذا كان ذلك فهو هلاكي ونفاد مدتي فانطلق السرطان من ساعته الى جماعة السمك فاخبرهن بذلك فاقبلن الى العلجوم فاستشرنه وقلن له انا أتيناك لتشير علينا فان ذا العقل لا يدع مشاورة عدوه قال العلجوم أما مكابرة الصيادين فلا طاقة لي بها ولا أعلم حيلة الا المصير الى غدير قريب من ههنا فيه سمك ومياه عظيمة وقصب فان استطعتن الانتقال اليه كان فيه صلاحكن وخصبكن فقلن له ما يمن علينا بذلك غيرك فجعل العلجوم يحمل في كل يوم سمكتين حتى ينتهي بهما الى بعض التلال فيأكلهما حتى اذا كان ذات يوم جاء لاخذ السمكتين

فانما

فانما تنبعث لصنعته النفوس اذا علمت بحصول الرفعة عليه من الجلوس كما قيل

فاياك والامر الذى ان توسعت * موارده ضاقت عليك مصادره

اما بلغك يا أخى وأكرم سخى حكاية التاجر البلخى قال الوزير اخبرنى بكيفية هذا التنظير (قال) مبارك الميلاد بلغنى من أحد العباد الذين طافوا البلاد انه كان فى مدينة بلخ تاجر كثير العروض والمتاجر عريض المال والجاه غزير الضياع والمياه تكاثر نقوده الرمال وتباهى خزائنه معادن الجبال وتفاخر جواهره در البحار وتسامى بضائعه تلال القفار تراجع عنده الحظ وعامله الزمان بعادة طبعه الفظ وأدبرت عنه من الدنيا القوابل ونزلت بساحته موجوده بالاعدام النوازل وواث وفوده معايشه فكادت تقد السلاسل فصار كلما عامل معاملة انعكست عليه حتى نفد جميع ما بين يديه فلم ير لنفسه أوفق من التغرب عن وطنه والاقامة فى سكن غير سكنه فأخذ بعضا من المال وخرج من بلاد الشرق الى بلاد الشمال وداوم فى الارض على الضرب حتى انتهى الى بلاد الغرب فأقام بها دهرا يتعاطى معاملة وتجرا الى ان زاد ماله وأثرى ورجع اليه بعد ما ذهب من يديه ثم اشتاق الى بلده ورؤية زوجته وولده فتجهز اليها وسار حتى نزل عليها وأراد الدخول الى داره فأوقفه مشير افتكاره الى اعمال النظر فى حادث القضاء والقدر وأنشده الزمان بلسان البيان

للكون دائرة من قبلنا صنعت * لابى تضيق ولا من أجلك اتسعت

والسر فى جيب غيب الله مكتتم * فلست تدرى يد التقدير ما صنعت

فرأى ان يدخل متنسيا متنكرا مختفيا ويتوصل الى داره ويتجسس أحوال كباره وصغاره وما حدث عليهم من الحوادث وتقلبات الزمان العائث فتوجه لما أظلم الى داره وهو يترنم

بالله قل لى خبرك * فلى زمان لم أرك

الى أن وصل الى الباب وما عليه حاجب ولا بواب فرأى الباب مقفلا والقنديل عليه مسبلا وكان يعرف للسطوح دربا مخفيا فاستطرق منه وارتفع مكانا عاليا وأشرف من الكوة فرأى ربة البيت المرجوة فوق سرير الامان معانقة فتى من الفتيان كأنهما لفرط العناق كانا ميتين من ألم الاشتياق فبعثتهما قيامة التلاق فتلازما والتفت الساق بالساق ولسان حال كل منهما يروى عنهما

عانقت محبوب قلبى حين واصلنى * كأننى حرف لام عانقت ألفا

فتبادر الى وهله لغيبوبة عقله ان ذلك الشاب الظريف معاشر حريف أفسد زوجته مغتنما غيبته وانه فى تلك الليلة استعمل قوله لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد

فسل السكين وقصد قتل ذلك المسكين وصمم على النزول الى البيت واثارة الفتن بكيت وكيت ثم استتاب وهله واسترابه عقله وأخذ يتفكر ويتأمل ويتدبر واحضر أحوال قرينته وانها فى العفة مجبولة من طينته وانه لم يعلم عليها الا الخير وعدم ميلها عن حلالها الى الغير فطالب قبل الفضيحة لزوجته طريقة مندوحة طريقة ممدوحة فان مدة غيبته طالت وزوجته ان كانت حالت تهاحالت فلابد أولا من الوقوف عليها كيف استحالت ثم كف عن الذبح ونزل عن السطح وقصد جارة داره ودار جاره وطرق بابها واستنجح كلابها فخرجت اليه عجوز كانت الى داره تجوز فسألته من هو وما مراده ومن أين اصداره وايراده فقال انى رجل غريب ليس لى بهذه البلدة خليل ولا قريب وبلادى أرض مكه كنت أتردد الى هذه السكه وأعامل التجار وكان لى فى هذه المحلة مجير وجار من التجار الكبار كنت آوى اليه وأنزل فى قدومى عليه اسمه فلان وقد مر على الزمان وعاقنى عنه نوائب الحدثان والآن قدمت الى هذا المكان وقد قصدت داره ولا أدرى أى جاد عاره ولم أعرف له خبرا ولا رأيت له عينا ولا أثرا فهل تعرفين كيف حاله والى ماذا آل ماله فقالت نعم زالت عنه النعم والجأته الحال الى الترحال فرحل منذ سنين وكنا فى جواره من الآمنين وانقطع عنا

اذا دنا من التل الذى كان يأكل السمك فيه نظر السرطان فرأى عظام السمك مجموعة هنالك فعلم ان العلجوم هو صاحبها وانه يريد به مثل ذلك فقال فى نفسه اذا لقى الرجل عدوه فى المواطن التى يعلم انه فيها هالك سواء قاتل أو لم يقاتل كان حقيقا ان يقاتل عن نفسه كرما وحفاظا ثم أهوى بكلبتيه على عنق العلجوم فعصره فمات وتخلص السرطان الى جماعة السمك فأخبرهن بذلك * وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم ان بعض الحيلة مهلكة للمحتال ولكنى أدلك على امران أنت قدرت عليه كان فيه هلاك الاسود من غير ان تهلك به نفسك وتكون فيه سلامتك قال الغراب وماذاك قال ابن آوى تنطلق فتبصر فى طيرانك لعلك ان تظفر بشئ من حلى النساء فتخطفه ولا تزال طائرا واقعا بحيث لا تفوت العيون حتى تأتى جحر الاسود فترمى بالحلى عنده فاذا رأوا الناس ذلك أخذوا حليهم واراحوك من الاسود فانطلق الغراب محلقا فى السماء فوجد امرأة من بنات العظماء فوق سطح تغتسل وقد وضعت ثيابها وحليها ناحية فانقض واختطف

من حليها عقدا وطار به فتبعه الناس ولم يزل طائرا واقعا بحيث يراه كل أحد حتى انتهى الى جحر الاسود فالقى العقد عليه والناس ينظرون

اليه فلما أتوه أخذوا العقدو قتلوا الاسود (وانما) ضربت لك هذا المثل لتعلم ان الحيلة تجزى مالا تجزى القوة (قال كليله)

ان الثور لولم يجتمع مع شدته رأيه لكان كما تقول ولكن له مع شدته وقوته حسن الرأى والعقل فماذا تستطيع له (قال دمنه) ان الثور لكما ذكرت فى قوته و رأيه ولكن مقرلى بالفضل وأنا خليق ان أصرعه كما صرعت الارنب الاسد (قال كليلة) وكيف كان ذلك (قال دمنه) زعموا ان أسدا كان فى ارض كثيرة المياه والعشب وكان فى تلك الارض من الوحوش فى سعة المياه والمرعى شئ كثير الا انه لم يكن ينفعها ذلك لخوفها من الاسد فاجتمعت واتت الى الاسد فقالت له انك لتصيب منا الدابة بعد الجهد والتعب وقد رأينا لك رأيا فيه صلاح لك وأمن لنا فان انت أمنتنا ولم تخفنا فلك علينا فى كل يوم دابة نرسل بها اليك فى وقت غدائك فرضى الاسد بذلك وصالح الوحوش عليه ووفين له به ثم ان ارنبا اصابتها القرعة وصارت غداء الاسد فقالت للوحوش ان أنتن رفقتن بى فيما لا يضركن رجوت ان أريحكن من الاسد فقالت الوحوش وما الذى تكلفينا من الامر وقالت تأمرن الذى ينطلق بى الى الاسد ان يمهلنى ريثما ابطئ عليه بعض الابطاء فقلن لها ذلك لك فانطلقت الارنب متباطئة حتى جاوزت الوقت الذى كان يتغدى فيه الاسد ثم تقدمت اليه وحدها رويدا وقد جاع فغضب وقام من مكانه

خبره وعن زوجته عينه وأثره وطال عليها منتظره فدعتها الضرورة والاعدام الى عرض حالها على الحكام فأذن لها قاضى بلخ فى ابطال نكاحها بالفسخ ففسخت نكاحها واعتدت وطلبت نصيبها واستندت ولقد أوحشنا فراقه وآلمنا اشتياقه غيرأن زوجته قامت مقامه وأفاضت علينا احسانه وانعامه وهى متشوقة الى رؤيته متشوفة الى مطالع طلعته متلهفة على أيام وصاله متأسفة على ترشف زلاله فلما وقف على صورة الحال سجد شكرا لله ذى الجلال وحمد الله على الثبات فى مثل هذه النائبات (وانما أوردت) هذا المثال لتعلم فضيلة التأمل فى المآل والتفكر فى عواقب الاحوال قال الدب دعنا من هذا الكلام والاخذ فى الملام وأسعدنى فى التدارك فانك نعم المشارك قبل انفلات العنان وانقلاب الزمان وخروج زمان التلافى من أنامل الامكان وانتقال حل عقدته من اللسان والبنان الى الاسنان فقال مبارك الميلاد الرأى عندى يا أبا قتاد المبادرة الى الصلح والاصلاح ليحصل النجح والفلاح والاخذ فى المصافاه وسلوك طريق الموافاه والعمل به باطنا وظاهرا والاستمرار عليه أولا وآخرا ومحو آثار العداوه وتناسى أسباب الجفا والقساوه واستئناف المودة الصافيه والمحبة الوافيه وصرف القلب نحو دروس فقه الحلة الشافية والكافيه حتى يقول من رأى وسمع الحمد لله آلت العاقبة الى العافيه ثم اعلم انه لا يصفولك صاحب وخاطرك عليه لتكدر مصاحب ولا يخلص لك صديق واين خلوص محبتك اياه مذيق وقاطع بغضك فى الطريق وشوك سعيك راكب التعويق والقلوب فى المحبة تجازى ان حقيقة فحقيقة وان مجازا فمجازا وكل شئ بمقدار وميزان وكما تدين تدان وقلما تجد من تحبه و يبغضك وتربه و يرفضك وتصفوله و يتكدر ولا تتغير عليه و يتغير ودونك ياذا الكرامات ما قال صاحب المقامات

وكاتل الغل كما كال لى * على وفاء الكيل أو بخسه

وقال من أحسن المقال والعين تعرف من عينى محدثها * ان كان من حزبها أو من أعاديها

وأنا ما أقول هذا الكلام الا من قول خير الانام عليه أفضل التحيات وأكمل السلام الارواح أجناد مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وانما يقع التعارف من الجهتين والتناكر من الطرفين ولا تغالط نفسك وتكابر حسك أن يحبك من تكرهه ويزينك من تشوهه ويقربك من تقصيه ويقيمك من ترميه ويرفعك من تضعه ويأخذ بيدك من تدفعه كما قيل فى الاقاويل

والناس أكيس من أن يحمدوا رجلا * مالم يروا عنده آثار احسان

واعلم ان غالب الاخوان فى هذا الزمان مسلوب الانسانية وان كان فى زى الانسان من أحسنت اليه أساء ومن ترفقت له قسا ومن نفعته ضرك ومن أمنته غرك ومن سكنت أوامه بزلال فضلك حرك وقد أجاد صاحب الانشاد جزى الله عنا الخير من ليس بيننا * ولا بينه ود ولا نتعارف

فما سامنا خسفا ولا شفنا أذى * من الناس الا من نود ونألف

واذا كان هذا فيمن تحسن اليه وتسبغ ملابس افضالك عليه فكيف يكون حال من تضمر له النكال وتتمنى وقوعه فى شرك العقال أنى تراه يصفولك و يتقاضى سؤلك ومأمولك وهو مترقب غيلة غولك متوقع منك أن يصير مقتولك فماذا عسى ان تبلغ منه سؤالك ومسؤلك أوترى من محبته ومودته مأمولك ومحصولك (وانما أوردت) هذه المقامات وان كانت من فضلات علمك ورشحات قلمك اتنبك مقدمات الا لتعاطى أسباب الصلح أولا فى نفسك ثم تستعمل الوسائط فيه من أبناء جنسك فينتج المقصود ويصفو الورد والمورود كما قيل فان القلوب مرائى الصفات * كما السيف مرآة وجه الذوات

قال الدب أنا ألقى الزمام فى هذا المقام لنيل هذا المرام الى يد تدبيرك واكتفى فى رعى رياضه بزاند رأيك وتقديرك فان فكرك نجيب وسهم رأيك مصيب فافعل ما تختار وأذقنا من رائق رأيك المشتار فقال تقسم أولا باللطيف الخبير انك اصفيت الضمير من الغش والتكدير وكرعت من وارد الصفاء الزلال

النمير ونفضت يد المحبة والاخاء من علاقات البغضاء والشحناء حتى يجيب دعي ولا يخيب سعي وأبذل مجهودي في نيل مقصودي وأبني على أساس واسلك مع الناس مسلك الناس فبادر باليمين الى اليمين واشهد عليه الكرام الكاتبين انه صقل مرآة محبته عن صدا المداهنه وجلا طريق مودته من غبار المباينة وانه يكتفي من غدير الغدر بما جرى ويطوي حديث الشحناء فلا يسمع الواشي بذلك ولا درى فليبذل مبارك الميلاد جهده في السعي في اصلاح الفساد وعقدا على ذلك العهد وتوجه مبارك الميلاد من بعد وقصد منزل أخي نهشل فرآه فيمن نارهمومه في مشعل وقد غرق في بحر الافكار هائما لا يقر له قرار فسلم عليه وتقدم بالسؤال عن حاله اليه وآنسه بالمحادثه وذكر له الدهر وحوادثه وتذاكرا ما وقع من الدب وكيف أظهر نواقض الحب وبارز بالعداوه وأبرز بأدنى حركة موجبات القساوه ثم أخذ أخو نهشل في العتاب وفتح لمبارك الميلاد من جهة صاحبه وعتابه الباب فاعترف عن صاحبه بان الظلم في جانبه وانه كان حصل له من الوهم الكاذب ما أورثه الوقيعة في جانب الصاحب وانه ندم على ذلك واعترف بان فعله حالك ولم يسعه الا الاعتذار وجبر ما وقع لابي نوفل من الانكسار بالسعي في مساعدته والقيام معه في جماعته والتوجه الى حضرة المخدوم والتلافي بمرهم التصافي ما سبق من جراحات الكلام والكلوم ثم اذا حصل من الخواطر الشريفة الاغضا وأثمر في رياض العفو لجاني الخدم فواكه الرضا يستأنف شوق المحبة عقود المبايعه ويروج ناجر الصداقة على مشتري الحشمة في مظان رغبانها بضائعه الى أن يتزايد الوداد ويتأكد بين الجميع عالم الاتحاد فانهض يا رئيس الاصحاب وأنيس الاحباب

فالعمر أقصر مدة * من أن يدنس بالعتاب

ثم نهضا جميعا واتيا أبا نوفل سريعا فوجداه في أحرج مكان وأوهج زمان محفوفا بالاحزان مكنونا بالاشجان وما حال من جفاء أحباه واقصاء مولاه وصار وهو حيان غريم السلطان فلما سلما عليه وجلسا اليه واعتذر مبارك الميلاد بعد اظهار تباشير الوداد أن موجب تقصيره في السؤال عنه وتاخيره ان قلبه الوامق وطرفه الوادق لم يطاوعاه على رؤيته في تلك الحال ولا سمحت قدمه بالتقدم اليه وهو مشغول البال ثم تفاوضا في أسباب الصلح وقصدا أبواب النجح فتجاذبوا اطراف الطرائف وتفكهوا على موائد التحف واللطائف ومازالوا ينسجون خلع الوفاق ويمزقون شقق الشقاق الى أن انعقدت اهداب المحبة والوداد وانحلت عقود الحقود والكياد وتحقق كل أحد من كبير وصغير ومأمور وأمير وجليل وحقير بحصول خالص المودة بين النديم والوزير

ولما أن تراءى الفجر يحكي * جبين الحب أو رأى الحبيب

توجه الوزير ومبارك الميلاد وأخو نهشل ورؤس الاجناد مع سائر الامراء والوزراء والاعيان والكبراء حتى انتهوا الى السدة العليه والحضرة الملكية السلطانيه فقبلوا أرض الطاعه ووقفوا في مواقف الشفاعه ونشروا من الدعاء والثناء ما يليق بجناب الملوك والعظماء وذكروا النديم أبا نوفل بما يستعطف به الخاطر المفضل حتى عطفت عليه مراحمه وانمحت من جريدة الانتقام جرائمه وسمح باحضاره لديه ليسبل ذيل الكرم والعفو عليه ثم يشمله ثوب الرضا وخلع العفو عما مضى فأسرع نحوه البشير بما اتفق من الجماعة مع الوزير ثم وصل القاصد وهو له مراصد فتوجه منشرح البال منبسط الآمال حتى دخل على حضرة ذي الدولة والاقبال وقبل الجداله ووقف في موقف الجلاله لا يرفع طرفا ولا ينطق حرفا فرسم بالتشريف والخلع ليرفع عنه التخويف والهلع فتضاعفت الادعية الصالحه والاثنية الفائحه

بغاديه من ذكره قد تمسكت * بطيب ثناء عجب الزمان روائحه

وأقيمت حرمته واستمرت عليه وظيفته ثم ان الملك انتقل من المجلس الغاص الى مجلس خاص واجتمع بالخواص وعم الخطاب لكل ناص ومحدث وقاص فقال ليعلم الوزير والنائب والامير والحاجب

نحوها فقال لها من أين أقبلت قالت انا رسول الوحوش اليك بعثني ومعي أرنب لك فتبعني أسد في بعض تلك الطريق فأخذها مني وقال انا أولى بهذه الارض وما فيها من الوحوش فقلت ان هذا غداء الملك أرسلن به الوحوش اليه فلا تغصبنه فسبك وشتمك فأقبلت مسرعة لاخبرك فقال الاسد انطلقي معي فأريني موضع هذا الاسد فانطلقت الارنب الى جب فيه ماء غامر صاف فاطلعت فيه وقالت هذا المكان فاطلع الاسد فرأى ظله وظل الارنب في الماء فلم يشك في قولها ووثب اليه ليقاتله فغرق في الجب فانقلبت الارنب الى الوحوش فاعلمتهن صنيعها بالاسد (قال كليلة) ان قدرت على اهلاك الثور بشيء ليس فيه مضرة للاسد فشأنك فان الثور قد اضر بي وبك وبغيرنا من الجند وان أنت لم تقدر على ذلك الا باهلاك الاسد فلا تقدم عليه فانه غدر مني ومنك ثم ان دمنه ترك الدخول على الاسد أياما كثيرة ثم أتاه على خلوة منه فقال له الاسد ما حبسك عني منذ زمان لم أرك الخير كان انقطاعك قال دمنه خيرا فليكن أيها الملك قال الاسد وهل حدث أمر (قال دمنه) حدث ما لم يكن الملك يريده ولا أحد من جنده قال وما ذاك قال كلام فظيع قال اخبرني به (قال دمنه) انه كلام يكرهه سامعه ويشجع عليه قائله وانك أيها الملك لذو فضيلة ورأيك يدلك على ان يوجعني ان أقول ما تكره وأثق بك ان تعرف نصحي وايثاري اياك على نفسي وانه ليعرض لي انك غير مصدقي

والصديق والصاحب والجندي والكاتب والمباشر والحاسب والراجل والراكب والآتي والذاهب
وليبلغ الشاهد الغائب ان مقتضى الرياسه في الشرع والسياسه على ماقدره حكماء الملوك وسلكوا
بعباد الله تعالى احسن السلوك ان كل واحد من الغني والصعلوك لاسيما من له من الامر شيء أو نوع
مباشرة على ميت أوحي له مقام معين لايزايله ومكان مبين لايقابله قال الحي القيوم ذو الملك الديموم
حكاية عن متصرفي ملك الديموم وما منا الا له مقام معلوم وعلى هذا جرت سنته وورد كلامه وعات كلمته
وبه أمر الشرع والانسان مدني بالطبع فالواجب على كل من اقامه الله في خدمة ملك ولاه او سلطان
علاه ان يلازم مقامه ويلاحظ في صف جماعته امامه ويراقب ما يصدر عنه فقد قيل اياك وما يعتذر منه
فاذا رام ان يتكلم بكلام بحضرة الامام او بحضور واحد من الخواص والعوام يسبر كلامه اولا بمسبار
التفكر ويعيره بمعيار التأمل والتبصر ثم يسبكه في بوتقة الفصاحه ويسكبه في قالب الملاحه ويصوغه
بآلات حسن الانسجام ويرصعه بجواهر مقتضى المقام فاذا صيغ على هذه الصياغه ونقدت على صورة
سبكه نقوش البلاغه واخرجه غواص الفكر من بحر المعاني والبيان فرائد فكلم تظاهر بها أصداف
الآذان وخرائد أبكار لم تفترعها فحول الاذهان ازدانت بها من حور جنان الجنان ومقصورات
خيام الدهور والازمان آنسات لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فاختلب بهاؤه القلوب والارواح واستلب
رواؤه الاموال والاشباح واستمال الخواطر وسحب الايادي المواطر وصار الدهر من بعض رواته
وأشناف مارويه عنه معلقة بآذان نباته وان وقع والعياذ بالله منه ماورث الندم والحزن وأخرجهم
الكلام من قوس العجلة لا كالّ ولا ازن حصل في سوق ظاهره وباطنه الغبن والغين وأصابه ما أصاب نديم
فغفور والختن فنهض الجماعة والارض قبلوا وعن كيفية هذا الخبر سألوا (فقال) الملك ذكر المخبرون وأخبر
المذكرون انه في قديم الزمن كان عند فغفور الختن ندمان كامل المعاني في البيان ذو نعمة جزيله وصورة
جميله وفضائل فضيله مبرز في العلم كامل المودة والحلم محبوب الصوره مشكور السيره طاهر السريره
ثقيل الراس خفيف الروح والحواس قد جال وجاب وبلا الاعداء والاصحاب وترشح لمنادمة الملوك
والامراء ومجالسة السلاطين والوزراء وهو خصيص بملك الختن والصين مقبول عند الملوك والسلاطين
اتفق له في بعض الليالي انه كان عند حضرة ملكه العالي وعنده جماعة من العلماء وطائفة من الاخصاء
والندماء وهم يتعاطون كؤس اللطائف ويتواطون على مافي الدنيا من طرف وطرائف ويتذاكرون
عجائب الاقطار ويشنفون المسامع بخصائص الامصار فقال النديم رأيت في بعض الاقاليم من الاراضي
الحاميه والبلاد القاصيه حيوانا كبيرا سريع السير مترددا شكله بين شكلي الجمل والطير يضرب به في
الدربة المثل فيتعاطى التعالي في الكسل ان قيل له احمل يقول أنا طير وان قيل له طر يقول أنا جمل وذكر ان
اسمه النعام وسائر أوصافه وأعضائه على التمام فتعجب الحاضرون من هذه الصفات والاشكال البديعة
والهيآت ثم قال وأعجب من هذه الصفات ان هذه الدابة تأكل الجمرات وتلتقط الحصيات وتختطف الحديدة
المحماة من النار تزدردها ولا يتألم لذلك فمها ولا جسدها وتذيب كل ذلك معدتها ولا يتأثر به لسانها ولا ترقوتها
فانكر بعض الحاضرين هذا المقال لكونه لم يشاهد هذه الاحوال ولا رأى ولا سمع خبر طير يأكل النار
ويبلع الاحجار ونسبوه الى الخارقة في الاخبار فتصدى لاثبات مايقول بطريقي المنقول والمعقول فلم
يسعف كلامه القبول على ماألفته منهم العقول لان الحيوانات بل وسائر الجمادات اذا اتصلت بها النار محت
منها الآثار وهذا طير من الاطيار من لحم ودم فكيف لا تحرقه النار فاتفق الجمهور على تكذيب هذه
الاخبار وقالوا المثل المشهور انما هو موضوع على لسان الطيور فيمن تردد بين الامور فيقال هذا الفقير
كالنعامة لا يحمل ولا يطير ومثل هذا المضرب ياشيخ المشرق والمغرب قولهم طارت به عنقاء مغرب فقال
النديم الفاضل الحكيم انا رأيت هذا بالعين فلم يزدهم الا انا كيد المين وقالوا قد غلطت ولزمت الغلط فوقع

فيما أخبرك به ولكني اذا تذكرت وتفكرت ان نفوسنا معاشر الوحوش متعلقة بك لم أجد بدا من اداء الحق الذي يلزمني وان أنت
لم تسألني وخفت ان
لاتقبل مني فانه يقال من
كتم السلطان نصيحته
والاخوان رأيه فقد خان
نفسه قال الاسد فاذا الذي قال
دمنه حدثني الامين الصدوق
عندي ان شتربه خلا رؤس
جندك وقال قد خبرت الاسد
وبلوت رأيه ومكيدته
وقوته فاستبان لي ان ذلك
يؤول منه الى ضعف وعجز
وسيكون لي وله شأن من
الشؤن فلما بلغني ذلك علمت
ان شتربه خوان غدار
وانك أكرمته الكرامة
كلها وجعلته نظير نفسك
وهو يظن انه مثلك وانك
متى زلت عن مكانك
صار له ملكك ولا يدع
جهدا الا بلغه فيك وقد كان
يقال اذا عرف الملك من
الرجل انه قد ساواه في المنزلة
والحال فليصرعه فان لم يفعل
به ذلك كان هو المصروع
وشتربه اعلم بالامور وأبلغ
فيها والعاقل هو الذي يحتال
للامر قبل تمامه ووقوعه
فانك لاتأمن أن يكون ولا
تستدركه فانه يقال الرجال
ثلاثة حازم واحزم منه وعاجز
فأحد الحازمين من اذا نزل
به الامر لم يدهش له ولم يذهب
قلبه شعاعا ولم تعي به حيلته
ومكيدته التي يرجو بها
المخرج منه واحزم من هذا
المتقدم ذو العدة الذي يعرف
الابتلاء قبل وقوعه فيعظمه
اعظاما ويحتال له حتى كأنه قد لزمه فيحسم الداء قبل ان يبتلي به ويدفع الامر قبل وقوعه وأما العاجز فهو في تردد وتمن

من

من أعينهم بهذا الكلام اذ قالوا هذا كذب وسقط فحصل لذلك النديم من الخجالة والندم أمر عظيم واستمر
فى حصر حتى منعه السلطان من الدخول الى القصر وصار بين الاصحاب يشار اليه بيا كذاب فلم يسع ذلك
الاستاذ الا السفر من تلك البلاد والتوجه الى العراق وبغداد وأخذ من طير النعام عدده واستعمل عليها
رجالا مستعده ونقلها الى الصين فى عدة سنين تارة فى البحر وأخرى فى البر وقاسى أنواعا من البؤس والضر
وتكلف جلا من الاموال وتحمل مع المشاق من الرجال فما انتهى به السير الا وقدمات غالب تلك الطير
فوصل الى حضرة ملك الخطا واشتهر فى المملكة أن النديم الفلانى أتى فاجتمع الناس لينظروا وأمر الملك
للخاص والعام فحضروا وأحضروا النعام فى ذلك المحفل العام وطرح لها الحديد المحمى فخطفته والجمر
والحصا فالتقفته فتعجب الناس لذلك وسبحوا الله مالك الممالك وعلم الصغار والكبار انه يخلق ما يشاء
ويختار فشمله الملك بمزيد الانعام واعتذر اليه عما مضى من ملام وزادت رفعته ونفذت كلمته اذ قد
أثبت مدعاه وحقق بشاهد الحس معنى ما ادعاه ففى بعض الاوقات تذاكروا ما فات وانجر بهم الكلام
الى ما مر من حديث النعام فقال النديم أيها الملك الكريم انى تكلفت على هذه الاطيار كذا وكذا ألف
دينار وقاسيت من المشقة فى الاسفار وعاينت من شدائد الاخطار ما لا تقاسيه عيدان النار واستمريت
فى هذا العذاب الاليم المهين وفى سجن المشاق بضع سنين حتى بلغت تحقيق مرامى وتصديق كلامى
ولولا عناية مولانا السلطان لما ساعدنى على مقصودى الزمان ولما زال عنى اسم الكذاب الى يوم الحساب
فتبسم السلطان وقال لقد أتيت بمحاسن وما قصرت ولكن كلمة يحتاج فى اثبات تصديقها والخروج عن عهدة
تحقيقها الى صرف المال الجزيل وتجشم مشقة السفر العريض الطويل وتحمل من الرجال وركوب
الاخطار والاهوال وازعاج الروح والبدن واضاعة جانب كبير من العمر والزمن لاى معنى يتفوه بها
العاقل ولماذا ينطق بها مستمع أو ناقل (وانما أوردت) هذا المقول ليعلم أرباب العقول من جلساء الملوك
والعظماء ورؤساء الامراء والزعماء خصوصا خواص القدماء وعوام الندماء ان شيأ يحتاج فيه الى
تعب النفس وقيد ونكال وحبس ثم استعمال من جماعة وأصحاب يتقدمون الى الشفاعه لا ينبغى للعاقل
أن يحوم حوله ولا يعقد أبدا عليه فعله وقوله فتقدم مبارك الميلاد وبذل فى أداء وظائف الدعاء الاجتهاد
وقال انما كان عاقبة هذا الامر واطفاء نائرة هذا الجمر واداؤه الى انتظام عقود السعد واشتماله على جمع
الخواطر من بعد بيامن الخواطر الشريفه وشرف ملاحظتها المنيفه وتوجه مساعدتها الخدمها وشمول
عواطفها على عبيدها وحشمها واقبال طالعها السعيد ولولا ذلك لما انتظم لنا شمل أيها العبيد فالمنة فى هذا
كله للصدقات الشريفه والجبلة العواطف منها المنيفه ونظير هذا الشان ما جرى للخارج على الملك
أنوشروان فسأل الملك المطاع عن هذا المضاع (فقال) ذكر أهل التاريخ يا عالى الشماريخ ان كسرى
أنوشروان جاهره أحد الملوك بالعصيان وانتدب لحاربته طائفة من الاعوان فتوجه كسرى اليه ووثب
وثوب الاسد الضارى عليه ورأى التوانى فى أمره والتأخير من جملة الاخلال والتقصير فقابله قاتلا
وقاتله قائلا

اذا استحقرت ادنى من تعادى * بما لك من يد وندى وطاقه
فما استحقرت ان اهملت الا * أمورك وهو ذاعين الحماقة

فلما توافقا واصطدما وتثاقفا انكسر ذو الطغيان وانتصر انوشروان وقبض على العدو وحصل الامان
والهدو وقص طائره وتفرقت عساكره وجىء به وقد سيم خسفا وكسرا الى الملك العادل كسرى فتقدم
بالاحسان اليه وجعل العفو شكرا القدرته عليه وبالغ معه فى اللطف والاحسان وانزله عنده فى بستان
ترتع النزاهة فى ميادين رياضه وتكرع الفكاهة من رياحين حياضه وأفاض عليه من خلع الانعام
وادرارات الفضل والاكرام ما أزال دهشته وأجال وحشته وأبدى استعباده وأبعد استبعاده فلما حصل
انسه وهدأت نفسه أخذ فى تجهيزه وابلاغه الى مأمنه وتجهيزه فأبى الا الاقامة والتلبث بدار الكرامه

وأمان حتى يهلك ومن أمثال ذلك مثل السمكات الثلاث قال الاسد وكيف كان ذلك (قال دمنه) زعموا ان غديرا كان فيه
ثلاث سمكات كيسة وأكيس
منها وعاجزة وكان ذلك الغدير
بنجوة من الارض لا يكاد
يقربه أحد وبقربه نهر جار
فاتفق انه اجتاز بذلك النهر
صيادان فابصرا الغدير
فتواعدا ان يرجعا اليه
بشباكهما فيصيدا ما فيه من
السمك فسمع السمكات
قولهما فأما اكيسهن لما سمعت
قولهما ارتابت بهما وتخوفت
منهما فلم تعرج على شئ حتى
خرجت من المكان الذى
يدخل فيه الماء من النهر
الى الغدير واما الكيسة
الاخرى فانها مكثت مكانها
حتى جاء الصيادان فلما رأتهما
وعرفت ما يريدان ذهبت
لتخرج من حيث يدخل
الماء فاذا بهما قد سدا ذلك
المكان فحينئذ قالت فرطت
وهذه عاقبة التفريط فكيف
الحيلة على هذه الحال وقلما
تنجح حيلة العجلة والارهاق
غير ان العاقل لا يقنط من
منافع الرأى ولا ييأس على
حال ولا يدع الرأى والجهد
ثم انها تماوتت فطفت على
وجه الماء منقلبة على ظهرها
تارة وتارة على بطنها فاخذها
الصيادان فوضعاها على
الارض بين النهر والغدير
فوثبت الى النهر فنجت واما
العاجزة فلم تزل فى اقبال
وادبار حتى صيدت قال الاسد
قد فهمت ذلك ولا أظن الثور
يغشنى ولا يرجو لى الغوائل
وكيف يفعل ذلك ولم يرمنى سوأ قط ولم ادع خيرا الا فعلته معه ولا امنية الا بلغته اياها (قال دمنه) ان اللئيم لا يزال نافعا ناصحا حتى يرفع الى المنزلة

وسأل الصدفات ومالها من عميم الشفقات مجاورة محلها والاقامة تحت ظلها واغتنام مشاهدتها والتشرف بيامن طلعتها مدة أيام فانها محسوبة من العمر العزيز باعوام فاجابت مسؤله واستنجزت مأموله وكان في ذلك البستان نخلة كنخلة مريم قد يبست من الهرم ولما تعاور تها ايدي القدم فلم تصلح الا للضرم فارسل يسأل الصدفات الجزلة أن تهبه تلك النخلة فاسترل كسرى عقله واجاب قصده وسؤله ووهبه تلك النخلة فكان كل يوم يتوجه اليها ويستظهر ويعتمد عليها وهو في أرغد حال وأعز مآل فبعد عدة شهور طلب الى التوجه الدستور فاستدعاه وأكرم مثواه وأجاب قصده ومتمناه وأسبغ عليه نعمه وفضله وسأله عن موجب سؤاله النخلة وسبب طلبه الاقامة ثم سؤاله التوجه بالسلامة فقال أما سبب الاقامة بهذا البلد فلجوار مولانا الملك الاجد والاستسعاد بمشاهدة وجهه الاسعد فان طالعه قوي سعيد ومجاورته للسعادة تفيد وتحصل منها الجاور رها المزيد فاردت أن يكون لي منها نصيب ويلاحظني منها سهم مصيب

فان تلم بقفر عادر وضا * وان تمر بجلمد صار شهدا

وان يخطر ببال النحس نجم * يعد في الحال من زبال سعدا

فصرت مشمولا بيامن ظلها مغمورا بفائض وابلها وطلها واما طلبي النخلة اليابسة فاني تفاءلت بها من حظي مساعدة ومناحسه فكنت أتردد اليها واعول في ذلك عليها فما دامت في ذبول كان جدي وسعدي في نحول الى أن رأيتها قد خضرت وأطلعت واستبكرت فاقبل سعدي وحيا وعاد بعد أن مات حيا وساقطت نخلة سعدي من ثمرات السعادة رطبا جنيا فعلمت أن طالعي الهابط عاد الى الاوج ورسول حظي دخل في دينه ناس الايناس فوجا بعد فوج وأرمل جدي ازدوج ببكر الآمال وكان لها أحسن زوج كل ذلك أي أعظم مالك بسعد فالك وجوار دار جلالك ومشاهدة أنوار جمالك واستماع كلامك وانتجاع كمالك فمن بعد استسعاد السعد كل سهم أمل فوقته ونحو شأن كانه قصد أطلقته أصبت الغرض وحزت جوهرة بلا عرض فاذا أسعف السعد النحس لا يبقى معه نحس (وانما أوردت) هذا القول ياذا الكرامة والطول ليعلم الحضار والسادة النظار أن استقامتنا واقبال سعدنا وانتظام أمورنا وجدنا انما هو بالتفات الخواطر الشريفة وشمول أحوالنا بملاحظتها المنيفة واستدامة بركاتها وميامن حركاتها كما قيل في ذا القبيل

تلقى الامان على حياض محمد * ثولاء مخرفة وذئب أطلس

لاذي تخاف ولا لهذا جرأة * تهدى الرعية ما استقام الريس

وكما أن الرعية لا يستقيم حالها الا بالملك الراعي فانها كالراعية لا ينتظم لها أمر الا بالراعي كما قيل

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لها * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

كذلك الملك ياذا الدرجات العليه لا يصير ملكا الا بالرعيه ولو لم يكن العاشق مشوقا لم يكن المعشوق معشوقا ولو لم يجد الرامق بالامل مسوقا لم يصر الملك المأمول مرموقا وقد عنى هذا المعنى من في رياض المعاني أعنى

وأحقر صب قبلتهدي سناؤه * كاعظامهم اذ من هواك تعظما

فلا تحتقره ان تملكت قلبه * فلولا الهوى ما كنت ملكا مفخما

ففي موقف العشاق منك وظيفة * لكل فلا يبغي لها متقدما

وكل له وجد يليق بحاله * وكل له حال بوافيك مغرما

ألم تر أن الله أوجد حكمة * ذبابا وعقبانا وبقا وضيغما

وكل له نفع وضر مخصص * فسبحان من قد خص طورا وعمما

والله تعالى لكمال قدرته واسبال ذيل رحمته خلق الكبير الاعلى محتاجا لخدمة الصغير الادنى وجعل الحقير الادنى محتاجا لرحمة الكبير الاعلى ولهذا أعظم الخلق من خلق الخالق وأحوج الخلق الى الخلق وهو غني عن الخلق وقيل أيها الملك السني الانسان بطبعه مدني وبمقدار كثرة الرعيه واشتراكهم في الصفات

فرق فاذا استغنى وذهبت الهيبة عاد الى جوهره كذنب الكلب الذي يربط ليستقيم فلا يزال مستويا ما دام مربوطا فاذا حل انحنى وتعوج كما كان واعلم أيها الملك انه من لم يقبل من نصحائه ما يثقل عليه مما ينصحون له لم يحمد رأيه كالمريض الذي يدع ما يبعثه له الطبيب ويعمد الى ما يشتهيه وحق على موازر السلطان ان يبالغ في التحضيض له على ما يزيد سلطانه قوة ويزينه والكف عما يضره ويشينه وخير الاخوان والاعوان اقلهم مداهنة في النصيحة وخير الاعمال احلاها عاقبة وخير النساء الموافقة لبعلها وخير الثناء ما كان على أفواه الاخيار واشرف السلطان ما لم يخالطه بطر وخير الاخلاق أعونها على الورع وقد قيل لو ان امرأ توسد النار وافترش الحيات كان أحق أن لا يهنئه النوم والرجل اذا أحس من صاحبه بعداوة يريد بها الايطمئن اليه وأعجز الملوك آخذهم بالهوينا وأقلهم نظرا في مستقبل الامور وأشبههم بالفيل المغتلم الذي لا يلتفت الى شئ فان احزنه أمر تهاون به وان أضاع الامور حمل ذلك على قرنائه قال له الاسد لقد أغلظت في القول وقول الناصح مقبول محمول

وان كان شتر به معاديا لي كما تقول فانه لا يستطيع لي ضرا وكيف يقدر على ذلك وهو آكل عشب وانا آكل لحم وانما المرضيه

المرضيه وانقيادهم لاوامر ملكهم السنيه تصير درجة الملك علية كما كان في زمن نبي الله سليمان صلوات الله عليه وسلامه وتحيتهوا كرامه ولقد جرى في عصره بين الطيور مفاوضة بين اللقلق والعصفور فسأل ملك الاساد عن تلك المفاوضة مبارك الميلاد (فقال) بلغني ياسلطان الاسود ان نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام كان في سيرانه مع خواص أركانه فمر بذلك الطالب على شجرة دلب للقلق فيها عش قد بناه كأحسن حش وقد استوكر في عشه عصفور واحتمى بجواره من مؤذيات أبي مذعور فكانا يتخاصمان ويتقاولان ويتواصمان ويتصاولان فوقف النبي الكريم واستوقف الجند العظيم ليسمع مايقولان وينظر كيف يجولان فسمع اللقلق يقول وهو يجول ويصول ويخاطب العصفور بجمع من الطيور اشكر لي حسن الصنيع حيث أنزلتك في حصني المنيع لاحية ترقى اليك ولاجارح ينقض عليك ولولا ان لك عندي مناخا ما أبقت لك الحية ذاتا ولا افراخا وانما سلمتم بجواري وبقربكم من داري فوثب أبو محرز وتوسط الجمع وهو يجمز ونادى بين الاطيار أنسيت أبا خديج أي جار وأنا في المدار حول هذه الديار آناء الليل وأطراف النهار ألقط النمل الكبار والصغار ولولا أنا حارس مناخك ما أبقى لك النمل أثرا ولا افراخك فكل منا محتاج الى جاره مغتبط بجواره آمن به في سربه ومطاره فارفع من بيننا هذا النكد ولا يمن منا أحد على أحد فالحقوق ماتضيع بين الجيران كما تراعى بين الاصحاب والاخوان وكما تدين تدان ومع هذا فكلانا فصلى على نبي الله سليمان ملك الانس والجان وسلطان الطيور وسائر الحيوان فانه بحسن عدله اعتدل الزمان وبيمن فضله صلح الكائن والمكان ونحن أيضا كذلك نشكر الله رب الممالك اذ من علينا بهذا السلطان المالك ملك الوحوش الاكابر وكاسر السباع الكواسر المشفق على الضعفاء والاصاغر فلم يخل من فضله سبع ولا طائر ثم نهضوا فوقفوا ودعوا الملك وانصرفوا هذا آخر الباب والله أعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

(الباب السادس في نوادر التيس المشرقي والكلب الافرقي)

(قال) الشيخ أبو المحاسن من ماء معارفه غير آسن ومن لم دود أرض الفضل من فضائله رواس وفي مشحون بحر العلم من فواضله مواس فابتهج الملك لهذا الكلام وارتاح لما تضمنه من الحكم والاحكام واستزاد أخاه من عقود هذا النظام فقبل الارض في مقام الخدام وقال بلغني ياملك الانام ان راعيا كان يرعى ثلة من الاغنام وجملة من المعز الجسام وفي ماشيته تيس مطاع كلها له أتباع وهو قديمها وقائدها وزعيمها وأبو نتاجها وحمو نعاجها وأصله من الشرق لم يكن بينه وبين ابليس في الشيطنة فرق اسمه الذميم التيس الزنيم وكان بواسطة الفحولة والكبر والتقدم في الحضر والسفر يستطيل ويصول وينطح الكباش والوعول ويكسر أصحاب القرون من الفحول فيجرح ضعيفها ويطرح نحيفها ويضرب بخالصها الفيفها الى ان أباد أعيانها وأعجز رعيانها وطال منه العقوق فذهب به الراعي الى السوق ليبيعه ويستريح ويخلص الماشية من شره ويريح فبينما هو يطوف اذا برجل مهول مخوف طويل القامه كبير الهامه كانه زبني القيامه شثن اليدين ازرق العينين أسود الخفين بثوب بوسخ وطرطور سنخ وسطه محزوم بسير مبزوم فصادف الراعي وهو في السوق ساعي فمد يده الى التيس وقال بكم هذا يا أبا الكيس فوقع بينهما الاتفاق ووقع الزنيم في شبكة الرباق فتأمل شكل القصاب وصورته القاضية بالعجاب فرأى رجلا كانه من الشياطين معلقا في وسطه عدة سكاكين فدخله الرعب ورجف من الرهب وأدرك بالفراسه انه سهالكه ويحذف راسه وقال ظني والظن يخطئ ويصيب اني وقعت مع هذا في يوم عصيب وانه قاصد هلاكي ومقيم على البواكي فالاولى الاحتراز والتأهب قبل زمان الجزاز فان حصل خير فما في الاحتراز ضير وان وقع على الاهلاك العزم فأتلقى سيفه بما أعددته من ترس الحزم فوزن الجزار الثمن وشحط الزنيم بالرسن وأتى به مطابخ فقطعها الى مسالخ فشم رائحة الزهومه

هولي طعام وليس على مخافة منه ثم ليس الى الغدر به سبيل بعد الامان الذى جعلته له وبعد اكرامي له وثنائي عليه وان غيرت ما كان مني وبدلته سفهت رأيي وجهلت نفسي وغدرت بذمتي (قال دمنه) لايغرنك قولك هولي طعام وليس علي منه مخافة فان شتربه ان لم يستطعك بنفسه احتال لك من قبل غيره ويقال ان استضافك ضيف ساعة من نهار وانت لاتعرف اخلاقه فلا تأمنه على نفسك ولا تأمن ان يصلك منه أو بسببه ما اصاب القملة من البرغوث قال الاسد وكيف كان ذلك (قال دمنه) زعموا ان قملة لزمت فراش رجل من الاغنياء دهرا فكانت تصيب من دمه وهو نائم لايشعر وتدب دبيبا رفيقا فمكثت كذلك حينا حتى استضافها ليلة من الليالي برغوث فقالت له بت الليلة عندنا في دم طيب وفراش لين فأقام البرغوث عندها حتى اذا آوى الرجل الى فراشه وثب عليه البرغوث فلدغه لدغة ايقظته وأطارت النوم عنه فقام الرجل وامر أن يفتش فراشه فنظر فلم ير الا القملة فأخذت فقصعت وفر البرغوث * وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن صاحب الشر لايسلم من شره احد وان هو ضعف عن ذلك جاء الشر بسببه وان كنت لاتخاف من شتربه تخف غيره من جندك الذين قد حملهم عليك وعلى عداوتك فوقع في نفس الاسد كلام دمنه فقال فما الذى ترى اذا و جاذا

وأحس من الجزار نكده وشومه فلما دخل المسلخ ورأى القصابين هذا يذبح وهذا يسلخ واللحم شققات على الجدران معلقات وأنهر الدماء كدموع العشاق جاريه ورؤس الغنم وجلودها وأكارعها كل كاشية هذه الكاشية في ناحية وهذه الكاشية في زاويه فرجف قلبه وازداد رعبه والتجأ الى الله تعالى وتاب اليه مما عليه من الذنوب بالا فما واطأ القصاب المصارع ان شد من المشرقي الاكارع وجدله على الجداله وأخرج لذبحه الآله فلما رأى هذه الحالة تحقق ما كان ظنه فاستحضر بابه وأيقن انه هالك لا محالة فنظر الى القصاب وذكر ما قيل في حق السباب

نظروا الليل بأعين محمرة * نظر التيوس الى شفار الجازر

فوجد السكين كليله ليس للذبح مخيله فطلب المسن ليحدها ويريح ذبيحته أن حدها فتركه وذهب للمسن وقد تحقق الزنيم ما كان ظن فتنفس له البلاء وارتخى عنه عقد القضاء فتمطى في رباط الاكارع فمزقه بحبل قاطع ثم وثب وقصد الهرب وخرج من الباب وصاحوا عليه هراب فلم يلتفت الى الصوت وفر فرار من عاين الموت وطلب الخلاء وطريق الفضاء فادى به الذهاب الى بستان بجوار بيت القصاب فدخل البستان واستدل الجريان والقصاب وراءه بهيئته المهوله والسكين في يده مسلوله وكان قبل هذا الزمان بين زوجة القصاب وصاحب البستان ما يكون بين الحرفاء والاخدان وكانت كلما وجدت فرصه جعلت البستاني من نفسها حصه تنزل من بيتها الى بيته وتغمس سراجها من فتيلة قنديله وزيته فاتفق ان في تلك الحال طلب كل من المحبين الوصال وكان زمان اشتغال الحمام بالمعاملة مع الخاص والعام فلا اشتغال وهله لا يتردد فيه لى أهله فاغتنمت الزوجة غفلة الرقيب ونزلت من بيتها الى بيت الحبيب فكان المحبان آمنين وقد تعانقا تحت دوحة ياسمين فاتفق ان الهارب من الموت ودواهيه أخذ على مكان هما فيه والقصاب يتبعه رافعا يده والسكين في يده مجرده فلم تشعر الا وزوجها رافع الصوت واقف على رأسهما وبيده آلة الموت وما شعر بدواهيهما حتى عثر عليهما فقفز كلاهما من مكانهما مفتضحين في مكانهما فاشتغل القصاب بنفسه والتهى بفجيعته عن تيسه وكان الناس تابعيه فوقفوا على ما وقع فيه وقامت الغوغاء وقعدت للعار من البلاء فتفرس النجاة من الردى فلم يزل في ميدان الجرى ذاهلا عما جرى حتى وصل الى ثغرة خرج منها الى الصحرا فانقطع عن ذلك الجنى تابعه ولم يوجد من شياطين الانس رائيه وسامعه فانتهى به التسيار في تلك الصحارى والقفار الى جبل فاوى فيه الى غار كان يأوى اليه مع المواشي أوان الامطار فامسى فيه تلك الليلة الى وقت الاسفار

فلما رأى الليل العبوس صنيعه * تبسم فافترت تباشير فجره

فلما أصبح الصباح خرج الى السراح وهو في نشاط ومراح وجعل يرتاد أنيسا ليكون له جليسا أو رفيقا صالحا وصديقا ناصحا يتأنس به في الغربه ويصحبه بأمل مؤانسته ذهاب الكربه وما يحصل على جبين راحته من عرق القربه وبينما هو ينشر البيداء ويطوى اذ سمع نبياح كلب يعوى فترجى الخير وزوال الضير ثم قصد نحوه فرآه مقبلا من فجوه فناداه أهلا بأحب الاحباب وأعز الاصحاب المفضل على كثير ممن لبس الثياب فلما دنا منه بادر الى عناقه وتباكى لاليم فراقه فتعانقا تعانق محبين وتباكيا تباكى من مضه البين ثم قال له اعلم يا لطيف الحركات وكثيف البركات ان كلانا غريب وكل غريب للغريب نسيب وانا قد تفرست فيك وما تكاد فراستي تخطيك انك رفيق صالح وشفيق ناصح وأحسن مليح مصالح وفي طريقة اخوان الصفاء قيم وراجح وان كانت الجنسية بيننا مختلفه لكن القلوب بحمد الله تعالى مؤتلفه وكم للتيمن أياد سابقة وصدقات متناسقه وكم حططنا في المراعى وتساقي الحظ ثرنا غير وأنت لحفظنا ساعى تحرسنا من الغداة الى الرواح ومن المساء الى الصباح فاخبرني ما شأنك وأين مكانك وما اتفق وما صنعتك ورسمك ومجيئك من أين وما حاجتك في البين قال أما اسمي فيسار وأما مكاني فبلاد التتار

الراحة في قذفه والصدق المخوف دواؤه قتله قال الاسد لقد تركتني أكره مجاورة شتربه اياى وأنا مرسل اليه وذاكر له ما وقع في نفسي منه ثم آمره باللحاق حيث احب فكره دمنة ذلك وعلم ان الاسد متى كلم شتربه في ذلك وسمع منه جوابا عرف باطل ما أتى به واطلع على غدره وكذبه ولم يخف عليه أمره فقال للاسد أما ارسالك الى شتربه فلا اراه لك رأيا ولا حزما فلينظر الملك في ذلك فان شتربه متى شعر بهذا الامر خفت ان يعاجل الملك بالمكابرة وهو ان قاتلك قاتلك مستعدا وان فارقك فارقك فراقا يلحقك منه النقص ويلزمك منه العار مع ان ذوى الرأي من الملوك لا يعلنون عقوبة من لم يعلن ذنبه ولكن لكل ذنب عندهم عقوبة فلذنب العلانية عقوبة العلانية وللذنب السر عقوبة السر قال الاسد ان الملك اذا عاقب أحدا عن ظنة ظنها من غير تيقن بجرمه فلنفسه عاقب واياها ظلم (قال دمنة) أما اذا كان هذا رأى الملك فلا يدخلن عليك شتربه الا وأنت مستعد له واياك ان تصيبك منه غرة أو غفلة فاني لا أحسب الملك حين يدخل عليه الا سيعرف انه قد هم بعظيمة ومن علامات ذلك انك ترى لونه متغيرا وترى أوصاله ترعد وتراه ملتفتا يمينا وشمالا وتراه يهز قرنيه فعل

وصنعتي

وصنعتي راعي وسبب محبتي ضياعي ولي صاحب اسمه أقرق من دشت قفجاق بن شقرق كنت في خدمته راعي ماشيته فاضلات رعيتي وضيعت حق حرمتي فانا أطاب ولي نعمتي لامحو من وصمة الجفاء سيمتي فهذا شأني وجل بغيتي قال الزنيم أنا من حين شاهدت في وجهك الانوار علمت انك يسار وانك معدن الذكاء والالقاب تنزل من السماء وما طلبك لصاحبك ورعيتك فانه دال على كمال مروأتك ولا ينكر لك الوفاء فان بينك وبينه الوفاء مقام الصدق والصفاء ولم يقع بينكما قط بعد ولا جفاء وشهرتك بحمد الله بجميل الصفات التي قلما تجتمع في زكى الذوات ولا تصفو الا للاولياء والبررة البرز من الاصفياء من المسكنة والقناعة والجراءة والشجاعة وحفظ العهود والوفاء وكسر النفس والصفاء وعدم الحقد والحسد واطراح العجب والنكد والحراسة والسهر وقيام الليل الى السحر والتودد الى الناس حتى قال فيك ابن عباس كلب أمين خير من صديق خؤن وعندك من التهذيب وقبول التعلم والتأديب ما يصير صيدك مذكى وسنك كالشفرة مزكى وفي شانك يا ذا الوفاء والمنفعة قال الحرث بن صعصعه

وما زال يرعى ذمتي ويحوطني * ويحفظ عرسي والخليل يخون

فيا عجبا للخل يهتك حرمتي * ويا عجبا للكلب كيف يصون

ومن هذا الضرب ما رواه أحمد بن حرب عن ذي العتاب منادم الكلاب ان الكلب يكف عني أذاه ويكفيني أذى سواه ويشكر قليلي ويحفظ مبيتي ومقيلي فهو من بين الحيوان خليلي ثم قال أحمد بن حرب تمنيت والله أن أكون مثل هذا الكلب لاحوز هذه الصفات وأرقى هذه الدرجات وأرجو الله تعالى ان يعطفك علي ويقلب قلبك ووجهك الي بحيث ترغب في صحبتي وتميل الى صداقتي فترى اذ ذاك مني بحمد الله تعالى من الاخوة والصداقه والمروأة والرفاقه ما تنسى به كل صديق وتفضل به الصاحب الجديد على العتيق فتترك سائر أصحابك وتلتهي بي عن أعز أوليائك وأحبابك خصوصا بني آدم الذين أنت بهم أعلم من أذهبت عمرك في خدمتهم والقيام بحقوقهم وحفظ حرمتهم وحراسة مواشيهم ودورهم وكمال فضلك في حياطة بيوتهم وقصورهم ورعاية رعيانهم وصيانة أهلهم وجيرانهم مع قناعتك منهم بما يفضل عنهم من كسرة خبز شعير أو عظم يابس كسير أو فضلة مرقة قدير واضاعتهم حقوق خدمتك ونسيانهم موجبات شفقتك حتى لو وصل فمك الى زادهم أو الى شيء من عتيد عتادهم رمولك بالحطب ورضوا رأسك بالحجاره والخشب ولو ولغت في انائهم أو شربت من مائهم ما قنعوا في تنظيفه وتطهيره وتشطيفه بمرة ولا مرتين ولا اكتفوا في ازالة لعابك بالعين بل دونوا الغسل بالحساب وعفروا الوعاء بالتراب ويعدون ذلك من التعبد ولا يرعون ما لك من تحبب وتودد وأنا أرجو ان ترتفع منزلتك وتعلو درجتك ويساعدك رب العرش حتى تصير سلطان السباع وملك الوحش واجتهد في هذه القضية الى أن ابلغ هذه الامنيه وأكون السبب في ذلك الى ان تصير رئيس الممالك فان لك علي حقا قديما وفضلا جسيما طالما نمنا آمنين في ظل حراستك ورعينا مسرورين مكتوفين بحياطتك وأجلنا منسك في الخاطر كما قال الشاعر

بقاؤك فينا نعمة الله عندنا * فنحن بأوفى شكرها نستديمها

قال يسار يا أخي جميع ما قررته صحيح مقبول داخل في الفضل خارج عن الفضول ولكن أنا من جنس السباع مجبول على ما لهم من الطباع ومع هذا فانا عدوهم وبسببي يزول هدوهم وأنا لم أعادهم الا فيكم ولا لي واد الا في واديكم فان تربيتي بينكم وعيني مقارنة عينكم وأنا اليكم أقرب مني اليهم ومعولي عليكم دون معولي عليهم وعلى هذا وجدت آبائي وأجدادي ونشأت من حين ميلادي والخروج عن طريقة الآباء دليل على العقوق والاباء وهو أمر مذموم وهذا شيء معلوم وقد قال صاحب الشرع الحب يتوارث والبغض يتوارث ولكن يا سليم الطباع وخصيب الرباع قولك تصير سلطان السباع سخرية مني واستهزاء ولا أستحق منك هذا الجزاء ومعنى هذا القيل أمر مستبعد بل مستحيل ان أبا طاهر نجس العين فاني من أين

الذي هم بالنطاح والقتال قال الاسد سأكون منه على حذر وان رأيت منه خبرا يدل على ماذكرت علمت ان مافي أمره شك فلما فرغ دمنه من تحميل الاسد على الثور وعرف أنه قد وقع في نفسه ما كان يلتمس وان الاسد سيتحذر الثور ويتهيأ له أراد ان يأتي الثور ليغريه بالاسد وأحب ان يكون اتيانه من قبل الاسد مخافة ان يبلغه ذلك فيتأذى به فقال أيها الملك ألا آتي شتربه فانظر الى حاله وأمره وأسمع كلامه لعلي ان أطلع على سره فاطلع الملك على ذلك وعلى ما يظهر لي منه فاذن له الاسد في ذلك فانطلق فدخل على شتربه كالكئيب الحزين فلما رآه الثور رحب به وقال ما كان سبب انقطاعك عني فاني لم أرك منذ أيام ولعلك في سلامة (قال دمنه) ومتى كان من أهل السلامة من لا يملك نفسه وأمره بيد غيره ممن لا يوثق به ولا ينفك على خطر وخوف حتى ما من ساعة تمر ويأمن فيها على نفسه قال شتربه وما الذي حدث (قال دمنه) حدث ما قدر وهو كائن ومن ذا الذي غالب القدر ومن ذا الذي بلغ من الدنيا جسيما من الامور فلم يبطر ومن ذا الذي بلغ مناه فلم يغتر ومن ذا الذي تبع هواه فلم يخسر ومن ذا الذي خادن النساء فلم يصب ومن ذا الذي طلب من اللئام فلم يحرم ومن ذا الذي خالط الاشرار فسلم ومن ذا الذي صحب السلطان فدام له منه الامن والاحسان ولقد صدق الذي قال مثل السلاطين في قلة وفائهم لمن صحبهم وسخاوة انفسهم

وهذا الهوس من أين فان أردت اعانتي على ذلك و تكفلت لي برياسة الممالك فكلانا في هذا الهوى سواء وان صممنا على ذلك فما لجنوننا دواء وهذا الوسواس من خيالات الافلاس وفي مثل هذا الحال قال من صدق في المقال * لا تخيل عندك تهديها ولا مال * وأنا أعلم انما تتكلم بما يطيب خاطري و يسر سرائري و يقربك في الحب من ضمائري قال المشرقي لا تقل ذلك يا تقي فانا شاهدت في جبينك مخايل السياده ومن شمائلك تقاطر السعاده وقد قيل يا فضيل المرء يطير بهمته كما يطير الطير بجناحه أما بلغك يا خبير عالم مار واه الشيخ علاء الدين بن غانم ذو الفضل الكثير عن تاج الدين بن الاثير قال يسار أخبرني من هذه الاخبار (قال) قال ابن الاثير وهو بالرواية خبير بحر زائد المعاني عن الامير حسام الدين البركة خاني قال كنت في عصر الشباب اصحب من صالحي الشباب الملك المظفر قطر الغضنفر وكان خشداشي وبرؤيته انتعاشي فكنا ونحن صبيان كانا طبيان غير انا كنا في قله فكنت أفلي قمله وأسرح رأسه واذهب بأسه وتقدمت اليه بالشرط عليه أن يعطيني لكل قملة فلسا أو أصفعه صفعة ملسا ففي بعض الاوقات أخذت عنه قملا كثيرا وصفعته صفعات وقلت في غضون ذلك ونحن في حال حالك أتمنى على الله عز وعلا ان يعطيني امرة خمسين رجلا فقال لي طيب خاطرك وسر سرائرك فاني أبلغك سولك وأعطيك مسؤلك وأجعلك أمير خمسين فارسا فابشر ولا تكن عابسا فصفعته صفعه وقلت ويلك أنت تعطيني امرة ورفعه قال نعم وأعمرك بالنعم فصفعته أخرى وازددت نكرا فقال لي علة ونحس المسله يا قليل اليقين أتريد شيأ غير امرة خمسين أنا والله أعطيك وأعليك على ذويك فقلت ومن أين لك تعطيني وترضيني فقال أملك هذه الديار وأكسر التتار وأحل الكفرة والعلوج دار البوار فقلت له يا مفتون أنت مجنون أبقملك وقلك وفقرك وذلك تملك الديار المصريه وتصير سلطان البريه قال نعم ولا تعمل زعم فاني رأيت في المنام النبي عليه الصلاة والسلام وقال لي أنت تملك الديار المصريه وتكسر التتر ولا شك فيما يخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من خبر قال فامسكت عنه لاني كنت أعرف الصدق منه ثم تقلبت به الاحوال وتنقل الى ان بلغ الكمال وملك هذه الديار ثم كسر على عين جالوت التتار واعطاني ما وعدني به وارضاني (وانما أوردت) هذا المثال لتعلم ان سلطنتك غير محال وأنا أرجو الله تعالى ان ييسر لي القيام بجميع ما قلته لك يا امام وأنا أجلسك على السرير وأقيم في خدمتك الكبير والصغير وارفع راية مراسمك وانفذ أوامرها في ممالكك وأقاليمك واجعل جنود الوحش تحت رايتك وأقاليم القفار كلها تحت ولايتك ولكن بشرط ان تتبع ما أراه ولا تخرج عن طوره ولا تتعداه وتعمل بكل ما أشير اليه ومهما أرشدتك اليه تعول عليه فقال انا طوع يديك و جميع أموري منك واليك فقل فاني سامع ولامرك طائع فانهض وعاني هذه الاماني عسى يصير هذا الباطل حقا و ينقلب هذا الكذب صدقا وقل ما تقتضيه لاتبعه وارتضيه قال ترجع عما أنت عليه من الاخلاق السبعيه والاوصاف الكلبيه من الحرص والشره والتكالب والنره والنفس المتنمره والطبيعة المذمره وتصوم عن الدماء واللحوم وعن تمزيق الحيوانات وتفريق الجماعات وتحمل النفس على الاخلاق الجميلة والتلبس بالاوصاف الفضيلة من العفة والكرم والعفو عن ظلم والقناعة بالنبات عن لحوم الحيوانات ومعاملة الكبير والصغير بالفضل الكثير والبذل الغزير وتلافي خاطر الحقير والفقير ليسهل العسير و ينقاد لك المأمور منهم والامير وهذا أمر عليك يسير وهذا لانك طالما جرحت جوانحهم وكسرت جوارحهم واصطدت سارحهم وأبدت بارحهم فهم منك متخوفون والى الايذاء والضر منك متشوفون واذا رأوا شيأ خلاف العاده وعلموا أنه لا ينالهم الا الحسنى وزياده وأصابوا الخير من مواقع الضير ورأوا ما سر من مواضع الشر والضر تشرب محبتك منهم الكبير والصغير وامكنك أن يراك من الوحوش الغني والفقير فيتخذك الغريب حبيبا ويصير البعيد منك قريبا فتصيد بالمحبة أرواحهم كما كنت أولا تصيد أشباحهم

بن فقدوا من قرنائهم كمثل البغي كلما فقدت واحدا جاء آخر قال شتربه انى أسمع منك كلاما يدل على انه قد رابك من الاسد ريب وهالك منه أمر (قال دمنه) أجل لقد رابني منه ذلك وليس هو في أمر نفسي قال شتربه ففي نفسي ما رابك (قال دمنه) قد تعلم ما بيني و بينك وتعلم حقك علي وما كنت جعلت لك من العهد والميثاق أيام أرسلني الاسد اليك فلم أجد بدا من حفظك واطلاعك على ما اطلعت عليه مما أخاف عليك منه قال شتربه وما الذي بلغك (قال دمنه) حدثني الخبير الصدوق الذي لا مرية في قوله ان الاسد قال لبعض أصحابه وجلسائه قد أعجبني سمن الثور وليس لي الى حياته حاجة فانا آكله ومطعم أصحابي من لحمه فلما بلغني هذا القول وعرفت غدره وسوء عهده أقبلت اليك لاقضي حقك وتحتال أنت لامرك فلما سمع شتربه كلام دمنه وتذكر ما كان دمنه جعل له من العهد والميثاق وفكر في أمر الاسد ظن ان دمنه قد صدقه ونصح له ورأى ان الامر شبيه بما قال دمنه فاهمه ذلك وقال ما كان للاسد أن يغدر بي ولم آت اليه ذنبا ولا الى أحد من جنده منذ صحبته ولا أظن الاسد الا قد حمل علي بالكذب وشبه عليه أمري فان الاسد قد صحبه قوم سوء وجرب منهم الكذب وأمور اهي تصدق عنده ما بلغه من غيرهم فان صحبة الاشرار ربما أورثت صاحبها سوء ظن بالاخيار وحملته تجربته

واذا

واذا ضرب صيتك فى الارض وتردده بالطول والعرض وتسامعت بك الوفود وتحققوا انك عدلت عن خلائك المعهود أقبلت اليك منهم الجنود وزان جيد جنودهم من جواهر محبتك عقود وانعقدت بينكم بالمحبة والولاء عقود العهود فتوفرت اذ ذاك جنودك وعلت على رؤس الاقران راياتك وبنودك وجعلوا دارك مأواهم وجمالك مصيفهم ومشتاهم مع ان هيبتك فى قلوبهم مركوزه وأسنة مخافتك فى أحشائهم من قديم الزمان مغروزه وأعلى من فيهم يهابك ويخشاك ويتوقى مكانك ويتحاشاك قال يسار اعلم يا خير سار ان حبال الآمال ومطامع الخيال مالم تتعلق بمأمول ولم ترتبط باطراف سول فالنفس ساكنه والروح مطمئنة هادئه والقلب فرح والخاطر منشرح اذ الطمع ذل وشين واليأس احدى الراحتين ومتى تعلقت بذيل المطامع مخاليب الآمال وبلغت الى حصول مأمول الخيال وقامت النفس فى تحصيله وتحركت الجوارح لنيل مأموله وانبعثت الهمة الى ادراكه وتعلق القلب بسير أفلاكه توزعت الافكار وتفرقت وتمزعت الخواطر وتمزقت وركب لذلك كل صعب وذلول وتقاذفت النفس فى كل مخوف ومهول وتقلدت بحمائل قول القائل

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فاول ما يجنى عليه اجتهاده

ثم اذا لم يحصل المأمول ولم تبلغ والعياذ بالله النفس السول مع بذل هذا الجهد والمبالغة فى السعى والكد ومقاساة التعب ومعاناة النصب ترادف النكد وتضاعف السهد وصارت النفس لهذا لبدد وكان فى جيد حياتها من فوات المقصود حبل من مسد فلا تزال بين تشويش ضمائر وتقسيم خاطر وفكر غائب وهم حاضر وهذا الامر الذى عزمت عليه وهممت بالترقى الى الوصول اليه الى عدم الحصول أقرب منه الى الوصول وأنا أخاف وذا غير خاف ان يغرنا الطمع فى هذه الحركه فينتزع من فراغ أوقاتنا البركه ولا نحصل الا على مثل ما حصل لمالك الحزين من السمكه قال لزنيم نبئنى أيها العليم بذلك المثل القويم (قال) بلغنى انه كان فى مكان مكين ماوى لمالك الحزين وفى ذلك المكان غياض وغدران تضاهى رياض الجنان

حكى بانها قد الحبيب تمايلا * فعن وفى هذا الجنون تفننا

فدار عليه النهر وهو مسلسل * فقيده اذ قد جنى وتجننا

وفى مياهه من السمك ما يفوق سابحات السماك فكان ذلك الطير فى دعة وخير يزجى الاوقات بطيب الاقوات وكلما تحرك بحركه كان فيها بركه حتى لو غاص فى تلك البحار والغدران لم يخرج الا وفى منقاره سمكه فاتفق انه فى بعض الآناء تعسر عليه أسباب الغداء وارتج لفوت قوته أبواب العشاء فكان يطير بين عالم الملك والملكوت يطلب ما يسد الرمق من القوت فلم يفتح عليه بشئ من أعلى السماك الى أسفل الحوت وامتد هذا الحال عدة أيام وليال فخاض يوما فى الرقراق يطلب شيأ من الارزاق فصادف سمكة صغيرة قد عارضت مصيره فاختطفها ومن بين رجليه التقفها ثم بعد اقتلاعها قصد الى ابتلاعها فتداركت زاهق نفسها قبل استقرارها فى رمسها فنادت بعد أن كادت ان تكون بادت ما البرغوث ودمه والعصفور ودسمه اسمع يا جار الرضا ومن عمر نافى صونه انقضى لا تعجل فى ابتلاعى ولا تسرع فى ضياعى ففى بقائى فوائد وعوائد عليك عوائد وهو أن أبى قد ملك هذا السمك فالكل عبيده ورعيته وواجب عليهم طاعته ومشيئته ثم انى واحد أبوى وأريد منك الابقاء على فان أبى نذر النذور حتى حصل له بوجودى السرور فما فى ابتلاعى كبير فائده ولا أسد لك رمقا ولا أشغل لك معده فتصير مع أبى الفضيل كما قيل فأفقرنى فيمن أحب ولا استغنى فالاولى ان أقر عينك وأعرف ما بين أبى وبينك فا كون سببا للعقود المصادقه وفاتحا لاغلاق المحبة والمرافقة ويحصل لك الجميلة والمنة التامة والفضيله واما أنا فاعاهدك ان أعتقتنى ومننت واطلقتنى ان أتكفل لك كل يوم بعشر سمكات بياض سمان ودكات تأتيك مرفوعه غير ممنوعة ولا مقطوعه يرسلها اليك أبى مكافأة لما فعلت بى من غير نصب منك ولا وصب ولا كد تتحمله

على الخطا كما البطة التى زعموا أنها رأت فى الماء ضوء كوكب فظنته سمكة فحاولت أن تصيدها فلما جربت ذلك مرارا علمت أنه ليس بشئ يصاد فتركته ثم رأت من غد ذلك اليوم سمكة فظنت أنها مثل الذى رأته بالامس فتركتها ولم تطلب صيدها فان كان الاسد بلغه عنى كذب فصدقه على وسمعه فى فما جرى على غيرى يجرى على وان كان لم يبلغه شئ وأراد السوء بى من غير علة ان ذلك لمن أعجب الامور وقد كان يقال ان من العجب كيف يطلب الرجل رضا صاحبه ولا يرضى وأعجب من ذلك أن يلتمس رضاه فيسخط فاذا كانت الموجدة عن علة كان الرضا موجودا والعفو مأمولا واذا كانت عن غير علة انقطع الرجاء لان العلة اذا كانت الموجدة فى ورودها كان الرضا مأمولا فى صدورها قد نظرت فلا أعلم بينى وبين الاسد جرما ولا صغير ذنب ولا كبيره ولعمرى ما يستطيع أحد أطال صحبة صاحب ان يحترس فى كل شئ من أمره ولا ان يتحفظ من ان يكون منه صغيرة أو كبيرة يكرهها صاحبه ولكن الرجل ذا العقل وذا الوفاء اذا أسقط عنده صاحبه سقطة نظر فيها وعرف قدر مبلغ خطئه عمدا كان أو خطأ ثم ينظر هل فى الصفح عنه أمر يخاف ضرره وشينه فلا يؤاخذ صاحبه بشئ يجد فيه الى الصفح عنه سبيلا فان كان الاسد قد اعتقد على ذنبا فلست أعلمه الا انى خالفته فى بعض رأيه بطرا منى ونصيحة له

ولاتعب فلما سمع البلشون هذا المجون اغراه الطمع فما بتلع فسها ولها ثم قال لها أعيدى هذه الرمزه فبمجرد مافتح فاه بالهمزه انفلتت السمكة منه بجمزه وغاصت الماء وتخلصت من بين فكى البلاء ولم يحصل ذلك الطماع الاقطع الاطماع (وانما أوردت) ياذا الدرايه هذه الحكايه لتتأمل عقبى هذا الامر قبل الشروع فيه وتتدبر منتهى أواخره فى مباديه فقد قيل أول الفكر آخر العمل (قال المشرقى) اعلم يامرتقى ان مبنى الامور فى مجاريها وقواعد ما أسس عليه مبانيها تقدير خالقها وتدبير باريها وما حكمه وقضاه وأحكمه وأمضاه لكنه كتمه وأخفاه فلا تدركه العيون والابصار بل ولا البصائر والافكار فانه علم غيب و جهلنا به ليس بعيب لانه تنزه أحدا صمدا قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا كما قيل

على المرء أن يسعى و يبذل جهده * وليس عليه ان يساعده الدهر

فان نال بالسعى المنى تم أمره * وان غاب المقدور كان له عذر

وان الله العلى الاعظم قد وضع أساس بنيان العالم على الاسباب وفتح لتعاطى الاسباب الابواب فقال ذو الجلال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وقال القائل

اذا ما كنت فى أمر مروم * فلا تقنع بما دون النجوم

يرى الجبناء أن العجز حزم * وتلك خديعة الطبع اللئيم

فطعم الموت فى شئ حقير * كطعم الموت فى شئ عظيم

وقال عليه الصلاة والسلام علو الهمة من الايمان والمرء يسعى فى تحصيل مرامه ولا يترك شيأ من أسباب تمامه فان ساعده القدر بقدره انقاد اليه مرامه بشعره وكان مصادمه مساعده ومقاومه معاضده كما قيل

واذا أراد الله نصرة عبده * كانت له اعداؤه انصارا

فيساعده اذ ذاك الكون والمكان و يمضى سهم أوامره رامى القضاء من قوس الزمان فيقيض له المساعد ويتعبد له المقارب والمباعد وحسبك ياذا الصوله مااتفق من السعد لعماد الدوله فسأله يسار عن سرد هذه الاخبار (قال) كان رجل صياد له ثلاثة أولاد كأنهم حلك وقوتهم السمك تقلبت بهم الاحوال حتى صار وا برياستهم على الدنيا الجمال وانتهوا الى الرياسه وساسوا الخلق أحسن سياسه وانتشر أمرهم وطاب فى الدهر ذكرهم ومما ملكوه العراقان والاهواز وفارس ومن مدنها شيراز أكبرهم أبو الحسن على بن بويه الملقب بعماد الدوله وكان فى السلطنة ذا جولة وصوله ولما انتهت أيام خموله واتصل بالسعد أسباب وصوله حل ركابه بشيراز وصعد الى حقيقة الملك من المجاز ووفدت عليه الوفود وأحاطت به جموع الجنود وطالبه أهل المراتب بالرواتب والروامك بالجوامك والرفاق بالانفاق والاجناد بالارفاد وأرباب الولايات بالخلع والجرايات وأصحاب الانعامات بالنفقات والانعامات ولم يكن فى خزائنه من ظاهر المال و باطنه ولا فى ذخائره من ظاهر الرفد وضمائره مايسد رمقهم و يرد شرقهم فترا كمت همومه وتصادمت غمومه وتوالت أفكاره وتجاذب به من بحر الحيرة دردوره وتياره لان أمره كان فى مباديه وليل سعده فى هواديه وقد قصرت عن طول الطول أياديه وأشرف أمره على الاختلال وملكه على الاضمحلال و وقع فى يوم لابيع فيه ولاخلال فدخل الى مكان خال وهو مشغول البال فاستلقى فيه على ظهره وغرق فى بحار فكره فبينما هو يلاحظ السقوف وأفكاره بين تردد ووقوف واذا بحية عظيمة جثة جسيمة من السقف خرجت ودرجت وفى مكان آخر ولجت فوثب واقفا ورقب خائفا لئلا تسقط عليه و يصل اذاها اليه ودعا الفراشين وجماعة فتاشين بمعاول النباشين وأمرهم بنصب السلم والفحص عن الارقم وتتبع آثارها واطفاء شرارها فصعدوا الحيطان وحفروا ذلك المكان وخرقوا سقفه فانفتحت لهم غرفه كانت مخبأة لمن تقدمه وضع فيها دينار ه ودرهمه وفيها عدة صناديق محكمات التوفيق والمعاليق فاطلعوه على تلك الخبيه وانتهوا عن طلب

فعساه أن يكون قد انزل أمرى على الجراءة عليه والمخالفة له ولا أجدلى فى هذا المحضر انما مالانى لم أخالفه فى شئ الا ماقد ندر من مخالفة الرشد والمنفعة والدين ولم أجاهر بشئ من ذلك على رؤس جنده وعند أصحابه ولكنى كنت أخلو به وأكلمه سرا كلام الهائب الموقر وعلمت انه من التمس الرخص من الاخوان عند المشاورة ومن الاطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة اخطأ منافع الرأى وازداد فيما وقع فيه من ذلك تورطا وحمل الوزر وان لم يكن هذا فعسى أن يكون ذلك من بعض سكرات السلطان فان مصاحبة السلطان خطرة وان صوحب بالسلامة والثقة والمودة وحسن الصحبة وان لم يكن هذا فبعض ما أوتيت من الفضل قد جعل لى فيه الهلاك وان لم يكن هذا ولا هذا فهو اذا من مواقع القضاء والقدر الذى لا يدفع والقدر هو الذى يسلب الاسد قوته وشدته و يدخله القبر وهو الذى يحمل الرجل الضعيف على ظهر الفيل المغتلم وهو الذى يسلط على الحية ذات الحمة من ينزع حمتها ويلعب بها وهو الذى يحرم العاجز و يثبط الشهم ويوسع على المقتر ويشجع الجبان و يجبن الشجاع عندما تعتريه المقادير من العلل التى وضعت عليها الاقدار (قال دمنه) ان ارادة الاسد بك ليست من تحصيل الاشرار ولا سكرة السلطان ولا غير ذلك ولكنها الغدر والفجور منه فانه فاجر وان غدار لطعامه

الجبة الجبيه فأمرهم فنقلوها اليه ووضعوها بين يديه فاذا فيها من الذهب النضار خمسمائة ألف دينار فعرف ان ذلك عناية ربانية ومواهب صمدانية رحمانيه فصرف المال فى اصلاح حاله وبذره فى مزارع قلوب خيله ورجاله فثبتت أوتاده واستقامت أجناده وقويت سواعده وأعضاده وكان أمره قد أشرف على الاختلال وعقد نظامه على الانفراد والانحلال وكان من تمام هذه السعاده وتعقيب هذه الحسنى بالزياده أن الملك المذكور بعد هذه الامور وحصول هذا السرور وانتظام مصالح الجمهور أراد تحصيل قماش وخياطة خلع وزياش فطلب خياطا ثقه ليقلده هذه المنطقه فارشد الى خياط ماهر شكله زاهر وفضله ظاهر وحذقه فى صناعته باهر الا انه اطروش حقل سمعه بدبى الوقر مدبوش فما يصل ذلك الكلام الى سرير صماخه الابزمر وطبل وجاووش فدعاه فاجلسه بين يديه وطلب الثياب ليعرضها عليه فتصور الخياط انه سعى به اليه بسبب وديعة كانت لصاحب البلد لديه وانما طلبه ليطالبه فاما ان يؤديها أو يعاقبه فتقدم باليمين مثل المصارعين واقسم بالله خالق المخلوق ورازق المرزوق انها اثنا عشر صندوق لم يشعر بها مخلوق وانه لايدرى مافيها وانها مختومة بختم معطيها فتعجب عماد الدولة من كلامه وسجد لله شكرا على انعامه ثم وجه معه من أتى بها ودخل الى بيوت مافيها من أبوابها فكانت مافيها من الاموال ونفائس القماش العال بجمل متكاثره وأصناف متوافره واستولى على ذلك كله وثبت بواسطة المال فى ركاب الملك واطئ نعله (وانما أوردت) هذا التنظير ياذا الرأى والتدبير لتعلم أن مسبب الاسباب وميسر الامور الصعاب اذا دبر مصالح عبده وشمله باحسانه ورفده هون عليه كل عسير وصغر عنده كل كبير وأنت بكل هذا بصير قال يسار صدقت وصوابا نطقت ولكنى نظرت الى الدنيا ورزت أحوالها لسفلى واعليا ورأيت كلما زاد الشخص حرصا وطمعا ازداد لنفسه عبودية وتبعا وللدنيا رقا وللآخرة شقا فصارت قيوده أثقل وحسابه أشد وأطول وهمومه أتم وغمومه أعم وان الواثق بالدنيا والراكن الى مافيها من أشيا كالجاعل له من السحاب حصنا ومن الحباب كما وأى وقاية تحصل من السحاب وأى ايواء يصدر من الحباب ومن تأمل الدنيا بعين التبصر وتفكر فى تقلباتها بعين العقل والتدبر عد جمعها شتاتا ووصلها انبتاتا ومجيئها ذهابا وشرابها اسرابا واقبالها ادبارا ونسيمها اعصارا وعطاءها أخذا وعهدها نبذا وصلتها فلذا ووهبها نهبا وايجابها اسلبا وحربها اسلما ووجودها عدما وكثرتها قلا وعزها ذلا وضحكها نياحه وطلاقها راحه فلم يكن عنده أحسن من فراقها ولا أرصن من طلاقها والقناعة منها بالكفاف والرضا منها بالعفاف كسلك الفلاح صاحب الماشية واستراح فقال الزنيم أخبرنى كيف كان ذلك يا حكيم (فقال) ان مخدومى الذى كنت عنده أحفظ ماشيته وعبده كان ذا ثروة عظيمه وأموال كثيفية جسيمة وكانت ماشيته لاتزيد فى القياس عن ألف راس وان حصل من النتاج المعهود مايزيد على هذا القدر المعدود تصدق به أو باعه أو وهبه لبعض الجماعه ولو أراد لجعلها ألوفا مؤلفه وأضعافا مضاعفه وكان فى الجيران والاصحاب والاخوان من هو أقل منه مالا وأقصر باعا وأضيق مجالا له الالوف من المواشى وكذلك من الخدام والحواشى وهم فى كل وقت فى ازدياد وتضاعف الاعداد من الاصول والاولاد ومخدومى لايقصد الزياده وان زاد شئ أباده فقال له الراعى وكان عليها أشفق ساعى يامخدوم مالك لاتريد ان تزيد مواشيك وحواشيك وتكثر بالرفق والرفد فواشيك وبالورود والاصدار غواشيك فان المواشى تزداد فوائدها وتتوفر عوائدها باعتبار زيادة أصولها وادرار منافعها ومحصولها وجيراننا كانوا أقل عددا من هذا المقدار فصاروا بالتوفير أكثر عددا فى الاغنام والابقار فزادوا على مواشينا بعد ان كان أوساطهم كحواشينا ولا أعرف لهذا موجبا ولا أدرى له سببا غير الاهمال وقصد تضييع المال فقال له مخدومى هذا محيط به معلومى ولكن أيها الولد اعلم ان أنواع العدد آحاد وعشرات وألوف ومئات فالوف غاية الاعداد اذا اعتبرنا التعداد والشئ اذا جاوز

حلاوة وآخره سم مميت قال شتربه فأرانى قد استلذذت الحلاوة اذ ذقتها وقد انتهيت الى آخرها الذى هو الموت ولولا الحين ما كان مقامى عند الاسد وهو آكل لحم وانا آكل عشب فأنا فى هذه الورطة كالنحلة التى تجلس على ورق النيلوفر اذ تستلذ ريحه وطعمه فتحبسها تلك اللذة فاذا جاء الليل ينضم عليها فترتبك فيه وتموت ومن لم يرض من الدنيا بالكفاف الذى يغنيه وطمحت عينه الى ماسوى ذلك ولم يتخوف عاقبتها كان كالذباب الذى لايرضى بالشجر والرياحين ولا يقنعه ذلك حتى يطلب الماء الذى يسيل من اذن الفيل فيضربه الفيل بآذنه فيهلكه ومن يبذل وده ونصيحته لمن لا يشكره فهو كمن يبذر فى السباخ ومن يشير على المعجب فكمن يشاور الميت أو يسار الاصم (قال دمنه) دع عنك هذا الكلام واحتل لنفسك قال شتربه باى شئ احتال نفسى ان أراد الاسد أكلى مع ماعرفتنى من رأى الاسد وسوء أخلاقه واعلم انه لو لم يرد بى الاخير ثم أراد أصحابه بمكرهم وفجورهم هلاكى لقدروا على ذلك فانه اذا اجتمع المكرة الظالمة على البرئ الصحيح كانوا خلقاء ان يهلكوه وان كانوا ضعفاء وهو قوى كما أهلك الذئب والغراب وابن آوى الجمل حين اجتمعوا عليه بالمكر والخديعة والخيانة (قال دمنه) وكيف كان ذلك قال قال شتربه زعموا ان أسدا كان فى أجمة مجاور الطريق من طرق الناس وكان له أصحاب ثلاثة ذئب وغراب وابن آوى

غايته وتعدى نهايته أخذ فى النقص واذا بلغ مداه تراجع بالنكص وقد قيل الشئ اذا جاوز حده شاكل ضده ومن لم يقنع بالقليل لم يرض بالجزيل ولقد أحسن المقال وصدق فيما قال من قال

وما الدهر الا سلم فبقدر ما * يكون صعود المرء فيه هبوطه
وهيهات مافيه نزول وانما * شروط الذى يرقى اليه سقوطه
فمن كان أعلى كان أوفى تهشما * وفاء بما قامت عليه شروطه

وكثيرا مارأيت وسمعت ووعيت عن أصحاب الالوف القاصدين الازدياد المألوف نزلت ألوفهم الى الواحد من الآحاد فاستولى عليهم لذلك الهموم والانكاد فتكدرت خواطرهم واشتغلت ضمائرهم وأما أنا فلم أعلم أن ألفى نقص ولا جارى حلبة مداه نكص فاذا عدا غايته ألزمته نهايته وكبحت جامح طرفه وكففت طامح طرفه طلبا للراحه ورغبة فى الاستراحه

فكم دقت ورقت واسترقت * فضول العيش أعناق الرجال

(وانما) أوردت هذا التمثيل لتعلم بهذا التفضيل انى مادمت له خادما وفى صف الخدمة قائما ولم أتعد طورى وهو مقام الخادمية الى ماليس لى وهو مقام المخدومية فأنا مستريح ولغيرى مريح ونفسى مطمئنه وجوارحى عن طيش السعى مرجحنه وأصحابى أحبابى وأحبابى أصحابى والخواطر صافيه والمحبة وافيه والصداقة باقيه ومياه المودة فى رياض الارواح صافيه وفى عروق الاشباح واقفة جاريه فاذا رمت مع وجود هذه الحسنى الزياده وقصدت التعدى الى ماليس له بعاده فأنا بين أمرين متقلب على جمرتين اما عدم الحصول والانقطاع عن الوصول فتتضاعف المكدرات وتترادف المقسمات وبحسبها تتصل الهموم وتحصل الغموم كما مر سالفا وذكر آنفا وأما الظفر بالمراد على حسب مايراد فبقدر ذلك يقع الصداع ويقوم التحاسد والنزاع وأول ذلك معاداة الاصحاب ومعاناة الاحباب ومقاسات الاتراب وحصول الضغائن وبروز المكامن بواسطة الترفع عليهم وصدور المراسيم والتقدم بامتثالها اليهم فالاولى بحالى التفكر فى مآلى والالائق بشورى أن لا أتعدى طورى ولا أتورط فى هذا البحر العميق والبئر الغميق ولا أخرج عن سواء الطريق فتهوى بى طير الهواء فى مكان سحيق

وانى بسار خائف أن يردنى * زمانى بما لاقى يسار الكواعب

قال المشرقى أبو زغبه ما أحسن هذه الكلمه وأعين هذا النظر وأرصن هذه الفكر وأدق معانى هذه المبانى ولكن اذا رفعك الله من ضعك واذا أعطاك من عنعك وقد قال ذو الجلال مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لامانع لما أعطيت

وكل الناس تطلب المعالى * ونفس الحر تأبى أن تضاما

فلما بلغ بهما الكلام الى هذا المقام قال يسار اعلم يافحل الفحول وامام المعقول والمنقول انى مابلغت فى الامتناع الالاقف على مافيك من طباع أسير ثبوت قدمك ونبات كلك وراء كلك فلقد وجدتك فى هذا الامر الخطير فوق مافى الضمير وفى مواطن الاختبار أثبت جنانا من ابن الليث الصفار فانهض لقصدك وحركته على خيرة الله تعالى وبركته فانى وضعت عنان جوح هذا المرام فى يد تدبيرك وجعلت واسطة هذا العقد جوهرة تفكيرك وسلك نظامه ونظام قلادته جودة تصويرك فانك أهل لذلك وبرأيك تقتدى المسالك فابتهج أبو زغبة بهذا المقال ووثب قائما فى مقام الخدمة وقال حيث انشرح صدرك لكلامى فسترى فى وجهك مجالس قيامى وأنا أعلم ان معبودك سيبلغك مرامك ومقصودك ولكن يجب التيقظ وقبل الشروع التحفظ أما التيقظ فلامور يحملها الملك مقتدى ولا يغفل عنها أبدا كما فعل الملك الظاهر الموفق أبو سعيد جقمق حين اضطربت الاوامر واختلفت العساكر واصطدمت الامور وخرج عليه من عساكره الجمهور وقل المعين وذلك فى سنة اثنتين وأربعين فعصى تنكرى وتترس فى حلب وقام بالرا كمقا الجاب

موضع كذا قال فما حاجتك قال ما يأمرنى به الملك قال تقيم عندنا فى السعة والامن والخصب فأقام الاسد والجمل معه زمنا طويلا ثم ان الاسد مضى فى بعض الايام لطلب الصيد فلقى فيلا عظيما فقاتله قتالا شديدا وأفلت منه مثقلا مثخنا بالجراح يسيل منه الدم وقد خدشه الفيل بانيابه فلما وصل الى مكانه وقع لا يستطيع حراكا ولا يقدر على طلب الصيد فلبث الذئب والغراب وابن آوى أياما لا يعدون طعاما لانهم كانوا يأكلون من فضلات الاسد وطعامه فأصابهم جوع شديد وهزال وعرف الاسد ذلك منهم فقال لقد جهدتم واحتجتم الى ما تأكلون فقالوا لا تهمنا أنفسنا لكنا نرى الملك على مانراه فليتنا نجد ماياكله ويصلحه قال الاسد ما أشك فى نصيحتكم ولكن انتشروا لعلكم تصيبون صيدا تأتونى به فيصيبنى ويصيبكم منه رزق فخرج الذئب والغراب وابن آوى من عند الاسد فتنحوا ناحية وتشاوروا فيما بينهم وقالوا مالنا ولهذا الآكل العشب الذى ليس شأنه من شأننا ولا رأيه من رأينا الا نزين للاسد فيأكله ويطعمنا من لحمه قال ابن آوى هذا مما لا نستطيع

ذكره للاسد لانه قد أمن الجمل وجعل له من ذمته عهدا قال الغراب انا أكفيكم أمر الاسد ثم انطلق فدخل على الاسد . . . ويقال

وابنال الحامي بالشام وكاتبه الطغام والعظام وهرب بالقاهرة العزيز وأزت الشياطين فاشتد الازير
وتخبط بالصعيد العربان وتشافى عساكر الاسلام الطربان فسفه الحليم وجار الحكيم وضل كل ذي رأي
قويم فثبت الملك الظاهر جاشه وتعرف الى الله تعالى فازال استيحاشه وأصفى سرائره ولم تزل سيرته
ظاهره فكان الله عونه وناصره فاطفأ بادنى لطفه شواظ تلك النائرة وقد ربط ذلك في سيرته الظاهره
فتبدل الجحيم بالنعيم ورفع الله تعالى عن الاسلام والمسلمين العذاب الاليم كل ذلك بثبات القدم وعلو الهمم
ولم تحصل هذه الفعلة الذكية الراجحة الا بالطوية الطيبة والنية الصالحة وأما التحفظ فمن مواد شرور
ملابسيه الجهور منها الحقد والملال والكذب في المقال والحسد والاحتيال فان الحقود وقود والحسود
لا يسود والكذوب يذوب والملول لا يطاول والمحتال مغتال وباقي النصائح الذكية الرواجح تأتيك
بالسعد فيما بعد وأنا الآن أقدم البيان وأذكر الاهم وما فائدته أعم قبل الشروع أمام المقصود
وهو تأكيد مواثيق العهود فانه اذا حفتك الجنود وأحاط بك أرباب الرايات والبنود وأنت جالس على
السرير وفي خدمتك المأمور والامير والكبير والصغير يعسر علي استيفاء الخطاب واستيعاب الجواب
ولا يليق بعظمتك ومقام حرمتك اطالة الكلام ولو اقتضاه المقام خصوصا بحضور الخاص والعام ولو كان
المتكلم أعز الخدام وأقرب الاقوام فلا اقدر ان أتجرأ عليك وأنهي جميع ما أريد اليك لان قصد
الخادم اقامة حرمة مخدومه والمبالغة في حفظ ناموسه وتعظيمه وكثرة الكلام تعكس عن هذا القصد
وتدفعه وأما في هذا الوقت فان كثير كلامي لا يورث شيأ من المقت فلا حرج على كلامي كيفما خرج قال
يسار بارك الله فيك وابقاك لذويك فما ادق نظرك وأحسن في عواقب الامور فكرك واصوب غوصك
على جواهر الانتقاد واغرب بوصلك الى زواهر الاعتقاد فقل ما بدا لك مما بين حالي وحالك فان حرمتي
حرمتك وحشمتي حشمتك فان عظمتني فقد عظمت نفسك وان وفرت مالي فقد زدت كدسك والخادم
اذا لم يقصد رفعة مخدومه ويعد ذلك من أكبر همومه ويسعى فيه ساعة فساعه وفي كل مكان وعند كل جماعه
والا فيدل ذلك على خساسة مقداره وقصور نظره ولؤم نجاره وركاكة همته واستبذال حرمته فقال
أبو زغبه أول شروطي يا ذا العظمه ان لا تقرب المؤذين ولا تلتفت الى الاشرار المغتابين ولا تضيع الاوقات
في الاصغاء الى القينات ولا تسمع كلام واش وتعد كلامه أقل من لاش ثانيها ان لا تعجل في فصل الحكومات
بل تتعاطاه بالتفتيش والالتفات الى ان تتجلى صورتها وتتعين حقيقتها فاذا وضحت لديك وتجلت مخدرة
حقيقتها عليك اجهد فيها بالصدق واعمل بما يقتضيه الحق ثالثها ان لا تعوّد لسانك الفحش والبذاءة فان
في ذلك على الملك اسوأ اساءه فان الكلام يؤثر في القلوب وينفر من قبيحه الطالب والمطلوب وقد قيل

جراحات السنان لها التئام * ولا يلتام ما جرح اللسان

وقد قيل ان عيسى عليه السلام مر بجماعة في بعض الايام فصادفوا كلبا أجرب فقال له سلمك الله اذهب
فقال كل من أصحابه مما كان معي في جرابه من الاستنقاص وطلب البعد عنه والمناص وما سلموا الى
عيسى حاله بل سالوه عن كلامه ونادعاله فقال اني عودت لساني ببيان ما في جناني وهو المقاصد الحسنه
وترك الالفاظ والعبارات الخشنه وقيل انه مر في بعض الاوقات ومعه جماعات بكلب من الاموات ملقى
على مزبلة في جملة القاذورات فوضع كل منهم يده على خطمه وتسكم في رائحته عند شمه فقال عيسى عليه
السلام ما أحسن بياض أسنانه فقيل له بما سمع من بيانه فقال عودت لساني بلفظ الخير وان لا يتكلم بما
فيه ضير وكما يجب على الملك كف اللسان الفصيح عن الكلام البذي القبيح كذلك يجب عليه ان لا يصغي اليه
ويتأمل قول الشاعر وسمعك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به

فقال له الاسد هل أصبت شيأ قال الغراب انما يصيب من يسعى ويبصر وأما نحن فلا سعي لنا ولا بصر لما بنا من الجوع ولكن قد وفقنا
لرأي واجتمعنا عليه ان وافقنا الملك فنحن له مجيبون قال الاسد وماذا قال الغراب هذا الجمل آكل العشب المترع بيننا من
غير منفعة لنا منه ولا رد عائدة ولا عمل يعقب مصلحة فلما سمع الاسد ذلك غضب وقال ما أخطأ رأيك وما أعجز مقالك وما أبعدك من الوفاء والرحمة وما كنت حقيقا ان تجترئ على بهذه المقالة وتستقبلني بهذا الخطاب مع ما علمت من اني قد امنت الجمل وجعلت له من ذمتي أولم يبلغك انه لم يتصدق متصدق بصدقة هي أعظم اجرا ممن أمن نفسا خائفة وحقن دما مهدرا وقد امنته ولست بغادر به قال الغراب اني لاعرف ما يقول الملك ولكن النفس الواحدة يفتدى بها أهل البيت وأهل البيت تفتدى بهم القبيلة والقبيلة يفتدى بها أهل المصر وأهل المصر فداء الملك وقد نزلت بالملك الحاجة وأنا اجعل له من ذمته مخرجا على ان لا يتكلف الملك ذلك ولا يليه بنفسه ولا يأمر به أحدا ولكنا نحتال بحيلة لنا وله فيها اصلاح وظفر فسكت الاسد عن جواب الغراب عن هذا الخطاب فلما عرف الغراب اقرار الاسد أتى أصحابه فقال لهم قد كلمت الاسد في أكله الجمل على ان نجتمع نحن والجمل عند الاسد فنذكر ما أصابه ونتوجع له اهتماما منا بامره وحرصا

على صلاحه ويعرض كل واحد منا نفسه عليه تجملا ليأكله فيرد الآخران عليه ويسفهان رأيه ويبينان
الضرر في أكله فاذا فعلنا ذلك سلمنا كلنا ورضي الاسد عنا ففعلوا ذلك وتقدموا الى الاسد فقال الغراب قد احتجت أيها الملك الى ما يقويك ونحن

أحق ان نهب أنفسنا لك فانا بك نعيش فاذا هلكت فليس لاحد منا بقاء بعدك ولا لنا في الحياة من خيرة فلما كان في الملك فقد طبت بذلك نفسا
فاجابه الذئب وابن آوى ان اسكت فلا خير للملك في أكلك وليس فيك شبع قال ابن آوى لكن انا أشبع الملك فلما كان

فانك عند سماع القبيح * شريك لقائله فانتبه

ووجد في كتاب آداب الصحبة لابي عبد الرحمن السلمي بيت ثالث

وكم أزعج الحرص من طالب * يوافي المنية عن مطالبه

وهذا الامر بالخصوص لكل أحد معلوم على العموم وأما أكابر السلاطين والملوك الاساطين فهم أعلى مقاما أن يكون الفحش لهم كلاما وأن يجري في مجالسهم أو يسمع من محادثهم ومجالسهم وكل ملك اعتاد مجلسه فاحش الكلام اختل نظامه وعقده الخاص والعام ونفرت عنه قلوب رعيته وبحسب رغبة الرعيه تكون المملكة راضية مرضيه واذا نفرت قلوب الرعية كرهوه وتوقعوا غيره ليقوموا معه وينصروه واذا لم يوجد عقدوا الحقود واستمروا أذلاء كاليهود والبغضة كامنه والحسائف باطنه فتقدم العداوة وتتقدم وتتأكد وتتأزم واذا قدمت العداوه ذهبت من الصداقة الحلاوه فلابد يوما من الايام ان تبرز رأسها من جيب الانتقام واذا وجدوا فرصه وثبوا عليه وقصدوا قصه كما جرى للفريره مع الهريره قال يسار بن ابي هذه الاخبار (يقال) ذكر شخص معتبر من رواة الخبر ان في القديم كان رجل عديم وعنده قط رباه وأحسن مرباه فكان عنده كالولد الاعز وأكرم من ابن الفرات عند ابن المعتز وكان القط قد عرف منه الشفقه وألف منه المودة والمقه فكان لا يبرح عن مبيته ولا يسعى لطلب قوته فحصل له هزال وتغير ماله من أمر وحال لا عند صاحبه ما يغذيه ولا هو ذو قوة على الاصطياد تغنيه الى أن عجز عن الصيد فصار يسخر به من أراذل الفيران كل عمرو وزيد وصار كما قيل

خلت الرقاع من الرخا * خ وفرزنت فيها البيادق * وتسابقت عرج الحمير
فقات من عدم السوابق * وسطا الغراب على العقا * ب وصاد فرخ البوم باشق
سكتت بلابلة الربا * وأصبح الخفاش ناطق

وأيضا
واذا خلا الميدان من أسد * رقص ابن عرس وتوس النمس

وكان في ذلك المكان مأوى لرئيس الجرذان وفي جواره مخزن لسمان فاجتزأ الجرذان لضعف أبي غزوان وتمكن من نقل ما يحتاج اليه وصار يمر على القط آمنا ويضحك عليه الى ان امتلأ وكره من أنواع المآكل والمطاعم وحصل له الفراغ من المخاوف والمزاحم واستطال على الجيران واستعان بطوائف الفيران على العدوان فافتكر الجرذان يوما في نفسه فكرا أداه الى حلول رمسه وهو أن هذا القطوان كان عدوا قديما ومهلكا عظيما لكنه قد وقع في الانحلال وضعف عن الاصطياد لقوة الهزال وقوتي انما هي بسبب ضعفه وهذا الفتح انما هو حاصل بحتفه ولكن الدهر الغدار ليس له على حالة استمرار فربما يعود الدهر عليه وترجع صحته وعافيته اليه فان الزمان الكثير الدوران ينهب ويهب ويعطي ما سلب ويرجع فيما وهب كل ذلك من غير موجب ولا سبب واذا عاد القط الى ما كان عليه يتذكر من غير شك اساءتي اليه فيثور قلقه ويفور حنقه ويأخذ لاذاي والانتقام سهره وأرقه فلا يقر لي معه قرار فأحتاج بالاضطرار الى التحول عن هذه الديار والخروج عن الوطن المألوف ومفارقة السكن المعروف أمر صعب مشوم الكعب فلابد من الاهتمام قبل حلول هذا الغرام والاخذ في طريقة الاخلاص قبل الوقوع في شرك الاقتناص ثم انه ضرب اخماسا لاسداس في كيفية الخلاص من هذا البأس فأداه الفكر الى اصلاح المعاش بينه وبين أبي خراش ليدوم له هذا النشاط ويستمر بواسطة الصلح بساط الانبساط فرأى أنه لا يفيده ما يريده الا بزرع الجميل من كثير وقليل خصوصا في وقت الفاقه فانه أجلب للصداقه وأبقى في الوثاقه ثم بعد ذلك يترتب عليها العهود ويتأكد ما يقع عليه

الاتفاق

فيه فقد رضيت بذلك وطبت عنه نفسا فرد عليه الذئب والغراب بقولهما انك لمنتن قذر فقال الذئب اني لست كذلك فلما كان في الملك فقد سمحت بذلك وطبت عنه نفسا فاعترضه الغراب وابن آوى وقالا قد قالت الاطباء من أراد قتل نفسه فليأكل لحم ذئب فظن الجمل انه اذا عرض نفسه على الاكل التمسوا له عذرا كما التمس بعضهم لبعض الاعذار فيسلم ويرضى الاسد عنه بذلك وينجو من المهالك فقال لكن انا في للملك شبع وري ولحمي طيب هني وبطني نظيف فلما كان في الملك ويطعم اصحابه وخدمه فقد رضيت بذلك وطابت نفسي عنه وسمحت به فقال الذئب والغراب وابن آوى لقد صدق الجمل وكرم وقال ما عرف ثم انهم وثبوا عليه فمزقوه وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم انه ان كان أصحاب الاسد قد اجتمعوا على هلاكي فاني لست أقدر ان امتنع منهم ولا احترس وان كان رأي الاسد لي على غير ما هم عليه من الرأي في فلا ينفعني ذلك ولا يغني عني شيأ وقد يقال خير السلاطين من عدل في الناس ولو ان الاسد لم يكن في نفسه لي الا الخير والرحمة لغيرته كثرة الاقاويل فانها اذا كثرت لم تلبث دون أن تذهب الرقة والرأفة ألا ترى أن الماء ليس كالقول وان الحجر أشد من الانسان فالماء اذا دام انحداره على الحجر لم يلبث حتى يثقبه ويؤثر به وكذلك القول في الانسان (قال دمنه)

فماذا تريد أن تصنع الآن قال شتربه ما أرى الا الاجتهاد والمجاهدة بالقتال فانه ليس للمصلي في صلاته ولا للمتصدق في صدقته ولا للورع في ورعه من الاجر ما للمجاهد عن نفسه اذا كانت مجاهدته على الحق (قال دمنه) لا ينبغي لاحد أن يخاطر بنفسه وهو يستطيع غير ذلك

الا لاتفاق من العقود وهو أن يلتزم الجرذان أن يقوم لأبي غزوان في كل غداء من طيب الغذاء ما يكفيه لغداه وعشاه لان الشبع في الدرس قال خير المال ما وقيت به النفس الى أن يصح جسده ويرد اليه من عيشه رغده ويكون ذلك سببا لعقود الصداقه وترك العداوة القديمة المساقه وان تشترط دوام المحبه وازدياد الوداد والصحبه وأن لا يقصد أبو الهيثم أبا راشد بشيء من الاذى والشرور والمفاسد ويعمل هذا الهر بموجب ما قال الشاعر

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم في المنزل الخشن

ثم ان الجرذان جمع من الاخباز والاجبان واللحم القديد والمطعم المزيد ما قدر على حمله ونهضت قوته بنقله وقصد مقام الهر وسلم عليه سلام مكرم مبر محب قديم وصديق حميم وقدم ما معه اليه وترامى بكثرة التودد والاشتياق عليه وقال يعز علي ويعظم لدي أني اراك يا خير جار في هذا الضرر والاضطرار ولكن العاقبة الى خير وسيقبل السعد بأحسن طير فتقدم أيها الخيطال وكل من هذا المأكل فاذا سددت خلتك كافئني بشيء أستشير به خدمتك فانه قد قيل

ان الصداقة أولاها السلام ومن * بعد السلام طعام ثم ترحيب

وبعد ذلك كلام في ملاطفة * وضحك ثغر واحسان وتقريب

وأصل ذلك أن تبغي شمائلها * بين الاحبة تأييد وتأديب

لم تنس غيبا ولم تملل اذا حضروا * قد زان ذلك تهذيب وترتيب

ان الكرام اذا ما صادقوا وصدقوا * لم يثنهم عنه ترغيب وترهيب

فتناول القط من تلك السرقة ما سد رمقه وشكر الجرذان تلك الصدقه ولما أكل فه استحبت الحدقه ثم قال له أنشد ما أنت ناشد يا أبا راشد قال ان لي عليك من الحقوق مثل ما للجار الصدوق على الجار الشفوق وأردت أن يتأكد الجوار بالصداقه وتترافى الى درجة المحبة بأوثق علاقه وان كانت بيننا عداوة قديمه فنترك من الجانبين تلك الخصلة الذميمه ونستأنف العهود على خلاف الخلق المعهود وتدبير الامور على مصلحة الجمهور ونبني القاعدة في البين على ما يعود نفعه على الجانبين وأذكرك أشياء تحملك على ترك خلقك القديم وتهديك في طريق الاخاء الى الصراط المستقيم وهو ان أكلي مثلا ما يغذي منك بدنا فضلا عن ان يظهر فيك صحة وسمنا ولكن ان أمنتني مكرك وأعملت نظرك وفكرك ثم رغبت في صحبتي وعاهدتني على سلوك طريق مودتي وأكدت أي أبا غزوان ذلك بغلظات الايمان الى أن أستوثق باستصحابك وابيت آمنا في مجيئك وذهابك ولو كنت بين مخالبك وانيابك فاني ألتزم لك في كل يوم اذا استيقظت من النوم بما يسد خلتك ويبقي مهجتك صباحا ومساء وغداء وعشاء وان قلت ان ذلك شيء مجهول وأنا أقدره بنظير هذا المأكول فان هذا الغذاء يكفيك عشاء وغداء وما قصدت بذلك الارعاية لحق الجوار ولقد آنستني بتسبيحك بالليل والنهار وأظن وظني لا يخيب انك تبت الى الله ورجعت من قريب وكففت عن أذى الجيران وعففت عن أكل الفيران ثم اعلم يا أسد الضياون ان لي من هذه المؤنة عشر مخازن قد أعددتها لك وأنا أقدمها نزلك وادخرها لاجلك والقصد أن أكون آمنا من سطواتك سالما في صدمات حركاتك وذلك انما يعلم بتأكيد الاخاء وتأييد المحبة والولاء فلما رأى الهر هذا البر أعجبته هذه النعم وأطربه هذا النغم وأقسم طائعا مختارا ليس اكراها ولا اجبارا أنه لا يسلك مع الجرذان الا طريق الامان والاحسان وانه لا ينوي اليه بقصد سوء بحيث تتأكد المحبه وتزداد يوما فيوما الصداقة والصحبه فرجع الجرذان وهو بهذه الحركة جذلان وصار كل يوم يأتي أبا غزوان بما التزم به من

ولكن ذا الرأي جاعل القتال آخر الحيل وبادي قبل ذلك بما استطاع من رفق وتمحل وقد قيل لا تحقرن العدو الضعيف المهين ولا سيما اذا كان ذا حيلة ويقدر على الاعوان فكيف بالاسد على جراءته وشدته فان من أحقر عدوه لضعفه أصابه ما أصاب وكيل البحر من الطيطوى قال شتربه وكيف كان ذلك (قال دمنه) زعموا ان طائرا من طيور البحر يقال له الطيطوى كان وطنه على ساحل البحر ومعه زوجة له فلما جاء أوان تفريخهما قالت الانثى للذكر لو التمسنا مكانا حريزا نفرخ فيه فاني أخشى من وكيل البحر اذا مد الماء ان يذهب بفراخنا فقال لها افرخي مكانك فانه موافق لنا والماء والزهر منا قريب قالت له يا غافل ليحسن نظرك فاني أخاف وكيل البحر أن يذهب بفراخنا فقال لها افرخي مكانك فانه لا يفعل ذلك فقالت له ما أشد تعنتك اما تذكر وعيده وتهدده اياك ألا تعرف نفسك وقدرك فأبى أن يطيعها فلما أكثرت عليه ولم يسمع قولها قالت له ان من لم يسمع قول الناصح يصيبه ما أصاب السلحفاة حين لم تسمع قول البطتين قال الذكر وكيف كان ذلك (قالت) الانثى زعموا ان غديرا كان عنده عشب وكان فيه بطتان وكان في الغدير سلحفاة بينها وبين البطتين مودة وصداقة فاتفق أن غيض ذلك الماء فجاء البطتان لوداع السلحفاة وقالتا السلام عليك فاننا ذاهبتان عن هذا المكان لاجل

نقصان الماء عنه فقالت انما بين نقصان الماء على مثلي التي كالسفينة لا اقدر على العيش الا بالماء فاما انتما فتقدران على العيش حيث كنتما فاذهبا بي معكما قالتا لها نعم قالت كيف

السبيل الى حملي قالتا نأخذ بطرفي عود وتتعلقين بوسطه ونطير بك في الجو واياك اذا سمعت الناس يتكلمون أن تنطقي ثم أخذتاها فطارتا بها في الجو فقال الناس عجب سلحفاة بين بطتين قد حملتاها فلما سمعت ذلك قالت فقأ الله أعينكم أيها الناس فلما فتحت فاها بالنطق وقعت على الارض فماتت * قال الذكر قد سمعت مقالتك فلا تخافي وكيل البحر فلما مد الماء ذهب بفراخهما فقالت الانثى قد عرفت في بدء الامر ان هذا كائن قال الذكر سوف انتقم منه ثم مضى الى جماعة الطير فقال لهن انكن اخواتي وثقاتي فأعنني قلن ماذا تريد ان نفعل قال تجتمعن وتذهبن معي الى سائر الطير فنشكو اليهن مالقيت من وكيل البحر ونقول لهن انكن طير مثلنا فاعنناقلن له جماعة الطير ان العنقاء هي سيدتنا وملكتنا فاذهب بنا اليها حتى نصيح بها فتظهر لنا فنشكو اليها مانالنا من وكيل البحر ونسألها ان تنتقم لنا منه بقوة ملكها ثم انهن ذهبن اليها مع الطيطوى فاستغثنها وصحن بها فتراءت لهن فأخبرنها بقصتهن وسألنها أن تصير معهن الى محاربة وكيل البحر فاجابتهن الى ذلك فلما علم وكيل البحر ان العنقاء قد قصدته في جماعة الطير خاف من محاربة ملك لا طاقة له به فرد فراخ الطيطوى وصالحه فرجعت العنقاء عنه * وانما حدثتك بهذا الحديث القائل لتعلم أن القتال مع الاسد لا أراه لك رأيا قال شتربه فما أنا بمقاتل الاسد ولا ناصب له العداوة سرا ولا علانية ولا متغير له عما كنت عليه حتى يبدو لي

الغداء والعشاء كل صباح وعشاء الى ان صح القط واستوى وسلمت خلوات بدنه من الخوف والخوا وصارت المحبة تنعقد كل يوم عقدا جديدا ويزداد كل منهما الى الآخر محبة وتوددا وكان لهذا القط ديك وهو صاحب قديم وصديق نديم كل منهما يأنس بصاحبه ويحفظ خاطره بمراعاة جانبه فحصل للديك تعويق عن زيارة الصديق فغاب عنه مده وكل منهما الفراق في شده فلم يتفق لهما اللقاء الا وقد حصل للقط الشفاء وزال الشقاء فسأل الديك صاحبه بماذا صارت علته ذاهبه وذاك الهزال بأي شيء زال فاخبره باحوال الجرذ أبي جوال وأنهى أمره من الاول الى الآخر وبالغ في الشكر في الباطن والظاهر وانه كان سبب حياته ونجاته من مخاليب مهلكاته وأنه لم يكن مثله في الاصحاب وقد صار أعز الاصدقاء والاحباب فغار الديك على الصاحب القديم واخشى أن يفسد ما بينهما المفسد الذميم فضحك مستغربا وصفق بجناحيه متعجبا فقال له مم تضحك فقال من سلامة باطنك وانقيادك لمداهنك وحسن صنائعك مع المنافق مخادعك ومكارم أخلاقك مع ناقض ميثاقك واصغائك لهذا الخبيث بحشو الكلام ومموه الحديث ومن يأمن لهذا المجرم الواجب القتل في الحل والحرم المفسد الفاسق المؤذي المنافق الذي خدعك حتى أمن على نفسه واستطرق بذلك الى التمكن من أذاه بحسه فتسلط في الاذى كما يختار وانهمك في الشر آمنا من البوار كل ذلك بسببك ومكتوب في صحائف كتبك مع انك لست بمشكور ولا بالخير مذكور وان الذي شاع وذاع وملأ عنك الاسماع انك تحل عقده وتنكث عهده وتنقض الأيمان وتجازي بالسيئة الاحسان وانه لم ير منك ما يسره وهو متوقع منك ما يضره وأعظم من هذا انه آذى وحشر فنادى وبالشر بادى فقال انه أحياك بعد الموت وردك بعد الفوت ولولا فضله عليك وبره الواصل اليك لمت هزالا وجوعا ولما عشت أسبوعا ولكنه أشبع جوعك وجاب همومك واستنقذ من مخاليب المنية بعد ذهابك رجوعك فشفاك وعافاك وصافاك وصافاك وكفاك المؤنة وكافاك وانك كافيته مكافأة التمساح وجازيت حسناته بالسيآت القباح ولم يكن لاحسانه اليك ولا لما من به عليك سبب ولا علاقه سوى طهارة نفس زكت أخلاقه ولا لاساءتك اليه سبب تنقم به عليه الا ما اسداه من مكارم شيمه الواصلة اليك وفوائد نعمه السابغة عليك وقد أشاع هذا كله في الشوارع والحارات خصوصا في هذه المحله ثم أقسم بمن عطفه عليك وساق فضله اليك وجعلك محتاجا الى نواله وأسبل عليك لباس صدقاته وافضاله ليستوفين منك ما صنعته وليحفظن عليك ما عليه ضيعته وليوقعنك في طوى بليه يعجز عن خلاصك منها كل البريه فاير بحن منك جنس الفار وليخلدن ذكر هذه القضية في بطون الاسفار وبالجملة فهل سمعت ان جرذا صادق هره أو اتفق بينهما مرافقة في الدنيا ولو مره ومناصحة القط والفار كمصادقة الماء والنار

فأنت كواضع في الماء جمرا * وأنت كمودع الريح الترابا

فلما سمع القط هذا الكلام تألم باطنه بعض ايلام وما صدق ولكن ظن واشتغل خاطره لامر عن وتلهب واشتعل ومن يسمع يخل وقال للديك جزاك الله عني خيرا وما أكثر شفقتك طيرا ولكن من قال لك هذا المقال قال أنت محب وعلى مودة الجرذان مكب وقد قال سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم حبك للشيء يعمي ويصم وقال الشاعر

وعين الرضا عن كل عيب عمية * كما أن عين السخط تبدي المساويا

ولقد غرك بالقيمات من الحرام والسحت المنغمس في الآثام وجعلها بمنزلة حبة الفخ فلا تشعر بها الا وأنت في السلخ قد وقعت ولا رفيق ولا أخ هنالك يعرف تحقيق هذا الكلام ولكن أنت الآن راقد مثل النيام والكلام ما يفيد ولا بد أن الله تعالى يجري ما يريد وما في اشاعة الكلام طائل وكأنك أنت

القائل

ظن العذول بان عذلى ينفع * قل ما تشا فعلى ان لا أسمع

ومافاتك هذا الكلام الا من فرط الشفقة والضرام ورعاية لحق ماوجب على من القيام وحفظا للصداقة القديمه والمودة التى سحائبها ديمه وأنا لو غششت كل أحد ماخطر لى ان أغشك وأنا لا استشهد على صدقى الا بقينك الساكن عشك فرجح جانب صدق الديك كفاك الله شر من يؤذيك وقال القط فى خاطره بعد ما أجال قداح ضمائره هذا الديك من حين انفلقت عنه البيضه وسرحت أنا واياه من الصدقة فى روضه ما وقفت له على كذب ولا سمعت عنه انه لزور مرتكب مع انه مؤذن أمين بين ظهور المسلمين وهو بالصدق قمين وماحمله على هذا الا المحبه وقديم المودة والصحبه وهو أبعد من أن يكذب ويخدع وأى قصد له فى أن يغش ويتصنع وتردد أبو هريرة فى تيه الحيره بين الديك والهريره ثم قال للديك وقاك الله شر أعاديك فكيف أعرف صدق هذا الخبر وهل للدلالة على سوء طويته علامة تنتظر قال نعم ورب الحرم علامة ذلك أنه اذا دخل عليك ونظر اليك ان يكون منخفض الراس مجتمع الانفاس متوقعا حلول نائبه أو نزول مصيبة صائبه أو شمول بلية غائبه ملتفتا يمينا وشمالا متخوفا نكالا ووبالا طائفا يترقب خائفا يترقب وذلك لانه خائن والخائن خائف وهذا بائن وبينما هما فى المحاوره والمناظرة والمشاوره يتجاذبان القيل والقال دخل المفسد أبو جوال وهو غافل عن هذه الاحوال فرأى أبا القيظان يخاطب أبا غزوان بنفس وقهر وتخوف وتشور وهو غافل عما قضاه الله وقدر فاشمأز لرؤيته الديك وابرأل وانتفض واشمعل فارتعد الجرذان من شيخ الديكه لما رأى منه هذه الحركه وانتفش وانزوى وتقبض وزوى وأشبه بغدادياً بلع الدوا ونظر يمينا وشمالا كالطالب للمفر مجالا والقط يراقب أحواله ويتميز حركاته وأفعاله فتحقق ماقاله أبو سليمان ونظر الى الجرذان نظر الغضبان وهمز واكفهر ورقصت شواربه وازبأر فاضطرب الجرذان وطلب الامان فنسى السنور العهود والأيمان ونهض عرق العداوة القديمة والعدوان وظفر على الجرذان وأدخله فى حيز خبر كان وأخلى منه الزمان والمكان (وانما أوردت) هذا التنظير أيها الصاحب البصير لفائدتين جليلتين عظيمتين احداهما الاعلام بالتحقيق ان العدو العتيق لا يتأتى منه صديق ثانيتهما الاعلام بان الواجب على الحكام أن لا يعجلوا بالانتقام فربما ورثهم الاستعجال الندامة فى المآل فى حالة لا يفيد العذل ولا تنفيد وعند ذلك لا يمكن التدارك بل اذا نقل اليهم وأورد عليهم ما يثير غبار الغضب ويحمى من نار السخط اللهب لا يفلتون زمام التثبت والتفكر من أنامل التانى والتدبر خصوصا السلاطين والملوك الاساطين فان قدرتهم واسعه وأطراف أوامرهم شاسعه وأوهاق اختيارهم طويله ومرامى المراد لمرامهم منيله وآذان الكون لاوامرهم سميعة وعين المكان لمراسيمهم مراقبة مطيعه فمهما أرادوا من النفع أوصلوا ومهما اختاروا من الضر فعلوا وذلك فى كل حين ممسين أو مصبحين ولذلك قالوا القاضى لا يحكم حكما الا وهو راضى ولا يحكم وهو غضبان ولا مشغول الخاطر ولا غرثان فان وجدوا طريقا الى الخير بادروا اليه واذا قصدوا ايقاع شر توقفوا لديه ولا يهملوه بل يسبروا ويغوروا الى ان يقفوا عليه فربما يكون من مداخلة عدو أو حاسد أو يتعاطى من له غرض فاسد ثم اعلم ياذا التبصره والفضل والتذكره انه من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فلما وعى يسار هذا الحوار قال ما أزهى هذه النصائح وأزكى ما لها من روائح وأنا أقبل عليها وأقبلها ولا يزال مرتشف سمعى مقبلها وعلى ذلك أعاهدك ومهما رأيت غيره أعاقدك فانه للملك عين المصلحه وللملك زين ومسلحه وأيضا فاشترط ما بدا لك مما يزين حالك ويصون مالك ومالك قال وأريد أن تكون حرمتى موفره وكلمتى معتبره ومنزلتى على أقرانى مرتفعه ومكانتى فى الممالك متسعه بحيث تكون مزيتى ظاهره ومرتبتى

منه ما أتخوف فأغاليه فكره دمنة قوله وعلم ان الاسد ان لم ير من الثور العلامات التى كان ذكرها اتهمه وأساء به الظن فقال دمنة لشتربه اذهب الى الأسد فستعرف حين ينظر اليك ما يريد منك قال شتربه وكيف أعرف ذلك 101 (قال دمنة) ستر‌ى الأسد حين تدخل عليه مقعيا على ذنبه رافعا صدره اليك مادا بصره نحوك قد صر اذنيه وفغر فاه واستوى للوثبة قال شتربه ان رأيت هذه العلامات من الاسد عرفت صدقك فى قولك ثم ان دمنة لما فرغ من تحميل الاسد على الثور والثور على الاسد توجه الى كليله فلما التقيا (قال كليله) الام انتهى عملك الذى كنت فيه (قال دمنة) قريبا من الفراغ على ما أحب وتحب ثم ان كليله ودمنة انطلقا جميعا ليحضرا قتال الاسد والثور وينظرا ما يجرى بينهما ويعاينا ما يؤول اليه أمرهما وجاء شتربه فدخل على الاسد فرآه مقعيا كما وصفه له دمنة فقال ما صاحب السلطان الا كصاحب الحية التى فى مبيته ومقيله فلا يدرى متى تهيج به ثم ان الاسد نظر الى الثور فرأى الدلالات التى ذكرها له دمنة فلم يشك انه جاء لقتاله فواثبه ونشأ بينهما الحرب واشتد قتال الثور والاسد وطال وسالت بينهما الدماء فلما رأى كليله ان الاسد قد بلغ منه ما بلغ قال لدمنة انما السلطان باصحابه والبحر بامواجه وما عظني وتأديبى اياك الا كما قال الرجل للطائر لا تلتمس تقويم من لا يستقيم ولا تعالج تاديب من لا يتأدب (قال دمنة) وكيف كان ذلك (قال كليله) زعموا ان جماعة من القردة كانوا سكانا فى جبل فالتمسوا فى ليلة باردة ذات رياح وأمطار نارا فلم يجدوا فرأوا يراعة تطير كأنها شرارة من نار فظنوها نارا وجمعوا حطبا كثيرا فألقوه عليها وجعلوا ينفخون طمعا

لا كفاني باهره وكلامي في محل الاصغاء والقبول متصلا بالنجاح في السؤل والمسؤل فان حسن العهد وحفظ الود ورعاية الحقوق القديمة السابقة والخدمة المستمرة المتلاحقة دليل على كمال المروأة والوفاء ونهاية الفتوة والصفاء لاسيما من الملوك والاكابر في حق خدمهم الاصاغر ففي الحقيقة رفعة الخادم وكمال حرمته من رفعة مخدومه وعزته وكل من رفع قدر خدمه وحافظ على حفظ حشمه ومنع جانبهم ورعى حاضرهم وغائبهم انما حافظ أطراف حشمته ورعى جانب عظمته وحرمته وكل كبير امتهن خدامه وأذل جماعته وقوامه ولم ينزلهم منازلهم ولا عرف فضائلهم وساوى بأواخرهم أوائلهم فانما أضاع مكانة نفسه ولم يفرق في الفكر بين يومه وغده وأمسه واذا لم يصغ الملك لكلام الوزير واستقل بأوضاع ناصحه والمشير فابتذله وانتهره واستقله واحتقره خصوصا في الجامع والمحافل بين العساكر والجحافل فأي حرمة تبقى له عند البقية من سائر الخدم والرعيه وأي مرسوم وكلام يسمع له عند العوام فيتكدر خاطره وتتغير سرائره فيدعوه ذلك والعياذ بالله الى شق العصا اذ صار على باب مخدومه معلقا كالحصى وقدره في المكانة وقوله في البلاغة صار كالزيف في الصاغة والفسوق في الدباغة وناهيك أيها الخبير ما قالته لامها الزاغة قال سار أخبرني بذلك ياجهينة الاخبار (قال) ذكر ان زاغة في بلاد مراغة انتشى لها فرخة انتشر لها بين الطيور صرخة وكانت ذات بهجة لطيفة وصفات ظريفة وتربت يتيمة بالدلال وجمعت بين فنون الكمال فلما بلغت مبلغ الزواج خطبها من صنوف الطير الازواج وترادفت عليها الخطاب ودخلوا على أمها في ذلك من كل باب فكانت تأبى عليهم ولا تلتفت الى بذلهم ولا اليهم الى أن بلغ خبرها الى بومة كريهة الوجه مشومة بينها وبين أم الزاغة صداقة قديمة فخطبتها لابنها وابانت للطير مزيد غبنها فاستشارت الام ابنتها واظهرت في ابن البومة رغبتها وقالت أي ربيبة الخير قد رغب فيك اصناف الطير وكنت ادافعهم واسوف بهم وأمانعهم وقد اشتهر صيتك بين الكبراء وخطبك مني الامراء والوزراء وأنا على المطاولة والرد والمقاولة وقد استحييت منهم واختشيت غائلة ما يصدر عنهم ولم أفعل ذلك الا رعاية لحالك وخوفا من زوج ظالم يقدرك غير عالم يستضعف جانبك ويكره أهلك وأقاربك ثم لا تقدرين على مقاومته وتتعب في مرافقته ومفارقته لاسيما ان صار بينكما معاشقة فيصير نكاحكما كنكاح الدراشقة كل يضمر السوء لصاحبه حالة المعانقة وكل يا أحسن طائر معني بما قال الشاعر

رأيت الذي لا كله أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر

ونعوذ بالله من اختلاف الوداد وأن يصير نكاح السنة كنكاح أهل بغداد فان صادفتما في محله مثل أبي بكر الرباني ودله أو مثل الفرغاني وعلي أوجارة تشبه عيشة تلي خرجتما من يدي وزدتما نكدي فكنت لهذه الامور أخشى تقلبات الدهور وأرد خطاب الجهور وقد خطبك يا كريمة ابن صاحبة قديمة وهي البومة الفلانية وهي صاحبة هنية وأخلاق ابنها رضية وهو شخص فقير ضعيف الحال حقير نقلبه في أيدينا كما نريد ونتصرف فيه تصرف الموالي في العبيد لا في الطير جنس يحبه بل كلهم يكرهه ويسبه ولا له ناصر علينا ولا جارح يدلي به الينا فهو تحت طاعتك كالجنين وفي ربقة ارادتك كالرديدين لا كالحمام يتطوق بطوق الفخر ولا كالهدهد يتتوج بتاج الكبر فما رأيك في هذا الامر فقالت الزاغة مقالة بليغة حفظت شيأ وغابت عنك أشيا ما أصنع بزوج ممتهن وبغض الاجناس ممتحن مكسور مهجور يتطير منه بين الطيور هذا يخطفه وهذا يلقفه وهذا ينقره وهذا ينتره وهذا يأثره وهذا يكسره واذا لم يكن للزوج حرمه ولا تسمع له كلمة خصوصا عند زوجته وأهل بيته وعترته فأي قدر يكون له عند غيرها وأني ينتشر بالسعد جناح طيرها وقد قال رب السموات

والارض

أن يوقدوا نارا يصطلون بها من البرد وكان قريبا منهم طائر على شجرة ينظرون اليه وينظر اليهم وقد رأى ما صنعوا فجعل يناديهم ويقول لا تتعبوا فان الذي رأيتموه ليس بنار فلما طال ذلك عليه عزم على القرب منهم لينهاهم عما هم فيه فمر به رجل فعرف ما عزم عليه فقال له لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم فان الحجر المانع الذي لا ينقطع لا تجرب عليه السيوف والعود الذي لا ينحني لا يعمل منه القوس فلا تتعب فأبى الطائر ان يطيعه وتقدم الى القردة ليعرفهم ان اليراعة ليست بنار فتناوله بعض القردة فضرب به الارض فمات * فهذا مثلي معك في ذلك ثم قد غلب عليك الخب والفجور وهما خلتا سوء والخب شرهما عاقبة ولهذا مثل * قال دمنة وما ذاك المثل (قال كليلة) زعموا ان خبا ومغفلا اشتركا في تجارة وسافرا فبينما هما في الطريق اذ تخلف المغفل لبعض حاجته فوجد كيسا فيه ألف دينار فأخذه فأحس به الخب فرجعا الى بلدهما حتى اذا دنوا من المدينة قعدا لاقتسام المال فقال المغفل خذ نصفها وأعطني نصفها وكان الخب قد قرر في نفسه ان يذهب بالالف جميعها فقال له لا تقتسم فان الشركة والمفاوضة أقرب الى الصفاء والمخالطة ولكن آخذ نفقة وتأخذ مثلها وندفن الباقي في أصل هذه الشجرة فهو مكان حريز فاذا احتجنا جئنا انا وأنت فنأخذ حاجتنا منه ولا يعلم بموضعنا أحد فأخذا منها يسيرا ودفنا الباقي في أصل دوحة ودخلا البلد ثم ان الخب خالف المغفل الى الدنانير فأخذها وسوى الارض كما كانت وجاء المغفل بعد ذلك باشهر فقال للخب قد احتجت الى نفقة فانطلق بنا نأخذ حاجتنا فقام الخب معه

والارض ومالك الطول والعرض والبسط والقبض والرفع والخفض الرجال قوامون على النساء
بما فضل الله بعضهم على بعض وقال من جعلهم قوامين وذوات نامنعوجه وللرجال عليهن درجة
ومقدار المرأة بين جيرانها وأهلها انما يعرف بقدر حرمة بعلها وأنا كيف يبقى حالى و بالى وما على ومالى
بين جيرانى وصواحبى وأهلى وأقاربى اذا كان زوجى ذليلا مهينا محتقرا بين الناس حزينا والله
لا يكون لى بزوج ولو بلغ رأسه الى الاوج ولا أمد اليه باعى ولا يرفعه فى مركب الزوجية شراعى (وانما)
أوردت هذا المثال يا شبه الغزال لابين انه اذا لم يكن لى فى دارك عزه ولا يرفع مكانتى ومكانى نشاط وهزه
فلا يرجونى الصديق الموافق ولا يخافنى العدو المنافق فيختل أمرى ويضيع فى غير حاصل عمرى واذا
ما أهمل مرسومى تعدى الوهن الى مخدومى قال يسار أبشر أيها الوزير المشفق والكبير المحقق والحكيم
الماهر المدقق بالدرجة العليه والمرتبة السنيه والكلمة المقبوله والوظيفة الفاضلة لا المفضوله ولكن
أنا أيضا لى عليك شروط تزين عقودها الملتفات فى المروط هن لدار السعادة أبواب وللترقى الى درج السيادة
أسباب ومثالك لا يدل على صواب وهى أن تتقلد العمل مبسوط الامل بجميع ما قررته وتتعاطى
ملازمة كل ما حررته من اقامة ناموس المملكة المجله ورعاية شرائط السلطنة المفضله ومحافظة جانب
مخدومك والانتهاء الى مسامعه جميع ما فى معلومك وتقديم مصالحه على مصالحك ومعاملة رعيته بالجهد
فى نصائحك وكفه عن المظالم والعدول به عن طريق المآثم والغيرة على دينه واعتقاده ويقينه أكثر
من الغيرة على دنياه وفى الجملة لا يكون الملك الا لله بحيث لا تكون من قبيل لم تقولون ما لا تفعلون واياك
والرشا والبرطيل والدخول لعرض الدنيا فى الاباطيل وتوقع ظلم الرعيه للاغراض الدنيه أو الاعراض
الدنيويه واتق دعوة المظلوم وان يصل سهامها الى مولانا المخدوم واعلم انك ان بنيتما أساس الامور
على قواعد الظلم والشرور فنحن من الخاسرين ومن الذين ظلموا والله لا يحب الظالمين وسيقطع دابر
القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين بل ابن الامور على أساس التقوى فانك بالتقوى تقوى
وبزاويتها تروى فمن تحلى بالقضايا العاطله وتشبث باذيال الامور الباطله ولم يقصد وجه الله فى حركاته
وسكناته وأدخل شوائب الرياء والسمعة فى أعماله وطاعاته لا يمشى له حال ولا يصلح له مال ولا مآل
ويصيبه ما أصاب السائح الذى ادعى اخلاص العمل الصالح ثم شرع فى حركته وأخلص فظهرت آثار
رياته فلما قصد الاغراض الدنيه فسد ظاهره بفساد النيه فسأل المشرقى عن حال ذلك الشقى (قال) كان
فى أقصى بلاد الصين طوائف غير ذى عقل رصين أنبت لهم فى بعض الجبال زراع القدرة ذو الجلال فى
رياض النزاهة والكمال شجرة ذات بهجة وجمال أصلها فى أرض الملاحة ثابت وفرعها فى أصل المحاسن
نابت وغصنها الى سماء العلى واصل وورقها كعقود الجمان بالبهاء متواصل لا سموم الصيف يزيل
زهرتها ولا عواصف الخريف تذهب خضرتها ولا صرصر الشتاء يعرى أغصانها ولا لواقح الربيع
تذرى افنانها فاعجب بحسنها أهل تلك الديار وأشربوها اشراب بنى اسرائيل عجلا جسدا له خوار ثم تفانوا
فى حبها وتهالكوا على قربها فعبدوها كما عبدوه واعتقدوها كما اعتقدوه واستولى على عقولهم
الشيطان وصار يخاطبهم من الشجرة واحد من الجان فزادهم فيها اعتقادا وعمهم بعبادتها كفرا
وعنادا فقدم تلك البلاد فقير من السائحين وهو من عباد الله الصالحين فلما رأى تلك الحاله أفزعه ذلك
وهاله وأخذته غيرة الاسلام وغضبة دعته الى القيام فاخذ فأسا وقصدها ليقطع ساقها وعضدها فلما
قرب اليها وأراد وضع الفاس عليها سمع منها صوتا خوفه وعن مراده أوقفه فقال أيها الرجل الصالح
والقادم السائح فيم ذى الهمة وعلام هذه العزمة المهمه وما قصدك بهذه الصدمه فقال غيرة لله أيها

وذهبا الى المكان فحفرا فلم يجدا شيئا فاقبل الخب على وجهه يلطمه ويقول لا تغتر بصحبة صاحب خالفتنى الى الدنانير فاخذتها فجعل المغفل
يحلف ويلعن آخذها ولا يزداد الخب الا شدة فى اللطم وقال ما أخذها غيرك وهل شعر بها ١٠٣ أحد سواك ثم طال ذلك بينهما فترافعا
الى القاضى فاقتص القاضى
قصتهما فادعى الخب أن
المغفل أخذها وجحد
المغفل فقال للخب ألك على
دعواك بينة قال نعم الشجرة
التى كانت الدنانير عندها
تشهد لى أن المغفل أخذها
وكان الخب قد امر اباه ان
يذهب فيتوارى فى الشجرة
بحيث اذا سئلت أجاب
فذهب أبو الخب فدخل
جوف الشجرة ثم ان القاضى
لما سمع ذلك من الخب
أكبره وانطلق هو وأصحابه
والخب والمغفل معه حتى
وافى الشجرة فسألها عن
الخبر فقال الشيخ من جوفها
نعم المغفل اخذها فلما سمع
القاضى ذلك اشتد تعجبه
فدعا بحطب وأمر أن تحرق
الشجرة فاضرمت حولها
النيران فاستغاث ابو الخب
عند ذلك فاخرج وقد اشرف
على الهلاك فساله القاضى
عن القصة فاخبره بالخبر
فاوقع بالخب ضربا وبابيه
صفعا وأركبه مشهورا
وغرم الخب الدنانير
فاخذها وأعطاها المغفل
*وانما ضربت لك هذا
المثل لتعلم ان الخب والخديعة
ربما كان صاحبهما هو
المغبون وانك يا دمنة جامع
للخب والخديعة والفجور
وانى اخشى عليك ثمرة عملك
مع انك لست بناج من العقوبة لانك ذو لونين ولسانين وانما عذوبة ماء الانهار ما لم تبلغ الى البحار وصلاح أهل البيت ما لم يكن فيهم المفسد
وأنه لا شئ اشبه بك من الحية ذات اللسانين التى فيها السم فانه قد يجرى من لسانك كسمها وانى لم أزل لذلك السم من اسانك خائفا ولما يحل

المضل الاله شجرة تعبد من دون الرحمن ولا يغار لهذا الشأن انسان فلا قطعنك أيتها الشجرة المضله
ولاجعلنك حطبا ومثله فانك قد أضللت كثيرا من الناس وفعلت مالم يفعله الوسواس الخناس وانك
لا تنفعين ولا تضرين سوى انك الى النار تجرين فقالت أيها الرجل الزاهد الصالح العابد انا ما آذيتك
ولا ضاررتك وان رأيت نفعتك وبررتك وحاشاك أن تؤذى من لا آذاك وانا أعلم أيها الرجل الكبير
انك غريب وفقير وما أقدمك على هذا الباس الا الغربة والافلاس فكف عن هذا الامر وأطفئ
نائرة هذا الجمر وارجع الى منزلك واشتغل بطاعتك وعملك وأنا أوصلك كل نهار دينارا ذهبا نضارا
كاملا وافيا معيارا يأتيك هينا ميسرا كل صباح مبكرا اذا استيقظت من رقدتك تجده موضوعا تحت
وسادتك وهذا هو الاليق بحالك وافرغ لخاطرك وبالك وأخلص لك من ورطات المهالك واذا أصلحت
مع الله سريرتك وطهرت من أدناس الدنيا سرك وسريرتك فاترك الناس ولو كانوا جيرتك أو أهلك
وعشيرتك وعليك بخويصة نفسك فاذا أنقذتها من الورطات فأمسك وقد قال منزل القرآن ليحرسكم
يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم فلما سمع بالدينار الهاه الطمع والاغترار فبردت همته وضعفت في الله
قوته وتركها ورجع وترك القيام وهجع فلما أصبح الصباح وحاز بالصلاة الفلاح بادر الى
الفراش وطلب المعاش فوجد الدينار كما ذكره الشيطان واشار فالتقفه وابتهج وتحقق انه فتوح
باب الفرج واستمر على ذلك اسبوعا والذهب عنده مجموعا ثم بعد ذلك قصد الفراش بسرور واهتشاش
فلم يجد شيأ من الذهب فتحرق قلبه والتهب فاخذه الحنق والقلق وأخذ الفاس وانطلق فلما قرب من
الشجره نادته بالفاظ عكرة قف مكانك واذكر شانك وقل لى فيما اذا جيت فلا حييت ولا حبيت
فقال جئت لاقطعك ومن الارض أقلعك غيرة على الدين وقياما بحق رب العالمين فقالت كذبت انما
غرت وسببت وقمت وقعدت وبرقت ورعدت لفقدك الذهب الذى عنك ذهب وانما كانت الغيرة
الصحيحة والقومة المليحه الناهضة النجيحة القومة الاولى فانها كانت والحق قد تجلى فلو قامت الخلائق
لردك واجتهدوا فى منعك وصدك لما ظفروا بك ولا قاموا بحربك وأما الآن فهذه الغضبه
غضبة الفاجرة القحبة التى حصلت بواسطة عدم الدينار فهى التى اثارت منك ما أثار فلو دنوت منى خطوة
أو تقدمت من مقامك ربوة دققت عنقك وشققت زقك وقد دلت انى لا أضر ولا انفع ولا اجلب ولا ادفع
واما المنفعه يا صلمعة بن قلمعه فانك رأيتها فى الدنانير التى لقيتها فتقرر النفع يا مستحق الصفع واما
المضره فقسها على المنفعة يا أبا مره فان الذى له قدرة على المبره ربما يقتدر على الايذاء والمضره وان شئت
تقدم وجرب لتعلم واخبر واسبر وانظر كيف انثر منك الراس بهذا الفاس وحقق وصدق ان كتفك
جلت حنفك فبهت الرجل وتحير وخاف وخار وتقهقر وانقطع حبل رجائه وأقلت يتلفت الى ورائه (وانما
ذكرت) هذ لتعلم أيها الوزير المكرم ان كل أمر لا يقصد به وجه الله فان عقباه الندم وان حسن أولاه
وكل قصد ليس لغرض صالح فان شجرة غراسه لا تثمر الا الفضائح فترك الشروع فيه أولى وبمحو صورته
من لوح الضمير أجلى ومن لم يترك مالا يعنيه وقع فيما يعنيه وحل به من الفضيحة والايلام ما حل بذلك
المفسد فى مدينة السلام فسأل الزنيم المشرقى البصير الافرقى كيف كانت تلك الفضيحه ليأخذ منها لنفسه
النصيحة (قال) كان فى مدينة بغداد صانع حرير استاذ خبير له جار سنى الجوار وزوجة تخجل البدر عند
الكمال والشمس قبل الزوال وذلك الجار الجانى يدعى ابن الفرغانى ففى بعض مطاره لمح زوجة جاره
فتعلق قلبه بها واشتغل من هواها نار أحشائه بحوبها فاخذ يلهو بها الى أن افسدها والى الضلال ارشدها
وكان الزوج مغرما بها فوجد على حالها منها فصار يراقبها من كافه ولا يغفل عنها لشدة شغفه ويجتهد

بل متوقعا والمفسد بين الاخوان والاصحاب كالحية يربيها الرجل ويطعمها ويمسحها ويكرمها ثم لا يكون له منها غير اللدغ وقد يقال الزم ذا العقل
وذا الكرم واسترسل اليهما واياك ومفارقتهما واصحب الصاحب اذا كان عاقلا كريما أو عاقلا غير كريم فالعاقل الكريم
كامل والعاقل غير الكريم
اصحبه وان كان غير محمود
الخليقة واحذر من سوء
اخلاقه وانتفع بعقله
والكريم غير العاقل الزمه
ولا تدع مواصاته وان كنت
لا تحمد عقله وانتفع بكرمه
وانفعه بعقلك والفرار كل
الفرار من اللئيم الاحمق
وانى بالفرار منك لجدير
وكيف يرجو اخوانك
عندك كرما وودا وقد
صنعت بملكك الذى أكرمك
وشرفك ما صنعت وان مثلك
مثل التاجر الذى قال ان
أرضا تاكل جرذانها مائة
من حديد أليس بمستنكر
لبزاتها ان تختطف الفيلة
(قال دمنه) وكيف كان
ذلك (قال كليله) زعموا انه
كان بارض كذا تاجر فأراد
الخروج الى بعض الوجوه
لابتغاء الرزق وكان عنده
مائة من حديد فاودعها
رجلا من اخوانه وذهب
فى وجهه ثم قدم بعد ذلك
بمدة فجاء والتمس الحديد
فقال له انه قد أكلته الجرذان
فقال قد سمعت أنه لا شئ
اقطع من انيابها للحديد
ففرح الرجل بتصديقه على
ما قال وادعى ثم ان التاجر
خرج فلقى ابنا للرجل فاخذه
وذهب به الى منزله ثم رجع
اليه الرجل من الغد فقال
له هل عندك علم بابنى فقال له التاجر انى لما خرجت من عندك بالامس رأيت بازيا قد اختطف صبيا ولعله ابنك فلطم   فى
الرجل على رأسه وقال يا قوم هل سمعتم أو رأيتم ان البزاة تختطف الصبيان فقال نعم وان ارضا تاكل جرذانها مائة من حديد ليس بعجب ان

فى كفها عن الخيانه وان تحفظا لغيب وتؤدى الامانه ففى بعض الاوقات رأى فى بعض الطرقات صيادا ومعه طير قد أوثق رجليه بسير فسأله عن طيره والى أين قصده فى سيره فقال هذا من الجوارح السوانح لا البوارح يحاكى الصوادح و يباكى النوائح وفيه سر عجيب وأمر غريب وهو أنه اذا كان فى بيت ورأى فيه على صاحبته كيت وكيت أخبر زوجها خبره وقص عجره و بجره وقد رغب فيه رئيس يشتريه فانا ذاهب به اليه اقدمه لديه وامتن به عليه فرغب فيه الحريرى واشتراه وأتى به الى داره وقال لزوجته اكرمى مثواه واحسنى مأواه فانه يخبر بكل ما رآه وهو من أحسن صفاته واعجب أموره وحكاياته ومهما فعلت زوجة الانسان ذكره على وجهه كما كان فقالت نحن بحمد الله فى بركه آمنون مما ينقل عنا من حركة فان رأى شيأ يحوله لا يكتمه عنا بل يقوله فتركه الزوج وذهب فدخل الحريف الملتهب فرأى المرأة وحدها والطير عندها فاخذ فى المهارشه ومد يده للمناوشه فقالت كف يدك واحفظ النمام فانه قد حصل علينا رقيب نمام فكف يدك يا حبيب ائلا تصاب ولا تصيب وتفكر فى قول الشاعر المصيب اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل * خلوت ولكن قل على رقيب

فقال وأين الرقيب ياست الجار والحبيب قالت هذا الطير ليس غير فان له خواص عجيبه وفيه أشياء لطيفة تجيبه منها انه نمام ومهما رآه أو سمع من الكلام فانه يفض عنه الختام و يذكره لصاحب البيت على التمام فقهقه بصوت عال وسخر منها وقال صدق سيد المرسلين الذى قال النساء ناقصات عقل ودين ثم أقسم بعجباتها وحسن ذاتها وصفاتها ليولجن القضيب فى الكثيب بمرأى من ذلك الرقيب حتى اذا فرغ من أمره يسمع فى منقاره رأس ايره ليعلمها صحة ما أوهمها ثم حاورها وغلبها وساورها وقلبها وحل الصدر بالشكه وتعلقت الحلقة بالسكه وامتزجت الالف العربية بالكاف الكوفية والتهمز الوردة النصيبيه شفاه الوردة النسرينيه واستمر فى أخذ وعطاء بلا غطاء ولا وطاء كأنهما أفواج الحجاج أو ثباج الامواج فى شيل وحط وقبض وبسط وهرج ومرج ودخل وخروج واستمر من نحو هذا التصريف فى بحث الرفع والجر ومن علم المطاردة والركوب فى صنعة الكر والفر ومن علم الزندقة والالحاد فى عالم الحلول والاتحاد الى ان دفق الابريق العتيق فى قدح اللجين شراب الرحيق وقد أنشد الحريف هذا النظم الظريف وهو لو تنظر الرقبا وقد عانقته * والشمع مشتعل و بابى مقفل

طورا أشاهده وأرشف تارة * واضمه من بعد ما أتأمل

واذا تغشى ذيل ثوبى بان لى * من جيبه شئ عليه المقتل

فلما سال الميزان بما جرى وقضى زيد منها وطرا نهض ليبرقسه حسبما ميزه وقسمه وادنى من منقاره غرموله وكان للطائر مدة لم يتناول ماكوله فتصوره قطعة لحم قدمها اليه طعمه فانشب مخاليبه فيه فاستغاث بجلبه فيه وكاد ان يغمى عليه واستعان بحيبة قلبه اليه فاقبلت المرأة كالحدأة فاشار عليها أن تكشف عن ساقيها وترى الطير بظرها وحرته فربما يلتهى به و يترك آلته فتكشفت وادنته اليه وعوات فى خلاص صاحبها عليه فوثب لشدة قرمه وتاثير الجوع وألمه ليلهم ذلك الغلهم فانشب مخاليب رجله الاخرى فى فلهم تلك البظرا فاشتبكا وفى البلاء اشتركا و بينما هما فى تعاظل الكلاب واذا بالزوج قد دخل من الباب فرآهما على تلك الحال من الاشتباك والاعتقال ونقل الطير ما قال بالافعال دون الاقوال فصح قوله وفعله وفعل معهما ما يجب فعله (وانما أوردت) هذا لبيان لا علم اشرف جنس الحيوان ان الشروع فيما ليس فيه منفوع يجب الابعاد عنه والفرار منه وعدم الاصغاء اليه والتوجه والاقبال عليه ولهذا قال النبى النبيه صلى الله وسلم عليه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه

يختطف بزائنها الفيلة قال له الرجل انا اكلت حديدك وهذا ثمنه فاردده على ابنى * وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم انك اذا غدرت بصاحبك فانت لاشك بمن سواه أغدر وانه اذا صاحب أحد صاحبا وغدر بمن سواه فقد علم صاحبه انه ليس عنده للمودة موضع فلاشئ اضيع من مودة تمنح من لا وفاء له وحباء يصطنع عند من لا شكر له وادب يحمل الى من لا يتادب به ولا يسمعه وسر يستودع عند من لا يحفظه فان صحبة الاخيار تورث الخير وصحبة الاشرار تورث الشر كالريح اذا مرت بالطيب حملت طيبا واذا مرت بالنتن حملت نتنا وقد طال وثقل كلامى عليك فانتهى كليلة من كلامه الى هذا المكان وقد فرغ الاسد من الثور ثم فكر فى قتله بعد ان قتله وذهب عنه الغضب وقال لقد فجعنى شتربه بنفسه وقد كان ذا عقل و رأى وخلق كريم ولا أدرى لعله كان بريئا أو مكذوبا عليه فحزن وندم على ما كان منه وتبين ذلك فى وجهه و بصر به دمنه فترك محاورة كليلة وتقدم الى الاسد فقال له ليهنك الظفر اذا أهلك الله اعداءك فما اذا يحزنك أيها الملك قال انا حزين على عقل شتربه ورأيه وأدبه قال له دمنه لا ترحمه أيها الملك فان العاقل لا يرحم من يخافه وان الرجل الحازم ربما ابغض الرجل وكرهه ثم قربه وأدناه لما يعلم عنده من الغنى والكفاية فعل الرجل المتكاره على الدواء الشنيع رجاء منفعته وربما أحب الرجل وعز عليه فاقصاه وأهلكه مخافة ضرره كالذى تلدغه الحية فى أصبعه فيقطعها و يتبرأ منها مخافة ان يسرى سمها الى بدنه فرضى الاسد بقول دمنه ثم علم بعد ذلك بكذبه وغدره وفجوره فقتله شر قتلة

قال المشرقى مابقى ياتقى الا أن ترتقى فلقد طال البيان وضاع الزمان (شعر)

فانهض هديت الى مارمته عجلا * فالدهر عات وللتأخير آفات

وكانت هذه المحاوره تحت ظل شجره فيها وكر حمامه وكان لها بالبلد اقامة فى برج رجل من أهل الزعامه ثم اختارت العزله واحتسبتها نعمة جزله فاختارت هذا المقام ولها فيه عدة أعوام فسمعت جميع ماقالاه من مبدئه الى منتهاه فلما وعت ما اتفقا عليه وتداعيا اليه اخذت تضرب اخماسا لاسداس وتتأمل فيما يتجلى من عرائس معانيه من القدم الى الراس وتجيل فى صور مبانيه قداح النظر وتلاحظ سيرة فويه بلوامح الفكر وتحوز مذاهبه وتروز عواقبه وتقيس مداركه بمعارجه وتميس فى مداخله ومخارجه فادى فائد فكرها ورائد نظرها الى أنه ربما يكون لهما شان وعلو مكانة ومكان فان محاوراتهما وما مر من مناظراتهما كانت منطوية على ذكاء وفطنه وتجارب وحكمة وعلو همه صادرة عن فكر مصيب ورأى له فى السداد أوفر نصيب ولم يبق لهما فى القدر الامساعدة القضاء والقدر واذا كان الامر كذلك فالاليق فى قطع هذه المسالك المبادرة الى التعرف بهما واعانتهما والتقرب الى خواطرهما ومساعدتهما على ماهما فيه ومساعفتهما بما تصل اليه اليد وتحويه لانهما فى حالة الشدة وزمان الانفراد والوحده محتاجان الى المساعده والمساعفة والمرافده وفى مثل هذه الحالة تظهر الفضيلة ويحملان المنة والجميلة وتقع مساعدتى أحسن موقع وينزلنى عندهما أرفع موضع فانه اذا علا شأنهما وارتفع بدون معاونتى قدرهما ومكانهما واجتمع عليهما الجنود وأقبل اليهما الوفود وكثرت الخدمة والاتباع وتكاثفت العساكر والاشياع فمايظهر لمن يتقرب اليهما ويترامى لديهما اذ ذاك كبير فائده ولا كثير عائده ثم انها توكلت على الرحمن وصدحت على الاغصان بقولها

على الطائر الميمون والبشر والسعد * سموت الى العلياء منتهدا على نهد

ثم هبطت وبين أيديهما سقطت فاذكرت قول الرئيس هذا الشعر النفيس

هبطت اليك من المحل الارفع * ورقاء ذات تعزز وتمنع

وقبلت الارض ووقفت فى مقام العرض ولزمت شرائط الحشمه وأدت مواجب الخدمة وهنأت نفسها والكون بسلطنة الملك يسار ذات الصوت وقالت انى لكما نعم العون وموطنى فى هذه الشجره وأنا لاوامركم مؤتمره وقد وعيت ماقلتماه ومادار بينكما وذكرتماه ورأيته صادرا من مشكاة السعاده مشرقا بانوار السياده سهامه نافذة فى قلب الغرض وسيتعبد جواهر الرعايا بادنى عرض فان حسامه مطبق لفصل القصد وشأنه سيبلغ أعلى اليمن والسعد وها قد جئت مبادره واردة منهل الطاعة وصادره فأمر الامتثال وانظر الاحتفال وتحكما لا طيع وتكلما فانى سميع فان أشرتما فالقصد واف وان استشرتما فالرأى كاف وان خبرتما فالحزم واف وان استنهضتما فالعزم شاف وان استخدمتما فالعبد خادم صاف مصاف فلما رأيا من الحمامه هذه الكرامه تبسم الزنيم وتفاءل وأشرق وجهه وتهلل وتيمن بطلعة الورقا وعلم أن أمرهما يرقى وقال ليسار هذا من علامات اليسار وجبر الانكسار والخروج الى اليمين من اليسار وعنوان السعود وحصول النجح والمقصود فان مسبب الاسباب العزيز الوهاب تبارك وتعالى وجل جلالا هو مسهل الصعاب ومفتح الابواب واذا أراد أمرا هيأ أسبابه وفتح على الضعيف طاقته وبابه ووسع رحابه وسدد الى مرامى المرام لراميه نشابه وحصول مثل هذا الصاحب الصادق والرفيق الموافق والمعين المصادق أدل دليل على ان الله الجليل ييسر هذا المطلوب ويظهر هذا النجح المحبوب ثم انهما استشارا الحمامه

انقضى باب الاسد والثور * (باب الفحص عن أمر دمنه) * (قال) دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد حدثتنى عن الواشى الماهر بالمحال كيف يفسد بالنميمة المودة الثابتة بين المتحابين فحدثنى حينئذ بما كان من حال دمنه وما آل أمره اليه بعد قتل شتربه وما كان من معاذيره عند الاسد وأصحابه حين راجع الاسد رأيه فى الثور وتحقق النميمة من دمنه وما كانت حجته التى احتج بها (قال) الفيلسوف انا وجدت فى حديث دمنه أن الاسد حين قتل شتربه ندم على قتله وذكر قديم صحبته وجسيم خدمته وانه كان أكرم أصحابه عليه وأخصهم منزلة لديه وأقربهم وأدناهم اليه وكان يواصل به المشورة دون خواصه وكان من أخص أصحابه عنده بعد الثور النمر فاتفق انه أمسى النمر ذات ليلة عند الاسد فخرج من عنده جوف الليل يريد منزله فاجتاز على منزل كليله ودمنه فلما انتهى الى الباب سمع كليله يعاتب دمنه على ما كان منه ويلومه على النميمة واستعمالها خصوصا مع الكذب والبهتان فى حق الخاصة وعرف النمر عصيان دمنه وترك القبول له فوقف يستمع مايجرى بينهما فكان فيما قال كليله لدمنه لقد ارتكبت مركبا صعبا ودخلت مدخلا ضيقا وجنيت على نفسك جناية موبقة وعاقبتها وخيمة وسوف يكون مصرعك شديدا اذا انكشف للاسد امرك واطلع عليه وعرف غدرك ومحالك وبقيت لا ناصر لك فيجتمع عليك الهوان فى القتل لمخافة شرك وحذرا من غوائلك فلست بمتخذك بعد اليوم خليلا ولا مفشى اليك سرا لان العلماء قد قالوا تباعد عمن لا رغبة فيه وأنا جدير

بجيابة ذلك والشماس الخلاص لي مما وقع في نفس الاسد من هذا الامر فلما سمع النمر هذا من كلامهما ذهب راجعا فدخل على أم الاسد فأخذ عليها العهود والمواثيق أنها لا تفشي ما يسر اليها فعاهدته على ذلك فاخبرها بما سمع من كلام كليلة ودمنة فلما أصبحت دخلت على الاسد فوجدته كئيبا حزينا مهموما لما ورد عليه من قتل شتربه فقالت له ما هذا الهم الذي قد أخذ منك وغلب عليك قال يحزنني قتل شتربه اذ تذكرت صحبته ومواظبته على خدمتي وما كنت أسمع من نصيحته وأسكن اليه من مشاورته وأقبل من مناصحته قالت أم الاسد ان أشد ما شهد امرؤ على نفسه وهذا خطأ عظيم كيف أقدمت على قتل الثور بلا علم ولا يقين ولولا ما قالت العلماء في اذاعة الاسرار وما فيها من الاثم والشنار لذكرت لك وأخبرتك بما علمت قال الاسد ان أقوال العلماء لها وجوه كثيرة ومعان مختلفة واني لاعلم صواب ما تقولين وان كان عندك رأي فلا تطويه عني وان كان قد أسر اليك أحد سرا فاخبريني به وأطلعيني عليه وعلى جملة الامر فاخبرته بجميع ما ألقاه اليها النمر من غير ان تخبره باسمه وقالت اني لم أجهل قول العلماء في تعظيم العقوبة وتشديدها وما يدخل على الرجل من العار في اذاعة الاسرار ولكني أحببت ان أخبرك بما فيه المصلحة لك وان وصل خطؤه وضرره الى العامة فاصرارهم على خيانة الملك مما لا يدفع الشر عنهم وبه تحتج السفهاء ويستحسنون ما يكون من أعمالهم القبيحة وأشد معارهم اقدامهم على ذي الحزم فلما قضت أم الاسد هذا الكلام استدعى أصحابه وجنده فادخلوا عليه فلما وقف دمنة بين يدي الاسد ورأى ما هو عليه من الحزن

في كيفية نيل الزعامه والشروع في هذا الامر والتوصل الى دعوة زيد وعمرو وطريقة اشهاره وتعاطي أسباب انتشاره فقالت أنا من جنس الطير مشهورة بينهم بالخبر ولهم الى سكون وعلى مناصحتي اعتماد وركون فالصواب في فتح هذا الباب دعوة الجمهور من الطيور وأنا به زعيم وفي الرسالة حكيم فان اقتضى الرأي الرفيع توجهت ودعوت الجميع بعد التخيير والتشهير بين الكبير منهم والصغير ان أبا الجراء السلطان وأبا الجداء الوزير وقد وقع الاتفاق في الآفاق على هذا الوفاق فليبتهج سائر الطيور بهذا الفرح والسرور وليقرأ على رؤس الجمهور هذا المقال المنشور وليبادر الى الخدمة بالحضور ولا يتخلف أحد من آمر ومأمور والحذر الحذر من المخالفه وعدم الانقياد والموالفه فقد طاب الوقت وراق وزال المقت والشقاق والمسارعة في أقرب زمان ليأخذوا لانفسهم الامان ولا يرتكبوا من التعويق سوى مسافة الطريق فاعجب الملك والوزير من الهديل هذا الهدير فكتب بذلك بطاقة وجاءتها الحمامة باحكم وثاقه ثم أخذت الى الجو ووقيت من الجوارح السو ثم هبطت الى مجمع الطير وهو نادي الندى والخير فرأت منها خلقا كثيرا وجما غزيرا فسلمت سلام المشتاق وعانقت عناق العشاق فترحبوا بقدمها وسألوا عن معرب أحوال ومعجمها وقدموا موائد الضيافه وأظهروا السرور والالطافه فبثتهم كثرة الاشواق وما عانته من ألم الفراق وقد حرضها شدة الشوق وساقها اليهم أشد سوق وبعثها أيضا باعث وهو من أحسن الوقائع وأيمن الحوادث وذلك أن شخصا من أصلاء بني سلاق الحاكم على بني زغار وبني براق تولى سلطانة السباع ومالكية الذئاب والضباع مضافا الى ذلك الحكم على الطيور والقيام بسياسة أمور الجمهور وأقام له في ذلك وزيرا كافيا ناصحا مشيرا يدعى أبا زنمة المشرقي من نسل تكابك الارتقي وهو من الفحول وكباش الوعول وقد أرسلوني الى الجماعه يأمرونهم بالدخول في رياض الطاعه ليحصل لهم الرعي والرعايه والرفاهية والحمايه ويأمنوا صيد الكائد وكيد الصائد ثم شرعت تبث للكبير والصغير ما شاهدت من مخايل الملك والوزير وحسن شمائلهما وعين خصائلهما وما هما عليه ونسبا اليه من الشجاعة والدين والعقل المتين والفضل المبين والقناعة والعفه والمجد الذي لا يدرك وصفه وان الملك المعلوم قد عف عن تناول اللحوم وقد قنع بما يسد الرمق من حشيش النبات والورق وقد تكفل برفع المظالم وردع الظالم واجراء مراسم العدل واحياء مواسم الفضل فان أنابوا وأجابوا ربحوا وأصابوا وطالوا وطابوا وان أبوا وصبوا واهتزوا للمخالفة وربوا ثم كسهم الدمار وأركسهم فلا يلوموا الا أنفسهم فصدقوها من أول وهله والرائد لا يكذب أهله لانهم كانوا بها واثقين ولكلامها في الحوادث مصدقين فما وسعهم الا الطاعه والتوجه الى خدمة الملك في تلك الساعه وبعد ما تبادروا بالتصديق طاروا بالفرح ودخلوا الطريق واستصحبوا من الخدم والتقادم ما يصلح للمخدوم من الخادم فلما قاربت الديار ودنوا من ولاية الملك يسار تقدمت الحمامة وسبقت وأخبرت الملك والوزير بما اتفقت ورتقت فاستبشر وابما تقدم وبادر الوزير لملاقاة المقدم فتلقاهم بالاحترام والتوقير وأكرم الكبير منهم والصغير ومشى معهم بالاكرام والحرمه وأوقف كلا منهم في مقام الخدمه وحين استقر بهم المقام افتتح الوزير الكلام فاثنى على الله تعالى وضاعف التحية على نبيه ووالي ثم امتدح الملك الذكي بثناء يخجل المسك الزكي وذكر بعد ذلك ما يتعلق بسياسة الممالك وان الله من بالملك عليه وساق سلطنة الوحش والطيور اليه وذكر مقام كل من الطيور وما وظيفته بين أولئك الجمهور فأطاع الكل وتابعوا وعلى ما اقترحه عليهم بايعوا وأنشدوا فارشدوا

وجئن أتينا طائعين ولم نكن * عصاة فرم غير الطيور عساكرا

والكآبة التفت الى بعض الحاضرين فقال ما الذى حدث وما الذى أحزن الملك فالتفتت أم الاسد اليه وقالت قد أحزن الملك بقاؤك ولو طرفة عين وان يدعك بعد اليوم حيا (قال دمنه) ماترك الاول للآخر شيئا لانه يقال أشد الناس فى توقى الشر يصيبه الشر قبل المستسلم فلا يكونن الملك وخاصته و جنوده المثل السوء وقد علمت انه قد قيل من صحب الاشرار وهو يعلم حالهم كان اذاه من نفسه ولذلك انقطعت النساك بانفسها عن الخلق واختارت الوحدة على المخالطة وحب العمل لله على حب الدنيا وأهلها ومن يجزى بالخير خيرا و بالاحسان احسانا الا الله ومن طلب الجزاء على الخير من الناس كان حقيقا أن يحظى بالحرمان اذ يخطئ الصواب فى خلوص العمل لغير الله تعالى وطلب الجزاء من الناس وان أحق مارغب فيه رعية الملك هو محاسن الاخلاق ومواقع الصواب وجميل السير وقد قالت العلماء من صدق ما ينبغى أن يكذب وكذب ما ينبغى أن يصدق أصابه ما أصاب المرأة التى بذلت نفسها العبد حتى فضحها بالتلبيس علم ما قال الاسد وكيف كان ذلك (قال دمنه) زعموا انه كان فى بعض المدن تاجر وكانت له امرأة ذات حسن وجمال وكان بجنب التاجر رجل مصور ماهر وكان هو ولامرأة التاجر خليلا فقالت له يوما ان استطعت ان تحتال بحيلة اعلم بها مجيئك من غير نداء ولا ايماء ولا ما يرتاب به من فعالك وفعلى قال المصور عندى من الحيلة ما سأأتك مما يسرك و يقر عينك ان عندى ملاءة فيها من تهاويل الصور وتماثيل الصنعة وأنا ألبسها حين مجيئى اليك ومتراءات فيها ثم ان المصور لبس الملاءة وتراءى للمرأة فعلمت بمكانه فخرجت

ولما انقضى الوطر من قضايا الطير أخذوا فى استدعاء جموع الغير من الوحوش الكواسر والبهائم الجواسر والهوام النواشر والجوارح النواسر وأرسلوا من تلك الجماعة الحمامه وقلدوها فيه طوق الزعامه فتوجهت نحو الوحش والى كل نازح من الصيد وجحش وكانوا بذلك قد سمعوا وللمشاوره فيه قد اجتمعوا فبلغت الحمامة الرساله واظهرت ما فيها من بساله وكان آخر ما وقع عليه الاتفاق الوفاق وعدم النفاق وقصد الارتفاق والتوجه الى خدمة الملك باختيار صحبة الرفاق وقالوا لا شك أن الكلب بالوفاء مشهور و بحسن الرعاية والحراسة مذكور و يقدر أن يرعانا من الانسان و يحمينا من السباع ومؤذيات الحيوان وأوصافه مذكورة فى الكتاب وناهيك بفضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب فتقدم خزز من بين تلك البرز يدعى رئيس الارانب محبب الى الاقارب والاجانب وهو مشهور بالحصافه موصوف بالذكاء والظرافه والمعرفة التامه والتجربة المفيدة العامه بعيد الفكر فى العواقب سديد الرأى حازم مراقب وقال يا معشر الاصحاب وأولى الابصار والالباب كيف خفى عليكم ولم يتضح لديكم عاقبة هذه الامور وما فيها من عكوس وشرور وهل يصلح للرياسه واقامة السلطنة والسياسه أهل النذالة والخساسه المتصف بالقذارة والنجاسه أوما علمتم أن من أخش السباب الشتم باخس من الكلاب أوما سمعتم فى كلام مالك أزمة القلب فى حق من عامله بالسلخ والسلب فمثله كمثل الكلب أوما قال صاحب الشرع فى حق ما ولغ فيه الكلب بالسبع ثم التعفير بالتراب وهو مذهب كثير من الاصحاب وان لا يطهر بالدباغه منه الاهاب لا أصلى تقى ولا وصف نقى ولا نسب طاهر ولا حسب ظاهر ولا وجه زاهر ولا شكل باهر فان كنتم نائمين انتبهوا واعرضوا عما قصدتم اليه وانتهوا فلعن الله زمانا صار فيه التيس وزيرا والكلب سلطانا ولقد أرشد من أنشد

لقد جار صرف الدهر فى كل جانب * من الارض واستولت علينا الاراذل
هل المسخ الا أن ترى العرف منكرا * أو الخسف الا حين تعلو الاسافل

فتصدى الهديل للجواب وقال لا شك ولا ارتياب أن المستحق للسلطنة الامام العادل والشخص الكامل الفاضل ولا يقدح فى هذا الفصل دناءة الاصل فقد قال القيوم الحى يخرج الحى من الميت و يخرج الميت من الحى وكل من اتصف بالهمة العليه والاوصاف السنيه ومكارم الاخلاق والشيم وانتشر بها صيته بين الامم يستحق أن يرأس بين العرب والعجم وأما الانساب ففى نص الكتاب قال من بقوله يهتدى المهتدون فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقال الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * فسوف يغنيك ذاعن النسب
ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

وقال أيضا

لعمرك ما الانسان الا ابن يومه * على ما تجلى يومه لا ابن أمسه
وما الفخر بالعظم الرميم وانما * فخار الذى يبغى الفخار بنفسه

وأما الاوصاف فلا شك ولا خلاف فى أن الكلاب فضلت على كثير ممن لبس الثياب وما ذاك الا الاوصاف اختصتها وآثار اقتفتها واقتنصتها وهى مشهوره وعن الكلاب مسطوره ومن جملة محاسنهم مأثوره وأما الاوصاف الذميمه فيمكن صيرورتها مستقيمه وذلك بحسن التأديب والتربية والتهذيب والتمرين والتشذيب حتى يصير نابه مديه ويعتزى بالفاكهة والبطيخ عن اللحم السليخ و بالخبز الشعير عن أكل لحم الحمير وناهيك بأبا وثاب ما قيل فى الكلاب ولابسى الثياب (شعر)

وما ضر أهل الكهف ايمان كلبهم * ولكنهم زادوا يقينا على هدى

وماذا أفاد العلم بلعام وهو من * بني آدم لما الى الارض أخلدا

وهذا السلطان قد عاهد الرحمن أن لا عز في حيوان ولا يذوق لجان وأن يقنع بالكفاف ويسلك طريق العفاف وما ذاك لعجز ينسب اليه ولا لوهن طرأ عليه بل سمت همته عن ذلك ترفعا وسلك طريق الملوك في احياء هممها وأمالها تطبعا * وبضدها تتبين الاشياء فان أجبتم كان لكم الحظ الاوفر وان امتنعتم فقد أعذر من انذر وبلغ من حذر وما نصر من بصر والعاقل من تبصر عيوبه ويسلك من الخلق الجميل دروبه وقد قيل لامير النحل ذاك الاسد الفحل كرم الله وجهه وجعل له الى الرضوان أحسن وجهة يا أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين ممن تعلمت الادب قال من قابل الادب يعني اذا رأيت في أحد خلقا ذميما ووصفا فاسدا بادرت الى افتقاد نفسي وتأملت في حدسي وحسي هل أنا متحلي بذلك الوصف أم لا فان لم يكن اجتهدت أن لا يكون وان كان أبعدته عرضي واصون وحسبك يا ذا الرتبة العالية استنكاف اللص العاقل من قول تلك الزانية فقالت الحمزة الحمامة أخبريني بذلك الاستنكاف يا ذات الكرامة * قالت الحمامة ذكر رواة الاخبار عن شاطر من الشطار قد بلغ في الشطارة واللصوصية غاية المهارة يسرق الوهم من الخاطر والرائحة من الطيب العاطر والنوم من أجفان الوسنان واللماظة من أسنان الجيعان ويأتي على كوامن الغيوب فضلا عن خزائن الجيوب ويلف الرخيص والغالي والوضيع والعالي وقد أعجز المقدم والوالي ففي بعض الاوقات قصد جهة من الجهات فبينا هو في المناهضة والمناهزة غشيه الوالي مع العسس والجلاوزة ومعهم امرأة بغي قد خرجت عن الصراط السوي وهم يضربونها وعلى أقطع حالة يسحبونها وهي تستصرخ المسلمين وتستغيث أئمة الدين فلما أحس اللص بهم نكب عن دربهم وولاهم عطفه وانزوى في عطفه وانتظر حتى عبروا فسمع المرأة وهم بها قد أضروا وهي تصيح بلسان فصيح وتقول يا أهل الاسلام وأمة خير الانام أتجلدوني وارجموني واسعدوني لا سرقت ولا نقبت ولا اختلست ولا سلبت ولا طمعت في مال أحد ولا نهبت ولا وقفت لاحد في درب وانما استنفق من حاصل دار الضرب وذلك ملكي وجوزي وغرتلوزي وجوزي باشارة سهام الحاظي الملوزة من قسي حواجب بالجمال متوزة وسفارة نظام الفاظي المعززة المشبهات طريقها ودر وافي العقيق والرحيق مغرزة فمالي على أحد ثقل ولا طمعت في مال أحد فحصل له مني مال فلما سمع قاصد الحرام هذا الكلام افاق وصفا له الخاطر وراق وتنبه لقبح صنعته وان الزواني تأنف من حرفته وتستنكف مما هو مفتخر بفضيلته فقال لعن الله فعلا تنتقصه اللواطي وتتباوسه المتعاطية من متعاطي ثم عاهد الله التواب ورجع اليه عن صنعة الحرام وتاب (وانما أوردت) هذه المناقب يا شيخ الارانب لتعلم أن العاقل من يتصفح جرائد أعماله ويتأمل صحائف حركاته وأحواله وان هذا الملك صفي شراب صفاته من كدورات الهوى براووق المراقبة ونقى رياض ذاته من شوك الاخلاق الذميمة بمنكاش المعاتبة بقدر طاقته وامكانه وهو مثابر على ذلك في غالب ازمانه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وليس لك أن تعترض بان النفس لا تغير طبعها وليس الاكمه كالارمد ولا السطيح كالمقعد ولا الجبان كالقاتل ولا العاقل كالمتعاقل * ليس التكحل في العينين كالكحل * وتخرج يا مسكين بواقعة السلطان محمود بن سبكتكين مع وزيره حسن الميمندي بسبب القضية الواقعة لابن الجذي فسأل أبو عكرشة أبا عكرمة عن هذه الواقعة ليتبين من التمثيل مواقعه (فقال) ان السلطان محمود ذا الطالع المسعود الذي فتح بلاد الهنود جرى بينه وبين وزيره مباحثة وقع فيها عن دقيق العلوم منابشة في أن الطباع هل تقبل التغيير أم لا تستحيل عما جبلها عليه الفاطر الخبير فقال الوزير نعم تقبل التغيير بواسطة التأديب

اليه وفرحت به وتهيأت له فبصر بها في تلك الحالة عبد المرأة فعجب من ذلك وتحير وكان هذا العبد لامة المصور فجاء الى المصور وأخبره ولما طلب الملاءة منها وسألها ذلك وقال أريد ان أريها صديقا لي لا سره بذلك وأسرع الكرة بردها قبل أن يعلم به مولاك فاعطته أمة المصور الملاءة فلبسها العبد وأتى سيدته على نحو ما كان يأتيها المصور فلما رأته لم تشك في محبته ولم ترتب في أنه خليلها فأتت اليه وبذلت له نفسها فقضى حاجته منها وبلغ غرضه ثم رجع بالملاءة الى أمة المصور فدفعها اليها فوضعتها موضعها وكان المصور عن بيته غائبا فلما جن الليل عاد الى منزله فلبس الملاءة على عادته وتراءى للمرأة فلما شاهدت ذلك وثبت اليه وقالت لقد أسرعت الكرة لم تكن عندي وقد قضيت حاجتك فما ذا العود فلما سمع المصور كلامها رجع الى منزله فدعا جاريته فاوعدها بالقتل أو لتخبره بالحقيقة فاخبرته بالقصة فاخذ الملاءة فاحرقها (وانما ضربت لك) هذا المثل ارادة أن لا يعجل الملك في أمري بشبهة ولست أقول هذا كراهة للموت فانه وان كان كريها فلا منجا منه وكل حي هالك ولو كانت لي مائة نفس واعلم ان هوى الملك في اتلافهن طبت له بذلك نفسا فقال بعض الجند لم ينطق بهذا حبه الملك ولكن لخلاص نفسه والتماس العذر لها فقال له دمنة ويلك وهل علي في التماس العذر لنفسي عيب وهل أحد أقرب الى الانسان من نفسه واذا لم يلتمس لها العذر فمن يلتمسه لقد ظهر منك ما لم تكن تملك كتمانه من الحسد والبغضاء ولقد عرف من سمع منك انك لا تحب لاحد خيرا وانك عدو نفسك فمن سواها بالاولى فمثلك لا يصلح أن يكون مع البهائم فضلا عن أن يكون مع الملك وان يكون ببابه فلما

وحسن التشذيب والتهذيب وقد شاهدنا الطباع من الوحوش والسباع بواسطة التعليم تركت الخلق الذميم واكتسبت الوصف المستقيم فحري بان هذا الامكان أحرى ان يوجد في جنس الانسان فقال السلطان الظافر لا تتحول الطباع ولا تتغير ولا يمكن صرفها عما جبلت عليه ولا يتصور قال من ليس في كلامه اشتباه فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وقال القائل * وتأبى الطباع على الناقل * واستمر هذا الكلام بينهما عدة أيام الى أن ركب السلطان وقصد السيران والوزير في ركابه بين خدمه وأصحابه فرأيا من بعد شابا من أولاد أحد الجند وهو جالس على فرع شجرة يابس يريد قطعه لما عدم نفعه وقد جعل ظهره الى طرف الفرع وهو يعمل بالمنشار في أصله للقطع فتأمل السلطان والوزير في هيئة ذلك الظبي الغرير ثم قال السلطان للوزير بين الاعيان وطبع هذا أيضا داخل في الامكان وهو يقبل التغيير والتعليم ويمكن استحالته بالتأديب والتفهيم فلم يحر الوزير جوابا لا خطأ ولا صوابا ثم أشار الى بعض خوله ان يذهب بذلك الشاب الى منزله فلما نزل من الركوب أحضر ذلك الشاب المرعوب الغافل المحبوب ثم طلب له مؤدبا حاذقا مهذبا وأمره أن يجتهد في تعليمه ويبالغ في تأديبه وتقويمه ويوقفه من العلوم على دقائقها ويسلك به الى خفايا طرقها وطرائقها فاشتغل بتربيته ليلا ونهارا وبذل مجهوده في ذلك سرا وجهارا الى ان برع في أنواع العلوم وضبطها من طريقي المنطوق والمفهوم ولما فرغ من العلوم أدناها وأنهاها من مبتدئها الى منتهاها شرع به في علم ادريس وهو علم النجوم النفيس واستطرد منه الى علم الرمل المنير وتوسل به الى ان توصل الى اخراج الضمير فأتقن هذه العلوم لاسيما اخراج الضمير الموهوم فلما أتقن ذلك وسلك فيه أدق المسالك أحسن الوزير اليه واستصحبه الى الملك ودخل به عليه فقبل الارض وأدى من شرائط الخدمة النافلة والفرض وقال للسلطان محمود ان هذا هو ذلك الشاب المعهود وقد برع في العلوم ووصل الى استخراج الضمير المكتوم وقد بدلت بلادته بالذكاء وصار فؤاده كابن ذكاء فان اقتضت الآراء السلطانية سبرته واعتبرت فهمه بعد ما اختبرته فأدخل السلطان يده في كمه ونزع خاتمه من اصبعه وأطبق يده عليه ليسبر منتهى علمه وينظر ما قاله الوزير في كيفية هذا التبديل والتغيير ثم أخرج يده من كمه وقال ليظهر نتائج علمه ليخبرنا بما في كفي وعن حواس العيون مخفي فتقدم الشاب ورفع الاصطرلاب ووضع أوضاع الحساب وخط ذلك النقي اشكال الحيات والنقي وسائر الاوضاع من الطريق والاجتماع ثم نظر وسبر وعبس وبسر وقدر وافتكر وقال دل الشكل والله اعلم ان ما حواه الكف المكرم شئ من المعادن محفوف بسودد أو سواد بائن وهو في أفضل الاشكال لانه مستدير وفي أحسن الالوان لانه مستنير وفي دائرته قطر ومركز وفي وسطه ثقب لمغرز وهو ثقيل اما في الثمن أو في التحميل ثم تأمل بعد الوقوف في ان هذا الموصوف ماذا يكون فقال كانه والله اعلم فردة طاحون فضحك السلطان الكبير وخجل لذلك الوزير ثم قال السلطان أبى الله وله السبحان أن يكون باقل كسحبان

اذا كان الطباع طباع سوء * فليس بنافع أدب الاديب

(وانما أوردت) هذه المسائل لئلا يعترض قائل ويستدل بمثل هذا الدليل على ان الطباع لا تقبل التغيير والتحويل بل الطباع تتغير * ومن ذا الذي يا عز لا يتغير * فسبحان من لا يحول ولا يزول الذي وضع عالم الكون على الانتقال والحلول وكل الجلال عظمته مخبت يمحق ما أراد ويثبت ويمحو ما يشاء ويثبت ومذهب أهل الثبات في المحو والاثبات ان الكافر قبل الاسلام كافر عند الملك العلام وبعد ما انخرط في سلك المؤمنين صار مؤمنا عند رب العالمين وعلى هذا التقدير والتقرير أيها الفاضل الكبير والعالم النحرير فالملك يسار نظر بعين الاعتبار وتنصل من رذائل الاوصاف وتخلق باخلاق الاشراف من التلبس

أجابه دمنه بذلك خرج مكتئبا حزينا مستحييا فقالت أم الاسد لدمنه لقد عجبت منك أيها المحتال في قلة حيائك وكثرة وقاحتك وسرعة جوابك لمن كلمك (قال دمنه) لانك تنظرين الى بعين واحدة وتسمعين منى باذن واحدة مع ان شقاوة جدى قد زوت عنى كل شئ حتى لقد سعوا الى الملك بالنميمة على ولقد صار من بباب الملك لاستخفافهم به وطول كرامته اياهم وما هم فيه من العيش والنعمة لا يدرون في أى وقت ينبغى لهم الكلام ولا متى يجب عليهم السكوت قالت ألا تنظرون الى هذا الشقى مع عظم ذنبه كيف يجعل نفسه بريئا كمن لا ذنب له (قال دمنه) ان الذين يعملون غير أعمالهم ليسوا على شئ كالذى يضع الرماد موضعا ينبغى أن يضع فيه الرمل ويستعمل فيه السرجين والرجل الذى يلبس لباس المرأة والمرأة التى تلبس لباس الرجل والضيف الذى يقول أنا رب البيت والذى ينطق بين الجماعة بما لا يسئل عنه وانما الشقى من لا يعرف الامور ولا أحوال الناس ولا يقدر على دفع الشر عن نفسه ولا يستطيع ذلك قالت أم الاسد أتظن أيها الغادر المحتال بقولك هذا انك تخدع الملك ولا يسجنك (قال دمنه) الغادر الذى لا يأمن عدوه مكره واذا استمكن من عدوه قتله على غير ذنب قالت أم الاسد أيها الغادر الكذوب أتظن انك ناج من عاقبة كذبك وان محالك هذا ينفعك مع عظم جرمك (قال دمنه) الكذوب الذى يقول ما لم يكن ويأتى بما لم يقل ولم يفعل وكلامى واضح مبين قالت أم الاسد العلماء منكم هم الذين يوضحون أمره بفصل الخطاب ثم نهضت فخرجت فدفع الاسد دمنه الى القاضى فأمر القاضى بحبسه فالقى في عنقه بالعدل

بالعدل والانصاف ولولا نيته الصالحه ماصارت صفقته في المبايعة رابحه ولا كانت كفة فضله راجحه ولا زايله الشكد ولا أطاعه أحد والاعمال بالنيات وعلى مقدار النيات العطيات وجنس هذا الملك في الاوصاف المتباينة مشترك فانه قد جمع بين خصائص الحيوان حتى كانه سبع بهيمة انسان كما قيل

جمع الكلب في حلاه صفات * فهو سبع بهيمة انسان

وكما قيل أيضا

يكاد اذا ما أبصر الضيف مقبلا * يكلمه من حبه وهو أعجم

وأنا يا مولاى اعرض عليكم هذا الرأى وهو شاهد عدل وحكم فصل وهو ان يقع الاتفاق على واحد منكم من خلص الرفاق من تحقق ثم حسن آرائه وصدقه في انبائه وصحة دينه ورصانة عقله ويقينه فانطلق في ركابه الى حضرة الملك وجنابه فيكتحل بانوار طلعته ويشم له ميامن رؤيته ويطالع جميل صفاته ليسكن الى تفصيل حركاته وينتقل من علم اليقين الى عين اليقين فيزول باليقين الشك ويظهر خلاصة الذهب بالحك ثم يأخذ لكم العهد والميثاق بما يقع عليه الاتفاق وماترضونه وترونه من الصواب ويرد عليكم بذلك الجواب فان وافق قصدكم تؤكدون عليه عهدكم وتتوجهون بقلوب مطمئنه وخواطر في حصول المرام مستكنه والافترون رأيكم فيما عليكم ومالكم فاستصوبوا هذا الرأى واسترضوه واستعذبوا لطيف معناه واستحسنوه وانتدبوا لهذا الامر الخطير من يصلح أن يكون عند الملوك السفير فوجدوا ظبيا طيب العناصر قد عقدت على غزارة فضله الخناصر من أعقل الجماعة وأذكاها وأحسنها رأيا وأدهاها فقلدوه الزعامه وأرسلوه مع الحمامه على ان يجتمع بالملك يسار ويعاهده على مايقع عليه الاختيار ثم يسمع أقواله ويشاهد أفعاله ويميز أحواله ثم يرد عليهم الجواب فيميزوا مافيه من خطا وصواب فيبنوا عليه ويرجعوا اليه فتوجه الظبي والحمامه مستصحبين الامن والسلامه فلما قربت الديار سبقت الحمامة الى خدمة الملك يسار وأخبرته بصورة الاخبار وان الظبي في العقب مقبل بما عجبه الملك وعجب فأمر الملك الوزير ان يتلقى الظبي الغرير مع جمع الطير الكثير فتقدم الوزير وقال أسأل مولانا الملك المفضال ان صدر من هذا القاصد خطاب ان يشار الى رد الجواب فان ذلك أعلى للعرمه وأدنى للحشمه وأقوى لناموس الملك والرياسه وازهى لطاوس البسوق والسياسه فان كان ذلك الجواب متحليا بجيد بعقود الصواب كانت سعادة الملك الملهمه وفي خدم الملك من تصدى للامر وابرمه فان خرج عن طريق الجاده فلا ينسب الى الملك تلك المساده بل يتلقاه الملك بكرمه ويكون الخطأ منسوبا الى خدمه فأجابه الى ماسأل وتقدم الوزير للملاقاة مع سائر الخول فتلقوا الظبي بالترحاب وفتحوا في وجهه للكرامة أوسع باب ومشوا معه حتى وصل الى الحضرة وشاهد تلك الحشمة والنضره فقبل الارض ووقف وعرف مقدار الملك واعترف وأدى الرساله وبين للملك مافيها من رقة وجلاله فقابله الملك بما يليق بحشمته واجلسه بالقرب من حضرته وخاطبه بما اذهب دهشته وآنسه بملاطفات جلت وحشته وسأله عمن خاف وراءه واستقصى في التفحص أحواله وأنباءه فبلغ عبوديتهم وطاعتهم وان الاخلاص والطاعة شملت جماعتهم وفتح فم الدعاء بلسان ذلق وخطاب طلق وكلام غير معقد ولا قلق وأطال في الدعاء واطنب في الشكر والثناء وسأل شمول المراحم وكف كف المتعدى والمزاحم فانهم انبسطوا وانشرحوا وابتهجوا باستيلاء هذا الملك وفرحوا وشكر والله هذه النعمه وأنى يقومون بشروط العبودية والخدمه ثم سال أخذ الميثاق وتأكيد العهد بالايثاق بالامان والاطمئنان لمن وراءه من الوحوش والغزلان فأعطاهم الامان وشملهم بالاحسان على ان لا يراق لهم دم ولا ينتهك لهم حرم وانهم يرعون حيث شاؤا ويسرحون حيث ذهبوا وجاؤا وان الملك يسارا كم سلوق وزغار وخليفة براق وكوبال والتتار قد

حبل وانطلق به الى السجن فلما انتصف الليل أخبر كليله ان دمنه في الحبس فأتاه مستخفيا فلما رآه وماهو عليه من ضيق القيود وحرج المكان بكى وقال له ماوصلت الى ماوصلت اليه الا استعمالك الخديعة والمكر واضرابك عن العظة ولكن لابد لي فيما مضى من انذارك والنصيحة لك والمسارعة اليك في خلوص الرغبة فيك فانه لكل مقام مقال ولكل موضع مجال ولو كنت قصرت في عظتك حين كنت في عافية لكنت اليوم شريكك في ذنبك غيران العجب دخل منك مدخلا قهر رأيك وغلب على عقلك وكنت أضرب الامثال كثيرا وأذكرك قول العلماء وقد قالت العلماء ان المحتال يموت قبل أجله (قال دمنه) قد عرفت صدق مقالتك وقد قالت العلماء لا تجزع من العذاب اذا وقفت منك على خطيئة ولان تعذب في الدنيا بجرمك خير من ان تعذب في الآخرة بجهنم مع الاثم (قال كليلة) قد فهمت كلامك ولكن ذنبك عظيم وعقاب الاسد شديد اليم وكان بقربهما في السجن فهد معتقل يسمع كلامهما ولا يريانه فعرف معاتبة كليله لدمنه على سوء فعله وما كان منه وأن دمنه مقر بسوء عمله وعظيم ذنبه فحفظ المحاورة بينهما وكتمها ليشهد بها ان سئل عنها ثم ان كليله انصرف الى منزله ودخلت أم الاسد حين أصبحت على الاسد فقالت له ياسيد الوحوش حوشيت أن تنسى ما قلت بالامس وانك أمرت به لوقته وأرضيت به رب العباد وقد قالت العلماء لا ينبغي للانسان أن يتوانى في الجد التقوى بل ولا ينبغي أن يدافع عن ذنب الاثيم فلما سمع الاسد كلام أمه أمر أن يحضر النمر وهو صاحب القضاء فلما حضر قال له وللجواش العادل اجلسا في موضع الحكم وناديا في الجند

عاهد الملك الجبار أن لا يتعرض لوحش القفار ولا لاحد من اجناس الاطيار حتى ولا لحيتان البحار ولا يريق لهم دما ولا يقصدهم بأذى ولا ألما ويرعى جانبهم ويقضى مآربهم ويحفظ شاهدهم وغائبهم ويمنعهم من مناويهم ولا يسلط عليهم من يؤذيهم ماداموا تحت طاعتى وفى جوارى وذمتى فقبلت الغزاله بشفاه العبودية خد الجداله وقالت هذا كان المأمول وجل القصد من الصدقات والمسؤل والذى جىء لاجله فقد حصل من صدقات الملك وفضله ولكن العلم العالى محيط بان وحوش البسيط اقوام ضعاف ليس بينهم ائتلاف وهم طوائف كثير والاختلاف أجناس متفرقه وانواع متمزقه ليسوا كقطائع الغنم مجتمعين ولا كحشار الخيل ممتنعين ولا لبعضهم لبعض متبعين ثم لم تزل العداوة بينهم قائمه وعيون الصلح والاتفاق منهم نائمه لا يضبطهم ديوان ولا يحصرهم حسبان ولا يمنعهم من التعدى سلطان القوى يكسر الضعيف ويمزقه والشاكى يستطيل على الاعزل ويفرقه ولاجل هذا المعنى لا يمكن اجتماعهم فى مغنى بل البعض فى قلل الجبال متوطن والبعض فى سرب التلال متحصن والبعض متشبث بذيل الكهوف والمغارات والبعض فى الآجام والآكام خوف الغارات وكل يخاف حلول البلاء قد اتخذ لذلك القاصعاء والنافقاء واستعد بفنون الكيد خوفا من جوارح الصيد واذا كان الامر كذلك فاجتماعنا متعسر وحفاظنا فى الملك غير متيسر فلابد من ترتيب قاعده تعم منها جميع الوحوش الفائده ويشمل أمنها غائب الملك وشاهده والا فالحاضر آمن وقلب الغائب غير مطمئن ولا ساكن فليفتكر للرعية فى ضابطه تكون الحرمة فيها القريب والنائى باسطه فالتفت الملك للوزير وقال أجب هذا السفير فقال الزنيم يا أحسن ريم هذه الافكار من قصور الانظار وعدم التأمل والاستبصار والا فان السلطان فى كل مكان كلمته عليا ووجوده كالشمس فى الدنيا فكان الشمس اذا استوت وعلى سرير كبد السماء احتوت عم فيض شعاعها الجبال والآكام والتلال والآجام وانتشر على البحر والبر واشتهر على الفاجر والبر فربت الازهار والاثمار وشبت مشاعل الكلا فى القفار وطبخت الغلال وفواكه الاشجار وصبغت فى كوامن المعادن جواهر الاحجار كما قيل

كالشمس فى كبد السماء محلها * وشعاعها فى سائر الآفاق

كذلك الملك العظيم اذا انتشر صيت عظمته وعدله فى سائر الاقاليم شمل فضله الشريف والوضيع وبلغ جوده وجوده الدنى والرفيع وردع عدله الطائع والعاصى ووسع نواله الدانى والقاصى وانه كالغمام الصيب الصبيب على الربيع الخصيب والديمة المطبقة والمزنة المغدقه اذا انتشرت فى الآفاق وصارت لام عهد عاهدها الاستغراق فروت الحضيض واليفاع وعمت الوهاد والتلال والبقاع وخاطبها ظمآن الرياض وعطشان الغياض شعر

أمطر على سحاب جودك مرة * وانظر الى برحمة لا أغرق

هذا ومتى انتشر فى الاطراف انكم التجأتم الى هذه الاكناف وتطرز بشمول الصدقات السلطانية من ملابس طاعتكم الطراف والاطراف منعت العواطف الملوكيه والخواطر الشريفة السلطانيه عوادى المعادى وكفت أكف المصادم والمصادى فلا يجترئ أحد على التعرض لكم ولا يخطر ببال مخالف أن يقطع سبلكم قال الرسول الامر كما يقول مولانا الامير وما أحسن هذا التقرير ولكن مع المراحم السلطانيه وصدقات العواطف الملوكيه وحسن الطويه واحسان النيه فلابد للسياسه وضبط الرياسه وقواعد الملك فى الحراسة من ضابط يبنى عليه الملك لامره أساسه لا يتميز به كبير دون صغير ولا يختص برعايته جليل غير حقير فان من أحسن أوصاف الملوك والاكابر ان لا يغفلوا عن تفقد أحوال الصعاليك والاصاغر

صغيرهم وكبيرهم ان يحضروا وينظروا الى حال دمنه ويبحثوا عن شانه ويفحصوا عن ذنبه ويثبتوا قوله وعذره فى كتب القضاء وارفعا الى ذلك يوما فيوما داما سمع النمر وجواش العادل وكان هذا الجواش عم الاسد قالا سمعا وطاعة لما أمر الملك وخرجا من عنده فعملا بمقتضى ما أمرهما به حتى اذا مضى من اليوم الذى جلسوا فيه ثلاث ساعات أمر القاضى أن يؤتى بدمنه فاتى به فاوقف بين يديه والجماعة حضور فلما استقر به المكان نادى سيد الجمع باعلى صوته أيها الجمع انكم قد علمتم ان سيد السباع لم يزل منذ قتل شتربه خاسر النفس كثير الهم والحزن يرى انه قد قتل شتربه بغير ذنب وانه أخذه بكذب دمنه وغيمته وهذا القاضى قد أمر أن يجلس مجلس القضاء ويبحث عن شان دمنه فمن علم منكم شيا فى أمر دمنه من خير أو شر فليقل ذلك وليتكلم به على رؤس الجمع والاشهاد ليكون القضاء فى أمره بحسب ذلك فاذا استوجب القتل فالتثبت فى أمره أولى والعجلة من الهوى ومتابعة الاصحاب على الباطل ذل فعندها قال القاضى أيها الجمع اسمعوا قول سيدكم ولا تكتموا ما عرفتم من أمره واحذروا فى الستر عليه ثلاث خصال أما احداهن وهى أفضلهن أن لا تزدروا فعله ولا تعدوه يسيرا فمن أعظم الخطايا قتل البرىء الذى لا ذنب له بالكذب والنميمة ومن علم من أمر هذا الكذاب الذى اتهم البرىء بكذبه وغيمته شيأ فستر عليه فهو شريكه فى الاثم والعقوبة والثانية اذا اعترف المذنب بذنبه كان اسلم له ولا وأحرى الملك وجنده ان يعفوا عنه ويصفحوا والثالثة ترك مراعاة أهل الذم والفجور وقطع أسبابهم واصلاتهم ومودتهم عن الخاصة

ولا يقتصر وافى ذلك على نوع دون جنس كما يفعله لغلبة الهوى بعض حكام الانس مع أنهم مسؤلون عن جليلها وحقيرها ومحاسبون على كبيرها وصغيرها وفى شانهم قد قال من فى ضبط حركاتهم وما كانهم ستقصاها ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وقد تنبه لهذا الفعل الرجيح أيها الوزير النصيح والمنطيق الفصيح أنوشروان وهو من الكفار واشتهر عنه قضية الحمار فسال الوزير بيان هذا التقرير (فقال) الريم بلغنا أيها المكريم ان أنوشروان بالغ فى نشر العدل والاحسان ومعاملة الرعيه كبيرا وصغيرا بالسويه وبذل فى ذلك جهده واستنهض لمساعدته وكده وكده واختشى ان يمنع المتظلم الفقير الابواب بسبب حاجب أو كبير الغرض أو عرض أوارتشاء من فى قلبه مرض فيمشى مداس البراطيل من خوف الاباطيل ويضيع بحث صارخ الحق فى أوقات التعطيل فاداه قائد اجتهاده وانتهى به رائد مراده الى أن يعقد فى طاق مبيته ويجمع خاطره عن تشتيته من محاذى السرير حبل من الحرير ويربط طرفه الادنى فى حلقة الباب حيث لا حاجب ولا بوّاب وهو مكان مجتمع الجمهور ولا يمنع أحد فيه من الوقوف والمرور وان يشد فيه أجراس من خالص الذهب لا النحاس بحيث انه اذا حرك الحبل صوتت الاجراس صوتا أخرس الطبل ثم أمر مناديا أن يرفع صوتا عاليا بأن من كان شاكيا فعليه بتحريك ذلك الحبل ليقع الظالم فى الكبل او ينتصر المظلوم من بعد ومن قبل فاشتهرت هذه العادة ونال بها فى الدنيا السعاده وعظم صيته وخمدت عفاريته وانتصفت صفاريته ففى بعض الظهائر عند قائلة الهواجر وأنوشروان فى مبيته قد طاب اضطرب الحبل والاجراس أشد اضطراب فقفز أنوشروان مذعورا وتصور المحرك مظلوما مقهورا فابتدر بطلبه لينظر فى ظلمه وسببه فتبادروا الى احضاره واستكشاف أخباره واذا هو حمار جرب جنب جسمه من الجرب خرب ومتن ظهره من الحكة نقب وقد هدم عمارة عمره هادم الهرم والهب حشيش حشاشته من الجوع ما فى الضرم يحمله صاحبه ما لا يطيقه ويقطع عنه قوته وعليقه يؤذيه ولا يداويه ويدوربه ولا يداريه فطلب مالكه وعتبه ثم زجره وضربه ثم أمر بالنداء فى الاسواق وامتد ذلك حتى بلغ الآفاق وعم الضواحى والرزداق ان يسلك بما ملكت اليمين الارفاق ولا يقتر عليها فى الانفاق وكل من عنده دابة قد استعملها فى صباها واستوفى فى خدمته قواها يراعى حقوقها اذا كبرت ولا يضيع ما قدمت بما أخرت وصك وجه ذلك الرجل صكا وكتب عليه بفرض حماره صكا (وانما ذكرت) هذا المثال فى معرض ما يقال من ان عدل السلطان خير من خصب الزمان وأيضا فان قصد الملك اذا كان صالحا كان أمره فى جميع الازمان ناجحا وسخر الله من يرشده الى قصده ويعينه على أمور شعائره ويحيى ذكره من بعده وندر على يده سحائب البركات ويجرى منها على غير قصده أبحر الخيرات وحفظ كل من اليه ينتسب ورزقه كل ذلك من حيث لا يحتسب وحاصل هذه المقدمه ان المسؤل من الصدقات المعظمة انه اذا تراءى على أبواب عدلها شاكى أو تعلق بأسباب معدلتها متظلم باكى تتصدى هى بنفسها لكشف ظلامته ولا تترك الغير فى فصلها لاقامته وان الفقير من جماعتنا والضعيف من أهل طاعتنا اذا مست الحاجة به الى بث شكوى أو رفع بلوى يتقدم الى شكواه بلا واسطه ليأمن فى أمره المغالطه ويصادف مقسطه لا قاسطه ويتساوى فى كل من مشرب العدل والانصاف ومراعى الفضل والالطاف الظباء والاسود والذئب والعتود والعقاب والعصفور والحمام والصقور ولا يتقدم فى الدعاوى من حيث التساوى الوجيه على الجاهل ولا النبيه على الخامل ولا الكبير على الصغير ولا الجليل على الحقير فان اقتضت الآراء العالية تولية عامل فى ناحيه فليكن ممن له شفقة تامه ورحمة فى أمر الرعية عامه ويعرف ذلك بتجربة العلوم الكريمه وتحققت ان نيته فى رعاية الرعية مستقيمه قد صارت

والعامة فمن علم من أمر هذا المحتال شيأ فليتكلم به على رؤس الاشهاد ممن حضر ليكون ذلك حجة وقد قيل انه من كتم شهادة ميت ألجم بلجام من نار يوم القيامة فليقل كل واحد منكم ما علم فلما سمع ذلك الجمع كلامه أمسكوا عن القول فقال دمنه ما يسكتكم تكلموا بما علمتم واعلموا ان لكل كلمة جوابا وقد قالت العلماء من يشهد بما لم يرأو يقول ما لا يعلم أصابه ما أصاب الطبيب الذى قال لما لا يعلمه انى أعلمه قالت الجماعة وكيف كان ذلك (قال دمنه) زعموا انه كان فى بعض المدن طبيب له رفق وعلم وكان ذا فطنة فيما يجرى على يديه من المعالجات فكبر ذلك الطبيب وضعف بصره وكان لملك تلك المدينة ابنة قد زوجها لابن أخ له فعرض لها ما يعرض للحوامل من الاوجاع فجىء بهذا الطبيب فلما حضر سأل الجارية عن وجعها وما تجد فأخبرته فعرف داءها ودواءها وقال لو كنت أبصر لجمعت الاخلاط على معرفتى باجناسها ولا أثق فى ذلك بأحد غيرى وكان فى المدينة رجل سفيه فبلغه الخبر فأتاهم وادعى علم الطب وأعلمهم انه خبير بمعرفة اخلاط الادوية والعقاقير عارف بطبائع الادوية المركبة والمفردة فأمره الملك ان يدخل خزانة الادوية فيأخذ من أخلاط الدواء حاجته فلما دخل السفيه الخزانة وعرضت عليه الادوية ولا يدرى ماهى ولا له بها معرفة فاخذ فى جملة ما أخذ منها صرة فيها سم قاتل لوقته وخلطه فى الادوية ولا علم له به ولا معرفة عنده بجنسه فلما تمت اخلاط الادوية سقى الجارية منه فماتت لوقتها فلما عرف الملك ذلك دعا بالسفيه فسقاه من ذلك الدواء فمات من ساعته (وانما) ضربت لكم هذا المثل لتعلموا ما يدخل على

له الشفقة ملكه وكل من العدل والانصاف قد ملكه ولا تولى أحد الغرض أو من فى قلبه من اذى المساكين مرض وان الطبيعة اذا اعتادت عاده والسجية اذا جعلت لها بعض الاوصاف قلاده سواء كان ذلك مذموما أو محمودا مقبولا عند العقل والشرع أو مردودا فانها تبرزه فى غالب الاوقات ولا تتخلف عن ملابسته فى أكثر الحالات (شعر) العين تعرف من عينى محدثها * ان كان من حزبها أو من أعاديها

وكل قضية لا يساعدها القلب فمنتهاها على العكس والقلب ونظيرها يا رئيس المداره قضية من زوجته أمه وهو كاره فسأل الوزير من السفير تقرير هذا النظير (فقال) كان شاب من العراب قصدت أمه تأهله فزوجته بامرأة أرمله ولم يكن له احتياج ولا رغبة فى الزواج واختار التخلى للصلاة على مذهب الامام الشافعى رحمه الله ولكن فر من العقوق وكتب على نفسه الحقوق فلما عقدت الوليمه وصممت العزيمه وجمعت النساء والرجال أرسلت أمه الى جارلهم قوال أستاذ فى صنعته ماهر فى حرفته فدعته الى الجمع ليبتهج بحسن غنائه السمع فيشغل الوقت ويذهب المقت ويحصل للحضور النشاط والسرور فتخلف وأبى وعن الحضور نبا فسئل عن تصلفه وسبب تخلفه فقال بلغنى ان الزوج الخاطب غير طالب ولا راغب واذا كان كذلك فلا يغنى الغناء الا العناء ولا يؤثر فى القلوب والاسماع بل تنفر عند سماعه الطباع فكل شئ لا يصدر عن رغبة القلب فان ايجابه لا يفيد الا السلب فيضحك على القائم والقاعد ويسخر من الصادر والوارد ويروح تغزلى فى البارد وانما ذكرت ذلك لاعرض على آراء المالك انه اذا أولج أمر الرعيه الى أحد من الخاصكية ينظر الى شفقته ويسبر وفور رحمته ثم توليه عليهم ويتقدم بالطاعة اليهم فيستقيم اذ ذاك فعلهم وفعله ويظهر فى حركاته وسكناته عدله وليس العدل فى القضايا تساويها ولا اجراؤها على نسق واحد يحويها بل معرفة مقاديرها وبيان تقريرها فى المبادى وتحريرها ثم اجراؤها على مقتضى مدلولها ورد فروع كل مسئلة الى أصولها ووضع الاشياء فى محالها وايصال الحقوق الى أهلها ومعرفة منازل أربابها وأوضاع أصحابها ومراتب طلابها فمن لم يحقق هذه الامور أضاع مصالح الجمهور فأعطى غير الحق مالا يستحق ومنع الحق عن المستحق وقد قيل يا أبا السعود ان حقيقة الجود اعطاء ماينبغى لمن ينبغى والا كان كالباذر فى السباخ وأشبه فى أمره أجير الطباخ الذى لم يعرف معنى العدل فقصده فوقع فى الجدل فسأل الغزال شيخ الاوعال عن هذا المثال (فقال) كان عند بعض الاشياخ من الطباخين أجير طباخ له رغبة منهمة على معرفة طبخ الاطعمة وكيفية ترتيبها وصنعة تركيبها وكان مغرما بذلك يسلك فيه كل المسالك ويردفيه الوارد ويتبع كل صادر ووارد ففى بعض الآناء وقف على طبيب من الاطباء فسمعه يقول ان أصلا من الاصول العدل والتسويه بين الاطعمة والاغذيه والعقاقير والادويه فمن لم يستعمل الاستوا فى درجات الغذاء والدوا ضل عمله وغوى وأصل هذا المزاج ولا ينكره الا ذو لجاج فان العناصر الاربعه منها المضرة والمنفعة وقد تولد منها السوداء والبلغم والصفراء والدم فمتى اعتدلت هذه المتولدات صحت الابدان والذات ومتى عن الاعتدال عدلت أمرضت وقتلت وكذلك النير الاعظم والكوكب المضىء فى العالم اذا حل فى مركز الاعتدال استقام للعالم الحال وطاب الزمان واعتدل وذلك عند نزوله فى برج الحمل فتصور ذلك الواهان أن المقصود التسويه فى الاوزان فانصرف وهو فرحان وقصد طعام الزيرباج وعين من مفرداته ما يحتاج ثم انه ساوى بين أوزانها وقصد العدل فى ميزانها وخلط كمقلة اخلاطها ووضعها فى قدر وساطها فخاب عمله فى عدله وبان نقصه فى فضله فلما وعى الملك ولوز ير ماسلكه السفير فى نظام هذا التقرير شكرا له مساعيه وأخصبا فى الاكرام والاعزاز مراعيه وقالا جزاك الله خيرا عن شفقتك وحسن صنيعك لمرسلك ورفقتك فمثلك من يصلح

القائل والعامل من الزلة بالشبهة فى الحروج عن الحد فمن خرج منكم عن حده أصابه ما أصاب ذلك الجاهل ونفسه الملومة وقد قالت العلماء وربما جزى المتكلم بقوله والكلام بين أيديكم فانظر والانفسكم فتكلم سيد الخنازير لادلاله وتيهه بمنزلته عند الاسد فقال يا أهل الشرف من العلماء اسمعوا مقالتى وعوا باحلامكم كلامى فالعلماء قالوا فى شان الصالحين انهم يعرفون بسيماهم وأنتم معاشر ذوى الاقتدار بحسن صنع الله لكم وتمام نعمته لديكم تعرفون الصالحين بسيماهم وصورهم وتخبرون الشئ الكبير بالشئ الصغير وههنا أشياء كثيرة تدل على هذا الشقى دمنه وتخبر عن شره فاطلبوها على ظاهر جسمه لتستيقنوا وتسكنوا الى ذلك قال القاضى لسيد الخنازير قد علمت وعلم الجماعة الحاضرون انك عارف بما فى الصور من علامات السوء ففسر لنا ما تقول وأطلعنا على ما ترى فى صورة هذا الشقى فأخذ سيد الخنازير يذم دمنه وقال ان العلماء قد كتبوا وأخبروا انه من كانت عينه اليسرى أصغر من عينه اليمنى وهى لا تزال تختلج وكان أنفه مائلا الى جنبه الايمن فهو شقى خبيث جامع للخبث والفجور فلما سمع دمنه ذلك قال ما مثلك الا مثل رجل قال لامرأته انظرى الى عورتك وبعد ذلك انظرى الى عورة غيرك قال وكيف كان ذلك (قال دمنه) زعموا ان مدينة اغار عليها العدو فقتل وسبى وغنم وانطلق الى بلاده فاتفق انه كان مع جندى مما وقع فى قسمته للسفارة رجل حراث ومعه امرأتان له وكان هذا الجندى يسيئ اليهم فى الطعام واللباس فذهب الحراث ذات يوم ومعه امرأتاه يحتطبون للجندى

للسفارة بين الملوك وتولى أمور الرعية من الغنى والصعلوك فانك ناصح لمن فوقك شفيق على من دونك ثم قال الوزير ان هذا الملك الكبير مقاصده العظيمه أن تكون الامور مستقيمه وان يصلح العباد والبلاد ويطمئن المستفيد والمستفاد فاحتفظ أيها السفير المنير الضمير بما سمعت ورأيت وشاهدت ووعيت واجعله من عنوان أنبائك ومقدمات أفعالك وآرائك وأبلغه من يحفك من امامك وورائك ومهما وصلت اليه قدرتك واحاطت به يدك وكانك من ابلاغ الخبر الى مسامع الوحش والطير عن هذا الملك وأوصافه وتطلعه الى مراقى البر والاحسان واستشرافه وما تسكن به الخواطر وتطمئن به الضمائر وتقر به العيون بالسرور وتستقر به القلوب فى الصدور فلا تأل فيه جهدا وأوسع فيه جدا ولا تنه فى انهائه حدا فان المجال واسع وميدان المقال شاسع وقد اذن لك فيه وان أخفيته فى نفسك فالله مبديه ثم كتب له بذلك مراسيم عن ثغر الامانى مباسيم وأفيض عليه خلع الكرامه وأضيف اليه الحمامه ورجع الى أهله مغمورا بفضله مسرورا بقوله مشكورا بفعله فائزا بالمطلوب ظافرا بكل مرغوب فارغ البال طيب الحال فاتصل باهله فى دياره وهم فى انتظاره فبادروه بالسلام وقابلوه بالاستسلام وقالوا ماوراءك ياعصام فبلغ الجواب بارشق عبارة وأليق خطاب وذكر لهم مارأى وسمع ووعى فانتشرت هذه الاخبار حتى ملأت الاقطار وتسامع بها وحوش القفار وفاح بطيب نشرها الازهار فكان جميع البر معطار ثم اجتمع رؤساء الوحوش والبهائم وعرفاء الصوادح والبواغم وكل ساكن فى القفار من سائم وحائم وأرسل كل الى أمته رسوله يدعوها الى ما يحصل سولها وسوله فلبت كل أمة دعوة رسولها وأقبلت لاستماع المراسيم وقبولها فاجتمعوا فى رياض مرج أخضر وحلقوا لاستماع المراسيم حول المنبر وأطرقوا وسكتوا واستمعوا وأنصتوا وتناول المرسوم الصادح من الباغم وصعد على الغصن الناعم مطوق الحائم وابتدأ باسم الكريم الغفور وقرأ على رؤس الاشهاد مضمون المنشور ودعاهم الى الطاعه والدخول فى سنن السنة والجماعة وأنهم لايتأخرون عن الحضور بعد الاطلاع على مضمون المنشور فانه فرمان أمان لكل من أجناس الحيوان ولم يبق مقال لاتخلف ولا لمتأخر ومسوف كما قيل

فمن جاءنا طوعا أقمنا بجعده * ومن يأب لا يعتب علينا فعالنا

الى آخر الرساله مع ما تحمله الرسول من مشافهة ومقاله ومن ملاطفات تشرح الصدر وتستنزل البدر وتوضح ما للملك من جلالة وقدر فتلقى الكل هذا الكلام بآذان القبول والاكرام واتفقوا على التأهب والمسير والاحتفال بالكبير والصغير وأخذوا فى تعبية التقادم والخدم وفرضوا ذلك على ما لكل من طوائف وحشم وتصدعوا عن هذا المرسوم على أن يجتمعوا فى يوم معلوم ثم أعد كل عتاده وأكمل خدمته وزاده واجتمعوا لذلك اليوم الموعود وتوجهوا الى الخدمة فى الطالع المسعود ولما دخلوا الدرب وضربوا فى الارض أى ضرب توجهت الحمامة بالبطاقه بهذه البشارة والطلاقه فانتشر هذا الخبر وملأ البدو والحضر فلما وصل الطائر دقت البشائر وسرت الاهل والعشائر ثم ان الملك دعا الوزير وقال اعلم أيها الناصح الخبير والبحر النحرير ان الوحوش واصلة الى منزلك وبحلها وحافرها نازلة فى ساحلك وان راية سلطاننا بعون الله بالنصر نشرت ووحوش الجنود والعساكر بحمد الله تعالى على بساط بسيط الطاعة حشرت وفى هذا الجيوش أصناف الوحوش وطوائف السباع وأنواع الذئاب والضباع وفيهم الفراعل والثعالب والعسابر والارانب ولاشك ان هيبة الملك صادعه وحرمة السلطنة باسطة قارعة وحضرة السلطان ذات جلال وان كانت جامعة لصفتى الجلال والكمال وما عند كل أحد مسكة للملاقاه ولا ثبات جنان عند المشاهدة للملك اذا رآه فمن لم يكن بيننا وبينه اجتماع فقد وقرت

وهم غراة وأصابت احدى المراتيز فى طريقها خرقة بالية فوضعتها على سوأتها ثم قالت لزوجها ألا تنظر الى هذه الفاعلة كيف لاتستحى وتستر عورتها فقال لها زوجها لو بدأت بالنظر الى نفسك وان جسمك عار كله لما عيرت صاحبتك 115 بما هو بعينه فيك وشانك عجب أيها القذرة ذو العلامات الفاضحة القبيحة ثم العجب من جراءتك على طعام الملك وقيامك بين يديه مع ما بجسمك من القذر والقبح ومع ما تعرفه أنت ويعرفه غيرك من عيوب نفسك أفتتكلم فى النقى الجسم الذى لاعيب فيه ولست أنا وحدى اطلع على عيبك لكن جميع من حضر قد عرف ذلك وقد كان يحجزنى عن اظهاره مابينى وبينك من الصداقة فاما اذ قد كذبت على وبهتنى فى وجهى وقمت بعداوتى فقلت ما قلت فى بغير علم على رؤس الحاضرين فانى أقتصر على اظهار ماعرف من عيوبك وتعرفه الجماعة وحق على من عرفك حق معرفتك ان يمنع الملك من استعماله اياك على طعامه فلو كلفت ان تعمل الزراعة لكنت جديرا بالخذلان فيها فالاحرى بك ان لاتدنو الى عمل من الاعمال وان لاتكون دباغا ولا حجاما للعامى فضلا عن خاص خدمة الملك قال سيد الخنازير أتقول لى هذه المقالة وتلقانى بهذا الملقى (قال دمنه) نعم وحقا قلت فيك واياك أعنى أيها الاعرج المكسور الذى فى استه الناسور الاقدع الرجل المنفوخ البطن المدلى الخصيتين الافلح الشفتين السيئ المنظر والمخبر * فلما قال ذلك دمنه تغير وجه سيد الخنازير واستعبر واستحى وتلجلج لسانه واستكان وفتر نشاطه فقال دمنه حين رأى انكساره وبكاءه انما ينبغى ان يطول بكاؤك اذا اطلع الملك على قدرك وعيوبك فعزلك عن طعامه وحال بينك

هيبتنا فى قلبه على السماع ومن تصدينا له فى ميادين الصيد وأفات بعد معاناة النكد والكبد فقد رأيته على العيان ولا يحتاج فى معرفة قوة سلطاننا الى ترجمان وعلى كل تقدير فشاهد تناعلى غالبهم أمر عسير لانه ربما يتذكر منهم متذكر أو يتفكر منهم متفكر واقعة سبقت أو سابقة وقعت انجرح فيهما من نصل أنيابنا مفاصل عراقيبه أو تعلق بها فى اشعاره وأو باره مشاطة جلابيبه ومن لم ينجه مناضباحه ولم يكن سلاحه من كلاليب مخالبنا الاسلاحه فبمجرد ما يقع نظره علينا أو تمثل بالوقوف لدينا يرجف فؤاده و ينفض من عيبة كرشه زاده فينكص من الخوف على عقبيه ولا يعرف أمره من حواليه فيتبعونه و يحصل الفشل و يقع الخباط والخال فيهم ما أوضحناه و يفسد اضعاف ما أصلحناه و ينهدم من أول الامر الى آخره ما بنيناه و يتعوج من مستقيم السلطنة ما سوّيناه فلا يحصل من عزة المملكة الاعلى مثل ما حصل لابى الحصين من شيخ الديكه فقال الوزير ينعم مولانا الاجل بتقرير هذا المثل (قال الملك) سمعت مخبرا أنه كان فى بعض القرى للرئيس ديك حسن الخلق وديك مرت به التجارب وقرأ تواريخ المشارق والمغارب ومضى عليه من العمر سنون واطلع من حوادث الزمان على فنون وقاسى حلو الدهر ومره وعانى حره وقره وقطع للثعالب شباك المصايد وتخلص لابن آوى من ورطات المكايد ورأى من الزمان و بنيه نوائب وشدائد وحفظ وقائع لبنات آوى وثعالب وطالع من كتب حيلها طلائع كتائب وأحكم من طرائفها عجائب وغرائب فاتفق له فى بعض الاحيان انه وقف على بعض الجدران فنظر فى عطفيه وتأمل فى نقش برديه فرأى خيال تاجه العقيق ونظر الى خده الشقيق ونفض برائله المنقش وسراويله المنقش والثوب الذى رقمه نقاش القدرة من المقطع المبرقش فأعجبته نفسه وأذن فاطربه حسه وتذكر ما قاله الأسعد المادح فى المعتصم ابن صمادح وهو

كأن أنوشروان أعطاه تاجه * وناطت عليه كف مارية القرطا

سبى حلة الطاوس حسن لباسه * ولم يكفه حتى سبى المشية البطا

فصار يتيه و يتبختر و يتقصف و يتخطر فاستهواه التمشى سو يعه حتى أبعد عن الضيعه فصعد الى جدار وكان قد انتصف النهار فرفع صوته بالاذان فانسى صوته الكنانى والدهان فسمعه ثعلب فقال مطلب وسارع من وكره وحل شبكة مكره وتوجه اليه فرآه فسلم عليه فلما أحس به أبو اليقظان طفر الى أعلى الجدران ثم حياه تحية مشتاق وترامى لديه ترامى العشاق وقال أنعش الله بدنك وروحك و روى من كاسات الحياة غبوقك وصبوحك فانك أحييت الارواح والابدان بطيب النغم والصياح فى الاذان فان لى زمانا لم أسمع بمثل هذا الصوت وقاك الله نوائب الفوت ومصائب الموت وقد جئت لاسلم عليك واذكرك ما أسدى من النعم اليك وأبشرك ببشاره وهى أربح تجاره وانجح من الولاية والاماره لم يتفق مثلها فى سالف الدهر ولا يقع نظيرها الى آخر العصر وهى ان السلطان أيد الله بدولته أركان الايمان أمر مناديا فنادى بالامان والاطمئنان واجراء مياه العدل والاحسان من حدائق الصحبة والصداقة فى كل بستان وان يشمل الصداقة كل حيوان من الطير والوحش والحيتان ولا يقتصر فيها على جنس الانسان فيتشارك فيها الوحوش والسباع والبهائم والضباع والاروى والنعام والصقر والحمام والضب والنون والذباب وأبو قلمون ويتعاملون بالعدل والانصاف والاسعاف دون الاعساف ولا يجرى بينهم الا المصادقة وحسن المعاشرة والمرافقه فتمحى من لوح صدورهم نقوش العداوة والمنافقه فيطير القطا مع العقاب و يبيت العصفور مع الغراب و يرعى الذئب مع الارنب و يتآخى الديك والثعلب وفى الجملة لا يتعدى أحد على أحد فتأمن الفارة من الهرة والخروف من الاسد واذا كان الامر كذا فقد ارتفع الشر والاذى فلابد

ولا يرى وجهه وأمر بدمنه ان يسجن وقد مضى من النهار أكثره وجميع ما جرى وقالوا قد كتب وختم عليه بخاتم النمر ورجع كل واحد منهم الى منزله ثم ان شعهرا كان يقال له روزبه كان بينه و بين كليله اخاء ومودة وكان عند الاسد وجيها وعليه كريما واتفق ان كليله أخذه الوجد اشفاقا وحذرا على نفسه واخيه فمرض ومات فانطلق هذا الشعهر الى دمنه فأخبره بموت كليله فبكى وحزن وقال ما أصنع بالدنيا بعد مفارقة الاخ الصفى ولكن أحمد الله تعالى حيث لم يمت كليله حتى ابقى لى من ذوى قرابتى أخا مثلك فانى قد وثقت بنعمة الله تعالى واحسانه الى فيما رأيت من اهتمامك بى ومراعاتك لى وقد علمت انك رجائى وركنى فيما أنا فيه فاريد من انعامك ان تنطلق الى مكان كذا فتنظر الى ما جمعته أنا وأخى بحيلتنا وسعينا ومشيئة الله تعالى فتأتينى به ففعل الشعهر ما أمره به دمنه فلما وضع المال بين يديه أعطاه شطره وقال له انك على الدخول والخروج على الاسد أقدر من غيرك فتفرغ لشانى

وأصرف اهتمامك الى واستمع ما أذكر به عند الاسد اذا رفع اليه ما يجرى بينى و بين الخصوم وما يبدو من ام الاسد فى حقى ان وما ترى من متابعة الاسد اياها ومخالفته اياها فى أمرى واحفظ ذلك كله فاخذ الشعهر ما اعطاه دمنه وانصرف عنه على هذا العهد فانطلق الى

ان يمتثل هذا المرسوم ويترك ما بيننا من العداوة والخلق المذموم ويجري بيننا بعد اليوم المصادقه وتنفتح
أبواب المحبة والمرافقه ولا ينفر أحد منا من صاحبه بل يراعي مودته ويبالغ في حفظ جانبه وجعل الثعلب
يقرر هذا المقال والديك يلتفت الى اليمين والشمال ويحتاط غاية الاحتياط ولا يلتفت الى هذا الهذيان
والخباط فقال الثعلب يا أخي مالك عن سماع كلامي مرتخي أنا أبشرك ببشائر عظيمه لم تتفق في
الاعصر القديمه وانما برزت بها مراسيم مولانا السلطان الجسيمه وأراك لا تلتفت الى هذا الكلام ولا تسر
بهذا اللطف العام ولا تلتفت الي ولا تعول علي وتستشرف على بعد لشيء فهلا أخبرتني بما أضمرت
ونويت وتطاعني فيما تتطاول اليه على ما رأيت حتى أعرف في أي شيء أنت وهل ركنت الى اخباري
وسكنت فقال أرى عجاجا ثائرا ونقعا الى العنان فائرا وحيوانا جاريا كأنه البرق ساريا ولا عرفت ما هو
ولكنه أجرى من الهوى فقال أبو الحصين وقد نسي المكر والمين بالله يا أبا نبهان حقق لي هذا الحيوان فقال
حيوان رشيق له آذان طوال وخصر دقيق لا الخيل تلحقه ولا الريح تسبقه فرجفت قوائم الثعلب
وطلب المهرب فقال أبو المنذر تلبث يا أبا الحصين واصبر حتى أحقق رؤيته وأتبين ماهيته فانه يا أبا
الحصين يسبق طرف العين ويكاد أبا النجم يخلف النجم في الرجم فقال أحزنني فؤادي وما هذا وقت
التمادي ثم أخذ يسلح وولى وهو يصدح بقوله

لا بأس التاج العقيقي * لا تقف لي في طريقي ان يكن ذا الوصف حقا * فهو والله السلوقي

فقال الديك واذا كان وقد دقت ان السلطان رسم بالصلح بين سائر الحيوان فلا بأس منه عليك فتلبث
حتى يجيء ويقبل يديك وتعقد بيننا عقود الصداقه ويصير رفيقنا ونصير رفاقه فقال مالي برؤيته حاجه
فدع عنك الحاجة واللجاجة فقال أوما زعمت يا أبا وثاب ان السلطان رسم للاعداء والاصحاب ان يسلكوا
طرائق الاصدقاء والاحباب فلو خالف المرسوم هذا الكلب لما كان له المآل الا بالقتل والصلب قال لعل
هذا المشوم لم يبلغه المرسوم ثم ولى هاربا وقصد للخلاص جانبا (وانما أوردت) يا نفيس هذا المثال
لتقيس أحوال من دان الثمن هذا الحيوان ولا تشبهها بعضا واحده واحسب حال كل واحد على حده
فربما يكون في هذه البهائم من لا هو باحوال الصلح عالم ولم تبلغه الدعوه وانما انضاف بسبب رجوه
أو آمن على سبيل التبعية والتقليد ولم يطلع على موارد الوعد والوعيد ولا وقف على ما وقع من الاتفاق
ولا يثبت لصادمة اللقاء وقت التلاق فيصدر منكم حركه تؤدي الى قلة بركه وتستطرد الى نفرة وجفول
فيدهمنا هدم ما أسسناه على غفول ويقع من الفساد ما لا يمكن تلافيه ويضيع نقود جواهر جهدنا وكدنا
فيه واذا كانت الدنيا محل العوارض والغالب أنه عند مشارفة المقصود يحصل العارض والعاقل لا يغفل
عن هذا الخطر فعند صفو الليالي يحدث الكدر وقد كفاك من ناداك بقوله

اذا قربت يداك الى مرام * وقلت تخولت نفسي مناها
فلا تأمن من الدهر اختلاسا * يحول بفكره في ذا تناهي
كجان لم يصبه الشوك الا * وقد وصلت يداه الى جناها

فالرأي السديد يا أبا سعيد يقتضي ان تمضي الحمامة المطوقه الى تلك الجموع المفرقه وتنادي في كل نادي
بين الحاضر والبادي والرائح والغادي بحقائق الامور وتطييب خاطر الجمهور وما هم قادمون عليه
ومن هو الواصلون اليه ليعلموا أنهم في صفقتهم رابحون وانهم على هدى من ربهم وانهم مفلحون فتوجهت
الحمامة بهذه النقوش وشهرت النداء في طوائف الوحوش بما هم عليه قادمون وأنهم للملك سار
خادمون ثم تبعها الوزير ومعه كل أمير وكبير من خواص المباشرين والاعيان الملازمين وكبراء

مستنزله فوضع المال فيه ثم ان الاسد بكر من الغد فجلس حتى اذا مضى من النهار ساعتان استأذن عليه أصحابه فأذن لهم فدخلوا عليه ووضعوا
الكتاب بين يديه فلما عرف قولهم وقول دمنه دعا امه فقرأ عليها ذلك فلما سمعت ما في الكتاب نادت باعلى صوتها ان أنا
أغلظت في القول فلا تلمني
فانك لست تعرف ضرك
من نفعك أليس هذا ما
كنت أنهاك عن سماعه
لانه كلام هذا المجرم المسيء
الينا الغادر بذمتنا ثم انها
خرجت مغضبة وذلك بعين
الشعهر الذي آخاه دمنه
ويسمعه جميع ما قالت أم
الاسد فخرج في أثرها مسرعا
حتى أتى دمنه فحدثه
بالحديث فبينما هو عنده
اذ جاء رسول فانطلق بدمنه
الى المجمع عند القاضي فلما
مثل بين يدي القاضي استفتح
سيد المجلس فقال يا دمنه
قد أنبأني بخبرك الامين
الصادق وليس ينبغي لنا أن
نفحص عن شانك اكثر من
هذا لان العلماء قالوا ان الله
تعالى جعل الدنيا سببا
ومصداقا للآخرة لانها
دار الرسل والانبياء الدالين
على الخير الهادين الى الجنة
الداعين الى معرفة الله تعالى
وقد ثبت شانك عندنا
واخبرنا عنك من وثقنا
بقوله الا ان سيدنا
أمرنا بالعود في أمرك
والفحص عن شانك وان
كان عندنا ظاهرا بينا (قال
دمنه) اراك أيها القاضي
لم تتعود العدل في القضاء
وليس في عدل الملوك دفع
المظلومين ومن لا ذنب له الى
قاض غير عادل بل المخاصمة عنهم والذب فكيف ترى أن أقتل ولم أخاصم وتعجل موافقة لهواك ولم تمض بعد ذلك ثلاثة أيام ولكن صدق
الذي قال ان الذي تعود عمل البر هين عليه عمله وان أضر به قال القاضي انا نجد في كتب الاولين ان القاضي العدل ينبغي له أن يعرف عمل المحسن

الاطيار ورؤساء الاخيار واستقبلوا أولئك الوحوش والهوام ورؤساء السوائم والسوام وقابلوا ملتقاهم بالاعزاز والاكرام ووعدوهم بكل خير واحسان ووصلوا بهم الى ميدان الامان وحين حل عليهم نظر السلطان قبلوا الارض ووقفوا فى مقام العرض وأدوا من واجب العبودية النقل والفرض فانزل كلا فى مقامه بعد ان احله فى محل اكرامه وأفاض عليه خلع احسانه وانعامه وعلت منزلة الوزير وتقدم كما تقدم وأشير وصفا لهم الزمان وعاش فى ظل عدلهم كل ضعيف من الحيوان وتقلبوا فى رياض الامانى على بساط الامان * وفائدة هذه الحكايات تنبيه أشرف جنس المخلوقات وألطف طائفة المكونات وهو نوع الانسان الذى اختصه الله تعالى بانواع الاحسان وأيده بالعقل وأمده بالنقل على انه اذا كان هذا العمل الجليل يصدر فى التنظير والتمثيل من أخس الحيوانات ومالا يعقل من الموجودات فلأن يصدر من أولى النهى وأولى الفضل والمكارم والعلى أولى وأحرى لاسيما من رفع الله فى الدنيا مقداره وأعلى على قمم الخلائق مناره وحكمه فى عبيده المستضعفين واسترعاه على رعية سامعين مطيعين وسلطه على دمائهم وأموالهم وبسط يده واسانه فى رفاهيتهم ونكالهم والاصل فى هذا كله قول من عم عبيده بفضله وبقوله اهتدى العالمون وتلك الامثال نضربها للناس ومايعقلها الا العالمون * آخر الباب السادس والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين آمين

(الباب السابع فى ذكر القتال بين أبى الابطال الريبال وأبى دغفل سلطان الافيال)

(قال) الشيخ أبو المحاسن من ليس له فى الفضل مساوولا مواس فلما أنهى الحكيم حسيب كلامه الاحلى من النسيب قبل أخوه بين عينيه وأفاض خلع الانعام عليه ثم استزاده وفتح لجامع فضله باب الزياده وكان قد وقع بين ملك الافيال وبين ملك الاسود المسمى بالريبال المكنى بأبى الاشبال وأبى الابطال مقال أدى الى جدال واتصل بحرب وقتال فسأل الملك أخاه هل سمع من ذلك شيأ أو وعاه فاجاب بالايجاب وذكر فى الجواب الامر العجاب (فقال) كان ياملك الزمان فى بعض أطراف الهنود من عساكر الافيال جنود فى جزيرة عظيمة كبيرة لهم من جنسهم وجلدتهم ونفسهم ملك عظيم ذو جسم جسيم وشكل وسيم منظره بديع وهيكله رفيع طويل الخرطوم واسع الحلقوم مبسوط الاذنين حديد العينين طويل الانياب كأنه طود فى جراب كثيف فى المرأى خفيف فى الوطأ عدد جيشه غزير ومدد جنده كثير وهو فيهم ملك كبير ذو قدر خطير منفرد بالسرير ورثه كابرا عن كابر وكل جيشه رؤساء وأكابر لاوامره طائعون ولما يراه تابعون فبلغه فى بعض الايام أن فى بعض الغياض والآجام مكانا فى غاية النزاهه معدن الفواكه والفكاهه ذا مياه عذبه ومروج رطبه أراضيها أريضه ورياضها طويلة عريضه أطيارها تسكر بالحانها وأشجارها تخجل قدود الملاح باغصانها وأزهارها زهره وأنوارها نضره ونسيم الصبا والشمال تنشر الى الآفاق طيب أنفاسها العطره وأنه يصلح أن يكون للملك الافيال مقاما مع ان فيه من الجبال والحصون معاصم وعصاما غير أن فيه أسدا هصورا جمع فيه جندا كثيرا ولازال الناقل يصف ويطنب ويعجم فى حسن شمائلها ويعرب حتى قال بعض الندماء الحاضرين من الكبراء لو قصد الملك ذلك المكان وجعله لنفسه من بعض الاسكان وتنقل اليه فى بعض الاوقات وساعات التفرج فى المتنزهات لاراح نفسه الخطيره من وخم هذه الجزيره ووجد لذة الطعام ونشوة الشراب على المدام والاسد الذى فيها وان كان مالك نواحيها وبيد تصرفه زمام نواصيها وجماجم قلاعها وصياصيها لكنه ملك عادل وسلطان فاضل تمنعه شهامته وكرم نفسه وكرامته ورياسته وزعامته ان يضايق الملك فى ذلك أو يضيق سلوكها على سالك وان شرع فى الممانعه واخذ فى اسباب المدافعة بالمقارعة والمنازعه

والمسىء ايجازى المحسن باحسانه والمسىء باساءته فاذا ذهب الى هذا ازداد المحسنون حرصا على الاحسان والمسيؤن اجتنابا للذنوب والرأى لك يادمنه ان تنظر الذى وقعت فيه وتعترف بذنبك وتقربه وتتوب فاجابه دمنه ان صالحى القضاة لايقطعون بالظن ولايعملون به لافى الخاصة ولافى العامة ليعلمهم ان الظن لايغنى من الحق شيأ وأنتم ان ظننتم انى مجرم فيما فعلت فانى أعلم بنفسى منكم وعلمى بنفسى يقين لاشك فيه وعلمكم بى غاية الشك وانما قبح امرى عندكم انى سعيت بغيرى فما عذرى عندكم اذا سعيت بنفسى كاذبا عليها فاسلمتها للقتل والعطب على معرفة منى ببراءتى وسلامتى مما قرفت به ونفسى أعظم الانفس على حرمة وأوجبها حقا فلو فعلت هذا باقصاكم وأدناكم لما وسعنى فى دينى ولاحسن بى فى مروأتى ولاحق لى ان أفعله فكيف أفعله بنفسى فاكفف أيها القاضى عن هذه المقالة فانها ان كانت منك نصيحة فقد أخطات موضعها وان كانت خديعه فان أقبح الخداع ماتفطنته وعرفت انه من غير اهله مع ان الخداع والمكر ليسا من أعمال صالحى القضاة ولا تقاة الولاة واعلم ان قولك مما يتخذه الجهال والاشرار سنة يقتدون بها لان أمور القضاء يأخذ بصوابها أهل الصواب وتخطئها أهل الخطا والباطل والقليل الورع وأنا خائف عليك أيها القاضى من مقالتك هذه أعظم الرزايا والبلايا وليس من البلاء والمصيبة انك لم تزل فى نفس الملك والجند فالعساكر والخاصة والعامة فاضلا فى رأيك مقنعا فى عدلك مرضيا فى حكمك وعفافك وفضلك وانما البلاء كيف أنسيت ذلك فى أمرى وما بلغك من العلماء

فالعساكر المنصوره واعدادهم الموفوره فيهم بحمد الله لذلك قوة وكفايه ولهم في بداية الحروب هدايه وفقاهة ليس لشرحها غايه ولا لفروع أصولها نهايه يحبون في مباحثها النفوس و يعيدون في مدارس الحرب بتكرار الضرب فاني الشجاعة بعد الدروس فيكفون الملك أمره ويكفون اذاه وشره ولازال يفتل منه في الغارب والذروه و يقوى بتمويهاته دواعي الحرص والشهوه حتى اقتنصته أشراك المطالع واوقعته في عبودية شهوة تلك المواضع ودعته النفس الابيه وحمية الجاهليه وباعث العصبيه الى الاستيلاء على تلك الاماكن البهيه والولايات السنيه والمساكن الزهيه واسامة سوارح اللحاظ في مراعي نزهة تلك الغياض ومروج أراضي هاتيك الرياض وأزعج في ذلك المقتضى وأسلمه العدل والخلق الرضى وغلب عليه سيئ الطباع واستولت عليه فوارغ الاطماع وعشقها على السماع وكان عنده اخوان هما له عضدان هما وزيراه وفي مهامه مشيراه مسعداه في الامور ومنجداه في أحوال السرور والشرور احدهما واسطة خير قليل الشر عديم الضير قد جرب الزمان وعاناه و قالب قوالبه وقانعه بالمقايسة ما قاساه اسمه مقبل وهو كاسمه مفضل والآخر بالعكس في جميع حركاته وكس وهو كاسمه مدبر بكل شيء مخبر قصده غبار فتن يثيره وعسكر بلاء يغيره وطالب اذى وعناء يعيره أو سر يذيعه أو مكر يشيعه أو مشوق شر يبيعه وهما ملازمان الخدمه واتفقا في مقام الحشمة والحرمه كالفتق والرتق والباطل والحق والكذب والصدق وفي الافساد والاصلاح كالمرهم والجراح ومصلح الدرهم ومفسد الراح ومرشد العقل ومضل الاقداح وفي الوفاق والشقاق كالسم والترياق وفي الحكم والقضاء كالداء والدواء وفيما يقع من الحوادث المفرحات والكوارث كالحر والبرد والشوك والورد فاختلى الملك بأخويه واستشارهما فيما انتهى اليه فقال أخوه المقبل يا مولانا أبا دغفل لو لم يكن بهذا المكان أحد من أدنى الوحوش فضلا عن الاسد لكان قصده ترفعا وترفها والتوجه الى الاستيلاء عليه موجها فكيف وذلك في ولاية مالك وهو ملك صعب كأبي حفص الصعب ملك كبير عادل وسلطان خطير فاضل مطاع في صاغيته متبوع في حاشيته عادل في رعيته سيرته مشكوره ومحاسنه ماثوره وهيبته وبسالته غير منكوره وهو جار حسن الجوار لم يضبط عليه ما يقتضي انتزاع ملكه من يديه ولم يتعرض الى متعلقاتنا ولا آذى احدا في ولايتنا وان مولانا السلطان لم يصدر منه الا العدل والاحسان الى الاباعد والاجانب فضلا عن الجيران لاسيما الملوك والاكابر ومن ورث الملك كابرا عن كابر ولقد تلقفت من أفواه الحكماء وتشنفت مسامعي من جواهر ألفاظ العلماء بثلاث نصائح هي من أحسن المنائح احداها أحذر أيها الموفق أن تقع في دم بغير حق ثانيتها اياك ياذا التوفيق وأموال الناس بغير طريق ثالثتها اياك ياذا الشيم الكريمه وهدم البيوت القديمه واعلم ان الله تعالى عم رزقه وخص كل موجود بما يستحقه وقد أقام الاسد في تلك الاماكن وهو وان كان متحركا فهو فيها ساكن ولو لم يستاهل لما اختص بتلك المناهل وما ينكر هذا الا جاهل أو من هو عن الحق ذاهل وحاشى أن تنسب يا رئيس الاخيار الى حسد أو سوء جوار وعظمتك تانف عن ذميم الاخلاق وكيف وقد انتشر بالفضل صيتها في الآفاق واذا كان للشخص ما يكفيه فينبغي أن يقتصر عما يطغيه ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقد أحسن في المقال من قال

يا أحمد اقنع بالذي أوتيته * ان كنت لا ترضى لنفسك ذلها
واعلم بان الله جل جلاله * لم يخلق الدنيا لاجلك كلها

فالتفت الملك الى المدبر وأشار اليه كالمستخبر ماذا تشير أيها الاخ والوزير فقال جميع ما قرره مولانا

انهم قالوا من ادعى علم ما لا يعلم وشهد على الغيب أصابه ما أصاب الباز يار القاذف زوجة مولاه قال القاضي وكيف كان ذلك (قال دمنه) زعموا انه كان في بعض المدن رجل من المرازبة مذكور وكانت له امرأة ذات 119 جمال وعفاف وكان للرجل باز يار ماهر خبير بعلاج البزاة وسياستها وكان هذا الباز يار عند هذا الرجل بمكان جليل بحيث انه أدخله داره واجلسه مع حرمه فاتفق ان الباز يار راود زوجة مولاه عن نفسها فابت عليه وتسخطت لذلك وتغير وجهها واحمرت خجلا وزاد امتناعها عليه وحرص عليها كل الحرص وعمل الحيلة في بلوغ غرضه منها وضاقت عليه أبواب الحيل فخرج يوما الى الصيد على عادته فاصاب فرخي ببغا فاخذهما وجاء بهما الى منزله ورباهما فلما كبرا فرق بينهما وجعلهما في قفصين وعلم أحدهما أن يقول رأيت البواب مضاجعا مولاتي على فراش سيدي وعلم الآخر أما أنا فلا أقول شيئا ثم أدبهما بذلك حتى أتقناه وحذقا فيه في ستة أشهر فلما بلغ الذي أراد منهما جاء بهما الى استاذه فلما رآهما أعجباه ونطقا بين يديه فاطرباه الا أنه لم يعلم ما يقولان لان الباز يار قد علمهما بلغة البلخيين وان المرزبان أعجب بهما اعجابا شديدا وحظي الباز يار عنده بذلك حظوة كريمة فامر امرأته بالاحتياط عليهما والمراعاة لهما ففعلت المرأة ذلك واتفق بعد مدة ان قدم على الرجل قوم من عظماء بلخ فتأنق لهم في الطعام والشراب وجمع من أصناف الفواكه والتحف شيئا كثيرا وحضر القوم فلما فرغوا من الطعام وشرعوا في الحديث أشار المرزبان الى الباز يار أن يأتي بالببغاوين فاحضرهما فلما وضعهما بين يديه صاحا جميعا كأنهما علمتاه فعرف أولئك العظماء ما قالتا

الوزير بحق وجملة ماذكره وحرره صدق نصائح ترشد العقول وتزين عقود المعقول والمنقول ولكن لايخفى على كريم العلوم ان الاسد حيوان ظلوم غالب طالب وخلاص الرعية من شره واجب ويلزم كل أحد أن يخلص الرعايا من ظلم الاسد ومولانا لم يبلغه ظلمه ولم يحط باحوال الاسد علمه وانه من أظلم البريه لمن تحت يده من الرعيه وانه يجب على مولانا السلطان خلاص الرعية منه على أى وجه كان وأيضا فان انعامات مولانا البارة على كل أحد من الخلق دارة والخرج والكلف والكرم الذى بانامله ائتلاف كل يوم فى ازدياد والعساكر المنصورة كل وقت تزداد واذا لم تتسع الولايات وتكثر الجهات والاقطاعات كان الخرج أكثر من الدخل والمصروف من الخزانة كالوابل والدخل كالطل واذا زاد المصروف على الحاصل عجز الواصل وفرغ الحاصل ودل ذلك على ركاكة الهمة وقصور النهمه والملك يجب عليه والمندوب فى شرع همته اليه ان يكون كل وقت جديد فى فتح سعيد وترق مزيد وتوسعة الممالك وتنزيه بساط السلطنة عن المنازع والمشارك والاستكثار من الجند والرعية واستجلاب خواطرهم الابيه بالجوائز السنيه والانعامات السنيه ولايجوز فى ملة الاسلام ان يتعدد الخليفة الامام ولله در القائل العلى الشمائل

اذا لم تكن ملكا مطاعا * فكن عبدا لمالكه مطيعا
فان لم تملك الدنيا جميعا * كما تهواه فاتركها جميعا

وناهيك بامالك الممالك والمماليك فى علو الهمه وصدق العزمه وغوص الافكار فى استخلاص ممالك الاقطار قضية فحل الرجال تيمورلنك الاعرج الدجال مع نائبه الله داد أحد القواد ونواب البلاد فسأل أبو مزاحم أخاه عديم المراحم عن تلك القضية وايضاحها عن جليه (فقال) ان تيمور رأس الفساق الاعرج الذى أقام الفتنة على ساق لما حل بالممالك الروميه فى شهور سنة خمس وثمانمائه وأسر مالكها واستخلص ممالكها استمر فى ممالك العرب يصول وفى فكره استخلاص ولايات الشرق يجول وكان أقصى ماانتهت اليه فى الشرق مملكته ونفذت بسهام أحكامه فيه أقضيته بلدا يسمى اشباره قد أعده لشياطين النهب والغاره وبنى فيه قلعه ونقل اليه من ذوى المنعه جندا منتخبا من كل بقعه وهو فى نحر ممالك المغل والتتار والحد الفاصل بين ممالكه وولايات عباد الشمس والنار وأمر على أولئك الاجناد شخصا يدعى الله داد وهو من خواص أمرائه ورؤساء جنده وزعمائه فمن جملة ما أمره به ذلك المشوم وهو مخيم ببلاد الروم انه أبرز اليه مراسله فيها أمور مجملة ومفصله أمره بامتثالها وارسال الجواب ببيان كيفية حالها منها أنه يحرر له أوضاع تلك الممالك ويوضح كيفية الطرق بها والمسالك ويذكر له مدنها وقراها ووهدها وذراها وقلاعها وصياصيها وأدانيها وأقاصيها ومفاوزها وأوعارها وبحارها وقفارها وأعلامها ومنارها ومياهها وأنهارها وقبائلها وشعابها ومضايق دروبها ورحابها ومعالمها ومجاهلها ومراحلها ومنازلها وخاليها وآهلها بحيث يسلك فى ذلك السبيل الاطناب الممل ويتجنب مأخذ الايجاز خصوصا المخل ويذكر مسافة مابين المنزلتين وكيفية المسير بين كل مرحلتين من حيث تنتهى اليه طاقته ويصل اليه علمه ودرايته من جهة الشرق وممالك الخطا وتلك الثغور والى حيث ينتهى اليه من جهة سمرقند علم تيمور وليعلم ان مقام البلاغة فى معانى هذا الجواب هو ان يصرف فيه ما استطاع من حشو واطناب وتطويل واسهاب وليسلك فى بيانه الطريق الاوضح من الدلاله وليعدل عن الطريق الخفى فى هذه الرساله الى أن يفوق فى وصف الاطلال وتعريف الرسوم وحدود الدمن صفة الشيخ القيصوم فامتثل الله داد ذلك المثال وصور له ذلك على أحسن هيئة وآنق تمثيل وهو انه استدعى بعدة اطباق من نقى الاوراق وأحكمها بالالصاق وجعلها مربعة الاشكال ووضع عليها ذلك المثال وصور جميع تلك الاماكن ومافيها من

فنظر بعضهم الى بعض ونكسوا رؤسهم حياء وخجلا فسألهم الرجل عما تقولان فامتنعوا أن يقولوا ماقالتا فألح عليهم وأكثر السؤال عما قالتا فقالوا انما تقولان كذا وكذا وليس من شاننا أن نا كل من بيت يعمل فيه الفجور فلما قالوا ذلك أمرهم الرجل ان يكلموا الطير من باسان البلخية بغير مانطقتا به ففعلوا ذلك فلم يجدوهما تعرفان غير ماتكلمتا به وبان لهم وللجماعة حصانة المرأة وبراءتها مما رميت به ووضح كذب البازيار فأمر المرزبان بالبازيار أن يدخل عليه فدخل عليه وكان على يده باز أشهب فصاحت به المرأة من داخل البيت أيها العدو لنفسه أنت رأيتنى على ماذكرت وعلمت به الببغاتين قال نعم أنا رأيتك على مثل ماتقولان فوثب البازى الى وجهه فقلع عينيه بمخالبه فقالت المرأة بحق اصابك هذا انه جزاء من الله تعالى بشهادتك على مالم تره عينك (وانما ضربت) لك هذا المثل أيها القاضى لتزداد علما بوخامة عاقبة الشهادة بالكذب فى الدنيا والآخرة فلما سمع القاضى ذلك من لفظ دمنه نهض فرفعه الى الاسد على وجهه فنظر فيه الاسد ثم دعا أمه فعرضه عليها فقالت حين تدبرت كلام دمنه للاسد لقد صار اهتمامى بما تخوف من احتيال دمنه لك بمكره ودهائه حتى يقتلك أو يفسد عليك أمرك اعظم من اهتمامى بما سلف من ذنبه اليك فى الغش والسعاية حتى قتلت صديقك بغير ذنب فوقع قولها فى نفسه فقال لها اخبرينى عن الذى اخبرك عن دمنه بما اخبرك فيكون حجة لى فى قتلى دمنه متحرك

فقالت انى لاكره ان افشى سر من استكتمنيه فلا يهنئنى سرورى بقتل دمنه اذا تذكرت انى استظهرت عليه بركوب مانهت عنه العلماء من

فتحرك وساكن فأوضح فيها كل الامور حسبما رسمه تيمور شرقا وغربا بعدا وقربا يمينا وشمالا مهادا وجبالا طولا وعرضا سماء وأرضا مرداء وشجراء غبراء وخضراء منهلا منهلا ومنزلا منزلا وذكر اسم كل مكان ورسمه وعين طريقه ووسمه بحيث بين فضله وعيبه وأبرز الى عالم الشهادة غيبه حتى كأنه شاهده ودليله ورائده وجهز ذلك اليه حسبما اقترحه عليه كل ذلك وتيمور في بلاد الروم وبينهما مسيرة سبعة شهور وكذلك فعل ذلك البطل وهو بالبلاد الشاميه سنة ثلاث وثمانمائة مع القاضي ولي الدين عمدة المؤرخين أبي هريرة عبد الرحمن بن خلدون أغرقه الله في فلك رحمته المشحون وقد سأله عن أحوال بلاد الغرب وما جرى فيهما من صلح وحرب وما وقع فيهما من خير وشر ونفع وضر ثم انه اقترح عليه وتقدم بالامر اليه بوضع أوضاعها ورسم مدنها وقلاعها وحصونها وضياعها وتخطيط ولاياتها وأشكالها وهيآتها فامتثل ذلك وأبداه وعلى حسب ما اختاره واقترحه أنهاه وبين ذلك مثل ما ذكر أعلاه فشاهد أوضاعها وخبر وهادها وبقاعها كأن الحائل رفع من البين وعاين عين ذلك الاقليم بالعين فانظر الى هذا الاعتمى وهو سطيح نصف آدمى وهمته العالية كالبرق تضرب تارة في الغرب وأخرى في الشرق (وانما أوردت) هذه القضيه ليقف سامعها على مقدار الهمة العليه فلا يرضى الملك الهمام بالمنزلة الدنيه ولا يقنع بالدرجة الوطيه بل يجتهد في تكثير الجند والرعيه وفتح الاقاليم العربية والعجميه ولا يقتصر على الحالة السويه وانما يلازم طلب الارتقاء بكرة وعشيه ويكون سعيه كالشكر يطلب المزيد وكما يستديم طلب الزيادة من مولاه يستديم زيادة العبيد والا فينسب الى قصور الهمه وافلاس الذمة ونقصان الحرمة وبطلان الحشمة وأعظم بها من وصمه وبالعجز والتقصير يضيع حقوق الملك الخطير وتجد الرعية للطعن مقالا وفي ميدان الاعراض عن الملك مجالا وهذا خلاف موضع الامامه وعكس ما تقتضيه الرياسة والزعامة فان موضوع السلطنه أن يتعاطى الملك مهما أمكنه من أسباب الفتح والفتوح وما يستميل به من الرعية القلب والروح وذلك بالاحسان والاكرام والبذل والانعام فبه تقوى رغبتها وتزداد محبتها فاذا لم يكن ذلك فل المملوك عن الممالك واسمع قول الاديب ذي الرأي المصيب وهو

اذا أهملت أمر العبد يوما * وقصرت العليق عن الحمار
توقف في المسير أبو زياد * وقام العبد يجرى للفرار

وقيل * والدر يقطعه جفاء الحالب * وقال أشرف جنس الانسان علو الهمة من الاعيان فالرأى السديد عندي والذي بلغ اليه جهدي انفاذ هذه العزيمه وسلوك طريقها القويمه وابرازها من مكان القول الى ظواهر العمل والحول والاعتماد على ما قيل

فلا تثن عزمك خوف القتال * بسمر دقاق وبيض حداد * عسى ان تنال الغنى أو تموت
فعذرك في ذلك للناس باد * فان لم تنل مطلبا رمته * فليس عليك سوى الاجتهاد

فأقبل الملك على المقبل وقال توجه بكليتك علي وأقبل شعر

ولا تبق مجهودا برأيك انه * سديد ومن يقف السديد سديد

فان القلب قد مال الى العزم والاخذ في التوجه بالحزم وترجح جانب الوثوب الى جهة هذا المطلوب فأمعن النظر واجل قداح الفكر ولا تخف رأيا يسنح في اي جهة ترجح فقال أفعل بشرط ان يقبل اعلم زادك الله علما وفضلا وكرما وحلما ان الذى رآه العلماء واشار به ذوو الحنكة من الحكماء ان من طلب وفور خيره وفائدة نفسه في مضرة غيره لا يتمتع بتلك الفائده ولا تثمر معه تلك العائده وهذا على تقدير

كشف السر ولكني أطالب الذى استودع عينه ان يحاللني من ذكره لك ويقوم هو بعينه وما سمع منه ثم انصرفت وأرسلت الى النمر وذكرت له ما يحق عليه من تزيين الاسد وحسن معاونته على الحق واخراج نفسه من الشهادة التي لا يكتمها امثاله مع ما يحق عليه من نصر المظلومين وتثبيت حجة الحق في الحياة والممات فان العلماء قد قالت من كتم حجة ميت أخطأ حجته يوم القيامة فلم نزل به حتى قام فدخل على الاسد فشهد عنده بما سمع من اقرار دمنه فلما شهد النمر بذلك أرسل الفهد المحبوس الذى سمع اقرار دمنه وحفظه الى الاسد فقال ان عندي شهادة فاخرجوه فشهد على دمنه بما سمع من اقراره فقال لهما الاسد ما منعكما ان تقوما بشهادتكما وقد علمتما أمرنا واهتمامنا بالفحص عن أمر دمنه فقال كل واحد منهما قد علمنا ان شهادة الواحد لا توجب حكما فكرهنا التعرض لغير ما يمضى به الحكم حتى اذا شهد أحدنا قام الآخر بشهادته فقبل الاسد قولهما وأمر بدمنه ان يقتل في حبسه فقتل اشنع قتله (فمن) نظر في هذا فليعلم ان من اراد منفعة نفسه بضرر غيره بالخلابة والمكر فانه سيجزى على خلابته ومكره انقضى باب الفحص عن أمر دمنه

(باب الحمامة المطوقة)

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت مثل المتحابين كيف قطع بينهما الكذوب والى ماذا صار عاقبة امره من بعد ذلك فحدثني ان رأيت عن اخوان الصفا كيف يبتدأ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض قال الفيلسوف ان العاقل لا يعدل بالاخوان شيأ فالاخوان هم الاعوان على الخير كله والمواسون عندما ينوب من المكروه ومن امثال ذلك مثل

الحمامة المطوقة والجرذ والظبي والغراب قال الملك وكيف كان ذلك قال بيدبا زعموا انه كان بأرض سكاوندجين عند مدينة داهر مكان
كثير الصيد ينتابه الصيادون وكان في ذلك المكان ١٢٢ شجرة كثيرة الاغصان ملتفة لورق فيها وكر غراب فبينما هو ذات يوم ساقط
في وكره اذ بصر بصياد قبيح
المنظر سيئ الخلق على عاتقه
شبكة وفي يده عصا مقبلا
نحو الشجرة فذعر منه الغراب
وقال لقد ساق هذا الرجل
الى هذا المكان اما حيني واما
حين غيري فلاثبتن مكاني
حتى أنظر ماذا يصنع ثم ان
الصياد نصب شبكته ونثر
عليها الحب وكمن قريبا منها
فلم يلبث الا قليلا حتى مرت
به حمامة يقال لها المطوقة
وكانت سيدة الحمام ومعها
حمام كثير فعميت هي
وأصحابها عن الشرك فوقعن
على الحب يلتقطنه فعلقن
في الشبكة كلهن . واقبل
الصياد فرحا مسرورا
فجعلت كل حمامة تضطرب
في حبائلها وتلتمس الخلاص
لنفسها فقالت المطوقة لاتخاذلن
في المعالجة ولا تكن نفس
احدا كن اهم اليها من نفس
صاحبتها ولكن نتعاون جميعا
فنقلع الشبكة فينجو بعضنا
ببعض فقلعن الشبكة جميعهن
بتعاونهن وعلون في الجو ولم
يقطع الصياد رجاءه منهن
وظن انهن لايجاوزن الا قريبا
و يقعن فقال الغراب لاتبعهن
وانظر مايكون منهن
فالتفتت المطوقة فرأت
الصياد يتبعهن فقالت
للحمام هذا الصياد مجد في
طلبكن فان نحن أخذنا في
الفضاء لم يخف عليه أمرنا ولم يزل يتبعنا وان نحن توجهنا الى العمران يخفى عليه أمرنا وانصرف وبمكان كذا جرذ هو أبدا
لي أخ فلو انتهينا اليه قطع عنا هذا الشرك ففعلن ذلك وأيس الصياد منهن وانصرف وتبعهن الغراب فلما انتهت الحمامة المطوقة الى الجرذ

حصولها والاستيلاء على فروعها وأصولها وان لم يظفر بها فلا تستفيد النفس غير كربها مع زيادة
الحسره وسوء الصيت في الشهره ووفور الندم وزلة القدم وكل من أراد غشية هواه ولم يلتفت الى
ماسواه ورأى نفسه احق من غيره فلا تطمع أبدا في خيره ولا يكاد يسلم من الانكاد ولا يصفو له زمان
ولا تدوم له أخلاء واخوان ولا تزال ديم الهموم من غمام الغموم تهمي على حدائق اماله وتسقي مزارع
أحواله الى ان تحظل نخلات نيته وتيبس حقول طويته ويحصده حراث الفنا ويدرسه دراس الردى
ويذري حباته وجوده الهوان في الهوى وينقل عن بيدر الشقاء الى طاحون البلاء فهنالك يجدح سويق
أفعاله مايزيغه فيحسوه ويتجرعه ولا يكاد يسيغه ويصهر به مافي البطون ويقال له ذوقوا ما كنتم
تكسبون هذا واذا كان الدخل لايفي بالخرج وخيف من ذلك وقوع هرج ومرج فيحسن التدبير
يتصرف الملك الخبير وبكفاية الوزير وتوفير المشير يجل الحقير ويكثر النزر اليسير كما قيل

قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير مع الفساد

وبالخلق الحسن وحسن السياسه تملك رقاب أولي الرياسه فضلا عن العوام وهذا بحسب المقام ولا
يتصور ان مجرد المال هو شبكة صيد الرجال فان حفظ الممالك هو وراء ذلك وقد قال رسول خلاقكم
انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم وشيء يحتاج في تحصيله والانقطاع الى وصوله
الى بذل أموال وأرواح وكد نفوس واشباح واتعاب خيل ورجال وارتكاب شدائد وأهوال وبعد
حصوله يتكلف في محافظته وحراسته وملاحظته الى تحمل هموم وغموم وكلام وكلوم وآخر الامر يخرج
من اليد ولا يبقى الا النكد والكد فتزول في الدنيا لذات مع معاناة الكدورات وتجرع الغصص
والمشقات وتبقى في الآخرة التبعات لجدير بان لايلتفت اليه ولا يعول عليه ولا يهتم له بشان ويستغنى
عنه وان احتيج اليه بقدر الامكان والاغفل الذي يعلق به فؤاده ويربط بدوامه وبقائه اعتقاده ويتصور
ذلك بفكره الفاسد ونظره الكاسد كمثل كسرى لما مات ولده وتفتتت عليه كبده وحصل له عليه
الاضطراب ورده عن خطائه البهلول الى الصواب فسأل أبو الحجاج اخاه الحجاج عن بيان هذا الامر وكيفية
اطفاء هذا الجمر (فقال) المقبل ذكر محدث معدل ان كسرى كان له ولد قد سكن سويداء الخلد
يخجل البدر ليلة تمامه ويستميل الغصن حالة قيامه وكان يحبه حبا جاوز النهايه وتعدى الحد والغايه
وكان اشد شغفه استبعد حلول تلفه بل احال وفاته واذهله عن درك الحق وفاته فأدركه الاجل المحتوم
واستوفي مداه المعلوم فاضطرب كسرى لموته واضطرم واصطدم بصخور فراقه واصطلم ولم يقر له قرار ولا
طاوعه اصطبار فوعظه العلماء فما افاد وثبته الحكماء بضرب الامثال فأعياهم المراد وكان في بلاده رجل
بهلول يتردد اليه ويدخل في اكثر اوقاته عليه فيلاطفه في محاورته ويبتهج بكلماته في مخاطبته فدخل
عليه البهلول وهو كئيب مهلول لاتسر حاله صديقا ولا يهتدي الى السكون طريقا فسأله عن حاله وما
أوجب توزع باله وتغير أقواله فقال يابهلول عدمت ولدي وقرة عيني وراحة روحي وجسدي (شعري)

لاصبر يجدي على فراقه * ولا معين على احتراقه

وقلت أواه من فرقة الاحباب أواه * لقد كوى من حشاقلبي سويداه

قال البهلول نعوذ بالله من ساعات الذهول يامالك الانام ان عيسى عليه الصلاة والسلام شكا اليه بعض
حواريه شيأ يشابه ما أنت فيه فقال عليه السلام كن لوبك كالف الحمام يذبحون فراخه ولا يفارق
مناخه ولا ينفر عنهم ولا يشكو منهم ثم ان البهلول قال وأنالي اليك سؤال فاجبني بجواب شاف
فانك ذو ألطاف فلا يكن فيه جزاف فقال سل فكلامك لايمل قال أكنت ترجو أن ولدك لايموت

أمرت الحمام أن يسقطن فوقعن وكان للجرذ مائة جحر للمخاوف فنادته المطوقة باسمه وكان اسمه زيرك فأجابها الجرذ من جحره من أنت قالت أنا
خليلتك المطوقة فأقبل اليها الجرذ يسعى فقال لها ما أوقعك في هذه الورطة قالت له ألم تعلم انه ليس من الخير والشر شيء الا وهو مقدر
على من تصيبه المقادير وهي
التي أوقعتني في هذه الورطة
فقد لا يمتنع من القدر من
هو أقوى مني وأعظم أمرا
وقد تنكسف الشمس
والقمر اذا قضي ذلك عليهما
ثم ان الجرذ أخذ في قرض
العقد الذي فيه المطوقة فقالت
له المطوقة ابدأ بقطع عقد
سائر الحمام وبعد ذلك أقبل
على عقدي فأعادت ذلك
عليه مرارا وهو لا يلتفت الى
قولها فلما أكثرت عليه
القول وكررت قال لها
لقد كررت القول علي
كأنك ليس لك في نفسك
حاجة ولا لك عليها شفقة
ولا ترعين لها حقا قالت اني
أخاف ان أنت بدأت بقطع
عقدي ان تمل وتكسل عن
قطع ما بقي وعرفت انك ان
بدأت بهن قبلي وكنت أنا
الآخرة لم ترض وان أدركك
الفتور ان أبقي في الشرك
قال الجرذ هذا مما يزيد
الرغبة والمودة فيك ثم ان
الجرذ أخذ في قرض الشبكة
حتى فرغ منها فانطلقت
المطوقة وحمامها معها فلما
رأى الغراب صنع الجرذ
رغب في مصادقته فجاء وناداه
باسمه فأخرج الجرذ رأسه
فقال له ما حاجتك قال اني
أريد مصادقتك قال الجرذ
ليس بيني وبينك تواصل
وانما العاقل ينبغي له ان يلتمس ما يجد اليه سبيلا ويترك التماس ما ليس اليه سبيل فانما أنت الآكل وانا طعام لك قال الغراب ان أكلي اياك
وان كنت لي طعاما مما لا يغني شيأ وان مودتك آنس لي مما ذكرت ولست بحقيق اذا جئت أطلب مودتك ان تردني خائبا فانه قد ظهر لي منك

أبدا وأنه يصير في الدنيا مخلدا فقال لا ولكن أردت ان يبقى مده ويتمتع بشبابه وبنعيمها عنده
ويلتذ بطيب المآكل والمشارب ويقضي من أوطار الشباب المآرب ويؤنس أنداده وصحبه ثم
يقضي بعد ذلك نحبه قال هب أنه عاش مهما رمت وقام وقعد في الدنيا كما قعدت وقمت وعاش العيش الطيب
وهمى عليه من سماء ملاذها الوابل الصيب وحصل له من العيش الهني والعمر السني أمثال
الجبال واعداد الرمال فعند مفارقته العيش وحلول الحفة والطيش هل يدفع عنه ذلك شرا او يرفع
عنه بؤسا وضرا أو يجلب له منفعه أو يذهب من ذلك شيء معه أو يفيده أدنى فائده أو يعود عليه منه
عائده قال لا قال فلا تأس على معاش يكون عقبى امره الى لاش وعمر ذلك مصيره سواء طويله وقصيره
وكثير تنعمه ويسيره (شعر) وإذا كان منتهى العمر موتا ❋ فسواء طويله والقصير
(غيره) فعش ما شئت في الدنيا وأدرك ❋ بها ما شئت من صيت وصوت
فحبل العمر موصول بقطع ❋ وخيط العيش معقود بموت
فهب انه عاش ونهب الملاذ وحاش وعلا في أرض التنعم وغلا وجاش كل ذلك في المقدار على حسب
ما تختار وانه جاءه القضا وقد قضى وطره ومضى ثم قضى نحبه وقضى فجبر بهذا الكلام كسرا وسرى
عنه همه واسرى وقال الآن سكنت فنعم الناصح أنت (وانما أوردت) هذا التنبيه أيها الملك النبيه
لاعرض على الخواطر السعيده والآراء السديدة الرشيده أن الاقتصار عن هذا أولى وأليق بالركوت
تحت ارادة المولى قال المدبر المفتن المعبر ثلاثة أشياء ينبغي لطالبها ان لا يفتكر في عواقبها الاول الاسفار
في البحار والغوص فيها الى القرار فان طالب الجواهر النفيسه ومن قصد ان يكون في صدر التجارة
رئيسه لا يخشى من الغرق ولا عنده من ذلك فرق فهذا يعبي بضائع المال وذاك يغطس الى قعر الاوحال
وكل منهما لا يتفكر في العاقبة والمآل الثاني المقدم على الحرب والرشق والطعن والضرب ومصارعة
الابطال ومباشرة أسباب القتال لا ينزعج لصوت ولا يفتكر في الهزيمة والجراح والموت والثالث طالب
الرياسة والملك ذي السياسه لا يفتكر في الاقتحام ولا يتوانى في الاقدام ولا يتأمل في العواقب ولا
يلتفت الى المناقب ويلقي نفسه في الاخطار ويضرب الى أعماق الاقطار ويجعل جل همه بلوغ الاوطار
وقيل بقدر الكد تكتسب المعالي ❋ ومن طلب العلى سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلا ❋ يغوص البحر من طلب اللآلي
وقيل اذا هم ألقى بين عينيه عزمة ❋ ونكب عن ذكر العواقب جانبا
قال المقبل الحكيم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم أولو الالباب المميزون بين الخطا والصواب
الناظرون من مبتدا الامور في أعقابها المستبصرون قبل وقوعها في مآلها ومآبها الآتون بيوت
النوائب والنوازل من أبوابها قالوا اذا تحصن أبو الحصين وأغلق عليه من وراء جدار بابين ثم حاصره
أسد من خارج ساوت قوة الخارج قوة الوالج ولا شك ان حركة العساكر وقطع الفيافي والدساكر
والتوجه الى قتال من هو ساكن في سربه محتاط في اقليمه ودربه متحصن في قلاعه متدرق بحجفة امتناعه
يحتاج في الاموال الى اخراج وفي الرجال الى ازعاج وتحمل اخطار وتجشم أسفار وأخذ ضعفاء تحت اقدام
وهدم دور وقطع ارحام ومع هذا كله حصول المقصود موهوم والظفر به غير معلوم فان حصل فقد
مر ان لا ثبات ولا تمتع وان احتجب فهو وراء ستر التمنع فكم من دماء حينئذ تراق وقد كانت مصونه
وأموال تهدر وقد كانت مضمونه واعراض تهتك وقد كانت محترمه وأنفس تذل وقد كانت عزيزة
مكرمه والحق في هذا متضح ومن تجاسر أسه فقد ربح وقد تممت هذا التقرير وهندست هذا التقدير

لان العاقل الماهر فى التجاره كما يحسب الربح يحسب الخساره وكل هذا فى العاجلة فضلا عن المحذورات الآجله من غضب الله وعقابه وتوبيخه وأليم عذابه واذا خرج الامر عن اليد ودخل على القلب الاشتغال بالنكد وذهب المال والمنال ونقصت الاهبه والرجال وتناقص العدد والعدد وتناكص المدد والمدد فأى حرمة تبقى للملك عند الرعايا وقد قلت عنهم منه الارفاد والعطايا وكيف يستقر ملكه أو يدور على فلك الثبات فلكه فلا تخافه الرعية ولا يرجونه ولا يسمعون كلامه ولا يطيعونه ويصير كالسحاب الخلب لا يوثق منه بوعد ولا يحصل منه مطلب ان تكلم عابوا كلامه وان حكم نقضوا أحكامه وان حلم قالوا عاجز وان تقدم فى الحرب قالوا مجنون مبارز وأما الغنى ذو المال فهو على عكس هذه الاحوال فان رأوا منه فضلا كان لكل مكرمة أهلا فرفعوه الى العيوق وكان المعظم المرموق ان أعطى قليلا استصغروا احتماعنده وأطنبوا بلسان الثناء فى شكرهم رفده وان بخل قالوا مدبر لا يضيع ماله وان كذب صدقوا قيله وقاله وفى الجملة حركات الغنى مستصوبه وكلماته مترشفة مستعذبه وقد قيل

ان ضرط الموسر فى مجلس * قيل له يرحمك الله * أو عطس المعسر فى مجمع
سبوا وقالوا فيه ماساه * فضرط الموسر عرنينه * ومعطس المفلس مفساه

وكما قيل

الفقر يزرى بأقوام ذوى حسب * وقد يسود غير السيد المال

ولقد رشفت من أفواه الحكماء ونصائح البلغاء بل شاهدت من النوائب وتلقفت من ذوى التجارب وتحققت فى الدهر أبا العجائب ان الفقر شيب الفتيان وسقم صحيح الابدان ومبعد الاقارب وجاعلهم اجانب وقاطع الارحام ومانع السلام ومبغض الاحباب ومفرق الاتراب ومشتت شمل الاصحاب وبالجملة فالذى يجب على ولى الامر التأمل فى قصارى هذا الامر والتفكر فى عاقبة هذه الحركة وما يحدث فيها من شؤم وبركة وان يجيل قداح التدبر والتبصر والتصبر ويثبت فى صدر هذا المورد المضيق وما فيه من مجال أوضيق ولا يعتمد فيه على القوة والحول وأسباب الطول والطول وكثرة الشوكة والعدد وامداد العدد والمدد مع عدم الاكتراث بالاخصام وقلة المبالاة بكل أسد ضرغام فان الاسد سلطان السباع وملك عظيم كثير الجند والاتباع شجاعته مشهورة وشهامته مأثوره به يضرب المثل ويشبه كل بطل ونحن وان كان لنا عساكر كالجبال تهدم الحصون وتدرك القلال لكن ما جربنا مصارعة الاسود ولا مارسنا مقارعة النمور والفهود ولا نعرف طريق بلادهم ولا طريقة جدالهم وجلادهم وان لهم فى الحروب أساليب وفى افتراس الفرائس أنياب ومخاليب فأخشى أن لا تتم هذه الامور وتقصر حبالنا عن مصادمة مالهم من قصور فيرجع وبال هذه الامور علينا اذا بتداؤه أولا منسوب الينا ولا نحصل الا على الندامه والتوبيخ والملامه ويخاطبنا الجد الوبيل بما قيل

تبنى بانقاض دور الناس مجتهدا * دارا ستنقض يوما بعد أيام

وقال المدبر ولا شك ان جوهر هذا النظام وعقود هذا الكلام صادر عن فكر بعيد ورأى سديد وأمر رشيد وتأمل فى العواقب مفيد أصله الحكمه وفرعه الشفقه وزهره المعرفة وثمره الفطنه ولكن من حين استولى على الملك كيومرث ومرث على سرير التحكم أصبع الولاية أبلغ مرث وسن قواعد السياسة وأسس بنيان الرياسه وذلك زمان الابتدا وأول ما ملك على الدنيا والى هذا اليوم لم يزل القوم من الملوك فى روم وطلب الزيادة والسوم ولا عتب فى ذلك ولا لوم وقل لى أى ملك مالك تحكم فى الممالك وسلك فيها المسالك ولم يقصد فيها الولايات الشاسعه ولا الاقاليم الواسعه ولم يطلب الترفع على الاقران وعلوا لمكان بقدر الامكان والملك عقيم والعاجز سقيم وكيف يتصور أيها الملك الاكبر أن تكون همة الملك أدنى

من حسن الخلق ما رغبنى فيك وان لم تلتمس اظهار ذلك فان العاقل لا يخفى فضله وان هو أخفاه كالمسك الذى يكتم ثم لا يمنعه ذلك من النشر الطيب والارج الفائح قال الجرذ ان أشد العداوة عداوة الجوهر وهى عداوتان منها ما هو متكافئ كعداوة الفيل والاسد فانه ربما قتل الاسد الفيل أو الفيل الاسد ومنها ما قوته من أحد الجانبين على الآخر كعداوة ما بينى وبين السنور وبينى وبينك فان العداوة التى بيننا ليست تضرك وانما ضررها عائد على فان الماء لو أطيل اسخانه لم يمنعه ذلك من اطفائه النار اذا صب عليها وانما مصاحب العدو ومصالحه كصاحب الحية يحملها فى كمه والعاقل لا يستأنس الى العدو الاريب قال الغراب قد فهمت ما تقول وأنت خليق ان تأخذ بفضل خليقتك وتعرف صدق مقالتى ولا تصعب على الامر بقولك ليس الى التواصل بيننا سبيل فان العقلاء الكرام لا يبتغون على معروف جزاء والمودة بين الصالحين سريع اتصالها بطىء انقطاعها ومثل ذلك مثل الكوز الذهب بطىء الانكسار سريع الاعادة هين الاصلاح ان اصابه ثلم أو كسر والمودة بين الاشرار سريع انقطاعها بطىء اتصالها ومثل ذلك مثل الكوز الفخار سريع الانكسار ينكسر من ادنى عيب ولا وصل له أبدا والكريم يود الكريم واللئيم لا يود أحدا الا عن رغبة أو رهبة وأنا الى ودك ومعروفك محتاج لانك كريم وأنا ملازم لبابك غير ذائق طعاما حتى تؤاخينى قال الجرذ قد قبلت اخاءك من فانى لم أردد أحدا عن حاجة قط وانما بدأتك بما بدأتك به ارادة التوثق لنفسى فان أنت غدرت بى لم تقل انى وجدت الجرذ سريع الانخداع ثم

من همة تاجر في البحر ينهمك فان التاجر اذا افتكر في لذة الفائده ومايعود عليه العائده وغرته كما يقال التسع أواق الزائدة يضع جميع ماله وماتصل اليه يده من خدمه ورجاله في الفلك المشحون ولا يرهب ريب المنون ويركب هو أيضا فيه ولا يلتفت الى عجائب دواهيه ولا يفتكر في الغرق ولا في جبر السفينة ولو انخرق ويسلم قياده الى متصرف الهواء ونفسه وماله الى حاكم الماء ودونك ياذا الحشمه والوافر الحرمه ماقاله العاشق العالى الهمه

ان تهو بدرا فليكن * ابن الخليفة ذى السرير أو ابن سلطان الورى
* أوذى الوزارة أو أمير * وتجنب الاوغاد والغوغا وذا القدر الحقير *
ان الخطير هو الذى * قد قام بالامر الخطير

وأما قولكم عساكرنا أغمار لادربة لهم بتلك الديار ولا معرفة لهم بمصادمة الاسود ومقاومة تلك الجنود فاعلم أيها الوزير الفاضل الكبير ان الاسد ملك كاسر وعلى سفك الدماء جاسر وان في رعيته من آذاه وأنكاه في ذويه وأبكاه وكسره جبرا واسترعاه قسرا واستولى عليه قهرا فهو منتظر تنفس الزمان مترقب انقلاب الحدثان متوقع أيها الفضيل معنى ماقيل

اذا لم يكن للمرء في دولة امرئ * نصيب ولاحظ تمنى زوالها

فاذا سمع باحد خرج على الاسد ولو كان أذل الاعوان فضلا عن ملك الافيال بل قيل الاقيال الفاضل في ذاته الكامل في صفاته العادل في رعيته البار بأهل ولايته المحسن الى أهل مملكته المشفق الحليم الرؤف الرحيم فبالضرورة يبادر الى الملاقاه ويسارع الى ما كان يتمناه ويغتنم عبودية الملك ويعدها غاية مرتجاه فيدل على عورات العدو ومظان عثراته ويرشد الى طرائق نكاياته ونكباته وينادى في النادى نلت مرادى على رغم الاعادى ويعلن بانشادى للحاضر والبادى

اذا كان للانسان في دولة امرئ * نصيب واحسان تمنى دوامها

وايضا في ذلك الاقليم من هو متشبث بامر جسيم وهو ماله من مال وأولاد واقطاعات وعقار وبلاد وسوائم ومواش وأثقال وحواش فلا يمكنه التحول عن طريقنا ولا التحمل لرعودنا وبروقنا ولا قوة المقاومه ولا طاقة المصادمه فبالضرورة يصانع عن تعلقاته بالطاعه ويتشبث بذيل ستنا مع الجماعه فنستمد باآرائه وروائه ونستطيد فيما نحن بصدده دواء لدائه فقال الملك للمقبل ما الجواب عن هذا الخطاب فقال هذا المقال وان كان لا يخلو عن الاحتمال ووقوعه غير محال لكن الاقرب الى الذهن ان هذا لا يقع لانه أمر مبتدع ولان طباعنا مخالفة لطباعهم واوضاعنا غير أوضاعهم وناهيك ان كلاب الحاره في النهب والغاره يمزق بعضهم بعضا ويتناحرون فيما بينهم حرصا وبغضا حتى اذا دخل بينهم ذيب أو حيوان غريب توجهوا اليه واتفقوا عليه فمزقوا أديمه وهتكوا حريمه وجعلوا لحمه لجماعتهم وليمه وعند الاسد من الوحوش أنواع مابين سباع وضباع ونمور وذئاب وقرود وذباب وفهود وكلاب كلهم على طباعه متفقون على اتباعه وان اختلفت عليهم الثياب لكن الكل كلاب أولاد كلاب وكل من هولاء على ماهم عليه متفقو الاهواء له على خصمه في مجادلته وخصمه دربة في المساوره ووثبة في المغاوره وانواع في الكر والفر وروغات في الخير والشر ومداخل ومخارج ومدارك ومعارج وليس في عساكرنا سوى الصدمات والحطم بقوة النهضات والعزمات فان أفاد هذا الاصطدام والاقتحام الا الانهزام فلما بلغ المقبل في الكلام الى هذا المقام وكان رسخ في قلب الملك من كلام المدبر والوسخ فما أثر نصح المقبل وما أفاد لان النفس بطبعها مائلة الى الفساد فشرع الملك واعتمد على التوجه الى بلاد الاسد وأمر رؤساء فيلة الهنود بجمع العساكر والجنود وأشيع ذلك في اطراف الممالك فاطلع على هذه

خرج من جحره فوقف عند الباب فقال له الغراب مامنعك من الخروج الي والاستئناس بي فهل في نفسك بعد ذلك مني ريبة قال الجرذان أهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم أمرين ويتواصلون عليهما وهي ذات النفس وذات اليد فالمتباذلون ذات النفس هم الاصفياء وأما المتباذلون ذات اليد فهم المتعاونون الذين يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض ومن كان يصنع المعروف لبعض منافع الدنيا فانما مثله فيما يبذل ويعطي كمثل الصياد والقائه الحب للطير لا يريد بذلك نفع الطير وانما يريد نفع نفسه فتعاطي ذات النفس أفضل من تعاطي ذات اليد واني وثقت منك بذات نفسك ومنحتك من نفسي مثل ذلك وليس يمنعني من الخروج اليك سوء ظن بك ولكن قد عرفت ان لك أصحابا جوهرهم كجوهرك وليس رأيهم في كرأيك قال الغراب ان من علامة الصديق ان يكون لصديق صديقه صديقا ولعدو صديقه عدوا وليس لي بصاحب ولا صديق من لا يكون لك محبا وانه يهون على قطيعة من كان كذلك من جوهري ثم ان الجرذ خرج الى الغراب فتصافحا وتصافيا وانس كل واحد منهما بصاحبه حتى اذا مضت لهم أيام قال الغراب للجرذان جحرك قريب من طريق الناس وأخاف ان يرميك بعض الصبيان بحجر ولي مكان في عزلة ولي فيه صديق من السلاحف وهو مخصب من السمك ونحن واجدون هنالك مأمنا كل فأريد ان أنطلق بك الى هنالك لنعيش آمنين قال الجرذان لي اخبارا وقصصا سأقصها عليك اذا انتهينا حيث تريد فافعل ماتشاء فأخذ الغراب بذنب الجرذ وطار به حتى بلغ به حيث أراد فلما دنا من العين التي فيها السلحفاة بصرت

الاحوال غراب يكنى أبا المرقال كان له وطن وولد وسكن فى ممالك الاسد لكنه قدم جزيرة الافيال للتنزه على سبيل التفرج والتفكه فشرع يتأمل فى هذه الامور ويستنتج من قضاياها ما يتولد من سرور وشرور فانتهى سابق أفكاره فى ميدان مضماره الى ان هذه القضايا تسفر عن بلايا ورزايا واراقة دماء وخراب أماكن وهلاك رعايا سواء تمت للافيال أو رجعت عليهم بالوبال فخاف على سكنه ودماء اهله ووطنه فأدى فكره الاسد ان يطلع على ذلك الاسد ليتداركه بحسن آرائه ويعترف للغراب بحسن وفائه فبكر بكوره وقصد دوره فوصل فى قرب زمان ونادى الريبال ابا الزعفران وقال الله الله انى انا النذير العريان وأطلع الاسد على هذا النكد وقرر معه حقيقة الاحوال وما عزم عليه ملك الافيال فتشوشت لذلك الخواطر وتصدعت لخوفه الاكابر والاصاغر ثم أمر السباع وطوائف الوحوش بالاجتماع مع رؤساء مملكته وأساطين خاصته ورعيته وذكر لهم هذا الامر المهول وما عزم عليه ملك الفيول وأذن لكل واحد منهم فى ذلك بمقابلة قول فوقع الاتفاق من أولئك الرفاق ان يتفق أعيان كل جنس من الحيوان على رئيس من جنسهم يقيمونه مقام نفسهم يرضون بأقواله ويقتفون آثار افعاله وليكن من أهل الحصافة والكفايه واللطافة والدرايه والشفقة العامة والمعرفة التامه يقدمهم للمؤامره مجالس رأى ومشاوره فمهما وقع عليه الاتفاق واجتمع عليه الرفاق واستصوبه الاسد وارتضاه اتبعوه وعملوا بمقتضاه فتقدمت طائفة الآساد الى أن اجتمع منهم اسد سبع يسود على طوائف الاسود طالما افترس الاقران وانغمس فى دماء الشجعان وأضاف جوارح الصيد فضلات ما افترسه من عمرو وزيد كاسر جاسر باسل باسر حاسر قاسر ظاهره ابى وباطنه بالمكر غبى

أسد يسود على الاسود زئيره * رعد وعيناه برق تخطف

فقدموه واختاروه واستشاروا رأى رأيه وامتاروه واختارت النمور نمرا عور سريع الوثبه بديع الضربه لطيف الحركات خفيف النهضات قوى الشماس خفى الاختلاس كثيرا ما كسر أسامه وساحى اسود خفان فأسر ضرغامه كما قيل

نمر تخاف الاسد من وثباته * وتحار فى حركاته وثباته

وقدمت الثعالب ثعلبا لطيف الروغان ظريف الزوغان خفى الحيل قوى الميل طالما فر من طبل واهال على الصيادين من أهوال وأحرق السلوقيات سلاحه ونفذ فى غالب الاسود بالمكر سلاحه

يضل بنى سلوق من دهاه * فيخلص من مخالبها سليما

واعتمدت الذئاب فى هذا الباب على ذئب فعله عجيب وأمره غريب سديد الختل والختر شديد المكر والكسر طالما أفسد ثله ودخل فى قطيع ماشية فقطعه كله يعجز الاسود والنمور والفهود شيمته الغدر والخديعه ودأبه المكر وسوء الطبيعه شعر

وقد جمع الضدين نوم ويقظة * يخاف الرزايا فهو يقظان نائم

فاختلى بهم أبو الاشبال وشاورهم فيما دهمه من الاهوال وتوجه بالخطاب الى الاسد وقال ما رأيك فى هذا النكد فقال لا تطلب النصر فى هذا الحصر الا من مالك العصر ومصرف أحوال الدهر بين الفرج والقسر وهو الله سبحانه وتعالى وعز شانه وجل جلالا فانا مظلومون وهم ظالمون ونحن ما اعتدينا عليهم ولا تقدمنا بالظلم اليهم فسيرد الله كيدهم فى نحرهم وسيحيق بهم عاقبة مكرهم وهذا أمر مقرر وأظنه هو المقدر وأما ما يتعلق بنا وبهم من الفرار او الصلح أو حربهم فاذكره على التفصيل وأخبرنى فى ذلك الرأى الجميل أما الفرار فلا سبيل اليه ولا معول أبدا عليه وأنى ذلك وهو عيب ما وصمت به الاسود

السلحفاة بغراب ومعه جرذ فذعرت منه ولم تعلم انه صاحبها فاداها بالخير حيث اليه وسألته من أين أقبلت فأخبرها بقصته حين تبع الحمام وما كان من أمره وأمر الجرذ حتى انتهى اليها فلما ١٢٦ سمعت السلحفاة شأن الجرذ عجبت من عقله ووفائه ورحبت به وقالت ما ساقك الى هذه الارض قال الغراب للجرذ اقصص على الاخبار التى زعمت أنك تحدثنى بها فاخبرنى بها مع جواب ما سألت السلحفاة فانها عندك بمنزلتى فبدأ الجرذ وقال كان منزلى أول أمرى بمدينة ماروت فى بيت رجل ناسك وكان خاليا من الاهل والعيال وكان يؤتى فى كل يوم بسلة من الطعام فيأكل منها حاجته ويعلق الباقى وكنت أرصد الناسك حتى يخرج وأثب الى السلة فلا أدع فيها طعاما الا أكلته وأرمى به الى الجرذان فجهد الناسك مرارا أن يعلق السلة مكانا لا أناله فلم يقدر على ذلك حتى نزل به ذات ليلة ضيف فأكلا جميعا ثم أخذا فى الحديث فقال الناسك للضيف من أى أرض أقبلت وأين تريد الآن وكان الرجل قد جاب الآفاق ورأى عجائب فأنشأ يحدث عما وطئ من البلاد ورأى من العجائب وجعل الناسك خلال ذلك يصفق بيديه لينفرنى عن السلة فغضب الضيف وقال أنا أحدثك وأنت تهزأ بحديثى فما حملك على ان سألتنى فاعتذر اليه الناسك وقال انما اصفق بيدى لانفر جرذا قد تحيرت فى أمره ولست أضع فى البيت شيأ الا أكله فقال الضيف جرذ واحد يفعل ذلك أم جرذان كثيرة فقال الناسك جرذان البيت كثير لكن ولا فيها جرذ واحد هو الذى غلبنى فما استطيع له حيلة قال الضيف لقد ذكرتنى قول الذى قال لامر ما باعت هذه المرأة سمسما مقشورا بغير مقشور

قال الناسك وكيف كان ذلك قال الضيف نزلت مرة على رجل بمكان كذا فتعشينا ثم فرش لي وانقلب الرجل على فراشه مع زوجته وبيني وبينهما خص من قصب فسمعت الرجل يقول في آخر الليل لامرأته اني اريد ان ادعو غدا رهطا ليأكلوا عندنا فاصنعي لهم

ولا لهم به وصف معهود وبنا يضرب المثل في الشجاعة والبساله وتتشبه بنا الابطال في الاقدام لا محاله وكيف نترك بلادنا وأهلنا وأولادنا من أول وهله ونعزم على الرحله ولا صادمناهم ولا واقفناهم ولو فعلنا ذلك فهربنا وتركنا المال وذهبنا لفسدت أمورنا وخربت ممالكنا ودورنا ولانفرط نظامنا وتعوج قوامنا واستمرت هذه الملامه الى يوم القيامة ولدام علينا هذا العار ولا يقر لنا بعد ذلك قرار واعلم أيها الملك نور الله وجه السرير بك ان العمر السني ما مر في العيش الهني وقد قيل

ما العمر ما طالت به الدهور * العمر ما طاب به السرور

والعمر الذي عرفي نكد لا يحتسبه من ذوي الكفاية أحد وحسبك ما ذكره المترجم من حكاية الملك المعزول مع المنجم فسأل أبو الاشبال سرد هذا المثال (فقال) الاسد ذكر القائل ان أهل بابل كانت عادتهم في دينهم وسلوك طريقهم مع سلاطينهم انهم اذا اعتنوا بشخص ملكوه واتبعوا طريق أمره وسلكوه وبذلوا في طاعته ما ملكوه فاذا أرادوا عزله تركوه ونشزوا عنه وفركوه واهملوا احسانه وفذلكوه وسكنوا غيره في سرير الملك وحركوه فاتفق انهم ولوا واحدا وأعزوه ونصروه ثم خذلوه وأقبلوا عليه أولا ثم قتلوه وكانت مدة ما بين ذلك يسيره وعمر أيامه في ولايته قصيره فحصل له أولا السرور ثم ترا كمت عليه بالعزل الشرور فاحتوشته الفكروبات بصارع القضاء والقدر ثم قال لو راقبت في أول الجلوس ما في الطالع من صعود ونحوس ثم اخترت لساعة ارتقائي وثنا يطول فيه بقائي وذلك بكون نجمي في برج ثابت لما انقلبت كواكب سعدي عن الاستقامة ولا نبت ولكن حيث فات ذلك في الابتداء فاتداركه في الانتهاء فلعل ذلك يجدي ويردني الى سرير السرور ويعيد ثم طلب منجما حاذقا ماهرا في صنعته فائقا وقال انظر في طالع جدي وتأمل برج نحسي وسعدي واختر لي ساعة يصلح فيها النزول عن السرير ويكون العود الى السرير بواسطة الناظر الهاغير عسير فان الناظر الى الطالع هو الجالب والمانع فامتثل المنجم ما رسم وشرع في وضع الاشكال والقسم ثم قال أحسن ما نظر في الطالع المسعود من حين الميلاد فانه أول الوجود فاذا أخذ الطالع من ساعة الميلاد ترتب عليه ما يصدر على ذلك المولود من السعد والاسعاد ومن الخوف والرجاء في عالم الكون والفساد فهل اطلع الملك في أي ساعة وجد وكم أتى عليه من حين ولد قال نعم أعرف مدة عمري جزما وهي اثنان وعشرون يوما فتعجب المنجم من مقاله ولم يقف على حقيقة حاله فقال أوضح الملك ما أشار لاقف على حقيقة هذه الاسرار فقال مدة استيلائي على السرير هو هذا القدر اليسير وأنا لا أحسب العمر ولا أعتد بوم البيض ولا سمر الاهذه الايام والليالي ولا احتسب سواها عمرا ولو بيع بالغالي وقد قلت

وعمر مضى بالهجر لست أعده * ولكنني أقضيه في زمن الوصل

وانما عرضت يا بطل على رأيك السعيد هذا المثل لتعلم ان أيام المحنة لا تعد عمرا ولو قضى الانسان فيها زمانا طويلا ودهرا وأما الصلح ياذا الركون فعلى أي وجه يكون ومن أين يقع بيننا وبينهم اتفاق وسكون وليسوا من جلدتنا ولا على ملتنا وفي أي عصر وأوان ذل الاسد واستكان وخضع للفيل ودان أو أعطى الغضنفر النباج والضرغام الصعب الناج لغيره الجزية والخراج وهو في الحقيقة سلطان الوحوش ووهاب التاج فلم يبق الا الاستعداد للمصادمه والتأهب للمقاجاة والمقاومه وانما من ذلك في البين احدى الحسنيين اما الظفر بهم وهو المرام واما الشهادة فنموت ونحن كرام وقد قال السيد السديد من قتل دون ماله فهو شهيد وقيل يا حاتم طي حسن الثناء على الميت خير من سوء الثناء على الحي والموت في مقام العزه مع النشاط والهزه أرفع من الحياة بذلة وخزه وكسرة ونخزه وقد كنت أنشدت وقد يما أرشدت

هو الموت ان لم تلقه مضاحكا فكافت * عبوسا بوجه أقتر اللون أغبرا

طعاما فقالت المرأة كيف تدعو الناس الى طعامك وليس في بيتك فضل عن عيالك وأنت رجل لا تبقي شيئا ولا تدخره قال الرجل لا تندمي على شيء أطعمناه وأنفقناه فان الجمع والادخار ربما كانت عاقبته كعاقبة الذئب قالت المرأة وكيف كان ذلك (قال) الرجل زعموا انه خرج ذات يوم رجل قانص ومعه قوسه ونشابه فلم يجاوز غير بعيد حتى رمى ظبيا فحمله ورجع طالبا منزله فاعترضه خنزير برى فرماه بنشابة نفذت فيه فادركه الخنزير وضربه بانيابه ضربة أطارت من يده القوس ووقعا ميتين فاتى عليهم ذئب فقال هذا الرجل والظبي والخنزير يكفيني أكلهم مدة ولكن أبدأ بهذا الوتر فاكله فيكون قوت يومي فعالج الوتر حتى قطعه فلما انقطع طارت سية القوس فضربت حلقه فمات (وانما) ضربت لك هذا المثل لتعلمي ان الجمع والادخار وخيم العاقبة فقالت المرأة نعم ما قلت وعندنا من الارز والسمسم ما يكفي ستة أنفار أو سبعة فانا غادية على اصطناع الطعام فادع من أحببت وأخذت المرأة حين

أصبحت سمسما فقشرته وبسطته في الشمس ليجف وقالت لغلام لهم اطرد عنه الطير والكلاب وتفرغت المرأة لصنعها وتغافل الغلام عن السمسم فجاء كلب فعاث فيه فاستقذرته المرأة وكرهت ان تصنع منه طعاما فذهبت به الى السوق فاخذت به مقايضة سمسما غير مقشور مثلا

ومن لم يمت فى ملتقى الخيل مقبلا * عزيزا يمت تحت السنابك مدبرا

فأقبل الريبال على أبى مرسال وقال أيها النمر وصاحب الخلق الزمر ماذا تشير فى هذا المهم والمشكل الذى دهم فقال ان الافيال أكبر جسوما وأعظم حلوما وأقوى فى الضرب وأعدى فى الحرب وقد استعدوا واقبلوا واتقنوا أمورهم واعملوا وأنا اخشى ان يكونوا أقوى بطشا وان نعجز عن المقاومه فى المصادمه فان فينا العاجز والضعيف والذميم الجثة والخفيف ومن لا عرف الافيال ولا رأى تلك الاشكال فينظر من مصادمة الجبال فيطؤننا تحت أخفافهم وتنكسر شوكتنا فى أول مصافهم فلم يبق الا الفرار ولا يقر لنا بعد ذلك قرار فيستولون عنوة وقسرا على هذه الديار وينفرط النظام ونرضى عند ذلك بالسلامة والسلام ونقع فى البلاء العريض الطويل وانظر يامولاى الى ماقيل

هل الحرائر من صون اذا وصلت * ايدى الرعاء الى الخلخال والخدم

فعندى الرأى ذو الاصالة أن ينتخب الملك من يصلح للرساله ويحسن السفاره ويحسن العباره فيسكن من فورتشغبهم وثورة لهبهم وسورة غضبهم ويعدهم ويمنيهم ويحسن التقريب ويقصيهم وفى ضمن هذه الاوقات واثناء هذه الحالات يراقب اوضاعهم ويخبر جمعهم واجماعهم ويتوصل الى أسرارهم ويواصلنا باخبارهم ويطالعنا بما تحامر افكارهم ويكتب ماقدموا وآثارهم ونستمر على المراسله والمقاولة والمطاوله فان تيسر رجوعهم وانكشف بالهوينا جموعهم والا فنكون قد استعددنا عن الاستبصار فنتعاطى أمور قتالهم بعد التأمل والاختبار وان أمكننا ان نأتيهم بالليل ونحل بهم الدواهى والويل بعد أن يركنوا الى جانبنا ويأمنوا من نوائب مصائبنا فربما نصل الى بعض القصد او يوافق بعض حركاتنا السعد فالتفت الدوكس الى العملس وقال أى سيد وذا الامر الرشيد ماذا ترى فيما طرا وكيف طريق العزم فيما جرى قال السمسام يامولانا الضرغام الذى سمعته من أولى التجارب وتلقفته من الاصحاب والاجانب انه من التوفيق اذا ابتلى الشخص بعداوة من لا يطيق أن يدافعه بالهدايا والتحف ويحابيه بشئ من الطرائف والنتف فانه قيل فى الامثال ان خير الاموال ما ادخر لدفع البوس ووقيت بنفائسه النفوس فاهب النهاب بابى وثاب ياأبا الحصين مارأيك فى البين وأى آراء الاصحاب اقرب الى الصواب فتقدم الثعلبان وتكلم فابان وقال اسعد الله الاحد مولانا الاسد وجعل رأيه الاسد وفعله على اعدائه الاشد اعلم ايها الداهاث ان أمورنا لاتخلو عن احدى ثلاث اما المقابلة بالمقابحه واما المهادنة والمصالحه وقد تقرر فيما تقدم وتحرر بيان كل منهما ومايصدر فيهما وعنهما واما الفرار وتولية الادبار وترك الاوطان والديار فأف لذلك من عار وسبة وشنار فما بقى الا الحالة الثالثه وهى بعساكرهم عابثة ولقلوبهم كارثه وهى طريقة الاحتيال والتوصل الى اقتناصهم بطرائق المكر فى جب الوبال فان صائب الافكار يعمل مالا يعمله الصارم البتار فبشباك الحيله تصاد كل فضيلة وتهون كل جليله وأنا أفصل ما أجملت وابين ما فصلت اما المقابله والاخذ فى أسباب المقاتله فلا طاقة لنا به ولا باب لدخول قبابه لانا عاجزون عن المصادمه قاصرون عن المقاومه محتاجون الى الطعام والشراب وبعض عساكرنا لايعيش الا باللحم والكباب وجيشهم الذى قد ملا وسد الوهد والفلا يقنعون بالحشيش والكلا فلا يتكلفون لحمل زاد ولا يحتاجون الى عدة وعتاد وأيضا أحوال عساكرنا المفرقة المضمومه لاختلاف اجناسها وأنواعها غير معلومه فلا اعتماد عليهم ولا يتحقق الركون اليهم فانهم اجناس مختلفة وطوائف غير مؤتلفه وبينهم معاداه وفى جبلتهم النفرة والمنافاه وبعضهم غذاء بعض وفى قلبه منه عداوة وبغض لو ظفر به كسره واكله وان استنصر به خذله فهم كالقفل المجمع ولون اتفاقهم ملمع وأما عساكر الافيال فبينهم اتفاق على كل حال

بجثل وأنا واقف فى السوق فقال رجل لامرمابا عت هذه المرأة سمسما مقشورا بغير مقشور وكذلك قولى هذا الجرذ الذى ذكرت انه على غير علة مايقدر على ماشكوت منه فالتمس لى فاسا العلى احتفر جحره فاطلع على بعض شانه فاستعار الناسك من بعض جيرانه فاسا فاتى به الضيف وانا حينئذ فى جحر غير جحرى اسمع كلامهما وفى جحرى كيس فيه مائة دينار لا أدرى من وضعها فاحتفر الضيف حتى انتهى الى الدنانير فاخذها وقال للناسك ما كان هذا الجرذ يقوى على الوثوب حيث كان يثب الا بهذه الدنانير فان المال جعل له قوة وزيادة فى الرأى والتمكن وسترى بعد هذا أنه لا يقدر على الوثوب حيث كان يثب فلما كان من الغد اجتمع الجرذان التى كانت معى فقالت قد أصابنا الجوع وأنت رجاؤنا فانطلقت ومعى الجرذان الى المكان الذى كنت أثب منه الى السلة فحاولت ذلك مرارا فلم أقدر عليه فاستبان للجرذان نقص حالى فسمعتهن يقلن انصرفن عنه ولا تطمعن فيما عنده فانا نرى له حالا لا نحسبه الا وقد احتاج الى من يعوله فتركننى ولحقن باعدائى وجفوننى واخذن فى غيبتى عند من يعادينى ويحسدنى فقلت فى نفسى ما الاخوان ولا الاعوان ولا الاصدقاء الا بالمال ووجدت من لا مال له اذا أراد أمرا قعد به العدم عما يريده كالماء الذى يبقى فى الاودية من مطر الشتاء لا يمر الى نهر ولا يجرى الى مكان فتشربه أرضه ووجدت من لا اخوان له لا أهل له ومن لا ولد له لا ذكر له ومن لا مال له لا عقل له ولا دنيا ولا آخرة له لان الرجل اذا افتقر قطعه قرائبه واخوانه فان الشجرة النابتة فى السباخ المأكولة من كل جانب كحال الفقير المحتاج الى مافى أيدى الناس ووجدت الفقر رأس كل بلاء

لانهم جنس واحد ومابينهم مخالف ولامناكد ولهم اعتماد على قوتهم وعلى اتفاقهم وشوكتهم والمعتمد
على مثل عساكرنا ان لم يضبط بطريقة كاملة امر عشائرنا ينفرط أمره ويخمد فى ايقاده نار الحرب
جمره ويعلوه من بحر النوائب غمره ويظهر به من أعدائه زيده وعمره ويصيبه من الخطه ما أصاب الصياد
من القطه فسأل أبو الحرث عن بيان هذا الحادث (قال) الثعلب ذكر أن رجلا ذا كبد كان مغرما بالصيد
وكان عنده قط صياد يجترئ على النمس والفار فكان يوما بين يديه فمر عصفور عليه فطفر كالنمور
وحصل من الهواء العصفور فأعجب به صاحبه ثم قصد الصيد وهو مصاحبه وجعله تحت ابطه وبالغ فى
حفظه وضبطه وركب جواده وتوجه يروم اصطياده فرقى سفح جبل فخرج من وراء صخرة طائفة من
الحجل فتوجه اليه وألقى القط عليه فطار الطير وخاف القط وقصد رجوعه الى تحت الابط فطفر الى
جبهة الجواد وأنشب فيها مخاليبه الحداد فجفلت الفرس من القطه وخبطت بفارسها الارض شر خبطه
ازهقت فيها نفسه وابطلت حسه (وانما أوردت) هذا المثل ليحترز ايها البطل فى هذا الامر من
وقوع الخلل ويتفكر فى أمر هؤلاء الجماعه وكيف ثباتهم فى دعواهم السمع والطاعه فانهم لا يصلحون
للقتال خصوصا مصادمة عساكر الافيال فالملك لا يعتمد على مثل هذا العسكر اللهم الا ان يتقرر أمرهم
على صدق اللقاء ويتحرر وأما ماذكره مولانا أبو سهيل فى تبييت عساكر الافيال بالليل فهو رأى معتبر
ولكن فيه نظر لان ذلك انما يكون اذا كان العدو فى سكون وعن توقع النكبات فى ركون فبيناهم فى غفلاتهم
ذاهلون جاءهم بأسنا بياتا أوهم قائلون وأما اذا كانوا مستعدين يقظين مجدين وقد توجهوا للقتال
وانتصبوا للمناضلة على هذه الحال فلاشك أنهم اتقنوا أمرهم وأخذوا أسلحتهم وحذرهم فأعدوا لكل نائبة
نابا ولكل نائفة بابا ولكل حرب حرابا ولكل ضرب ضرابا ولكل شدة سده ولكل عدة عده ولكل
جزة جزه ولكل وفزة فزه ولكل نفرة طفره ولكل فرة كره ولكل أزمة حزمه ولكل كسرة جزمه
فربما يكونون افتكروا مثل هذه المكيده وأعدوا فى مقابلتها داهية نصبوا لها مصيده فنتوجه اليها غافلين
فننشب فى شركها ذاهلين فيصيبنا من النكال ما أصاب الجمل من الجمال فقال الرئبال هات يا أبا الترهات
اخبرنا يا أبا نوفل أخبار الجمل المغفل (قال) كان جمال فقير ذو عيال له جمل يتعيش عليه ويتقوت
هو وعياله بما يصل منه اليه فرأى صلاحه فى نقل ملح من الملاحه فجد فى تثقيل الاحمال وملازمته باثقال
الاثقال الى ان آل حال الجمل الى الهزال وزال نشاطه وحال والجمال لا يرق له بحال ويجد فى كده
بالاشتغال ففى بعض الايام أرسله مع السوام فتوجه الى المرعى وهو ساقط القوة عن المسعى وكان له
أرنب صديق فتوجه اليه فى ذلك المضيق ودعاه وسلم عليه وبث عظيم اشتياقه اليه فلما رأى الخز هزاله
تألم له وسأله أحواله فاخبره بحاله وما يقاسيه من عذابه ونكاله وأن الملح قد قرحه وجب سنامه وجرحه
وانه قد أعيته الحيله وأضل الى الخلاص سبيله فتألم الارنب وتأمل وتفكر فى كيفية عصر هذا الدمل
ثم قال يا أبا أيوب لقد فزت بالمطلوب وقد ظهر وجه الخلاص من شرك هذا الاقتناص والنجاة من
الارتهاص والارتصاص تحت حمل كالرصاص فهل يعترضك يا ذا الرياضة فى طريق الملاحة مخاضه
دقل كثير وكم من نهر وغدير فقال اذا مررت فى حوض ولو انه روض أوحوض فابرك فيه وتمرغ
وتنصل من حملك وتفرغ واستمر فيه يا أبا أيوب فان الملح فى الماء يذوب وكرر هذه الحركة فانك ترى فيها
البركه فاما انهم يغيرون حملك أويخففوه أوتستريح بذوبه من الذى أضعفوه فتحمل الجمل للارنب المنه
وشنف بدر هذه الفائدة اذنه فلما حمله صاحبه الحمل المعهود ودخل به فى طريقه المورود ووصل الى المخاضة
برك فضربوه فما قام ولا احترك وتحمل ضربه وعسفه حتى أذاب من الحمل نصفه ثم نهض انهاضه وخرج

وحالبالى صاحبه كل مقت ومعدن النميمة ووجدت الرجل اذا افتقر اتهمه من كان له مؤتمنا وأساء به الظن من كان يظن فيه حسنا فان
أذنب غيره كان هو للتهمة موضعا وليس من خلة هى للغنى مدح الا وهى للفقير ذم ١٢٩ فان كان شجاعا قيل أهوج وان كان جوادا
سمى مبذرا وان كان حليما
سمى ضعيفا وان كان وقورا
سمى بليدا فالموت أهون من
الحاجة التى تحوج صاحبها
الى المسئلة ولاسيما مسئلة
الاشحاء واللئام فان الكريم
لو كلف ان يدخل يده فى فم
الافعى فيخرج منه سما فيبتلعه
كان ذلك أهون عليه وأحب
اليه من مسئلة البخيل اللئيم
وقد كنت رأيت الضيف حين
أخذ الدنانير فقاسمها
الناسك فجعل الناسك نصيبه
فى خريطة عند رأسه
لما جن الليل فطمعت ان
أصيب منها شيأ فارده الى
جحرى ورجوت أن يزيد
ذلك فى قوتى ويراجعنى
بسببه بعض اصدقائى
فانطلقت الى الناسك وهو
نائم حتى انتهيت عند رأسه
ووجدت الضيف يقظانا
وبيده قضيب فضربنى على
رأسى ضربة موجعة
فسعيت الى جحرى فلما سكن
عنى الالم هيجنى الحرص
والشره فخرجت طمعا كطمعى
الاول واذا الضيف يرصدنى
فضربنى بالقضيب ضربة
أسالت منى الدم فتقلبت
ظهر البطن الى جحرى فخررت
مغشيا على فاصابنى من وجع
ما بغض الى المال حتى
لا أسمع بذكره الا تداخلنى
من ذكر المال رعدة وهيبة

 ثم تذكرت فوجدت البلاء فى الدنيا انما يسوقه الحرص والشره ولا يزال صاحب الدنيا فى بلية وتعب ونصب
ووجدت تجشم الاسفار البعيدة فى طلب الدنيا أهون على من بسط اليد الى السخى بالمال ولم أر كالرضا شيأ فصار أمرى الى أن رضيت

من الخاصة ولازم هذه العادة الى ان أفقر صاحبه وأباده فأدرك الجمال هذه الحيلة فافتكر له فى داهية وبيله وعمد الى عهن منفوش وغير فى مقامرته شكل النقوش وأوسق الجمل منه حملا بالغ فيه تعبية وثقلا وسلط عليه الظما ثم دخل به الى الما فلما توسط الماء برك وتغافل عنه صاحبه وترك فتشرب الصوف من الماء ما علق السبرك ثم أراد النهوض فنأى به الربوض فقاسى من المشاق ما لا يطاق ورجع هذا الفكر الوبيل على الجمل المسكين باضعاف التثقيل فساء مصيره وكان فى تدبيره تدميره وما استفاد الا زيادة النصب وأمثال ما كان يجده من التعب والوصب (وانما أوردت) هذا المثل عن الجمل ليعلم الملك والحضار ان العدو الغدار والحسود المكار يتفكر فى أنواع الدواهى ويفرع أنواع البلايا والرزايا كما هى ويبذل فى ذلك جهده وجهده ولا يقصر فيما اتصل اليه من ذلك يده فتارة تدرك مكايده وتعرف مصايده وتارة يغفل عن دواهيها فلا يشعر الخصم الا وقد تورط فيها وعلى كل حال لابد للشخص له وعليه من الاحتيال وأما طلب الصلح وارسال الهدايا فمن أعظم المصائب وأكبر الرزايا فان ذلك يدل على عجزنا والخور وينادى على هواننا فى البدو والحضر ويجرئ علينا الغريب ويذهب حرمتنا عند القريب ودونك يا أبا العباس ما أنشدتك فى المقياس

وما أنا ممن سافر من نار خصمه * اظل حسودا والى فى عشامت

ولكن الرأى الانور أيها الورد الغضنفر ان ترسل اليهم رسولا عاقلا فصيحا جليلا بصيرا بعواقب الامور قد مارس تقلبات الدهور وقد ربى وتربى وعن الرذائل تأبى وبانواع الفضائل تعبى واحرم الى كعبة محاسن الشيم ولبى ولولا ان باب النبوة استد لتنبى برسالة تخله تسفر عن بسالة جزله تتضمن سؤالهم عما أوجب ارتحالهم وسبب قصدهم لبقعتنا وتوجههم لدخول رتعتنا وما موجب هذا الاعتداء ولم يصدر منا لهم الا المحبة والولاء وحسن الجوار والاحسان الى الكبار والصغار ومعاملة القريب والغريب بالفضل الجبيب والكرم الذى لا يخيب ويذكر لهم بسالة التناوش جماعتنا وفى معاملات المضاربة بضاعتنا ويكشف لهم فى ملابسة الحرب والضرب صناعتنا ويحقق عندهم ما عندنا من أسود الحرب وفوارس الطعن والضرب وأجناس الوحوش الكواسر والسباع الجواسر وأصناف الغراغل والعساير ويتكلم بكلام يراه مقتضى المقام ومناسب الحال ويوسع فى ذلك المجال ويميز أوضاعهم وعساكرهم ويسبر عيار العقل أمورهم وأوامرهم ويسمع الجواب ومافيه من خطا وصواب ويورده الينا ويعرضه علينا فنعمل بمقتضاه وينظر الرأى السديد فيما ارتضاه ونبنى على ذلك الاساس ونفصل على ذلك القياس فاستصوبوا هذا الرأى من الآراء وطلبوا له كفؤا من الاكفاء فوجدوا ذئبا هو من خواص الحضره ومن ذوى النباهة والشهره له فى ميدان الفضائل كر وفر وفى مظان النفع والضر خير وشر قد جرب فى المصايد ودرب فى المكايد وهذب فى المصادر والموارد ورتب فى المطارف والمطارد أدنى فضائله حسن السفاره واحدى فواضله ترتيب العباره حلال المشكلات كشاف المعضلات فوقع عليه اختيارهم ورضى به كبارهم وصغارهم فحملوه الاسد كلامه وجعل البسملة مبدأه والحسبلة ختامه ومن مضمونه ابعد ابلاغ التحيه والاثنية السنيه الى الحضرة العليه ملك الافيال أبى مزاحم المفضال ألهمه الله هداه وصرف عنه رداه وبصره مواقع الخير وهداه ولا شمت به أعداه وحفظه بالعشى والغداه وجعل عقباه خيرا من مبتداه نحيط علومه الكريمه وآراءه العلية الجسيمه ان قوتنا من قديم الزمان ظاهره وهيبتنا باهرة وصولتنا قاهره لم نزل نفترس الفوارس ونكرم أصناف الاضياف من الوحش والطير بالفرائس ويضرب بنا فى الشجاعة والكرم الامثال ويفر من بين أيدينا أسود الابطال ولا عار على من فر من بين يدى الرئبال وقد اتصل بنا أن ملك

الاقيال

وقنعت وانتقلت من بيت الناسك الى البريه وكان لى صديق من الحمام فسبقت الى بصداقته صداقة الغراب ثم ذكر لى الغراب ما بينك وبينه من المودة واخبرنى أنه يريد اتيانك فاحببت أن آتيك معه فكرهت الوحدة فانه لا شئ من سرور الدنيا يعدل صحبة الاخوان ولا غم فيها يعدل البعد عنهم وجربت فعلمت أنه لا ينبغى للعاقل أن يلتمس من الدنيا غير الكفاف الذى يدفع به الاذى عن نفسه وهو اليسير من المطعم والمشرب اذا اشتمل على صحة البدن ورفاهة البال ولو أن رجلا وهبت له الدنيا بما فيها لم يك ينتفع من ذلك الا بالقليل الذى يدفع به عن نفسه الحاجة فأقبلت مع الغراب السالك على هذا الرأى وأنا لك أخ فلتكن منزلتى عندك كذلك فلما فرغ الجرذ من كلامه أجابته السلحفاة بكلام رقيق عذب وقالت قد سمعت كلامك وما أحسن ما تحدثت به الا أنى رأيتك تذكر بقايا أمور هى فى نفسك واعلم أن حسن الكلام لا يتم الا بحسن العمل وان المريض الذى قد علم دواء مرضه ان لم يتداو به لم يغن علمه به شيأ ولم يجد لدائه راحة ولا خفة فاستعمل رأيك ولا تحزن لقلة المال فان الرجل ذا المروأة قد يكرم على غير مال كالاسد الذى يهاب وان كان رابضا والغنى الذى لا مروأة له يهان وان كان كثير المال كالكلب لا يحفل به وان طوق وخلخل بالذهب فلا تكبرن عليك غربتك فان العاقل لا غربة له كالاسد الذى لا ينقلب الا معه قوته فلتحسن تعاهدك لنفسك فانك اذا فعلت ذلك جاءك الخير يطالبك كما يطلب الماء انحداره وانما جعل الفضل للحازم البصير بالامور وأما الكسلان المتردد فان الفضل لا يصحبه كما أن المرأة الشابة لا تطيب لها صحبة

الافيال توجه الينا بجنوده وهيأ فى ذلك أجناس عساكره وبنوده وماعلمنا لذلك موجبا ولاتقدمنا بعداوة تنشئ حربا وحروبا بل ولاتعرضنا لاحد فى ملكه وملكه وعدلنا بحمد الله تعالى جار فى بحار الملك وفلكه والرعايا شاكرة منا ولم ينشر سوى الذكر الجميل عنا فانعموا برد الجواب وميزوا الخطأ من الصواب قبل ان يكشر الشر نابه ويفتح جرابه ويحرش الهرير كلابه ويسلخ ليله اهابه ويكسر رائد الفتنة بابه فتتفاقم الامور وتتعاظم الشرور وتتلاطم بحارها وتمور عند التهاب شواظ الغيظ من الاسود والنمور مع ان اعتمادنا على الله العظيم وتوكلنا على العزيز الرحيم فلما بلغ الذئب الرساله وأدى ما فيها من شجاعة وبساله وبين لملك الافيال ما تضمنته من عظمة وجلال استشاط ملك الافيال وتغيرت لاضطرابه الاحوال ونظر من تلك الفيول الى فيل ظلوم جهول وبدر اليه من غير تدبر ولا تأمل فى الامور وتفكر وقال اذهب الى هذا المعتمد على كلامه الراقد فى غفلة منامه وقل له متى مارست معركة الشجعان أو صارعت رجال الميدان وأنى لك طاقة بمصادمة الجبال ومن أين تعرف مقاومة الافيال فاستيقظ لنفسك فعن قريب تحل برمسك واستعد لجنود لاقبل لك بها فستشاهد مالم تسمعه من ضربها فى حربها فلقد أتاك عسكر القضاء وبنوده وليحطمنكم سليمان الافيال وجنوده فليريقن الدماء وليستأسرن الحرائر كالاماء وليدوسن الاطفال وليتركن منه الانكاد والانكال وليظهرن آثار الدمار والبوار بممالك من ممالك ومساكن وديار وليفعلن بولاياتك مافعله بممالك الاسلام التتار وأنت بين أمرين وبخير النظرين أما ان تطيع لامرنا وتنقاد وتسلم الينا ما بيدك من بلاد واما أن تختار طرق الفراق والفرار وتجوم منجا الذباب وتتنحى عن طريقنا بما معك من كلاب وذئاب وقد بالغنا فى النصيحه ببداراتنا الصحيحه وأقوالنا الفصيحه قبل افشاء الفضيحه فوصل الفيل الرسول وأدى هذا المقول فتشوش الاسد وداخله الغيظ والنكد فاراد الايقاع بالرسول الظلوم الجهول ثم تمالك وعن ذلك تماسك وقال لولا ان عادة الملوك ودرب السياسة المسلوك أن لاتهاج الرسل ولاتضيق عليهم السبل لقابلتك على كلامك الفج بما يجب من العج والثج ثم التفت الى الثعلب وقال يا أبا الحصين ما عندك فى جواب هذين الخصمين قال الثعلب أنت الاغلب هذا القيل أقوى دليل وأوضح سبيل على عدم عقل الفيل وان فكره وبيل وبصيرته قد عميت وطرق هدايته قد خفيت وانه غوى وأضل قومه وما هدى وكل من اعتمد على قواه وحوله واستحلى غرور فعله وقوله فقد زال وزل وفى عقد البلاء حال وحل وهذا الجاهل السخيف الكثيف الثقيل الجثة الخفيف قد استحقرنا فى عينه فسيرى منا حلول حينه وكل من استحقر واستخف بعدوه فسيعدم حلاوة هدوه وسيحرم مواصلة مرجوه وقد قالت الحكماء الاخيار والعقلاء ذوو الاعتبار وأولوا التجارب والاستبصار لا تستحقر السقم والنوم والدين والعدو والنار فالملك أعز الله نصره وأعلى مناره وقدره وسلط على الاعداء قهره لايلتفت الى هذا الكلام ولايتزعزع لهذه الاوهام ولايخف من جهامة الافيال فكل ما هم فيه باطل ومحال بل يعتمد على الله العزيز الجبار ويصفى نيته بالعدل والخير مع الكبار والصغار ويقوى جنانه على الملاقاه وقد وافاه النصر وأتاه ولاغاه السعد ولاقاه فان هؤلاء اعتدوا على ولايته وأتوها فسينزل الله تعالى عليهم جنودا لم يروها فكم من مستضعف حقير صدر منه بالحيلة أمر خطير وبحسن التدبير ومساعدة التقدير تم له أمر كبير وناهيك قصة الفاره مع رئيس الحارة وما فعلته اذ خاتلته الى ان قتلته فسأل حيدره عن تلك المأثره (فقال) بلغنى أيها النفيس انه كان رئيس ضيق العطن خسيس له زوجة ذات صيانه ودين وامانه لم تزل تتجنب الخيانه وتتعاطى العفة والرزانه وله دجاجة تبيض على الدوام فيسرق بيضها أبو راشد وهم نيام فاذا افتقد الرئيس بيضته طالب بها زوجته فتحلف انها

الشيخ الهرم وقد قيل فى أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء ظل الغمامة فى الصيف وخلة الاشرار وعشق النساء والبناء على غير أساس والمال الكثير فالعاقل لا يحزن لقلته وانما مال العاقل عقله وماقدم من صالح عمله فهو واثق بانه لا يسلب ما عمل ولا يؤاخذ بشئ لم يعمله وهو خليق أن لا يغفل عن أمر آخرته فان الموت لا يأتى الا بغتة ليس له وقت معين وأنت عن موعظتى غنى بما عندك من العلم ولكن رأيت أن اقضى مالك من حق قبلنا لانك أخونا وما عندنا من النصح مبذول لك فلما سمع الغراب كلام السلحفاة للجرذ وردها عليه وملاطفتها اياه فرح بذلك وقال لقد سررتنى وانعمت على وانت جديرة أن تسرى نفسك بمثل ما سررتينى به وان أولى أهل الدنيا بشدة السرور من لايزال ربعه من اخوانه واصدقائه من الصالحين معمورا ولا يزال عنده منهم جماعه يسرهم ويسرونه ويكون من وراء أمورهم وحاجاتهم بالمرصاد فان الكريم اذا عثر لا يأخذ بيده الا الكرام كالفيل اذا وحل لا تخرجه الا الفيلة فبينما الغراب فى كلامه اذ اقبل نحوهم ظبى يسعى فذعرت منه السلحفاة فغاصت فى الماء وخرج الجرذ الى جحره وطار الغراب فوقع على شجرة ثم ان الغراب تحلق فى السماء لينظر هل للظبى طالب فنظر فلم ير شيأ فنادى الجرذ والسلحفاة وخرجا فقالت السلحفاة للظبى حين رأته ينظر الى الماء اشرب ان كان بك عطش ولا تخف فانه لا خوف عليك فدنا الظبى فرحبت به السلحفاة وحيته وقالت له من أين اقبلت قال كنت اسنح بهذه الصحارى فلم تزل الاساورة تطاردنى من مكان حتى رأيت اليوم شبحا فخفت ان يكون قانصا قالت لا تخف فانا

مارأتها ولاتعرف يدا أخذتها فيؤلمها سبا ويوجعها ضربا ولا يصدق قولها ولا يرحم عولها ففي بعض الاحيان رأت المرأة الجرذان وهو يجر البيضة الى جحره وقد بلغ بها باب وكره فدعت بعلها اليه الفار وفعلها فعلم براءة ساحتها وعمل على راحتها واعتذر اليها وطلب الفارة وحنق عليها وأعمل المكيده ونصب للفارة دون البيضة مصيده فلما رأت الفارة الشرك علمت ان وراءه الدرك فشعرت بما وضع عليه فلم تتقدم اليه الى أن زار الجرذان أحد أقاربه من الفيران فلم يجد شيأ يضيفه فاعتذر الى الضيف بما هو يخيفه وأراه من البيضة سعاد وان دونها خرط القتاد وكان الضيف الغر لا يعرف هرا من بر فحمله السفه والحرص والشره على ان قال انا اخوض هذه الاهوال واردمن الموت حوضه وأصل الى هذه البيضه ثم قصد المصيده فقبضت وريده وفجعت به وليده ووديده فتنكدت الفارة وتكدرت والتظت احشاؤها وتسعرت وتألمت لموت ضيفها وبلغ جيرانها حديث حيفها فخجلت منهم واختفت عنهم وشاعت قضيتها وذاعت بليتها فلم تجد لبرد النار سوى أخذ الثار فأخذت تفتكر في وجه الخلاص فرأت انها لا تخلص من عتب الجيران الا بالقصاص فشرعت في تعاطي أخذ الثار من صاحب الدار وكان لها صاحبة قديمة عقرب خبيثة لئيمه معدن السموم في زبانيتها وطعم المنايا مودع في شوكتها فتوجهت اليها وترامت عليها وقالت انما تدخر الاصحاب للشدائد ولدفع الضرر والمكائد وازال الداء بساحة الاعداء ولاخذ الثار والانتقام من المعتدين اللئام وقصت عليها القصه وطلبت منها ازاحة هذه الغصه وان تأخذ لها بضربانها القصاص ليحصل لها بين جيرانها من العتب الخلاص فأجابتها الى ما سألت وأقبلت الى وكر الفارة بما اقتبلت وأخذا في أعمال الحيله فادت أفكارهما الوسيلة الى ان تخدعا صاحب البيت بالذهب وتلقياه بذلك في اللهب ثم أمهلا الى ان دخل الليل وشرعا في ايصال الويل فأخرجت الفارة دينارا وألقته في صحن الدار ووضعت آخر عند جحر الفار وأظهرت نصف دينار من ذلك الذهب وسترت النصف الآخر عند العقرب واستترت العقرب بجناح السكون تحت ذيل الكمون وقد عبت في زبانيها ريب المنون فلما أصبح الصباح ونودي بالفلاح وجد صاحب الدار في وسطها الدينار فتفاءل بسعد نهاره ولم يعلم انه علامة دماره ففتح عينيه ونظر حواليه فرأى عند جحر الفار أخا الدينار ففرح وطار ونشط واستطار وزاد في الطلب على بقية الذهب فرأى نصف دينار داخل جحر الفار فمد يده اليه وأعمى القضاء عينيه عما قدره الله عليه فضربته العقرب ضربه قضى منها نحبه فبرد مكانه ولاقى هوانه وأخذت الفارة ثارها وقضت من عدوها أوطارها (وانما أوردت) هذه الاخبار ليعلم الملك أن حيلة صائب الافكار تفعل ما لا يفعله العسكر الجرار بالسيف البتار والرمح الخطار وبقليل الحيله تتم الامور الجليله فلا يهتم الملك بحديث الافيال ويشرع فيما هو بصدده من دقيق الاحتيال وأنا أرجو من الله تعالى الظفر بعدونا وحصولنا على غاية مأمولنا ونهاية مرجونا فأول ما نعامله بالوهم واظهار الصوله والتخويف والارهاب بقوة الدوله فان الوهم قتال والعاقل المدبر محتال وطائفة الفيول عديمة العقول وبالوهم يبلغ الشخص مراده كما بلغ الحمار من الاسد ما أراده قال ملك الآساد بيان حكاية أبي زياد (فقال) أبو الحصين اخبرني أبو الحسين ذو المفاخر ناصر انه كان في بعض الاعصار والمعاصر حمار في مدار يستعملونه بالليل والنهار الى ان حصل له الكبر ورمي بالعبر وابتلي باطنا بالجوع وظاهرا بالدبر وعجز عن العمل وانقطع منه الامل فتركه أصحابه واعتقوه وفي بعض المراعي أطلقوه فصار يمرح وفي تلك المروج يسرح الى أن خرج الى الصحرا وانفرد في رياض الفلا فوصل الى بعض الآجام وحصل له النشاط التام الى ان صح بدنه وسمن وبرأ دبره وأمن وأخذه البطر واستولى عليه الاشر واستخفه الطيش

لم نرهما هنا فانصاقطا ونحن نبذل الود ونأوي مكاننا والماء والمرعى كثير عندنا فارغب في صحبتنا فأقام الظبي معهم وكان لهم عريش يجتمعون فيه ويتذاكرون الاحاديث والاخبار فبينما الغراب والجرذ والسلحفاة ذات يوم في العريش غاب الظبي فتوقعوه ساعة فلم يأت فلما ابطأ اشفقوا ان يكون قد أصابه عنت فقال الجرذ والسلحفاة للغراب انظر هل ترى مما يلينا شيأ فحلق الغراب في السماء فنظر فاذا الظبي في الحبائل مقتنصا فانقض مسرعا فاخبرهما بذلك فقالت السلحفاة والغراب للجرذ هذا أمر لا يرجى فيه غيرك فاغث اخاك فسعى الجرذ مسرعا فأتى الظبي فقال له كيف وقعت في هذه الورطة وانت من الاكياس قال الظبي هل يغني الكيس مع المقادير شيأ فبينما هما في الحديث اذ وافتهما السلحفاة فقال لها الظبي ما أصبت بمجيئك الينا فان القانص لو انتهى الينا وقد قطع الجرذ الحبائل استبقته عدوا وللجرذ احجار كثيرة والغراب يطير وأنت ثقيلة لا سعي لك ولا حركة وأخاف عليك القانص قالت لا عيش مع فراق الاحبة واذا فارق الاليف اليفه فقد سلب فؤاده وحرم سروره وغشي بصره فلم ينته كلامها حتى وافى القانص ووافق ذلك فراغ الجرذ من قطع الشرك فنجا الظبي بنفسه وطار الغراب محلقا ودخل الجرذ بعض الاحجار ولم يبق غير السلحفاة ودنا الصياد فوجد حبالته مقطعة فنظر يمينا وشمالا فلم يجد غير السلحفاة تدب فاخذها وربطها فلم يلبث الغراب والجرذ والظبي ان اجتمعوا فنظروا القانص وطيبه قد ربط السلحفاة فاشتد حزنهم وقال الجرذ ما أرانا نجاوز عقبة من البلاء الا صرنا في أشد منها ولقد صدق الذي قال لا يزال الانسان مستمرا في

وطيب العيش وصار فى تلك المراعى يتردد ذهابا وايابا كالساعى فيسدى ويلحم فى شقتها ويفصل مهما اختار من مزهر خرقتها وينهق على عادة الحمير فيملأ تلك الاماكن من الشهيق والزفير وكان فى تلك الآجام أسد متخيس يسمى الشبل بن المتأنس كان أبوه ملك تلك الاماكن قد نشأ بها وهو فيها ساكن شاب غرير لم يكن يعرف الحمير ولا طرق سمعه شهيق ولا زفير بل ولا خرج من تلك الآجام ولا عرف تصرفات الايام وكان أبوه قتل فى الاصطياد وتفرقت عنه العساكر والاجناد فنشأ وحيدا بينهما واستمر فيها مقيما فلما سمع صوت الحمار أخذته الرعدة والاقشعرار واستولى عليه الهلع فقعد عن الاصطياد وانقطع وصار كلما نهق هرب واختفى من الفرق وغلب عليه الدهش الى ان كاد يموت من الجوع والعطش وصار الحمار يتردد الى عين ما كان الاسد يسكن منها سورة الظما فما اجترأ بعد ذلك على الورود وأضربه الخوف والانقطاع والقعود فلما كاد العطش أن يقتله توجه الى العين مخوفا بالحيرة والوله فوجد الحمار واقفا عندها وأدرك الحمار خوفه منه بالدها فتقدم اليه وصوب نحوه اذنيه وحاق عينيه فبدر من الاسد صرخه انبعها من بوله شخه وقال للحمار ايش أنت ولاى شئ ههنا سكنت وجعل يرجف وفى قيد الخوف يرسف فعلم الحمار ان الاسد خار فقال بجنان جرى وبيان قوى انا فى هذا المكان افرق رزق الحيوان وقد أقمت أحوش أرزاق الوحوش ثم اقسمها بينهم وأملأ بها جوفهم وعينهم فقال الاسد انى جيعان ولى مدة عطشان فاعطنى من الاكل رزقى وأفرز لى من الماء حقى فقال بوجه مقطب ادن الى الماء واشرب فدنا وشرب وهو خائف مضطرب ثم قال أنا جائع فاطعمنى وعجل ولا تحرمنى فلى مدة من الجوع لا قرار لى ولا هجوع فقال الحمار تعال معى الى موضعى لتعرف مكانى وتقرر جرايتك فى دوانى فذهبا فى طريق حتى وصلا الى نهر ماء عميق فاراد العبور فقال الاسد الهصور هذا الماء عميق وكم فيه من غريق فاحملنى فى الذهاب وأنا أحملك فى الاياب فاجابه الحمار وحمله وخاض به ونقله فانشب الاسد الاظفار فى كاهل الحمار وثقل عليه فلم يتأثر له ولم يلتفت اليه فزاد وهمه من الحمار وقال هذا رأس الدعار ثم سارا ساعة اخرى فرأيا فى طريقهما نهرا فطلب الحمار الوثوب وقال هذه نوبتى فى الركوب ثم ظفر على الاسد وثقل عليه الجسد وتمكن عليه وأرخى يديه ورجليه فتضرر من ثقله وابتلى بشر عمله ثم تورك عليه وانشب فى كاهله مسامير نعليه فصاح الاسد ومار وقد أثرت فيه حوافر الحمار فقال له اثبت وآلك فما حولك تخنى واحالك فقال يا أخى جرت فى أمرى لقد أوجعتنى وقصمت ظهرى وكان يكفينى جوعى وقلقى وخضوعى وما أدرى هذا الضر والبلا من أين أقبلا فقل لى ما الذى انشبته فى كاهلى ونزلت به من حافرك فى ساحلى فقال هذه مسامك لطلاب الجرايات والجوامك وهى أربعون مسمارا لابد ان تثبت كلها فى قفاك حتى يترصع لك اسم فى الديوان والا فالرزق لا يحصل بالهوينا بل بالهوان فقال يا أخاه اتركنى لوجه الله وارفق بى رفقا وما أريد منك رزقا ودعنى بالامانة ووفر الجراية على الخزانة ولا رأيتك ولا رأيتنى ولا عرفتك ولا عرفتنى فانى اتقوت من حشيش الارض وخشاشها واستعد لمعادنفسى بالرفق فى معاشها فنزل عنه الحمار وتركه وسار فهرب منه بعد ما ودعه ولى يلتفت عينا وشمالا الى تبعه وانما صورت هذا النقش لتعلم يا ملك الوحش ان الوهم يصدر كالسهم وهو عند براهمة الهند وحكماء السند أحد طرق العلم رقال الله الى سلم السلم والوهم غالب على الافيال بل سهم الوهم يقتل كثيرا من الرجال فنرجو من الله أن يبلغنا مقصودنا وننال من طالع الجد والحظ مسعودنا وان يجمع أعداؤنا بالخيبة وفراغ العيبة وهذا المثل الذى ضربته والتقريب الذى قربته لنا هو مثل العاجز الضعيف مع القوى العسوف لا العسيف وأما نحن بقوة

اقباله مالم يمسه فاذا عثر لحقه العثار وان مشى فى جدد الارض وحذرى على السلحفاة خير الاصدقاء التى خالتها ليست للمجازاة ولا لالتماس مكافاة ولكنها خلة الكرم والشرف خلة هى أفضل من خلة الوالد لولده خلة لا يزيلها

الا الموت ويح لهذا الجسد الموكل به البلاء الذى لا يزال فى تصرف وتقلب ولا يدوم له شئ ولا يلبث معه أمر كما لا يدوم للطالع من النجوم طلوع ولا للآفل منها أفول لكن لا يزال الطالع منها آفلا والآفل طالعا وكما تكون آلام الكلوم وانتقاض الجراحات كذلك من قرحت كلومه بفقد اخوانه بعد اجتماعه بهم فقال الظبى والغراب للجرذ ان حذرنا وحذرك وكلامك وان كان بليغا كل منه لا يغنى عن السلحفاة شيأ وانه كما يقال انما يختبر الناس عند البلاء وذو الامانة عند الاخذ والعطاء والاهل والولد عند الفاقة كذلك تختبر الاخوان عند النوائب قال الجرذ أرى من الحيلة ان تذهب أيها الظبى فتقع بمنظر من القانص كانك جريح ويقع الغراب عليك كانه يأكل منك واسعى انا فاكون قريبا من القانص مراقبا له لعله ان يرمى ما معه من الآلة ويضع السلحفاة ويقصدك طامعا فيك راجيا تحصيلك فاذا دنا منك ففر عنه رويدا بحيث لا ينقطع طمعه منك ومكنه من أخذك مرة بعد مرة حتى يبعد عنا وانح منه هذا النحو ما استطعت فانى أرجو أن لا ينصرف الا وقد قطعت الحبائل عن السلحفاة ونجوا بها ففعل الغراب والظبى ما أمرهما به الجرذ وتبعهما القانص فاستجره الظبى حتى ابعده عن الجرذ والسلحفاة والجرذ مقبل على قطع الحبائل حتى قطعها ونجا بالسلحفاة وعاد القانص مجهودا لاغبا فوجد حبالته مقطعة ففكر

الله وحوله ومساعدة نصره وطوله فقوتنا قاهرة قائمة وصدمتنا بعون الله دعائمها داعمة لم يحصل منا خوف ولا خور ولا فزع ولا جزع ولا جور ففينا بحمد الله قوة لمصادمتهم وقدرة لمقاومتهم فامض لامرك فكاني بك وقد رجعت فائزا بنصرك مجبورا بكسر عدوك مجبورا بيسرك ثم انه اقتضى رأى أبي الضراغم اعادة الذئب الى أبي مزاحم برسالة مضمونها بصرك الله بعيوب نفسك وأراك عاقبة غدرك في صبح أمسك وجعلك ممن اتبع الهدى وامتنع عن موارد الردى اعلم ان علماء الهند وحكماء البراهمة والسند امتازوا عن حكماء الاقاليم ووضعوا رقعة الشطرنج للتعليم وان واضع ذلك صور الرقعة بصورة الممالك وقسمها بالسويه وجعل لكل قسم جنسا من الرعيه ووضع له نوعا من السير لا يتعداه وبين لكل منهم مكانا لا يتخطاه وأنا أخاف ان تتعدى مكاناهو مقالك وتقصد بيت الشاه ويفوت مرامك وينادبك فرزين العقل وأنت راحل في النقل يا ذا الهوس ماذا بيت الفرس فتقع وأنت تصرخ في لعبك بالنفس مع الرخ فلا يفيدك الندم وقد زلت بك القدم وخرجت في لعبة من رقعة الوجود الى العدم وترى تلافي المواقفات ويقول خصمك وقد رأى كالحة وجهك شاه مات فلا تعتمد على جهامة جسدك وكف عن حقدك وحسدك ولا تقصد حرم كعبة غيرك بالفكر الوبيل فيصيبك مثل ما أصاب أصحاب الفيل حين أرسل الله عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل وتصير بعد وقوع الملاحم وصدوع المقاحم أبا حرمان بعد ان كنت أبا مزاحم فلما قرأ الفيل هذه المطالعه غطت حمية الجاهلية منه الباصرة والسامعه فاراد ان يامر بابطاء الرسول تحت أخفاف الفيول لكن راجع عقله وأحضروه له ورد الذيب بجواب مخيب وسهم غير مصيب وقال استعدوا للقتال ومصادمة الابطال ومقارعة الافيال ثم أمر بالعساكر فتجهزت وبأمور الحرب فتنجزت وثار بغضب احمى من جمر الغضا وسار بالعساكر الجرارة فملأ الفضا فبلغ الملك المظفر أبا الحرث الغضنفر ما فعله الاكاب فاستشار الثعلب فقال اعلم أيها الملك وقاك الله شر المنهمك ان الافيال لا يعرفون الا المصادمه والاندفاع مرة واحدة في المخاصمه وليس لهم في الحرب حراب الا الخراطيم والانياب لا يعرفون الكر والفر ولا يفرقون بين النصب والجر ولكن بعض العساكر له في ذلك معارف ومناكر منها المواجهة والمشافهه والمصارعة والمقارعه والمدافعة والممانعه والمخاتلة والمخادعه والمناوشة والمهاوشه والمعانشة والمهارشه والمكافحة والملاطحة والمطارحة والمراجحه والمرافسة والمراوسه والممارسة والمعاكسه والوثوب والمساوره والروغان والمصادره والاحتيال والكيد والاغتيال للصيد والربوض في الكمين والنهوض من ذات الشمال وذات اليمين وكل أرباب هذه الملاعب وأصحاب هذه المخارق والمذاهب في عساكرنا موجودون مجدون ومن أبطالنا معدودون معدون فلا بد من ترتيب كل في مكانه وايقافه بين اضرابه واقرانه وتعبيتهم ثم تخبيتهم وكان بالقرب من ميدان النطاح وموضع جولان الكفاح وهو برية قفراء وأرض غبراء انهر مياه جاريه وعليها جسور وقناطر عاليه فاقتضى رأى الاسد والفكر الاسد أن يطلقوا ثغور المياه على البريه ويتركوا فيها العساكر هم طرقا ودروبا مخفيه ثم انهم عبروا تلك المياه وهيأوا العساكر للملاقاه فقدموا امامهم الثعالب والكلاب وكل سريع المجيء خفيف الذهاب وصفوا وراءهم الذئاب والنمور والفهود والببور ووقف الاسد بين الاسود في قلب الجنود بعد ان عبى الاطلاب وعرف مقام كل من القرانيص والاجلاب ثم ان الثعالب ونظراءها دخلت من الافيال وراءها وصارت تروغ بينها وتلاعب على عينها احيينها وتتعلق باذنابها وتتشبث بعراقبها وكعابها فزاد حنقهم وثار قلقهم وتقدموا واصطدموا وحطموا واضطرموا وبنار الحرب اصطلموا فناوشهم الببور البواسر وهاوشهم النمور الجواسر

وهارشهم

في أمره مع الظبي المطلع فظن انه خواطف في عقله وفكر في أمر الظبي والغراب الذي كانه ياكل منه وتقريض حبالته فاستوحش من الارض وقال هذه ارض جن أو سحرة فرجع موليا لا يلتمس شيا ولا يلتفت اليه واجتمع الغراب والظبي والجرذ والسلحفاة الى عريشهم سالمين آمنين كأحسن ما كانوا عليه فاذا كان هذا الخلق مع صغره وضعفه قد قدر على التخلص من مرابط الهلكة مرة بعد أخرى بمودته وخلوصها وثبات قلبه عليها واستمتاعه مع أصحابه بعضهم ببعض فالانسان الذي قد أعطى العقل والفهم وألهم الخير والشر ومنح التمييز والمعرفة أولى واحرى بالتواصل والتعاضد فهذا مثل اخوان الصفاء وائتلافهم في الصحبة * انقضى باب الحمامة المطوقة

(باب البوم والغربان)

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت مثل اخوان الصفاء وتعاونهم فاضرب لي مثل العدو الذي لا ينبغي ان يغتر به وان أظهر تضرعا وملقا قال الفيلسوف من اغتر بالعدو الذي لم يزل عدوا اصابه ما أصاب البوم من الغربان قال الملك وكيف كان ذلك قال بيدبا زعموا انه كان في جبل من الجبال شجرة من شجر الدوح فيها وكر الف غراب وعليهن وال من أنفسهن وكان عند هذه الشجرة كهف فيه الف بومة وعليهن وال منهن فخرج ملك البوم لبعض غدواته وروحاته وفي نفسه العداوة لملك الغربان وفي نفس الغربان وملكها مثل ذلك للبوم فأغار ملك البوم في أصحابه على الغربان في أوكارها فقتل وسبى منها خلقا كثيرا وكانت الغارة ليلا فلما أصبحت الغربان اجتمعت الى ملكها فقلن له قد علمت ما لقينا الليلة من ملك البوم وما منا الا

وهارشهم الاسود الكواسر ثم ولوا امامهم مدبرين وقصدوا الطرق الخفية عابرين فتصور الافيال ان جيش الاسد فر وجنده انحطم وانكسر وان عسكرهم غلب وانتصر فطمعوا ابدا واحدا بهمة متعاضده ونهمة متعاقده وصدمة متماسكه فني الحال ارتدموا وفي الاوحال ارتطموا وقطع دابر القوم الذين ظلموا ثم كرت عليهم الاسود والنمور والفهود وسائر السباع والذئاب والضباع فوقعوا في تلك الفرائس وقوع الجياع على الهرائس وعانقوهم معانقة الاحباب للعرائس وأكلوا وادخروا وحمدوا الله تعالى وشكروا ومن بعد ما ظلموا انتصروا واظهر العدل للحق مناره وظهر سر قوله عليه الصلاة والسلام من آذى جاره ورثه الله داره والله لايهدى القوم الظالمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه أجمعين

(الباب الثامن في حكم الاسد الزاهد وأمثال الجمل الشارد)

(قال) الشيخ أبو المحاسن من هو لجرعة الفضل أحسن حاسن فلما وعى الملك الجليل والفيل الفضيل ماجرى بين الاسد والفيل من القال والقيل وانجرار ذلك الى الضرب الوبيل وعلم ان عاقبة الظلم وخيمه وخاتمة التعدى والطمع مشومه أمر رؤساء المملكة وزعماء السلطنة بالكف عن الطمع وتجنب الجبن والهلع ومعاملة الاهل والجار بحسن الخلق والجوار وانتشار ذلك بالاشتهار في الولايات والاقطار فالعاقل من اعتبر بغيره وكف كفه عن اذاه وضيره ونشر بهما استطاع من موائد احسانه وخيره وعدى عن التعدى والعدوان لاسيما اذا كان ذا قدرة وامكان وتحكم في الفقراء والضعفاء وسلطان فنهض الحكيم حسيب وقبل أرض العبودية بشفاه التأديب وقال بلغني أيها الملك المفضال مما يطابق هذه الاحوال انه كان في بعض الازمان وانزه الاسكان سلطان الحيوان أسد عظيم الخلقه جسيم الشفقه جليل المكارم سليل الاكارم قد بلغ في الزهد الغايه وفي الورع والعفة النهايه مع حسن الاوصاف والشمائل وكرم الاعطاف والفضائل قد جمع بين الهيبة والشفقه والصدق والصدقه وسورة الملك وسيرة العدل وسمة الفصل وشيمة الفضل هيبته ممزوجة بالرأفه وعاطفته مدموجة في الصوله قد عاهد الرحمن بالكف عن اذى الحيوان وان لا يريق دما ولا يتناول دسما ولا يرتكب محرما يتقوت بنبات الانهار ويقوم الليل ويصوم النهار يرعى في دولته الذئب مع الغنم وينام في كنف ضمانه وكفالة امانه الثعلب والارنب بعد جوا الحرب والحرب في ظل الضال والسلم كما قيل

ولي البرية عدله فتمازجت * أضدادها من كثرة الايناس
تحنو على ابن الماء أم الصقر بل * يحمي أخو القصباء أخت كناس

وفي جواره دوحة كثيرة الثمار غزيرة الانهار نضيرة الازهار رائقة الماء والكلا فائقة النشو والنما شائقة النشر والهوى رياحينها طربه ومروجها بهيه ومقاصفها شهيه فكان الاسد ذو الزهاده اذا أطال اجتهاده وأراد أن يريح نفسه من مشاق العباده يتوجه الى ذلك الروض الاريض والمرج البهى الغريض والمرعى الطويل العريض فيتنزه في نواحيه ويسرح سوائم طرفه فيه ويشغل صادح لسانه بتسبيح خالقه ومنشيه فبينما هو في بعض الاوقات يتمشى في تلك الخضراوات صادف دبا عظيم الجسم مليح الوسم فقبل الارض بين يديه وذكر انه اقبل لينتمي اليه وانه قد سمع باوصاف عدله ومكارم شيمه وفضله فقصده ليتشبث باذياله وينتظم في سلك خوله ونباله ويزجي في خدمته باقي عمره ممتثلا لاوامر مرسومه ونافذ امره فتلقاه بالقبول والاقبال وشمله بالفضل والافضال وقال له طب نفسا وقر عينا لقيت رشدا ووقيت شينا فانتظم في سلك خدمه وانغمر في بحر كرمه واشترط عليه ان يحتمي عن لحوم

من أصبح قتيلا أو جريحا أو مكسور الجناح أو منتوف الريش أو مقطوف الذنب وأشد مما أصابنا ضراعتنا اجتراؤهن علينا وعلمهن بمكاننا وهن عائدات الينا غير منقطعات عنا لعلمهن بمكاننا فانما نحن لك ولك الرأى أيها الملك فانظر لنا ولنفسك وكان في الغربان خمس معترف لهن بحسن الرأى يسند اليهن في الامور ويلقى عليهن أزمة الاحوال وكان الملك كثيرا ما يشاورهن في الامور ويأخذ آراءهن في الحوادث والنوازل فقال الملك للاول من الخمس ما رأيك في هذا الامر قال رأيي قد سبقنا اليه العلماء وذلك انهم قالوا ليس للعدو الحنق الا الهرب منه قال الملك للثاني ما رأيك أنت في هذا الامر قال رأيي ما رأى هذا من الهرب قال الملك لا أرى لكما ذلك رأيا أن نرحل عن أوطاننا ونخليها للعدو من أول نكبة أصابتنا منه ولا ينبغي لنا ذلك ولكن نجمع أمرنا ونستعد لعدونا ونذكي نار الحرب فيما بيننا وبين عدونا ونحترس من الغرة اذا أقبل الينا فنلقاه مستعدين ونقاتله قتالا غير مراجعين فيه ولا مقصرين عنه وتلقى أطرافنا أطراف العدو ونتحرز بحصوننا وندافع عدونا بالاناة مرة وبالجلاد أخرى حيث نصيب فرصتنا وبغيتنا وقد ثنينا عدونا عنا ثم قال الملك للثالث ما رأيك أنت قال ما أرى ما قال رأيا ولكن نبث العيون ونبعث الجواسيس ونرسل الطلائع بيننا وبين عدونا فنعلم هل يريد صلحنا أم يريد حربنا أم يريد الفدية فان رأينا أمره أمر طامع في مال لم نكره الصلح على خراج نؤديه اليه في كل سنة ندفع به عن أنفسنا ونطمئن في أوطاننا فان من آراء الملوك اذا اشتدت شوكة عدوهم فخافوه على أنفسهم وبلادهم أن يجعلوا الاموال جنة البلاد والملك والرعية قال

الحيوان ولا يتعرض لايذاء طائر ولا انسان فامتثل ذلك بالسمع والطاعه وسار على سنن السنة والجماعه ثم بعد مدة يسيره قصد الاسد مسيره وخرج بسير على باكر وحوله طائفة من العساكر فلقى جملا ضل الطريق وتاه عن الصاحب والصديق ونسيه الجمال وتركه الرفيق فبادر اليه جماعة الاسد وهموا بتضيعه بالناب واليد فانهم كانوا لشدة القرم الهبت أحشاؤهم بالضرم فناداهم الاسد ويلكم كفوا وعن التعرض الى ايذائه عفوا لئلا يصيبه من الكيد ما أصاب صاحب كسرى ذى الايد من كسرى لما خرج صباحا الى الصيد فقبل الجماعة الرغام وسألوا الامام عن بيان ذلك الكلام (فقال) ذكر ان كسرى أراد يوما الاصطياد فركب فى جماعته وأهل طاعته وسار على الصباح وهو فى نشاط ومراح وانبساط وانشراح فصادف رجلا كريه المنظر مشوه الخلقة أعور فتشاءم بطلعته وتعوذ من رؤيته وتطير من صباحه وتكدر صفو انشراحه ثم أمر به فضرب ولولا تداركته الشفاعة لصلب ثم تركه وسار نحو صيد القفار فحاش الصيد واقتنصه من عسكره عمرو وزيد ورجع مسرورا فرحا محبورا وادركه المساء فصادف ذلك الرجل ملتفا بكساء وكان ذا لب صحيح وعقل رجيح ولسان فصيح فابدى كسرا ونادى كسرى واستوقفه بعد ما استلطفه وقال أيها الملك العادل والسالك الفاضل أسألك بالله الذى ملكك رقاب الامم وحكمك فى طوائف العرب والعجم انعم على برد الجواب وبين لى الخطا من الصواب فانك عادل حكيم فاضل كريم فوقف بعسكره واستنصت لخبره وقال هات مقالك وقل ما بدالك فقال ياملك ذا الايد كيف كانت احوالك اليوم فى الصيد فقال على أتم ما تريد لقد حصله السادات والعبيد فقال هل حصل فى أمور السلطنة وهن أوخلل أو فى الخزائن المعمورة نقص وقلل قال لا بل أحوال السلطنة مستقيمة وديم الخزائن دارة مقيمة قال فهل ورد اليوم من الاطراف خبر يؤذن بتشويش واختلاف قال لا بل الجوانب مطمئنة والثغور من الاعداء والخالف مستكنة قال فهل أصاب أحدا من الخدم والاصحاب والخول والحشم مصاب قال بل كلهم بخير آمنون من الضرر والضير قال فلم ضربتنى واهنتنى وعلام كسرتنى وطردتنى قال لان التصبح بك مشوم وهذا أمر مشهور معلوم قال سألتك بالله الذى تتقلب فى مواهبه أينا كان اشأم على صاحبه انا تصبحت بك وأنت تصبحت بى فانت أصبت الذى ذكرت وقد علمت ما حل بى ومع هذا فاغاعبت وعتبت على الصانع وذهلت عما أودعه فى من أسرار وبدائع فانه لا اختيار لى فيما فطرنى عليه ولا مدافع ولا حيلة فيما اقدره على ولا ممانع واسمع ما قلت بعد ما صلت فى اهانتى وجلت

لقد كان قصدى أن أسود على الورى * بقد وطرف كامل الخلق بارع

ووجه يفوق البدر والشمس بهجة * فعاكسنى تقدير ربى وصانعى

ثم خطر بالبال هذا المقال فقلت

وددت لو انى أحسن الخلق صورة * واكمل من بدر السما وهو طالع

فابدعنى نقش المصور هكذا * ولا صنع لى فيما ابى الله صانع

فتنبه كسرى لكلامه وأمر باعزازه واكرامه وتدارك ما فرط منه باحسانه وانعامه (وانما أوردت) هذا المثل لئلا يكون هذا الجمل مثل ذلك الرجل لانه قد تصبح بى فلا يرى أبدا مكروها بسببى بل يرى الخير ويكفى أذى الغير وكذلك كل من هو عندى ومنسوب الى من خولى وجندى ثم عاد ذلك البعير وسأله عن جليل أمره والحقير فاخبره أنه تاه عن أصحابه وانه من بعد يتعلق بغرز ركابه ويلازم خدمة بابه كاصحابه فاكرم مثواه وأحسن متبوأه ومأواه الى ان صار من أكبر الخدم وذا خول وحشم ورأس

الملك الرابع فما رأيك فى هذا الصلح قال لا اراه رأيا بل ان نفارق أوطاننا ونصبر على الغربة وشدة المعيشة خير من ان نضيع احسابنا ونخضع للعدو الذى نحن أشرف منه مع ان اليوم لو عرضنا ذلك عليهن لما رضين منا الا بالشطط ويقال فى الامثال قارب عدوك بعض المقاربة لتنال حاجتك ولا تقاربه كل المقاربة فيجترئ عليك ويضعف جندك وتذل نفسك ومثل ذلك مثل الخشبة المنصوبة فى الشمس اذا أملتها قليلا زاد ظلها واذا جاوزت بها الحد فى امالتها نقص الظل وليس عدونا راضيا منا بالدون فى المقاربة فالرأى لنا ولك المحاربة قال الملك للخامس ما تقول أنت وماذا ترى القتال أم الصلح أم الجلاء عن الوطن قال أما القتال فلا سبيل للمرء الى قتال من لا يقوى عليه وقد يقال انه من لا يعرف نفسه وعدوه وقاتل من لا يقوى عليه حمل نفسه على حتفها مع ان العاقل لا يستصغر عدوا فان من استصغر عدوه اغتر به ومن اغتر بعدوه لم يسلم منه وانا للبوم شديد الهيبة وان أضربن عن قتالنا وقد كنت أهابها قبل ذلك فان الحازم لا يأمن عدوه على كل حال فان كان بعيدا لم يأمن سطوته وان كان مكثبا لم يأمن وثبته وان كان وحيدا لم يأمن مكره وأحزم الاقوام وأكيسهم من كره القتال لاجل النفقة فيه فان ما دون القتال النفقة فيه من الاموال والقول والعمل والقتال النفقة فيه من الانفس والابدان فلا يكون القتال من رأيك أيها الملك للبوم فان من قاتل من لا يقوى عليه فقد غرر بنفسه فاذا كان الملك محصنا للاسرار متخيرا للوزراء مهيبا فى أعين الناس بعيدا من أن يقدر عليه كان خليقا ان لا يسلب صحيح ما أوتى من الخير وأنت أيها الندماء

الندماء ورئيس الجلساء وامن النكد والبوس وسمن حتى صار كالعروس فحسده الدب لعدم اللب وعزم بمكره على القائه فى الجب واشتد بذلك البرم الى أكل لحم الجمل القرم فأخذ يضرب فى ذلك أخماسا لاسداس واحتوشه فى قضيته أسوء طويته القلق والوسواس فلم ير أوفق من افساد صورته واظهار سوء سريرته فيهلكه ويكيده ويمقته ويبيده فيصل منه الى ما يريده ويشمر بمكره الحسد ويصلح من شرهه ما فسد ويروج منه ما كسد فأدى فكره الى أن يغرى به الاسد فاختلى بالجمل وابتدأ بالعمل وقال له لى معك كلام على كتمه منك ألام ولكنك لست موضعا للسر لانك لاتعرف هرا من بر وأنت ساذج ساكن سليم الفكر والباطن وقد قيل الحماقة فى الطويل ولولا وفور شفقتي وحنوى عليك ومودتي ما فهت لك بكلمه واتركتك من التيه فى ظلامه وقالت الحكماء ذوو المعارف لاتفش سرك الى طوائف منها سليم الفطره ومنها مدمن الخمره ومنها الكثير الكلام ومنها المرأة والغلام فانهم ليسوا محل الاسرار وانهم يفشونها بلا اختيار وقد قيل كم انسان أهلكه اللسان وكم حرف أدى الى حتف قال الجمل وقد أثر فيه مكره ودخل يا أخى أنا اتحقق شفقتك وصدقك وصداقتك وأعرف محبتك ونصحك ومودتك وأنت لاتحتاج فى تجربتى الى دليل فلى فى صحبتك زمان كقدى طويل وأنا أوكد قولى بالايمان واعقد على ما تلقيه الى الجنان ولا اتفوه به لجماد ولا حيوان والشخص اذا لم يعرف منه ما راد فلافرق بينه وبين الجماد واذكر ما قاله فى درب ابن تلك

ومن كان ذا عين ولا يبصر الذى * أمامه فهو والضرير سواء
وذو الجهل خير من عقول علومه * سراج ولكن ليس فيه ضياء

ثم أنشأ أعمى ناغلا لاطا أنه يبالغ فيما يسمع منه احتياطا ولا يبدى منه لاماولاهاءولاطا فلما وقف الدب على جوابه وربطه بزمام تدبيره اختلى به وقال تعلم أيها الصديق المبين ان الملك فى غاية العفة والدين وأعلى درجات العباد والزاهدين قد فطم نفسه عن الطعوم خصوصا عن الدماء واللحوم ولكنه فى ذلك كله غير معصوم فانه قد تربى بلحم الحيوان وتغذى بافتراس الاقران وتعود رضع الدماء وقطعت سرته على هذا الغذاء وتزهده انما هو تكلف وتسعف وتصلف وتعففه مكابره وتورعه مصابره ولابد للنفس ان تفعل خاصيتها وتجذب شهواتها اليها ناصيتها وتطمح الى مأرزها وتجمح الى مركزها وقال الله تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله واذا كان ذلك كذلك فاحتفظ لنفسك واحفظ نصيحتى وأمسك وتفكر أحوال غدك فى أمسك فانك فى صحبة الاسد على خطر عظيم وخطب جسيم فلا تغفل عما قلت لك ولاتظنن انه لن يقتلك فداخل الجمل من هذا الكلام الخور ولم يبق له طاقة ولا مصطبر ثم ثبته التوفيق وتخيل فى هذا الامر الجليل فكره الدقيق واستحضر رأيه فى أمره وأجال قداح فكره وقال للدب المشوم يا أخى فأى ضرورة دعت الاسد الغشوم حتى تعفف عن أكل اللحوم قال انا لا أشك فى دينه ولا ارتاب فى حسن يقينه ولكن ربما تعود المياه الى مجاريها وتعطى القوس باريها وتحرك النفس الابيه والشهوة التى طالما ألقت صاحبها فى بليه لان الانسان بل سائر الحيوان على ما يقتضيه السكون والمكان دائر مع اختلاف أخلاق الزمان فان الزمان كالوعاء والشخص فيه كالماء فيعطيه من اخلاقه ما يقتضيه من كدره وصفائه ولهذا قيل لون الماء لون انائه وقد قيل الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم وناهيك بإذا الكرامات ما قيل فى المقامات

ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى * عن الرشد فى انحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل انى أخو عمى * ولاغرو أن يحذو الفتى حذو والده

الملك كذلك وقد استشرتنى فى أمر جوابك منى عنه فى بعضه علانية وفى بعضه سر وللاسرار منازل منها ما يدخل فيه الرهط ومنها ما يستعان فيه بالقوم ومنها ما يدخل فيه الرجلان ولست أرى لهذا السر على قدر منزلته أن يشارك فيه الا

أربعة آذان ولسانان فنهض الملك من ساعته وخلا به فاستشاره فكان أول ما سأله عنه الملك انه قال هل تعلم ابتداء عداوة ما بيننا وبين البوم قال نعم كلمة تكلم بها غراب قال الملك وكيف كان ذلك (قال) الغراب زعموا ان جماعة من الكراكى لم يكن لها ملك فأجمعت أمرها على ان يملكن عليهن ملك البوم فبينما هى فى مجمعها اذ وقع لها غراب فقالت لو جاءنا هذا الغراب لاستشرناه فى أمرنا فلم يلبثن دون ان جاءهن الغراب فاستشرنه فقال لو ان الطير بادت من الاقاليم وفقد الطاوس والبط والنعام والحمام من العالم لما اضطررتن الى ان تملكن عليكن البوم التى هى أقبح الطير منظرا وأسوؤها اخلاقا وأقلها عقلا وأشدها غضبا وأبعدها من كل رحمة مع عماها وما بها من العشا بالنهار وأشد من ذلك وأقبح أمورها سفهها وسوء اخلاقها الا ان ترين ان تملكنها وتكن أنتن تدبرن الامور دونها برأيكن وعقولكن كما فعلت الارنب التى زعمت ان القمر ملكها ثم عملت برأيها قال الطير وكيف كان ذلك (قال) الغراب زعموا أن أرضا من أراضى الفيلة

تتابعت عليها السنون وأجدبت وقل ماؤها وغارت عيونها وذوى نبتها ويبس شجرها فأصاب الفيلة عطش شديد فشكون ذلك الى ملكهن فارسل الملك رسله ورواده فى طلب الماء فى كل ناحية فرجع اليه بعض الرسل فاخبره أنى قد وجدت بمكان كذا

والاسد فى هذا الاوان ماش على ما يقتضيه الزمان وان الزمان يتحول وسيرجع الاسد الى خلقه الاول أما بلغك يا ذا الفطنة الجيدة قصة الحائك مع الحية قال لا ورب البرية فاخبرني عن كيفية تلك القضية قال الدب الافاك ذكر ان حائكا من الحياك كانت له زوجة تخجل شمس الافلاك صورتها مليحة وسيرتها قبيحة فشمز وجها روائح ما هى عليه من القبائح وخاف ان يؤدى الى الفضيحة فطلب تحقيق ذلك ليوصلها الى المهالك فقال لها أريد ضيعة لاجل بيعه فاغيب أياما يسيرة لفائدة كثيرة فارصدى بابك واسدلى حجابك واحفظى من الشر جنابك فقالت بيت أنت رئيسه ومثلى قعيدته وعروسه أنى يحوم حوله فساد فأدرك سوقك قبل الكساد وجهزته أسرع جهاز كالمتوجه الى الحجاز فسافر من غير مريه ثم رجع الى البيت فى خفيه واختبأ تحت السرير لينظر ما يجرى من الامور فبادرت الى النار ونفخت وأسرعت الى الطعام وطبخت وخرجت تدعو مرامها وقد هيأت طعامها فخرج زوجها من المخبا وأتى على الطعام المهيا ورجع الى مكانه ونام بعد أكله الطعام فجاءت المرأة بحريفها وقصدت الطعام لضيفها فصادفت بدها الحصير فعرفت ان البلاء تحت السرير فأخذت تطلب الخلاص من ذلك المقنص واتفق ان الملك رأى مناما هاله ولكن نسى هيئته وحاله فقصد من يخبره برؤياه ويعبرها له فنادى فى الورى يطلب لمنامه مخبرا ومعبرا وبينما تلك الفاجرة على حيلة الخلاص دائرة وفى بحر الافكار حائرة سمعت المنادى ينادى فى كل نادى من يدل الملك الهمام على معبر المنام فله مزيد الاكرام والانعام العام فسارعت المرأة الى باب الامير وقالت قد سقطت على الخبير ان لى زوجا حكيما بتعبير المنامات عليما لكنه يتعزز وعن تعبيره يتحرز فلا يفوه بالتعبير الا بعد ضرب كثير وانه ليس له فى ذلك نظير فارسل وراءه وأكرم لقاءه ثم قال له بعد اكرام أوصله ووعده بانعام وصله رأيت مناما راعنى وفى الحيرة والفكر أضاعنى فدع عنك الاحتشام واخبرنى عن ذلك المنام ثم عبره لى فقد أخبرت انك حبيب لله وولى فقال يا مولانا الملك أنا فى الجهل منهمك حائك فقير ليس لى من العلم نقير ولقد كذب على من نسب العلم الى والعين تعرف العين انا من أين وتعبير الرؤيا من أين فما صدقه ولا فى كلام استوثقه وصدق قول المرأة فيه وأمر بايصاله ما ينكيه ثم طلب المقارع وشدوا منه الاكارع وضربوه ضربا أعسفه الى ان كاد أن يتلفه فنادى الامان الامان امهلنى ثلاثة أيام من الزمان فتركوه وأمهلوه وقيدوه وأطلقوه فصار يدور فى الخرائب ويتضرع تضرع النائب ففى ثالث الايام وقد أيقن بحلول الحمام دخل الى مكان خراب وأخذ فى البكاء والانتحاب فنادته حية من الشقوق مالك تنتحب يا ذا العقوق فأخبرها بحاله وما جرى عليه من نكاله فقالت ماذا تجعل لى من الانعام اذا أخبرتك بما رآه الملك فى المنام ثم فضضت عن تعبيره مسك الختام قال أكون لك عبدا ووصيفا وأعطيك مما أعطى نصيفا قالت ان الملك رأى فى منامه ان الجو يمطر من غمامه أسودا ونمورا وفهودا وببورا وأن السماء فى ذلك تمور وتعبير هذا المنام والله العلام أنه يظهر فى هذا العام للملك أعداء كواسر وحساد جواسر يقصدون هلاكه ويريدون ملكه وسيطفئ نار كيدهم بمياه سيوفه ويسقيهم من رحيق فتوحه كاسات حتوفه فكشفت غمته ثم أصلح لباسه وعمته وقصد باب الملك ونادى غير مرتبك وذكر المنام وعبره ووعد السلطان بالنصر وبشره فتذكر المنام وحققه واعتمد عليه وصدقه وأمر له بألف دينار وصار له عند الملك بذلك اعتبار فأخذ الذهب مجبورا وانقلب الى أهله مسرورا ثم افتكر ما اشترطه مع الحية فأبت عن الوفاء نفسه الشقية وخاف ان تطالبه بحصتها أو تفضحه بقصتها فلم ير أوفق من قتلها وسد ذريعة سبيلها فأخذ عصا ورام بذلك خلاصا وقصد مأواها ووقف فناداها فخرجت مسرعة اليه وأقبلت بالوداد عليه فرأت العصا بيمينه فعلمت انه ناكث بيمينه فولت هاربة فضربها

عينا يقال لها عين القمر كثيرة الماء فتوجه ملك الفيلة باصحابه الى تلك العين ليشرب منها هو وفيلته وكانت العين فى أرض الارانب فوطئن الارانب فى أجحارهن فاهلكن منهن كثيرا فاجتمعت الارانب الى ملكها فقلن له قد علمت ما أصابنا من الفيلة فقال ليحضر منكن كل ذى رأى رأيه فتقدمت أرنب من الارانب يقال لها فيروز وكان الملك يعرفها بحسن الرأى والادب فقالت ان رأى الملك أن يبعثنى الى الفيلة ويرسل معى أمينا ليرى ويسمع ما أقول ويرفعه الى الملك فقال لها الملك أنت أمينة ونرضى بقولك فانطلقى الى الفيلة وبلغى عنى ما تريدين واعلمى ان الرسول برأيه وعقله ولينه وفضله يخبر عن عقل المرسل فعليك باللين والرفق والحلم والتأنى فان الرسول هو الذى يلين الصدور اذا رفق ويخشن الصدور اذا خرق ثم ان الارنب انطلقت فى ليلة قمراء حتى انتهت الى الفيلة وكرهت أن تدنو منهن مخافة أن يطأنها بأرجلهن فيقتلنها وان كن غير متعمدات ثم اشرفت على الجبل ونادت ملك الفيلة وقالت له ان القمر أرسلنى اليك والرسول غير ملوم فيما يبلغ وان اغلظ فى القول قال ملك الفيلة فما الرسالة قالت يقول لك انه من عرف فضل قوته على الضعفاء فاغتر بذلك فى شان الاقوياء قياسا لهم على الضعفاء كانت قوته وبالا عليه وانت قد عرفت فضل قوتك على الدواب فغرك ذلك فعمدت الى العين التى تسمى باسمى فشربت منها وكدرتها فارسلنى اليك فأنذرك أن لا تعود الى مثل ذلك وانك ان فعلت اغشى بصرك واتلف نفسك وان كنت فى شك من رسالتى فهلم الى العين من ساعتك فانى موافيك بها فعجب ملك ضربة

ضربة خائبة لكنه جرحها وعمد الى نفسه ففضحها وتركها وذهب فائزا بالذهب فاتفق ان فى العام الثانى رأى السلطان مناما أقلقه وعن نومه أرقه ومن شدة أهواله محا الوهم عن لوح خياله فدعا المعبر المعهود اليه وقص حاله عليه وطلب منه صورة المنام وما يترتب عليه من كلام فاستمهله الايام المعدودات وقصد رئيسة الحيات وناداها عجلا ووقف فى مقام الاعتذار خجلا فقالت أى غدر كيف استحليت ما مضى من فعالك ومر بأى وجه تقابلنى وتخاطب وقد قصدت عطبى بعد ما خلصتك من المعاطب وقابلت احسانى بالسوء ولكن غدرك بك يبوء فقال عفا الله عما سلف والصداقة بيننا من اليوم تؤتنف ثم انشأ أيمانا انه يبدل الاساءة احسانا وأنه لا يخون ولا يمين فيما يقع عليه العهد واليمين بل يعود الى العهود ومهما وقع عليه الاتفاق لا يمازجه خلاف ولا نفاق فقالت أريد جميع الجائزة لا كون بها فائزة ولها حائزة فأجابها الى ما سألت وعاهدها على ذلك فقبلت وقالت رأى الامام فى هذا المنام ان السماء تمطر قردة وخنازير وثعالب وجرذانا وتعبير هذه الرؤيا وكلمة الله هى العليا انه فى هذا العام والشهور والايام يكثر اللصوص والعيارون والمكرة والطرارون ويظهر فى العساكر كل حسود ماكر وشيطان داعر ولكن صولة الملك تمحقهم وصواعق سيوفه تصعقهم فأسرع الى السلطان وخبره بما رآه فى منامه وعبره فقال بالحق أتيت هذا الذى كنت رأيت ثم أمر له بجائزة سنيه وخلعة بهيه فصار فى عيشة مرضيه وحياة هنيه وسلك طريقته الدنيه فلم يلتفت الى عهوده القويه ونبذ عهد الحية الحييه وقال يكفيها منى كفى عنها فلا تطلب منى ولا أطلب منها ثم ان السلطان رأى فى المنام فى ثالث الاعوام مناما آخر ونسيه فأرسل الى المعبر فغشيه من يم الهم ما غشيه وسأله عما رآه وطلب منه تعبير رؤياه فطلب المهلة كما كان وأحاط به موج الهم من كل مكان ولم يرتد من معاودة الحيه فأتاها وبه من الحياء كيه وناداها بصوت خاشع ووقف فى مقام الذليل الخاضع فخرجت فرأته فزجرته وزأرته وقالت يا خائن يا كذاب يا ناقض العهد يا مرتاب يا قليل الحياء يا كثير البذاء يا صفيق الوجه يا حقيق النجه ترى بأى لسان تخاطبنى وبأى وجه تقابلنى وقد خنت وقتلت وفعلت فعلتك التى فعلت فقال لم يبق للاعتذار مجال ولا للاستقالة مقال وما ثم طريق الا معاملتك بالافضال فان أفضلت أتممت الاحسان وان رددت فعذرك واضح البيان وهذه المرة الثالثه لا تكون يمينها حانثه ولا عهودها ناكثه وأشهد الله وكفى به شهيدا انى بعد لا أنقض لك عهودا ولا أحل مما بيننا عقودا فقالت لا أخبرك بشئ الا أن تعهد الى ان تعطينى جميع ما تعطى وتكف عما وقع منك من الخطا فسمع مقالها وأجاب سؤالها فقالت رأى الملك فى منامه كأن الجو أمطر من غمامه ما ملأ الفضاء من خرافه وأغنامه وتعبير هذا المنام أنه يكون فى هذا العام من الخيرات والانعام ما يشمل الخاص والعام فتطيب الاوداء وتصالح الاعداء وتطيع العصاه وتذعن البغاه ويوافق المخالف ويكثر المحب والموالف فاحفظ ما قلت لك فقد حلت مشكلك فتوجه بصدر منشرح وخاطر مطمئن فرح وقص المنام وعبر ما فيه من الاحلام فطار الملك بالفرح وتم سروره وانشرح وأمر بالجوائز فصبت عليه وبالاموال فانهالت اليه فتنعم بتلك العطية والخلع السنيه وقصد وكر الحيه ثم وقف وناداها وقدم اليها كل ذلك وأعطاها وشكر لها احسانها وتحمل جميلها وامتنانها فقالت له الحية اعلم يا أبلم انه لا عتب عليك ولا ملام فيما جنيته أولا من الآثام ولا ما ارتكبته من العداوة والمين فى العامين الاولين ولا فضل لك فى هذه السنة على ما فعلته من الحسنة فان ذينك العامين كانا مشتملين على قران النحسين فكان مقتضى حالهما فساد الزمان والعداوة بين الاصدقاء والاخوان ووقوع البغضاء والشرور والخنث والخلف وقول الزور فجريت على مقتضاهما حسب مرتضاهما والناس فى طباعهم

الحيلة من قول الارنب فانطلق الى العين مع فيروز رسول فامه انظر الى ضوء القمر فيها فاذا الثلاثة فيروز رسول خذ بخرطومك من الماء فاغسل به وجهك واسجد للقمر فأدخل الفيل خرطومه فى الماء فتحرك فخيل للفيل أن القمر ارتعد فقال ما شان القمر ارتعد أتراه غضب من ادخالى جحفلتى فى الماء قالت فيروز الارنب نعم فسجد الفيل للقمر مرة أخرى وتاب اليه مما صنع وشرط ان لا يعود الى مثل ذلك هو ولا أحد من فيلته قال الغراب ومع ماذكرت من أمر البوم ان فيها الخب والمكر والخديعة وشر الملوك المخادع ومن ابتلى بسلطان مخادع وخدمه أصابه ما أصاب الارنب والصفرد حين احتكما الى السنور قالت الكراكى وكيف كان ذلك

(قال) الغراب كان لى جار من الصفارد فى أصل شجرة قريبة من وكرى وكان يكثر مواصلتى ثم فقدته فلم أعلم اين غاب وطالت غيبته عنى فجاءت ارنب الى مكان الصفرد فسكنته فكرهت ان أخاصم الارنب فلبثت فيه زمانا ثم ان الصفرد عاد بعد زمان فأتى منزله فوجد فيه الارنب فقال لها هذا المكان لى فانتقلى عنه قالت الارنب المسكن لى وتحت يدى وأنت مدع له فان كان لك حق فاستعد باثباته على قال الصفرد القاضى منا قريب فهلمى بنا اليه قالت الارنب ومن القاضى قال الصفرد ان بساحل البحر سنورا متعبدا يصوم النهار ويقوم الليل كله ولا يؤذى دابة ولا يهريق دما عيشه من الحشيش ومما يقذفه اليه البحر فان أحببت تحاكمنا اليه ورضينا به قالت الارنب ما أرضانى به اذا كان كما وصفت فانطلقا اليه فتبعتهما لأنظر الى حكومة الصوام القوام ثم انهما ذهبا اليه فلما بصر السنور بالارنب والصفرد

وايامهم أشبه بزمانهم منهم بآبائهم وهـذا الاوان قد انصلح الزمان واستقام الطالع وزال الحسد والتقاطع واقتضى الزمان الصلح والصلاح والموافقة والفلاح فشيت على موجبه وتشبثت بذيل مذهبه فخذ مالك وانصرف بارك الله لك فيه فلا حاجة لى به ولا يدلى لتقليبه (وانما) أوردت هذا المثل أيها الجمل لتعلم ان الزمان لتقلبه فى الدوران يوقع بين الاصحاب والاخوان ويباين بين الاصدقاء والخلان والاسد المجتهد وان كان قد زهد وترك من اخلاقه ماعهد فيمكن عوده الى حاله الاولى فالاحتراز منه فى كل حال أولى وها أنا قد أخبرتك ومن سوء العاقبة حذرتك وعلى ماوصل اليه فكرى أطلعتك وفرط محبتى وشفقتى عليك اقتضى افشاء هذا السر اليك ومن أنذر فقد اعذر ومن بصر فما قصر قال الجمل يا أخى فنترك هذا المقام ونروح ونخدم من فى خدمته نستريح قال الدب الجاحد اذا كان هـذا العابد الزاهد الراكع الساجد الذى قد تعفف عن أكل اللحوم وليس له دأب الا اغاثة المظلوم قد عف عن الدماء وقنع بأكل الحشيش وشرب الماء لا تؤمن غائلته ولا تعتمد خاتلته فالى أين نتحول وعلى من يكون المعول والى أين نذهب وفيمن نرغب قال الجمل فكيف يكون العمل فلقد ضاقت بنا الحيل وتقطعت بنا السبل لا طريق للمفر ولا قرار للمستقر فافتكر الدب طويلا ثم رأى رأيا وبيلا وقال أرى الرأى السديد والفكر المفيد ان نبادر الاسد قبل وقوع النكد فنقصده بما يقصده ولا نوصله الى ما يعتمده فالعاقل يفتكر فى عواقب الامور ويقيس بفكره السرور والشرور ويستعمل الحزم واذا قصد امرا يصمم العزم وناهيك قضية الثعبان مع ذلك الانسان قال الجمل أخبرنى عن تلك القضية ومن ذلك الانسان وما تلك الحية (قال) أبو جعد الخبيث بلغنى من رواة الحديث ان شخصا من الصيادين كان مغرما بصيد الثعابين يتسبب بصيدها ولا يبالى بكيدها فبينما هو يسعى اذ صادف أفعى شرها ناجز كما قال الراجز

أرقش ظمآن متى عض لفظ * أمر من صبر ومقر وحظظ

وقد أثر فيه الحر بالحرف وهو نائم فى مكان منطبق فاستبشر الحواء برؤيته وقبضه من عقصته فلم يلتق الثعبان من رقدته الا وهو من الحاوى فى قبضته فتماوت وامتد وارتخى فاسبل بعدما كان اشتد فظن الصياد انه مات وان مراده منه فات فتحرق لذلك وتألم وتأسف عليه وتضرم وحرق عليه الارم ورماه من يده ثم دار فى خلده ان فى بطنه خرزة بهية مشرقة مضية فاخرج الشفرة وقصده ومد لتبضيعه يده فلما تحقق الارقم ما عزم عليه وصمم خدعه وختله وضربه فقتله (وانما ذكرت) يا أبا أيوب هذا المثل المضروب لتحقق ان المبادرة الى اهلاك العدو أقر للعين وأجلب للهدو ومن فوت الفرصة وقع فى غصة وأى غصه وهذا الاسد ان غفلنا عن أنفسنا أبادها وقصد دمارها وفسادها ولا يفيدنا اذ ذاك الندم بعد ما زلت القدم وتحكم فى وجودنا من مخاليبه العدم فقال الجمل اعلم أيها الرفيق الصديق الشفيق ان هـذا الملك آوانا وأكرم مثوانا ولم نشاهد منه سوأ ولا من ظلمة باطنه آنسنا ضوأ ولو قصد اذانا ما وجد دافعا ولا ممانعا وقد علمنا انه ترك الاذى وكف عن الشر والبذا تعففا لا تخوفا وتكرما لا تكلفا والاختيار الاضطرارا وجبرا لكسرنا لا اجبارا وأما أنا على الخصوص فلم أر منه الا الجميل والفضل الجزيل والاحسان العريض الطويل فلاى شئ أشرع فى أذى نفسى وأكدر صافى حدسى ولم يظهر لى منه أمارة لا بعقض ولا بدلالة ولا باشاره فضلا عن سباق أو سياق بعبارة وأنا لو مت كمدا ما قصدته بأذى ولا رديته برداء ردى والصوفى ابن الوقت لا يتقيد بنكد ولا مقت فان قصدنى بعد ذلك بشر أو تعرض لى بهلاك وضر لا يسعنى معه الا التفويض والتسليم والتوكل على العزيز العليم مع انى لا أقدر على مقاومته ولا قوة لى فى دفع مصادمته ولا طاقة لكسر أنيابه ومخاليبه ولا خلاص من أشراك أساليبه غير أنى وان

مقبلين نحوه انتصب قائما يصلى واظهر الخشوع والتنسك فعجبا الملك من حاله ودنيا منه هابين له وسلما عليه وسألاه ان يقضى بينهما فأمرهما ان يقصا عليه القصة ففعلا فقال لهما قد بلغنى الكبر وثقلت أذناى فادنوا منى فاسمعانى ما تقولان فدنيا منه وأعادا عليه القصة وسألاه الحكم فقال قد فهمت ما قلتماه وانا مبتدئكما بالنصيحة قبل الحكومة بينكما فانا آمركما بتقوى الله وان لا تطلبا الا الحق فان طالب الحق هو الذى يفلح وان قضى عليه وطالب الباطل مخصوم وان قضى له وليس لصاحب الدنيا من دنياه شئ لا مال ولا صديق سوى العمل الصالح يقدمه فذو العقل حقيق أن يكون سعيه فى طلب ما يبقى ويعود نفعه عليه غدا وان يمقت بسعيه فيما سوى ذلك من أمور الدنيا فان منزلة المال عند العاقل بمنزلة المدر ومنزلة النساء اللاتى عليهن بمنزلة الافاعى المخوفة ومنزلة الناس عنده فيما يحب لهم من الخير ويكره من الشر بمنزلة نفسه ثم ان السنور لم يزل يقص عليهما من جنس هـذا واشباهه حتى أنسا اليه وأقبلا عليه ودنيا منه ثم وثب عليهما فقتلهما قال الغراب ثم ان البوم تجمع مع ما وصفت لكن من الشؤم وسائر العيوب فلا يكونن تمليك البوم من رأيكن فلما سمع الكركى ذلك من كلام الغراب أضربن عن تمليك البوم وكان هناك بوم حاضر قد سمع ما قالوا فقال للغراب لقد وترتنى أعظم الترة ولا اعلم انه سلف منى اليك سوء أوجب هذا وبعد فاعلم ان الفاس يقطع به الشجر فيعود ينبت والسيف يقطع اللحم ثم يعود فيندمل واللسان لا يندمل جرحه ولا تؤسى مقاطعه والنصل من السهم يغيب فى اللحم ثم ينزع فيخرج واشباه

النصل من الكلام اذا وصلت الى القلب لم ينزع ولم تستخرج ولكل حريق مطفئ فللنار الماء وللسم الدواء وللحزن الصبر وللعشق الفرقة ونار الحقد لا تخبو أبدا وقد غرستم معاشر الغربان بيننا وبينكم شجر الحقد والعداوة والبغضاء فلما قضى البوم مقالته ولى مغضبا فأخبر ملك البوم بما جرى وبكل ما كان من قول الغراب ثم ان الغراب ندم على ما فرط منه وقال والله لقد خرقت في قولي الذي جلبت به العداوة والبغضاء على نفسي وقومي وليتني لم أخبر الكراكي بهذه الحال ولا أعلمتها بهذا الامر ولعل أكثر الطير قد رأى أكثر مما رأيت وعلم أضعاف ما علمت فمنعها من الكلام بمثل ما تكلمت اتقاء مالم أتق والنظر فيما لم أنظر فيه من حذار العواقب لا سيما اذا كان الكلام افظع كلام يلقى منه سامعه وقائله المكروه مما يورث الحقد والضغينة فلا ينبغي لاشباه هذا الكلام ان يسمى كلاما ولكن سهاما والعاقل وان كان واثقا بقوته وفضله لا ينبغي أن يحمله ذلك على ان يجلب العداوة لنفسه اتكالا على ما عنده من الرأى والقوة كما انه وان كان عنده الترياق لا ينبغي له ان يشرب السم اتكالا على ما عنده وصاحب حسن العمل وان قصر به القول في مستقبل الامر كان فضله بينا واضحا في العاقبة والاختبار وصاحب حسن القول وان أعجب الناس منه حسن صفته للامور لم تحمد عاقبة امره وأنا صاحب القول الذي لا عاقبة له محمودة أليس من سفهي اجترائي على التكلم في الامر الجسيم لا استشير فيه أحدا ولم أعمل فيه رأيا ومن لم يستشر النصحاء الاولياء وعمل برأيه من غير تكرار النظر والروية لم يغتبط بمواقع رأيه فما كان أغناني عما كسبت يومي هذا وما وقعت فيه

كنت منسوبا الى التعطل لا أدع من يدي ذيل التوكل فبالتفويض يحصل النجاح وبالتوكل يظفر بالفلاح كما جرى لذلك الفلاح مع الذئب والشجاع حال التوكل على الله تعالى والانقطاع فسأل أبو سلمة ايضاح هذه الكلمة (قال) أبو صابر بلغني من أحد الا كابر ان شخصا فلاحا توجه الى ضروره صباحا من غير رفيق ولا حامل سلاحا فبينما هو في البيداء سائر صادفه ذئب داعر ختال ختار فقصده ليكسره ففر وصعد الى شجرة فترصد نزوله وانتظره تحتها ليغوله فانحصر وعن ضرورته انحصر وبينماهو في تلك البليه وقعت عينه على حية رديه ذات قرون صاعده وهي على بعض الفروع راقده فازداد همه وأحاط به لوهمه غمه فاستمر بين بليتين وانحصر في دواني داهيتين فلم ير أوفق من التوكل على الله والاعراض عما سواه فاعتمد متوكلا عليه وفوض أموره اليه وبينما هو في تلك الشده وقد بلغ ضره حده واذا برجل مقبل من الفلا وعلى عاتقه عصا فقصد الذئب من قريب فلما رأى السلاح فر وله كالأح فنزل الفلاح من الشجره وأزال الله تعالى همه وضرره (وانما أوردت) هذا المثل لتعلم ان الله نعم المتكل فأخرج هذا الوسواس من القلب والراس ولا تبك سالفا ولا تعجل تلفا ولا تخلع الحذاء باذا الرياضه قبل ان تصل الى المخاضة ولا تهتم لامر ما وقع فان ذلك من شر البدع فان قصدنا بسوء فالله يكافيه ويكفينا بحوله وقوته فيه قال الدب ذو الضرر هذا رأى القاصر في النظر العاجز في الفكر فاما ذو الفكر الثاقب فلا يغفل عن العواقب فكل من قصر عن العواقب نظاره ولم يسدد في الامور فكره فهو كمن تعلقت النار باهدابه والتهبت لاحراق ثيابه وهو مشغول عن اطفائها متساهل في كشف أنبائها فلم يفق الا وقد نشبت وأعضاؤه بالنار التهبت فماذا تفيده الافاقه وقد صاحواقه قال الجمل يا أخي افق من محالك وعالج فساد تصورك وخيالك وانظر قوة جلدك وكيفية حالك أنا الجمل من صدقات الاسد نبت وحبه في دمي وعظمي ثبت كيف أجحد نعمه أو اريق دمه وأنا غرس صدقاته وبنيان نفقاته ورفيق حضرته وعتيق منته مع اني لو نبذت عهده فقطعت ما قطعت وعزمت على مناوشته ما استطعت أما وعيت في معاني ما رويت

هي العنقاء تكبر أن تصادا * فعاند من تطيق له عنادا

تريد صيد العقاب بفرخ الغراب أم تقتنص الذئاب بجرو الكلاب وتبغي بالقرود كسر الفهود أم بالسنانير تصيد الاسود ولا والله لا أقصده باذى ولا يطاوعني قلبي على ذلك أبدا ولو فعلت ذلك لسعيت في دماري وخراب دياري وجدعت أنفي بكفي وبحثت عن حتفي بظلفي وجززت بيدي رأسي وقطعت قدمي بفاسي وقلعت باصبعي مقلتي واستحفظت ملك الموت مهجتي واصرت من أكبر المعتدين وأفسدت ديني ودنياي والله لا يحب المفسدين فاطوعني هذا الكلام وارجع عن مفاوضتي بسلام ولا تشك به جنانك ولا تحرك به لسانك وكان بالقرب منهما وكرفاره وقد سمعت ما جرى بينهما من عباره ووعت كلامهما وما دار بينهما من كل منهما فلما رأى الدب المريد أن كلامه للجمل لا يفيد أمسك واحتشم وأخذه في ذلك الندم ولكن حال من الجمل الحال وأثر فيه هذا المقال واستولى عليه من الاوجال ما أداه الى الهزال وصيره من الانحال كالخلال وذهب ما كان عليه من النشاط وداخله الهم والاختباط وصار كل يوم في انحطاط ولم يزل بين نضو ورازم و رازح ونازح فتعجب الاسد من حاله ولم يقف على سبب هزاله وكان عند الاسد غراب مقدم على الاصحاب هو وزيره ومعتمده وصاحب اخباره وعضده فعرض عليه حال الجمل وما شاهده منه من وجل وقال أنا اطلعت عن أكل اللحوم ورضيت من العيش بادنى الطعوم وهذا أمر قد عرف واستقر فما بال هذا الجمل لا يأخذه مقر فأريد ان تعرف حاله وتخبرني صدقه ومحاله فتوجه الغراب الى منزل الجمل وقد أخاص في القول والعمل وسأله عن حاله وموجب هزاله

من الهم وعاتب الغراب نفسه بهذا الكلام واشباهه وذهب فهذا ما سألتني عنه من ابتداء العداوة بيننا وبين البوم وأما القتال فقد علمت
رأيي فيه وكراهتي له ولكن عندي من الرأي والحيلة غير القتال ما يكون فيه الفرج ان شاء الله تعالى فانه رب قوم قد احتالوا
بآرائهم حتى ظفروا بما
أرادوا ومن ذلك حديث
الجماعة الذين ظفروا بالناسك
وأخذوا عريضه قال الملك
وكيف كان ذلك قال الغراب
زعموا ان ناسكا اشترى
عريضا ضخما ليجعله قربانا
فانطلق به يقوده فبصر به
قوم من المكرة فائتمروا
بينهم ان يأخذوه من الناسك
فعرض له أحدهم فقال له
أيها الناسك ما هذا الكلب
الذي معك ثم عرض له
الآخر فقال لصاحبه
ما هذا ناسكا لان الناسك
لا يقود كلبا فلم يزالوا مع
الناسك على هذا ومثله حتى
لم يشك أن الذي يقوده كلب
وان الذي باعه اياه سحر عينه
فأطلقه من يده فأخذه
الجماعة المحتالون ومضوا به
* وانما ضربت لك هذا
المثل لما أرجو أن نصيب
من حاجتنا بالرفق والحيلة
واني أريد من الملك ان ينقرني
على رؤس الاشهاد وينتف
ريشي وذنبي ثم يطرحني في
أصل هذه الشجرة ويرتحل
الملك هو وجنوده الى مكان
كذا فارجو اني اصبر واطلع
على أحوالهم ومواضع
تحصينهم وأبوابهم فأخادعهم
وآتي اليكم لنهجم عليهم
وننال منهم غرضنا ان شاء
الله تعالى قال الملك أتطيب
نفسك لذلك قال نعم وكيف لا تطيب نفسي لذلك وبه أعظم الراحات للملك وجنوده ففعل الملك بالغراب ما ذكر ثم ارتحل ابداؤه
عنه فجعل الغراب يئن ويهمس حتى سمعه البوم ورأينه يئن فاخبرن ملكهن بذلك فقصد نحوه ليسأله عن الغربان فلما دنا منه أمر بوما ان يسأله

وانفصاله وما سبب هذا الرزوح والرزوم المؤدي الى النزوح فما أحار جوابا ولا ذكر خطأ ولا
صوابا فصار الغراب يرتقبه وحيثما توجه يعتقبه ففي بعض الايام كان الغراب على بعض الآكام
رأى الجمل قد أقبل الى الماء ليطفئ بشربه سورة الظما فتخفى الغراب واقتفى ظهره الى ان فاز به وكمن
خلف صخره فسمعه يقول بعد ما شرب وقد رأى السمك في الماء بارك الله يارب ما أرجحك وطوبى لكن
يا سمك لا من رئيس كن تخفن ولا من هيبته ترجفن لا ملك يهولكن ولا سلطان يغولكن ولكن البكاء على الجمل
الذي ضاقت به الحيل قد وقع في دردور البلاء ولا يهتدي الى طريق النجاه بل ولا يدري عاقبة أمره المهول
الى ماذا تؤول أالى الغرق والندامه أم الى النجاة والسلامه ثم أخذ في الانتحاب الى ان أبكى الغراب فلما
رأى أبو القعقاع هذه الاوضاع قضى من الامر العجاب ما يتشيب منه الغراب ثم توجه الى أسد الشرى
وعرض عليه ما جرى بتخبير المشترى فتشوش فكره وتشور أمره وضاق بالهم صدره وقال أنا كففت
عن الشر والشره وعففت عن ذلك كأن لم يرني ولم أره وتركت القرم والاذى وفطمت نفسي عن لذيذ
الغذا ليأمنني أصحابي ويأنس بي أحبابي فاذا لم يستقر خاطرهم ولم تطمئن على محبتي سرائرهم أي
فائدة لي في الحياه وكيف أخلص في حرم المودة من كدر العيش الى صفاه وكل ملك لا تصفو له رعيته ولا ترسخ
في قلوب جنده محبته كيف يثبت سلطانه أو يساعده عند الشدائد أعوانه أنا بذلت جهدي وطاقتي
وتشبثت باذيال الصلاح على قدر استطاعتي ولم يبق الا التضرع والاستكانة والتخشع الى مقلب
القلوب وعلام الغيوب ليكشف هذه الغمه ويصلح لي هذه الامه ويجلو عن جبين الحق بهيم هذه
الظلمة ثم تضرع الى عالم الاسرار ليطلعه على حقيقة هذه الاخبار ثم أمر باجتماع جماعته المقيمين
على محبته وطاعته وعرض عليهم هذه الاحوال وطلب منهم استكشاف ما فيها من الاهوال وقال
اعلموا اني أمنتكم من مخاوفي وبذلت لكم بدل عنفي الطافي وقد حققتم مرامي وصدقتم كلامي وعرفتم
أخلاقي وشدى أعلاقي كل ذلك لتطيب خواطركم وتصفو لي سرائركم ولم أفعل ذلك عجزا ولا خورا
ولا تهاونا ولا ضجرا وأنا الآن آمركم بواحده هي أجل فائدة ان لا تكتموا عني شيأ تكرهونه مني
بل أوقفوني عليه وأرشدوني اليه ثم اجهدوا اني أمنعه عني فان فيكم أجل محبوبي من أهدى الي
عيوبي وقد قال سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام اللهم أبلغه أفضل التحيات عنا من غشنا فليس
منا (وانما أوردت) هذا الكلام في هذا المقام بحضور الخواص والعوام على سبيل التحذير والاعلام
والتنذير وأقسم بالله العلي الكبير اللطيف الخبير الذي منه المبدأ واليه المصير لم يكن في خاطري من أحد
حقد ولا حسد ولا هجس بخاطري له ايذاء ولا نكد وها أنا قد أخبرتكم وباطلاعي أمرتكم فلم يبق
لي ذنب يستغفر منه ولا لكم في الاخفاء ما يعتذر عنه وان الله تعالى لا يعذب بضلال الاسافل بل يهذب للاعالي
الاراذل فاذا فسد الراس تغيرت الناس لحل الباس ولقد قال خالق البرية وبارئها واذا أردنا ان نهلك
قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فقام الحاضرون في مقام العبودية والولاء وبسطوا ألسنتهم بانواع
الثناء والدعاء ونادوا بكلمة واحده متفقة مثأكده حاشا لله ما علمنا عليك من سوء ولم تزل تطيب قلوبنا ان
تقصيرنا وتأسو وتستر بذيل عفوك كل عارضنا وتكسو وكان هذا الكلام للأكابر وقد اجتمع البادي
والحاضر وأبو حميد المفتي فيما بينهم حاضر فادرك بهذا العمل ان الاسد شعر بشيء من جهة الجمل
فاستدرك فارطه وسلك سبيل المغالطه ثم اختلى بالاسد ولم يكن معهما أحد وقال كان مولانا الملك
وقاه الله شر المنهمك أحس بشيء أوجب تقرير كلامه لطائفة جنده وخدامه وأنا عندي كلام لم يطلع
عليه أحد من الانام ولم أبده للملك بحضرة الجماعه لانه ربما لا يقصد الملك به الاذاعه ولا يمكنني اخطاؤه وقد كان

ابداؤه فاعلم أيها الملك الهمام كفاك الله شر اللئام انه كما يستحقر العالم الجاهل كذلك يزدري الجاهل العاقل وذلك لقصور فهمه وعدم علمه ومهما أحاط الخادم بمرتبة مخدومه وزاد علوّ قدره في معلومه ازداد في قلبه وجوارحه مقدار تعظيمه واستقرت هيبته في قلبه وروحه وصارت كؤس خشيته تنادمه في غبوقه وصبوحه وقد قال رب الارض والسماء انما يخشى الله من عباده العلماء وقول النبي عليه الصلاة والسلام انا أعرفكم بالله وأخشاكم لله اشارة الى هذا المقام وكلما ضعفت معرفة الخادم بالمخدوم قلت قيمته عنده وهذا أمر معلوم ثم اعلم يا ملكا أعظم ان الجمل الطويل الامل قد اغتر بالملك حين كان في ذرى امنه سدك وأحسن اليه غاية الاحسان وصار في عدم الوفاء كالانسان وحصل له من سورة غضبه الامان فجهل قدره وتعدى طوره وقد قيل

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

فوضع الندى في موضع السيف بالعلى * مضر كوضع السيف في موضع الندى

وقال الله تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وكل نفس لا تحتمل الجميل وحوصلة العصفور لا تسع لقمة الفيل وناهيك ما قد قيل في الاقاويل عن حماقة كل طويل فلا جرم فسد دماغه حين حصل فراغه وتطاولت نفسه في مسراها الى أشياء لا يمكن افشاها ولا يتفوه بها مسلم ولا يرضاها لان ذكرها قبيح والكناية أبلغ من التصريح فلما سمع الاسد هذا المقال علم ببديهة العقل أنه زور ومحال ثم أرسل الى الغراب وذكر له هذا الخطاب ليميز غثه من الصواب ويبين القشر من اللباب فلما أتى الغراب الى حضرته وجلا صورة هذا القول على مرآة فكرته قال له ضميرك المبارك في حل هذا المشكل لا يشارك فانه حلال المشكلات موضح المعضلات وأما أنا فلا أسمع هذا الكلام ولا أقبل في الجمل الملام فاني أعرف تواضعه ومسكنته وصبره وطاعته واخلاصه وقناعته وأنه صادق في محبته مخلص في عبوديته وأعرف ان خوفه من الملك غالب على رجائه وأنه مع ذلك مقيم على سنن وفائه وعقود عهوده وصفائه ولو أراد الذهاب لذهب بسلام ولا في وظيفته قيد ولا في تيرته حطام ثم قال الغراب والغالب على ظن ذوي اللب ان هذه الفتن أصلها وأصلاها الدب لانه قد تقرر وتحقق واتفق كل حكيم موفق انه اذا نقل ناقل محقق عن عاقل ابتدأ بالاحسان اساءة فلا يصدق فالملك لا يبادر في هذه القضية حتى يتبصر الامر عن جليه وحاشاه أن يفرط في خدمة الخاصين من غير ان يتدبر أمورهم بيقين ويختلي بعبده الجمل ويحقق منه أصل هذا العمل بعد استجلاب خاطره وتطييب سرائره وضمائره فاستصوب الاسد هذا الفصل واختلى بالجمل ليقف منه على هذا الاصل وسكن جاشه وازال بلطايف الكلام استيحاشه وشكر في خدمته مساعيه وطلب بملاطفته مراضيه ثم طلب من الجمل تفصيل ما بلغه من جمل وأكد قوله بالايمان أنه لو صدر منه تقصير ونقصان ولو كان مهما كان فانه قد عفا عما هفا ولا يكدر من عيشه ما صفا ولا يعرق رقيق حاشية وفائه بالجفا ولا ينتقد بهفواته ولا يطالبه أبدا بزلاته فلم طالعه على جلية الحال وليذكر ما وقع منه من أقوال وأفعال فافتكر الجمل في معاهدته مع الدب وانه لا يفشي سر ذلك العديم اللب وكيف ينقذه من غضى جرشب وقضاء غمره صب فقال ان قلت أضعت صاحبي وان سكت قصرت في جانبي ثم أختار كتم الاسرار وسلوك طريق الاحرار والوفاء بالعقود وعدم نكث العهود وقال أسعد الله مولانا الذي بوجوده أحيانا اني أتفكر في عواقب الامور وأنظر في تقلبات الدهور وأخشى سطوات السلطان وأخاف من حوادث الزمان فلا ازال من هذا الخيال في انتحال وهزال الى ان صرت الى هذا الحال فان كان هذا ذنبا يوجب العقوبة فان ازالته عن خاطري فهي صعوبة وهذه أوهام لا يمكن دفعها ولا يكلف الله نفسا الا وسعها قال الاسد فهل اطلعت على ما يوجب ذلك أو بدل

فقال له من أنت وأين الغربان فقال أما اسمي ففلان وأما ما سألتني عنه فاني أحسبك ترى ان حالي حال من لا يعلم الامر وفشل لملك البوم هذا وزير ملك الغربان وصاحب رأيه فسأله باي ذنب صنع به ما صنع فقال الغراب عن أمره فقال ان ملكنا استشار جماعتنا فيكن وكنت يومئذ بمحضر من الامر فقال أيها الغربان ماترون في ذلك فقلت أيها الملك لا طاقة لنا بقتال البوم لانهن أشد بطشا واحد قلبا منا ولكن أرى ان نلتمس الصلح ثم نبذل الفدية في ذلك فان قبلت البوم ذلك منا والا هربنا في البلاد واذا كان القتال بيننا وبين البوم كان خيرا لهن وشرا لنا فالصلح أفضل من الخصومة وأمرتهن بالرجوع عن الحرب وضربت لهن الامثال في ذلك وقلت لهن ان العدو الشديد لا يرد باسه وغضبه مثل الخضوع له ألا ترين الى الحشيش كيف يسلم من عاصف الريح للينه وميله معها حيث مالت فعصينني في ذلك وزعمن أنهن يردن القتال واتهمنني فيما قلت وقلن انك قد مالأت البوم علينا ورددن قولي ونصيحتي وعذبنني بهذا العذاب وتركني الملك وجنوده وارتحل ولا علم لي بهن بعد ذلك فلما سمع ملك البوم مقالة الغراب قال لبعض وزرائه ما تقول في الغراب وما ترى فيه قال ما أرى الا المعاجلة له بالقتل فان هذا أفضل عدد الغربان وفي قتله لنا راحة من مكره وفقده على الغربان شديد ويقال من ظفر بالساعة التي فيها ينجح العمل ثم لا يعاجله بالذي ينبغي له فليس بحكيم ومن طلب الامر الجسيم فأمكنه ذلك فاغفله فاته الامر وهو خليق أن لا تعود الفرصة ثانية ومن وجد عدوه ضعيفا ولم يجهز قتله ندم اذا استقوى ولم يقدر عليه فقال الملك لوزير آخر ما ترى أنت في هذا الغراب قال أرى ان

على الالقاء فى المهالك وتضييق المسالك من حركات أفعالى أو من فلتات أقوالى أو تقلبات أحوالى أو نقل اليك ناقل من جاهل أو عاقل فأفحم الجمل عن الجواب وأطرق فلم ينطق بخطأ وصواب فقال الغراب لاينجيك الا الصدق وكشف أستار الريب عن جبين الحق وكان حاضر هذه الفحوى خلد أعمى وهم عنه غافلون وعن استماعه ذاهلون ففى الحال توجه الى الدب وقال صورة ماجرى بتخبير المشترى فعلم الدب انه افتضح وأمره اتضح فنهض وماقعد ودخل على الاسد فرأى الجمل مطرقا لايلوك منطقا فدهش وحار اللسان وخطاف كرة البيان وسابق بالكلام خوفا من الملام وقال بلسان طلق كلام فاجر مختلق اعلم أيها الطويل الابلم أنك لو أمسكت عن كلامك القبيح فى وقتك الفسيح لكان أصوب وأحسن وأعجب لكن لما فهمت بالعبر وأتيت باحدى الكبر وصادمت القضاء والقدر وخنت ولى نعمتك وقصدت اهلاك الملك بقبح شيمتك أزال الله سترك وأبدى أمرك وفضحك وقبحك وبلجام الخزى كبحك لاجرم جوزك حبسك وأغلك العظيم أخرسك فابهت الضرغام من هذا الكلام وشاب الغراب من هذا الامر المشاب ووقعوا فى لاضطراب والشك والارتياب واشتبه الخطأ بالصواب وقالوا ان هذا الشئ عجاب فقال الجمل للدب يافقيد اللب ياقليل النصفه وعديم المعرفه وأنحس أمالك وأنحس سفالك وأنحس بتالك أتظننى خائفا من كلامك وخطابك عاجزا من ملامك وجوابك اما كفى انى قصدت ستر عوارك واطفاء نارك ومفتكر فى تلافى قضيتك واخماد لهيب فتنتك واهماد شرار مصيبتك وعلى تقدير التسليم وانى فهت بالكبير والامر العظيم أكنت معك منفردا ام رأيت بيننا أحدا فان كان بيننا أحد فاحضره الى حضرة الاسد فانى أرضى به وبمايبين ولادافع لى فيمايشهد به ولامطعن وان كنت أنت وحدك فمامنعك عن نصح الملك وصدك فأنت اذا اماخائن واماماثن وهذا أمر محقق بائن ولولا اعانى التى ربطت بها لسانى لكنت أظهرت البرىء والجانى ولكن تحليفى الى الكتم والسكوت ألجانى وسيظهر الله الحق ويفصل وللباطل صولة ثم يضمحل ووالله ماللشمثل مع المسكين الجمل الا امرأة النجار لما أغلقت باب الدار قال أبو الحرث الغضوب اخبرنا ياأبا أيوب كيف كان هذا الحديث لنطلع على هذا الفعل الخبيث (قال) ذكر رواة الاخبار انه كان رجل نجار له زوجة تخجل الاقمار وتكسف شمس النهار كانها الدنيا تخدع بلامع صورتها وتصرع بروائح سيرتها فكانت كلما رقد زوجها وهو تعبان انسابت الى الاخدان انسياب الثعبان فتقضى الليل بانشراح فى عناق وشرب راح الى ان ينفجر الصباح ثم تنثنى عائده فلايستيقظ الزوج الا وهى عنده راقده ففطن فى بعض الاوقات لفعلها وراقب ليلة خيال ختلها فتراقد فى الفراش وذهبت لطلب المعاش فنهض وراءها النجار وأوصد لماخرجت باب الدار واستمرت هى وصاحبها وزوجها مستيقظ يراقبها فلما عادت راجعه وجدت الابواب مانعه فطرقت الباب من غير اكتراث واكتتاب فناداها ياخائنه اذهبى حيث كنت كامنه فقالت استر هذه الذنوب فانى من بعد أتوب فقال لها لا والله الرحمن حتى تفضحى بين الجيران فقالت الموت أهون من الفضيحة فاغفر لى هذه القبيحه وانا أحلف بالودود بالله الرب المعبود انى أتوب ولا اعود ثم الحت عليه وتضرعت لديه فلم يفتح لها بابا ولارد عليها جوابا فقالت والله اللطيف الخبير لئن لم تفتح الباب لالقين نفسى فى هذا البير ولارمينك بقتيل بين الحقير والجليل ثم عمدت الى حجر كبير وطرحته فى تلك البير ثم اختفت عند الباب لتنظر مايبرزه القضاء من الحجاب فلماسمع زوجها خبطة الحجر تصور انها تلك البغى فابتدر وفتح الباب والى نحو البير طفر ولم يشك ان تلك البغى ألقت نفسها فى الطوى فماوصل الى البير ذلك الرجل الغرير الا وقد دخلت وفى وسط الدار حصلت ثم أوصدت الباب واستغاثت بالجيران والاصحاب واحكمت الرتاج وأوقدت السراج وملأت

لاتقتله فان العدو لذليل الذى لاناصر له أهل لأن يستبقى ويرحم ويصفح عنه لاسيما المستجير الخائف فانه اهل لان يؤمن كالتاجر الذى عطف على سارق لمكانة امرأته عنده قال الملك وكيف كان ذلك (قال) الوزير زعموا انه كان تاجر كثير المال والمتاع وكانت له امرأة ذات جمال وان سارقا تسور بيت التاجر فدخل فوجده نائما ووجد امرأته مستيقظة فذعرت من السارق ووثبت الى التاجر فالتزمته واعتنقته وقد كان يوده مالودنت منه يوما فاستيقظ التاجر بالتزامها اياه فقال من أين لى هذه النعمة ثم بصر بالسارق فقال أيها السارق انت فى حل مما أخذت من مالى ومتاعى ولك الفضل بما عطفت قلب زوجتى على معانقتى قال ملك البوم لوزير آخر من وزرائه ماتقول فى الغراب قال أرى ان تستبقيه وتحسن اليه فانه خليق أن ينصحك والعاقل يرى معاداة بعض أعدائه بعضا ظفرا واحسانا ويرى اشتغال بعض الاعداء ببعض ليبلغ خلاصا لنفسه منهم ونجاة كنجاة الناسك من اللص والشيطان حين اختلفا عليه قال الملك وكيف كان ذلك قال الوزير زعموا ان ناسكا اصاب من رجل بقرة حلوبة فانطلق بها يقودها الى منزله فعرض له لص أراد سرقتها وتبعه شيطان يريد اختطافه فقال الشيطان للص من أنت قال انا اللص اريد أن اسرق هذه البقرة من الناسك اذا نام فمن أنت قال أنا الشيطان أريد اختطافه اذا نام واذهب به فانتهيا على هذا الى المنزل فدخل الناسك منزله ودخلا خلفه وأدخل البقرة فربطها فى زاوية المنزل وتعشى ونام فاقبل اللص والشيطان يأتمران فيه واختلفا على من يبدأ بشغله أولا فقال الشيطان للص ان أنت بدأت باخذ البقرة ربما

الدنيا بالعياط وأخذت فى الهياط والمياط فاجتمع الجيران لينظروا ماهذا الشان فقالت هذا الرجل الظالم يتركنى كل ليلة حتى أنام ثم يتوجه الى الزوانى و يدعنى اقاسى القلق واعانى وأتقلب فى ارقى وأشجانى فأخذ الرجل يحلف بالله ذى الجلال و يذكر للحاضرين حقيقة الحال فتارة يصدق وأخرى يكذب وهو بين مصدق منهم ومكذب فلم يزل الافى عويل وصياح الى ان ظهر تباشير الصباح فحضرا الى القاضى ولختصما وشهد بعفة الرجل الصلحاء والعلما واظهر الله الحق وثبت على المرأة الخيانة والفسق ولولا ذلك لذهب البرىء غلطا وانقلب صواب المحق الصادق خطا (وانما أوردت) هذا المثل لتعلم أيها الملك البطل خيانة الدب وبراءة الجمل والرجل اذا عجز عن فعل الشجعان يتشبث بحبائل الشيطان و يستعمل مكر النسوان ونظير هذا النكاد ماوقع بين صادق دمشق وفاسق بغداد وهى قضايا جليلة الابواب طويلة الذيول والاذناب قد دونت فى مجلدة لايسعها هذا الكتاب ففكر الريبال فى هذه الاحوال ثم امر بهما الى الاعتقال وكان للملك سجان ذكى كنيته أبو الحسين واسمه ذكى فتسلمهما واحتفظ بهما فاقاما استقرا فى قبضة الحبس واستمر أمرهما تحت أذيال اللبس توجهت الفارة التى كانت سمعت سر مناجاتهما واطلعت من أول الامر على حكاياتهما الى السجان وهما فى أضيق مكان وسألته عما اذا آل اليه امرهما من شان فاخبرها بحالهما وجهل عاقبة مآلهما وأنه ليس بعالم من المظلوم منهما والظالم فقالت الفاره اسألك ياذا الشطاره والذكا والمهاره اذا ترجح لاحدهما الجانب وتبين الصادق والكاذب وتعين المرضى عنه والمغضوب عليه تطالعنى على ذلك لانظر اليه قال السجان للفاره لقد فهمت عنك بالاشاره وأدركت من فحوى العباره ان لك اطلاعا على هذا الامر وفرقا جليا بين تمره والجمر فان كنت شممت من ذلك روائح فبادرى باداء تلك النصائح فان قولك مقبول ولك الفضل لا الفضول ولا تقصدى بهذا الارشاد الا مصلحة العباد وكشف الغمه وبراءة الذمه وردع الظالم وخلاص ذمة الحاكم قالت الفارة وأنا لا أقصد الا اصلاح ذات البين وشمولها بعاطفة الملك بحيث يصيران كالمحبين ويرتفع النكد ويحصل رضا الاسد ويحسم الضرر والضير وتختم عاقبتهما بخير وأيضا فانى سمعت من العلماء وضبطت من نصائح الحكماء ومقالات ذوى الآراء انهم قالوا اياك والتكلم فى أمور الملك ببيضاء أو سوداء وأين بنت الجرد من ملك الوحوش الاسد قال السجان لاتقولى ذلك ولا تستحقرى جدواك وماترين فى فتواك ودونك القول الصادر من نظم الشاعر الماهر وهو

لاتحقرن الرأى وهو موافق * حكم الصواب اذا أتى من ناقص

فالدر وهو اجل شئ يقتنى * ماحط قيمته هوان الغائص

وان النصيحة كالعسل والحق يصدع كالاسل فالعسل يعطى حلاوة ذوقه سواء كان فى صحاف الذهب أو فى زقه وقاصد الصواب والنصيحه ومن اغراضه لدفع الفساد صحيحه يخاطر بنفسه وماله ويراقب مافيه حسن مآله وأفضل المعروف اغاثة الملهوف سمعت فى المثل السائر أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر وهذا الطور عند ملوك الجور فكيف وملكنا أعدل الحكام وناصر دين الاسلام متصف بمكارم الاخلاق والشيم ومعاملة الكبير والصغير بالمراحم والكرم فان كنت تدرين بجهة الانتفاع أولك على قضايا الدب والجمل اطلاع فقومى وانصحى وقولى تفلحى كما فعل الوزير المنتخب مع كسرى فى حالة الغضب فسألت الفاره هذا المثل واخباره (قال) أبو الحسين السجان ذكر انه كان لانوشروان زوجة فاقت النسوان بخجل قدها الاغصان وخدها البدر حيث لانقصان كان أبوها من السلاطين وملوك الاساطين وكان أنوشروان قتل أباها وأخاها واتخذها لنفسه واصطفاها وكان مشغوفا بحبها متخوفا من ضربها لئلا تتذكر قتيلها فيستولى طلب الثار عليها فلم يزل متحرزا من أفعالها مراقبا تقلب أحوالها

استيقظ وصاح واجتمع الناس فلا اقدر على اخذه فانظرنى ريثما آخذه وشانك وماتريد فاشفق اللص ان يبدأ الشيطان باختطافه ربما استيقظ فلا يقدر على اخذ البقرة فقال لا بل انظرنى انت حتى آخذ البقرة وشانك وماتريد فلم

يزالا فى المجادلة هكذا حتى نادى اللص أيها الناسك انتبه فهذا الشيطان يريد اختطافك ونادى الشيطان أيها الناسك انتبه فهذا اللص يريد ان يسرق بقرتك فانتبه الناسك وجيرانه باصواتهما وهرب الخبيثان قال الوزير الاول الذى أشار بقتل الغراب أظن أن الغراب قد خدعكن ووقع كلامه فى نفس الغبى منكن موقعه فتردن ان تضعن الرآى فى غير موضعه فمهلا مهلا أيها الملك عن هذا الرأى ولا تكونن كالنجار الذى كذب بما راى وصدق بما سمع وانخدع بالمحال قال الملك وكيف كان ذلك (قال) الوزير زعموا أنه كان رجل نجار وكان له أمراة يحبها وكانت قد علقت رجلا وعلم النجار بذلك حين أخبره به من صدوق أمين لكنه أحب أن يرى ذلك عيانا ليقابل امرأته بحق فقال لها أريد الذهاب الى قرية كذا وهى منا على فراسخ لبعض عمل السلطان فاعدى لى زادا ففرحت المرأة حيث يذهب ويخلو وجهها لخليلها ثم لما أراد الخروج قال لامرأته استوثقى من الباب والمعرف واراها انه يخرج وعطف الى مكان خفى خلف الباب فاختفى فيه

(١٩ - فاكهة) فانسل فدخل البيت الذى فيه مرقده واختفى تحت السرير ثم ان المرأة أرسلت الى خليلها ان ائتنا فاتاها وخلا بها على فراش زوجها طول ليله ثم ان النجار غلبه النعاس فنام فمد رجله فخرجت من تحت السرير فلما رآها زوجته عرفتها فايقنت

فاتفق أنه كان جالسامعها على السرير وحولهـما من الجوارى الحسان كل بدرمنير وظبي غرير فدقت نفسـه اليها فديده ووضعها عليها فنظرت الى الجوارى فرأت اعينهن اليها ناظره فصارت بين طرفى الانقياد والامتناع حائره وكانت قد سمعت من أبيها مارأته من أقار بها وذويها معنى ماقيل

وانى لاستحى من النرجس الذى * يراقبنا انى أقبل من أهوى

فخطر ببالها انه اذا استحى من عيون النرجس وهى جامـده فكيف لاأستحى من عيون انسان فى مراقبتنا غير راقده فغلبت عليها الحيره وان جدع الحلال انف الغـيره فانكمشت من كسرى وزادها الحياء والهيبة انقباضا وكسرا فجذبها بقوته اليه فانفلتت منه لما استعصت عليه فوقع عن سريره العالى وعلا خلفه النمرى الغالى وتبسم بعض تلك الجوار من غير اختيار فاضطرب لما اضطرم فيـه النار وتذكر ما كان توهمه من أخـذ الثار وفاردم قلبه لما غار فدعا وزيره الكبير ودفع اليـه ربة السرير وأمره بازهاق نفسها واسكانها فى رمسها من غير مراجعه ولا شفاعة ولا مدافعه فحملها الى منزله ووقع فى صعب الامر ومشـكله ولم ير بدا من امضاء مرسومه وامتثال أوامر مخدومه ثم تدبر فى المـآل ونادته ربة الجمال مهلا أيها الوزير الناصح المشـير ذو الرأى والتـدبير هبنى انى أخطأت وعن مرضات الملك أبطأت فـا ذنب الذى فى بطنى المودع من الملك ولم يجنى فلا بأس انك تستشيره فانك ناصحه ومشيره وان كان لابد من قتلى واسـتقر الرأى على تبلى و بتلى فاستمهله الى ان أضع ثم تهلك لام وتبقى التبيع فانه كان يعطى النذور والاموال ويطلب الولد فى ظلمات الليال ويدعو بذلك ربه ذا الجلال فعرض الوزير على الملك ذلك فابى واستعمل فى ضروب بضرب به أحـد عبارة وترفق فنبا فعرف ان اخلاقه ثائره وانه لابد ان تطفأ تلك الثائره فاذابرد قلبه وهمد كربه يطالبه بالفرع ان لم يطالب الاصل و بعد القطع لايمكن الوصل كما قيل

طوى الموت مابينى و بين أحبتى * وليس لما تطوى المنية ناشر

فرأى الوزير الرأى فى التأخـير فأودعها عند الحريم وسلك فى الحزم الرأى القويم وجعل نفسـه لها وقايه الى ان أخذت مدتها النهايه فوضعت ولدا ذكرا غصن بان مثمر قمرا فقام الوزير بتربيته واصلاح رضاعه وأغذيته الى ان بلغ سبع سنين وهو كبدر الافق المبين مربى بالدلال مغذى بالكمال فكانه فيه قيل

جبين تحاز الشمس من لمعانه * وقد يغار الغصن من حركاته * وخد تعالى الله است مثلها
ولا مثمر كأضداده فى صفاته * رمى مهـجة المضنى باسهم لحظه * فنام عليلا وهو فى سكراته

فركب كسرى فى بعض الاوقات وخرج يصطاد فى بعض الجهات فتبدد العسكر وصار كالحجيج اذا نفر ووقع كسرى فى ناحية عن العسكر منفردا فصادف غزالين يسوقان ولدا و يذكران فى ذلك القاع ماقاله عدى ابن الرقاع

تزجى أغن كان ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

فهـجم عليهما ودنا اليهـما فلما قصـدهما تركا ولدهما ففوق السهم الخفيف نحو الخشف الضعيف فلما رأت أمه السـهم داخلها الوله والوهم فقصـدت السهم دون ولدها واسـتقبلت نصل كبد القوس بكبدها فأراد اطـلاق السـهم من الكبد ليصيب به نحر أم الولد فاعترضه الفحل بصـدره وتلقاه دون نحرها بنحره وجعل نفسه وقاية لام ولده وفداهما بروحه وجسده فتذكر كسرى ولده وأمه وضاعف حزنه عليهما اهـمه وغمـه وتذكر ماسلف منه فى حق زوجته وماعاملها به حين وقع من الغضب فى سورته وتأمـل ماقابلتـه فى حق قرة مهـجته وما أجاب فى ذلك الى ان وردت الى المهالك وقال اذا كان هـذا الحيوان البائم المائق حمى حقيقته برمحه كحماة الحقائق فلم لم يفعل ذلك الحيوان الناطق ثم فاضت دموع عينيه فرمى القوس والسـهم من يديه ورجـع متفكرا وعلى مافرط منه متحسرا ودعا الوزير الناصح

بالشر فقالت لخليلها اسلنى وارفع صوتك وقل أيما احب اليك زوجك او انا فسألها فقالت مايضطرك الى هذه المسئلة الم تعلم انا معاشر النساء انما نريد الاخلاء لقضاء الشهوة فقط ولا نلتفت الى ١٤٦ احسابهم ولا انسابهم ولا الى مايتغير من أمورهم وأما الزوج فهو بمنزلة الوالد والاخ فقبح الله امرأة لايكون زوجها عديل نفسـها ولا متعنك بعد هذا بالذة فلما سمع زوجها كلامها رق لها وأخـذته الرحمة وغلبته الغيرة ووثق منها بالمودة ولم يبرح مكانه حتى أصبح وايقن ان الرجل قد ذهب ثم خرج من تحت السرير فوجد امرأته نائمة فقعد عند رأسها يروحها فلما انتبهت قال لها ياحبيبة قلبى نامى فقد بت ساهرة ولولا كراهة مايسوءك لكان بينى و بين ذلك الرجل خطب وأمر شديد * وانما ضربت لك هذا المثل ارادة ان لاتكون كذلك النجار الذى كذب بما رأى وصـدق بما سمع فلم يلتفت الملك الى قوله وأمر بالغراب ان يحمل الى منازل البوم و يكرم و يستوصى به خـيرا ثم ان الغراب قال للملك يوما وعنـده جماعة من البوم وفيهـن الوزير الذى أشار بقتله أيها الملك قد علمت ماجرى عـلى من الغربان وانه لايستريح قلبى دون أخـذى بثارى منهن وانى قد نظرت فى ذلك فاذا انى لا اقدر على مارمت لانى غراب وقد روى عن العلماء أنهم قالوا من طابت نفسه بان يحـرقها فقد قرب لله أعظم القربان لايدعو عنـد ذلك بدعـوة الا استجيب له فان رأى الملك أن يامرنى فاحرق نفسى وأدعو ربى ان يحولنى بوما فاكون أشد عداوة واقوى باسا على الغربان لعـلى انتقم منهن قال الوزير الذى أشار بقتله ما أشبهك فى خير ماتظهر وشر ماتخفى الا بالخمرة الطيبة الطعم والريح المنقع فيها السم أرأيت لو أحرقنا جسمك بالنار المجين

الجبر والمستجير وذكر له ذلك النكد ومارآه من الغزالين والولد وتحرق على فقد حظيته وتألم لمصاب فلذة كبدته فدعا له الوزير وقال الصبر نعم النصير كان قد سبق مني اشاره ولكن المفرط أولى بالخساره الصديق الصادق والرفيق الموافق يقول ما أصنع نصحت فلم يسمع والخبيث المنافق والحسود المماذق يقول أردت أن أقول ولكن تركت الفضول ولا حيلة للملك والوزير فيما جرى به قلم التقدير ثم دعاله وانصرف وعيّ حلامن الهدايا والتحف وألبس ابن الملك أفخر ملبوس وجهزأمه كما تجهز العروس وأضاف الى ذلك من المراكب الملوكيه والخدمات السلطانيه وأقبل بهما اليه وعرض كل ذلك عليه وقال ياملك الزمان أنا رأيت هذا اليوم في ذلك الاوان وعلمت ان الندم سيعم من الرأس الى القدم وها قد قدمت اليك من التحف الدر مع الصدف والورد والزهر والغصن والثمر والفرع والشجر والشمس والقمر متعك الله بهما ومتعهما بك وحرس من الاسواء منيع حومك وجنابك فانجبر بذلك كسرى ونال بشرى ويسرى وطاب سيرا ومسرى وشرح صدره وانشرح واغمي عليه من شدة الفرح وأنشد

طفح السرور على حتى انه * من عظم ما قد سرني أبكاني

ياعين قد صار البكا لك عادة * تبكين من فرح ومن أحزان

ثم أمر ببساط السرور وجلس في النشاط والحبور وأنشد

أهلا وسهلا بالتي * جادت على بمهجتي * أهلا بها وبوصلها

من بعد طول الهجرة * ادر المدام وغنني * أهلا وسهلا بالتي

ثم أفاض خلع الانعام والرضا والاكرام على الوزير وشكر له حسن التدبير وارتفعت عنده منزلته وتضاعفت في الارتقاء مرتبته (وانما أوردت) هذه الامثال لتحذي على هذا المثال فان كان عندك ما يزيل الشك والاغاليط ويحق الحق ويميز الاخاليط فان في ابدائها منة عظيمة ونعمة على الملك جسيمه ستبلغني بذلك العيش الهني وترقيني به الى المقام السمي السني وان أخرت النصيحه فقد شاركت الخائن في الافعال القبيحه قالت الفارة ما أدق ما نظرت وأحق ما أشرت لا تردد للعقل في صحة هذا النقل ولكن من أنا في الرقعة ومن يقبل للفارة حتى تطلب الرفعه فلا أنا في العير ولا في النفير واني من مبدا أمري وطول عمري في زوايا الخمول أنحرز من فضلات الفضول لا لصحبة الملوك لي موزجيله ولا في طريقة السلوك سيرة نبيله لا امينة ولا ثقه وأصدق أسمائي الفويسقه فكيف اصير مصدقه وقد اباح سيد العرب والعجم معدن اللطف والكرم والمبعوث بمكارم الاخلاق والشيم صلى الله عليه وسلم قتلي في الحل والحرم فلو طلبت مصاحبة من فوقي لخرجت عن دائرة طوقي وصيرت نفسي ضحكة للناظرين وهزأة للساخرين خصوصا ملك الاسود وسلطان الوحوش من النمور والفهود ورحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد طوره ومن أعجب العجب ان يجنى من الشوك العنب ولو فعلت ذلك لكنت كقرد حالك ذميم هالك ادعى رياسة الممالك ومن أحسن الامثال ما يقال ان السلطان للانام بمنزلة الحمام البعيد عنه يطلب قربه والداخل فيه يشكو كربه فالاليق بحالي ان لا أشغل بالي الخالي بما لا يليق بي ولا بامثالي وحيث اشرت علي باداء النصيحة وبيان الحالة الفاسدة من الصحيحة طلبا لمرضاة الملك وصونا لخاطره عن الامر المشتبه المشتبك والمكر المريب المرتبك فانا امتثل مرسومك واودع ذلك معلومك بشرط ان لا تذكرني بشفه ولا تشير الى اسمي بنكرة ولا معرفه فعاهدها على ما اشترطت فمدت لسان القول وبسطت ثم ذكرت ما جرى بين الدب والجمل من فصول وقررت براءة ساحة الجمل بالمعقول والمنقول فلما اتضح لابي الحصين السحاب نزاهة عرض الجمل وان الدب هو الذي اغراه على قصد الاسد وحمل وتحقق ذلك بالبرهان القاطع والدليل

كان جوهرك وطباعك متغيرة ألبست أخلاقك تدور معك حيثما درت وتصير بعد ذلك الى أصلك وطويتك كالفارة التي خيرت في الازواج بين الشمس والريح والسحاب والجبل فلم يقع اختيارها الا على الجرذ قيل له وكيف كان ذلك قال زعموا أنه كان ناسك مستجاب الدعوة فبينما هو ذات يوم جالس على ساحل البحر اذ مرت به حدأة في رجلها درص فارة فوقعت منها عند الناسك وأدركته لها رحمة فأخذها ولفها في ورقة وذهب بها الى منزله ثم خاف أن تشق على أهله تربيتها فدعا ربه أن يحولها جارية فتحولت جارية حسناء فانطلق بها الى امرأته فقال لها هذه ابنتي فاصنعي معها صنيعك بولدي فلما بلغت مبلغ النساء قال لها الناسك يابنية انك قد أدركت ولا بد لك من زوج فاختاري من أحببت حتى أزوجك به فقالت أما اذا خيرتني فاني أختار زوجا يكون أقوى الاشياء فقال الناسك لعلك تريدين الشمس ثم انطلق الى الشمس فقال أيها الخلق العظيم لي جارية وقد طلبت زوجا يكون اقوى الاشياء فهل أنت متزوجها فقالت الشمس انا أدلك على من هو اقوى مني السحاب الذي يغطيني ويرد حر شعاعي ويكسف اشعة أنواري فذهب الناسك الى السحاب فقال له ما قال للشمس فقال السحاب وانا أدلك على من هو أقوى مني فاذهب الى الريح التي تقبل بي وتدبر وتذهب بي شرقا وغربا فجاء الناسك الى الريح فقال لها كقوله للسحاب فقالت وأنا أدلك على من هو أقوى مني وهو الجبل الذي لا أقدر على تحريكه فمضى الى الجبل فقال له القول المذكور فاجابه الجبل وقال له أنا أدلك على من هو أقوى مني الجرذ الذي لا استطيع الامتناع منه اذا خرقني واتخذني مسكنا فانطلق الناسك الى الجرذ

فقال له هل أنت متزوج هذه الجارية فقال وكيف أتزوجها وتجري ضيق وانما يتزوج الجرذ الفأرة فدعا الناسك ربه أن يحولها فأرة كما كانت
وذلك برضا الجارية فأعادها الله الى عنصرها الاول فانطلقت مع الجرذ فهذا مثلك أيها المخادع فلم يلتفت ملك البوم الى ذلك القول
ورفق بالغراب ولم يزدد له
الا كراما حتى اذا طاب
عيشه ونبت ريشه واطلع
على ما أراد أن يطلع عليه
راغ روغة فأتى أصحابه بما
رأى وسمع فقال للملك انى
قد فرغت مما كنت أريد
ولم يبق الا ان تسمع وتطيع
قال له انا والجندي تحت
أمرك فاحتكم كيف شئت
قال الغراب ان البوم بمكان
كذا في جبل كثير الحطب
وفي ذلك الموضع قطيع من
الغنم مع رجل راع ونحن
مصيبون هناك نارا ونلقيها
في اثقاب البوم ونقذف
عليها من يابس الحطب
ونتراوح عليها ضربا باجنحتنا
حتى تضطرم النار في الحطب
فمن خرج منهن احترق ومن
لم يخرج مات بالدخان موضعه
ففعل الغربان ذلك فاهلكن
البوم قاطبة ورجعن الى
منازلهن سالمات آمنات
ثم ان ملك الغربان قال
لذلك الغراب كيف صبرت
على صحبة البوم ولا صبر
للاخيار على صحبة الاشرار
فقال الغراب ان ما قلته أيها
الملك لكذلك ولكن العاقل
اذا أتاه الامر الفظيع العظيم
الذي يخاف من عدم تحمله
الجائحة على نفسه وقومه لم
يجزع من شدة الصبر عليه
لما يرجو من ان يعقبه
صبره حسن العاقبة وكثير الخير فلم يجد لذلك الماولم تكره نفسه الخضوع لمن هو دونه حتى يبلغ حاجته فيغتبط بخاتمة أمره وعاقبة
صبره فقال الملك أخبرني عن عقول البوم قال الغراب لم اجد فيهن عاقلا الا الذي كان يحثهن على قتلي وكان حرضهن على ذلك مرارا فكن

الساطع توجه الى حضرة الاسد واخبره بما صلح من الامر وما فسد وانه انما تأخر عن خدمة مخدومه
ليصل الى ما في جيب الغيب من مكتومه فلما تحقق الليث ما في هذا الامر من صلاح وعيث ومن هو الصالح
من الدب والجمل والطالح ارسل الى الغراب وعرض عليه هذا الامر العجاب وطلب منه الارشاد الى هدم
ما بناه الدب من الايقاع وشاد فقال الرأي عندي ان تجمع العساكر وتنادي للبادي والحاضر ويحضر
الدب والجمل ويعرض على الجميع هذا العمل فاذا ظهر الحق وانكشف سجاف الباطل عن جبين الصدق
وتبين الظالم من المظلوم وتعين الصحيح من المثلوم يرى رأيك السعيد ما يقتضيه ويسلك ما يأمر به ويرتضيه
ويجري على كل منهما ما يحكم بتنفيذه وعضيه بحيث لا ينتطح في ذلك عنزان ولا يختلف عليك فيه اثنان
فلما كان ثاني يوم أمر الاسد بجمع القوم واحضار الجمل البري والدب المفتري فحضر الكبير والصغير
واجتمع الامير والوزير ثم علا الملك على السرير وأثنى على الله العلي الكبير وصلى على البشير النذير
الشاهد السراج المنير ثم ذكر ما أهمه من هذه القضية المغمه وذكر فضل هذه الامه وما لها من رقة
وجلاله وانها لا تجتمع على ضلاله ثم قال ما تقولون في رفيقين شفيقين صديقين لم يكن بينهما سبب مكالحه
ولا موجب منازعة ولا مجالحه سوى المحبة الملجحة والممالحه والمودة الصافية الصالحه يبيتان في فراش
ويستعينان على حسن المعاش حسد أحدهما رفيقه وخان من غير سبب صديقه وسعى في اراقة دمه
وعدم وجوده بوجود عدمه فماذا يجب على هذا الحاسد المنافق في عمله الفاسد الطالب ترويج باطله
الكاسد وقصده ذلك البري الصالح الغافل السري والسعي به الى الحكام والقائهم بسببه في الآثام
وارتكاب هذه الجرائم وتحمل مثل هذه العظائم فاجاب الجمهور ان من أكبر الكبائر قول الزور وقد
قال رب الكائنات ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم
وان مرتكبه الاثيم استوجب العذاب الاليم ومن هو هذا الجري الكذاب المفتري الذي يرتكب مثل
هذه الامور الهائله والكبائر الوخيمة القاتله والعظائم المؤذية الغائله خصوصا في مثل هذه الدولة العادله
ولاي شئ يؤخر جزاؤه ولا يحسم داؤه ولا يضرب ولا يشهر ولا يؤمر بالمعروف في هذا المنكر قال الاسد
فاكتبوا بما قلتم محاضر وليعلم الغائب الحاضر حتى اذا وقع الاتفاق بين الاصحاب والرفاق وارتفع في ذلك
النزاع والشقاق وأجمع على ذلك العقل والسمع فعلنا فيه ما يقتضي السياسة والشرع فاتبعوا شروطهم
وكتبوا بذلك خطوطهم فعند ذلك طلب الاسد أم راشد وأقامها في ذلك المحفل الحاشد واستنطقها بما تعلم
واستشهدها على الدب بما أجرم فشهدت في وجهه بما سمعت ورقمت بذلك خطها ووضعت وزكاها
الحاضرون وشهد بعفتها وزهدها الناظرون واتفقت الكلمة من الكملة على صدقها وحقيقة نطقها
فتهلل وجه الجمل بهذا القول والعمل وظهرت على صفحات وجه الدب العديم الدين واللب علامة
الانكسار والفضيحة والخسار ولم يسعه الا أنه اذعن واعترف ان لا دافع له في الشاهد ولا مطعن وانه
قد اجترم وطلب العفو والكرم فعند ذلك غضب الرئبال ولم يبق للعفو مجال فزأر وزفر وغضب
الغضنفر وهمر وزمجر وتطاير من أشداقه الزبد ومن عينيه الشرر ومن شمائل حركاته ممضيات القضاء
والقدر ونعوذ بالله من غضب الملوك خصوصا على الفقير الصعلوك ومن أحاطت به أوزاره وقلت أعوانه
وفات أنصاره ثم أمر الاسد بالدب ان يلقى من البلاء في جب وان السباع تحتوشه والضباع تنوشه
في الحال من غير اهمال ولا توان ولا امهال تنهشه الذئاب وافترسته الكلاب وتخاطفته النمور
وتناهشته البيور والتقمته السباع والتهمته الضباع فقطعوه وبضعوه ووزعوه ومزعوه وخزقوه
وحرقوه وخرقوه ومزقوه ولم يكتفوا بعظمه واهابه حتى لحسوا من دمه يابس ترابه وكان قد اشتد

بهم القرم فاطفؤا بلحمه ودمه بعض الضرم وزال عن أبي أيوب الضر وارتفعت منزلة ذلك الحر وضاعف لله تعالى عن براءة ساحته أنواع الحمد والشكر * وفائدة هذا المثل الجاري بين الدب والجمل معرفة فضيلة الامانه وو خامة المكر والخيانه فان الله تعالى غير مضيع أهله ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله كما قيل

لا بناء هذا الدهر في الغدر أسهم * وضرب خيانات وطعن مكيدة

وما للفتى منها طريق سلامة * سوى ترس تفويض لرب البرية

وكل امرئ رهن بنيته وفي * كفالة ما ينوي وما في العقيدة

(ولنكن) هذا آخر باب الاسد الصالح والجمل الامين الناصح والعاقبة للمتقين والله الموفق والمعين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خير الخلائق أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(الباب التاسع في ذكر ملك الطير العقاب والجملتين الناجيتين من العقاب)

(قال) الشيخ أبو المحاسن من هو لثوب الفضل كاس ولكاس الظرف حاس وفي حدائق الادب أزكى آس ولاحداق الادباء أذكى آس وفي عيون الاعداء أنكى آس فلما أنهى الحكيم حسيب كلامه الذي استعبد درر النسيب وذكر من النصائح والحكم عن ملوك العرب والترك والعجم ومن مباحث الجن والانس ما حصل للسامعين به النشاط والانس ثم استطرد الى فوائد البهائم والوحوش ورقم في دار ضرب البلاغة من حسن الصياغة والرقوش ما نقده من زواهر كلامه على سكة دينار الفصاحة أحسن النقوش وعقد بجواهر نظامه لمفرق العدل في دار الملك اكليل العروش افتخر أخو القبيل بوجوده وقدمه على جميع خواصه وجنوده وأفاض على حدائق آماله زلال احسانه وجوده وقال له يا نديم الدير وعديم الضير وقديم المير ومديم الخير قد أفدت حكم سائر الحيوان فكرر علينا من حكم منطق الطير فابتهج الحكيم في الساعه وانتهض ملبيا بالسمع والطاعه ثم انه قال أدام الله ذو الجلال أيام مولانا الامام وشمل بذيل رأفته الخاص والعام بلغني انه كان في ممالك اذربيجان جبل يسامي السماك في السمو ويعالي الافلاك في العلو غزير المياه والاشجار كثير النبات والثمار وفي ذيله شجرة قديمة منابتها كريمة أغصانها مهدلة وثمارها مسبلة كما قيل

وفي أصلها وكر لزوج من الحجل * كأنهما رضوان ألبسها الحلل

هو وطنهما المألوف ومقرهما المعروف ورثاه من أسلافهما وهو في الشتاء والصيف مرجع ايلافهما يدعى الذكر منهما النجدي والانثى غرغرة بنت السعدي وذلك الجبل جبل مغاون من جهة الشرق يسمى القارن لو قصد البدر دوره أو رفع رأسه لينظر سوره أو يحل فيه شعاعه ونوره لوقع عن قبة رأسه طرطوره في قلته سرير عقاب منيع الجناب هو ملك الطيور والجوارح وسلطان السوانح والبوارح وصافات تلك القلال وكواسرها تيك الجبال كلها تحت أمره العادل العال متوج فوق رأسه بأكليل ما يبرزه من مثال فكانت الحجلتان كلما فرختا وقاربت افراخهما الطيران عزم أبو الهيثم الكاسر بما معه من عقابين كواسر وجوارح الطيور ومن تحت أمره من الجمهور على التنزه والاصطياد فتحيط عساكره بتلك النواحي والبلاد فكانوا كلما وطئوا اربوة مهودها وسلكوا ما بين أكنافها او بطونها ونهودها تصل طراشة العساكر الى الجبل الذي فيه وكر الحجل فتذهب أفراخهما تحت السنابك وتضمحل تحت أقدام أولئك فتقع الحجلتان في النكد والاحزان وبالجهد والمشقة البالغه يخلصان هما من تلك الداهية الشاغله والنائبة الدامغه فلم يزالا في نكد على فقد الولد فافتكرتا في بعض الايام وقد أثر فيهما هذا الايلام فيما هم فيه من النكد لفقد الولد المتجدد على طول الامد فقال النجدي لبنت السعدي قد كبرنا وضاع

اضعف شئ رأيا فلم ينظرون في أمري ويذكرون اني قد كنت ذا منزلة في الغربان واني اعد من ذوي الرأي ولم يتخوفن مكري وحيلتي ولا قبلن من الناصح الشفيق ولا اخفين دوني اسرارهن وقد قالت العلماء ينبغي للملك أن يحصن أموره من أهل النميمة ولا يطلع احدا منهم على مواضع سره فقال الملك ما أهلك البوم في نفسي الا البغي وضعف رأي الملك وموافقته وزراء السوء فقال الغراب صدقت أيها الملك انه قلما ظفر احد بغنى ولم يطغ وقلما حرص الرجل على النساء ولم يفتضح وقل من أكثر من الطعام الا مرض وقل من وثق بوزراء السوء وسلم من أن يقع في المهالك وكان يقال لا يطمعن ذو الكبر في حسن الثناء ولا الخب في كثرة الصديق ولا السيئ الادب في الشرف ولا الشحيح في البر ولا الحريص في قلة الذنوب ولا الملك المختال المتهاون بالامور الضعيف الوزراء في ثبات ملكه وصلاح رعيته قال الملك لقد احتملت مشقة شديدة في تصنعك للبوم وتضرعك لهن قال الغراب انه من احتمل مشقة يرجو نفعها ونحى عن نفسه الانفة والحمية وطنها على الصبر حمد غب رأيه كما صبر الاسود على حمل ملك الضفادع على ظهره وشبع بذلك وعاش قال الملك وكيف كان ذلك (قال) الغراب زعموا ان اسود من الحيات كبر وضعف بصره وذهبت قوته فلم يستطع صيدا ولم يقدر على طعام وانه انساب يلتمس شيأ يعيش به حتى انتهى الى عين كثيرة الضفادع قد كان يأتيها قبل ذلك فيصيب من ضفادعها رزقه فرمى نفسه قريبا منهن مظهرا للكآبة والحزن فقال له ضفدع مالي اراك أيها الاسود كئيبا حزينا قال ومن احرى بطول الحزن مني وانما كان أكثر معيشتي مما كنت أصيب

العمر وجونا وقاربت شمس عمرنا الافول وأقدام بقائنا أن تزل وتزول (شعر)

وليس لنا من يذكر الله بعدنا * اذا ما انتشبنا في مخاليب فقدنا

ولا من يحيي نشر آثارنا اذا طوى الموت بساط أعمارنا وقد قضينا العمر في الانكاد بفراق الاولاد ثم بعد الحياة ينمحي اسمنا ويندرس بالسكلية رسمنا فلا حياة هنيه ولا أخرى رضيه وأي هناء مع فراق قرة العين خصوصا على وجه المذلة والشين ومالنا نظير في هذا الدهر المبير الا من جمع المال من حله وغير حله وتركه بعد الكد البليغ والحرص الى غير أهله فيصير كما قيل

تؤديه مذموما الى غير حامد * فيأكله عفوا وأنت دفين

ولا طاقة لنا في دفع جيش العقاب ولا حيلة الى الخلاص من عقاب هذا العقاب فذهب أكثر العمر في هذا الويل وأشبهنا النائم على طريق السيل وان غفلنا عن أنفسنا ربما اجتاحونا وطرحونا الى مهالكة تدير علينا من العدم طاحونا فالرأي عندي ان نترك هذا الوطن ونرحل الى مكان لا نرى فيه هذه المحن فانه لم يبق لنا طاقة على فراق الولد ولا قلب يحتمل هذا الحزن والنكد

ذاب قلبي بين دمع وضرم * فارحموني أنا من لحم ودم

وذلك لان المرء يحيا بلا رجل ويد ولا تلقاه يحيا بلا كبد قالت لقد أعربت عما في فكري وشرحت ما كان يجول في صدري وهذه محنة قد اعياني في دائها الدواء وبلاء عمنا فكلنا فيه سواء

المرء يحيي بلا ساق ولا عضد * ولا يعيش بلا قلب ولا كبد * بي مثل ما بك يا حمامة فاندبي

وقد قلت ولم يعرف حرارة ما أعاني * سوى قلب كواه ما كواني

وأنا لم أخل قط في وقت من هذا الفكر الذي أوجبه الهم والمقت واعلم ان سهام آراء العقلاء ونبال أفكار ذوي النظر من الحكماء انما تصدر من قوس واحده وتتوجه الى غرض طريقته غير متعدده وقال العقلاء وأولوا التجارب من الحكماء بل أطبق أرباب العقول وأئمة الدين وأصحاب الاصول ان قضايا العقل كلها صادقه وألسنتها فيما تحكمه بالصواب والاصالة ناطقه غير ان كثيرا ما تشتبه القضايا العقليه لسوء التصور بالقضايا الوهميه فيقع الخطأ بواسطة الوهم في الفهم وينسب الى العقل ذلك السهم والا فاتفاق العقلاء جمعا ان القضايا العقلية لا يقع فيها الخطأ قطعا وان قضايا الحس لوقوع الاشتباه واللبس يتصور انها حق ويقضي لها وعليها بالصدق واذا وقع الخطأ لحصول الاشتباه وعدم التأمل والانتباه في القضايا الحسيه والقضايا التي هي بحاسة البصر مرئيه كما وقع ذلك في حادثة الطريقة البغداديه فوقوع الخطأ بالوهم أولى في القضايا العقليه لان طرقها أخفى وأحكامها معنويه فسأل الذكر عن تلك البغداديه وما هذا الخبر (قالت) كان في مدينة السلام بغداد امرأة من المتخذات اخدان اسم زوجها زيد وهي أم عمرو وذات كيد لها عدة اخدان تدعوا كل بالاخوان وكل ينشد في السر والاعلان قوله

دعتني أخاها أم عمرو ولم أكن * أخاها ولم أرضع لها بلبان

فاتفق ان زوجها زيد دعاه أمير البلد الى الصيد فركب معه وسار وخلت منه الديار فتسامع بذلك بعض اخدانها فتوجه منهم طائفة الى مكانها فأول من سبق تاجر ذو شبق فدخل بثياب بيض وشاش رحيض وهيئة نظيفه وصورة ظريفه فأسرع في الدخول ومعه ما يليق من المأكول فتلقته بالترحاب وأخذا في لذيذ الخطاب فما استقر به القرار حتى قرع قارع باب الدار فظنته زوجها وحققته بوجهها فنهض خائفا وتحير راجفا وطلب مكانا يخفيه وكنا يأويه فلم يكن في دارها مخبأ زوارها سوى طقيسي لطيفه يصعد اليها من سقيفه فارشدته اليها فرقي عليها وبادرت الى الاتحاف فاذا هو

من الضفادع فابتليت ببلاء وحرمت على الضفادع من اجله حتى اني اذا التقيت ببعضها الاقدر على امساكه فانطلق الضفدع الى ملك الضفادع فبشره بما سمع من الاسود فأتى ملك الضفادع الى الاسود فقال له كيف كان امرك قال سعيت منذ أيام في طلب ضفدع وذلك عند المساء فاضطررته الى بيت ناسك ودخلت في اثره في الظلمة وفي البيت ابن الناسك فأصبت اصبعه فظننت انه الضفدع فلدغته فمات فخرجت هاربا فتبعني الناسك في أثري ودعا علي ولعنني وقال كما قتلت ابني البريء ظلما وتعديا كذلك ادعو عليك ان تذل وتصير مركبا لملك الضفادع فلا تستطيع اخذها ولا أكل شيء منها الا ما يتصدق به عليك ملكها فأتيت اليك لتركبني مقرا بذلك راضيا به فرغب ملك الضفادع في ركوب الاسود وظن ان ذلك فخر له وشرف ورفعة فركبه واستطاب له ذلك فقال له الاسود قد علمت أيها الملك اني محروم فاجعل لي رزقا اعيش به قال ملك الضفادع لعمري لا بد لك من رزق يقوم بك اذ كنت مركبي فأمر له بضفدعين يؤخذان في كل يوم ويدفعان اليه فعاش بذلك ولم يضره خضوعه للعدو الذليل بل انتفع بذلك وصار له رزقا ومعيشة وكذلك كان صبري على ما صبرت عليه التماسا لهذا النفع العظيم الذي اجتمع لنا فيه الامن والظفر وهلاك العدو والراحة منه ووجدت صرعة اللين والرفق أسرع وأشد استئصالا للعدو من صرعة المكابرة فان النار لا تزيد بجهدها وحرها اذا اصابت الشجرة على ان تحرق ما فوق الارض منها والماء ببرده ولينه يستأصل ما تحت الارض منها ويقال اربعة أشياء لا يستقل قليلها النار والمرض والعدو والدين قال الغراب وكل

حريف

حريف صراف ففتحت الاغلاق وتعانقا تعانق المشتاق فدخل بهيئة زهراء بلباس أخضر وعمامة خضراء ومعه من الحلوى مجمع ومن الزجاج أربع فجلسا يتذاكران الحوادث اذ طرق الباب ثالث فقالت هبط أوجى وجاء زوجى فوثب في وجفه كانه ورقة سعفه فسأل عن مخباه وستر يغشاه فارشدته ربة الكرسي الى طريق الطقيسي فصعد اللاحق ولحق السابق وبادرت الرتاج ربة التاج وأم الازواج فاذا هو أحد الظرفاء وثالث الحرفاء رجل زيات ومعه مجمع سكرنبات فتلقته بالتكريم وأجابته بالتسليم فدخل بثوب أصفر وشاش معصفر فشرعا في الملاعبه والملاطفة والمداعبه فدق الباب رابع الاصحاب فبادر الزيات الفرار وطلب مختفى للقرار فدلته في المفر الى المعهود المقر فصعد اليه ولحق بصاحبيه وتوجهت الى الباب فاذا هو أحد الاحباب وهو رجل قصاب وعليه ثياب سود وخفه المعهود وعلى رأسه مئزر ثمين وبيده خروف سمين فقالت أهلا وسهلا وارفع محلا يا الحبيب النجيب والبعيد القريب فدخلا واشتغلا بالخطاب والتهيا عن رتاج الباب وكان في تلك المحله شخص أحدب ابله يدخل البيوت ويتمسخر فلا يمنع من ذلك ولا يزجر ويلاطفه الاكابر والاعيان ولا يحتجب منه النسوان فمر على باب زيد فرآه لا اغلاق ولا قيد فدخل على غفله ولم يستأذن أهله فلم يشعر ابه الا بعد حلول ركابه فوجم لرؤيته القصاب وخاف من حلول مصاب وتشور وانحرف فقالت له المرأة لا تخف انما هو ابله مسخرة في المحله فأخذوا يتلاطفون ويتمازحون ويتظارفون الى ان قرب الليل وفات النيل فطرق الباب ووصل الزوج بلا ارتياب فلم يشعروا الا والبلاء قد أقبل ومصابهم الاعظم في أكنافهم قد نزل فاختبطوا وانبطوا وانحلت قواهم وارتبطوا وطلب القصاب مخبا فارته للطقيسي دربا وطلب الاحدب من شر زيد المهرب فكان في أرض البيت تنور فنزل فيه وهو مضرور وغطته بغطائه وسترته ببعض وطائه وأراب زيدا الفتح في ابطائه ثم توجهت الى الباب وهي في اضطراب فدخل زيد وهو سكران ومن تأخير فتح الباب غضبان وكان قد تناول مع مخدومه ولعبت بشيخ عقله بنت كرومه فلما نزل عن السرج رأى الزوجة في هرج ومرج فانكر حالها وسأل أهالها فقالت كرهت فقدك وخاطري عندك فلا ذقت بعدك ولا عشت بعدك فقال تكذبين أي دفار بل تسخرين بي أي خار انما أنت في حركه فلا طرح الله فيك بركه فقالت أنت مجنون وأي حركة عندي تكون فشرع في حربها واستطرد من سبها الى ضربها وعزم على تفتيش البيت والاطلاع على ما فيه من كيت وكيت فخشيت أن يخرج أمرها عن دائرة الستر الى لو كان وليت فتداركت التفريط قبل وقوعه وبادرت الى تلافي التلاف بالهيت فتشكت من الاذى وقد تناولها بالضرب والبذا ورفعت يدها الى الدعاء بالندا وقالت الهي وسيدي وسندي ومعتمدي ان كنت تعلم أني مظلومه وبراءة ساحتي عندك معلومه فانزل الي أمثل ملكا من ملائكة رحمتك يخلصها من هذا الظلوم ويكشف ستر هذا السر الموهوم فبادر التاجر بالانتهاض ونزل بثيابه البياض ودخل عليه وقبض على أذنيه وصفعه على خديه وقال اتركها يا ظالم فانك معتد آثم وهي بريه وشمالها زكيه وضربه ضربتين ولكمه لكمتين ثم أم الباب وترك الاصحاب وشرع في الذهاب فلما رأى هذا زيد عرف أنه خديعة وكيد وقال يا أفحش الفواحش وانحس النواحش تريدين خدعي وسحري وخذلي وختري وتبغين بما تبغين ختلي ومكري أو لست بحريف أنه لك حريف ثم زاد في سبها وبادر الى كبها وضربها فقالت يا الهي وسيدي وجاهي ان كنت تعلم ان هذا الاظلم أنكر الحق ورآه وما صدق فانزل عليه ملكا آخر ذا جناح أخضر يأخذ بحقي منه ويكشف سترك عنه فقال الحرفاء وكانوا الظرفاء للصيرفي قم عير مختفى وشدد عليه وأوصل الالام اليه فنهض في

ذلك كان من رأى الملك وأدبه وسعادة جده وانه كان يقال اذا طلب اثنان أمرا ظفر به منهما أفضلهما مروءة فان اعتدلا في المروءة فاشدهما عزما فان استويا في العزم فاسعدهما جدا وكان يقال من حارب الملك الحازم الاريب المتضرع الذي لا تبطره السراء ولا تدهشه الضراء كان هو داعي الحتف الى نفسه ثم لا سيما اذا كان مثلك أيها الملك العالم بفرص الاعمال ومواضع الشدة واللين والغضب والرضا والمعاجلة والاناة الناظر في أمر يومه وغده وعواقب اعماله قال الملك للغراب بل برأيك وعقلك ونصيحتك ويمن طالعك كان ذلك فان رأى الرجل الواحد العاقل الحازم ابلغ في هلاك العدو من الجنود الكثيرة من ذوي البأس والنجدة والعدد والعدة وان من عجيب أمرك عندي طول لبثك بين ظهراني البوم تسمع الكلام الغليظ ثم لم تسقط بينهن بكلمة قال الغراب لم أزل متمسكا بادبك أيها الملك أصحب البعيد والقريب بالرفق واللين والمبالغة والمواتاة قال الملك اصبت وقد وجدتك صاحب العمل ووجدت غيرك من الوزراء أصحاب أقاويل ليس لها عاقبة حميدة فقد من الله علينا بك منة عظيمة لم نكن قبلها نجد لذة الطعام ولا الشراب ولا النوم ولا القرار وكان يقال لا يجد المريض لذة الطعام والنوم حتى يبرأ ولا الرجل الشره الذي قد أطمعه سلطانه في مال وعمل في يده حتى ينجزه ولا الرجل الذي قد ألح عليه عدوه وهو يخافه صباحا ومساء حتى يستريح منه قلبه ومن وضع الحمل الثقيل عن يديه أراح نفسه ومن آمن عدوه ثلج صدره قال الغراب اسأل الله الذي أهلك عدوك ان يمتعك بسلطانك وان يجعل في ذلك صلاح رعيتك ويشركهم

فى قرة العين بملكك فان الملك اذا لم يكن فى ماسكه قرة عيون رعيته فمثله مثل زنمة العنز التى يمصها الجدى وهو يحسبها حلمة الضرع فلا يصادف فيها
خيرا قال الملك أيها الوزير الصالح كيف كانت سيرة البوم وملكها فى حروبها وفيما كانت فيه من أمورها قال الغراب كانت سيرته
سيرة بطر واشر وخيلاء وعجز
وفخر مع مافيه من الصفات
الذميمة وكل أصحابه و وزرائه
شبيه به الا الوزير الذى كان
يشير عليه بقتلى فانه كان
حكيما اديبا فيلسوفا حازما عالما
قلما يرى مثله فى علو الهمة
وكمال العقل و جودة الرأى
قال الملك وأى خصلة رأيت
منه كانت أدل على عقله قال
خلتان احداهما رأيه فى
قتلى والاخرى انه لم يكن يكتم
صاحبه نصيحته وان استقلها
ولم يكن كلامه كلام عنف
ولكنه كلام رفق ولين حتى
انه ربما أخبره ببعض عيوبه
ولا يصرح بحقيقة الحال بل
يضرب له الامثال و يحدثه
بعيب غيره فيعرف عيبه فلا
يجد ملكه الى الغضب عليه
سبيلا وكان مما سمعته يقول
لملكه انه قال لا ينبغى للملك
أن يغفل عن أمره فانه أمر
جسيم لا يظفر به من الناس
الا القليل ولا يدرك الا بالحزم
فان الملك عزيز فمن ظفر به
فليحسن حفظه وتحصينه
فانه قد قيل انه فى قلة بقائه
بمنزلة قلة بقاء الظل عن ورق
النيلوفر وهو فى خفة زواله
وسرعة اقباله وادباره كالريح
وفى قلة ثباته كاللبيب مع اللئام
وفى سرعة اضمحلاله كحباب
الماء من وقع المطر فهذا
مثل أهل العداوة الذين
لا ينبغى أن يغتر بهم وان هم أظهروا توددا وتضرعا * انقضى باب البوم والغربان * (باب القرد والغيلم) * (قال) دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثل الرجل الذى يطلب الحاجة فاذا ظفر بها أضاعها قال الفيلسوف ان طالب الحاجة أهون

ذلك المعلم وبادر الى السلم ونزل اليه ودخل عليه وقال اكفف ياذا العار عن عفيفة الاستار فانما بريه
وعما تظنه عريه ومد يده بكمه وبالغ فى سبه وشتمه ثم خرج من الدار وبالغ فى الفرار فقال ياللدز به
من ذى القحبه الناس بواحد وأنت باثنين وقد جعلت زوجك ذا القرنين ثم أخذ العصا وضربها
ضرب من عصى فقالت يا اله العالمين تعلم ان هذا من الظالمين أمدنى بالملك الاصفر صاحب الدرع والمغفر
والثوب المعصفر يبرئ ساحتى ويهدى راحتى فانى مظلومه وقصتى معلومه فقال الجزار الزيات قم
أرنا الكرامات وقدم صنعتك وهات فنهض الزيات ونزل الى ذلك المقتات وقال أيها اللئيم كف عن
الحريم وارجع عن لوم البرى واقصر أيها الجترى المفترى ثم تناوله بعصاه الى ان آلم قفاه ثم تركه فى
الحركة وخرج هاربا وقصد جانبا فقال زيد يا أوسخ القحاب واوسخ ذوات السباب تعدين حرفاءك
واحدا واحدا وتعرضينهم على صادرا و واردا ثم نهض بالعصا وتناولها مغليا ومرخصا فمادت وآدت
وبادت ونادت الهى هذا لم يعتبر بهلاك تلك الكرام ولم ينزجر بهذا الضرم والايلام فأمدنى بملك النيران
الزبنى الاسود الغضبان يخبره بصدقى ويأخذ منه حقى ويفعل معه ما يجب فان راجيك لم يخب فما تم
القصاب ان زمجر كرعد السحاب وأخذ فى الاضطراب والاصطخاب وأسرع فى السلم الانصباب فلما
سمع زيد العياط والخباط وزماجر الهياط والمياط بهت وأخذه الضراط فدخل عليه فى بغتة وغدره
وتزيا بصورة بشعة منكره وخطف من يده العصا وضربه بها حتى شصا وقال أى أنحس ذميم واتعس
زنيم أما زجرك ونهاك وكفاك من تقدم من الاملاك ايم الله ان لم تتركها وفى مالك ومنالك
تشركها لندمرن ديارك ولنمحون آثارك ثم تركه وذهب وأودعه جمر اللهب فلما رأى الحال نسجت
على هذا المنوال استكان وطلب الامان ومعك عينيه وضم يديه ورجليه وجعل يتأوه من ألم
الضراب وقال كان الدعاء فى هذه الساعة مستجاب ثم قال من شدة كربه وحرقة قلبه الهى ومولاى كما
استجبت دعاءها استجب دعاى وكما أنزلت من السماء لنصرها ملوكها فاخرج لها من الارض عفريتا
ينيكها وليكن ذلك بمرأى من عينى وامامى حتى يسكن قلبى ويبرد أوامى فصادف صاحب التنور حين
سمع الدعاء المذكور والنداء المقبول المشكور حتى طفر من مجثمه كالشواظ المسجور وأقام امام لهوة
المصاب واستعمل من قواعد النحو الرفع والجر والانتصاب ورفع العمودين وأولج المحراب ولا زال
ذلك الامام يتردد فى البيت الحرام وقد نال فى الحرم أمنا حتى رمى الجمرات وأمنى ثم قبل فاها وخرج
مسرعا من ذراها وخلى الدار تنعى من بناها ففتح زيد عينيه وحملق حواليه ثم قال يا أقذر القحاب هكذا
يكون الدعاء المستجاب (وانما أوردت) هذا الكلام والتمثيل لك يا امام ليتبين لكل عالم همام
وليتبصر أولو العقل والافهام الفرق ما بين قضايا الحس والعقل والاوهام وقد شبه العقل بجبل عال عزيز
المنال وكل من قصد الصعود اليه والارتقاء عليه لا يصعده الا من طريق واحده منها وصل منه الى
الفائده وسلوك طريق المعاشرة مع العقلاء وذوى الآراء والاذكياء فى العداوة والصداقه والكدرة
والرياقه واللطافة والكثافه والخوف والرجاء والابتداء والانتهاء انما هو من باب متحد لا من طريق
متعدد ولاجل هذا يا متبصر سلوك مثل هذه الطريق معهم متيسر لا متعوج ولا متعسر ورأس خيط
هذه السموط بالاستقامة والسلاح مضبوط بخلاف الجهال والخلعاء والحمقى والسفهاء فان أمورهم
منفرطه وأفكارهم وآراءهم غير منضبطه فتتكدر خواطر العقلاء فى تعليمهم ويعيا طبيب الفكر فى
تهذيب أحمقهم وتأديب سفيههم وقيل أنى لآمن من عدو عاقل * وأخاف خلا يعتريه جنون
والعقل فن واحد وطريقه * أدرى وأرصد والجنون فنون

ولهذا قيل معاداة العاقل خير من مصافاة الجاهل ثم قالت غرغرة في أثناء هذه القرقرة وأما ما ذكرت من البيان من مفارقة الاوطان وترك هذا المكان اما سمعت حديث أشرف جنس الانسان ان حب الوطن من الايمان وقد ألفنا وطننا وحببه وقلع أصول محبته من قلوبنا صعبه وهو في معزل عن طرق الجوارح ومكمن عن السوانح والبوارح وانما تعرض لاولادنا تلك الآفة من تراكم العساكر المصافة وما يحصل من أقدامها من كثافة وأنا أخاف ان انتقلنا من هذا الوطن يخرج من أيدينا هذا السكن ولا نحصل على مأوى يليق أولا توافقنا الغربة أو يمنع مانع في الطريق فنقصد الربح فيذهب رأس المال فنخسر ما في أيدينا في الحال ولا نحصل المأمول في الاستقبال وكيف وهو مسقط راسنا ومحل انسنا وايناسنا فالاولى بنا الرضاء والانقياد لاوامر القضاء وملازمة الوطن القديم والسكون تحت تقدير العزيز العليم وقد قيل انما يشفى العليل اذا ترك مشتهيات نفسه وقيد متمنياته في قيد حبسه ولابد للمريد من ترك المراد والقانع من قطع النظر عن الازدياد والحرية في رفض الشهوات وكل ما هو آت آت وأما وقائع الاولاد وحصول الانكاد وما يقع منهم بسببهم في كل أوان فنحسبها احدى ما يحدث لنا من نوائب الزمان ونحن بل كل المخلوقات عرضة للنوائب والآفات وطعمة لسنابك المقدور ونهبة لحوادث الدهور ولو انتقلنا عن وطننا وتحولنا عن سكننا وبعدنا عن هذا الجانب ونزعنا عن الاهل والاقارب وجاورنا الاباعد والاجانب لا يطيب لنا مقام وتتكدر أوقاتنا على مر الايام فلا نزال بين تذكر الوطن المالوف وتحنن الى الصاحب المعروف فيسهل عند هذه الانكال مفارقة الاطفال ثم اعلم أيها الصاحب الاعظم انه لو تيسر لنا مع الانتقال انتظام الامور واستقامة الاحوال وحفظت الاولاد وزالت الانكاد وصفا الوقت وزال المقت فان الخاطر يشتغل ونار القلب بسببهم تشتعل فانه من حين وجود الولد يتقيد بتعهده القلب والجسد وتصرف الهمة الى القيام بمصالح معاشه الى حين ترعرعه وارتياشه ويزداد القلب تعلقا بمحبته ويتقيد الخاطر بالالتفات الى عمل مصلحته ويتضاعف ذلك يوما فيوما وشهرا فشهرا وعاما فعاما فان نابه والعياذ بالله نحو ألم أو أصابه ضر أو سقم التهبت عليه الجوارح وانقلبت الهموم على القلب والجوانح فان آل ذلك الى موت واستحال وجوده الى عدم وفوت فهو المصيبة العظمى والطامة الكبرى وان سلم من هذه العاهات وبلغ سن الادراك سالما من الآفات ونجا الى بر الشباب من بحر المخافات ازدادت كلفته وتضاعفت مؤنته وركب والداه في ذلك كل صعب وذلول وذهبا من مسالك الكد والكدح في كل عرض وطول وتحملا أنواع المشاق والآثام وارتكبا فيما اكتسبا أصنافا من الحلال والحرام وهذا اذا كان مطيعا ولاوامرهما منقادا سميعا وأما اذا ركب جموح العقوق ونسي ما لهما عليه من حقوق فهي مصيبة أخرى وداهية كبرى ويصير كما قيل

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوا له ما من صداقته بد

وعلى كل تقدير وأنت بهذا خبير وبدقائقه عليم ان الاولاد بين الابوين وبين الآخرة سد عظيم ما يخلص مع الالتفات اليهم لله طاعه ولا على الانقطاع منهم الى طريق الآخرة استطاعه وناهيك يا ذا الذكاء والفطنه اخبار من أنقذك من هذه المحنه انما أموالكم وأولادكم فتنة فاسمع هذا الكلام باذن التحقيق واسلك في سبر معانيه أوضح طريق وحقق يا ذا الارشاد ان وجود الاولاد عند ذوي البصيرة من النقاد نقد مزيف ومتاع مزخرف وسم تحت حلوى وسرور فوق بلوى وعارية مردوده بعد أوقات معدوده وأيام محدوده بل لعبة من خشب مموهة بالذهب وطلاء من نضار على كوب من نخار وقد نبه على هذا رب العباد بقوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد وكما ان الاطفال

من الاحتفاظ بها ومن ظفر بحاجة ثم لم يحسن القيام بها أصابه ما أصاب الغيلم قال الملك وكيف كان ذلك قال بيدبا زعموا ان قردا كان ملك القردة يقال له ماهر وكان قد كبر وهرم فوثب عليه قرد شاب من بيت المملكة فتغلب عليه وأخذ مكانه فخرج هاربا على وجهه حتى انتهى الى الساحل فوجد شجرة من شجر التين فارتقى اليها واتخذها مقامه فبينما هو ذات يوم يأكل من ذلك التين اذ سقطت من يده تينة في الماء فسمع لها صوتا وايقاعا فجعل يأكل ويرمي في الماء فأطربه ذلك فأكثر من طرح التين في الماء وثم غيلم كلما وقعت تينة أكلها فلما كثر ذلك ظن ان القرد انما يفعل ذلك لاجله فرغب في مصادقته وأنس اليه وكلمه وألف كل واحد منهما صاحبه وطالت غيبة الغيلم عن زوجته فجزعت عليه وشكت ذلك الى جارة لها وقالت قد خفت أن يكون قد عرض له عارض سوء فاغتاله فقالت لها ان زوجك بالساحل قد ألف قردا وألفه القرد فهو مؤاكله ومشاربه وهو الذي قطعه عنك ولا يقدر ان يقيم عندك حتى تحتالي لهلاك القرد قالت وكيف أصنع قالت جارتها اذا وصل اليك تمارضي فاذا سألك عن حالك فقولي ان الحكماء وصفوا الى قلب قرد ثم ان الغيلم انطلق بعد مدة الى منزله فوجد زوجته سيئة الحال مهمومة فقال لها الغيلم مالي أراك هكذا فأجابته جارتها وقالت ان زوجتك مريضة مسكينة وقد وصف لها الاطباء قلب قرد وليس لها دواء سواه قال الغيلم هذا أمر عسير من أين لنا قلب قرد ونحن في الماء ولكن سأحتال لصديقي ثم انطلق الى ساحل البحر فقال له القرد يا أخي ما حبسك عني قال له الغيلم ما حبسني عنك الا حيائي فلم أعرف

كيف أجازيك على احسانك الى وأريد ان تتم احسانك الى بزيارتك لى فى منزلى فانى ساكن فى جزيرة طيبة الفاكهة فاركب ظهرى لاسبح
بك فرغب القرد فى ذلك ونزل فركب ظهر الغيلم فسبح به حتى اذا سبح به عرض له قبح ما أضمر فى نفسه من الغدر فنكس رأسه فقال له القرد

الصغار الغافلين عن دقائق الاسرار اذا نظروا الى اللعبة المزينة والخشبيات المصبغة المستحسنة التهوا بها عن اكتساب الآداب وملازمة العلماء والمشايخ والكتاب فيلعبون وهم جاهلون وعن طرق اكتساب الكمال ذاهلون ويشيبون وهم احداث ويتصورون انهم طاهرون وهم أخباث كذلك كل من التفت الى غير الله خاطره والتهت بامور الدنيا من المال والولد سرائره وضمائره وحرم من الاطلاع على دقائق الملك والملكوت وفاته لذات الوقوف على دقائق الرغبوت والرهبوت فهو عن الله تعالى محجوب وفى عساكر الاموات وان كان حيا محسوب كما قيل

وفى الجهل قبل الموت موت لاهله * وأجسادهم دون القبور قبور
وان امرأ لم يحى بالعلم قلبه * فليس له حتى النشور نشور

قال الله تعالى وكلمته العليا المال والبنون زينة الحياة الدنيا وهذا مريح بالشهادة على ما نقلته وجلوت صدأ قلبك بتقريره وصقلته فلا تكونن لاه ولا تعلقن قلبك بغير الله قولا واعتقادا وعملا فالباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا واجهد يا حبيبى فى اصلاح قلبك السليم واصغ لما قاله الحكيم الحليم متحرزا من نكاية العذاب الاليم عاملا بما يرضى السميع العليم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم واذا علمت هذا وحققته وحررته وصدقته فاعلم ان الاولى بحالنا والاحسن للنظر فى مآلنا أن نعد ما نحن فيه من جملة النعم وان هذا الذى قسم لنا من القسم فى القدم ولا ننتقل عن دائرة الرضا والتسليم قدما عن قدم وننتظر ما يتولد من حوادث الزمان ولا نرخى فى ميدان الطمع العنان ونعرض على جانح الخاطر ما قال الشاعر

كم نار بادية شبت لغير قرى * على بقاع وكم نور بلا ثمر
هون عليك أمورا أنت تنكرها * فالدهر يأتى بأنواع من العبر

قال النجدى جميع هذا المقول صادر من موارد المعقول موافق لما ورد به المنقول لقد غصت فى بحر الفطنة على جواهر الحكمة فما تركت فى ميدان المسائل مقالا لقائل ولا مجالا لجائل ولكن لا ينبغى للعاقل ان يغفل عن حوادث الدهر ولا يستند ظهره لكواذب العصر فان طوارق الآفات وخوارق العادات وصحن الزمان وفتن الدوران محجبة وراء استار ومستورة فى أنواع أطوار والفلك الدوار له فى علم الادوار لعبيات أبكار يبرزها للنظار فتلعب بالافكار ويذهب فى سنا برق مخارتها الابصار ويخطئ فى حركاتها الرأى المصيب ويدهش فى دجى حندسها الفطن الاريب وقد بادت الفكر وعجزت القوى والقدر وحارت عقول البشر دون ادراك ما يبرزه كل وقت من الصور من وراء ستر الغيب مستمد القضاء والقدر ولم يعهد من الدهر الخؤن والزمان الحرون اذا استقام أو قرل أو جد أو هزل أو أمر بنازل فنزل أو ولى أو عزل أو أقبل أو اعتزل أو نقض أو غزل أن يرسل قبل ذلك منذرا أو مبصرا أو محذرا ليستيقظ النائم أو ينهض الجاثم أو يتحرك القائم وانما يحطم بغتة ويهجم فى سكتة ويأخذ على بهتة فلا يملك منه فلتة ولا يمهل الى لحظة ولا لفتة وقد قيل

يا راقد الليل مسرورا باوله * ان الحوادث قد يطرقن أسحارا
لا تركنن الى ليل طاب أوله * فرب آخر ليل أوقد النارا

وعلى هذا لو وقع مناغلة أو ذهول عند قدوم هذا الجيش المهول فالحزم والعياذ بالله واحد منا ونحن أحسن ما نكون سكونا وأمنا فكيف ترى يبقى حال الآخر وهل يصبر الا كما قال الشاعر

ما حال من كان له واحد * يؤخذ منه ذلك الواحد

واذا بقى أحدنا منفردا وانعزل متوحدا ماذا يفيده الوطن والجيران والسكن وهل تفى لذة وصال التى

مالى أراك مهتما قال الغيلم انما همى لانى ذكرت ان زوجتى شديدة المرض وذلك يمنعنى من كثير مما أريد أن أبلغه من كرامتك وملاطفتك قال القرد ان الذى اعرف من حرصك على كرامتى يكفيك مؤنة التكلف قال الغيلم أجل ومضى بالقرد ساعة ثم توقف به ثانية فساء ظن القرد وقال فى نفسه ما احتباس الغيلم وابطاؤه الا لامر ولست آمنا ان يكون قلبه قد تغير لى وحال عن مودتى فاراد بى سوأ فانه لا شئ أخف وأسرع تقلبا من القلب وقد يقال ينبغى للعاقل ان لا يغفل عن التماس ما فى نفس أهله وولده واخوانه وصديقه عند كل أمر وفى كل لحظة وكلمة وعند القيام والقعود وعلى كل حال فان ذلك كله يشهد على ما فى القلوب وقد قالت العلماء اذا دخل قلب الصديق من صديقه ريبة فليأخذ بالحزم فى التحفظ منه وليتفقد ذلك فى لحظاته وحالاته فان كان ما يظن حقا ظفر بالسلامة وان كان باطلا ظفر بالحزم ولم يضره ذلك ثم قال للغيلم ما الذى يحبسك ومالى أراك مهتما كأنك تحدث نفسك مرة أخرى قال يهمنى انك تأتى منزلى فلا تجد أمرى كما أحب لان زوجتى مريضة قال القرد لا تهتم فان الهم لا يغنى عنك شيأ ولكن التمس ما يصلح زوجتك من الادوية والاغذية فانه يقال ليبذل ذو المال ماله فى ثلاثة مواضع فى الصدقة وفى وقت الحاجة وعلى النساء قال الغيلم صدقت وقد

سنه بألم فراق تلك الساعة الخشنة كما قيل

ان كان فراقنا على التحقيق * فذى كبدي أحق بالتمزيق

لو دام لنا الوصال الفي سنة * ما كان يفي بساعة التفريق

(وقال أيضا) لا كان في الدهر يوم لا أراك به * ولا بدت فيه لا شمس ولا قمر

وكل من لم يتفكر في العواقب قبل حلولها و يتأمل في تداركها بقدر الطاقة قبل نزولها و يطمئن الى سكون الزمان ويسند ظهره الى مسند الحدثان و يحيل الكوائن على القضاء والقدر و يرفع يد التدبير عن تعاطي أسباب الحذر كان كمن ترك احدى زاملتيه فارغة وحشا الاخرى من الاحجار الثقيلة الدامغة فأنى يستقيم محمله أو يبلغ منزله فلا يزال حمله مائلا وخطبه هائلا فالعاقل يسعى فيما يظن نفعه و يبذل في ذلك غاية جهده ووسعه ولا يترك الطلب ولا يغفل عن السبب ويعمل بموجب ما قيل

فلو أني لا أدع احتياطي * ومالي في قضاء الله حيله

وعلى كل حال يا ربة الجمال تعاطي الاسباب لا يقدح في الاتكال وناهيك بأمليحا لعمل حكاية الحمار مع الجمل فسألت غرغره ان يبين ذلك و يذكره (قال) بلغني أنه ترافق في المسير بعير مع بعير فكان الحمار كثير العثار مع ان عينيه تراقب مواطئ رجليه وكان الجمل على عظم هامته وعلو قامته و بعد عينيه عن مواطئ يديه و رجليه لا تزل له قدم ولا يصل اليه ألم فقال الحمار للبعير أيها الرفيق الكبير ما بالي في المسير كثير التعثير دائم الوقوع والزلل والعثار والخطل لا أخلو من حجر يدمي الحافر أو عثرة ترميني في حفرة سافر مع ان عيني تراقب يدي ولا تنظر سواهما الى شئ وأنت لا تنظر مواطئ اخفافك ولا تعرف على ماذا تقع رؤس اطرافك لا حجر يصيب خفك ولا شوكة تخرق كفك ولا جوزة تقع فيها ولا تختل عن طريق تمشيها ولا أدري هذا مما ذا قال أبو صابر يا أخي نظرك قاصر وفكرك غير باصر لا تراقب ما بين يديك ولا تنظر ما امامك ألم عليك فاذا دهمك ما دهاك عجزت عنه منهاك فلا تشعر الا وقد وقعت وانخرق ما رقعت فلا يمكنك التدارك والتلاف الا وأنت رهين التلاف وأما أنا فأراقب ما يصير من العواقب وانظر امامي الطريق على بعد فأميز المسالك من قبل ومن بعد فلا أصل الى صعب الا وقد ذللته ولا الى وعر الا وقد سهلته ولا الى وهدة الا وقد عرفت طريقها ولا الى عقبة الا وقد كشفت واسعها ومضيقها فأستعد للامر قبل نزوله وأتأهب للخطب قبل حلوله واحتال لقطعه قبل وصوله واحله قبل ان يعقد وأفهمه دون أن يقعد وهذه قاعدة للفقهاء وأصل كبير للحكماء من العلماء انهم قالوا ان الدفع أهون من الرفع ومن كلام الالباء وأصول حذاق الاطباء قوله

الطب حفظ صحة برء مرض * من سبب في بدن اذا عرض

(وانما) أوردت هذا المثل عن الحمار والجمل لتعلمي يا ست الجمل انه لابد لنا من أخذ الاهبة قبل النكبة فما كل مرة تسلم الجره وقد قرب وقت وضع البيض وبعده يدهمنا من سيل العسكر الفيض فلابد من اعمال الفكر المصيب في وجه الخلاص من هذا الامر العصيب كما قيل * مهد لنفسك قبل النوم مضطجعا *

قالت غرغره الحكيمة المدبره جميع هذه الاخبار لا تخلو عن دقيق الانظار وتحقيق مصيب الافكار وغامض معاني الاسرار وكل عاقل يقبله و يقبل يديه و يمتثله و يقبل عليه وكل فكر مصيب يجثو للاقتباس بين يديه ولكن طلاب الاغراض الدنيويه والمسارعون الى نيل المرادات والامنيه على فرق شتى وانا أفصلها احتماحتى منهم من يبلغ الآمال بقوة الجند و بذل الاموال ومنهم من يساعده الدهر و يعاضده معاون العصر و ينهض له مسعد القدر فيقوم معه كل كبير وصغير كما قيل

ثالث الاطباء انه لادواء لها الا القلب فرد فقال القرد في نفسه واسوأتاه لقد ادركني الحرص والشره على كبر سني حتى وقعت في شرور طمع واشد صدق الذي قال يعيش القانع الراضي مستريحا مطمئنا وذو الحرص والشره يعيش

ما عاش في تعب ونصب واني قد احتجت الى عقلي في التماس المخرج مما وقعت فيه ثم قال للغيلم وما منعك ان تعلمني عند منزلي حتى كنت احمل قلبي معي وهذه سنة فينا معاشر القردة اذا خرج احدنا الى زيارة صديق خلف قلبه عند اهله او في موضعه لننظر اذا نظرنا الى حرم المزور وليس قلوبنا معنا قال الغيلم واين قلبك الآن قال خلفته في الشجرة فان شئت فارجع بي الى الشجرة حتى آتيك به ففرح الغيلم بذلك ثم رجع بالقرد الى مكانه فلما قارب الساحل وثب عن ظهره فارتقى الشجرة فلما ابطأ على الغيلم ناداه يا خليلي احمل قلبك وانزل فقد حبستني فقال القرد هيهات أتظن اني كالحمار الذي زعم ابن آوى انه لم يكن له قلب ولا اذنان قال الغيلم وكيف كان ذلك (قال) القرد زعموا انه كان اسد في اجمة وكان معه ابن آوى يأكل من فواضل طعامه فاصاب الاسد جرب وضعف شديد وجهد فلم يستطع الصيد فقال له ابن آوى ما بالك يا سيد السباع قد تغيرت احوالك قال هذا الجرب الذي قد اجهدني وليس له دواء الا قلب حمار واذناه قال ابن آوى ما ايسر هذا وقد عرفت بمكان كذا حمارا مع قصار يحمل عليه ثيابه وانا آتيك به ثم دلف الى الحمار فأتاه وسلم عليه فقال له مالي ارى السمنة ولا قال ما يطعمني صاحبي شيئا فقال له وكيف ترضى المقام معه على هذا قال فما لي حيلة في الهرب منه فلست اتوجه الى جهة الا اضر بي انسان فكدني واجاعني قال ابن آوى فانا ادلك على مكان

واذا أراد الله نصرة عبده * كانت له اعداؤه انصارا

فيقيض له المساعد ويعضده المقارب والمباعد فلا يحتاج الى كبير سعي ولا في استماع النصيحة ونفعها الى وعي بل يصل الى قصده بدون كده وبغير جهده وجده فهما فعل أنجح ومهما قصد افلح وحيثما توجه اربح واينما مال أرجح ومنهم من يحتاج الى جهد جهيد وسعي مديد وكد طويل عريض وجد عريض غير غريض مع مساعد ناصح ومعاون صالح وتعاطي أسباب وقرع أبواب وفكر دقيق ومسعد رفيق حتى يبلغ مراده ويصل الى ما أراده ومنهم من تغلب عليه العجلة والطمع وشدة الحرص والهلع فيسارع الى نيل ما يرومه فيلقيه في هوة الحرمان حرصه وشومه فيقع من التعب والنصب في هوّه ويحرم لكونه اعتمد على ماله من حول وقوه فيصير كما قيل

الحرص فوتني دهري فوائده * فكلما ازددت حرصا زاد تفويتا

ومنهم من يتمنى ثم يتكاسل ويرجو ويترقب ويتساهل فيحرم مقصده ويرد عجزه عن مراده يده وقد قيل في المثل تزوج التواني بنت الكسل فأولد الزوجان الفقر والحرمان فانظر ياذا الركون والوقار والسكون نحن من اي هذه الفرق نكون وانت تعلم انا لا نقدر على مقاومة العقاب ولا أن ندفع عن انفسنا ما ينزل بنا من عقاب فانه اذا طار العقاب يبلغ الثريا والسحاب ونحن اذا تحركنا في الهوى فلا نقدر ان نرتفع عن وجه الثرى وقد قيل في المثل كما ترى اين الثريا من الثرى وقيل من تعلق بخصم هو أقوى منه فقد سعى في هلاك نفسه برجله ووضع تراب الدمار على رأسه بيده وكنت يا بدري انشدتك من شعري

ومن يتشبث في العداوة كفه * بأكبر منه فهو لا شك هالك

وكان مثاله مثل النملة الخفيفه التي نبتت لها اجنحة ضعيفه فتحركها دواعي الطيران فتتصور انها صارت كالنسور والعقبان فبمجرد ما ترتفع عن الثرى الى الهواء التقمها عصفور أو خطفها اصغر الطيور ولهذا قيل

اذا ما أراد الله اهلاك نملة * اطال جناحيها فسيقت الى العطب

ونحن ما لنا اطلاع على مكامن الغيب فنزه نفسك عن هواجس الريب وليس لنا مساعد من الاقارب والاباعد ولا لنا مال ولا خيل ولا رجال ونحن اقل من ان يساعدنا زمان او يعيننا على العقاب اعوان فلم يبق الا الركون والاتكال على حركات السكون فما ندري غدا ماذا يكون واعلم ان حركاتنا مع العقاب والجامع لنا معه من الاسباب متحدة في الحقيقه وطريقتنا معه من جنس ماله من طريقه وهي الطيريه وكلنا ذاك بها سويه وهو منها كاعجاز القرآن من الفصاحة في الطرف الاعلى ونحن منها كاصوات الحيوان في الطرف الادنى فالاولى بحالنا الاصطبار الى ان يصل لكسرنا من عالم الغيب انجبار كما قيل

مهلا أبا الصقر فكم طائر * خر صريعا بعد تحليق * زوجت نعمى لم تكن كفأها * آذنها الله بتطليق

(وقيل) الامر يحدث بعده الامر * والعسر مقترن به اليسر * وحلاوة الصبيان من عسل

تلهى وان حلاوتي الصبر * والصبر يعقب بعده شكر * من نعمة تأتيك أو أجر

فقال الذكر هذه الفكر من الصواب قريب وسهمها عند اولي البصائر والتجار مصيب ولكن من يتكفل بوفاء العمر الغدار والايصال الى الاوطار ويقوم بالامن من حوادث الليل والنهار وانسيت انشادي في الوادي يا زين النادي وجمال الحاضر والبادي

لئن بادرت في تسليم روحي * اتاني من ورائي من يعوق

وان اسرعت نحو الوصل عذرا * فعمري من ورا ظهري يسوق

ثم قال النجدي والرأي السديد عندي والذي اعيده فيه وابدي ان نتوجه الى حضرة العقاب ونكشف

عن

مهروا عن الناس لا يقربه انسان يخصب المرعى فيه اتان لم تر عين مثلها حسنا أو سمنا وهي محتاجة الى الفحل قال الحمار وما يحبسنا عنها انطلق به ابن آوى نحو الاسد وتقدم ابن آوى ودخل الغابة على الاسد فاخبره بمكان الحمار فخرج اليه فاراد ان يثب عليه فلم يستطع لضعفه وتخلص الحمار منه فافلت هلعا على وجهه فلما رأى ابن آوى ان الاسد لم يقدر على الحمار قال له أعجزت ياسيدي السباع الى هذه الغاية فقال له ان جئتني به مرة أخرى فلن ينجو مني أبدا فمضى ابن آوى الى الحمار فقال له ما الذي جرى عليك ان الاتان لشدة غلمتها وهيجانها وثبت عليك ولو ثبت لها لاذنت لك فلما سمع الحمار بذكر الاتان هاجت غلمته ونهق وأخذ طريقه الى الاسد فسبقه ابن آوى الى الاسد واعلمه بمكانه وقال له استعد له فقد خدعته لك فلا يدركنك الضعف في هذه النوبة فانه ان أفلت فلن يعود معي أبدا فجاش جاش الاسد لتحريض ابن آوى له وخرج الى موضع الحمار فلما بصر به عاجله بوثبة افترسه بها ثم قال قد ذكرت الاطباء انه لا يؤكل الا بعد الغسل والطهور فاحتفظ به حتى أعود فآكل قلبه واذنيه وأترك ما سوى ذلك قوتا لك فلما ذهب الاسد ليغتسل عمد ابن آوى الى الحمار فاكل قلبه واذنيه رجاء ان يتطير الاسد منه فلا يأكل منه شيأ ثم ان الاسد رجع الى مكانه فقال لابن آوى أين قلب الحمار واذناه قال ابن آوى ألم تعلم انه لو كان له قلب وأذنان لم يرجع اليك بعدما أفلت ونجا من الهلكة (وانما ضربت لك) هذا المثل لتعلم أني لست كذلك الحمار الذي زعم ابن آوى انه لم يكن له قلب واذنان ولكنك احتلت علي

وخدعتني لخدعتك بمثل خديعتك واستدركت فارط أمري وقد قيل ان الذي يفسده الحلم لا يصلحه الا العلم قال الغيلم صدقت الا أن الرجل الصالح يعترف بزلته واذا أذنب ذنبا لم يستح أن يؤدب لصدقه في قوله وفعله وان وقع

في ورطة امكنه التخلص منها بحيلته وعقله

عن وجه مراده لديه النقاب ونطلب منه الامان من عوادي الدهر ونكبات الزمان ونستظل بجناح عاطفته وننتظم في سلك جماعته وخدمته فانه ملك الطيور وبيده ازمة الجهور وهو وان كان سلطان الجوارح والكواسر وشيمته سفك الدماء والتمزيق بمخالبه النواسر لكنه ملك عالي الهمه ومن شيم الملوك الشفقة والرحمه ولا تقتضي همته العاليه الا الشفقة الوافيه خصوصا على من يرتمي لديه وينتمي اليه ولا تدعه شيمته الابيه وهمته العالية الجبه وشمائله الشهمة الملوكيه ان يتعرض الينا بضرر او ان يطير الينا منه شرر قالت فرغره بعد الاستغراب في السكر كره العجب كل العجب من رأيك المنتخب انك تخلط منه الغث بالسمين وتسوق فيه الهجان مع الهجين فتارة تصيب حدقة الغرض واخرى تصرف السهم حيث عرض فتصير كما قيل

تلونت حتى لست أدري من الهوى * أريح جنوب أنت أم ريح شمأل

هذه المصائب التي نشكوها والنوائب التي نقرأ سورها ونتلوها هل هي غير ما نقاسيه من العذاب ونعانيه من أليم العقاب في لحظة من ملاقاة عسكر العقاب ثم انك أنت تحركت في آرائك وسكنت وشرقت في أفكارك وغربت وتباعدت وتقربت وارتفعت وحططت وامتنعت وسقطت وجلت وجمت وقعدت وقمت ثم أسفر رأيك السديد وفكرك الرشيد وأمرك السعيد عن أن تجرنا بسلاسل الحديد الى العذاب الشديد وتخلدنا فيه الدهر المديد ولا والله بل تريد ان تمشي بارجلنا الى الشبكه وتلقي بايدينا أنفسنا الى التهلكه وقد أشبهت في هذه الحركه مالك الحزين والسمكه فقال الغدي لابنة السعدي ار يحي وغني * شكوى الجريح الى العقبان والرخم * فقالت له أزل الغصه بقص هذه القصه (فقال) كان في بعض المروج من قرى مروج نهر كثير الحيتان شديد الجريان وفي مكان منه مصون مأوى لمالك الحزين البلشون فكان يتصرف في السمك تصرف المالك فيما ملك فمضى في ذلك عمره وزجى أوقاته في طيب عيش ومسره الى ان أدركه المشيب ورحل عنه العمر القشيب وكساه خياط الدهر دلق ومن نعمره ننكسه في الخلق ورأى من الكبر أصناف العجز الى ان ضعفت قوته عن الاصطياد وجرى عليه من الآلام والانكاد ومن نوائب الدهر ما الزمان به معتاد فصار يمر عليه برهة من الاوقات وهو عاجز عن تحصيل الاقوات فتوجه في بعض الاحيان وقد علته كآبة الاحزان ووقف على النهر متفكرا في تصرفات الدهر فمرت به سمكه لطيفة الحركه فرأته في ذل الانكسار سابحا في بحر الافتكار لا قدرة له ولا حركه ولا نهضة لاختطاف السمكه فلم يلتفت اليها ولا عول عليها وقد أوطأته الحوادث اقدام الهموم الكوارث وبدل ربيع شبابه بخريف الهرم وحرارة حربه ببرودة السلم فوقفت لديه وسلمت عليه وسألته عن موجب تفكره وسبب تحزنه وتحيره فقال تفكرت ما مضى من الزمان الناضر وما تقضى فيه من طيب العيش وانشراح الخاطر وقد تبدل وجوده بالعدم ولم يحصل من ذلك سوى الذنوب والندم وقد وهنت العظام واستولى على الجسد السقام وتزلزلت أركان الاعضاء وتراكمت فنون الادواء واشتعل الشيب واتقد وحر الآلام وقد

عزمت على اخلاء جسمي روحه * من خوف شيب كل عنه الراقع

قلت اسكنيه بإعمارة عمره * قالت فكيف وبيت جسمك واقع

ثم قال ولم أفق من هذه السكره ولا وقعت في هذه الفكره الا وسفينة العمر بالساحل قد أرست وأصيل شمس العيش على قلة الفناء أمست فما يمكنني الا التلافي بالتوبة والندم قبل حلول نوائب الاجل وزلة القدم والتطهر من جنابة المظالم بمياه الاستعبار والالتجاء الى جانب الحق بالالتطاط في الاستغفار وغسل

كالرجل الذي يعثر على الارض ثم ينهض عليها معتمدا فهذا مثل الرجل الذي يطلب الحاجة فاذا ظفر بها اضاعها * انقضى باب القرد والغيلم

(باب الناسك وابن عرس)

(قال) ديشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل الرجل العجلان في أمره من غير روية ولا نظر في العواقب قال الفيلسوف انه من لم يكن في أمره متثبتا لم يزل نادما ويصير أمره الى ما صار اليه الناسك من قتل ابن عرس وقد كان له ودودا قال الملك وكيف كان ذلك (قال) الفيلسوف زعموا ان ناسكا من النساك كان بارض جرجان وكانت له امرأة جميلة لها معه صحبة فمكثا زمانا لم يرزقا ولدا ثم حملت منه بعد الاياس فسرت المرأة وسر الناسك بذلك فحمد الله تعالى وسأله أن يكون الحمل ذكرا وقال لزوجته ابشري فاني ارجو ان يكون غلاما لنا فيه منافع وقرة عين اختار له احسن الاسماء واحضر له سائر الادباء فقالت المرأة ما يحملك أيها الرجل على أن تتكلم بما لا تدري هل يكون أم لا ومن فعل ذلك صابه ما أصاب الناسك الذي

اهراق على رأسه السمن والعسل قال لها وكيف كان ذلك (قالت) زعموا ان ناسكا كان يجري عليه من بيت رجل تاجر في كل يوم رزق من السمن والعسل وكان يأكل منه قوته وحاجته ويرفع الباقي ويجعله في جرة فيعلقها في وتد في ناحية البيت حتى امتلأت فبينما الناسك ذات يوم

أوساخ الذنوب والمظالم بدموع الانابة والاعتذار

وما أقبح التفريط فى زمن الصبا * فكيف به والشيب للرأس شامل

فاعلمى ان جامح هواى قلع ضرس الآمال والطمع وجارح متمناى نزع خوافى الشره والهلع وقد قدمت الى هذا المكان لاتحلل من الاسماك والحيتان فانى طالما أغرت على عشائرهم وأولادهم وخضت فى دماء قلوبهم وأكبادهم وشتت شملهم وخوفت جلهم وقلهم وأرعبتهم وأرهبتهم واقلقتهم وفرقتهم وغربتهم وبالدماء شرقتهم فرأيت براءة الذمة فى الاولى أولى والمبادرة بالتوبة قبل المصير الى الاخرى احرى فلعل أحمال الذنوب تخف وسحائب الغفران تكف فلما سمعت السمكة هذه الحديه ووعت ما فيها من حركة بديعة تشربتها أضلاعها ودعاها انخداعها الى ان قالت فما ترى أيها العبد الصالح ان أتعاطاه من المصالح فقال ابلغى السمك هذا الكلام بعد ابلاغ التحية والسلام وان يكون القوم من بعد اليوم آمنين من سطواتى سالمين من حملاتى ساكنين الى حركاتى بحيث تنجلى الظلماء ويعود بيننا الحرب سلما وينام السمك فى الماء قالت لابد من أخذ العهود على الوفاء بهذه العقود وأقلها لمصافحة على المصالحة ثم تأكيد الايمان بخالق الانس والجان ولكن كيف اصافيك وانا طعمتك وانى أتخلص من فيك اذا وضعت فيه لقمتك قال ايها ارى هذا العلف واربطى به حنكى لتأمنى التلف فاخذت قبضة من الحشيش وفتلت والى ربط فكه اقبلت فعند ما مد منقاره الى الماء وقربت منه السمكة العمياء لم يطق ان اقتلعها ثم ابتلعها (وانما أوردت) هذه اللطيفه ياذا الحركات الظريفه لتعلم ان قربنا من العقاب ألقى بنا أنفسنا الى أليم العقاب وان عزب عنك ذلك حتى تسعى بنا الى عين الهلاك ونحن قوت العقاب وغذاؤه ولداء جوعه شفاؤه ودواؤه وهل يركن الى العقاب ويؤمن منه ضرب الرقاب

وقد قيل أنفاسه كذب وحشو ضميره * دغل وقرب شمه سقام الروح

وقد قيل أم الك أنه الك لا آلوك معذرة * عن نومة بين ناب الليث والظفر

قال النجدى اسلمى يا قرينة الخير واعلمى ان الريح وقت الربيع تكسو أكناف الاشجار من أنواع الازهار ووجه الصحارى والقفار من أنوار الانوار ما يدهش البصائر ويروق الابصار وينعش الاجسام ويشفى الاسقام ويبرد الغليل ويبرئ العليل لاسيما وقت السحر ونسيم الصبا فى ضوء القمر يربى القلب والروح ويحيى الصب المجروح وكذلك المعرفات النشر واللواقح والمعطرات بطيب الروائح ودونك قول الحق فى كلمته ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته وفى المصيف الحرور العسيف والسموم العصيف المذيب المذيف وفى الشتاء وأيام الخريف الصرصر الخيف يصفر اللون ويغير الكون ويعرى الاشجار ويسقط الثمار ويثير الغبار وربما كانت اعصارا فيه نار وتسقم الصحيح وتطير الهشيم فى الريح ومنها الاعجاز الموحشات والايام النحسات والقواصف والعواصف والحواصب والرواجف والصرصر والنكباء والزعزع والرخاء وقد قال فيها العزيز العليم فارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شئ أتت عليه الا جعلته كالرميم ثم اعلمى يا ربة الجمال وفتنة الرجال ان النار تحرق من يقربها وتذهب ما يصحبها وتنشف الطراوة وتشوه الطلاوه وتلتقم ما تجده وتلتهمه وتزدرده وتسود بدخانها وتؤلم الاجساد بقربانها وتمحو الآثار وتهدم الديار مع انها تنضج الاطعمه وتصلح الاغذيه وتهدى النور وتدفى المقرور وترشد الضال فى القفار ورؤس الجبال قال من يقول للشئ كن فيكون أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤن نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين وكذلك الماء ياذات الثغر الالمى يذهب الظما ويجلب النما ويبرد الصدور ويطفئ الحرور وينبت الزروع ويدر الضروع ويحمل المراكب وما فيها

مستلق على ظهره والعكازة فى يده والجرة معلقة على رأسه تفكر فى غلاء السمن والعسل فقال أنا أبيع ما فى هذه الجرة بدينار واشترى به عشرة أعنز فيحبلن ويلدن فى كل خمسة أشهر بطنا ولا تلبث الا قليلا حتى تصير غنما كثيرة اذا ولدت أولادها ثم حرر على هذا النحو بسنين فوجد ذلك أكثر من أربعمائة عنز فقال أنا اشترى بها مائة من البقر بكل أربعة أعنز ثورا أو بقرة واشترى أرضا وبذرا واستأجر أكرة وازرع على الثيران وانتفع بألبان الاناث ونتاجها فلا يأتى على خمس سنين الا وقد أصبت من الزرع مالا كثيرا فابنى بيتا فاخرا واشترى اماء وعبيدا واتزوج امرأة جميلة ذات حسن وادخل بها فتحبل ثم تأتى بغلام سرى نجيب فاختار له أحسن الاسماء فاذا ترعرع ادبته واحسنت تأديبه واشدد عليه فى ذلك فان يقبل منى والا ضربته بهذه العكازة وأشار بيده الى الجرة فكسرها فسال ما كان فيها على وجهه (وانما) ضربت لك هذا المثل لكى لا تعجل بذكر ما لا ينبغى ذكره وما لا تدرى هل يصح أم لا يصح فاتعظ الناسك بما حكت زوجته ثم ان المرأة ولدت غلاما جميلا ففرح به ابوه وبعد ايام حان لها ان تتطهر فقالت المرأة للناسك اقعد عند ابنك حتى اذهب الى الحمام فاغتسل واعود ثم انها انطلقت الى الحمام وخلفت زوجها والغلام فلم يلبث ان جاءه رسول الملك يستدعيه ولم يجد من يخلفه عند ابنه غير ابن عرس داجن عنده كان قد رباه صغيرا فهو عنده عديل ولده فتركه الناسك عند الصبى واغلق عليهما البيت وذهب مع الرسول فخرج من بعض احجار البيت حية سوداء فدنت من الغلام فضربها ابن عرس ثم وثب عليها فقتلها ثم قطعها

من مركوب وراكب قال القادر على كل شئ وجعلنا من الماء كل شئ حي واذا طغت المياه والعياذ بالله أغرقت المراكب وخطفت الراجل والراكب واقتلعت الاشجار واقتطعت الاحجار واتلفت الزروع والثمار وان تراكمت الامطار قطعت سبل الاقطار وهدمت الديار وردمت الآبار وسل عن ذلك ملابس الاسطار ومجالس الرتب من اهل الامصار واذا تكاثف الرش غرقت مصر وآذى اهلها العطش ونعوذ بالله من هجوم السيل في ظلام الليل وكذلك التراب يازين الاحباب ينبت الحصرم والعنب والتمر والحطب والشوك والرطب ويشرع سنان الشوك المحدد وغصون السهم المسدد ويربي الورد والازهار والرياحين والانوار والاقوات والثمار والرياض النضره والغياض الخضره ثم اذا ثار وهاج الغبار خرج من تحت الحوافر فاعمى النواظر ففيه الحلو والمر والزوان والبر والناعم والخشن والقبيح والحسن والارض مهاد وفراش وفيها أسباب المعاش وهذه المضرة والمنفعة مركبة في هذه العناصر الاربعة التي هي أصل الكائنات وسنخ مانشاهده من المخلوقات واذا كان ذلك كذلك وقاك الله شر المهالك واوضح لك أوضح المسالك فاعلمي بالتحقيق ياصاحبة الثغر العقيق ان هذا الملك الاعظم بل كل أولاد بني آدم مركبون من الرضا والغضب والحلم والصخب والرفع والحط والقبض والبسط والقهر واللطف والظرافة والعنف والخشونة واللين والتحريك والتسكين والبخل والسخاء والشدة والرخاء والوفاء والجفاء والكدورة والصفاء واعلمي يانعم العون وقرينة الصون ان هذا الكون سروره في شروره مندمج ووروده في صدوره مندرج وصفاؤه مع كدره مزدوج وجفاؤه بوفائه ممتزج فيمكن ان العقاب لكونه ملكا مالك الرقاب مع وجود هيبته القاهره وسطوته الباهره وخلقه الشرس الصعب الشكس اذا رأى ضعفنا وذلنا وانكسارنا وقلتنا وترامينا اليه وتعولنا عليه يضمنا الى جناح عاطفته ويسبل علينا خوافي مرحمته ويعاملنا بالالطاف ويسمح لنا بالاسعاف دون الاعساف ويعمل بموجب ماقيل

لكل كريم عادة يستعدها * وأنت لكل المكرمات امام

والقادر على الكسر والجبر لاسيما اذا كان من ذوي النباهة والقدر لايعامل ذوي الكسر بالكسر لانافي مقام الابناء وهو في مقام الابوه والتقوي على الضعيف ضعف في القوه وقالوا المصغر لايصغر وسجدة السهو لاتكرر قالت غرغره ذات التبصره هذا وان كان داخلا في حيز الامكان لكن أخاف ياذا الالطاف أنا بمجرد الوقوف بين يديه في الصفوف لانمهل باداء الكلام ولا للثبات في المقام بل نعامل بالتمزيق والتخريق ونتجرع بمدى الطريق ونهوي بمخاوطف الطاير في مكان سحيق فيفوتنا هذا المطلب الاثقيل الطابع أغلب وهذا اذا وصلنا اليه وتمثلنا بين يديه وأما اذا اعترضنا دونه عارض وجرحنا من جوارح الطير معارض ولاحول يحمينا ولاقوة تنجينا فينتفر يشناكل باغ ويتجاذب لحنا كل طاغ فيصير مثلنا مثل النمس والزاغ فسال اليعقوب تلك الزقوب كيف هذا المثل أخبريني ياست الحجل (قالت) كان في بعض البساتين العاطره والرياض الناضره مأوى زاغ ظريف حسن الشكل لطيف في رأس شجرة عاليه أغصانها سامية وقطوفها دانية فاتفق لنمس من النموس في وكره ضرر وبوس فانزعج عن وطنه واحتاج الى مفارقة سكنه فقاده الزمان الى هذا المكان فراقه منظاره وشاقه نوره وزهره وأعجبه ظله وثمره وأطربه بحر برمزهره فعزم على السكنى فيه وتوطن الى أن يتوطن في نواحيه اذ رآه أحسن منزل واذا أعشبت فانزل ووقع اختيار ذلك الطاغ على وكر في أصل شجرة الزاغ فسوى له وكرا وحفره في أصل تلك الشجره وألقى عصا التسيار واستقرت به هنالك الدار فلما رأى الزاغ هذا الحال داخله الهم والاوجال وخشي ان يتدرج من أدناها ويتدحرج الى أعلاها وينشد الاصحاب في هذا الباب

وامتلا فمه من دمها ثم جاء الناسك وفتح الباب فالتقاه ابن عرس كالمبشر له بما صنع من قتل الحية فلما رآه ملوثا بالدم وهو مذعور طار عقله وظن انه قد خنق ولده ولم يتثبت في أمره ولم يتروفيه حتى يعلم حقيقة الحال ويعمل بغير ماظن من ذلك ولكن عجل على ابن عرس وضربه بعكاز كان في يده على أم رأسه فمات ودخل الناسك فرأى الغلام سليما حيا وعنده اسود مقطع فلما عرف القصة وتبين له سوء فعله في العجلة لطم على رأسه وقال ليتني لم أرزق هذا الولد ولم أغدر هذا الغدر ودخلت امرأته فوجدته على تلك الحال فقالت له ماشأنك فاخبرها بالخبر من حسن فعل ابن عرس وسوء مكافاته له فقالت هذه ثمرة العجلة فهذا مثل من لايتثبت في امره بل يفعل اغراضه بالسرعة والعجلة * انقضى باب الناسك وابن عرس

(باب الجرذ والسنور)

(قال) ديشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل رجل كثر أعداؤه وأحدقوا به من كل جانب فاشرف معهم على الهلاك فالتمس النجاة والخروج بموالاة بعض أعدائه ومصالحته فسلم من الخوف وأمن ثم وفى لمن صالحه منهم (قال) الفيلسوف ان المودة والعداوة لاتثبتان على حالة واحدة أبدا وربما حالت المودة الى العداوة وصارت العداوة ولاية وصداقة ولهذا حوادث وعلل وتجارب وذو الرأي يحدث لكل ماحدث من ذلك رأيا جديدا اما من قبل العدو فبالبأس واما من قبل الصديق فبالاستئناس ولا تمنع ذا العقل عداوة كانت في نفسه لعدو من مقاربته والاستنجاد به على دفع مخوف أو جر مرغوب ومن عمل في ذلك بالحزم ظفر بحاجته ومثل ذلك مثل الجرذ والسنور حين

والمضى الشوق * الى نحو أبي طوق تدحرجت ولكنى * من تحت الى فوق

فيصل الى وطنه القديم ويذيقه العذاب الاليم فليس له خلاص من هذا الاقتناص الا مفارقة الوطن والانزعاج بالتحول عن السكن وكيف يفارق ذلك النعيم ويسمح بالبعد عن الوطن القديم وهو كما قيل

بلاد بها انيطت على تمائمى * وأول أرض مس جلدى ترابها

فغلبت محبة وطنه على قلبه ولم يطاوعه على فراقه لشدة حبه ثم اعتراه فى ذلك الوسواس وأخذ يضرب أخماسا لاسداس فى وجه الخلاص من هذا الباس فرأى المدافعة أولى والممانعة عن جوار حمه لخاطره أجلى ثم افتكر فى كيفية المدافعة وسلوك طريق الممانعة فلم ير أوفق من المصانعة وتعاطى أسباب المخادعة ليقف بذلك أولا على حقيقة أمره ويعرف معيار خيره وشره ويصل الى مقدار قوته وضعفه ورصانة عقله وفهمه وسخطه ويسبر حالتى غضبه ورضاه ويدرك غور أحواله ومنتهاه ثم يبنى على ذلك أساس دفعه وهدم ما يبنيه من قلعته لقلعه فهبط الى النمس من الهواء وحفظ شيأ وغابت عنه أشياء وسلم عليه سلام المحب على الحبيب وجلس منه بمكان قريب وخاطبه خطاب ناصح لامريب وابتهج بجواره واستأنس بقرب داره وذكر له انه كان وحيدا وعن الجليس الصالح والانيس الناصح فريدا وقد حصل له الانس بمجاورة النمس وانه صدق من قال فى هذا المقال

انفراد المرء خير * من جليس السوء عنده وجليس الخير خير * من جلوس المرء وحده

فاستمع النمس حديث الزاغ وما طغى بصر بصيرته عن مكايده وما زاغ ثم افتكر فى نفسه ونظر فى مرآة حدسه فرأى ان هذا الطير بخبث السيرة مشهور وبسوء السريرة مذكور لا أصله زكى ولا فرعه على ولا عائلته مأمونه ولا صحبته ميمونه ولا خير عنده ولا مير بل يخشى منه الضرر والضير وكأنه فيه قيل

وهو غراب البين فى شؤمه * لكن اذا جئنا الى الحق زاغ

ولم يكن بيننا وبينه قط علاقه ولا واسطة محبة ولا صداقه وأما العداوة فانها مستحكمة وكل منا للآخر مأكلة ومطعمه ولا أشك انه انما قصد طريقة سوء ومكيدة نكد فان اضعت فيه الفرصه اطلت الغصه ووقعت من الندامة فى قصة وحصه ولا يفيدنى اذ ذاك الندم أنى وقد فات المطلوب وزلت القدم

* وأحزم الحزم سوء الظن بالناس * فالذى يقتضيه الحزم والرأى السديد والعزم القبض عليه الى ان يظهر ما لديه ثم وثب من مربضه وأنشب فى الزاغ مخاليب مقبضه وقبضه قبضة أعمى لا كالقابض على الما فلما رأى الزاغ هذا النكد وانه قد صار كالفريسة فى مخاليب الاسد ناداه يا كريم الخير ويا أيها الجار الحليم عن الضير أنا رغبت فى مصادقتك وجئتك محبا فى موافقتك ومرافقتك وأردت ازالة وحشتك ومؤانستك بابعاد دهشتك وحاشاك ان تخيب ظنى فيك وتعامل بالجفاء من يواديك وأنشده

وحاشاك ان تمشى بوجهك معرضا * وما يحسن الاعراض عن وجهك الحسن

والكرام لا يعاملون الجلساء الا بالمؤانسة وحسن الوفاء والابقاء على خير وأبعد من الضير وأنا قد صرت جليسك وجارك وأنيسك وقد قيل

وكنت جليس قعقاع بن شور * ولا يشقى بقعقاع جليس

مع أنه لم يسبق منى سبب عداوه ولا ما يوجب هذه الفظاظة والقساوه وهذه أول نظره بيننا وبين هذه البدره وما سبب هذه النفره قال النمس أيها الزاغ الكثير الرواغ والنحس باغ والنجس طاغ اسمك ناطق انك منافق وهو خبر صادق اذ هو فى الخارج للواقع مطابق ورؤيتك شاهده انك تنقض المعاهدة وعين منظرك دل على مخبرك وقد قيل

وقدما فى الورطة فنجيا باصطلاحهما جميعا من الورطة والشدة قال الملك وكيف كان ذلك (قال) بيدبا زعموا ان شجرة عظيمة كان فى أصلها جحر سنور يقال له رومى وكان قريبا منه جحر جرذ يقال له فريدون وكان الصيادون كثيرا ينتدا ولون ذلك المكان يصيدون فيه الوحش والطير فنزل ذات يوم صياد فنصب حبالته قريبا من موضع رومى فلم يلبث ان وقع فيها فخرج الجرذ يدب ويطلب ما يأكل وهو حذر من رومى فبينما هو يسعى اذ بصر به فى الشرك فسر واستبشر ثم التفت فرأى خلفه ابن عرس يريد أخذه وفى الشجرة بوم يريد اختطافه فتحير فى أمره وخاف ان رجع وراءه أخذه ابن عرس وان ذهب يمينا أو شمالا اختطفه البوم وان تقدم امامه افترسه السنور فقال فى نفسه هذا بلاء قد اكتنفنى وشرور تظاهرت على ومحن قد أحاطت بى وبعد ذلك فمعى عقلى فلا يفزعنى أمرى ولا يهولنى شأنى ولا يلحقنى الدهش ولا يذهب قلبى شعاعا فالعاقل لا يفرق عند سداد رأيه ولا يعزب عنه ذهنه على حال وانما العقل شبيه بالبحر الذى لا يدرك غوره ولا يبلغ البلاء من ذى الرأى مجهوده فيهلكه وتحقق الرجاء لا ينبغى ان يبلغ منه مبلغا يبطره ويسكره فيعمى عليه أمره ولست أرى لى من هذا البلاء مخلصا الا مصالحة السنور فانه قد نزل به من البلاء مثل ما قد نزل بى أو بعضه ولعله ان سمع كلامى الذى أكلمه به ووعى عنى فصيح خطابى ومحض صدقى الذى لا خلاف فيه ولا خداع معه فهمه وطمع فى معونتى اياه فيتخلص جميعا ثم ان الجرذ دنا من السنور فقال له كيف حالك قال له السنور كما تحب فى ضنك وضيق قال وأنا اليوم شريكك فى البلاء ولست أرجو لنفسى خلاصا الا بالذى أرجو لك فيه الخلاص وكلامى هذا

والعين تعرف من عيني محدثها * ان كان من حزبها أم من أعاديها

من أين بيننا صداقه ومتى كان بين النمس والزاغ علاقه وكيف تنعقد بيننا صحابة وأنى يتصل لنا مودة أو قرابه بين لى كيفية هذا السبب ومن أين هذا الاخاء والنسب أما أنت فلى طعمه وأما أنا فلحمى لسدى غذائك لجه يسوءنى مايسرك وينفعنى مايضرك

الله يعلم أنا لانحبكم * ولا نلومكم ان لاتحبونا

أنا واقف على مافى ضميرك وعالم بسوء فكرك وتدبيرك قد اطلعت منك على الهواجس كما اطلع ذلك الماشى على مافى خاطر ذلك الفارس قال الزاغ بين لى بلا جدل كيف هو هذا المثل (قال) النمس ذكر رواة الاخبار ونقلة الآثار أنه ترافق فى بعض السباسب راجل وراكب وكان مع الراجل من البضائع رزمه وقد جعلها اكارة وحزمها أوثق حزمه وقد اعياه حملها حتى اعجزه ثقلها فقال للراكب أيها الرفيق الصاحب لو ساعدتنى ساعه بحمل هذه البضاعه لكنت أرحتنى ونفست عنى وشرحتنى

كذى الجد يحمل اثقاله * قوى العظام حمول الكاف

قال الفارس لأ كل فرسى ولا اتعب نفسى ونفسى فان مركوبى لم يقطع البارحة عليقه وأنا خائف ان لا يقطع بى طريقه واذا خفت تخافى فى سيرى فأنى أتكلف حمل اثقال غيرى فبيناهما فى هذا الكلام اذ لاح أرنب فى بعض الآكام فأطلق العنان وراء الارنب وذهب وراءها كرأى الزنادقة كل مذهب فوجد فرسه قوية النهضه سريعة الركضة فرأى انه أضاع حزمه فى عدم أخذه الرزمه وماضره لو أخذها وساق وذهب الى بعض الآفاق وأقام بها أوده وانتفع بها وولده وترك الماشى بلاشى ثم رجع بهذه النية الضاره ليحمل عن الماشى الكاره وقال له اعطنى هذا الحمل المتعب لاريحك من حمله فى هذا المذهب وابلع ريقك واقطع طريقك فقال له قد علمت بتلك النيه وما اضمرت من بليه فاتركنى بحالى فلى حاجة بمالى ثم ان النمس كسر الزاغ وحصل له بأ كله الفراغ (وانما أوردت) هذا المثال لتعلم يا خل الرجال ان العقاب لايؤمن ولا يقطع فيه بالظن الحسن ولا يركن الى خطاطيف بوارقه بمخاليب صواعقه وصواعقه ولا الى غوائله وبوائقه وهذا ان سلمت شقة حياتنا من تشقيق غواشيه وتخلص برد وجودنا من تمزيق حواشيه وان بينك وبين هذا المراد خرط القتاد والموانع التى هى دون سعاد فما الوصول الى ملك الطير قريب التناول فى السير ولا سهل المأخذ ولا سريع المنفذ واين الجمل من العقاب ذاك فى نعائم النعيم وهذا فى عقاب العقاب فتدبر عاقبة هذا الامر وتأمل فى الفرق بين التمر والجمر والظاهر عندى وما أدى اليه فكرى وجهدى ان عاقبة هذه الامور ليس الا القطوع والقصور دون الوصول الى الملك فى القصور قال الذكر لقد ذكرت عليك مرارا واسندت الى سمعك انشاء واخبارا ان علو همة هذا الملك وفضله الخالى عن شرك وكرم نجاره وامن خدمه وجاره وفيض احسانه وبسط كرمه وامتنانه وانتشار صيت حشمته واشتهار رأفته ورحمته لا يقتضى حرمان من قصده وام جنابه واعتمده ولجأ الى جناح عاطفته وتشبث بذيل ملاطفته وحاشاه ان يصم مصون همته بابتذال ثناءه ويشوه جمال وفائه لمن ترفق له بنكتة بجفاء تخيب رجاءه خصوصا اذا رأى منى خضوع العبوديه والقيام بمراسيم الخدمات الادبيه والمقام بمراكز مراضيه والوقوف عند كل مايحبه ويرضيه فانى بحمد الله تعالى اعرف مداخل الامور ومخارجها وعندى الاستعداد الكامل لصعود معارجها واعلم طرق المجاز الى حقائقها وسلوك دروبها وطرائقها فالاولى ان نقتصر عن المحاوره ونكتفى بهذه المساوره فى المشاوره ونتوكل على مقلب القلوب ونتوجه نحو هذا المطلوب بعزم شديد وحزم سديد فان تيسر لى ملاقاة حضرته والتمثل فى مراكز خدمته وحصلت لى مشاهدته واتفقت مخاطبته ومعاهدته أنشأت خطبة تدفع الخطوب وتجمع القلوب وتؤلف بين المحب والمحبوب وأرجو ان تكون نافعه لمصالح الدين والدنيا جامعه فان

ليس فيه كذب ولا خديعة وابن عرس هاهو كامن لى والبوم يرصدنى وكلاهما لى ولك عدو فان أنت جعلت لى الامان قطعت حبائلك وخلصتك من هذه الورطة فاذا كان ذلك تخلص كل واحد منا بسبب صاحبه كالسفينة والراكب فى البحر فبالسفينة ينجون وبهم تنجو السفينة فلما سمع السنور كلام الجرذ وعرف انه صادق قال له ان قولك هذا لشبيه بالحق وأنا أيضا راغب فيما أرجولك ولنفسى به الخلاص ثم انك ان فعلت ذلك سأشكرك ما بقيت قال الجرذ فانى سأدنو منك فأقطع الحبائل كلها الا حبلا واحدا أبقيه لاستوثق لنفسى منك ثم أخذ فى تقريض حبائله ثم ان البوم وابن عرس لما رأيا دنوا لجرذ من السنور أيسا منه وانصرفا ثم ان الجرذ أبطأ على السنور فى قطع الحبائل فقال له مالى لا أراك مجدا فى قطع حبائلى فان كنت قد ظفرت بحاجتك فتغيرت عما كنت عليه وتوانيت فى حاجتى فما ذلك من فعل الصالحين فان الكريم لايتوانى فى حق صاحبه وقد كان لك فى سابق مودتى من الفائدة والنفع ماقد رأيت وأنت حقيق ان تكافئنى بذلك ولا تذكر العداوة التى بينى وبينك فالذى حدث بينى وبينك من الصلح حقيق أن ينسيك ذلك مع مافى الوفاء من الفضل والاجر ومافى الغدر من سوء العاقبة فان الكريم لا يكون الا شكورا غير حقود تنسيه الخلة الواحدة من الاحسان الخلال الكثيرة من الاساءة وقد يقال ان أعجل العقوبة عقوبة الغدر

ومن اذا تضرع اليه وسئل العفو لم يرحم ولم يعف فقد غدر قال الجرذ ان الصديق صديقان طامع ومضطر وكلاهما يلتمسان المنفعة ويحترسان من المضرة فأما الطامع فيسترسل اليه ويؤمن فى جميع الاحوال وأما المضطر ففى بعض الاحوال يسترسل

كلامي في مقامي كما قيل في المثل
فاو جز لكنه لا يخل * واطنب لكنه لا يمل

وآخر الامر سلمت غرغرة زمام انقياده اليه وعولت في عمل المصالح عليه ثم قالت له عش واسلم وتيقن واعلم انك اذا قصدت خدمة الملوك وأردت في طريق مصاحبتهم السلوك فانك محتاج في ذلك المنهاج الى نور وسراج يهديك الى صفات جميله وتلبس بخصائل نبيله تخلي بجمالها وتتحلى بكمالها وتجلى في شمائل جلالها الاولى ان تقدم في جميع مصادرك وموارد مراد الملك على جميع مقاصدك الثانية ان تتلقى اموره بالتعظيم وتقيم اوامره بالاحترام والتفخيم الثالثة تحسن اقواله وتزين أفعاله بوجه لا يتطرق اليه تشويه ولا يحتاج فيه الى تنبيه الرابعة تجتهد في صيانة عرضك عن الخنا واياك ان تقول في حضرته أنا فتقع في العنا الخامسة ان تعد على الدوام ومرور الايام خدماتك الوافره وحقوقك المتكاثره عن حقوق نعمه قاصره السادسة اذا وقعت منك زله فلا تتعمد بها جميع القله بل اطلب اتلاك اهفوه في الحال محوه واقصد مراحمه وعفوه فان الذنوب اذا تراكمت وتجمعت وتزاحمت اشبهت المزبلة المدمنه وفاحت روائحها المنتنة والانسان غير معصوم والآدمي بالخطا موسوم السابعة احفظ وجهك في حضرته عن التقطيب وكلامك ان يفوح منه غير الطيب الثامنة اياك ومصادقة أعدائه ومعاداة أوليائه التاسعة كلما زادك رفعة وتقريبا مل الى التواضع واعظامه تصويبا العاشره لا تدخر عنه نصيحه وانصحه في الخلوة لئلا يؤدي الى الفضيحه واذا أقامك في أمر ولو انه المشي على الجمر لا تطلب منه اجرا ولا تبد لذلك ذكرا فان الطمع يورث العقوق والمن يسود وجه الحقوق واعلم ان حضرة الملوك عظيمه ومجالسهم جسيمه تنزه عن الكذب والغيبة والنميمة والاقوال الوخيمة والافعال الذميمه واياك ان تتعدى القواعد الكسرويه وتتخطى القوانين السلطانيه فان أعظمها كان ان يعرف كل انسان تقصير نفسه في خدمة مخدومه ويعترف له من احسانه بعمومه ويقيم واجب همة ملكه ومقام مرسومه قال النجدي أخبريني يا دعدي وحظي وسعدي وابنة السعدي ومزينة القواعد بشيء من تلك القواعد (قالت) من القواعد الكسرويه الدائرة بين البريه ما وضعها بعض الملوك وجعل رعيته فيها على السلوك وكان مشهورا بالعدل والاحسان مذكورا باقامة البرهان متصفا بالصفات الجيده مكتنفا بالشمائل السعيده من الدين والعفه وعدم الطيش والخفه بعقل راجح الكفه والعلم الوافر والحلم العاطر وذلك انه في بعض الايام أمر أن يجتمع الخواص والعوام ما بين أمير ووزير وكبير وصغير وغني وفقير وجليل وحقير وعالم وجاهل ومفضول وفاضل ومذكور وخامل وناظر وعامل وحال وعاطل وحاكم وقاض وساخط وراض وجندي وتبع وأخرق وصنع ووضيع وشريف ولطيف وكثيف وثقيل وخفيف وقريب وبعيد ومقبول وطريد وشقي وسعيد وسوقة وتاجر وسطيه وفاجر ودان وقاص وطائع وعاص وصالح وطالح وضاحك وكالح ومصيب ومخطي ومسرع ومبطي وصياد وملاح وسباح وسياح وبلدي وفلاح ومسلك وسالك ومملوك ومالك بحيث لا يتخلف عن الحضور أحد ولا يعزى في التقاعد والد عن ولد ثم مهد لهم في روض أريض ومرج طويل عريض تصفق مياه أنهاره طربا وتناغي باطيب الالحان فصحاء أطياره الخطباء وتتراقص بزهر الوقت أغصان أشجاره ويلتذ بفواكه الجنان جاني ثماره فهو كما قيل

يلتذ جانيه بأنعم مقطف * منه وسا كنه با كرم معطف
والورق بين محلق في جوه * طربا ومنحط عليه مرفرف

وأمر بفرش ذلك المكان بالفرش الحسان من الديباج والحرير وأطلق مجامر الند والعبير وبين لكل مقاما معلوما ومجلسا مقسوما وأحل كلا منهم محله وأسبغ عليهم ذيل احسانه وطله ثم أمر بأنواع الاطعمة المفتخرة وأصناف الملاذ الطيبة العطرة فاحضرت في أواني الفضة والنضار ووضعت بين يدي

اليه وفي بعضها يحذر منه ولا يزال العاقل يرتهن منه بعض حاجاته لبعض ما يتقي ويخاف وليس عاقبة التواصل من المتواصل الا طلب عاجل النفع وبلوغ مأموله وأنا واف لك بما جعلت لك ومحترس منك مع ذلك من حيث أخافك ان يصيبني منك ما الجأني خوفه الى مصالحتك والجأك الى قبول ذلك مني فان لكل عمل حينا فما لم يكن منه في حينه فلا حسن لعاقبته وانا قاطع حبائلك كلها غير اني تارك عقدة واحدة ارتهنك بها ولا أقطعها الا في الساعة التي اعلم انك فيها عني مشغول وذلك عند معاينتي الصياد ثم ان الجرذ أخذ في قطع حبائل السنور فبينما هو كذلك اذ وافى الصياد فقال له السنور الآن جاء الجد في قطع حبائلي فأجهد الجرذ نفسه في القرض حتى اذا فرغ وثب السنور الى الشجرة على دهش من الصياد ودخل الجرذ بعض الاجحار وجاء الصياد فأخذ حبائله مقطعة ثم انصرف خائبا ثم ان الجرذ خرج بعد ذلك وكره أن يدنو من السنور فناداه السنور أيها الصديق الناصح ذو البلاء الحسن عندي ما منعك من الدنو الي لأجازيك بأحسن ما اسديت الي هلم الي ولا تقطع اخائي فانه من اتخذ صديقا وقطع اخاءه وأضاع صداقته حرم ثمرة اخائه وآيس من نفعه الاخوان والاصدقاء وان يدك عندي لا تنسى وأنت حقيق ان تلتمس مكافأة ذلك مني ومن اخواني واصدقائي ولا تخافن مني شيأ واعلم ان ما قبلي لك مبذول ثم حلف واجتهد على صدقه فيما قال فناداه الجرذ رب صداقة ظاهرة باطنها عداوة كامنة وهي أشد من العداوة الظاهرة ومن لم يحترس منها وقع موقع الرجل الذي يركب ناب الفيل المغتلم ثم يغلبه النعاس فيستيقظ تحت فراسن

الفيل فيدوسه ويقتله وانما سمي الصديق صديقا لما يرجى من نفعه وسمي العدو عدوا لما يخاف من ضرره والعاقل اذا رأى انقطع العدو أظهر له الصداقة واذا خاف ضر الصديق أظهر له العداوة ألا ترى تتبع البهائم أمهاتها رجاء ألبانها فاذا انقطع ذلك انصرفت عنها وربما قطع الصديق عن صديقه بعض ما كان يصله فلم يخف شره لان أصل أمره لم يكن عداوة فأما من كان أصل أمره عداوة جوهرية ثم أحدث صداقة لحاجة حملته على ذلك فانه اذا زالت الحاجة التي حملته على ذلك زالت صداقته فتحولت عداوة وصار الى أصل أمره كالماء الذي يسخن بالنار فاذا رفع عنها عاد باردا وليس من اعدائي عدو أضر لي منك وقد اضطرني واياك حاجة الى ما أحدثنا من المصالحة وقد ذهب الامر الذي احتجت الي واحتجت اليك فيه وأخاف ان يكون مع ذهابه عود العداوة ولا خير للضعيف في قرب العدو القوي ولا للذليل في قرب العدو العزيز ولا أعلم لك قبلي حاجة الا أن تكون تريد أكلي ولا أعلم لي قبلك حاجة وليس عندي بك ثقة فاني قد علمت ان الضعيف المحترس من العدو القوي أقرب الى السلامة من القوي اذا اغتر بالضعيف واسترسل اليه والعاقل يصالح عدوه اذا اضطر اليه ويصانعه ويظهر له وده ويريه من نفسه الاسترسال اليه اذا لم يجد من ذلك بدا ثم يعجل الانصراف عنه حين يجد الى ذلك سبيلا واعلم ان سريع الاسترسال لا تقال عثرته والعاقل يفي لمن صالحه من أعدائه بما جعل له من نفسه ولا يثق به كل الثقة ولا يأمنه على نفسه مع القرب منه وينبغي أن يبعد عنه ما استطاع وأنا أودك من بعيد وأحب لك البقاء والسلامة ما لم أكن أحبه لك من قبل ولا عليك ان تجازيني على صنيعي الا بمثل ذلك اذ لا سبيل الى اجتماعنا

أولئك الحضار بحيث عمت الجميع ووسعت الشريف والوضيع وجلس الملك في مجلس السلطنة واكتنفه من العساكر الميسرة والميمنة وأخذ كل مكانه ورتب أصحابه وأعوانه ثم أقام عليهم أرباب الديوان وأدخل جميعهم في دفاتر الحسبات وأمر مناديا يسيدا يرفع بصوته الندا في ذلك الجمع بحيث شمله من الجميع النظار والسمع يا أهل هذا المكان برز مرسوم السلطان أن كل من هو في مرتبة من مرضاة أو معتبة لا يلاحظ من فوقه ولو انه من أمير أو سوقه بل يلاحظ حال من هو دونه فائزة كانت منزلته أو مغبونه فان ذلك أجمع للقلوب وأدعى للشكر المطلوب وأجلب للرضا بحوادث القضا فان من رأى نفسه في مقام ونظار غيره في أدنى من ذلك المقام استقام وكانت عنده منزلته عليه وعد نفسه على غيره مزيه فتوطنت نفسه على الرضا واستقبلت بالشكر وارد القضا مثال ذلك الرئيس النازل في الصدر اذا رأى من هو دونه في القدر لم يشك في ان محله محل البدر وباقي الرؤساء كالنجوم فلا يأخذه لذلك وجوم وقد قال الحي القيوم في در كلامه المنظوم وما منا الا له مقام معلوم وكذلك النائب بالنسبة الى الحاجب والدوادار بالنسبة الى البزدار والخزندار بالنسبة الى جابي الدراهم والدينار والمهتار بالنظر الى السائس والبرقدار وكذلك السائس بالنسبة الى الحارس وكاتب السر المرتفع بالنسبة الى المدبر والموقع والزمام بالنظر الى سائر الخدام وأيضا القاضي مع الفقيه والفقيه مع التاجر النبيه والتاجر مع السوقي السفيه والغني والامير بالنسبة الى المأمور والفقير وعلى هذا القياس أوضاع جميع الناس من أرباب الصنائع وجلاب البضائع وأهل المدن والقرى وذوي البيع والشرا والوهد والذرا وأولي الوضاعة والشرف من أنواع المكتسبات والحرف الى أن ينزلوا في المراتب ويتدحرجوا من اليفاع الى الحضيض في المناصب ويتعاونوا في المناصب والمناقب ويصل قدرهم ونظرهم في ذلك الى كل ذي فعل سيئ حالك كأرباب العظائم وأصحاب الذنوب والجرائم فينظر المعتوب حاله بالنسبة الى المضروب والمشتوم حاله بالقياس الى حال المكلوم والصحيح بالنسبة الى حال الجريح ويلاحظ مضروب العصي حال المسلوخ بالمقارع ومضروب المقارع أحوال مقطوع الاكارع وكذلك المقطوع بالنسبة الى مصلوب الجذوع والمصاب بالمال بالنسبة الى مصاب البدن والاعرج بالنسبة الى المقعد الزمن وكذلك العوران بالنظر الى مصاب العميان وليتأمل الناظر ما قاله في ذلك الشاعر

سمعت أعمى مرة قائلا * ياقوم ما أصعب فقد البصر أجابه أعور من خلفه * عندي من ذلك نصف الخبر

ولكن هذه القواعد مستمرة العوائد بين الصادر والوارد ليعلم ان مصائب قوم عند قوم فوائد فاستمرت هذه القوانين مستعملة غير منسية ولا مهمله من زمان ذلك السلطان الى هذا الزمان وانظر أيها الفضيل الى معنى ما قيل في هذا القبيل وهو

على كل حال ينبغي الشكر للفتى * فكم من شرور عن سرور تجلت
وكم نقمة عند القياس بغيرها * ترى نعمة فاشكر لدى كل نقمة

(وانما) أوردت هذه الامثال وأطلت النفس في بيان هذه الاحوال لتأخذ منها حظك وتكرر هافيما أودعته لحظك وتجري بها الليل والنهار لفظك حتى تصلح لمنادمة الملك ولا يعاق بذيل مكانتك من الحساد مرتبك وترضى بأي مقام أقامك فيه وتعلم أنه أعلى مقام ترتضيه حيث هو لك يرتضيه وتجعل مورد لسانك ومقعد جنانك في طلبك رضاه ما كنت أنشدتك اياه من قديم الزمان وأنا عليه الآن وهو

وأعلى مقاماتي وأسنى وظائفي * وأحسن أسمائي الذي أنت ترضاه

فقال الذاكر ما أحسن عقد هذه الدرر لقد أفصحت اذ نصحت وزينت بما بينت فجزاك الله خيرا وكفاك ضيرا فحقيق على ان اقتدي بآثارك واهتدي بأنوارك فما أرجح ميزانك وأغزر حسنك واحسانك

لقد جمعت بين فصاحة النقل ورجاحة العقل ومزجت روح الحصافة ببدن الظرافة وجلوت صورة النصيحة في خلعة اللطافة ثم انهما توكلا على العزيز الوهاب وقصدا حضرة ملك الطير العقاب فواصلا السير بالسرى واستبدلا السهر بالكرى ولم يزالا في سير مجد وطلب مكد بين الادلاج والدلجة مقارن حتى وصلا الى جبل قارن وكان عند العقاب أحد المقربين من الحجاب يؤيؤ نقي الجؤجؤ تقي البؤبؤ أحسن منظرا من اللؤلؤ صورته مسعوده وسيرته محموده وهو بين أولئك الطير مشكور الاحوال مشهور الخير وفيه من المعرفة والدين والعقل الرصين والرأي المتين ما يصلح أن يكون به مقتدى السلاطين وعنده من الوقوف على دقائق الامور ما فاق به الجمهور وساد به على سائر الطيور وكان صيته قد اشتهر حتى ملأ البدو والحضر فترك النجدي بنت السعدي في مكان وقصد اليؤيؤ ليعرض عليه ماله من شان فوصل الى جنابه وأتى بيت مقصده من بابه حتى دخل عليه وقبل يديه وتمثل لديه فتوجه اليؤيؤ اليه وأشار بتقريبه منه وأزال دواعي الوحشة عنه وأقبل عليه بكليته وزاد في اكرامه وتحيته وسأله عن محتده وجرثومه وما سبب تجشمه في قدومه ومن أين حل ركابه وما قصده وطلابه فانشده بديها ولم يقل ايها مصحا معلنا مستعينا مضمنا

لقد قص ريشي الدهر عن كل مطلب * وألهمني سعدي بأنك رائش
ففي سمري مد كهجرك مفرط * وفي قصتي طول كصدك فاحش

ثم قال اعلم أيها الرئيس المحتشم النفيس ان مولدي في جبل من جبال اذربيجان في مكان يضاهي الجنان ويباهي روضة رضوان انزه من عنصر الشباب وافكه من معاقرة الاتراب وارفه من منادمة الاحباب على رقيق الشراب نشأت فيه مع قرينة جميلة أمينة فقضيت فيه غض العمر وزجيت فيه بض الدهر قانعا بما تيسر من الرزق فارغا عما في أيدي الخلق متمسكا بذيل العزله أعد الانفراد نعمة جزله مكررا درس ثلاثة تجم النفس القرينة الصالحة والجار المؤنس والكفاف من القوت ومما كنت أنشدت وفي مبدأ أمري أرشدت

وحسب الفتى قوت وخل وزوجة * ليرتاح في الدنيا ويكتسب الاخرى

وكنت من الدهر على هذا اقتصرت ومن لذيذ العيش على القناعة اختصرت ولكن كان مأوانا ومصيفنا ومشتانا محل الحوادث وممر العوائث والعوابث ومعبر المصائب الصيد ومورد المواطئ عمرو وزيد فكنا كلما ولد لنا مولود وتجدد لنا بالبهجة والابتهاج عهود حصل للعين قره وللروح مسره نقول هذا يبقى ذكرنا بعدنا ويحيي آثارنا عند حلول لحدنا فلم يكن أسرع من هجوم خاطف أو هبوب ريح نكبة عاصف يخطفه من بيننا ويجذبه من قلبنا وعيننا فان سلم من تلك المكايد وتخلص من سهم المصائب والمصايد حطمته عساكر الملك المنصوره وملأت الاقطار الجنود الموفوره فلا يخلو منها مكان قدم الا وقد غص بمواطئ تلك الامم فتذهب مناقرة العين وتذهل غلطا تحت الرجلين وهذا هو البلاء الطام والمصاب العام ولا بد منه في كل عام فكأنه أيها النبيه النبيل في شأننا قد قيل

أيا ابن آدم لا يغررك عافية * عليك شاملة فالعمر ممدود
ما أنت الا كزرع عند خضرته * بكل شئ من الآفات مقصود
فان سلمت من الآفات أجمعها * فانت عند كمال الامر محصود

فضاق منا لهذا العطن فلم أر أوفق من مفارقة السكن والمهاجرة من الوطن فعرضت على القرينة هذه الحال وأشرت عليها بالارتحال وقلت انما المرء من حيث يوجد لا من حيث يولد فابت وكبت وشاقت في ذلك ونبت فلا زلنا نتحاور ونتشاور ويرمي كل منا سهم رأيه اذ يساور حتى لانت أخلاقها الصعبه بعد ان ثلث ما في الجعبة ثم أعطت القوس باريها وسلمت الدار بانيها وأدركت من ملامح مقاصدي معانيها وسمحت بالانتقال من تلك البلاد وسلمت الى يد تدبيري زمام الانقياد فرحلنا من شقة بعيده وقاسينا شدة شديدة وقصدنا هذا الحرم اذ رأيناه مشتملا على اللطف والكرم وقطعنا شباك المصايد وخلصنا من اشراك كل صائد

والسلام * انقضى باب الجرذ والسنور (باب ابن الملك والطائر فنزة) قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل أهل الترات الذين لا بد لبعضهم من اتقاء بعض (قال) ١٦٤ بيدبا زعموا ان ملكا من ملوك الهند كان يقال له بريدون وكان له طائر يقال له فنزة وكان له فرخ وكان هذا الطائر وفرخه ينطقان بأحسن منطق وكان الملك بهما معجبا فأمر بهما أن يجعلا عند امرأته وأمرها بالمحافظة عليهما واتفق ان امرأة الملك ولدت غلاما فألف الفرخ الغلام وكلاهما طفلان يلعبان جميعا وكان فنزة يذهب الى الجبل كل يوم فيأتي بفاكهة لا تعرف فيطعم ابن الملك شطرها ويطعم فرخه شطرها فاسرع ذلك في نشأتهما وزاد في شبابهما وبان عليهما أثره عند الملك فازداد لفنزة اكراما وتعظيما ومحبة حتى اذا كان يوم من الايام وفنزة غائب في اجتناء الثمرة وفرخه في حجر الغلام فذرق في حجره فغضب الغلام وأخذ الفرخ فضرب به الارض فمات ثم ان فنزة أقبل فوجد فرخه مقتولا فصاح وحزن وقال قبحا للملوك الذين لا عهد لهم ولا وفاء ويل لمن ابتلي بصحبة الملوك الذين لا حمية لهم ولا حرمة ولا يحبون أحدا ولا يكرم عليهم الا اذا طمعوا فيما عنده من غناء واحتاجوا الى ما عنده من علم فيكرمونه لذلك فاذا ظفروا بحاجتهم منه فلا ود ولا اخاء ولا احسان ولا غفران ذنب ولا معرفة حق هم الذين أمرهم مبني على الرياء والفجور وهم يستصغرون ما يرتكبونه من عظيم ويستعظمون اليسير اذا خولفت فيه أهواؤهم وفطمنا ومنهم هذا الكفور الذي لا رحمة له الغادر بأليفه وأخيه ثم وثب في شدة حنقه على وجه الغلام ففقأ عينه ثم طار فوقع على شرفة المنزل ثم انه بلغ

وفطمنا أنفسنا عن حبات الطمع وتجرعنا من كاسات الجزع واقداح الفزع جرعا بعد جرع فوصلنا بحمد الله الى جنابك الامين وبشرنا مبشر الاقبال انك لكل خير ضمين فحمدنا عند صباح الفلاح السرى وأنشدنا لسان السعد مبشرا

وجدت من الدنيا كريما نومه * لدفع ملم أو لنيل جزيل

وان لم يكن بيننا سابقة خدمه لكن تعارف أرواحنا له قدمه مع ان كرم ذاتك الجليله وما جبلت عليه من صفات نبيله يغني قاصد صدقاتك عن واسطة ووسيلة ووالله انى لواثق بان ظني بوفاء مكارمك صادق فاسأل احسانك ياذا الخير ايصالي الى خدمة ملك الطير وان كانت رفعة مكانه في العيوق ودون الوصول اليه بيض الانوق لكن بواسطة الوسيله يحصل هذا الشرف والفضيله ولا زالت الرؤساء والاكابر يأخذون بيد الضعفاء والاصاغر ولرأيك العالى والشرف والسمو والعطف والحنو فاهتز اليؤيؤ لهذا الكلام وارتاح وظهر في وجهه تباشير المسرة والارتياح وأنشد

قدمت بانواع المسرة والهنا * على خير منزول وأيمن طائر
فأهلا وسهلا ثم أهلا ومرحبا * وبشرى ويسرى بالعلى والبشائر

اعلم ان قدومك قدوم صدق ومرافقتك سبب الرفق ورؤيتك فتح باب الفتوح ورؤيتك غذاء القلب وراحة الروح أبشر بكل ماتؤمل وتختار فقد ذهب العثار وجاء الامن واليسار أصبت مرامك وزينت مقامك وآنست منزلك وأوتيت مأملك فطيب خاطرك وبشر أهلك وعشائرك وأخبر غائبك وحاضرك ولقد قادك الرأى السديد والامر الرشيد والفال السعيد حتى أويت الى ركن شديد وملك كريم خلقه عظيم وفضله جسيم وجوده عميم ونظيره عديم رؤف برعيته رحيم لايخيب آمله ولا يريب سائله ولا يقطع واصله ولا يمنع حامله لقد أنبتت مساعيك أزهار الامن والامان وتفتحت لورودك في رياض سعد الزمان نواظر نرجس النعمة وشقائق فضل النعمان فاعلم ان هذا الملك ذو جناب منيع وقدر رفيع وبيان معانيه بديع عزيز المنال جامع لصفتى الجمال والجلال قد اختار العزلة في رؤس الجبال فلذلك طبعه لايخلو من جساوه وقلبه من قساوه وان غذاءه من اللحوم ومن الحيوانات مشروبه والمطعوم مخالبه كالاسل ويلجأ الى الله تعالى اذا انسر منقاره ونسل وحقيقة أمره ان كنت عنه تسل

مقرمر على أعدائه * وعلى الادنين حلو كالعسل

فاذا التجأ اليه فقير أو آوى اليه ضعيف أو كسير أو قصده محتاج أو سلك الى باب مرضاته منهاج فلا يمكن ألطف منه ولا أشفق ولا أقرب من عطفه على مؤمليه ولا أرفق فهو كما قيل بيض قطا يحضنه أجدل وسبب ذلك ان ضميره المنير خال من المكر طاهر من التزوير لايعرف ختلا ولا خديعه ولا خيانة ولا وضيعه ولا كذبا ولا قطيعه ولا في خاطره فساد ولا عنده سوء اعتقاد ولا يعرف غير الحق ولا يقول الا الصدق وذلك لبعده عن مخالطة الناس وعزلته عن كل ذى وسواس وخناس فلقد اتفق العالم أن صحبة بنى آدم سم قاتل وهم باتل فان دأبهم المكر والتلبيس والخداع والتدليس وحسبك قول شاعرهم في كشف ضمائرهم وشرح حقيقة سرائرهم صن من الناس جانبا * كى يظنوك راهبا قلب الناس كيف شئت تجدهم عقاربا ولقد أرشد من أنشد

بنو آدم ان رمت من خيرهم جنى * فاحلى الذى تجنيه من وصلهم صبر
مكارمهم مكر ورؤيتهم ريا * وودهم موؤذ وجبرهم كسر

فان كان فيهم صالح أفسدوه والى سبل الضلال أرشدوه والكلام في هذا المقام لايبلغ التمام فيكتفى بالقليل عن الجليل وشمس النهار لايحتاج في وجودها الى دليل فانهض الآن فقد آن التوجه الى خدمة السلطان فما كل زمان يحصل هذا الامكان فان الاجتماع به كل وقت مشكل فتوكل على الله باحسن متوكل فاذا دخلت عليه وتمثلت بين يديه فاعرف كيف تقف وانظر ياذا الكمال ماذا يناسب

الملك ذلك فجزع أشد الجزع ثم طمع ان يحتال له فوقف قبر بيامنه وناداه وقال له انك آمن فانزل يافنزة فقال له أيها الملك ان الغادر مأخوذ بغدره وانه ان أخطاه عاجل العقوبة لم يخطئه الآجل حتى انه يدرك الاعقاب واعقاب الاعقاب وان ابنك غدر بابنى فعجلت له العقوبة قال الملك لعمري قد غدرنا بابنك فانتقمت منا فليس لك قبلنا ولا لنا قبلك وترى مطلوب فارجع الينا آمنا قال فنزة لست براجع اليك أبدا فان ذوى الرأى قد نهوا عن قرب الموتور فانه لايزيدك لطف الحقود ولينه وتكرمته اياك الا وحشة منه وسوء ظن به فانك لاتجد للحقود الموتور امانا هو أوثق لك من الذعر منه ولا أجود من البعد عنه والاحتراس منه أولى وقد كان يقال ان العاقل يعد أبويه أصدقاء والاخوة رفقاء والازواج ألفاء والبنين ذكراء والبنات خصماء والاقارب غرماء ويعد نفسه فريدا وأنا الفريد الوحيد الغريب الطريد قد تزودت من عندكم من الحزن عبأ ثقيلا لايحمله معى أحد وأنا ذاهب فعليك منى السلام قال له الملك انك لو لم تكن اجتزيت منا فيما صنعناه بك بل كان صنيعك بنا من غير ابتداء منا بالغدر كان الامر كما ذكرت وأما اذا كنا نحن بدأناك فما ذنبك وما الذى يمنعك من الثقة بنا هلم فارجع فانك آمن قال فنزة علم ان الاحقاد لها في القلوب مواقع ممكنة موجعة فالالسن لاتصدق في خبرها عن القلوب والقلب أعدل شهادة من اللسان على القلب وقد علمت أن قلبي لايشهد للسانك ولا قلبك للسانى قال الملك ألم تعلم ان الضغائن والاحقاد تكون بين كثير من الناس فمن كان ذا عقل كان على اماتة الحقد أحرص منه على تربيته قال فنزة ان ذلك لكما ذكرت ولكن ليس ينبغي لذى الرأى مع ذلك أن يظن ان الموتور الحقود ناس ماوتر به

الجمال و يقتضيه المقام من فعل وكلام فاسلك طريقته و راع مخارجه وحقيقته وادخل معه من ذلك الباب ومثلك لا يدل على صواب فما أسرع اللطف وأقرب العنف من حركات الملوك والكبراء وأبعد الرفق وأشرد الخرق من ملكات السلاطين والخلفاء وأقصى مدانيهم اذا غضبوا وأوحش مؤانسيهم اذا صخبوا وأقرب مباعدهم اذا عطفوا وأعجب مناددهم اذا الطفوا و يكفيك يا ذا العقل المتين ماقيل فى شان الملوك والسلاطين

ان الملوك بلاء أينما حلوا * فلا يكن لك فى أكنافهم ظل
ماذا تؤمل من قوم اذا غضبوا * جاروا عليك وان أرضيتهم ملوا
وان مدحتهم ظنوك تخدعهم * واستثقلوك كما يستثقل الكل
فاستغن بالله عن أبوابهم كرما * ان الوقوف على أبوابهم ذل

وقال سيد الانام طرا لا تجاور ملكا أو بحرا فان رضوا رفعوك فوق الافلاك وان غضبوا والعياذ بالله فهو الهلاك وناهيك من تقلبات الملوك يا ذا الارشاد فى السلوك أطفأ الله غضبهم عنك قضية صدرت من تيمورلنك فسأل نجل الوزير الاجل بيان ذلك المثل الصادر من الاعرج الاشل (فقال) الدستور مما حكى عن تيمور من وقائع الامور وشدة عزمه وحزمه وثباته على ما يقصده وجزمه وحلول نقمته بمن يعارضه و يعاكسه فيما يرسم به و يناقضه انه لما توجه بالجنود الى بلاد الهنود وذلك فى سنة ثمانمائة وصل بجيوشه الطاغيه الى قلعة شاهقه اقراط الدرارى باذان مراميها عالقه والرجوم المارقه من النجوم الخارقه تتعلم الاصابة من رشاقة سهامها الراشقه كان بهرام فى مهواه أحد سواطيرها وكيوان فى مسراه خادم نواطيرها والشمس فى استوائها غرة جبينها وقطرات السحاب فى الانسكاب تترشح من قعر معينها وشعة الشفق الحمراء على آذان مراميها وأنوف أبدانها سرادق وكريات النجوم فى القبة الخضراء لعيون مكاحلها وأفواه مدافعها طابات و بنادق وكان الثريا فى انتصابها قنديل معلق على بابها لا يحوم طائر الوهم عليها فانى يصل طائش السهم اليها ولا يتعلق بخدم خدمتها خلخال خيال وافتكار فضلا عن ان يحلق على معصم عصمتها من عساكر الاساورة سوار وفيها من الهنود طائفة ثابتة الجنان غير خائفة جوزت أهلها وما تخاف عليه الى الاماكن المحرزه وثبتت هى فى القلعة حافظة لها متحرزه مع أنها شرذمة قليله وطائفة ذليله لا خير عندهم ولا مير ولا فائدة سوى الضرر والضير ولا للقتال عليها سبيل ولا نحو اليها مبيت ولا مقيل بل هى مطلة على المقاتله مستمكنة على المقاتله فأبى تيمور أن يجاوزها دون أن يجاورها بالحصار و يناجزها واللبيب العاقل لا يترك وراءه لخصمه معاقل فجعلت المقاتلة تناوشها من بعيد و يصب كل من أهلها عليهم من اسباب المنايا ما يريد كما يريد وكان كل يوم يقتل من عسكره ما لا يحصى والقلعة تزداد بذلك اباء واستعصا وهو يأبى الرحيل عنها الا أن يصل الى غرضه منها ففى بعض أيام المحاصرة مطروا و بواسطة المطر انحصروا وصار يحثهم على القتال ثم ركب لينظر ماذا يصنعون فى تلك الحال فلم يرتض أفعالهم لما عكست أوحالهم أحوالهم فدعا رؤس الامراء و زعماء العساكر والكبراء وأخذ يمزق أديم عصمتهم بشفار شتمه ويشقق ستر حرمتهم بمخاليب لعنه وذمه ونفخ الشيطان فى خيشومه وألهب فيه نار غضبه وشومه وقال يا لئام وأكلة الحرام تتقلبون فى نعمائى وتتوانون عن أعدائى جعل الله نعمتى عليكم وبالا وألبسكم بكفرانها الخيبة ونكالا يا نابذى الذمم وكافرى النعم وساقطى الهمم ومستوجبى النقم ألم تطؤا أعناق الملوك بأقدام اقدامى ألم تطيروا الى الآفاق بأجنحة احسانى واكرامى ألم تفتحوا مغلقات الفتوح بحسام صولتى أما سرحتم فى متنزهات الاقاليم سوائم تحكمكم بترعية دولتى بى ملكتم مشارق الارض ومغاربها وأذبتم جامدها وأجمدتم ذائبها

ألم أك نارا يصطليها عدوكم * وحرزا لما ألجئتم من ورائيا
و باسط خيرى فيكم بيمينيا * وقابض شرعنكم بشماليا

ولا مصروف عنه فكره فيه وذو الرأى يتخوف المكر والخديعة والحيل و يعلم ان كثيرا من العدو لا يستطاع بالشدة والمكابرة حتى يصاد بالرفق والملاينة كما يصاد الفيل الوحشى بالفيل الداجن قال الملك ان العاقل الكريم لا يترك الفه ولا يقطع اخوانه ولا يضيع الحفاظ وان هو خاف على نفسه حتى ان هذا الخلق يكون فى اوضع الدواب منزلة فقد علمت ان اللاعبين يلعبون بالكلاب ثم يذبحونها و ياكلونها و يرى الكلب الذى قد الفهم ذلك فلا يدعوه الى مفارقتهم ولا يمنعه من الفته اياهم قال فنزة ان الاحقاد مخوفة حيثما كانت فاخوفها واشدها ما كان فى نفس الملوك فان الملوك يدينون بالانتقام و يرون الدرك والطلب بالوتر مكرمة وفخرا وان العاقل لا يغتر بسكون الحقد اذا سكن فانما مثل الحقد فى القلب اذا لم يجد محركا مثل الجمر المكنون ما لم يجد حطبا فليس ينفك الحقد متطلعا الى العلل كما تبتغى النار الحطب فاذا وجد علة استعر استعار النار فلا يطفئه حسن كلام ولا لين ولا رفق ولا خضوع ولا تضرع ولا مصانعة ولا شئ دون تلف الانفس مع انه رب واتر يطمع فى مراجعة الموتور بما يرجو أن يقدر عليه من النفع له والدفع عنه ولكنى أنا اضعف عن ان أقدر على شئ يذهب به ما فى نفسك ولو كانت نفسك منطوية لى على ما تقول ما كان ذلك عنى مغنيا ولا ازال فى خوف و وحشة وسوء ظن ما اصطحبنا فليس الرأى بينى و بينك الا الفراق وانا اقرأ عليك السلام قال الملك لقد علمت أنه لا يستطيع أحد لاحد ضرا و لا نفعا وانه لا شئ من الاشياء صغير ولا كبير يصيب أحدا الا بقضاء وقدر معلوم وكان خلق ما يخلق وولادة ما يولد و بقاء ما يبقى ليس الى الخلائق منه شئ كذلك فناء ما يفنى وهلاك ما يهلك

ولازال يهمهم و يغمغم و يهذرم و يبرطم وهـم مطرقون لايحيرون جوابا ولا يمكون منه خطابا ثم
ازداد حنقا وكاد ان يموت خنقا فاخترط السيف بيده اليسرى وهمزبه على قمم أولئك الاسرى وهم
ان يجعل رقابهـم قرابه ويسقى من دمائهم غل فرنده وذبابه وهـم على تلك الحال فى الخزى والاذلال
باذلو أنفسهم نا كسو رؤسهم ثم تراجع وتماسك وملك نفسه قليلا أوتمالك فاغمد عن تشريقهم
حسامه ولم يلق لامره دبرة ولاقبلة أمامه فغلاف غربه وشامه ثم نزل عن مركبه واستدعى الشطرنج
الكبير ليلعب به وكان عنده ممن فاق جنده شخص يدعى محمد قاوجين ذومكان مكين ومقام أمين
مقدم على كل الوزراء مبجل دون سائر الامراء وافر الطول مقبول القول مسعود الرأى ميمون الفصل
مرغوب الفضل محبوب الشكل فتشفع الوزراء اليه وتراموا فى حل هذا الاشكال عليه وقالوا ساعدنا
ولو بلفظه وراقبنا ولو بلحظه واعمل معنا بهذا المعنى وهو

ساعد بجاهك من يغشاك مفتقرا * فالجود بالجاه فوق الجود بالمال

فأجابهـم والتزم ان يرده عما نازم به ووازم و راقب مجال المقال وراعى فرص المجال وشرعت أفكار
تيمور تغور فى أمر القلعة وتغور وجعل يستضوى اضواءهم ويستورى آراءهـم ولا يسع كلا منهم
الا القبول لما يستصوبه برأيه و يقول ففى بعض الاحايين اتفق ان قال محمد قاوجين وقد نزل به القضاء
وأحاطت به نوازل البلاء أطال الله بقاء مولانا الامير وفتح بمفاتيح آرائه ورايانه حصن كل أمر عسير هب
انا فتحنا هذه القلعه بعد ان أصيب منا جانب من أهل النجدة والمنعه هل يفى هذا بذا أم هل يوازن هذا النفع
بهذا الاذى فما احتفل بخطابه ولا اشتغل بجوابه بل استدعى شخصا من البرقدار به قبيح المنظر الا انه
فى هيئة ذو يه يدعى هراملك ذا عرف سهك ووجه فى السواد حلك أوسخ من فى المطبخ واسنخ من فى
المسلخ لعاب الكلاب طهور عند عرقه وعصارة القير حليب بالنسبة الى مرقه فعندما حضر لديه ووقع نظره
عليه أمر بثياب محمد قاوجين فنزعت وبخلقان هراملك خلعت ثم ألبس كلا ثياب صاحبه . وشد وسطه
بحياصته ودعا دواوين محمد ومباشريه وضابطى ناطقه وصامته وكاتبيه ثم نظر ماله من ناطق وصامت
ونام وجامد وملك وعقار وأهل وديار وحشم وخدم من عرب وعجم وأوقاف وأقطاع وبساتين
وضياع وخول واتباع وخيل وجمال واحمال واثقال حتى زوجاته وسراريه وعبيده وجواريه
فانعم بذلك كله على ذلك الوسخ وأمسى نهارو جود محمد قاوجين الزنخ وهو من ليل تلك النعمة منسلخ ثم
قال تيمور وهو كالنمور يعور اقسم بالله وآياته وذاته وصفاته ووحيه وكلماته وأرضه وسمواته وكل
نبى ومعجزاته وولى وكراماته وبرأس نفسه وحياته لئن آكل محمد قاوجين أحدا أوشاربه أوماشاه
أوصاحبه أوكلمه أوصافاه أوأوى اليه أوآواه أوراجعنى فى أمره أوشفع عندى فيه أوفاه بعذره
لاجعلنه مثله ولاصيرنه مثله ثم طرده وأخرجه وقد سلبه نعمته وأحرجه فسار مسلوب النعم قد حلت
به فى لحظة نوائب النقم فصحبوه بالولق ورأى نعمته على أذل الخلق واتصل غيره بالحلق وقطع منها الحلق
ففلقت حبة قلبه أشد فلق ولم يزل على ذلك فى عيش مر وعمر حالك وحاشا ان تشبه قضيته قصة كعب بن مالك
فكان يستحلى مرارة الموت ويستبطى اشارة الفوت وكل لحظة من هذا الحيف أشد عليه من ألف ضربة
بالسيف فلما هلك تيمور أحياه وردعليه خليل سلطان ما كان سلبه جده اياه (وانما أوردت) هذه السيره
يازكى السريره لتقيس على هذا المثل نظيره وتعرف اخلاق الملوك ومعاملاتهـم الغنى والصعلوك وان
نظرهم نضار واعراضهم بوار ودمار ومن أراد ان يطلع على سر القضاء والقدر فليراقب شفتى الملك
اذا نهى وأمر وقال من أحسن المقال

قرب الملوك ياأخا القدر السنى * حظ جزيل بين شدقى ضيغم

وليس لك فى الذى صنعت بابنى ذنب ولا لابنى فيما اصنع بابنك ذنب انما كان ذلك كله قدرا مقدورا وكلانا له علة فلانؤاخذ بما اتانا به القدر قال
فنزة ان القدر لكما ذكرت لكن لا يمنع ذلك الحازم من توقى المخاوف والاحتراس من المكاره ولكنه يجمع تصديقا بالقدر واخذا
بالحزم والقوة وانا اعلم انك
تكلمنى بغير مافى نفسك
والامر بينى وبينك غير صغير
لان ابنك قتل ابنى وانا فقأت
عين ابنك وأنت تريد ان
تشتفى بقتلى وتختلنى عن
نفسى والنفس تابى الموت
وقد كان يقال الفاقة بلاء
والحزن بلاء وقرب العدو
بلاء وفراق الاحبة بلاء
والسقم بلاء والهرم بلاء
ورأس البلايا كلها الموت
وليس أحد باعلم بمافى نفس
الموجع الحزين ممن ذاق
مثل مابه فانا بما فى نفسى
عالم بمافى نفسك للمثل
الذى عندى من ذلك ولا
خير لى فى صحبتك فانك
لن تتذكر صنيعى بابنك
وان اتذكر صنيع ابنك
بابنى الا احدث ذلك لقلوبنا
تغييرا قال الملك لاخير فيمن
لا يستطيع الاعراض عما
فى نفسه ويهمله وينساه
حتى لا يذكر منه شيأ ولا
يكون له فى نفسه موقع قال
فنزة ان الرجل الذى فى
باطن قدمه قرحة ان هو
حرص على المشى لابد انه
لا يزال يشتكى قرحته والرجل
الارمد العين اذا استقبل
بها الريح تعرض لان تزداد
رمدا وكذلك الواتر اذا دنا
من الموتور فقد عرض نفسه
للهلاك ولا ينبغى لصاحب
الدنيا الا توقى المهالك والمتالف
وتقديرا لامور وقلة الاتكال على الحول والقوة وقلة الاغترار بمن لا يؤمن فانه من اتكل على قوته فحمله ذلك على أن يسلك الطريق المخوف فقد
سعى فى حتف نفسه ومن لا يقدر لطاقته طعامه وشرابه وحمل نفسه مالا تطيق ولا تحتمل فقد قتل نفسه ومن لم يقدر لقمته وعظمها فوق ما يسع فوه

فر بما غص بها فات ومن اغتر بكلام عدوه وانخدع له وضيع الحزم فهو اعدى لنفسه من عدوه وليس لاحد النظر فى القدر الذى لا يدرى
ما يأتيه منه ولا ما يصرفه عنه ولكن عليه العمل بالحزم والاخذ بالقوة ومحاسبة نفسه فى ذلك والعاقل لا يثق باحد ما استطاع ولا يقيم
على خوف وهو يجد عنه
مذهبا وانا كثير المذاهب
وارجو ان لا اذهب وجها
الا اصبت فيه ما يغنينى فان
خلالا خمسا من تزودهن
كفينه فى كل وجه وآنسنه
فى كل غربة وقربن له
البعيد وأكسبنه المعاش
والاخوان أولهن كف
الاذى والثانية حسن الادب
والثالثة مجانبة الريب
والرابعة كرم الخلق والخامسة
النبل فى العمل واذا خاف
الانسان على نفسه شيأ
طابت نفسه عن المال
والاهل والولد والوطن فانه
يرجو الخلف من ذلك كله
ولا يرجو عن النفس خلفا
وشر المال ما لا انفاق منه
وشر الازواج التى لا تواتى
بعلها وشر الولد العاصى
العاق لوالديه وشر الاخوان
الخاذل لاخيه عند النكبات
والشدائد وشر الملوك الذى
يخافه البرىء ولا يواظب
على حفظ أهل مملكته وشر
البلاد بلاد لا خصب فيها ولا
أمن وانه لا أمن لى عندك
أيها الملك ولا طمانينة لى فى
جوارك ثم ودع الملك وطار
فهذا مثل ذوى الاوتار الذين
لا ينبغى لبعضهم ان يثق
ببعض انقضى باب ابن الملك
والطائر

*(باب الاسد والشعهر الناسك
وهو ابن آوى)*

(قال) دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثل الملك الذى يراجع من اصابته منه عقوبة من
غير جرم أو جفوة من غير ذنب (قال) الفيلسوف ان الملك لو لم يراجع من اصابته منه جفوة عن ذنب أو عن غير ذنب ظلم أو لم يظلم لاضر ذلك

واعلم يا أبا الفضائل ان هذا الملك له شمائل وصفات وفضائل يستدل بظاهرها على باطنها ويتوصل بظهور باديها على حركات كامنها فاياك ان تغفل عن مراقبتها وتهمل حال عاقبتها بل اجعل شواهدها نصب عينك لتقرب من حياتك وتبعد عن حينك منها اذا رأيته رجع من الاصطياد ظافرا منه بالمراد وقد اقتنصه وحصله وملأ منه الحوصله وسكنت منه بواعث الشره التى هى منفخ لواعج الطيش والسفه ومنها اذا رأيته جلس فى مجالس السرور وبسط لجبهة الكرم جناح النشاط والحبور وضم عن مطامح الحرص القوادم والخوافى وطلب من رؤساء المملكة الانيس المصافى ومن ندماء الحضرة الجليس الصافى ومن مطربى الاطيار البلابل والهزار ومن رقص بدفوف الازهار وصفق من ذى عود وطار فاستمع لهذا وباسط ذلك وطفق جلساؤه ما بين منصت وحاك فان هذه الاوقات لما فيها من علامات هى الانبساط وأيام الفرح والنشاط فاعمل فيها ما بدا لك وأطف مقالك وكرر جوابك وسؤالك فانك فى كعبة الامن فاستلمها وقد هبت رياحك فاغتنمها والعب بابطيك وصفق بجناحيك واهدر فى تقتقتك واسجع فى بقبقتك فان الوقت لك لا عليك والسعد الطالع ناظر اليك ومنها اذا رأيته جالسا صامتا أو الى الارض باهتا أو محمرة عيونه أو مضطربا سكونه أو أفعاله على غير استواء أو أقواله دائرة مع الهواء فاياك والدخول عليه والمثول بين يديه فانه اذ ذاك يجعل ديار جسدك بلاقع ولو انك النسر الطائر فتصير فى مخاليبه اتعس واقع وعلى كل حال فليكن عندك لكل مقام من هذه المقامات مقال وان كان السكوت أصلح فاغلق باب الكلام قطعا ولا تفتح فكثيرا ما تخلص الساكت من البلاء وأفلح وناهيك النصح بقوله الفصيح وهو

وراقب مقام القول فى كل مجلس * خصوصا مقامات الملوك الاكابر
فكم من بليغ فوق ذروة منبر * رمته أفاعى النطق تحت المقابر

قال المفلح النجدى للمرشد المجدى جزى الله مولانا عن صدقاته أوفر صلاته وواصله بعوائد كرامه فى عشيته وغداته فما أشمل احسانه وحسناته وأسعد حركاته وسكناته واوفر شفقته على قاصدى عتباته طالب أنت دليله كيف لا يفتح الى الخير سبيله ويرجع الى حصول المقام مبيته ومقيله ثم ان اليؤيؤ الشفوق تركهم وطار الى العيوق ثم رجع على الفور ووجهه يرف كالنور فدعا اليعقوب وتوجه وهو معه مصحوب وأخذا فى السير الى خدمة ملك الطير وفرعا فى جبل يسامى فى المثل قبة الفلك أو مركز الملك يستمد السحاب من ماء واديه وتسبح سماك السماء فى بحر ناديه يعرق جبين الوهم من صعود عقباته ويقصر ساعد الفكر فى سلم الهواء عن الترقى الى أدنى درجاته ويستريح راقى الخيال فى عدة مواضع عند قصده فروع هضباته فهو كما قيل

وطود تلوح الشمس من تحت ذيله * اذا هى فى كبد السماء استقرت

فلا زالا يسيران وفى الجو يطيران اليؤيؤ امام قائد الزمام والحجل وراءه ينشد هذا الكلام

لكل امام اسوة يقتدى به * وأنت لاهل المكرمات امام

فوصلا من تلك المدارج الى أعلى المعارج وانتقلا فى تلك المسالك عن دركات المهالك وانتهيا الى أوج رأيا ملكة النيرات جارية فى حضيضه ودرر الدرارى راكدة فى قعر مغيضه يشتمل على مروج ورياض ومراع وغياض وبحار وحياض تنادى خيراتها سكان الربع المسكون فى انصباب اعلامهم وفى السماء رزقكم وما توعدون رياض تلونت ومروج بازاهيرها تحسنت وأرض قال لها صانع القدرة اذ تمكنت تكونى كاخلاق الكرام فتكونت وأخذت زخرفها من رضوان خازن الجنان وازينت فوجدا دار سلطنة العقاب بعد مقاساة عقاب العقاب كما قيل

مكانا فيه سلطان الطيور * تصدر بالسرور على السرير * أطاف به صنوف الطير طرا
عكوفا بالحضور وبالحبور * لكل فى مباشرة مقام * يقوم به جليل أو حقير

بالامور ولكن الملك حقيق أن ينظر فى حال من ابتلى بذلك ومخبر بما عنده من المنافع فان كان ممن يوثق به فى رأيه وأمانته فان الملك حقيق
بالحرص على مراجعته فان الملك لا يستطاع ضبطه الامع ذوى الرأى وهم الوزراء والاعوان ولا ينتفع بالوزراء والاعوان

قدا كتنفته الميمنة والميسرة وأحدقت به المقدمة والمؤخرة كل واقف فى مقامه شاهينه مع كركيه وبازيه مع حمامه فالانيس صاحب الظرف والكيس حامل القبز كالاوزان يترنم فى مقابلة الايوان ويمدح ملك الاطيار والامراء والحضار والكبراء والنظار وينشدهم جليل الاوصاف ورقيق الاشعار فمما أنشده الاوزان من مناقب السلطان ووجه الخطاب الى العقاب قوله

مقامك أعلى ان يقوم بوصفه * بيان بليغ أو لسان فصيح
أجلتك عنقا مغرب فاختفت فما * تلوح لطارف فى البلاد طموح

والنسر الطائر المقدم على العساكر قد أظله بالجناح وليس عليه فى طلبة سيادة الطير جناح رافع اللواء صاف فى جو السماء رئيس الدير حامل القبة والطير كما قيل

ونسر تغير الطير من قرب ظله * وفى ظله للسعد مأوى ومنزل

والسنقر فى ثوبه الفهرى وخلقه النمرى أمير سلاح الجوارح ورأس عساكر السوانح والبوارح كما قيل

هو السنقر العالى بهمته التى * تعالت على أيدى الملوك بها يده

والشاهين الدوادار عليه لمصالح المملكة المدار قد تصدى لقضاء الحوائج لكل داخل وخارج ينظر فى الولاية والعزل ويتعاطى الامور بالجد لا بالهزل فيقضى المآرب ويوصل المطالب الى الطالب كما قيل

طويل العنق رحب الصدر ضخم * له فى آل قسطنطين ضبط
تغشى من سواد العين ثوبا * عليه من دم الاحشاء نقط

والكركى الراطن بالتركى يتحلى فى ثوبه المسكى كاتب الاسرار وصاحب الاخبار لسان المملكة ومحور الفلكة مستخدم السيف والقلم وفى الفضائل والفواضل نار على علم كما قيل

وكركى يحيد الصقر عنه * لهيبة بطشه وشديد بأسه

والتم المشهور ناظر الجيش المنصور صدر الديوان وقاضى الجند والاعوان كما قيل

وتم تم دست الطير منه * كقاض زان أرباب الكتاب عليه من المهابة ثوب مجد * كوجه الطاعنين لذى الحساب

والطاوس كأزهى عروس فى أفخر ملبوس مقدم على الخواص كالناظر الخاص ناشر مروحة الارتياح يتجلى بجمال هيئته الفائق على الوجوه الملاح كما قيل

ثوبه قد حار فيه * كل صباغ عليم
ولسان الحسن نادى * صبغة الله الحكيم فيروق العين منه * فوق أوصاف الكليم

والبازى الامير الكبير صاحب الرأى والتدبير أمير الميمنة قد رتب صفه وزينه كما قيل

وباز أشهب عيناه جمر * يضىء وفى جناحيه النجاح

والصقر الشهم السابق فى الطيران الوهم أمير الميسرة قد فاق بشهامته عسكره كما قيل

وصقران يلح فى القفر ظبى * أتيح له من الجو انصبابا أقام بمخلب عن شهم سهم * ونسر عن قوى الناب نابا

والباشق الجاووش ورأس نوبة العساكر والجيوش كما قيل

انظر الى الباشق فى صيده * ينقض كالسهم من الراشق يقفو حماما مثل معشوقة * اتبعها الحب حشا العاشق

والببغاء تحلى فى الحلة الخضراء وتنثر من الخاتم الياقوت در الثناء وتخبر بعجائب الهند وتسرد غرائب رغائب السند كما قيل

تسمت درة لكن كساها * حكيم الصنع ثوبا من زبرجد
ومن لها بمنقار عقيق * وخاط شعارها من عين عسجد

والهدهد لابس التاج ينهى الى موقع الدراج أخبار المساره والاحوال الساره كما قيل

وهدهد أليس ثوب البها * فعم اذخص بصدق النبا اغرب اذ أشرق فى حسنه * ففاق أهل التاج حتى سبا

والحمام مقدم البريديه يتردد فى مواقف العبوديه والعصافير كالمماليك الاجلاب فى الكتاب يدرسون

الا بالمودة والنصيحة ولا مودة ولا نصيحة الا لذوى الرأى والعفاف واعمال السلطان كثيرة والذين يحتاج اليهم من العمال والاعوان كثيرون ومن يجمع منهم ما ذكرت من النصيحة والعفاف قليل والمثل فى ذلك مثل الاسد وابن آوى قال الملك وكيف كان ذلك (قال) الفيلسوف زعموا أن ابن آوى كان يسكن فى بعض الدحال وكان متزهدا متعففا مع بنات آوى وذئاب وثعالب ولم يكن يصنع ما يصنعن ولا يغير كما يغرن ولا يهرقن دما ولا يأكل لحما فاصمته تلك السباع وقلن لا نرضى بسيرتك ولا رأيك الذى انت عليه من تزهدك مع ان تزهدك لا يغنى عنك شيأ وأنت لا تستطيع أن تكون الا كأحدنا تسعى معنا وتفعل فعلنا فما الذى كفك عن الدماء وعن أكل اللحم قال ابن آوى ان صحبتى اياكن لا تؤثمنى اذا لم أوثم نفسى لان الآثام ليست من قبل الاماكن والاصحاب ولكنها من قبل القلوب والاعمال ولو كان صاحب المكان الصالح يكون عمله فيه صالحا وصاحب المكان السيئ يكون عمله فيه سيأ كان حينئذ من قتل الناسك فى

 محرابه لم يأثم ومن استحياه فى معركة القتال أثم وانى انما صحبتكن بنفسى ولم صحبكن بقلبى وأعمالى لانى اعرف ثمرة الاعمال فلزمت حالى وثبت ابن آوى على حاله تلك واشتهر بالنسك والتزهد حتى بلغ ذلك أسدا كان ملك تلك الناحية فرغب فيه لما بلغه عنه من

العلم والآداب والبلبل والهزار ومطوقات الاطيار وساجعات الاسحار مسبحات الواحد القهار
يتناشدون الاشعار ويرددون نغمات الاوتار ومطربات رنات الاوطار وضروب ضروب الموسيقا من
حنك المنقار والشحرور والزرزور وذوات الهديل من الطيور حتى جناح الزنبور تغرد فتخجل العود
والطنبور وزواجر الطير تبشر بالفرح والخير وأنواع الجوارح في الحافات والطير في الجو صافات
كل يفدى الملك ويقدم جسده وروحه ويسبح من آتاه الملك كل قد علم صلاته وتسبيحه فتقدم اليويو الى
الحضره والملك في أبهى نضره وقبل مواطئ سلطانه ووقف من مقام خدمته في مكانه وقال شخص
عارف بطرائق السلوك يليق لخدمة الملوك واقف بالباب يروم تقبيل الاعتاب يطلب لذلك الدستور
والانعام باذن الحضور ليشمله النظر الشريف ويحظى بحظ وريق وريف هل يرجع كالمصروف
عن خدمته أو يدخل كالدولة والاقبال فعطف بالقبول وأذن له بالدخول وسمح بالمثول فتوجه اليويو
على عجل الى الجبل فدخل وهو من الحياء متأثر وفي ذيل الدهشة والهيبة متعثر وعليه غلالة سابوريه
وخلعة نيسابوريه مشتملا بشملة كاوريه كانه شيخ الصوفيه فلما وقع نظره على العقاب قوى جأشه ورفع
الحجاب وحل عقدة لسانه من لكنة الخطاب ثم قبل الارض ووقف وانشد بديها وما وقف ولوان
فغفورا وكسرى وتبعا * رأوك لخروا بين أيديك سجدا وما أن وفوا حقا عليهم وانما * على قدر ما في
لوسع مد الفتى يدا فابتدر اليويو بلفظ يخجل اللؤلؤ وقال العجل يريد ازالة الدهشة والخجل
وطيب المقام ببسط الكلام أيها الغريب الاريب والاديب النجيب رأيناك روحا ملخصا وعقلا مشخصا
صحبتك مرغوبه ومنادمتك مطلوبه لقد حللت محل الامن والاماني وعقدة السعد والتهاني فدع دهشتك
وذر وحشتك وأفصح بكلامك عن كمالك وعن مقامك بمقالك فعباراتك عقيلة العقل وواسطة عقود النقل فان
كان عندك نصيحة تصلح للملوك أو وصية ترشد أهل السلوك يبين العدل بنورها طرائقه ويزين العقل بمجازها
حقائقه وتستقيم بها الامور ويستفيد منها الجمهور أو نوع رفع مظلمه أو حط مأثمه أو كشف بلوى
أو بث شكوى أو حاجة في نفسك وما قاسيته في يومك وامسك أو لطيفة تشرح بها الصدور وتبسط
بايرادها الحضور فهذا وقت تشنيف المسامع بجواهرها ونثر درها على بادي الحاضرين وحاضرها فان
المحل قابل وعنق الاصغاء الى اطواق لطائفك مائل ومجال الحلم لذلك واسع ومجال الكرم داسع وفاعل
الصنيعة صانع وكف اللطف معط لا مانع فقال الجبل بعد ان زال الخجل وحال الوجل وجال الزجل من
غير ريث ولا عجل الحمد لله الذي آسى جراحنا واحيا بعد التلف أرواحنا قد كنا في بيداء الحيرة والهلاك
وظلماء الضر والخوف في انهماك ومرت علينا سنون ونحن في الخسار والغبون ونار الاشتياق تضطرم
وبواعث تقبيل الاعتاب الشريفة السلطانية في الفؤاد تزدحم اذ قد انتشر جناح عدلها وتجاح ظلها وسماح
وابلها وطلها وكرر كل لسان محامد فضلها واشتهر لكل حيوان ما ترنبلها فهي أمان كل مخوف وملجأ
كل ملهوف لكن كانت العوادي تقرع تلك الدواعي وغواشي الحوادث تعترض دون المساعي تارة
باكتناف المخاوف وطورا باحتفاف الخواطف وحينا بضعف المباني وآونة بعدم المعاون والمعاني والآن
يا ملك الزمان بحمد الله المنان ازحنا المهالك والمهاوي واسترحنا من ضرب المسالك والمساوي اذ قد طرنا
بجناح النجاح من جنح الجناح وصرنا الى محل السماح والرباح فزالت العلل وانسد الخلل وحللنا في
عقوة منيفة وسدة شريفة فامنا شرك المكايد وشر المصايد وتوسدنا مهاد الدعه واستظللنا جناح الامن
والسعة وانه قد قيل عدل السلطان خير من خصب الزمان وقيل الملك العادل والامام الفاضل كالاب
الشفيق والوالد الرفيق يعامل بالسويه ويحفظ الرعيه ويحرسها من برد الماء وحر النار كما يحرس
الوالد الولد من هبوب الهواء وشم الغبار وقلت

العفاف والنزاهة والزهد والامانة فارسل اليه يستدعيه فلما حضر كلمه وآنسه ثم دعاه بعد أيام الى صحبته وقال له تعلم ان أعمالي كثيرة واعواني جم
غفير وأنا مع ذلك الى الاعوان محتاج وقد بلغني عنك عفاف فازددت فيك رغبة وأنا موليك من عملي جسيما ورافعك الى منزلة
شريفة وجاعلك من خاصتي قال ابن آوى ان الملوك احقاء باختيار الاعوان فيما يهتمون به من أعمالهم وأمورهم وهم أحرى ان لا يكرهوا على ذلك احدا فان المكره لا يستطيع المبالغة في العمل واني لعمل السلطان كاره وليس لي به تجربة ولا بالسلطان رفق وأنت ملك السباع وعندك من أجناس الوحوش عدد كثير فيهم اهل نبل وقوة ولهم على العمل حرص وعندهم به وبالسلطان رفق فان استعملتهم أغنوا عنك واغتبطوا لانفسهم بما أصابهم من ذلك قال الاسد دع عنك هذا فاني غير معفيك عن العمل قال ابن آوى انما يستطيع خدمة السلطان رجلان لست بواحد منهما اما فاجر مصانع ينال حاجته بفجوره ويسلم بمصانعته واما مغفل لا يحسده أحد فمن أراد أن يخدم السلطان بالصدق والعفاف فلا يخالط ذلك بمصانعة وحينئذ قل أن يسلم على ذلك لانه يجتمع عليه عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد أما الصديق فينافسه في منزلته ويبغي عليه فيها ويعاديه لاجلها وأما عدو السلطان فيضطغن عليه لنصيحته
لسلطانه واغنائه عنه فاذا اجتمع عليه هذان الصنفان فقد تعرض للهلاك قال الاسد لا يكونن بغي أصحابي عليك وحسدهم مزانا
اياك مما يعرض في نفسك فأنت معي وأنا اكفيك ذلك وابلغ بك من درجات الكرامة والاحسان على قدر همتك قال ابن آوى ان كان الملك يريد

نزلنافى ذرى ملك كريم * برانامثل أولادالكرام * أضل نوائب الايام عنا

فلم ترناولافى الاحتلام * ولامطر السماء يصيب منا * كأن مقامنافوق الغمام

فقال الملك أهلاوسهلا وناقة ورحلا طب قلباونفسا واهنأ معنى وحسا لقد حللت بساحة الاستراحة وباحة الامن مباحه وقاحة ليس لصائديها وقاحه ولا لجارحة جارح بها جراحه وقد حصلت من جواسر الكواسر ومناسر النواسر ونزلت بوادى الخير ونادى ملك الطير فا كرمت صدر منزلك ونلت غايه أملك فاذهب بسلام وأت بما لك من خادم وغلام واهل وثقل وفرس وجمل واثاث وقماش ومعاش ورياش وتخير مكانا تختار وجارا حسن الجوار فقال أيها الملك السعيد انا شخص فريد غريب فقير لا بريق لى ولا صبر وقلت

انا ولولا الحيا وخوف العار * لم أكن فى الانام الاعارى

من رآنى فقد رآنى وبيتى * ودثارى ومركبى وشعارى

غير ان لى قرينة مثلى فقيرة مسكينة صابرة على السراء والضراء قضينا معا ماضى الصباح والمساء لم يترك عقبل الحوادث لنا دارا ولا يد العوابث عندنا ولاعقارا ولا مخلب العوائث جارا ولا جوارا ولا ناب الكوارث ولدا ولا قرارا والويل كل الويل لمن كان مستقره فى طوارق الليل ومن حوادث الدهر على سبيل السيل وقد طال الكلام فى كيت وكيت وقضايا ذيت وذيت الى ان لم يبق فى البيت سوى البيت ولما بلغ سيل العرم الربى وحزام الهم الطبى وما حال من يرى أفلاذ كبده تتقطع ويشاهد كل وقت قرة عينه بمخاليب الجوارح تتبضع ولا يد للمدافعة تمتد ولا نهضة للممانعة تشتد فينشد

كفى حزنا أنى ارى من أحبه * رهين الردى يرتوالى بطرفه

أودّ عالى لو يفدى ومهجتى * ولكن يد التقدير غالت بحتفه

ولما تكرر ضر أيوب وتضاعف حزن يعقوب تركنا تلك الديار بالاضطرار وعلى أبوابك الشريفة وقع الاختيار فرصدنا للتحويل أيمن الساعات واخترنا للرحيل أحسن الاوقات ثم صممنا العزيمه ونادانا هاتف السعد اسرع اندعى جذيمه فقطعنا المهامه والقفار وسرينا الليل والنهار فكم رغنا عن أبى الحصين ولقينا مالاقى الحسين بكربلاء من الكرب والبلاء وكم لجأنا من بنى زغار الى كهف واجم وغار واحترزنا من قنافذ وافعوان ذى سم نافذ ونفرنا من حبائل اشراك وحدنا عن اوهاق شباك واخترنا الجوع وعدم الهجوع على الحب المبذور لاصطياد الطيور كل ذلك فى المسالك والسعد قائدنا والفلاح رائدنا واليمن دليلنا وظلال أمنك ظليلنا وفى تهانى سعدك مبيتنا وكنف فضلك مقيلنا حتى حللنا بدار الامان ونزلنا بحرم مولانا السلطان فنادانا فضل خالق الورى لا تخافا اننى معكما أسمع وأرى ألقيا عصا التسيار وانزلا عند خير جار فتركت القرينه فى منزلة حصينه وكل بلاد أمينه وأممت مقامك الشريف وجنابك المنيف مقاما عظيما وجنابا كريما ومجلسا عاليا وبابا ساميا فتوخيت ثم نوديت

هذا هو الملك الذى من بابه * يعطى المخوف امانه لزمانه

عم الورى احسانه فكانما * أرزاقهم كتبت على احسانه

ثم نهض اليعقوب من مكانه وقبل الارض بين يدى سلطانه وتوجه فائزا بامنيته حتى وصل الى خليلته فاخبرها بما جرى بتخيير المشترى وكيف رأى اليؤيؤ والملك وصورة ما فعل به وسلك وكيف تلقى مقدمه واكرمه الملك بما اكرمه وقرر كيف كان خطابه وعلى أى صورة حسناء رد جوابه فسر صدرها وانشرح وطارت بهذا الامر من الفرح ثم توجها الى حضرة السلطان وحصل لهما من الانعام والاحسان ما انسياه الاوطان وسلكا بنفس مطمئنه فى خدمة الملك مع الجماعة وأهل السنة وخوطب اليعقوب من الملك اسكن أنت وزوجك الجنه فلما استقرت بهما الدار وتبدل انكسارهما بالانجبار افيض عليهما من

الاحسان الى فليدعنى فى هذه البرية اعيش آمنا قليل الهم راضيا بعيشى من الماء والحشيش فانى قد علمت ان صاحب السلطان يصل اليه من الاذى والخوف فى ساعة واحدة ما لا يصل الى غيره فى طول عمره وان قليلا من العيش فى أمن وطمانينة خير من كثير من العيش فى خوف ونصب قال الاسد قد سمعت مقالتك فلا تخف شيأ مما أراك تخاف منه ولست اجد بدا من الاستعانة بك فى امرى قال ابن آوى اما اذا ابى الملك الا ذلك فليجعل لى عهدا ان بغى على احد من أصحابه عنده ممن هو فوقى مخافة على منزلته او ممن هو دونى لينازعنى فى منزلتى فذكر عند الملك منهم ذكرا بلسانه أو على لسان غيره ما يريد به تحميل الملك على ان لا يعجل فى امرى وان يتثبت فيما رفع اليه ويذكر عنده من ذلك ويفحص عنه ثم ليصنع ما بداله فاذا وثقت منه بذلك اعنته بنفسى فيما يحب وعملت له فيما أولانى بنصيحة واجتهاد وحرصت على ان لا أجعل له على نفسى سبيلا قال الاسد لك ذلك على وزيادة ثم ولاه خزائنه واختص به دون أصحابه وزاد فى كرامته فلما رأى أصحاب الاسد ذلك غاظهم وساءهم فاجمعوا كيدهم واتفقوا كلهم على ان يحملوا عليه الاسد وكان الاسد قد استطاب لحما فعزل منه مقدارا وأمره بالاحتفاظ به وان يرفعه فى أحصن موضع طعامه واحرزه ليعاد عليه فأخذوه من موضعه وحملوه الى بيت ابن آوى فخبؤه فيه ولا علم له به ثم حضروا يكذبونه ان جرت فى ذلك حال فلما كان من الغد ودعا الاسد بغذائه فقد ذلك اللحم فالتمسه ولم يجده وابن آوى لم يشعر بما صنع فى حقه من المكيدة فحضر الذين عملوا المكيدة وقعدوا فى المجلس ثم ان الملك سال عن اللحم وشدد فيه وفى المسئلة عنه فنظر بعضهم الى بعض فقال

الصدقات والادرارات والنفقات مالم يخطر ببالهما ولا دار على خيالهما وحصل لهما الامن والامان والسلامة والاطمئنان وانشرحت خواطرهما وابتهجت بالسكون سرائرهما واستمر التعدى ملازم الخدمه وتوفرت عند الملك واتباعه له الحرمة وسمعت كلمته وتزايدت حشمته ولم يزل صبيح الطلعه نجيح السعى والنجعه وضىء المنظر مقضى الوطر يرتع على بساط النشاط و يطير فى رياض الامن والانبساط مؤديا شرائط الخدمة على الوجه الاحسن قائما بواجب العبودية مهما أمكن الى ان تميز على سائر الخدم وتقدم على السابقين فى الخدمة وثبات القدم ناشرا ألوية النصيحة ناثرا الاثنية الصريحه منادما باللطائف الصحيحه والنوادر المليحه بالعبارات الفصيحة والاشارات الرجيحه حافظ زمام الاحتشام مراعيا مقامات الكلام على مر الايام وكر الشهور والاعوام * ثم ختم الكلام فى هذا المقام بأعظم ختام وهو حمد الله الملك العلام وشكره المستدعى لمزيد الانعام والصلاة على سيد الانام وآله وأصحابه السادة الكرام عليه وعليهم أفضل التحية والسلام وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(الباب العاشر فى معاملة الاحباب والخادم والاعداء والاصحاب وبه تمت أبواب الكتاب)

قال الشيخ أبو المحاسن الراوى من الادب الاحاسن فلما أبان الحكيم عن هذا الفضل الجسيم وكشف نقاب البيان عن مخدرات هذا التبيان فتلألأ من وراء سجف ألفاظه وجوه معانيه الحسان عظم فى أعين الاعاظم وكبر لدى الاعراب والاعاجم ورفعه أخوه وعظمه ذووه فأضاء مناره وعلا مقداره وملأ الآفاق أنواره ووقع من الملك على الاعتماد عليه اختياره ثم استزاده من فيض هذا اليعبوب واستسقاه من حوض هذا الشؤبوب واستطعمه من أخبار العقاب واليعقوب ان كان ثم بقيه تجلو القلوب الصديه فامتثل الاشاره وحسن العباره وقال ثم ان أبا الجاج دعا القبيح أبا الدجاج واختلى به دون أصحابه وقال له اعلم يا جليس الخير وأنيس الطير ورئيس الدير أنى تحملت من البوم المنة العظيمه والجلة الجسيمه حيث أرشدك الى بابى ونظمك فى سلك أصحابى ولا جرم انه قام بما يجب عليه وعرف مقدار احسانى وميلى اليه وانه لأوثق أعوانى وأصدق خلانى وصاحب قديم ومخلص عديم النظير نديم وصديق كافى وناصح مصافى وانى لأتيمن بطلعته وأتبرك بمشاهدته وأستنجح بآرائه واستصبح فى المهمات المظلمة بلامع ضيائه ولقد حصل منك على عضد معاضد وساعد مساعد وكهف وذخر وسند وظهر فاياك ان تترك ذيل مودته أو ترغب عن صحبته ومحبته وان تقتصر باذا الوقوف فى صداقته على الوقوف فافضل المحبه وأكمل الموده ماتزايد على مر الدهور وترادف على كر العصور وثبت أصله وغزرت فروعه وفاض من سويداء القلب على مجارى الجوارح ينبوعه بحيث يقع الاتحاد ويمتزج بالصفاء الوداد فقد قيل لاتصح المحبة بين اثنين حتى يصيرا كالعينين حيثما نظرت احداهما شزرا مالت معها تابعة الاخرى بل يصيرا كالنفس الواحده لا كل واحد على حده ولا كما تقول الملاحده بل يكمل لكل واحد بالآخر الهنا ويحصل له بوجوده السنا واذا خاطبه قال يا أنا ولا تعمل يا أكمل كما قيل

ملأت حشاشتى شوقا وحبا * فان ترم الزيادة هات قلبا

فان الفتاح عنده الفتوح وباب الفضل والزيادة مفتوح وكرم الله لا يضاهى وفضله كعلمه لا يتناهى وانظر يا فضيل وذا العلم العريض الطويل الى ما قيل وهو

أيها السائل عن قصتنا * أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا * من رآنا لم يفرق بيننا
نحن مذ كنا على عهد الهوى * تضرب الامثال للناس بنا فاذا أبصرته أبصرتنى * واذا أبصرتنى أبصرتنا

وألطف من هذا وأرصن ما قاله القائل وأحسن وهو

أنا والمحبوب كما فى القدم * نقطة واحدة من غير مين * فبرانا الله اذ أظهرنا

احدهم قول المخبر الناصح انه لابد لنا من ان نخبر الملك بما يضره و ينفعه وان شق ذلك على من يشق عليه وانه بلغنى ان ابن آوى هو الذى ذهب باللحم الى منزله قال الآخر لا أراه يفعل هذا ولكن انظروا وافحصوا فان معرفة الخلائق شديدة فقال الآخر لعمرى ما تكاد السرائر أن تعرف واظنكم ان فحصتم عن هذا وجدتم اللحم ببيت ابن آوى وكل شئ يذكر من عيوبه وخيانته نحن أحق ان نصدقه قال الآخر لئن وجدنا هذا حقا فليست بالخيانة فقط ولكن مع الخيانة كفر النعمة والجراءة على الملك قال الآخر أنتم أهل العدل والفضل لا أستطيع ان أكذبكم ولكن سيبين هذا لو أرسل الملك الى بيته من يفتشه قال آخر ان كان الملك مفتشا منزله فليعجل فان عيونه وجواسيسه مبثوثة بكل مكان ولم يزالوا فى هذا الكلام واشباهه حتى وقع فى نفس الاسد ذلك فأمر بابن آوى فحضر فقال له أين اللحم الذى أمرتك بالاحتفاظ به قال دفعته الى صاحب الطعام ليقربه الى الملك فدعا الاسد بصاحب الطعام وكان ممن شايع وبايع مع القوم على ابن آوى فقال ما دفع الى شيأ فارسل الاسد أمينا الى بيت ابن آوى ليفتشه فوجد فيه ذلك اللحم فأتى به الاسد فدنا من الاسد ذئب لم يكن تكلم فى شئ من ذلك وكان يظهر انه من العدول الذين لا يتكلمون فيما لا يعلمون حتى يتبين لهم الحق فقال بعد ان اطلع الملك على خيانة ابن آوى فلا يعفون عنه فانه ان عفا عنه لم يطلع الملك بعدها على خيانة خائن ولا ذنب مذنب فامر الاسد بابن آوى ان يخرج ويحتفظ به فقال بعض جلساء الملك انى لأعجب من رأى الملك ومعرفته بالامور كيف يخفى عليه أمر هذا ولم يعرف خبثه ومخادعته

مهجة واحدة فى بدنين * فاذا ما الجسم أمسى فانيا * تلتقينا واحدا من غير بين

واقد ذكرك عندى بانواع الفضل وبوفور التجارب والعقل وهذا يدل على نصحه وقوة دينه وصدقه فى المحبة وحسن يقينه ولم يذكر غير الواقع ولا جازف فيما أنهاه الى المسامع بل قال قليلا من كثير وقطرة من غدير ولم يخبر بذلك غير خبير فانى أعرفك كما عرف ووقفت على فضائلك كما وقف ثم أنت عندى فوق ما وصف فاريد منك نصائح بالخير لوائح تتضمن فوائد وعوائد وفرائد تكون لنهم الحكمة موائد ولشهم الحكام قوائد ولنحور ألباب المعقول وأرباب المنقول قلائد ولضبط أساس الملك والدين قواعد وعقائد فتلقى مثاله بالامتثال وقبل الارض فى مقام العبودية وقام وقال لتحط العلوم الشريفة والآراء العالية المنيفة أن صانع العالم تعالى وتعاظم بنى أمور المبدا والمعاد وما بينهما من معاش مستفاد على دليلين عظيمين جليلين أحدهما العقل الذى هو مناط التكليف وثانيهما قواعد الشرع الشريف فان أردت أن تكون سعيد الدارين فاستمسك باذيال هذين الدليلين أما العقل فهو الدليل القاطع على وجود الصانع وهو مستقل بالقطع غير محتاج الى السمع وكما هو مستقل بالدلالة على وجود ذاته كذلك هو مستقل بالدلالة على تحقيق صفاته ثم ورد بذلك الشرع فتأكدت فى وجود الصانع دلالة العقل بالسمع وأما وحدانية الصانع فكل من العقل والنقل دليل عليها قاطع وقد تظافرا بالاستباق اليه وتظاهرا فى الدلالة عليه بقول الكافر يوم المصير لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير وبالعقل والسمع يستقيم أمر المبدا والمعاش وبالسمع فقط مبحث المعاد عاش لان أمور المعاد من الشرع تستفاد والعقل فى ذلك تابع سامع لاوامر الشرع طائع والمسموع فى ذلك دليل قاطع وعلى كل تقدير أيها الملك الكبير فاجعل العقل وزيرا تجده لك فى ظلمات المشكلات سراجا منيرا واتخذ النقل هاديا ونصيرا يكن بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وعامل الرعية بالعدل يعاملك الله بالفضل واعلم أن الدنيا فى معرض الزوال وانه لابد عنها من الانتقال وان الله سبحانه وتعالى وجل سلطانه جلالا اقتضت حكمته وجرت بين عباده سنته أن يكون الانسان على خلاف ما فطره الرحمن فانه خلقه للعبادة وركب فيه عناده وأقامه للعمل وجبله على الكسل فامره بالصلاة وهو كسلان وبالصوم وهو شهوات وبالزكاة وحبب اليه المال وبالحج وكره اليه الانتقال وبالرضا وركز فيه الغضب وبالتسليم والصبر وخمره بالضجر والصخب وبالتواضع ووضع فيه التيه وبالتخلق باخلاق خالقه وفيه ما فيه وحكم عليه بالموت وقد تحقق انه ليس له منه فوت وهو يكره عن الدنيا التحويل وأقل أقسامه انه يحب العمر الطويل وعلى هذا قد تعود أن يفعل فى المكان المتزود أفعال المقيم المؤبد والدائم المخلد ويبنى بناء من لا ينتقل وعن قليل يتركه ويرتحل لاسيما من تعلق بالدنيا قلبه وتشبث بالمال والولد والجاه والتحكم حبه وقد أخبر العزيز الوهاب فى أصدق كتاب وأوثق خطاب فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب فالنفس مائلة الى الاقامة راغبة فى دوام السلامة تحب طول العمر فى الزمان وان أحوجت الثمانون السمع الى ترجمان وقد قيل

وأحسن ما كان الفتى فى زمانه * مع السعد والجاه العظيم معمرا

واشهى ما سمع الحاكم والذ ما تلقاه من قول الناظم قوله

فلازلت بين الورى حاكما * بجاه عريض وعمر طويل

ولقد بلغنى يا ملك الزمان ان الملك العادل انوشروان كان بنى اساس ملكه على العدل وعامل رعيته بالاحسان والفضل ويكفيه من الفضائل وحسن الشمائل قول سيد الاواخر والاوائل ولدت فى زمن الملك العادل وقال الرحمن فى محكم القرآن ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقد قيل فى الاقاويل لا ملك الا بالرجال

وأعجب من هذا انى أراه سيصفح عنه بعد الذى ظهر منه فارسل الاسد بعضهم رسولا الى ابن آوى يلتمس منه العذر فجمع اليه الرسول برسالة كاذبة اخترعها فغضب الاسد من ذلك وأمر بابن آوى ان يقتل فعلمت أم الاسد انه قد عجل فى أمره فارسلت الى الذين أمروا بقتله ان يؤخروه ودخلت على ابنها فقالت يا بنى باى ذنب امرت بقتل ابن آوى فاخبرها بالامر فقالت يا بنى عجلت وانما يسلم العاقل من الندامة بترك العجلة وبالتثبت والعجلة لا يزال صاحبها يجتنى ثمرة الندامة بسبب ضعف الرأى وليس أحد أحوج الى التؤدة والتثبت من الملوك فان المرأة بزوجها والولد بوالديه والمتعلم بالمعلم والجند بالقائد والناسك بالدين والعامة بالملوك والملوك بالتقوى والتقوى بالعقل والعقل بالتثبت والاناءة ورأس الكل الحزم ورأس الحزم للملك معرفة أصحابه وانزالهم منازلهم على طبقاتهم واتهامه بعضهم على بعض فانه لو وجد بعضهم الى هلاك بعض سبيلا لفعل وقد جربت ابن آوى وبلوت رأيه وأمانته ومروأته ثم لم تزل مادحا له راضيا عنه وليس ينبغى للملك أن يستخونه بعد ارتضائه اياه وائتمانه له ومنذ جئته الى الآن لم يطلع له على خيانة الا على العفة والنصيحة وما كان من رأى الملك أن يعجل عليه لاجل طابق لحم وأنت أيها الملك حقيق ان تنظر فى حال ابن آوى وتعلم انه لم يكن يتعرض للحم استودعته اياه ولعل الملك ان فحص عن ذلك ظهر له ان ابن آوى له خصماء هم الذين ائتمروا بهذا الامر وهم الذين ذهبوا باللحم الى بيته فوضعوه فيه فان الحدأة اذا كان فى رجلها قطعة لحم اجتمع عليها سائر الطيور والكلاب اذا كان معه عظم اجتمعت عليه الكلاب وابن آوى منذ كان

ولا رجال الا بالمال ولا مال الا بالعمارة ولا عمارة الا بالعدل فلا ملك الا بالعدل ومن أقوى الصلات العدل به عمارة بلاد الرعيه وبذل الجهد في العماره ليكثر الربح وتقل الخساره فاذا عمرت البلاد وترمم الطريف والتلاد حصلت الاموال وكثرت الرجال وانتظمت الاحوال فقد بلغني يا ملك الزمان ان الملك أنوشروان كان مارا في سيرانه بين جنده واعوانه فرأى شيخا كانه قوس قطان نثر على رأسه قزع أقطان وهو في بعض البساتين يغرس نصب تين فتعجب من انحناء قامته وبياض هامته مع شدة حرصه وتعبه على نصب غرسه ونصبه فقال له يا ذا التجارب ومن هو من شرك الفناء هارب الام ترتع في ميادين الامل وقد تطوقت باوهاق الاجل تبني واركان جسدك واهيه وتغرس وقوائم بدنك كاعجاز نخل خاويه وربيع شبابك قد استولى عليه خريف الهرم وصيف وجودك قد ادركه شتاء العدم ومحت نسيم طراوتك عواصف الذبول ومحت قوى عبالتك بقواصف النحول وقد آن ان تغرس للآخره فانك قد صرت عظاما ناخره فقال يا ملك الزمان وعادل الاوان قد تسلمناها عامره فلا نسلمها غامره قد غرسوا وأكلنا ونغرس ويأكلون وفي الحقيقة كلنا زارعون وغارسون

لقد غرسوا حتى أكلنا واننا * لنغرس حتى يأكل الناس بعدنا

وابعد فلاح عن الرشد والفلاح من يتسلم المعمور ويتركه وهو بور فاعجب أنوشروان وفور عقل الشيخ الفان وحسن خطابه وسرعة جوابه فقال زه يعني أحسنت وهي كلمة تحسين ولفظة اعجاب وتزيين وكانت علامة للاحسان اذا تلفظ بها السلطان يعطى المقول في حقه أربعة آلاف درهم لرفقه فاعطوا الشيخ الهم أربعة آلاف درهم فقال أيها السلطان ان الغراس يثمر بعد زمان وان غراسي لحسن طاعته أثمر من ساعته فقال زه فاعطوه أربعة آلاف اخرى ورفعوا منزلته قدرا فقال وأعجب من هاتين القضيتين ان الغراس يثمر مرة وأنا غراسي يثمر مرتين فقال زه فاعطوه القدر المعلوم وزادوه في التكريم والتعظيم والتفخيم وقال له أنوشروان ان أمهلك الزمان حتى تأتيني بباكورة هذا البستان فانا أقطعك خراجه وأقضي مالك من حاجه فامهله الدهر وطال به العمر وادرك ما نصبه ولم يخيب الله تعبه فحمل الى الملك الباكوره ووفى له الملك نذوره (وانما أوردت) هذا المثل ليعلم مولانا الملك الاجل ان الدنيا وان كانت ظلا زائلا وحائطا مائلا فهي مزرعة للآخره وان الآخرة هي الدار الفاخره وان الله تعالى وجل جلالا ولاك هذه المزرعه وعلق باوامرك العليه ما بها من مضرة ومنفعه وحكمك في البلاد وملكك رقاب العباد فاياك ان تغفل عن عمارتها بالزراعه أو تسلم زمام تدبيرها الى يد الاضاعه فانك مسؤل منها ومسؤل عنها وان مصالح عساكرك بها منوطه وأحوال ممالكك بالعساكر مربوطه فكلما تعمرت الضياع والقرى ترفهت الاجناد والامرا واستراحت الرعيه واستمرت مناظم الملك مرعيه وتوفرت الخزائن واطمأن الظاعن والساكن وقلت المظالم وكفت أكف الظالم وملاك هذا كله العدل والاستوا ومجانبة الاغراض الفاسدة والهوى وهذا الذي يقتضيه مقامك ويتم به مرامك فان الملك انما هو ملك بالاجناد فلا بد له من عمارة البلاد والنظر في مصالح العباد لينتظم بنظاره مصالح العالمين ويستقيم أمر العالم الى الحين الذي قدره أحكم الحاكمين فان سنة الله جرت على هذا السنن وما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن ولهذا قال سيد سكان الخيف أتاني السيف والجهاد فرض عين على الملوك لا على الفقير والصعلوك فالملوك في نوع من السياده تقتضي من المال ازدياده ليقيموا من الاسلام عماده ويقفوا من الشرع مراده ويقصموا الكفر وعناده ويبيدوا أهله وأولاده وينهبوا اطرافه وتلاده ويوطئوا سنابك الايمان بلاده وواجب على كل حاكم ان يبذل في ذلك اجتهاده ويجعل الجهاد الى الآخرة زاده وعتاده ويصون عن الكفر بلاد الاسلام وعباده

الى اليوم نافع وكان محتملا لكل ضر في جنب منفعة تصل اليك ولكل عناء يكون لك فيه راحة ولم يكن يطوى دونك سرا فبينما أم الاسد تقص عليه هذه المقالة اذ دخل على الاسد بعض ثقاته ١٧٤ فاخبره ببراءة ابن آوى فقالت أم الاسد بعد ان اطلع الملك على براءة ابن آوى فهو حقيق ان لا يرخص لمن سعى به لئلا يتجرؤا على ما هو أعظم من ذلك ولكن يعاقبهم عليه لكيلا يعودوا الى مثله فانه لا ينبغي للعاقل أن يراجع في أمر الكفور للحسنى الجرىء على الغدر الزاهد في الخير الذي لا يوقن بالآخرة وينبغي انه يجزى بعمله وقد عرفت سرعة الغضب وفرط الهفوة ومن سخط باليسير لم يبلغ رضاه بالكثير والاولى لك ان تراجع ابن آوى وتعطف عليه ولا يؤيسنك من مناصحته ما فرط منك اليه من الاساءة فان من الناس من لا ينبغي تركه على حال من الاحوال وهو من عرف بالصلاح والكرم وحسن العهد والشكر والوفاء والمحبة للناس والسلامة من الحسد والبعد من الاذى والاحتمال للاخوان والاصحاب وان ثقلت عليه منهم المؤنة وأما من ينبغي تركه فهو من عرف بالشراسة ولؤم العهد وقلة الشكر والوفاء والبعد من الرحمة والورع وانصف بالجحود لثواب الآخرة وعقابها وقد عرفت ابن آوى وجربته وأنت حقيق بمواصلته فدعا الاسد بابن آوى واعتذر اليه مما كان منه ووعده خيرا وقال اني معتذر اليك ورادك الى منزلتك فقال ابن آوى ان شر الاخلاء من التمس منفعة نفسه بضر أخيه ومن كان غير ناظر له كنظره لنفسه أو كان يريد أن يرضيه بغير الحق الى الاخسل اتباع هواه وكثيرا ما يقع ذلك بين الاخلاء وقد كان من الملك الى ما علم فلا يغلظن على نفسه ما أخبره به اني غير واثق وانه لا ينبغي لي ان

الى يوم يلقى معاده فيجازيه الله الحسنى وزياده هذه طريقة الملوك ومن تبعهم فى الاقتداء والسلوك واياك ايها الملك العظيم وصاحب الملك الجسيم وأخذ المال من غير حله ووضعه فى غير محله ولو كان وضع الخير وقصد به نفع الغير فانه لا يفى ذاك بذا ولا يقوم نفعه بما فيه من أذى فذلك كانشاء المغارس وبنيان المدارس وتنوير المساجد وتعمير المعابد وسد الثغو وعمارة القبور واقامة القناطر والجسور وعمل مصالح الجمهور واطعام الطعام وكفالة الايتام والحج الى بيت الله الحرام واعطاء السائل واغناء الارامل وصرف النفقات واخراج الزكوات والصدقات ومثله الوبيل كما قيل

بنى مسجد الله من غير حله * فصار بحمد الله غير موفق

كمطعمة الايتام من كد فرجها * لك الويل لا تزنى ولا تتصدقى

قال من لم يخف عليه اخفاؤها لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ثم أخبر بخبر ما يصدر عنكم فقال ولكن يناله التقوى منكم فان طلب من هذا أجر فهو خسران وكفر لانه فى صورة الاستهزاء وهل يطالب بقبيح الحرام حسن الجزاء بل الواجب فى هذا على كل من آذى رد المظالم وخلاص ذمة الظالم ورجع الحقوق الى أهلها وايصالها الى محلها أمارضى ظالم غوى وتحمل الحرام هوى ان يتخلص سواء بسوا وشر الناس ياذا الباس من اتبع قضية اياس فسال العقاب عن بيان هذا الخطاب (فقال) كان فى الشام شخص من الاثام تصدى لفصل الاحكام ومشى من الظلم فى ظلام وشرع فى أخذ الاموال على سبيل التعدى والوبال فكان اذا أخذ من أحد ألفا ادخر لنفسه من ذلك نصفا وتصدق بالخمسمائة الأخرى على أولى الضرر والضرا كل واحد درهما وعد ذلك مغنما وقال هذه فائده علينا بالربح عائده الحسنات خمسمائة والسيئة واحده وواحده بعشر علينا وخمسمائة يتوجهون بالثناء والدعاء الينا ثم قال ذلك الجاحد ولا تجزى الخمسمائة عن الواحد * هذا وان كان والعياذ بالله صرف ذلك الحرام فى الفسق والملاه ونيل الاغراض الفاسدة واقامة الجاه فهو أشد فى النكال وأعظم فى الوزر والوبال وهذا المقام يطول فيه الكلام وأقل ما فى الباب ان الحلال حساب والحرام عقاب وقد سمعت يا جليل القدر ما نطق به السيد الصدر الذى أخجل نور طلعته الشمس والبدر سيد الانام ومصباح الظلام وحبيب الملك العلام عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى أصحابه السادة الكرام رضى الله عنهم وأرضاهم وجعلنا فى مستقر رحمته واياهم أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار وهذا اذا كانت هذه الطاعات من الصلاه والصوم والزكاه واقعة فى محلها ومصاريفها فى حلها فانها لا تفيد الظالم الا فى وفاء المظالم وأما اذا كانت من الحرام ومنشأ غراسها من مياه الآثام فهى وبال على وبال وثبور فوق نكال ووهن على كسر ونقصان فوق خسر وقال أيضا أفاض الله عليه سحائب صلواته فيضا لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء فاستعذ بالله يا مولى الطير ومولى الخير من نار هذا الشرر أن تتفرق طاعتك شذر مذر وأعيذك يا سلطان الصافات وما اكتسبته من الطاعات والخيرات أن ينقل الى ديوان غيرك أو يفوز بخيرك سوى طيرك اللهم الا أن يكون ياذا الوقار والسكون على وجه ما قال من أحسن المقال

ويكتسب الطاعات ذخر العلا * يجود بها يوم القيامة على العاصى

أو على وجه ما قيل وأحسن به من وجه جميل

يجود بما ضن الجواد بمثله * من الوفر بل لو أمكنته شمائله

أصحبه فان الملوك لا ينبغى لهم ان يحقروا من عاقبوه أشد العقاب ولا ينبغى لهم أن يرفضوه أصلا فان ذا السلطان اذا عزل كان مستحقا للكرامة فى حالة ابعاده والاقصاء له فلم يلتفت الاسد الى كلامه ثم قال له انى قد بلوت طباعك واختلاقك وجربت أمانتك ووفاءك وصدقك وعرفت كذلك من تحمل الحيل لتحملنى عليك وانى منزلك من نفسى منزلة الاخيار الكرماء والكريم تنسيه الخلة الواحدة من الاحسان الخلال الكثيرة من الاساءة وقد عدنا الى الثقة بك فعد الى الثقة بنا فانه كائن لنا ولك بذلك غبطة وسرور فعاد ابن آوى الى ولاية ما كان يلى وضاعف له الملك الكرامة ولم تزده الايام الا تقربا من السلطان انقضى باب الاسد وابن آوى

(باب ايلاذ وبلاذ وايراخت)

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثلا فى الاشياء التى يجب على الملك ان يلزم بها نفسه ويحفظ ملكه ويثبت سلطانه ويكون ذلك رأس أمره وملاكه أبالحلم أم بالمروءة أم بالشجاعة أم بالجود قال بيدبا ان أحق ما يحفظ به الملك ملكه الحلم وبه تثبت السلطنة والحلم رأس الامور وملاكها وأجود ما كان فى الملوك كالذى زعموا من أنه كان ملك يدعى بلاذ وكان له وزير يدعى ايلاذ وكان متعبدا ناسكا فنام الملك ذات ليلة فرأى فى منامه ثمانية احلام افزعته فاستيقظ مرعوبا فدعا بالبراهمة وهم النساك ليعبروا رؤياه فلما حضروا بين يديه قص عليهم ما رأى فقالوا بأجمعهم لقد رأى الملك عجبا فان أمهلنا سبعة أيام جئناه بتأويله قال الملك قد أمهلتكم فخرجوا من عنده ثم اجتمعوا فى منزل أحدهم واتمروا بينهم وقالوا قد وجدتم علما واسعا تدركون به

لعاد على المرضى بصحة جسمه * وجاد على الموتى بعمر يطاوله

ومن على النوكى بوافر عقله * وقسم في الحمقى من الرأى كامله

وثقل ميزان المخف باجره * لدى الوزن لما آذ بالوزر كاهله

ولو لم يكن في كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

ولاجل هذا الخطر العظيم والخطب الجسيم تورع عن الحلال الزاهدون وشمر عن التلوث بالدنيا ذيل الرغبة العابدون قال سيد البشر والشفيع المشفع في الحشر لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى منها كافرا شربة ماء وقال عليه الصلاة والسلام والتحية والاكرام اللهم ارزق آل محمد قوتا ومع هذا كله فالملك والرعية أمانه ومن تقلد ذلك فقد أوجب على نفسه ضمانه فليجتنب خيانته ولا يشن بها أمانته قال صفوة الله تعالى وخيرته من بريته كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته ومصداقه قول رب العالمين وملك الملوك والسلاطين وهو أصدق القائلين انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فاعلم يا ملكا اعطى الزمان امانه ان هذا الملك الذي بيدك هو من جملة الامانه التي أشفق السموات والارض والجبال وأبين أن يحملنها خوفا من النكال والوبال وخشية ان لا يقمن بحقوق حملها أو يضعنها في غير محلها فيعاقبن أو بالعتاب يخاطبن فتعطلن عن الرغبة في الثواب خوفا من العتاب والعقاب وعملن بموجب ما قيل

هجرتك لا قلى منى ولكن * رأيت بقاء ودك في الصدود

كهجر الحائمات الورد لما * رأت أن المنية في الورود

تغيظ نفوسها ظمأ وتخشى * حماما فهي تنظر من بعيد

تصد بوجه ذي البغضاء عنه * وترمقه بالحاظ الودود

ثم حمل هذه الامانة بنو آدم لما قدره وقضاه العلى الاعظم في سابق القدم ولما فيها من أحكام وحكم وان الصادق المصدوق أخبر فيما روى عنه أبو ذر قال قلت يا رسول الله ألا تستعملني قال فضرب بيده على منكبي ثم قال يا أبا ذر انك ضعيف وانها أمانه وانها يوم القيامة خزى وندامه الا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها فمن جملتها الصلاه والصوم والزكاه والوضوء والاغتسال ومراقبة ذي الجلال في السر والاعلان بقدر الطاقة والامكان وعلى هذا جميع الطاعات وأنواع العبادات هي في رقاب العباد أمانات ومن أعظمها وأهمها وأحكمها الامرة والحكومه والتصدى لفصل الخصومه والسلطنة العليه وأمور الملك البهيه والقيام بأمور الرعيه فيجب على السادة الحكام ومالكي ازمة الانام ان يراقبوا الله تعالى في كيفية أدائها ويطالبوا أنفسهم على ممر الانفاس بالقيام بوفائها ويراعوا أوامر سلطان السلاطين في أمور عبيده المستضعفين خصوصا المظلوم والفقير والضعيف والمسكين فاذا عاملوا عباد الله بالعدل عاملهم الله عز وجل بالفضل قال الله المنان في محكم القرآن ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقال السيد الكامل والسند الفاضل أشرف الاواخر والاوائل صلى الله عليه صلاة تفنى البواكر والاصائل سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل بدأ في هذا الفصل من ذكر الصفات بالعدل والعدل بازاء الوجه النير الوسط والوسط هو الخير قال من أمره فهو وسطا وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء أى للانبياء تشهدون لهم على أممهم لعدالة فيكم ويكون الرسول عليكم شهيدا أى يزكيكم أى وكما جعلنا نبيكم امام القبلتين حائز الفضيلتين جعلناكم حائزين خصلتين بالغين مرتبتين وهما كونكم عدولا شهداء على الناس للانبياء مقبولى الشهادة في الاداء وكون الرسول معدلكم وبتزكيته على الامم مفضلكم وقال صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وفخم وعظم عدل السلطان يوما يعدل عبادة سبعين سنة وقال عليه الصلاة والسلام والتحية والاكرام والذى نفس محمد بيده انه ليرفع للسلطان العادل الى السماء مثل عمل جملة الرعية وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه عليه السلام قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى

ثاركم وتنتقمون به من عدوكم وقد علمتم انه قتل منا بالامس اثنى عشر ألفا وها هو قد أطلعنا على سره وسألنا تفسير رؤياه فهلموا نغلظ له القول ونخوفه حتى يحمله الفرق والجزع على ان ١٧٦ يفعل الذى تريدونه أمره فنقول ادفع الينا احباءك ومن يكرم عليك حتى نقتلهم فانا قد نظرنا في كتبنا فلم نر ان يدفع عنك ما رأيت لنفسك وما وقعت فيه من هذا الشر الا بقتل من نسمى لك فان قال الملك ومن تريدون ان تقتلوا سموهم لى قلنا نريد الملكة ايراخت أم جوير المحمودة أكرم نسائك عليك ونريد جوير أحب بنيك اليك وأفضلهم عندك ونريد ابن أخيك الكريم وايلاذ خليلك وصاحب أمرك ونريد كال الكاتب صاحب سرك وسيفك الذى لا يوجد مثله والفيل الابيض الذى لا تلحقه الخيل والفرس الذى هو مركبك في القتال ونريد الفيلين الآخرين العظيمين اللذين يكونان مع الفيل الذكر ونريد البختى السريع القوى ونريد كباريون الحكيم الفاضل العالم بالامور لننتقم منه بما فعل بنا ثم نقول له انما ينبغى لك أيها الملك ان تقتل هؤلاء الذين سميناهم لك ثم تجعل دماءهم في حوض تملؤه ثم تقعد فيه فاذا خرجت من الحوض اجتمعنا نحن معشر البراهمة من الآفاق الاربعة نجول حولك ذنرقيك ونتفل عليك ونمسح عنك الدم ونغسلك بالماء والدهن الطيب ثم تقوم الى منزلك البهى فيدفع الله بذلك البلاء الذى تتخوفه عليك فان صبرت أيها الملك وطابت نفسك عن أحبائك الذين يغطر ذكرنا لك وجعلتهم فداءك تخلصت من البلاء واستقام لك ملكك وسلطانك واستخلفت من بعدهم من أحببت وان أنت لم تفعل تخوفنا عليك

يفطر ودعوة المظلوم وروى كثير بن مرة رضي الله عنه قال قال عليه الصلاة والسلام السلطان ظل الله في الارض يأوي اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر واذا جار كان عليه الاثم وعلى الرعية الصبر وعن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه لعمل الامام العادل في رعيته يوما أفضل من عبادة العابد في أهله مائة سنة أو خمسين سنة وقال قيس بن سعد ستين سنة واعلم أيها الملك الاعظم واسلم ان العدل ميزان الله تعالى في الارض به ينتصف بعض الرعية من البعض وبه يؤخذ للضعيف من القوي و يعبد الله على الصراط السوي و يتميز الحق من الباطل والحالي من العاطل وهو من صفات الذات وأعظم الصفات بمعنى ان الله تعالى عز وجل جلاله لا له ان يفعل في ملكه ما يشاء فيؤتي الملك من يشاء و ينزع الملك ممن يشاء و يعز من يشاء و يذل من يشاء و يحكم ما يريد والخلق كلهم له عبيد و جميعهم بعض ملكه نافذ فيهم سهم أمر ملكه فلا اعتراض على فعل المالك ولا فيما يسلك بمملوكه من المسالك ولا مجال لاعتراض عبده على ذلك لا سيما اذا كان مولاه كريما وفي أفعاله مدبرا حكيما فمن عرف ان الله عدل وان أفعاله جارية بين العدل والفضل يتلقى نقمه بالصبر و يقابل نعمه بالشكر و يطمئن خاطره وتسكن الى مولاه سرائره فلا يستقبح موجودا ولا يستحسن مفقودا ولا يستثقل حكما ولا يرى في الكون ظلما بل يستقبل الاحكام بالرضا و يستسلم لموارد القضا و يقابل العوارض بما قاله ابن الفارض

وكل أذى في الحب منك اذا بدا * جعلت له شكري مكان شكيتي

وأعدل المخلوقات وأوسط الكائنات الانبياء عليهم السلام فانهم أعدل الخلق مزاجا وطبيعة وأقوم الناس منهاجا وشريعة وأوسط البشر أفعالا وأقسطهم أعمالا وأقوالا وانما يعترض على أقوالهم ويتعرض لافعالهم من هو عن الصواب منحرف وعن جادة الحق منصرف ومن عين بصيرته عمياء عن مراقبة التحقيق كالاعمى الذي خرج وهو ماش عن سواء الطريق فيعثر في شوك أو حجر أو يصدمه حيوان أو شجر فيقول نحوا هذا عن الطريق فانه يحصل به للمارة تعويق و يعيب على واضعه وانما العيب في طباعه والجهل منسوب اليه لعمى قلبه وعينيه كما قال ذو الخويصرة لسيد الرسل البرره لما قسم الغنيمه قسمة مستقيمه اعدل فأجابه الكامل المكمل بانه ان لم يعدل فمن يعدل وانه أي ذا الخويصرة الذي أعمى الله بصره خاب وخسر ولاقى اليوم العسر ان لم يعدل ذلك المفضل وكيف يقال هذا الكلام لمثله عليه الصلاة والسلام وقد أمره الله تعالى بالعدل ونشر سر هذا النقل وأقر عينكم بقوله وأمرت لاعدل بينكم قال الاسد الغالب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وجعل الى رضوانه له أحسن وجهه امام عادل خير من مطر وابل واسد حطوم خير من سلطان ظلوم وقيل الملك يدوم مع العدل ولو كان الملك كافرا ولا يدوم مع الظلم ولو كان الملك مسلما وما تعاطى حاكم ذو فضل فصل قضية في فصل أحسن من سلوك طريقة العدل ولذا بقي اسم أنوشروان مخلدا بالعدل على مر الزمان والى يوم ينصب الميزان مع انه كان مجوسيا يعبد النيران والسنة التي اخترعها بالسلسلة التي وضعها باقية في ممالك الصين معمول بها الى آخر حين وقيل انه كان شديد الوداد للاصطياد وكان يعشق البازي والزرق والصقر والباشق والبيدق فسأل يوما من البازدار لم كانت هذه الاطيار قصار الاعمار قال لانها تظلم الطيور والظالم عمره قصير فتنبه بهذه الكلمة وانعظ وكف يده عن الظلم واحتفظ ثم أسس قواعد العدل فانتشر ذكره الى يوم الفصل و يكفيه من الفضائل قول السيد الكامل ولدت في زمن الملك العادل وروي أن بعض الملوك العادلين والحكام الفاضلين استولى عليه الكبر و وقر في أذنه وقر وكان قبل الصمم في العدل والكرم كما قيل

وأنه مظلوم وغنة سائل * على أذنه أحلى من الشهد في الفم

فحزن لفقد سمعه وتأسف وتحرق وتلهف وتارق وبكى وتأوه واشتكى وقال ما أتلهف من عدم سماع

ان يغضب ملكك أو يملك فان هو أطاعنا فيما تأمره قتلناه أي قتلة شئنا فلما أجمعوا أمرهم على ما ائتمروا به رجعوا اليه في اليوم السابع وقالوا له أيها الملك انا نظرنا في كتبنا في تفسير ما رأيت وفحصنا عن الرأي فيما بيننا فليكن لك أيها الملك الطاهر الصالح الكرامة ولسنا نقدر ان نعلمك عما رأينا الا أن تخلو بنا فاخرج الملك من كان عنده وخلا بهم فحدثوا بالذي ائتمروا به فقال لهم الموت خير لي من الحياة ان أنا قتلت هؤلاء الذين هم عديل نفسي وأنا ميت لا محالة والحياة قصيرة ولست كل الدهر ملكا وان الموت عندي وفراق الاحباء سواء قال له البرهميون ان أنت لم تغضب أخبرناك فاذن لهم فقالوا أيها الملك انك لم تقل صوابا حين تجعل نفس غيرك أعز عندك من نفسك فاحتفظ بنفسك وملكك واعمل هذا الذي لك فيه الرجاء العظيم على ثقة و يقين وقر عينا بملكك في وجوه أهل مملكتك الذين شرفت وكرمت بهم ولا تدع الامر العظيم وتأخذ بالضعيف فتهلك نفسك ايثارا لمن تحب واعلم أيها الملك ان الانسان انما يحب الحياة محبة لنفسه وانه لا يحب من أحب من الاحباب الا ليستمتع بهم في حياته وانما قوام نفسك بعد الله تعالى بملكك وانك لم تنل ملكك الا بالمشقة والعناء الكثير في الشهور والسنين وليس ينبغي ان ترفضه و يهون عليك فاستمع كلامنا فانظر لنفسك مناها ودع ما سواها فانه لا خطر له فلما رأى الملك

ان البرهميين قد أغلظوا له في القول واستجرؤا عليه في الكلام اشتد غمه وحزنه وقام من بين ظهرانيهم ودخل الى حجرته فخر على وجهه يبكي و يتقلب كما تتقلب السمكة اذا خرجت من الماء وجعل يقول في نفسه ما أدري أي الامرين أعظم في نفسي الهلكة

الحديث الاعلى فقدى صوت المستغيث ولا كنت أتلذذ من متكلم الا بالاصغاء الى خطاب المتظلم ثم
قال ولئن حرمت ذلك من طريق الاخبار فلا توصلن اليه من طريق الابصار ثم أمر باشهار النداء في
الاطراف والارجاء انه من كانت له ظلامه فليظهر له علامه وهي ان يلبس ثوبا أحمر ويقف فوق ذلك
التل الاخضر لنعرف علامته ونكشف ظلامته وقيل ان السلطان السعيد نور الدين الشهيد لما أمر
ببناء دار العدل وعزم أن يقيم فيها الحكومات الفصل أدرك الامير الكبير صاحب الرأى المنير أسد الدين
شيركوه ما يعتمده السلطان ويرجوه وما يحمله على ذلك ويدعوه وعلم ان ذلك الاسد لا يسامح عنده
أحد وانه لا يراعي في الحق أميرا ولا كبيرا ولا صغيرا فانه مع الحق وبالحق قائم لا تأخذه في الله لومة لائم
فجمع مباشري دواوينه واكد ما قاله لهم بأيمانه لئن شكا منهم أحد أو بلغه عن أحد من حاشيته ظلم
أو نكد ليذيقنه أشد العذاب ولينزلن به أنكى عقاب وقال ما برز هذا الامر العزيز الغالي ببناء هذا
المقعد العام العالي الا لاجلي ولاجل أمثالي فما وسعهم الا طلب الخصوم واسترضاء العادل والمظلوم
(وروى) ان أحد الصدور غصبه بعض عمال المنصور وأخذ منه كفرا من الكفور فتوجه الى
الخليفه وضرب له أمثالا ظريفه وقال أصلح الله أمير المؤمنين وأقام به شعائر الدين ونصر به المظلومين
على الظالمين أأذكر ظلامتي أولا أم أضرب امام حاجتي مثلا فقال دع الجدل واضرب المثل فقال
ألهمك الله العدل وأقام بك قواعد الفضل ان الطفل اذا نابه ما يكرهه أو قرعه خطب يجهه فر الى أمه
واجهش اليها من همه فأوى الى حضنها واندس تحت بطنها لانه لا يعرف سواها فيستكشف بها عن
نفسه ما دهاها ولا يظن ان غيرها يدفع عن نفسه ضيرها فاذا عرف أباه بث اليه شكواه واستدفع به
ما عراه لانه قد وقر في وهمه ان أباه أقوى من أمه وان غيره من الناس لا يقدر على دفع الباس فيلجأ
اليه فيترامى في دفع شدائده عليه ولا يقبل عذره ان ترك نصره أو قصر في مبتغاه أو تهاون في متمناه
ولهذا قال بدر الحي ان النساء والصبيان يظنون ان الرجل يقدر على كل شئ فاذا اشتد واستوى وأصابه
من أحد جوى تقدم الى الوالي لان مقامه عالي وهو أقوى من أبيه فيستكشف به ما وقع فيه فاذا صار
رجلا وأصابه من أحد نكد وبلا استنجد بنائب السلطان فوجد له أحسن معوان فاشكاه ورفع
بلواه وكفاه اذ دعاه من عدا ما دهاه ورعاه عما عراه فانه أقوى من الوالي وأقدر على دفع الظلامة
من كل منهمك غالي وهو السلطان الحاضر والعامل والناظر على البادي والحاضر فاذا ظلمه الوالي
والعامل ونقصه حقه ذو الحكم الكامل تعلق باذيال عدل السلطان واستكشف براحم نصرته ما دهاه
من عدوان اذ قد تحقق ورأى وصدق انه أقوى من الكل ولى مرسومه مرجع الحل والعقد ولا يد
فوق يده وانه قد انتهى حديث رفعته لعلو سنده وبلغ في التسلط ونفوذ الامر الى أقصى امده اذ هو ظل
الله في أرضه وخليفته في اقامة نفله واحياء فرضه وقابض ازمة المخلوقين ومنصف المظلومين من الظالمين
فاذا لم ينصفه السلطان مع القدرة الكاملة والامكان توجه بشكواه الى سلطان السلاطين وطلب رفع
ظلامته من رب العالمين لعلمه انه الحكم الذي لا يجور والحكيم الذي بيده مقاليد الامور والحاكم الذي
يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وانه أقوى من السلطان ولا يحتاج في الشكوى الى بينة ولا بيان ولا الى
دليل ولا برهان وقد نزلت بي حادثه للقلب كارثه وبالفكر عابثه وللسر عائثه وهي ان العامل الفلاني
ظلمني وأخذ مكاني فأنا أشكوه اليك وقد ترامت عليك وعرضت قصتي بين يديك لانك نعم السند
وليس فوقك أحد ولا في الحكام الا من هو لك بمنزلة الغلام وما بعد ذلك الا الله مولى لا يخيب من رجاه
ويجيب المضطر اذا دعاه فان وعيت قصتي وكشفت غصتي والا رفعتها الى الله وقطعت النظر عما سواه
وهذا أوان الموسم واعمال المنسم وأنا متوجه الى حرمه ومترام على باب احسانه وكرمه ولما وعى
المنصور

أم قتل احبائي ولن أنال الفرح ما عشت وليس ملكي بباق على الى الابد ولست بالمصيب سؤلي في ملكي واني لزاهد في الحياة اذا لم أر ايراخت وكيف
أقدر على القيام بملكي اذ هلك وزيري ايلاذ وكيف اضبط أمري اذ هلك فيلي الابيض وفرسي الجواد وكيف أدعي ملكا وقد قتلت
من أشار البراهمة بقتله
وما أصنع بالدنيا بعدهم ثم
ان الحديث فشا في الارض
بحزن الملك وهمه فلما رأى
ايلاذ ما نال الملك من الهم
والحزن فكر بحكمته
ونظر وقال ما ينبغي لي ان
استقبل الملك فاسأله عن
هذا الامر الذي قد ناله من
غير ان يدعوني ثم انطلق
الى ايراخت فقال اني منذ
خدمت الملك الى الآن لم يعمل
عملا الا بمشورتي ورأيي ولم
أره يكتم عني امرا اعلم
ما هو ولا أراه يظهر منه شيأ
واني رأيته خاليا مع جماعة
البرهميين منذ ليال وقد
احتجب عنا فيها وانا خائف
ان يكون قد أطلعهم على شئ
من أسراره فلست آمنهم
ان يشيروا عليه بما يضره
ويدخل عليه منه السوء
فقومي وادخلي عليه فاسأليه
عن أمره وشأنه وأخبريني
بما هو عليه واعلميني فاني
لست أقدر على الدخول
عليه فان البرهميين قد
زينوا له أمرا وحملوه على
خطة قبيحة وقد علمت أن
من خلق الملك انه اذا غضب
لا يسأل أحدا وسواء عنده
صغير الامور وكبيرها فقالت
ايراخت انه كان بيني وبين
الملك بعض العتاب فلست
بداخلة عليه في هذه الحال
فقال لها ايلاذ لا تحملي عليه
الحقد في مثل هذا ولا يخطرن ذلك على بالك فليس يقدر على الدخول عليه أحد سواك وقد سمعته كثيرا يقول ما اشتد
غمي ودخلت على ايراخت الا سرى ذلك عني فقومي اليه واصفحي عنه وكلميه بما تعلمين انه تطيب به نفسه ويذهب الذي يجده واعلميني بما يكون

المنصور وخطابه أرسل من سحاب حفظه عبابه وقال حبا وكرامه ياذا الزعامه بل أنصلك وبالفضل وأسعفك وأضعف كرامتك وأكشف ظلامتك وأوصلك حقك وأعطيك مستحقك وأمر فكتب الى
* اليه يضع من معاليه ويأمره بزيادة أراضيه وطلب مراضيه والتحال من ظلم أباديه وإكرام محله وناديه

وروي أن موسى الكليم عليه الصلاة والسلام في بعض مناجاته وسؤاله حاجاته سأل الله من فضله أن يريه نكتة من عدله فأمره أن يتوجه الى مكان ويختفي فيه عن العيان فامتثل ما به أمر واختفى في ذلك المكان على شط نهر فما كان بأسرع من قدوم انسان الى ذلك المكان فبمجرد ما وصل اليه نزع من ملبوسه ما عليه وكان معه كيس فيه مال نفيس فأودعه ثيابه ورام في الماء انسيابه فدخل في ذلك النهر وغلغل فيه الى أن غاب عن النظر فأقبل فارس فوجد ثيابا بلا حارس فنزل عن الدابه وفتش ثيابه وأخذ كيس الذهب وركب فرسه وذهب وأسرع في الذهاب الى أن زال شخصه وغاب ثم أقبل شخص ذو تعب وعلى ظهره حزمة حطب فانتهى الى الما وقد برح به الظما وأمضه التعب وأخذ منه النصب فطرح عن ظهره الحطب وقصد الراحه وقد ظهر الذي كان في السباحه فوجد عند ثيابه شخصا من أترابه فاستأنس به وتأوه لكتئبه وما يقاسيه من نصبه ثم اشتمل ملبوسه وتفقد كيسه فما وجده فعض يده فسأل الحطاب عما كان في الثياب وطلب منه الكيس بالتعبيس فقال ما رأيته ولا حويته فقال هل كان معك أحد فقال لا والواحد الأحد قال فهل كان هنا سواك قال لا والذي سواك قال يا أخي أنا وضعت الهميان بيدي في هذا المكان ولم يطل على ذلك زمان ولا حضر سواك حيوان ولا طمث عذراء هذا الموضع انس ولا جان فلا أشك انك أخذته ولنفسك اقتلته فأقسم بعالم الخفيات وكاشف البليات المطلع على الضمائر والنيات انه ما رأى له هميانا ولا يعرف لذلك مكانا فقال لو شهد لك الكون والمكان ونطق ببراءتك جوامد الزمان وزكاهم الكرام الكاتبون لما شككت انهم كاذبون لان انكار المحسوس مكابره والمثابرة على الباطل للحق مدابره ولكن خذ لك منه يافقير الثلث والثلث كثير وأردد على الثلثين وان أبيت فاجعله بيني وبينك نصفين فازاد ذلك على اليمين وما شك هذا أنه عين فقال أردد على مالي والا قتلتك فلا لك ولا لي فقال ما رأيت مالك فافعل ما بدا لك فشرع في تفتيشه وبالغ في فحصه وتنبيشه فلم يهتد الى شيء سوى الضلال والغي فأخذه الحنق واشتد به الأرق وثارت نفسه الأبيه واتقدت نورته الغضبية فضربه بمهند فقتله وجدله بالاهلاك فجدله ثم تركه وذهب ولم يحظ من الذهب بغير اللهب كل هذه الأحوال وموسى عليه السلام يشاهد ما فيها من أفعال وأقوال ثم ناجى فقال ياذا الجلال أنت عالم بحقائق الأمور وسواء عندك البطون والظهور سألت فضلك أن تريني عدلك فأريتني هذا المغرم وأنت أعلى وأعلم ففي ظاهر ما أريتني وبكرامته غمرتني من الشريعة المطهره ونص التوراة المحرره ان هذا الحكم جور وظلم فأطلعني على الحقيقه وبين لي سلوك هذه الطريقه فقال الله تعالى وجل جلاله ياموسى المقتول قتل أبا القاتل والقاتل سرق الكيس من أبي الفارس الخاتل ففي الحقيقة الفارس النبيه وصل الى ماله المخلف عن ابيه والقاتل انما استوفي قوده ممن قتل والده وهذه الأمور انما تتضح يوم النشور يوم تبلى السرائر وتنكشف الضمائر وينادي يوم التناد لا ظلم اليوم ان الله قد حكم بين العباد ونظير هذه القصه ما ذكره الله تعالى وقصه في روض كلامه النضر عن موسى والخضر عليهما السلام والتحية والاكرام اذ ركب السفينة وخرق خرقا مؤديا الى الغرق وقتل النفس الزاكيه وأقام بغير أجر أركان الجدار الواهيه وبعض ذلك مخالف لظاهر الشريعه تنفر عنه النفس السليمة والطبيعه ولكنه موافق للحكمة الالهيه ومقتضيات العقل الخفيه التي لا يطلع عليها الا عالم الاسرار الخفيه ولهذا قال جل واحدا أحدا وتعالى فردا صمدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ثم استثنى من هذا المقول الا من

جوابه فإنه لنا ولأهل المملكة أعظم الراحة فانطلقت ايراخت فدخلت على الملك فجلست عند رأسه فقالت ما الذي بك أيها الملك المحمود وما الذي سمعت من البراهمة فإني أراك تحزن وناظا على ما بك فقد ينبغي لنا أن نحزن معك ونواسيك بأنفسنا فقال الملك أيها المرأة لا تسأليني عن أمري فتزيديني غما وحزنا فإنه أمر لا ينبغي أن تسأليني عنه قالت أو قد نزلت عندك بمنزلة من يستحق هذا إنما أجد الناس عقلا من إذا نزلت النازلة كان لنفسه أشد ضبطا وأكثرهم استماعا من أهل النصح حتى ينجو من تلك النازلة بالحيلة والعقل والبحث والمشاورة فعظيم الذنب لا يقنط من رحمة ولا تدخلن عليك شيأ من الهم والحزن فإنهما لا يردان شيأ مقضيا إلا أنهما ينحلان الجسم ويشفيان العدو وقال لها الملك لا تسأليني عن شيء فقد شققت علي والذي تسأليني عنه لا خير فيه لأن عاقبته هلاكي وهلاكك وهلاك كثير من أهل مملكتي ومن هو عديل نفسي وذلك أن البراهمة زعموا أنه لا بد من قتلك وقتل كثير من أهل مودتي ولا خير في العيش بعدكم وهل أحد يسمع بهذا إلا اعتراه الحزن فلما سمعت ذلك ايراخت جزعت ومنعها عقلها أن تظهر للملك جزعا فقالت أيها الملك لا تجزع فنحن لك الفداء ولك في سواي ومثلي من الجواري ما تقر به عينك ولكني أطلب منك أيها الملك حاجة يحملني على طلبها حبي لك وإيثاري إياك وهي نصيحتي لك قال الملك وما هي قالت أطلب منك أن لا تثق بعدها بأحد من البراهمة ولا تشاورهم في أمر حتى تتثبت في أمرك ثم تشاور فيه ثقاتك مرارا فإن القتل أمر عظيم ولست تقدر على أن تحيي من قتلت وقد قيل في الحديث إذا لقيت جوهرا لا خير فيه فلا تلقه من يدك حتى تريه من يعرفه وأنت أيها الملك لا تعرف أعداءك

واعلم ان البراهمة لا يحبونك وقد قتلت منهم بالامس اثني عشر ألفا ولا تظن ان هؤلاء ليسوا من أولئك ولعمري ما كنت جديرا ان تخبرهم برؤياك ولا أن تطلعهم عليها وانما قالوا لك ما قالوا لاجل الحقد الذي بينك وبينهم لعلهم يهلكونك ويهلكون احباءك ووزراءك فيبلغون قصدهم منك فأظنك لو قبلت منهم فقتلت من أشاروا بقتله ظفروا بك وغلبوك على ملكك فيعود الملك اليهم كما كان فانطلق الى كباريون الحكيم فهو عالم فطن فاخبره بما رأيت في رؤياك واسأله عن وجهها وتاويلها فلما سمع الملك ذلك سري عنه ما كان يجده من الغم فأمر بفرسه فأسرج فركبه ثم انطلق الى كباريون الحكيم فلما انتهى اليه نزل عن فرسه وسجد له وقام مطاطئ الرأس بين يديه فقال له الحكيم ما بالك أيها الملك ومالي أراك متغير اللون فقال له الملك اني رأيت في المنام ثمانية أحلام فقصصتها على البراهمة وأنا خائف ان يصيبني من ذلك عظيم أمر مما سمعت من تعبيرهم لرؤياي وأخشى ان يغصب مني ملكي او ان اغلب عليه فقال له الحكيم ان شئت اقصص رؤياك علي فلما قص عليه الملك رؤياه قال لا يحزنك أيها الملك هذا الامر ولا تخف منه اما السمكتان الحمراوان اللتان رأيتهما قائمتين على أذنابهما فانه يأتيك رسول من ملك نهاوند بعلبة فيها عقدان من الدر والياقوت الاحمر قيمتهما أربعة آلاف رطل من ذهب فيقوم بين يديك * وأما الوزتان اللتان رأيتهما طارتا من وراء ظهرك فوقعتا بين يديك فانه يأتيك من ملك بلخ فرسان ليس على الارض مثلهما فيقومان بين يديك * وأما الحية التي رأيتها تدب على رجلك اليسرى فانه يأتيك من ملك صنجين من يقوم بين يديك بسيف

ارتضى من رسول وانما الشريعة الزاهره وردت بما تقتضي من الحكم الظاهره فتعبدنا الله في الشرائع بظاهر ما يثبت في الوقائع (قيل) من أيقن بحقية أربعة كان من ضيق أربعة في سعه وأمن ودعه من أيقن ان الصانع الضار النافع لم يخطئ ولم يغلط أمن من العيب والشطط ومن أيقن ان الخلاق ومقسم الارزاق لم يحف في خلقه ولم يمل في رزقه أمن من الحسد واستراح من النكد ومن أيقن بوقوع المقدور وانه لا ينجيه منه محذور أمن من الغم ولم يتسلط عليه الهم كما قيل

ما قد قضي يا نفس فاصطبري له * ولك الامان من الذي لم يقدر

ومن عرف أصله أمن من الكبر نصله وكتب في قضيه الى اعدل خلفاء بني أمية من عامله بحمص انه هدم الدمص وعدم النمص وان ربضها رابض ومرعى رياضها بارض وانها محتاجة الى عمارة وزراعة وحراسة ومناعه فكتب اليه عمر بن عبد العزيز هذا الجواب المفيد الوجيز وهو حصنها بالعدل ونق طرقها من الجدل يثبت البنا وينبت الكلا والسلام وقيل أمير بلا عدل كغيم بلا مطر وعالم بلا ورع كشجر بلا ثمر وشاب بلا توبة كمشكاة بلا مصباح وغني بلا سخاء كقفل بلا مفتاح وفقير بلا أدب كطابخ بلا حطب وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح وقاض جائر كملح على جرح وقيل العالم بستان سياجه الشريعة والشريعة سياجة يخدمها الملك والملك راع يعضده الجيش والجيش أعوان يكفلها المال والمال رزق تجمعه الرعية والرعية أحرار يستعبدها العدل والعدل سلك به نظام العالم واعلم ان الملة الاحمدية والشريعة المحمديه هي أعدل الملل وأقوم النحل مثلا النصارى لا يتحامون الحائض أيام أقرائها ولا فرق بين الحائض وغيرها من نسائها واليهود يجتنبونها فلا يؤاكلونها ولا يشاربونها ولا يقربونها رأسا ويعدونها رجسا وركسا فسلكت الشريعة المحمدية في ذلك أعدل الطرق وأفضل المسالك فتعاشر كالاطهار وحرم قربان ما تحت الازار وفي بعض الملل على الذي قتل القود والقصاص وليس في الدية خلاص وفي بعض الدية لا غير وما القصاص فيها بسير ودين الاسلام المرفوع كل فيه مشروع والعدل في الاعتقاد يا ملك البلاد ترك التخليط وسلوك ما بين الافراط والتفريط والقول بالتقديس والتنزيه واثبات الصفات من غير تعطيل ولا تشبيه واقتباس النور من بحرين وسلوك أمر بين أمرين والعدول عن المذهب البغيض وهو مذهب الجبر والتفويض والعدل في الفقهيات يا معشوق المخدرات والحذاريات الذي قام عليه النص دليلا ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا فمن العدل الوضوء المعتاد ثلاث مرات ومن نقص أو زاد فقد تعدى وظلم كذا قال النبي المكرم صلى الله عليه وسلم أي تعدى ان أسرف وظلم ان أجحف والعدل في الصلاة أن تكون على مرتضى الشرع ومقتضاه وهي أداؤها في افضل الاوقات مؤداة مع الجماعات في الصف الاول على الوجه الاكمل عن يمين الامام من الافتتاح الى الاختتام مع تعديل الاركان بل التعديل فرض عند بعض الاعيان لا نقر كنقر الطاير ولا تطويل يضر بالغير والعدل في الزكاة ان لا يتيمموا الخبيث منه ينفقون ولا يجعلوا لله ما يكرهون وليسوا بآخذيه الا أن يغمضوا فيه ولا يكلف جابي المال ان يعطي كرائم الاموال والعدل في الصوم يا سيد القوم ان لا يتناول فوق الغذاء المعتاد ولا يصل بالوصال الى درجة الاجهاد ويعجل الفطور ويؤخر السحور والعدل في الحج ان لا يماري في الانفاق ولا يضار الرفاق بالشقاق كما يفعله ابناء الزمان فان ذلك خسران والازدياد من ذلك نقصان ولقد بلغك يا مقر ما قاله عمر لخادمه يرفا وذا لا يخفى كم بلغت نفقتنا مقدارا قال ثمانية عشر دينارا يا أمير المؤمنين قال ويلك اجحفنا ببيت مال المسلمين واياك والاشر وقاك الله كل شر فقد بلغك قيمة رواحل سيد البشر لبذل ذلك على ترك البطر والاشر ولا يقصر في نفقته بحيث يصير كلا على رفقته وكذلك في كل الانفاق يا ملك الآفاق قال من عز كالا ما وجل مقالا ومقاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما

والعدل

والعدل فى النكاح يا حبيب الصباح لمن عليه يقوى فهو أقرب للتقوى وهو بالإحسان واجب عند
التوقان سنة عند القدرة عليه مستحب عند استواء طرفيه مكروه عند العجز عنه وهذا بحث قد فرغ
منه وقس بإذا الكرامات على هذا سائر العبادات وجميع العادات وعقود المعاملات ولا تتعد الحدود
فى الحدود فان ذلك مردود وعلى قانون العدل وردت الشريعة المطهره وجرت قبلها شرائع الانبياء
البرره وكذلك مقادير الملة المحمديه عليه أفضل صلاة وأزكى تحيه محررة على القواعد العدليه وفيها
من الحكم الالهيه ما يعجز عن ادراكها القوى العقليه قال الله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم
الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وحاصل الامر يا دال النهى
والامر ان العدل هو قوام كل فضيله كما ان الصبر هو اساس كل خصلة جميله وان أردت بسط هذا البيان
فدونك القول والتبيان فى تفسير القرآن المنزل على أشرف انسان ان الله يأمر بالعدل والاحسان فقد
أشبع التقرير ودقق التحرير فى روضه التفسير فارس ميدانه الامام الخطير فخر الدين الرازى فى تفسيره
الكبير والعدل يجرى فى الصفات كما يمشى فى الذوات ومرتبته فى العلو ان يكون بين التقصير والغلو كالكرم
الذى يكون بين الاسراف والتبذير والشح والتقتير والتواضع الذى بين الضعة والتكبر وبين التصعر
والتصغر والشجاعة التى بين التهور والخفه والجبن الطائش الكفه والقناعة التى بين الحرص والطمع
والذلة والهلع وبين العجب والتصلف والاحتشام والتقشف والاخلاص الذى بين الشرك والهوى
وبين الاعجاب والريا والعفة التى بين التهافت على المشتهيات والترفع عن تناول المباحات والطيبات والحزم
الذى بين سوء الظن والوهم والوسواس وبين اذاعة السر والاستخفاف وعدم المبالاة بالناس والحلم الذى
بين الغضب بلا سبب وبين التغاضى عن اللئام عند موجب الانتقام والشفقة ولين الجانب للاقارب
والاجانب الذى بين القوة والاستكبار وبين الرخاوة واللين المستلزم لتضييع حقوق الاهل والجار وحفظ
الحقوق الذى بين التكلف والعقوق يراعى فيها الحدود ولا يخرج فيها عن الحد المعهود فالخروج عنها
يسمى عنادا وقساوة والتقصير فيها يدعى ركاكة ورخاوه مثلا من يستحق العلو لا يضرب ومن يستأهل
الضرب لا يقطع ولا ينكب ومن استوجب القطع لا يقتل ومن وجب عليه حد لا يهمل وتجرى أمور
الشرع الشريف على ما ورد به الامر المنيف فما ثم أحد أكرم من الله ولا أرحم ولا أعلم بأمور مخلوقاته
ولا أحكم قال السميع البصير ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وروى ان الامام المسدد جعفر بن محمد
دخل على الرشيد وهو فى أمر شديد قد استولى عليه الغضب واستخفه الطيش والصخب فقال يا أمير
المؤمنين ان كان غضبك لرب العالمين فلا تغضب له أكثر من غضبه لنفسه وقد حد لكل شئ حدا من نعمه
وبأسه فلا تتعد حدوده فانه قد ملكك عبيده فتذكر من وقوفهم بين يديك واقتدارك عليهم اذا تغشاوا
قيام الديك قدومك يوم القيامة عليه ووقوفك خاضعا منفردا بين يديه ومن انتقامك منهم سؤاله اياك
عنهم فسكن من غضبه واقتدى بادبه وقال الحكماء للاسكندر عليك بالاعتدال فى كل الامور فان الزيادة
عيب والنقصان عجز وفى الحديث خير الامور أوسطها ولهذا قيل فى الاقاويل ينبغى للانسان الراجح
العقل فى الميزان ان يحصل من كل علم مقدار ما يحتاج اليه ويعول فى مشكلاته عليه مثلا من علم الادب
ما ينال به عند أرباب الرتب كاللغة والنحو والصرف ولو انه أدنى حرف ليقوم بذلك لسانه ومن علم المعانى
ما يبدع به بيانه ومن العروض والقوافى المقدار الوافى والمعيار الكافى ومن الطب ما يعرف به مزاجه
ويصلح به علاجه ويقوم به اعوجاجه ومن علم التفسير والقرآن ما يقتدر به على بيان كلام الرحمن
ومن علم السنة والحديث ما يميز به الطيب من الخبيث ويضبط به أقسامه وصحته وسقامه والانساب
والرجال وما لهم من صفات وأحوال ان لم يكن مفصلا فعلى الاجمال ويندرج فيه علم التاريخ العالى

خالص الحديد لا يوجد له مثيل * واما الدم الذى رأيت كأنه خضب به جسدك فانه يأتيك من ملك كازرون من يقوم بين يديك بلباس
معجب يسمى حلة ارجوان يضئ فى الظلمة * واما ما رأيت من غسل جسمك بالماء فانه يأتيك من ملك رهزين من يقوم
بين يديك بثياب كتان من لباس الملوك وأما ما رأيت من انك على جبل أبيض فانه يأتيك من ملك كيدور من يقوم بين يديك بفيل أبيض لا تلحقه الخيل * وأما ما رأيت على راسك شبيها بالنار فانه يأتيك من ملك أرزن من يقوم بين يديك باكليل من ذهب مكلل بالدر والياقوت وأما الطير الذى رأيته ضرب رأسك بمنقاره فلست مفسرا ذلك اليوم وليس بضارك فلا توجلن منه ولكن فيه بعض السخط والاعراض عمن تحبه فهذا تفسير رؤياك أيها الملك * وأما هذه الرسل والبرد فانهم يأتونك بعد سبعة أيام جميعا فيقومون بين يديك فلما سمع الملك ذلك سجد لكباريون ورجع الى منزله فلما كان بعد سبعة أيام جاءت البشائر بقدوم الرسل فخرج الملك فجلس على التخت وأذن للاشراف وجاءته الهدايا كما أخبره كباريون الحكيم فلما رأى الملك ذلك اشتد عجبه وفرحه من علم كباريون وقال ما وفقت حين قصصت رؤياى على البراهمة فأمرونى بما أمرونى به ولولا ان الله تعالى تداركنى برحمته لكنت قد هلكت وأهلكت وكذلك لا ينبغى
لكل أحد ان يسمع الا من الاخلاء ذوى العقول وان ايراخت أشارت بالخير فقبلته ورأيت به النجاح فضعوا الهدية بين يديها لتأخذ منها
ما اختارت ثم قال لايلاذ خذ الاكليل والثياب واحملها واتبعنى بها الى مجلس النساء ثم ان الملك دعا ايراخت وحورقناه أكرم نسائه بين يديه فقال

الشماريخ ومن علم الكلام ما يصحح به دينه و يقيم به اعتقاده و يقينه ومن علم الاصول وما اشتمل عليه
من معقول ومنقول ما يقدر به على استنباط الاحكام ومعرفة أدلة الحلال والحرام ومن علم الفروع
ما يحكم به أصناف العبادات وأنواع العادات وطرائق العقود واقامة الحدود ومن علم مكارم الاخلاق
ما يصيد به قلوب الرفاق و يكتسب به الذكر الجميل والثناء الجليل ومن الحرف ما يحصل به القوت الحلال
ولا يصير على الناس كلا ذا املال وقد قيل خالطوا الناس مخالطة ان غبتم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم
ومن علم الركوب والرمي والسباحه والخط ولعب الرمح والسباحه وعلم الفرائض والحساب وطرائق
المبايعات والكتاب ما يقدر به على الدخول اليه اذا تكلموا فيه بين يديه بحيث يكون له فيه مشاركة
والمام ولا يكون بين الخواص كالعوام وكل ما ذكر فسلوكه عدل والتلبس به كمال وفضل و رأس
مال الجميع التقوى فان الانسان الضعيف بالتقوى يقوى قال الله تعالى ولكن يناله التقوى منكم
و بالجملة فالعاقل العادل بل الكامل الفاضل لا يستنكف عن نوع من العلوم ولا تبرد همته عن اقتباس
منطوق ومفهوم قال معلم الخير ومحذر الشر تعلموا حتى السحر وقال

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه * ومن لم يعرف الخير * من الشر يقع فيه

وكل صافي السريره وذي بصيرة منيره يتوجه الى التعلم والاستفاده ويجعل مراده مراده أي علم كان
خصوصا اذا كان من الشرف بمكان قال بعض الوزراء لابنه يا بني تعلم العلم والادب ولا تسأم فيهما من الطلب
فلولا العلم والادب لكان أولئك في السوق جمالا وللذوق جمالا فبالعلم والادب ركبنا أعناق الملوك واحوج
الناس يا ذا الافضال الى اكتساب الفضل والعلم والكمال السلاطين والملوك ومن تبعهم في السلوك فانهم
بين خلق الله تعالى هم المرموقون والسابقون بجلائل النعم لا المسبوقون و بحفظ بلاده وعباده المستوثقون
و بالسؤال عنهم موثوقون فهم المتحملون لاعباء العدل المكلفون بالمحاسبة عنه والفضل قال من يقول
للشئ كن فيكون قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فهم أقدر على التحصيل من غيرهم والزمان
والمكان تابعان لسيرهم والخاص والعام يتمنى قربهم و يسلك في التوصل الى جنابهم دربهم و يبذل
في ذلك ما وصلت اليه يداه و يجعل تحصيل مآربه ومونه غاية متمناه فيبذل جهده في ايصالهم اليه و يكد
قلبه وقالبه في اطلاعهم عليه قال الشاعر

ولم أر في عيوب الناس نقصا * كنقص القادرين على التمام

وقال بعض الملوك لاولاده يا بني اكتسبوا العلم والفضل وادخروا الحلم والعدل فان احتجتم الى ذلك كان
مالا وان استغنيتم عنه كان جمالا وقال بعض الحكماء العلم ملك ذو أعضاء رأسه التواضع ودماغه المعرفة
ولسانه الصدق وقلبه حسن النية ويداه الرحمة ورجلاه مثابرة العلماء وسلطانه العدل ومملكته
القناعة وسيفه الرضا وقوسه المساهلة وسهمه المحبة وجيوشه مشاورة الادباء وزينته النجدة وحكمه
الورع وكنزه البر وماله العمل الصالح ووزيره اصطناع المعروف ومستقره جودة الرأي ومأواه الموادعة
ورفيقه مودة الاخيار وذخيرته اجتناب الذنوب والحاصل يا ملك الطير و يا مالك عنان الخيرات قوام العالم
ونظام بني آدم سيف الملوك والسلاطين وقلم العلماء الاساطين فمهما حدث من شر محاه سيف الملوك ومهما
وجد من خير أثبته قلم علماء الارشاد والسلوك وفي الحقيقة يا شيخ الطريقة العالم عبارة عن هؤلاء
و بصلاحهم تصلح الاشياء و بفسادهم والعياذ بالله تفسد الدنيا اذهم لزوال الفساد وطهارة العباد وعمارة
البلاد بمنزلة الصابون للاوضار والاستغفار للاوزار فاذا فسد هؤلاء فما لفسادهم دواء كما قيل

الذنب صابون الاستغفار يغسله * كالثوب ينظف بالصابون ان وسخا
فما الذي يغسل الصابون من دنس * اذا رأيناه صار الذنب والوسخا

لا يلاذ ضع الكسوة والا كايل بين يدي ابراخت لتأخذ أيهما شاءت فوضعت الهدايا بين يدي ابراخت فأخذت منها الا كايل وأخذت
حورقناه كسوة من أفخر الثياب وأحسنها وكان من عادة الملك ان يكون ليلة عند ابراخت وليلة عند حورقناه وكان من سنة
الملك ان تهيئ له المرأة التي يكون عندها في ليلتها ارزا بحلاوة فتطعمه اياه فأتى الملك ابراخت في نوبتها وقد صنعت له ارزا فدخلت عليه بالصحفة والا كايل على رأسها فعلمت حورقناه بذلك فغارت من ابراخت فلبست تلك الكسوة ومرت بين يدي الملك وتلك الثياب تضيء عليها مع نور وجهها كما تضيء الشمس فلما رآها الملك أعجبته ثم التفت الى ابراخت فقال انك جاهلة حين أخذت الا كايل وتركت الكسوة التي ليس في خزائننا مثلها فلما سمعت ابراخت مدح الملك لحورقناه وثناءه عليها وتجهيلها هي وذم رأيها أخذها من ذلك الغيرة والغيظ فضربت بالصحفة رأس الملك فسال الارز على وجهه فقام الملك من مكانه ودعا بيلاذ فقال له الا ترى وأنا ملك العالم كيف حقرتني هذه الجاهلة وفعلت بي ما ترى فانطلق بها فاقتلها ولا ترحمها فخرج ايلاذ من عند الملك وقال لا أقتلها حتى يسكن عنه الغضب فالمرأة عاقلة سديدة الرأي من الملكات التي ليس لها عديل في النساء وليس الملك بصابر عنها وقد خلصته من الموت وعملت اعمالا صالحة
و رجاؤنا فيها عظيم ولست آمنه ان يقول لم لم تؤخر قتلها حتى تراجعني ولست قاتلها حتى انظر رأي الملك فيها ثانية فان وناهيك
رأيته نادما حزينا على ما صنع جئت بها حية وكنت قد عملت عملا عظيما وأنجيت ابراخت من القتل وحفظت قلب الملك واتخذت عنده عامة

الناس بذلك بدا وان رأيته فرحا مستبشرا مصوبا رأيه في الذي فعله وأمر به فقتلها الايغوت ثم انطلق بها الى منزله ووكل بها خادما من امنائه وأمره بخدمتها وحراستها حتى ينظر ما يكون من أمرها وأمر الملك ثم خضب سيفه بالدم ودخل على الملك كالكئيب الحزين فقال أيها الملك انى قد أمضيت أمرك في ارا خت فلم يلبث الملك ان سكن عنه الغضب وذكر جمال ارا خت وحسنها واشتد أسفه عليها وجعل يعزي نفسه عنها ويتجلد وهو مع ذلك يستحي أن يسأل ايلاذ أحقا أمضى أمره فيها أم لا ورجا لما عرف من عقل ايلاذ أن لا يكون قد فعل ذلك ونظر اليه ايلاذ بفضل عقله فعلم الذي به فقال له لا تهتم ولا تحزن أيها الملك فانه ليس في الهم والحزن منفعة ولكنهما ينحلان الجسم ويفسدانه فاصبر أيها الملك على ما لست بقادر عليه أبدا وان أحب الملك حدثته بحديث يسليه قال حدثني (قال) ايلاذ زعموا أن حمامتين ذكرا وأنثى ملأ عشهما من الحنطة والشعير فقال الذكر للانثى انا اذا وجدنا في الصحارى ما نعيش به فلسنا نأكل مما ههنا شيأ فاذا جاء الشتاء ولم يكن في الصحارى شئ رجعنا الى ما في عشنا فأكلناه فرضيت الانثى بذلك وقالت له نعم ما رأيت وكان ذلك الحب نديا حين وضعاه في عشهما فانطلق الذكر فغاب فلما جاء الصيف يبس الحب وانضمر فلما رجع الذكر رأى الحب ناقصا فقال لها أليس كنا أجمعنا رأينا على ان لا نأكل منه شيأ فلم أكلته فجعلت تحلف انها ما أكلت منه شيأ وجعلت تعتذر اليه فلم يصدقها وجعل ينقرها حتى ماتت فلما جاءت الامطار ودخل الشتاء تندى الحب وامتلأ العش كما كان فلما رأى الذكر ذلك ندم ثم اضطجع الى جانب حمامته

وناهيك يا مالك العقبان ما فسد من الزمان وجرى من الدماء من طوفان وانمحى من أمهات البلدان عند استيلاء الكافر جنكزخان فسأل العقاب عن كيفية هذا المصاب والعقاب ومن هو جنكزخان الذي أفسد وحات وما أصله وفصله وكيف كان قطعه ووصله حتى نفذ في كبد العالم بالفساد نصله فقال هذا رجل من بقايا التتار الساكنين من بلاد الشرق في قفار وهم من بقايا يأجوج ومأجوج عن الاسلام منحرفون وعن الايمان عوج سموا بالترك لانهم تركوا عن دخول السد بالخروج فكانوا قبل جنكزخان مبددين في صحارى لا يلحق منهم اثنان مسيرة أماكنهم ومدى مساكنهم شرقا بغرب نحو من ثمانية أشهر وشمالا بجنوب لا ينقص عن هذا المدى ولا يقصر حدها من الشرق حدود مملكة الخطا وأقصاها خان بالق وهي مدينة عظمى ووراءها شرقا يامن يرقى ينتهي الحد بعد السير الجد الى بلدة عظيمة ولايتها جسيمة تدعى خيسار وأهلها كفار وهي مبدأ مملكة الصين باذا الجد الرصين ومن الشمال نواحي قرقير وسائكاي ومن الجنوب بلاد تدعى تنكت وتبت وتيت هذه يا ذا النسك هي التي يتولد من غزالها المسك ومن الغرب وهي جهة قبلة تلك البلاد اذا صلى المسلمون منهم والعباد حدود بلاد أويغور وما والى تلك الكفور من بلاد تركستان يا ذا الاحسان ويسير الجد منها اذا انفصل عنها كذا وكذا أشهر حتى يصل من جهة عربهم الى ما وراء النهر ثم هؤلاء التتار كانوا في تلك القفار بين هذه الحدود الاربعة في مضيعة وأي مضيعة يتراودون في ذلك البر ويتهارجون في ذلك السهل والوعر كالحيوانات السائبة في البر والبحر لا حاكم يردعهم ولا دين واعتقاد يجمعهم وهم فيما بينهم قبائل وشعوب وأصناف وضروب وخلائق وأمم لا يعرفون الاسلام والسلم بل كل أمة تلعن أختها وتنهب تختها وتأكل رختها وكل طائفة تمد غارتها وتقصد جارتها وكل من قوي على غيره كسره اما قتله واما أسره لم تزل المكافحة بينهم قائمة والمناطحة بين ثيرانهم وكباشهم دائمة وعيون الرشد والاهتداء عنهم نائمة وضواري الظلم والاعتداء في مسارح سوارح اسلامهم سائمة يعدون النهب غنيمة والفسق والفجور والنميمة أجل صنعة وأكمل شيمة يأكلون الكلاب والفار وما وجدوه من صيد القفار والميتة والدم والهوام لا يعرفون الحلال منها والحرام ويلبسون جلودها وأوبارها وأصوافها وأشعارها كما كان مشركو العرب في الجاهلية قبل اشراق شمس الملة المحمدية لا زرع لهم ولا ثمر سوى نوع من الشجر يشبه شجر الخلاف هو ثمرهم في الشتاء والاصطياف اسمه قسوق وهم على ما هم عليه من الفسوق يعبدون الاوثان والاصنام ويسجدون للشمس اذا بزغت من الظلام ويعظمون النجوم ويعبدونها ويخاطبهم الجن ويرصدونها وفيهم كهنة يعتقدونها وسحرة ومكرة وسواجع وزجرة يجي خراجهم الى ملك الخطا وهم على أشد كفر وخطا قد تركب الكفر في احشائهم وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم وأعلى من فيهم من أكابرهم وذويهم علامة رياسته وانفراده برياسته وانه فيهم ذو بأس شديد ورأي سديد ومال مديد كون ركابه من حديد وباقي أعيانهم وذوي مكانتهم وامكانهم ان كانوا ذوي جد فركابهم قضيب ملوي أو وقد وعندهم أفخر ملبوس جلود الكلاب والنموس والذئاب والتيوس وقس على هذا جميع تجملاتهم ومفاخراتهم فهم في قديم الزمان وبعد الحدثان من حين بلغ ذو القرنين بين السدين وساوى على يأجوج ومأجوج بين الصدفين الى آخر وقت كانوا في قلة ومقت وضيق حال وسوء بال لا دنيا ترضيه ولا آخرة ترضيه حتى نبغ منهم هذا اللعين الطاغية تموجين الذي تسمى بجنكزخان وساعده قضاء الديان فأمده الزمان وأعطاه المكان لا مر يريده الرحمن وقضاء قدره على عبيده في سالف الازمان فطم العالم بالفساد فأهلك العباد والبلاد وأخلى الديار والدار وعم غالب بلاد الاسلام بالشنار والبوار فصلى الله على سيد بني عدنان بل أشرف جنس الانسان الذي قال يخرج في آخر الزمان رجل يسمى أمير العصب أصحابه محسورون محقرون مقصون

وقال ما ينفعني الحب والعيش بعدك اذا طلبتك فلم أجدك ولم أقدر عليك واذا فكرت في أمرك وعلمت اني قد ظلمتك ولا أقدر على تدارك ما فات ثم استمر على حزنه فلم يطعم طعاما ولا شرابا حتى مات الى جانبها والعاقل لا يعجل في العذاب والعقوبة ولا سيما من يخاف الندامة كما ندم الحمام الذكر وقد سمعت أيضا ان رجلا دخل الجبل وعلى رأسه كارة من العدس فوضع الكارة عن ظهره ليستريح فنزل قرد من شجرة فاخذ ملء كفه من العدس وصعد الى الشجرة فسقطت من يده حبة فنزل في طلبها فلم يجدها وانتثر ما كان في يده من العدس أجمع وأنت أيضا أيها الملك عندك ستة عشر ألف امرأة تدع أن تلهو بهن وتطلب التي لا تجد فلما سمع الملك ذلك خشي أن تكون ايراخت قد هلكت فقال لايلاذ لم لا تأنيت وتثبت بل أسرعت عند سماع كلمة واحدة فتعلقت بها وفعلت ما أمرتك به من ساعتك قال ايلاذ ان الذي قوله واحد لا يختلف هو الله الذي لا تبديل لكلماته ولا اختلاف لقوله قال الملك لقد أفسدت أمري وشددت حزني بقتل ايراخت قال ايلاذ اثنان ينبغي لهما ان يحزنا الذي يعمل الاثم في كل يوم والذي لا يعمل خيرا قط لان فرحهما في الدنيا ونعيمهما قليل وندامتهما اذا يعاينان الجزاء طويلة لا يستطاع احصاؤها قال الملك لئن رأيت ايراخت حية لا أحزن على شيء أبدا قال ايلاذ اثنان لا ينبغي لهما أن يحزنا المجتهد في البر كل يوم والذي لم يأثم قط قال الملك ما أنا بناظر الى ايراخت أكثر مما نظرت قال ايلاذ اثنان لا ينظران الاعمى والذي لا عقل له وكما ان الاعمى لا ينظر السماء ونجومها وأرضها ولا ينظر القرب والبعد كذلك الذي لا عقل له لا يعرف الحسن من القبيح ولا المحسن من

عن أبواب السلطان يأتونه من كل فج عميق كأنهم قزع الطريق بو رثهم الله مشارق الارض ومغاربها فاتبعه منهم النساء والرجال اتباع اليهود والكفرة المسيح الدجال أمم لا يحصرها حساب ولا يحصيها ديوان ولا كتاب وما يعلم جنود ربك الا هو فارشدوا الى طرق الضلال بعد ما تاهوا وصار كل من أولئك الطغام الكفرة الفجرة الاوغاد اللئام وكل كلاب خادم كلاب الصيود يجري سيفه النكال الكدود من اشراف الملوك وملوك الاشراف وفي اعضاد الاسود وفي رقاب النمور والفهود وكل ماضغ شيح وقيصوم وعلج من أولئك العلوج وعلجوم يتفكه في أنواع المستلذات من المشروب والمطعوم وكل صعلوك معلوك من تركي متروك أو خدام مملوك يتحكم في رقاب أكابر الملوك ويستعبدون احرار أولادهم ويستفرشون زوجاتهم وبناتهم في بلادهم

على رأس عبد تاج عز يزينه * وفي رجل حر قيد ذل يشينه

ومن لا يعرف البطان الرويه ولم يسمع بالرقاع الكرباسيه يستوطئ الاستبرق والديباج ويتقلب على تخوت الصندل والساج ويترقى الى سرر الابنوس والعاج ويعامل التجار والمضاربين في البر والبحار بألوف الالوف من الدرهم والدينار فيجبي اليهم نفائس المضارب من المشارق والمغارب ومكامن المعادن وذخائر الخزائن كل ذلك بواسطة ذلك الطاغيه واستيلاء الفئة الباغيه وكان من أمر هذا المصاب الذي بدل حلاوة العيش بمرار الصاب وخلد في الدهر قواعد البلايا والاوصاب ان الله القاهر فوق عباده الذي لا يسئل عما يفعل من مراده بل له المراد في عباده وبلاده المتصرف في ملكه تصرف المالك في ملكه لما أراد ابتذال المصون وعموم الفساد في عالم الكون واستئصال غالب أهل الارض واذاقة بعض عباده بأس بعض واظهار آثار غضبه على صفحات الشهود وابراز أسرار قهره على وجنات الوجود ولحس سطور صدور علماء العالم على لوح الورود بلسان نار السخط ذات الوقود ونقص أرض العلم من أطرافها واخلاء ربوع المحاسن من آلافها اينع هذا التمساح من أفواج أمواج هذه البحار ونبع هذا التنين المبين من أوعار تلك القفار واغوار أوغادها تيك التتار فكان ممتازا على أقرانه بوفور عقله وحسن بيانه ذا فكر مصيب ورأي صائب وحزم مجيب وعزم ثاقب وهمة تباري الافلاك وثبات يجاري السماك كسر بصدماته الاكاسره وقص بسطواته القياصره وقرع بعزماته على قمم الفراعنة والجبابره وقهر بحملاته قهارمة خواقين القياصره وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب أعجميا عجريا لا يحسب ولا ينسب لا طالع الاخبار ولا اقتفى في سياسة الممالك الآثار بل فرع ما فرعه من القواعد من صحيفة تفكيره واخترع ما ابتدعه من تدبير الملك من مطالعة هواجس ضميره فاسس قواعد لو ادركه اسكندر ودارا لما وسعهما الا اقتفاء أثره وشيد مباني لو بلغت نمرود وشداد البنيا قصور رقصور همما على أركان خبره وخبره ورتب تجهيز السرايا والجنود وربط عقود الجيوش والبنود بطرائق يعجز عنها مهندس الحكمه ويتقاعد عن حل رموزها معزم الفطنه وغالب ما يتعاناه ويستعمله ويتعاطاه جيوش الاتراك في بسيط الارض من ابرام طرائق عساكرهم والنقض انما هو من قوانين ما رتبه وأفانين ما هذبه وركبه وله في ترتيب حساب الحروف ومافي فن الضرب والاضراب من ضروب وطرائق الاصطياد مخترعات دقائق لم يسبق اليها من لدن كيخسرو وكيقباد احكم بها المواثق ونصر المصادق وكبت المعادي وكسر الاعادي واستطال مع كثرة مخالفيه عليهم وانفذ سهم تحكمه وتحكيمه فيهم واليهم وصال فيهم حسبما أراد وجال واتسع له في التضييق على الاسلام والمسلمين المجال فكل من عامله بالمجامله وتلقاه بالعبودية وحسن المعامله أبقى على نفسه واهله وماله وحصنهم من أليم خيله ورجاله ومن قابله بالمقاتله وقاتله بالمقابله وتلا في صف قتاله سورة المجادله محا سطور كونه من لوح الوجود وأوطأ سنابك خيله منه الجباه والخدود نخرب ديارهم ومسح آثارهم مع شركه واسلامهم وتبدد عساكره ونظامهم ومع ان أكثر الملوك والسلاطين وحكام

المماليك

الممالك الاسلامية من الامراء والاساطين لعدم اكتراثهم بالاتراك والتتر وشدة ماهم فيه من النخوة
والبطر ولاعتمادهم على حصونهم الحصينه وتعويلهم على معاقلهم المكينه ولكثرة العدد والعدد
ومساعدة المدد والمدد ولوفور العمائر ببلادهم وخراب بلاده وبسطة استعدادهم وضيق استعداده لم
يعاملوه الا بالمكاشفه ولاردوا جواب خطاباته الا باللعن والمكالحه والسب والمقابحه ولا قابلوه الا بالمراتحه
والمراوسة والمناطحه فقتلهم وابادهم واستصفى طارفهم وتلادهم وتوطن ديارهم وبلادهم واباد هم
عن آخرهم وأطفأ قبائل عشائرهم فدلا كابرهم أسمطة الرزايا ووضع فى أفواه أصاغرهم أثدية المنايا
وأضافهم فى ولائم الدمار وأطافهم على نجائب الانكسار فى ملابس البوار فاستاصل شأفتهم بالنكايه وحكم
فيهم صوائل المنيه فلم يبق من مائة ألف انسان مثلا مائة انسان وذلك أيضا اما على سبيل التغافل أو على سبيل
النسيان وسيذكر على سبيل الاجمال مايدل على تفصيل ماله من أحوال وشواهد ما فرعه من أهوال
واستمر ذلك فى ذريته وان كانوا رجعوا عن ملته وأصل هذه الاصله التى أضحت بخلقان اللعن أكسى
من بصله قبيلة من تلك التتار الساكنين فى تلك القفار تسمى قنات ظلمة عتات غير أمناء ولا ثقات منها
آباؤه وأجداده وفيها أقاربه وأحفاده واخوته وأولاده فنشأ كاذكر بطلا باسلا وشجاعا كاملا بسهام
أفكاره فى غرض مصيبه وبسهام آرائه فى مكره خصيبه ثم اتصل بعدما أخنى وخان بملك الخطا يسمى باونك
خان وأظهر من أنواع الفراسه والفروسة والكياسه مافاق به اناسه وفات من العقل قياسه فقربه
الملك وأدناه ولمهماته اصطفاه ولازال يترقى عنده الى أن ملك جنده وصار عضده وزنده ودستور ممالكه
ومسالك مسالكه وحاكم أمرائه وناظم أمور وزرائه وناظر جمهور كبرائه وعين أعوانه وعون
أعيانه وأعز من اخوته وأولاده وأبر من حفدته وتلاده وكثفت حواشيه وعظمت غواشيه وملأت
السهل والوعر فواشيه ومواشيه فثقل على الوزراء وصعب على الامراء اذ مدار الملك صار عليه ومرجع
الامير والمأمور اليه فحسده أولاد الخان واخوته وأجناده وأسرته وأعملوا له المكائد ونصبوا له المصائد
وتعاطوا افساد صورته وتواطؤا على اخماد سيرته فصاروا يتناوبون على ذلك فى غيبته ويمزقون أديم
عرضه عند الخان ويشقون ستر عصمته بمخاليب البهتان ويراقبون للكلام أوقات القبول ويواظبون
فى السعاية عليه بدلائل المعقول حتى أوغروا صدر الملك عليه وأخذ يفكر فى كيفية ايصال الاساءة اليه
ولم يقدر على مواجهته لوفور جماعته وكثرة حاشيته فان أوتاده كانت ثابته وغراس هيبته كالارزة نابته
وفروع دوحة عصباته قد أحاطت بالملك من كل جهاته حتى قيل ان ذلك الثقيل كان له من القرابات
وذوى الارحام والعصبات والاولاد والاحفاد ماجاوز فى التعداد عشرة آلاف نسمه كل له حومة وكلمه
فأضمر له السلطان البيات وانتخب لذلك من عسكره أولى الثبات والاثبات الثقات ولم يختلف عليه فى ذلك
اثنان لانه كان قد استحكم فيهم منه الشنآن وعلموا ان سهم مكرهم نفذ وحسام فكرهم فى قطعه فلذ
ورأوا من الرأى أرصنه ان يراقبوا الحتفه مكمنه فتواعدوا على ليلة معينه يدهمون فيها أمنه وكان
عند الخان صبيان محرمان لايؤبه اليهما ولايعول فى الامور عليهما يدعى أحدهما كاك والآخر باده
فانسلا من بين أولئك القادة وسلكا طريقا غير العاده وأتيا توجين الطاغية اللعين فى خفيه ونهاو عيه
وأخبراه بسره وانذراه وحذراه بما تمالأ عليه الملك مع عسكره المنهمك وقالا أيها العفريت قد
طبخت لك قدر التبييت فتنبه من النوم وراقب فى الليلة الفلانية هجوم القوم فانه قد مرج مارج الفتنة
فامرج وعن وهاد غفلتك أعرج ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج وباع من السرما حوى بتخيير
المشترى وقضا عليه القصص فخلصا طير حياته من القفص وطوى نجاته من القنص فشكر لهما فضلهما
واستكنهما قولهما ثم تثبت فى أمره وأخفاه عن زيده وعمره وجمع تلك الليله رجله وخيله ولم يبد تلك
الحال لاحد من الرجال بل أخلى بيوته ولازم سكوته وقصد أحد الجوانب بما معه من راجل وراكب

المسيء قال الملك لو رأيت ايراخت لاشتد فرحى قال ايلاذ اثنان هما الفرحان البصير والعالم فكما ان البصير يبصر أمور العالم وما فيه من
الزيادة والنقصان والقريب
والبعيد فكذلك العالم يبصر
البر والاثم ويعرف عمل
الآخرة ويتبين له نجاته
ويهتدى الى صراط مستقيم
قال الملك ينبغى لنا ان نتباعد
منك يا ايلاذ ونأخذ الحذر
ونلزم الاتقاء قال ايلاذ
اثنان ينبغى ان يتباعد منهما
الذى يقول لابر ولا اثم ولا
عقاب ولا ثواب ولا شئ على
مما أنا فيه والذى لايكاد
يصرف بصره عن الحرم ولا
اذنه عن استماع السوء
ولا فرجه عن نساء غيره ولا
قلبه عما تهم به نفسه من
الاثم والحرص قال الملك
صارت يدى من ايراخت
صفراء قال ايلاذ ثلاثة أشياء
أصفار النهر الذى ليس فيه
ماء والارض التى ليس فيها
مالك والمرأة التى ليس لها
بعل قال الملك انك يا ايلاذ
لتلقى بالجواب قال ايلاذ
ثلاثة يلقون بالجواب الملك
الذى يعطى ويقسم من
خزائنه والمرأة المهداة لى
من تهوى من ذوى الحسب
والرجل العالم الموفق للخير
ثم ان ايلاذ لما رأى الملك
اشتد به الامر قال أيها الملك
ان ايراخت بالحياة فلما سمع
الملك ذلك اشتد فرحه وقال
يا ايلاذ انما منعنى من الغضب
ما أعرف من نصحتك
وصدق حديثك وكنت أرجو
لمعرفتى بعلمك ان لاتكون
قد قتلت ايراخت فانها وان
كانت أتت عظيما وأغلظت فى القول فلم تأته عداوة ولا طلب مضرة واسكنها اقتعاتئذ الك الغيرة وقد كان ينبغى لى أن

وأقام في كمين ينتظر أيصدق الواشي أم يمين فما مضى هزيع من الليل الا وقد هبطت الخيل فوجدوا البيوت خاليه والاطلال خاويه فتحقق صدق الناقل وانه ناصح عاقل فعمل مصلحته وأخذ حذره وأسلحته وتقرر وقوع النكد فتقدم امامهم واستعد فقصدوه وبالاذى رصدوه ولازالوا يتبعونه حتى التقوا بمكان يسمى بالجونه وهو عين ماء في حدود بلاد الخطا فاشتعلت بين الفريقين نار الحرب وقصد كل منهم الآخر بالطعن والضرب فاعانه الله ونصره فكسر الخان وعسكره وفرق من معه من فئته وذلك في سنة تسع وتسعين وخمسمائه وغنم تموجين من الاموال والمواشي والاثقال وذخائر الخزائن ونفائس البحار والمعادن ما فات الحد والحصر خارجا عن سعادة النصر وهرب الخان وتهدمت منه الاركان فجمع جنكزخان عسكره وضبط اسماء من حضره ومن كان شاهد القتال ومواقف الحروب والجدال من النساء والصبيان والرجال ومن خادم ومخدوم وخاصم ومخصوم ومأمور وأمير وكبير وصغير حتى السائس والجمال والطباخ والبغال والطفل والرضيع والنذل والوضيع ومن شهد تلك الغارة أو كان في تلك الداره ولو حاضرا للتفرج مع النظاره واستبشر بوجودهم وتيمن بورودهم فاثبتهم في الديوان بأسماء آبائهم وجدودهم وفرق عليهم ذلك الفيء ولم يرفع الى خزائنه منه شيء بل وزع ذلك المغنم الوافر العظيم المتكاثر على الحاضرين معه من العساكر وضبط اسماءهم في الدفاتر وفرق ذلك العرض العريض الطويل على قدر الحقير منهم والجليل ووعدهم بكل جميل وأما الغلامان اللذان أخبراه وعلى ما كان أضمره الخان أظهراه وكانا سبب حياته وخلاصه من الموت ونجاته فانه جعلهما ترخان فصار السهم معاضده كاثم ماسرخان والترخان عبارة عن المعافى المطلق يستوفي حقوقه ولا يقوم بما عليه من حق لا يؤاخذ بقصاص ان قتل وقس على هذا ما يوجبه القول والعمل مقضى المآرب موصول المطالب لا يكلف بخدمة ومباشره ولا بحضور ومعاشره مهما طلب أعطى ويعد مصيبا ولو يخطي وأعلى مراتبه في مراعاة جانبه انه يدخل على السلطان من غير استئذان وهو نائم مع سراريه ونسائه وجواريه فيذكر ماله من مآرب فتقضى ومن شفاعة فتقبل وتمضى ويعطى بذلك مناشير وتواقيع وتقارير تبلغ التاسع من أولاده وتشمل أحكامها جميع أسباطه وأحفاده ولما انتصر وحصل أمنه واستقر وتعاظم أمره واشتهر وعظم صيته وانتشر قرر كل من حضر تلك الوقعه فيما يليق به من منصب ورفعه فأقبلت القبائل اليه وانهالت الرؤس والوجوه عليه ورجع الخان واستعد وأعد ما وصلت اليه يده من عدد واستعان عليه بالمدد والعدد ثم تلاقيا كرتين وتصاولا مرتين انكسر الخان في الاولى وقبض عليه بعد الكسرة في الاخرى فقتله واباده واستملك بلاده واستولى على عساكره واستحوذ على ذخائره وعشائره وهربت أولاد الخان ولجأت الى أطراف تركستان ثم راسل سلطان الخطا والصين بكلام رصين يدل على عقل حصين واسم ذلك السلطان التون خان وطلب المهادنة والموافقه والمصافاة والمصادقه فلم يلتفت الى كلامه فضلا عن اعزازه واكرامه اتكالا على حسبه واستنادا الى نشبه ونسبه واعتمادا على سعة ممالكه وكثرة ملوكه ومناعة حصونه وعمارة بلاده ووفرة مملوكه فان ممالك جنكزخان بالنسبة الى ولايات الخاقانات لاش وأقل من لاش وعساكره وقبائله بالنظر الى أهل الصين أوشاب أو باش فرجع قصاد جنكزخان بالخيبه وذكروا ما رأوا للملك الصين من عظمة وهيبه فلم يلتفت اليه ثم قصد التوجه عليه بعدد كالرمال ومدد كالجبال وواقعه فكسره وناقفه فحصره وقبض عليه وأباده واستصفى ولايته وبلاده وكانت هذه الكسرة والنصره في سنة احدى وستمائة من الهجرة فاستقل من غير منازع ولا ممانع ولا مدافع فلما خلصت له الممالك وانقادت له الملوك والمالك أخذ في ترتيب الامور وتهذيب الجمهور وطيرأجنحة مراسيمه الى أطراف ممالكه واكناف أقاليمه فرفع جميع ما هم عليه من النهب والغارات والتحزبات وطلب الثارات فهدم قواعد الظلم والتعدي في ممالكه

أعرض عن ذلك واحتمله ولكنك يا ايلاذ أردت ان تختبرني وتتركني في شك من أمرها وقد اتخذت عندي أفضل الايدي وأنا لك شاكر فانطلق فأتني بها فخرج من عند الملك فأتى ايراخت وأمرها ان تتزين ففعلت ذلك وانطلق بها الى الملك فلما دخلت سجدت له ثم قامت بين يديه وقالت أحمد الله تعالى ثم أحمد الملك الذي احسن الي قد اذنبت الذنب العظيم الذي لم أكن للبقاء أهلا بعده فوسعه حلمه وكرم طبعه ورأفته ثم أحمد ايلاذ الذي أخر أمري وانجاني من الهلكة لعلمه برأفة الملك وسعة حلمه وجوده وكرم جوهره ووفاء عهده وقال الملك لايلاذ ما أعظم يدك عندي وعند ايراخت وعند العامة اذ قد احييتها بعد ما أمرت بقتلها فانت الذي وهبتها الي اليوم فاني لم أزل واثقا بنصيحتك وتدبيرك وقد ازددت اليوم عندي كرامة وتعظيما وأنت محكم في ملكي تعمل فيه بما ترى وتحكم عليه بما تريد فقد جعلت ذلك اليك ووثقت بك قال ايلاذ دام الله لك أيها الملك الملك والسرور فلست بمحمود على ذلك فانما أنا عبدك لكن حاجتي ان لا يعجل الملك في الامر الجسيم الذي يندم على فعله وتكون عاقبته الغم والحزن ولاسيما في مثل هذه المرأة الناصحة المشفقة التي لا يوجد في الارض مثلها فقال الملك بحق قلت يا ايلاذ وقد قبلت قولك ولست عاملا بعدها عملا صغيرا ولا كبيرا فضلا عن مثل هذا الامر

فلم

فلم ير أيمن من ولايتـه ولا آمن من مسالكه وهى ممالك المغـل والخطا والى الصين شرقا وولايات المغل والجنا وبلاد الترك والى حدود أترارماوراء النهر غربا فجرى بعد النهب والاسار فى ممالك المغل والتتار والبغى والعدوان العدل والامان والسلامة والاطمئنان وبعـد السرقة والخيانه الوفاء والامانه وأمر بوضع البرد والمنارات والعلائم والاشارات وعمرت المفاوز والمناهل وسكنت الصحارى والمداهل وعرفت طرق المهامه والمجاهل وائتلفت تلك الطوائف والأمم وانتشر صيت عدلها فى العرب والعجـم واخترع كما ذكر أنواع سـياسات وقرر للمملكة قواعد بنيان وأساسات ألف بها بين تلك الطوائف فلم ير بينهـم مخالف ولاغير موالف على سعة ممالكهم واختلاف مسالكهم وتعدد ادياناتهم وتفاوت كيل أخلاقهم وميزاتهـم فانهـم كانوا ما بين مسلمين ومشركين ومجوس وأرباب ناقوس ويهود ومن لا يدين لمعبود وصباه وغواه وعباد الشمس والنجوم ومن يسجد لها أوان الرجوم وكل منهم يتعصب لمذهبـه وبغض من مذهب صاحبـه فلم يتعرض لاحد فى دينه ولا وقف له فى طريق اعتقاده ويقينه وأما هو فلم يتقيـد بدين لا كافر مع الكافرين ولا ملحد مع الملحدين ولا يتعصب بملة من الملل ولا يميل لنحلة من النحـل بل يعظم علماء كل طائفه ويحترم زهاد كل ملة على دينها عاكفه ويعد تلك الخصلة قربه حيث يعظم كل دين وحزبه وكل من اختار من أولاده واسباطه واحفاده وامرائه ورعيتـه واجناده دينا من الاديان لا يعترض عليه أى دين كان فبعضـهم كان مسلما حنيفيا وبعض كان يهوديا وبعض نصرانيا وبعض مجوسيا الى غير ذلك من الالحاد والزندقة وعـدم الاعتقاد وحيث لم يتعرضوا الى دنياه ولا نازعوه ملكه الذى تولاه لم يشاققهم فى دينهم ولم يوافقهم فى يقينهـم واخترع هو لنفسه فى الملك قواعد جـل عليها المقارب والمباعد ثم لما لم يكن له كتاب ولا خط ولا لاوائك الحروف فلم يعرفون به قط أمراذ كياء قبيلتـه وعقلاء مملكته ان يضعوا له خطا وقلما يكون لهم علما وعلما فوضعوا له قلم المغل واشتغلوا به أهم شغل ونسبوه الى قبيلته ليدلوا به على فضيلتـه فقالوا قوناتقو يعنى قلم قتات وهى قبيـلة ذلك القتات فوضعوا مفرداته ورتبوها ثم جلوها وركبوها وهى أربعـة عشر حرفا ظاهرة بينهم لاتخفى وهـذه صورة مفرداتها

....

فأمر أولاده واحفاده وجماعتـه واجناده ومهرة الرجال والاذكياء والاطفال أن يتعلموا هذا الخط وينشروه ويتداولوه ويشهروه فانتشر بينهم حتى ملأ رأسهم وعينهم فرسموا به المراسيم والمناشير ورصعوا بجواهره جباه المساطير ووضعوا الرسومات الديوانيـه والتوقيعات السلطانيـه وابتدع لهم تواريخ وحساب كل ذلك بهذا الكتاب ثم لما تقرر أمره وانتشر فى الآفاق ذكـره مهد قواعد أسسها ونصب فى دوحة ملكه أصول خلاف غرسها ووضع على ما اقتضاه رأيه التعيس وفكره الخسيس طرقا وأفانين ودرب فى أمور الحكومات أساليب وقوانين فجعل لكل حكومة حكما وفوق لكل حادثة سهما وفرع لكل جسنة مثوبه ولكل سيئة عقوبه وقرر لكل معصية حدا ولكل بنيان مخالفة هدا ولكل فرع أصـلا ولكل سهم من الوقائع نصلا وبين كيفية الصيد والحرب وسلك فى كل ذلك الطريق والدرب وألقى دروس ذلك على أولاده وحفدته وجيوشه ورعيته بحيث انهم حفظوها ورعوها وفى سيرسيرهم هرجاوم جاوعوها فمن أحكامها المظلمه وفروعها المعتـمه صلب السارق وخنق الزانى وان شهد بذلك واحد فلا يحتاج الى ثانى ثم فصـل حد السارق بهـذيان فارق فقال فى السرقة من خركاه أو بيت شعر واه بوجوب الصلب وبقطع اليدان كان بالنقب ثم كلا السارقين يؤخذ مالهما من مال وعين ويسترق مالهما من أولاد وينتقل الى السلطنة مالهما من طريف وتلاد ومنها حقية دعوى من سبق سواء كذب أو صدق ومنها استعباد الاحرار وتوارث الفلاح والاكار ومنها توريث نكاح الزوجة لاقارب الزوج وتداولهم اياها فوجا بعد فوج فان تزوجها أحد منهم كان أحق بها ولا تخرج عنهم والا زوجوها بمن شاؤا وأخذوا

العظيم الذى سامت منه الابعد المؤامرة والنظر والتردد الى ذوى العقول ومشاورة ١٨٧ أهل المودة والرأى ثم أحسن الملك جائزة ايلاذ ومكنه من أولئك البراهمة الذين اشاروا بقتل أحبابه فاطلق فيهم السيف وقرت عـين الملك وعيون عظماء أهل مملكته وحمـدوا الله وأثنوا على كبار يون لسعة علمه وفضل حكمته لان بعلمه خلص الملك ووزيره الصالح وامرأته الصالحة * انقضى باب ايلاذ وبلاذ وايراخت

(باب اللبوة والاسـوار والشعهر)

(قال) دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هـذا المثل فاضرب لى مثلا فى شان من يدع ضر غيره اذا قـدر عليـه لما يصيبه من الضر ويكون له فيـما ينزل به واعظ وزاجر عن ارتكاب الظلم والعـداوة لغيره قال الفيلسـوف انه لا يقـدم على طلب ما يضر بالناس وما يسوؤهم الا أهل الجهالة والسفه وسـوء النظر فى العواقب من أمور الدنيا والآخرة وقـلة العلم بما يدخل عليهـم فى ذلك من حلول النقمة وبما يلزمهم من تبعة ما اكتسبوا مما لا تحيط به العقول وان سلم بعضـهم من ضرر بعض بغية عرضت له قبل ان ينزل به وبال ما صـنع فان من لم يفكر فى العـواقب لم يامن المصائب وحقيق أن لا يسلم من المعاطب وربما اتعظ الجاهل واعتبر بما يصيبه من المضرة من الغير فارتدع عن ان يغشى أحـدا بمثل ذلك من الظلم والعـدوان وحصل له نفع ما كف عنـه من ضرره لغيره فى العاقبـة فنظير ذلك حـديث اللبوة والاسوار

مهرها وباؤا ومنها عدم العده وعدم انحصار الزوجات في عدد ومنها الاخذ بقول الجواري والصبيان وبما يتقوله على الرجال العبيد والنسوان ومنها امتثال أمر السلطان على الفور من غير توان ومنها لزوم ما لا يلزم من العطايا وايجاب ما يتبرع به الانسان من التجملات والهدايا حتى لو أعطى شخص شخصا من ماله هدية أو شقصا فان ذلك يلزمه وفي كل عام يغرمه ومنها الجثو بين يدي الحاكم على الركب وقت التحاكم ومنها مطالبة الجار بالجار ومعاقبة البرىء بجريمة مرتكب الاوزار وذلك لادنى مناسبة من معرفة أو مصاحبة فضلا عن أكبر أصحابه أو شديد قرابه ومنها ان لا يتقدم الوضيع على الشريف ولو كان ذا مال عريض وجاه كثيف ومنها العمل بما يقتضيه العقل والكف عما لا يدركه ولو ورد به النقل ومنها منع عفو الحاكم وان عفا المظلوم عن الظالم ونحو هذه الخرافات الباطله والهذيانات العاطله ومن اسخفها وأوسخها وأخسفها انه لو أخذ أحد ابله عن قواعدهم ذو غلله من ثوب أحدهم قمله فان دفعها الى صاحبها خاص من تبعة عواقبها وغرامة مطالبها فان شاء قصعها وان أراد وضعها وربما اختار عودها الى مكانها فارجعها وان قتلها أو رماها والى صاحبها ما أداها فان صاحبها يخاصمه والى حاكم التتار يحاكمه ويدعي عليه بين يديه بان هذا الانسان عمد الى حيوان ربيته بين صدري ونحري وغذيته بدم صدري وظهري فقتله قصدا واضاعه عمدا من غير سبب تقدم اليه ولا ايذاء اجترأ به عليه فينسبه الى الاجترام ويأخذ يتهامنه بالاغترام وقس على هذا اليسير أنواعا من الكثير ومن نتن هذه البعرة على خرافة البعير ومن هذه القواعد أمر الاقارب والاباعد بما يستصوبه العقل ويستنجحه النقل من سلوك طريق الفتوه ومعاملة الخلق بالمروه والكرم والاحسان والمداراة مع كل انسان والكف عن الظلم والغارات اللهم الا في طلب الثارات ثم وضع طرق المكاتبات والمراسلات والمشافهات والمخاطبات فكان في المكاتبات طريقة رسمه ان لا يزيد على وضع اسمه مثل ان يقول في أول الكتاب وبراعة استهلال الخطاب عند ابتداء المقال بعد عدة أوصال جنكزخان كلامي ثم يكتب تحته من نصف السطر الثاني الى فلان ليفعل كذا ولا يتعال بان واذا ثم يذكر مخ المقصود بطريق معهود بين العبارات من غير مجازات واستعارات ويختم بذكر الزمان واسم المنزل والمكان واذا استدعى أحدا الى الطاعه وملوك السنة اسوة الجماعه فانه يتجنب التهويل والتهديد ويتحامى عن التشريد والتشديد ويرغب بالوعد ويترك الوعيد ثم يقول ان سمعتم وأطعتم فزتم وغنمتم وان أبيتم وتماديتم فليس أمر ذلك الينا ولا درك علمه علينا يرى فيكم الخالق القديم رايه فان في تقديره وتدبيره كفايه فهذه القاعدة باقيه في تلك الفئة الباغيه مستمرة على الدوام والى هذه الايام جارية على هذا النمط يكتبون اسم الخان والخاقان فقط وكذلك الامراء والوزراء والمباشرون والكبراء يكتبون في أول الكتاب فلان لا كنية ولا جناب وهكذا الى الاكابر من الاداني يذكرون اسم الكبير ووظيفته فلان لا الفلاني ولما فرغ من ترتيب هذه القواعد الملعونه وخرج بها على خلاف الشريعة الميمونه وقرر عليها الامور الديوانيه والاحكام السلطانيه أمر بها فكتبت وبهذا الخط رتبت ورسمت في طوامير ولفت في شقق الحرير وزمكت بالذهب ورصعت بالجواهر كما فعل ماني النقاش الكافر واضع مذهب المجوس ومصوره على صفحات الطروس ومبرز المعقول بطريق المحسوس ليكون أقرب الى تفهيم النفوس في كتابه المسمى بزندواستا ثم أمر باحترامها وتوقيرها والمحافظة على ضبطها وتحريرها والعمل بها والاقتداء بما فيها وتعلق أهل ملته بقوادمها وخوافيها ثم رفعت الى خزائنه وهي عندهم أعز من الكبريت الاحمر في معادنه واسمها بالمغلي التوره وتفسيرها الملة المأثوره فاذا جلس منهم سلطان على سرير وذلك بما الرؤساء من اتفاق وتدبير وعادتهم في ذلك انهم اذا رفعوا عليهم سلطانا وأرادوا ان يبنوا الدار المملكة خانا اجتمع الامراء من الاطراف واستدعوا أركان الثغور والاكناف واشتوروا فيما بينهم مدة أيام واستمر وافي ذلك ما بين

والشغهر قال الملك وكيف كان ذلك قال الفيلسوف زعموا ان لبوة كانت في غيضة ولها شبلان وأنها خرجت في طلب الصيد وخلفتهما في كهفهما فمر بهما أسوار فحمل عليهما ورماهما فقتلهما وسلخ جلديهما فاحتقبهما وانصرف بهما الى منزله ثم انها رجعت فلما رأت ما حل بهما من الامر الفظيع اضطربت ظهرا لبطن وصاحت وضجت وكان الى جنبها شعهر فلما سمع ذلك من صياحها قال لها ما هذا الذي تصنعين وما نزل بك فاخبريني به قالت اللبوة شبلاي مر بهما أسوار فقتلهما وسلخ جلديهما فاحتقبهما ونبذهما بالعراء قال لها الشعهر لا تضجي وانصفي من نفسك واعلمي ان هذا الاسوار لم يأت اليك شيئا الا وقد كنت تفعلين بغيرك مثله وتاتين الى غير واحد مثل ذلك ممن كان يجد بحميمه ومن يعز عليه مثل ما تجدين بشبليك فاصبري على فعل غيرك كما صبر غيرك على فعلك فانه قد قيل كما تدين تدان ولكل عمل ثمرة من الثواب والعقاب وهما على قدره في الكثرة والقلة كالزرع اذا حضر الحصاد أعطى على حسب بذره قالت اللبوة بين لي ما تقول وأفصح لي عن اشارته قال الشعهر كم اتى لك من العمر قالت اللبوة مائة سنة قال الشعهر ما كان قوتك قالت اللبوة لحم الوحش قال الشعهر من كان يطعمك اياه قالت اللبوة كنت أصيد الوحش وآكله قال الشعهر أرأيت الوحوش التي كنت تأكلين اما كان لها آباء وأمهات قالت بلى قال الشعهر فما بالي لا أرى ولا أسمع لتلك

نقض وابرام ورجا أقاموا فى ذلك الجمع العام حولا جميعا أو ضعفى عام ويسمون تلك الجمعية قورلتاى
وهى مستمرة الحكم فى المغل والجغتاى وسبب ذلك تدافع الامره والفرار من ثقل السلطنة الحلوة المره
كما كان الصحابة الكرام يتدافعون الفتاوى خوف الآثام فاذا وقع الاتفاق بين الرفاق وامراء الجند
ورؤساء الآفاق على واحد من أولاد الخان وأن يكون عليهم الملك والسلطان وتصوب الرأى عليه
وتسدد وضعوه على لبد اسود ثم رفعه من الارض الى السرير أربعة أنفس كل أمير كبير كل حامل بطرف
رافع فى زعمه راية الشرف والخان يصيح بلسان فصيح يارؤساء ويا أمراء ويا ملوك ويا زعماء أنا ما أقدر
ان أتسلطن عليكم ولا طاقة لى ان أتحكم لديكم ولا قوة لى بهذا الحمل الثقيل والدخول تحت هذا الامر
العريض الطويل فيقولون بلى يا مولانا الخان تقدر أن تقوم بحمل أعباء هذا الشان فيتكرر الخطاب
ويتعدد الجواب حتى يجلسوه على السرير ويتهيج بذلك الكبير والصغير والمأمور والامير ثم يأتون
بالتورة الجنكزخانيه الملعونة الشيطانيه مجملة معظمة محترمة مكرمه فينهضون اعظاما لها ويتبركون
بمسهم اذيالها فينشرونها ويشهرونها ثم ينصتون فيقرؤنها ثم يبايعون الخان على اقامتها وان يراعى
أحكامها حق رعايتها ويبايعهم على امتثال أحكامها واجراء نقضها وابرامها فيجيب كل منهم الامر على ذلك
وان يقيم شعائرها الملوك والممالك ثم يضربون له الجنوك ثلاث مرار ثم يتوجهون الى الشمس فى وجه
النهار ويضربون لها الجنوك ويسجد لها من فيهم من مالك ومملوك ولا يفعلون هذا الفعل الشنيع الا فى
أيام الربيع فاذا تعاقدوا وتبايعوا وتعاهدوا وتتابعوا رفعوا تلك الكفريات واحضروا الآلات
الخمريات فادار الخان عليهم الكاسات واستعملوا الاقداح والطاسات وفتح الخزائن وأظهر المكامن
ونثر النثار من الدرهم والدينار وخلع الخلع والتشاريف وأعاد فى دروس النفائس ابحاث التصريف
واستمروا على ذلك أياما والانعامات تدر عليهم خاصا وعاما ثم ياذن لهم فيتفرقون ثم انصرفوا صرف الله
قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون وهذه الطريقة مستعمله والى آخر وقت غير مهملة فى جميع ممالك الشرق
من الخطا والدشت والصين والمغل والجتا وفى ولايات الجغتاى والروم قد اعتادوا اغالب هذه القواعد
والرسوم فقدموها على القواعد الاسلاميه والشرائع الاحدية المحمديه اللهم ألهمنا الصواب ولا
تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب وسبب تحركه الى ممالك الاسلام
وتوجه عنان سخطه الى طلب الانتقام هو أنه لما استقر أمره وانتشر بعد الجور بالعدل ذكره
وطابت بلاده وأمنت وخمدت حركات الظلم وسكنت توجه من بلاد ماوراء النهر قفله فى سنة ثلاث
عشرة وستمائه فيهم ثلاثة أنفار من اعيان التجار أحدهم يدعى أحمد الخجندى والآخر عبد الله
ابن الامير حسن الجندى والثالث أحمد البجيخ ومعهم من أنواع المتاجر ونفائس الاقمشة والذخائر
ما يصلح للملوك أولى المفاخر فوصلوا الى بلاده الجارى فيها مياه كفره وعناده وانتهوا الى قوقات
والمسيل وهم محل سريره الذليل فاكرم نزلهم ورفع محلهم وأنزلهم فى قباب بيض وأفاض عليهم الكرم
العريض وكان شعار المسلمين فى تلك البلاد ان ينزلوهم فى قباب بيض من لبد وكانوا يقربون المسلمين
ويحترمونهم دون الناس أجمعين ثم ان جنكزخان دعا أحد أولئك الاعيان واستعرض قماشه وساومه
بعدما قربه وأكرمه فطلب منه أضعاف ثمنه وسامه ما يقضى بغبنه رغبته فارد جوابه ولا اعتبر خطابه
ثم طلب رفيقيه واستعرض بضائعهما عليه ثم ساومهما الثمن فقالا يا مالك الزمن ان صلح هذا القماش
فخذه منا لك به بلاش فليكن ثمنه رضاك وهدية فى مقابلة ملتقاك وتقدمة منا اليك بل خدمة لخادم
آدخلنا عليك فاعجبه هذا الحوار وقال بل أنتم تجار انما جئتم لتربحوا وتكسبوا علينا وتنجعوا وأنتم
ضيوفنا فالاولى ان يشملكم معروفنا ولكن أنا أقول قولا وادفع اليكم نولا فان رأيتم فيه فائده وعاد عليكم
منه عائده قبلتموه والا فالرأى فيما رأيتموه ثم ذكر لهما مبلغا ارضاهما وبلغ به منتهى مناهما بحيث

الا‌ٓباء والامهات من الجزع والضجيج ما أرى وأسمع لك اما انه لم ينزل بك ما نزل الا لسوء نظرك فى العواقب وقلة تفكرك فيها

وجهالتك بما يرجع عليك من ضررها فلما سمعت اللبوة ذلك من كلام الشعهر عرفت ان ذلك مما جنت على نفسها وان عملها كان جورا وظلما فتركت الصيد وانصرفت عن أكل اللحم الى أكل الثمار والنسك والعبادة فلما رأى ذلك ورشان كان صاحب تلك الغيضة وكان عيشه من الثمار قال لها قد كنت أظن ان الشجر عامنا هذا لم تحمل لقلة الماء فلما أبصرتك تا كلينها وأنت آكلة اللحم فتركت رزقك وطعامك وما قسم الله لك وتحولت الى رزق غيرك فانتقصته ودخلت عليه فيه علمت ان الشجر العام أثمرت كما كانت تثمر قبل اليوم وانما أتت قلة الثمر من جهتك فويل للشجر وويل للثمار وويل لمن عيشه منها ما أسرع هلاكهم اذا دخل عليهم فى أرزاقهم وغلبهم عليها من ليس له فيها حظ ولم يكن معتادا الا كلها فلما سمعت اللبوة ذلك من كلام الورشان تركت أكل الثمار وأقبلت على أكل الحشيش والعبادة (وانما) ضربت لك هذا المثل لتعلم ان الجاهل ربما انصرف بضر يصيبه عن ضر الناس كاللبوة التى انصرفت لما لقيت فى شبليها عن أكل اللحم ثم عن أكل الثمار بقول الورشان واقبلت على النسك والعبادة والناس

أحق بحسن النظر فى ذلك فانه قد قيل ما لا ترضاه لنفسك لا تصنعه لغيرك فان فى ذلك العدل وفى العدل رضا الله تعالى ورضا الناس * انقضى باب

ربح درهمهما ثلاثة وأربعة وتضاعفت لهما مع قرب الملك المنفعة فقالا رضينا بما رسمت وأنعمت به وقسمت فقال لرفيقهما الاول ان رضيت بمثل مارضي به صاحبك فتحول والا فخذ متاعك وتحول وشأنك وقماشك وتحسن مع ذلك رياشك فقال رضيت بما رضيابه وتلطف في خطابه وجوابه فأمر في الحال وأحضر المال ووزن الثمن وأزادوا ومن وألبسهم الخلع وأفضل في المصانع وأمر ببضائعهم فرفعت وفي خزائنه وضعت ثم أمر خواص بطانته ان يدخلوا هؤلاء التجار الى خزائنه فلما دخلوا اليها ووقع نظرهم عليها رأوا من نفائس الاموال والذخائر وأصناف الاقمشة والحرائر وأنواع الجواهر الملوكيه واجناس الامتعة الكسرويه واعلاق ملوك الصين ومتحفات الملوك والسلاطين ما أبهت نواظرهم وأدهش أبصارهم وبصائرهم فتنزهوا في محاسنها أبصارهم واودعوا أحاسن مخيلاتها افكارهم ثم أتوا بهم اليه وأدخلوهم عليه فقال ماذا رأيتم في الخزائن من نفائس المتاجر والمعادن فقالوا ما لا يصلح الا في خزائنك ولا ينثر على فرق ملوك المشارق والمغارب الا من مكامن معادنك فقال ما بايعنا كم فارغنا كم ولا أكرمنا كم اذ صحبنا كم بناء على انا عادمون ولا انا بقيمة الاشياء وقدرها جاهلون وانما فعلنا ذلك الاحسان وجبرنا منكم النقصان لعدة معان أحدها أنكم أضيافنا وقد شملكم كرمنا وانصافنا ثانيها ان فضلنا الفضيل يقتضي اكرام النزيل ثالثها انكم مسلمون والمسلمون عندنا مكرمون رابعها أردنا اشتهار اسمنا وان تذكر في الاقطار طريقة رسمنا خامسها انه اذا سمع بمعاملتنا التجار يقصدون بلادنا من الامصار وسائر الآفاق والاقطار فتعمر المسالك والدروب ويربح الطالب والمطلوب سادسها وهو اعلاها وأحسنها وأقواها أنكم أملتمونا وافدين وانا لانخيب رجاء القاصدين ثم سرحهم شاكرين ولما سمعوا ورأوا ذاكرين ثم اقتضت الآراء فأمر الامراء واكابر بلاده ورؤساء أجناده ان يجهز كل منهم الى الجهات الغربيه والولايات الاسلاميه من جهته أحدا من المسلمين ببضائع من أمتعة الخطا والصين في صفة التجار ليتعاملوا في هذه الديار وتنفتح المسالك على السالك وتنقل اليهم بضائع هذه الممالك وتكثر المعاملات وتتحد الممالك والولايات فامتثلوا مراسيمه وعدوها غنيمه وجهز كل منهم من جهته من وثق بامانته واعتمد على كفايته وأعطاه من النقود والاجناس ما يصير به من رؤساء الناس واجتمعوا قافلة وركبوا السابلة نحو أربعمائة وخمسين نفرا كلهم مسلمون كبرا وكتب لهم مراسيم وجائزات باكرام نزلهم في الدروب والمجازات ومعاملتهم بالكرامات وان تهيأ لهم ولدوابهم الاقامات ذهابا وايابا حضورا وغيابا ثم أرسل معهم الى السلطان قطب الدين محمد بن تكش علاء الدين بن ارسلان بن محمد بن انوشتكين وانوشتكين هذا هو أتابك الملوك السلجوقية والسلطان قطب الدين هو الغائق من تلك الذريه رسالة عاطره تستميل خاطره وتسيل من سحائب كرمه مواطره وحسن الجوار ومراعاة جانب الجار وسلوك ما تنتظم به الامور وتطمئن به الصدور ويحصل به الامن للصادر والوارد والرفاهية للقائم والقاعد وتنعقد به اسباب المحبة من الطرفين وأطناب المودة بين الجانبين وفتح باب المراسلات وكشف حجاب المعاملات وان كانت الاديان مختلفة فلتسكن القلوب مؤتلفة وشمول نظر الصدقات السلطانيه وعواطف مراحمها الملوكيه على القصاد الوافدين على أبواب مكارمها المستمطرين سحائب صدقاتها ودعها بحيث تسنى مطالبهم وتهنى مآربهم أو كما قال وصدر منه السؤال هذا واما اخبار السلطان قطب الدين فانه كان من أكبر الملوك والسلاطين تملك عراقي العرب والعجم وما في ممالك خراسان من أمم واستولى على غالب الممالك بالقهر والى أقصى ولايات ماوراء النهر وجعل جانبه خوارزم مأواه وتلقب لذلك خوارزمشاه ورفع ما بين ممالكه وبين ممالك جنكزخان من التتار المسمين بقراخطاي وعباد الاوثان واسترقهم قهرا وقسرا واستصحبهم جبرا وكسرا واستولد من تلك الطائفة المعتدين ولده السلطان جلال الدين فبواسطة انه صار له منهم ولد صار وأقرب عساكره اليه وعليهم المعتمد فكانوا شعوبا وقبائل

يدع صنعه الذي يليق به ويشاكله ويطلب غيره فلا يدركه فيبقى حيران مترددا قال الفيلسوف زعموا انه كان بارض الكرج ناسك عابد مجتهد فنزل به ضيف ذات يوم فدعا الناسك لضيفه بتمر ليطرفه به فأكلا منه جميعا ثم قال الضيف ما احلى هذا التمر واطيبه فليس هو في بلادي التي أسكنها وليته كان فيها ثم قال أرى ان تساعدني على ان آخذ منه ما اغرسه في أرضنا فاني لست عارفا بثمار ارضكم هذه ولا بمواضعها فقال له الناسك ليس لك في ذلك راحة فان ذلك يثقل عليك ولعل ذلك لا يوافق أرضكم مع ان بلادكم كثيرة الاثمار فما حاجتك مع كثرة ثمارها الى التمر مع وخامته وقلة موافقته للجسد ثم قال له الناسك انه لا يعد حليما من طلب مالا يجد وانك سعيد الجد اذا قنعت بالذي تجد وتزهد فيما لا تجد وكان هذا الناسك يتكلم بالعبرانية فاستحسن الضيف كلامه وأعجبه فتكلف ان يتعلمه وعالج في ذلك نفسه أياما فقال الناسك لضيفه ما اخلقك ان تقع مما تركت من كلامك وتكلفت من كلام العبرانية في مثل ماوقع فيه الغراب قال الضيف وكيف كان ذلك قال الناسك زعموا ان غرابا رأى حجلة تدرج وتمشي فأعجبته مشيتها وطمع ان يتعلمها فراض على ذلك نفسه فلم يقدر على احكامها وأيس منها وأراد أن يعود الى

وقبائل يخرج منهم سبعون ألف مقاتل ومنهم أيضا كانت امه واخواله وخيله ورجاله الى أن خانوه وبذلوه وماصانوه واستدفع بهم طارق البلاء فكانوه *(غريبة نادرة عجيبة)* كان هؤلاء التتار مناخين بلاد أترار وهي حد ممالك السلطان وهي سد عظيم بين المسلمين وبين جنكزخان فغزاهم السلطان وأبادهم واستعبد كما ذكر اجنادهم فارتفع السد من البين وانهدم الفاصل بين الجانبين واتصلت المملكتان كالحبين أعني مملكة السلطان ومملكة جنكزخان فسرت السرائر وابتهجت الضمائر ودقت في ممالك السلطان قطب الدين البشائر وزينت الولايات بانواع الذخائر وكان في نيسابور من أكابر الصدور شخصان من العلماء فاجتمعوا وأقاما العزاء فسئلا عن موجب هذا البكاء وانما الناس في فتوح وهناء فقالا أنتم تعدون هذا الثلم فتحا وتتصورون هذا الفساد صلحا وانما هو مبدأ الخروج وتسليط العلوج وفتح سد ياجوج وماجوج ونحن نقيم العزاء على الاسلام والمسلمين وما يحدث من هذا الفتح من الحيف على قواعد الدين وستعلمن نبأه بعد حين وأنشدا فارشدا

وعلمت أن فراقكم لابد أن * يجري له دمعي دما وكذا جرى

وكان السلطان قد دانت له البلاد واستولى على أهل البقاع والوهاد وأباد ملوك العجم وتفرد بسياسة تلك الامم وتخت ملكه مملكة خوارزم وقد صمم العزم بجزم وحمل الناس على نزع الخلافة من آل عباس ووضعها في آل علي وقد توجه الى العراق بهذا القصد الجلي فوصل الى حدود العراق وهو مجد على هذا الاتفاق فوصل أولئك التجار الى اترار من صوب جنكزخان وبها من جهة السلطان نائب يدعى قايرخان فلما وصلوا الى البلد أخبر بهم النائب الرصد فحبسهم عنده في مكان وأرسل يستامر فيهم السلطان وبشع العباره وشنع السفاره وذكر انهم جواسيس تستروا بالتجاره وان معهم من الاموال ما يوازي الرمال ويوازن الجبال مصراع * وما آفة الاخبار الا رواتها * فامره بقتلهم وأخذ ما معهم وسلبهم ففي الحال أبادهم وسلبهم طارفهم وتلادهم وأرسل المال الى السلطان وأوصله حسبما رسم به الى الديوان فطرحوه على تجار بخارى وسمرقند كما يطرح على مساكين دمشق القند واستخلصوا ثمنه بالظلم وزادوا عليهم فيه الغرم وكان سبب ذلك أن تاجرا عند قايرخان أراد أن لا يكون عند السلطان تاجر سواه فتبعه قايرخان لما أغواه فتعددت الاسباب وانفتح للشر أبواب وقالوا شر أهر ذا ناب فلم يفلت منهم سوى رجل واحد أنجاه الله من العدو والحاسد فاختفى واتصل الى بلاده وأخبرهم بوقوع الامر وفساده فغضب جنكزخان وتحرك منه باعث العدوان ثم تثبت في أمره وتلبث في فكره وأرسل الى السلطان رساله فيها تهديد وبساله وكان السلطان خوارزمشاه لما أبدى هذا الخطأ وانهاه طير مراسيمه الى أطراف الممالك يأمرهم بالمحافظة على دربندات المسالك ويحرض ولاة الامور وأصحاب الادراك في المضايق والثغور والطلائع والارصاد على منع القصاد وكف من يخرج من تركستان الى صوب ممالك جنكزخان ثم أرسل من جهته جواسيس يختبر أحوال ذلك الابالس وينظر أموره وأوضاعه ومقدار عسكره وأمرهم في الطاعة وما قصده أن يفعل ليستعد له بحسب ما يعلم منه ويعمل فتوجهت جواسيس السلطان وطال في غيبتهم الزمان وقطعوا الجبال والقفار وسلكوا المفاوز والاوعار حتى وصلوا الى بلاده وفحصوا عن أمره واستعداده وخبروا أمر جنده وعتاده وأوضاع عسكره وتعداده فرجعوا بعد مدة مديدة وزمان وأخبروا بما حققوه السلطان وان عدد عساكره يفوت الاحصاء ويخرج عن دائرة الاستقصاء وأنهم أطوع البرية للملك وأثبت جنانا من الاسد المنهمك وأصبر جندا على القتال كان أمر الهزيمة عندهم محال وانهم اذا وثبوا أو حاربوا أو سالبوا أو لاسبوا أو رابضوا أو ضاربوا خابطوا ثم خاطبوا بقوله

ونحن أناس لا توسط بيننا * لنا الصدر دون العالمين أو القبر

وانهم لا يحتاجون في الاسفار ولا عند مفاجأة الاخطار الى كثير مؤنه ولا كبير معونه بل كل منهم ينهض

مشيته التي كان عليها فاذا هو قد اختلط وتخلع في مشيته وصار أقبح الطير مشيا * وانما ضربت لك هذا المثل لما رأيت من انك تركت لسانك الذي طبعت عليه وأقبلت على لسان العبرانية وهو لا يشاكلك وأخاف ان لا تدركه وتنسى لسانك وترجع الى أهلك وأنت اشرهم لسانا فانه قد قيل انه يعد جاهلا من تكلف من الامور ما لا يشاكله وليس من عمله ولم يؤدبه عليه آباؤه واجداده من قبل * انقضى باب الناسك والضيف

(باب السائح والصائغ)

(قال) دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثلا في شان الذي يضع المعروف في غير موضعه ويرجو الشكر عليه (قال) الفيلسوف أيها الملك ان طبائع الخلق مختلفة وليس مما خلقه الله في الدنيا مما يمشي على أربع أو على رجلين أو يطير بجناحين شئ هو أفضل من الانسان ولكن من الناس البر والفاجر وقد يكون في بعض البهائم والسباع والطير ما هو أوفى منه ذمة وأشد محاماة على حرمه وأشكر للمعروف وأقوم به وحينئذ يجب على ذوي العقل من الملوك وغيرهم ان يضعوا معروفهم مواضعه ولا يضعوه عند من لا يحتمله ولا يقوم بشكره ولا يصطنعون أحدا الا بعد الخبرة بطرائقه والمعرفة بوفائه ومودته وشكره ولا ينبغي ان يختصوا بذلك قريبا لقرابته اذا كان غير محتمل للصنيعة ولا أن يمنعوا معروفهم ورفدهم للبعيد اذا كان يقيهم بنفسه وما يقدر عليه لانه يكون حينئذ عارفا بحق ما

باحتياجه واحتياج مركوبه الى الجامة وامراجه و يستبد بعمل سلاحه و جميع مايستغنى به سفرا وحضرا فى صلحه وصلاحه ونطاحه وكفاحه وكذلك ملبوسه وزاده وسائر أهبته وعتاده فندم خوارزمشاه على ماقدمت يداه من قتل أصحابه وفتح سد الثغر وبابه وأنى يجدى الندم وقدزلت القدم وتبدل الوجود بالعدم وغرق فى بحر الهموم وهمى عليه غمام الغموم فشاور لما القى الشهاب الخيوقى وهو فقيه فاضل ونبيه كامل عالم أجل كبير المحل له عنده محل خطير لايخالفه فيما يشير فان رأيه سديد وقوله وفعله رشيد فقال له ياامام قدتحرك على الاسلام عدو ألدالخصام بعساكر كالرمال ذوى صدمات كالجبال فما ترى فيما طرا فقال فى عساكرك كثره وأنت ذو قوة و وفره و زفراقدامك له زفره فكاتب الاطراف واجمع عساكر الاكتاف وادع أهل بيضة الاسلام الى هذا النفير فانه عام فاذاوفدوا عليك وتمثلوا بين يديك توجه بهم الى نهر سيحون واجعل ساحله من تلك الجنود مشحون واملأ بهم تلك المهامه والقفار وحصن ممالكك الى حدود انزار فان أقبل العدو المخذول لم يصل الا وهو من الكلال محلول فانه يأتى من بلاد بعيده بجنود عديده وقد أثر فيه النصب وأخذ منها التعب والوصب فنلاقيه على سيحون وهم كالون ونحن مستريحون فجمع بعد ذلك أمراءه ووزراءه و زعماءه وعرض عليهم ماجاءهم وطلب منهم آراءهم فلم يرتضوا رأى الشهاب لامرير يده مسبب الاسباب وقالوا بل نتركهم حتى يقطعوا الاوعار والمضايق و يتورطوا فى بلادنا بالعوابق فتزداد مشقتهم وتطول فى المسير شقتهم لاسيما وهم بارضنا جاهلون وعن مداخلها ومخارجها ذاهلون فاذا حصلوا فى قبضتنا كان أمكن انهضتنا فنضيق عليهم واسع رحابها وأهل مكة أخبر بشعابها وذهل أولئك الجمع عما رآه الفقهاء وهو ان الدفع أولى من الرفع وبينماهم فى المشاورة والمراودة و رد قاصد جنكزخان برسالة المناكده وفيها من التشنيع والتقريع والتهديد والتبشيع العجب العجاب ومايشيب الغراب فمن جملة تشنيعاته ومضمون تهويلاته مامعناه فحواه كيف تجرأتم على أصحابى ورجالى وأخذتم تجارتى ومالى وهل ورد فى دينكم أو جاز فى اعتقادكم و يقينكم أن تريقوا دم الابرياء أو تستحلوا أموال الاتقياء أو تعادوا من لاعاداكم وتكدروا عيش من صادقكم وصافاكم أتحركوا الفتن النائمة أو تنهضوا الشرور الجاثمة أو ماجاءكم عن نبيكم شريكم وعليكم ان تمنعوا عن السفاهة غويكم وعن ظلم الضعيف قويكم أو ما أخبركم مخبروكم و بلغكم عنه مرشدوكم ونبا كم محدثوكم أتركوا الترك ماتركوكم وكيف تؤذون الجار وتسيئون الجوار ونبيكم قد أوصى به مع انكم ماذقتم طعم شهده أوصابه ولابلوتم شدائد أوصافه وأوصابه الاوان الفتنة نائمة فلاتوقظوها وهذه وصايا اليكم فعوها واحفظوها وتلافوا هذا التلف واستدركوا ماسلف قبل ان ينهض داعى الانتقام ويتحرك من الفتن حامى الاضطرام ويقوم سوق الفتن ويظهر من الشر مابطن ويموج بحر البلاء ويروج وينفتح عليكم سد يأجوج ومأجوج وسينصر الله المظلوم والانتقام من الظالم أمر معلوم ولابد ان الخالق القديم والحاكم الحكيم يظهر أسرار ربوبيته وآثار عدله فى بريته فان به الحول والقوه ومنه النصرة مرجوه فانتظرون من جزاء أفعالكم العجب ولينسلن عليكم يأجوج ومأجوج من كل حدب وكان اللعين جنكزخان قد مشى على تركستان وأخذ منها عنوة كاشغر و بلاساغون وصار ناحى حوز ذلك الملعون وكانتا فى يد كوجلك خان بن اونك خان المار ذكره فى أول القصه لما قاتله جنكزخان وقصمه هرب ولده كوجلك خان المغبون واستقر فى شاغر و بلاساغون الى ان مشت العساكر عليه وأخذت تلك الاماكن من يديه فلما وصل هذا الخطاب الى ذلك الاسد الوثاب أمر بمقدم القصاد و رئيس أولئك الوراد فضربت رقبته و بمن بقى حلقت لحيته وسخمت بالسواد حليته ثم رد الجواب بأبشع خطاب ومن فحواه و بارد ماحواه انى سائر اليك وهاجم عليك بجنود الاسلام واسود الآكام وكل بطل ضرغام ولو بلغت مطلع الشمس فحلك فى قعر الرمس وجاءلك كذاهب أمس فتيقن ذلك

اصطنع اليه مؤديا بالشكر ما أنعم عليه محمودا بالنصح معروفا بالخير صدوقا عارفا مؤثرا الجميل الفعال والقول وكذلك كل من عرف بالخصال المحمودة و وثق منه بها كان للمعروف موضعا ولتقريبه واصطناعه أهلا فان الطبيب الرفيق العاقل لايقدر على مداواة المريض الا بعد النظر اليه والجس لعروقه ومعرفة طبيعته وسبب علته فاذا عرف ذلك كله حق معرفته اقدم على مداواته فكذلك العاقل لاينبغى له أن يصطفى أحدا ولا يستخلصه الا بعد الخبرة فان من أقدم على مشهور العدالة من غير اختبار كان مخاطرا فى ذلك ومشرفا منه على هلاك وفساد ومع ذلك ربما صنع الانسان المعروف مع الضعيف الذى لم يجرب بشكره ولم يعرف حاله فى طبائعه فيقوم بشكر ذلك و يكافئ عليه أحسن المكافأة وربما تحذر العاقل من الناس ولم يأمن على نفسه أحدا منهم وقد يأخذ ابن عرس فيدخله فى كمه و يخرجه من الآخر كالذى يحمل الطائر على يده فاذا صاد شيأ انتفع به وأطعمه منه وقد قيل لاينبغى لذى العقل أن يحتقر صغيرا ولا كبيرا من الناس ولامن البهائم ولكنه جدير بان يبلوهم و يكون مايصنع اليهم على قدر مايرى منهم وقد مضى فى ذلك مثل ضربه بعض الحكماء قال الملك وكيف كان ذلك (قال) الفيلسوف زعموا ان جماعة احتفروا ركية فوقع فيها رجل صائغ وحية وقرد ونمر ومر بهم رجل سائح فأشرف على الركية فبصر بالرجل والحية والنمر والقرد

واعلم

واعلم انك لامحالة هالك و ردقصاده على عقبهم وقصد التوجه فى ذنبهم فتجهز وصار بعسكر جرار الى صوب التتار وأوصل السير وسابق الطير وأراد أن يسبق الخبر ويكبس التتر ويريهم عين العلة قبل الاثر فألوى من العراق وسار وساق فقطع ممالك خراسان وولايات ماوراء النهر وتركستان وهجم بذلك البحر الزخار فى تلك المهامه والقفار فوصل الى حشم فى بيوت وهم آمنون فى سكون وسكوت ليس فيهم غير نساء وصبيان ومواش وبعران ورجالهم غائبة وأمورهم بواسطة الامن سائبه وكانت رجالهم توجهت لاخذ الثار من بعض التتار بواسطة عدوان وقع بينهم وبين كوجلك خان فقاتلوهم وكسروهم ونهبوا أموالهم وحصروهم ففى غيبتهم وصل السلطان الى بيوتهم وفى أمنهم وسكوتهم وليس فيهم الا الحريم والاطفال والمواشى والاثقال لايؤبه اليهم ولايعول عليهم فاستولى عليهم ونهبهم وسلبهم عيشهم وسلبهم وأمر العساكر فنهبوهم وأسروهم وفرقوهم وكسروهم وهم الجم الغفير والعدد الكثير والمال الغزير ورجع السلطان من فوره وابتدأ فى حوره بعد كوره وتصور انه أغنى وانكى وانه أضحك ولياوعدوا أبكى فساه والاوضع على القرح كيه وداس ذنب الحيه ثم رجع التتار ورأوا ماحل بأهلهم من بوار وانهم أخرجوا من ديارهم وأولادهم ونكبوا فى طريفهم وبلادهم وان نساءهم أسرت وصفقتهم خسرت فما وفت نصرتهم بكسرتهم ولا قامت فرحتهم بحسرتهم التهبوا واضطربوا واصطلموا واصطدموا وأخذتهم الحميه وعصبتهم العصبيه وتنادوا بالغارات وطلب الثارات وتنادى منهم حماة الحقايق وكماة المضايق وتتبعوا فى الحال آثار الرجال من غير اهمال ولا امهال وسلكوا الآثار لاخذ الثار وأكبوا كالبرق الخاطف وزعقوا كالرعد القاصف واندفعوا كالريح العاصف واندفقوا كالسهم الناقف ودهموا كالليل المدرك وهجموا كالسيل المهلك فادركوا عساكره بشرورثاره ومراجل صدور بالضغائن فائرة فلم يشعر والاوالعدو المضرم غشيهم كالقضاء المبرم فالوت عساكره وقابلت واستعدت وقاتلت والتفت الرجال بالرجال وضاقت ميادين المجال واستمرت ضروب الحرب بينهم سجال وتطاولت سهام الموت لقصر الآجال وتهللت ثنايا المنايا لبكاء السيوف وتبسمت ثغور الرزايا بالفتوح الحتوف واستمرت ديم السهام من غمام القتام على رياض الصدور تهمى ولوامع بروق السيوف على قمم تلك الصفوف بعد الوابل الوسمى بالصواعق ترمى ثم انتقلوا من معاشقة المراشقه الى مراشفة المعانقه ومن مكالمة المضاربه الى ملاكمة الملاعبه ومن مخادعة المقارعه الى مسارعة المصارعه وامتدت بهم الحال فى هذا القتال والجدال ثلاثة أيام مع الليال لايسأمون الطعن والضرب ولايملون مباشرة الحراب والحرب الى ان جرى من الدماء طوفان وكاد يظهر سر كل من عليها فان كل ذلك وكاتب البيض والسمر يستوفى من أقلام الخط فى صحائف الصفائح مستوردات العمر ولم يسمع بمثل هذا القتال ولا بنظير هذا الضراب والنضال فى سالف الازمنة والاعصر الخوال وما أمكن تولى احدى الطائفتين ولا نكوص جهة من الجهتين أما طائفة المسلمين فلحمية الدين ولو ولوا الادبار لما أبقت التتار لبعد الديار وصعوبة القفار منهم نافخ نار وأما الكفار فللغيرة على ذوات الاستار واستخلاص الاطفال والصغار من قيد الذل والصغار ورق الاسار فصارت الخضراء غبراء والغبراء حمراء والصحرا بحرا والقتلى تلا والجرحى ترحى ولم يثبطهم عن استيفاء القتال غير انحلال الاعضاء والكلال فانفصلوا وما انفصلوا وانقطعوا بعد ما اتصلوا وحلوا بعد ما كلوا وتراجع كل عن صاحبه بعد ذوبان قلبه وقالبه واستفراغ جهده بما وصلت اليه غاية كده ثم استوفى ناظر القضاء ما أورده عامل الفناء من سهم المنون الى ديوان برزخ الى يوم يبعثون من أرواح الشهداء الابرار وأنفس الاشقياء الكفار الوارد من تلك المعركه الساكن من حركات هاتيك التهلكه فكان من المسلمين عشرون الفا ومن الكفار كذا وكذا ضعفا غير انه لم يمكن حصرهم ولم يعرف قدرهم فلما كانت الليلة الرابعة وهى الليلة الفارقة القاطعه أوقد كل من الفريقين فى منزله النار وأكثر من القبائل

فتفكر فى نفسه وقال است أعمل لاخوتى عملا أفضل من ان أخلص هذا الرجل من بين هؤلاء الاعداء فأخذ حبلا وأدلاه الى البئر فتعلق به القرد لخفته فخرج ثم دلاه ثانية فالتفت به الحية فخرجت ثم دلاه الثالثة فتعلق به الببر فأخرجه فشكرن له صنيعه وقلن له لاتخرج هذا الرجل من الركية فانه ليس شئ أقل من شكر الانسان ثم هذا الرجل خاصة ثم قال له القرد ان منزلى فى جبل قريب من مدينة يقال لها نوادرخت فقال له الببر انا أيضا فى أجمة الى جانب تلك المدينة قالت الحية أنا أيضا فى سور تلك المدينة فان أنت مررت بنا يوما من الدهر واحتجت الينا فصوت علينا حتى نأتيك فنجزيك بما اسديت الينا من المعروف فلم يلتفت السائح الى ماذكروا له من قلة شكر الانسان وأدلى الحبل فاخرج الصائغ فسجد له وقال له لقد أوليتنى معروفا فان أتيت يوما من الدهر مدينة نوادرخت فاسال عن منزلى فانا رجل صائغ لعلى أكافئك بما صنعت الى من المعروف فانطلق الصائغ الى مدينته وانطلق السائح الى جانبه فعرض بعد ذلك أن السائح اتفقت له حاجة الى تلك المدينة فانطلق فاستقبله القرد فسجد له وقبل رجليه واعتذر اليه وقال ان القرود لايملكون شيأ ولكن اقعد حتى آتيك وانطلق القرد وأتاه بفاكهة طيبة فوضعها بين يديه

فأكل منها حاجته ثم ان السائح انطلق حتى دنا من باب المدينة فاستقبله الببر فخر له ساجدا وقال له انك قد

في المنازل والآثار وتركها وسار فوصل السلطان من بلاد تركستان وقطع سيحون نهر خجند ووصل الى بخارى وسمرقند وشرع في تحصين البلاد والقلاع والاحتفاظ بمدن الممالك عن الضياع وقد سكن الهم فؤاده ونهب القلق والارق رقاده وعلم المسلمون انه خار وانه لاطاقة لهم بالتتار فخادوا حلول البوار ونزول الدمار وتيقنوا خراب الديار لان السلطان عاجز ولابد من قدوم بلاء ناجز وقالوا اذا كان هذا الخور من شرذمة قليلة من التتر في طرف من أطراف بلاده لايهم أحد معتبر من أجناده ولا رئيس يشار اليه من أولاده ولا درى ولا علم بما جرى فكيف اذا دهم بطامته الكبرى واحتشاد جيوشه العظمى فترك خوارزمشاه ببخارى عشرين ألف مقاتل وفي سمرقند خمسين ألف مناضل وقرر معهم أنه سيجمع الجنود ويستجيش أبطال المسلمين ويعود وتوجه بثبات عزم وضاعة حزم الى سرير ملكه خوارزم ثم انتقل الى خراسان وخيم بضواحي بلخ في مكان وأقام رخي البال كان الشئ ما كان ثم لازال يضمحل ويذوب ويحل به ما يحل له من نوائب الخطوب حتى انتقل الى جوار الرحمن في اطراف طبرستان في سنة سبع عشرة وستمائة وكانت ولايته في العشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة وكان ملكا عظيما وسلطانا جسيما ذا صولة قاهرة ودولة باهرة وجولة أرعدت الملوك بالساهرة فاضلا فقيها عالما نبيها اضمحل بادنى حركة ملكه وغرق في بحر الفناء بعد الطغيان فلكه وركن الى الخطا فوقع فيه وخانته عساكره وخالوه وودوا الحل منه وفيه وكان في خزائنه عشرة آلاف ألف دينار ومن أجناس الاقمشة والامتعة والاسلحة مالا يحصيه الا الواحد القهار وكان فيها ألف حمل من القماش الاطلس واضعاف ذلك من نفيس النفائس وانفس ومن الخيل المسومة عشرون ألف جنيب ومن المماليك الملوك عشرة آلاف كل له في دار الملك ربع خصيب وأوفر حظ ونصيب فما أفاد ذلك ذره بل نبشوا بعد موته قبره وقطعوا راسه وفجعوا به ناسه فسبحان من لا يزول سلطانه وعز وعلا من لا يذل شانه

فما كف ذو كف له راثر الردى * ولا مال بالاموال عنه حمامه

ولا مالك كلا ولا مالك حي * حمى ملكه لما عراه انهدامه

وبسط المقول فيه شرح يطول *(وأما)* أمر الطاغيه صاحب الفئة الباغيه جنكزخان لما وصل قصاده من عند السلطان بعد الفناء والشده لحاهم محلوقة ووجوههم مسوده وقد قتل رئيسهم وخلا من نقد مرادهم كيسهم ذهب حفاظه والتهب شواظه وطمت بحار كمده وتلاطمت وتزعزت اطواد شركه وتصادمت وبينا هو يرغي ويزبد ويقوم من غضبه ويقعد اذ جاءه الخبر الثالث وهو شر الحوادث اذ فيه خبر من قتل من الكفار وانتقل من دار الخسار الى دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار فاعمل في قلبه نصله وكان أولا قد زاد على قرحه قرح مثله ثم كان خبر هذا القرح ملحا مذرورا على جرح فقامت قيامته وتعوجت بالحزن قامته وود لو أحرق الكون بانفاسه وهدم أساس المكان بالماس باسه ثم تروى وافتكر وتروى من حر هذا الشرر ثم قصد مذهب الاعتزال وانزوى عن جماعته في مكان خال ودخل الى مكان خراب وعفر وجهه في التراب وتضرع الى الله الحليم وقال يا خالق يا قديم أنا أردت أن أعمر بلادك وانعش عبادك فظالمهم يا اله عبدك خوارزمشاه وتعدى على وكرر الاساءة الي فانتصر لي منه وانتقم كمالك جبر من كسر وعون من ظلم واستمر على هذه الحال ثلاثة أيام وليال لا ياكل ولا يشرب ولا يفتر عن التضرع والطلب يمرغ رأسه ووجهه في الثرى ويقصد قيار ومهرب الورى وقد قيل

تضرع جنكزخان لله ساعة * وأخلص فيما رامه وهو مشرك

فما خاب فيما رامه من فساده * ومازال يعثو في الانام ويسفك

فما بال من لله طول حياته * يوحد بالاخلاص هل هو يهلك

ثم نهض نهضة أنام فيها الانام وقام قومة أقام بها ساعات القيام فتوجه من مشركي التتار وعساكر الكفار

أولبتني معرّة فاطمئن ساعة حتى آتيك فانطلق البير فدخل في بعض الحيطان الى بنت الملك فقتلها وأخذ حليها فأتاه به من غير ان يعلم السائح من أين هو فقال في نفسه هذه البهائم قد أولتني هذا الجزاء فكيف لو قد أتيت الى الصائغ فانه ان كان معسرا لا يملك شيئا فسيبيع هذا الحلي فيستوفي ثمنه فيعطيني بعضه ويأخذ بعضه وهو أعرف بثمنه فانطلق السائح فأتى الى الصائغ فلما رآه رحب به وأدخله الى بيته فلما ابصر بالحلي معه عرفه وكان هو الذي صاغه لابنة الملك فقال للسائح اطمئن حتى آتيك بطعام فاستارضى لك ما في البيت ثم خرج وهو يقول قد اصبت فرصتي أريد ان انطلق الى الملك وأدله على ذلك فتحسن منزلتي عنده فانطلق الى باب الملك فارسل اليه ان الذي قتل ابنتك وأخذ حليها عندي فارسل الملك وأتي بالسائح فلما نظر الحلي معه لم يمهله وأمر به ان يعذب ويطاف به في المدينة ويصلب فلما فعلوا به ذلك جعل السائح يبكي ويقول باعلى صوته لو أني أطعت القرد والحية والببر فيما أمرتني به وأخبرتني من قلة شكر الانسان لم يصر أمري الى هذا البلاء وجعل يكرر هذا القول فسمعت مقالته تلك الحية فخرجت من جحرها فعرفته فاشتد عليها أمره فجعلت تحتال في خلاصه فانطلقت حتى لدغت ابن الملك فدعا الملك أهل العلم فرقوه ليشفوه فلم يغنوا عنه شيئا ثم مضت الحية الى أخت لها من الجن فاخبرتها بما صنع السائح اليهامن ... بالجمار

المعروف وماوقع فيه فرقت له وانطلقت الى ابن الملك وخاطبته وقالت له انك لا تبرأ حتى يرقيك هذا الرجل الذي قد عاقبتموه ظلما

وانطلقت الحية الى السائح
فدخلت اليه السجن وقالت
له هذا الذي كنت نهيتك
عنه من اصطناع المعروف
الى هذا الانسان ولم تطعني
واتته بورق ينفع من سمها
وقالت له اذا جاؤا بك لترقي
ابن الملك فاسقه من ماء هذا
الورق فانه يبرأ واذا سألك
الملك عن حالك فاصدقه فانك
تنجو ان شاء الله تعالى وان
ابن الملك أخبر الملك انه سمع
قائلا يقول انك لن تبرأ
حتى يرقيك هذا السائح
الذي حبس ظلما فدعا الملك
بالسائح وأمره ان يرقي
ولده فقال لا أحسن الرقى
ولكن أسقيه من ماء هذه
الشجرة فيبرأ باذن الله تعالى
فسقاه فبرئ الغلام ففرح
الملك بذلك وسأله عن قصته
فاخبره فشكره الملك واعطاه
عطية حسنة وامر بالصائغ
ان يصلب فصلبوه لكذبه
وانحرافه عن الشكر
ومجازاته الفعل الجميل بالقبيح
* ثم قال الفيلسوف للملك
ففي صنيع الصائغ بالسائح
وكفره له بعد استنقاذه اياه
وشكر البهائم له وتخليص
بعضها اياه عبرة لمن اعتبر
وفكرة لمن افتكر
وادب في وضع المعروف
والاحسان عند أهل الوفاء
والكرم قربوا أو بعدوا لما
في ذلك من صواب الرأي
وجلب الخير وصرف المكروه
* انقضى باب السائح
والصائغ * (باب ابن الملك وأصحابه) * قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فان كان الرجل لا يصيب الخير الا بعقله ورأيه

بالبحار الطاميه والامطار الهاميه وجبال النيران الحاميه في شهور سنة خمس عشرة وستمايه ومشوا على
ممالك الاسلام وساروا على بسيط العالم سير الغمام وأرادوا اطفاء نور الايمان من اشراكهم بظلام فوصلوا
الى البلاد وهي جنة المرتاد آمنة مطمئنة ساكنة مستكنه وليس لها مانع ولا ممانع ولا لهم عنها دافع
ولا مدافع ولا بها احام ولا احجام ولا سام ولا مسام فاخذوا على جند وقراها و ولايتها وماوالاها في ربيع صفر
عام ستة عشر وأظهروا فيها علامات الحشر فادهشوا ولهها وسبكوا أهلها ودكوا جبالها وملؤا بجبال
القتلى سهلها فقتلوا الخاص والعام ومدوا الى ذخائرها النهب العام فاراح بهم ارجله وخيله وأحاط بها
ثبور وويله واستمروا فيهم ست عشرة ليله ثم تنقلوا عن جند الى الولايات اذ كان وفنا كشوخجند
فاخذوها وقتلوا وفعلوا كما كانوا فعلوا ثم الى بلاد مرغينان وكانت دار ملك ايلك خان ثم الى أطراف
تركستان ومنها اسبيرام وتاشكند وباقي البلدان ثم الى نسف وأترار وسغناق وما من أمهات البلاد في
تلك الآفاق فشوا على سهل البلاد وعرها * مشي الجراد على القصير الاخضر

فكانهم موسى على شهر مشت * أو نحل فوق الحصيد الاصفر
أو شعلة نار الهوا فتعلقت * فوق الصعيد على الهشيم الاغبر

فكل من أطاعهم وقصد اتباعهم صار من جلدتهم ودخل في عدتهم ومن عصى أو توقف أو خالف أو
تخلف سقوه كأس الدمار وأحلوه وقومه دار البوار واسروا حريمه وأولاده ونهبوا طارفه وتلاده ثم
انتابت الدواهي المصيبة في يوم الثلاثاء رابع المحرم سنة سبع عشرة وستمائة وصلوا الى بخارى بلدة
فضلها الاعتبارى قبة الايمان وكرسي ملوك بني سامان مجمع العلماء والعباد والصلحاء والزهاد ومنبع
المحققين من الفقهاء الامجاد والمدققين من النبهاء والانجاد وفيها من الاكابر والاشراف واوساط الاماثل
والاطراف الجم الغفير والطم الكثير فلما رأى العساكر السلطانيه والجيوش الخوارزمشاهيه الذين
كان أرصدهم السلطان لحفظ البلدة من طوارق الحدثان وهم عشرون ألفا أن البلاء زحف اليهم
زحفا وان كسرتهم منهم لا تخفى وان سيل الويل طام وموج بحر الدواهي ملتطم ومن لم يدرك من الغرق
نفسه ارتطم شمروا الذيل وخرجوا تحت الليل وقصدوا جيحان والعبور الى خراسان ومقدمهم من
أمراء السلطان كورخان وسونج خان وحميد النوري وكوجلي خان فبينما هم على نهر جيحون
قاصدين العبور صادفتهم طلائع جنكزخان الكفور فوضعوا السلاح فيهم ومحوهم عن بكرة أبيهم
فما أبقوا منهم عينا ولا أثرا ولا سمع لهم أحد خبرا فوهى امر البلد اذ لم يبق لهم مدد فطلبوا الامان
وارسلوا الملك القاضي بدر الدين بن قاضيخان فأجابهم الى ذلك واناب فاطمأنوا وفتحوا الابواب فدخلوا
المدينة يرفلون وهم من كل حدب ينسلون فعصى بقية العسكر في القلعه وتصوروا ان يكون لهم منه منعه
ففي الحال أمر الرجال بطم الخندق بكل ماوجدوا جل أودق فأتوا بنفائس الاقمشه والذخائر المدهشه
والكتب والربعات والمصاحف الشريفة والختمات وطرحوها في الخندق ومشى العسكر عليها وتساق
ونقبوا النقوب وانفذوا الثقوب وكان قد نادى بالامان للقاضي والدان فعجزت القلعه وذهب ما بها
من منعه وكان فيها قبيه نحو من أربعمائه فباشروا الحرب دوما نحو اثني عشر يوما فأخذوا عنوة
بالانقاب وفتح لهم من كل جهة باب فقتلوا من بها عن آخرهم واستولوا على باطنهم وظاهرهم ثم مدوا
أيديهم الى المخدرات وفجروا ظاهرا بالمستترات وجعل الناس ينظرون ويبكون وهم يهتكون
وينكون لا يستطيعون دفعا ولا يملكون ضرا ولا نفعا فاجتمع من ائمة الدين ومن اعلام العلماء المهتدين
ومن لم يرض بعمل المفسدين جماعة غاروا وثاروا وفاروا وانضموا الى العلامة القاضي صدر الدين
قاضيخان وأولاده السادة القادة الاعيان والحاكم الشهيد الامام العالم السعيد والامام ركن الدين
امام زاده واختاروا الموت على الشهاده فحملوا على الفئة الطاغيه والطائفة الكافرة الباغيه وقاتلوا حتى

قتلوا والى جوار الله مقبلين انتقلوا فاستشهدوا عن آخرهم ولحق اصاغرهم باكابرهم ودخل جنكزخان الى المدينه وطاف بها على هيئة وسكينه حتى انتهى الى باب الجامع مكان نزه وموضع رائع ومحل شريف ومعبد واسع ولم يكن لذلك البلد الكبير والجم الغفير والجمع الكثير والمصر الواسع من الجوامع سوى جامع واحد يجمع الصادر والوارد ويسع ماشاء الله من الامم وهذا على مذهب الامام الاعظم وهكذا كل امصار الحنفيه فى الممالك الشرقيه والممالك الهنديه وغالب البلاد التركيه فقال جنكزخان هذا بيت السلطان فقالوا بل بيت الرحمن ومأوى عبادة العباد والعلماء والزهاد وذوى الطاعة والاجتهاد فقال ان أولى ما أقمنا أفراحنا فى بيت من خلق أرواحنا ورزق اشباحنا ثم الوى اليه واقبل عليه ونزل عن دابته ودخل الجامع مع جماعته ثم دعا بامرائه وكبراء جنده وزعمائه واستدعى الخمور والطبول والزمور وهش الى الكفار وعظمهم وبش فرحا واحترمهم فسجد له منهم الملوك وضربوا له الجنوك وعرفوا حقه ورعوا ورفعوا بالثناء صوتهم ودعوا فاذن لهم بالجلوس وان تدار عليهم الكؤس فجلس كل فى مكانه بين اضرابه واخوانه وقام بعض فى مقامه فى موقف حده واحتشامه فتصدر فى مجالس العلم والاذكار ومحاريب الصلاة الكفرة الفجار ورؤس المشركين من المغل والتتار واستبدلت محافل العلم والتدريس بجحافل الشرك والتنجيس ثم احضروا العلماء والاشراف والكبراء وسادات الانام ورؤساء الخواص والعوام وأنزلوا بهم الثبور والويل واحتفظوا بهم واستحفظوهم الخيل وصارت الناس حيارى سكارى وما هم بسكارى وأخذتهم بهته اذ أتاهم العذاب بغتة ولم يكن بين رحيل السلطان وبين هجوم هذا الطوفان غير خمسة أشهر وأيام سار وافيها سير الغمام وهجموا على العالم هجوم الظلام وكأن الناس كانوا نياما ورأوا فى منامهم أحلاما فلم يوقظهم من هذا الرقاد سوى ابراق البلايا بالارعاد فانسد عليهم طريق الخلاص وخانهم المدد فى شدة الاقتناص وتنادوا ولات حين مناص اذ فارقهم العسكر وهم فى حال المضطر وكان من جملة أولئك الاعيان شخص ولى يدعى السيد الشريف جلال الدين على بن حسن الزيدى وهو المقدم والمقتدى والمسلك الى طريق الهدى وأعلى سادات ماوراء النهر ولدوحة سادات تنزل الثمر والزهر قد قبض عليه وربطوا الى عنقه يديه ثم استنظروه مراكبهم وأنشبوا فيه مخالبهم وهو واقف بباب الجامع فى هيئة الذليل الخاضع فرأى الامام الهمام البحر الطام علم العلماء الاعلام أفضل علماء عصره وأنبل فقهاء دهره الشيخ ركن الدين ابن الامام بوأهما الله تعالى دار السلام وهو فى مثل حاله متسربل بسربال نكاله فقال أيها الامام المفضال ماهذه الاحوال ثم أنشد معنى هذا المقال

أرى حالة بذت لسانى فليس لى * طريق الى انى أفوه بلفظة

أعض لها كفى وامعك مقلتى * أفى النوم هذا أم أراه بيقظة

فأجاب الامام ماهذا محل الكلام كن عبد الاراده واتبع ما أراده واستمروا يشربون الخمور على أصوات الزمور ويضربون الطبول ويتراقصون رقص التتار والمغول ثم صعد المنبر ابن جنكزخان الاكبر واسمه توشى خان وتكلم بكفر وكفران ثم غنى ورقص ودعا لابيه ونكص ثم صعد بعده أبوه وتكلم بكلام سمعوه ودعا بالخمر وشرب ثم غنى وطرب ثم قال أيها الرجال ان خيلنا هى رأس المال وقد رعيتم الوهد والبقاع وحلفتم شعور الكلا من قم البقاع وقد شبعتم فلا تنسوا الجياع ألا فاشبعوا خيلكم ولا تحرموها نيلكم وحيث رعيتم الخضيم فابغوا لها القضيم وامتثلوا أمر سلطانكم تحفظوا منه بامانكم فنهضوا قياما وامتثلوا مرسومه مراما وتهاربوا كالحمير وابتدروا واطلبوا القمح والشعير ثم طغى وتكبر وبغى وتجبر ونزل عن المنبر فلم يكن باسرع من اتيانهم بالحبوب والقضيم المطلوب وأدخلوا الخيل الى الجامع وطلبوا لها مرابط ومواضع ثم أفرغوا خزائن المصاحف والختمات وظروف الكتب وأوعية الربعات وصبوا فيها الشعير

الانسان لا يبصر الا بعينيه ولا يسمع الا باذنيه كذلك العمل انما هو بالحلم والعقل والتثبت غير ان القضاء والقدر يغلب على ذلك ومثل ذلك مثل ابن الملك وأصحابه قال الملك وكيف كان ذلك (قال) الفيلسوف زعموا ان أربعة نفر اصطحبوا فى طريق واحدة أحدهم ابن ملك والثانى ابن تاجر والثالث ابن شريف ذو جمال والرابع ابن اكار وكانوا جميعا محتاجين وقد أصابهم ضرر وجهد شديد فى موضع غربة لا يملكون الاما عليهم من الثياب فبينما هم يمشون اذ فكروا فى أمرهم وكان كل انسان منهم راجعا الى طباعه وما كان يأتيه منه الخير قال ابن الملك ان امر الدنيا كله بالقضاء والقدر والذى قدر على الانسان يأتيه على كل حال والصبر للقضاء والقدر وانتظارهما أفضل الامور وقال ابن التاجر العقل أفضل من كل شئ وقال ابن الشريف الجمال أفضل مما ذكرتم ثم قال ابن الاكار ليس فى الدنيا افضل من الاجتهاد فى العمل فلما قربوا من مدينة يقال لها مطرون جلسوا فى ناحية منها يتشاورون فقالوا لابن الاكار انطلق فاكتسب لنا باجتهادك طعاما ليومنا هذا فانطلق ابن الاكار وسال عن عمل اذا عمله الانسان يكتسب فيه طعام أربعة نفر فعرفوه انه ليس فى تلك المدينة شئ أعز من الحطب وكان الحطب منها على

واطعموا

وأطمعوا فيها الخيل والبغال والحمير فتبددت الكتب المنيفه والمصاحف الشريفه والربعات المعظمه والختمات المكرمه تحت السنابك والحوافر ومواطئ أقدام كل كافر وصارت أبحر القاذورات والخمور على تلك النفائس والذخائر تمور ثم انه خرج من البلد وأمر ان لا يترك في البلد أحد بل يخرجون الى المصلى وولى حفظهم من كفر وتولى ومن تأخر قتلوه وبتكوه وبتلوه فخرجوا كالجراد وانتشروا على الوهاد واجتمعوا في المصلى ثم على المنبر تعلى وخطب خطبة تركيه كافريه مشركيه منها أنكم ركبتم عظائم وأتيتم مآثم وجرائم فتقدم ربكم اليكم أن سلطني عليكم وهذه الاوزار انما جناها منكم الكبار فلاجل هذا عم البلاء وذهب بجريمة الكبراء الاصاغر والضعفاء ثم ضبط أسماء التجار واستخلص ما عندهم من درهم ودينار وقال هذا ثمن مالي من نقد واعيان الذي كان منحه كموه السلطان فلما استخلص الاموال أمر بقتل الرجال وأسر النساء والاطفال والنهب العام لسائر الاغنام ومن أخذ شيأ فهوله لا يقطع أحد سبله ثم أمر بهدم البلد والاحراق واعدام عينها على الاطلاق فمهما قال فعلوه وكل مارسم به امتثلوه فساووا بالبلد الارض واستوفوا أعمار أهلها بالفرض والقرض فلم يبق منهم ديار ولم ينج من تلك النار العظيمة نافخ نار وقيل انه نجا من هذه الواقعه رجل باقعه فوصل الى خراسان فسألوه عن هذا الشان كيف كان فقال لهم بذلك اللسان ماصورته

آمدند وكندند وسوختند * وكشتند وبردند ورفتند

يعني هجموا وهدموا وأحرقوا وأرهقوا ونهبوا وذهبوا فقيل لم يوجد في الفارسي في هذا المعنى أحسن من هذه الالفاظ ولا أرصن ولا أوجز ولا أمتن ثم أمر الجند بالتوجه الى سمرقند فتوجهوا بالاثقال من الاموال والاسرى من النساء والاطفال مشاة حفاة اذلاء عراة فلم يتوقف كل أعتى أعقف وكافر أغلف في ضرب رقبة من أعيا أو توقف فوصلوا اليها واحتووا عليها وفيها من العساكر الالكفا مائة ألف وعشرون ألفا سبعون من أهل البلد وخمسون من المرصدين للمدد فتجهز عسكر البلد للقا وخرجوا من البلد للملتقى فكمن لهم التتار من اليمين واليسار في روابي وتلال تسمى بالاحصار فناوشهم من عساكر الكفار شرذمه ثم ولت امامهم منهزمه فركب البلديون أعقابهم وداسوا أذنابهم الى ان ابعدوا عن البلد وانقطع عن البلديين المدد خرج الكمين من خلفهم لقطع رجل مددهم وكفهم ورجع عليهم الفارون وأحاط بهم الغاورون وتلاحق بهم عساكر لا أول لهم ولا آخر فلم يفلت منهم واحد ولا صدر عن حياض تلك الملحمة وارد فلما شاهد العساكر الخوارزمشاهيه ما نزل بالجنود البلديه من داهيه ورزيه لم يسعهم الا الترامي عليهم والانحياز اليهم فداروا وداروا واللبيب من داري فوقوا بذلك أنفسهم وأهليهم نارا فلم يركنوا اليهم ولا اعتمدوا عليهم فرأوا مصلحتهم في سلبهم أسلحتهم فطلبوا منهم عدتهم ثم فرقوا عدتهم كما فعل تيمور الغدار في بلاد الروم بالتتار عند كسر ذلك الخوان في سنة خمس وثمانمائة بايزيد بن عثمان فلم يبق لاهل البلد معين ولا مدد فاستسلموا القضا وجروا طوعا وكرها في ميادين الرضا فاحل بهم بوارا وأنزل دمارا ففعل بسمرقند وأهلها ما فعل ببخارى ودور أسوارها بدلالة آثارها من الفراسخ اثنا عشر لا يمتري في ذلك اثنان من البشر فقس ما في ذلك من الخلائق والامم فالكل براهم سيف القلم كما بري السيف القلم ثم قوي العزم وسدد الحزم وجهز طائفة من العساكر الى خوارزم مع ولديه أحدهما المدعو بجغتاي والآخر المسمى باوكتاي وهي تحت خوارزمشاه وفيها من الامم ما لا يعلمه الا الله معدن الافاضل ومقطن الاماثل محط رحال أهل التحقيق ومقصد رجال الفحول ذوي التدقيق ولوفور ما بها من الرؤس لم ينفرد برياستها رئيس ولكثرة ما بها من الناس لم يتعين لسياستهم راس فاتفق أكابرها لضبط أمور المسلمين على تقديم شخص يدعي خمارتكين فبعد حروب يطول شرحها ويهول برحها ويجب قرحها ويستصعب طرحها أخذوها

ثم خرج فانطلق ابن الاكار فاحتطب طنا من الحطب وأتى به المدينة وباعه بدرهم واشترى به طعاما وكتب على باب المدينة عمل يوم واحد اذا أجهد فيه الرجل بدنه قيمته درهم ثم انطلق الى أصحابه بالطعام فأكلوا فلما كان بالغد قالوا ينبغي للذي قال انه ليس شيء أعز من الجمال أن تكون نوبته فانطلق ابن الشريف ليأتي المدينة ففكر في نفسه وقال أنا لست أحسن عملا فما يدخلني المدينة ثم استحى أن يرجع الى أصحابه بغير طعام وهم بمفارقتهم فانطلق حتى أسند ظهره الى شجرة عظيمة فحمله النوم فنام فمرت به امرأة رجل من عظماء المدينة وبصرت به فاعجبها حسنه فأرسلت خادمتها وأمرتها أن تأتيها به فانطلقت الجارية الى الغلام وأمرته أن يتبعها الى مولاتها فظل نهاره عندها في أرغد عيش فلما كان عند المساء أجازته بخمسمائة درهم فخرج وكتب على باب المدينة جمال يوم واحد يساوي خمسمائة درهم وأتى بالدراهم الى أصحابه فلما أصبحوا في اليوم الثالث قالوا لابن التاجر انطلق أنت فاطلب لنا بعقلك وتجارتك اليوم لنا هذا شيأ فانطلق ابن التاجر فلم يزل حتى بصر بسفينة من سفن البحر كثيرة المتاع قد قدمت الى الساحل فخرج اليها جماعة من التجار يريدون ان يبتاعوا مما فيها من المتاع فجلسوا يتشاورون في ناحية من المركب وقال بعضهم لبعض ارجعوا يومنا هذا لا نشتري منهم شيأ حتى يكسد المتاع عليهم فيرخصوه علينا مع انا محتاجون اليه وسيرخص فخالف الطريق وجاء الى أصحاب المركب

عنوة بعدما قاسوا جهدوه فاستصفوا أرباب الحرف ومن تعلق من صنعة بطرف فكانوا نحوا من مائة ألف نيف أو يزيدون ان عددتهم وعديت ثم ميزوا النساء والاطفال وكانوا كعدد الحصا والرمال ففرقوهم على ذلك العسكر الثقيل فكفى الحقير منهم والجليل ثم فصلوا بالحسام المفصال مدارع ذوات مابقي من الرجال ثم أرادوا حصر من قتل واقامة عدد من بتك وبتل فكان حصة كل فتاك قتال على ان عددهم أكثر من القطر والرمال أربعة وعشرين مقتولا ثم فعلوا بالبلد كعادتهم الاولى فهدموا أسوارها ومحوا آثارها وأجروا من بحار الدماء انهارها فانمحى العلم والعلماء واندحى الفضل والفضلاء واستشهد الرؤساء والكبراء وناهيك بالقطب الولي الشيخ نجم الدين الكبرى وتوجه جنكزخان من سمرقند قاصدا السلطان ومر من أطوار عسكره بكل أخشب حتى أناخ على ترمذ ونخشب فامتنعتا عليه ولمناعتهما لم تلتفتا اليه وكانتا كثيرتي العدد والعدد غزيرتي المدد من مددوهما من أمهات البلاد مملوأتان من آلات الجهاد ومقاتلة الاجناد فاهلك ناسهما وسقاهما من خمر التشريب كاسهما فلم يبق لهما فيأ ولم تغن العدد والعدد عنهما من الله شيأ *(ومن)* غريب ماوقع من البدع انه أمر باهل ترمذان يقتلوا عن آخرهم مع أهلهم وعشائرهم ولايبقى فيها على أحد وأرصد على ذلك الرصد فاتفق ان امرأة من المخدرات تخجل الشموس النيرات قبضوا عليها وتقدموا باراقة دمها اليها فتشفعت فما أفاد وتضرعت فما زاد الا العناد فلما أسلمت وتلوها للجبين وعلمت انه جاءها الحق المبين قالت لاولئك الكفار لاتقتلوني باحضار وأنا أفتدي نفسي منكم بعقود من اللؤلؤ كبار فاتم واالقضية اليه وعرضوا ماقالته عليه فقال اتركوها ثم بما قالت طالبوها لننظر أصدقت أم اختلقت فاطلقوها وبتقاضي اللؤلؤ أقلقوها فقالت لم أفه بزور ولا دليتكم بغرور وانما اللؤلؤ كان عندي وحين استخلصتم مالي كان في يدي فخفت منكم فابتلعته وتبالغ على صنعته فامهلوني حتى أتبرز ويخرج في ذلك المحرز فاتموا كلامها اليه وعرضوا أمرها عليه فقال ابقروا بطنها وانظروا واقطها فان وجدتم شيأ فهو لكم وان كانت كاذبة فقد استحقت فعلكم فشقوا بطنها البطين واستخرجوا منه الدر الثمين فلما رأوا أصدقها وحققوا انطقها أمرهم بشق بطون جميع القتلى وتفتيش ماطرحوه من جبال الاشلا فلم تنجز ؤس الرؤس من المثلة بعد القتل ولابطون الصدور من ظهور التنكيل اثر البتل ثم أمر بهدم الحصون بعد ابتذال المال والعرض المصون فعفيت الديار ولم يبق فيها ديار ثم عبر من جيحون الى خراسان وجعل نصب عينيه ممالك السلطان وتوجه الى بلخ وهي احدى معاقل الاسلام وفيها من أمم الانام مالايدرك ضبطه سابق الاقلام بل يخرج عن حصر الاوهام ولايحصيه الا الملك العلام وكان السلطان قد انشمر عنها كما ذكر الى نواحي طبرستان فوصل بتلك البحار الطامية في ثمان عشرة وستمائة فخرج اليه الاعيان وطلبوا منه الامان فاجاب سؤالهم بما يصلح حالهم ثم اختشى من السلطان جلال الدين بن المرحوم قطب الدين فلم يركن اليهم ولاعول عليهم وأمر باراقة الدماء وهدم البناء واحاطتهم بدائرة الفناء فافنوهم عن آخرهم وساووا بالحضيض بقاع عمائرهم ثم أرسل ولده تولي خان الى محاصرة طالقان فعصت عليه ولم تسلم قيادها اليه فاستمرت في الحصار مدة وأذاقها الباس البأس والشدة الى ان أخذوها وأبادوا خلقها ودكوها ثم ان جنكزخان الكافر الخوان معدن الكفر والطغيان لما استوبل هواء خراسان دالوى الى بلاده وترك تولي خان من أولاده وولاه خراسان وهو يحاصر طالقان وأقام في ممالك ايران من كفار امرائه أميران أحدهما يدعى سنتاي وهو من قبيلة الجغتاي والآخر يدعى يما وهو من الكفار اللؤما وترك معهما من الكفار الاراذل والتتار الاسافل ثلاثين ألف مقاتل فوصلا الى ري واه ووضعا السيف في لائمة الهداه وابتدآ في القتل والنهب والفتك والسلب والقهر والاسر والقسر والكسر ثم أخذ في الائتلاف طريق الائتلاف وذهب كل منهما الاختلاف في الفساد على خلاف

فابتاع منهم مافيها بمائة ألف دينار نسيئة وأظهر انه يريد ان ينقل متاعه الى مدينة أخرى فلما سمع التجار ذلك خافوا ان يذهب ذلك المتاع من أيديهم فاربحوه على ما اشتراه مائة ألف درهم واحال عليهم أصحاب المركب بالباقي وحمل ربحه الى أصحابه وكتب على باب المدينة عقل يوم واحد ثمنه مائة ألف درهم فلما كان اليوم الرابع قالوا لابن الملك انطلق أنت واكتسب لنا بعقلك وقدرك فانطلق ابن الملك حتى أتى الى باب المدينة فجلس على متكئ في باب المدينة واتفق ان ملك تلك الناحية مات ولم يخلف ولدا ولا احدا ذا قرابة فمروا عليه بجنازة الملك ولم يحزنه وكلهم يحزنون فانكر واحاله وشتمه البواب وقال له من أنت يا كلب وما يجلسك على باب المدينة ولانراك تحزن لموت الملك وطرده البواب عن الباب فلما ذهبوا اعاد الغلام فجلس مكانه فلما دفنوا الملك ورجعوا ابصره البواب فغضب وقال له ألم انهك عن الجلوس في هذا الموضع وأخذه فحبسه فلما كان الغد اجتمع أهل تلك المدينة يتشاورون فيمن يملكونه عليهم وكل منهم يتطاول ينظر صاحبه ويختلفون بينهم فقال لهم البواب اني رأيت أمس غلاما جالسا على الباب ولم أره يحزن لحزننا فكلمته فلم يجبني فطردته عن الباب فلما عدت رأيته جالسا ثم ادخلته السجن مخافة ان يكون عينا فبعثت أشراف أهل المدينة الى الغلام فحضر في ثيابه وسألوه عن حاله وما اقدمه الى مدينتهم

فصل الأ

فصالا وجالا وسعافى الدمار والبوار مجالا وخاضافى دماء المسلمين واجتهدا فى اهلاك الاسلام والدين
وخلالهما الجو فباضا وصفرا وكان السلطان قطب الدين قد أخلى الدنيا من الملوك والكبرا فلم يثبت لهما
مقابل فضلا عن مخاتل أو مقاتل فاهلكا الدين ابادا وتصرفا فى نصرة الشرك على الاسلام كيفما أرادا
فاستخلصا جوين وطوس واعدماما بهما من نفائس ونفوس وجام وخبوشان واسفراين ومازندران
وآمل وقومس وتلك البلدان فمحوا من كتب كتائبها أسطارها وأطفؤا منارها وأطهروا من صفة
الجلال والقهر آثارها وأحروا من الفتن كالدماء بحورها واضرموا من الشر ونارها كل ذلك قتلا ونهبا
وسبيا وسلبا وهدما واحراقا وصدماوازهاقا وردماواغراقا ثم بلغهم ان حريم السلطان جلال الدين
فى قلاع آمل آمنين فقصدوها وحاصروها وصدوها فقل ناصروها فاستولوا عليها ووصلوا كما أرادوا
اليها فبقروا وفتكوا وبروا وبتكوا وسبوا وسبكوا وسفوا وسفكوا وكووا وشووا وغووا
ولووا وغوروا ومارعووا ثم انهم صادفوا العكس الزمان وانقلاب الدهر على السلطان وسوء التدبير
وشؤم الحظ المبير وهم فى بعض المسير من غير مخبر ولا معلم فى سدفة ليل مظلم حريم السلطان خوارزمشاه
لامور قدرها الله مع والدته وجواريه وبناته وسراريه وكان اشدما نابهم من الزمان قد ضاق عليهم
المكان وتغير بل تنكر لهم السكون وقل عنهم النصير وقل العون وخافوا الابتذال بعد الصون فتركوا
ماهم فيه من مكان وقصدوا البعد عن خراسان فتوجهوا الى أطراف اصفهان ومعهم من نفائس الاموال
والجواهر وأنواع المفاخر والذخائر ومصونات الخزائن ومكنونات المعادن مالا يعلمه الامالكه ومن
الكنوز ماينوء بالعصبة مفاتحه ومالم يجتمع لسلطان قط ولا ضبطها قلم ديوان ولا خط فتباغتوا مواجهه
وتواجهوا مباغته وتباهتوا مشافهه وتشافهوا مباهته فوقعن فى شبكة الصيد وأحاطت بهن دائرة
الكيد وتورطن فيما فررن منه وتربطن باوهاق مانفرن منه وناداهن لسان الحظ وهاتف الطالع الفظ

واذا أراد الله انفاذ القضا * وظهور قهر للبصائر باتلا
جعل الدواء لذاك داء ممرضا * وفوائد الترياق سما قاتلا
والسكون خصما والمكان مناقضا * والعيش موتا والصديق مقاتلا

فلم يشعرن الاوقد وقعن من نيران الفتن فى تنور وتورطن من بحار المحن فى دردور وتبسمت الى بكائهن
ثنايا البلايا وتكالبت على جباه صباحهن عقود الرزايا فظفرت حامية الكفر بذلك المغنم البارد ولم يصدر
من حاقة صيده شارد ولا وارد فحازوا تلك المسترات ونزل الى حضيض قنصهم من سماء المناعسة الشموس
النيرات فهتكوا استارهن وخربوا ديارهن وضبطوا اشعارهن ودثارهن وأحرزوا مامعهن من كنوز
المعادن ونفائس المكامن وذخائر الخزائن ثم أضافوهن الى زبانية غلاظ واحتفظوا بهن أشد احتفاظ
وساقوهن الى بلاد التتار مهتكات الاستار عاريات حافيات حاسرات ماشيات وأمروهن أن يجتمعن
كل ليلة عندما ينشر الظلام ذيله فى كل منزله وصباح كل مرحله ويقمن على أنفسهن العزا وينحن
بما تقدم ويبكين بما جرى ويعددن على خوارزمشاه ويذكرن ماقدره الله عليه وقضاه ويندبن ما كن
فيه من النعم وماصرن اليه من الهوان والنقم وليدمن على هذه الطريقة حتى يقطعن من سفرهن
طريقه ويصلن بجنكزخان على ذلك الامتهان والذل والهوان فيرى فيهن رايه من نكال ونكاية
وزجة وعنايه فامتثلن ما أمروهن به فكن ينحن النيام ويبكين المتنبه واستمررن على هذه الحال فى
الخزى والاذلال والمشقة والابتذال بعد ذلك الصون والدلال يصدعن بنحيبهن الجبال ويتفطرن
بالنظر اليهن اكباد الصخور والتلال ثم ان تولى لما أخذ طاقان وأهلك أهلها بسيف الطغيان ولم يدع
فيها من يتنفس وهدم الى الارض بنيانها المؤسس توجه الى جانب من بلاد العجم وأهلك ماشاء الله تعالى
من خلائق وأمم فصار فى أحد الجوانب يعبث وكل من سنتاى الخبيث وبها الكافر العثيث فى جانب بيد

فقال انا ابن ملك فوبران وانه لما مات والدى غلبنى أخى على الملك فهربت من يده حذرا على نفسى حتى انتهيت الى هذه الغاية فلما
ذكر الغلام ماذكر من
أمره عرفه من كان يخشى
أرض أبيه منهم واثنوا على
أبيه خيرا ثم ان الاشراف
اختاروا الغلام ان يملكوه
عليهم ورضوا به وكان لاهل
المدينة سنة اذا ملكوا
عليهم ملكا جلوه على فيل
ابيض وطافوا به حول
المدينة فلما فعلوا به ذلك
مر بباب المدينة فرأى
الكتابة على الباب فامر ان
يكتب ان الاجتهاد والجمال
والعقل وما اصاب الرجل فى
الدنيا من خير وشر انما هو
بقضاء وقدر من الله عز وجل
وقد ازددت فى ذلك اعتبارا
بما ساق الله الى من الكرامة
والخير ثم انطلق الى مجلسه
فجلس على سرير ملكه
وأرسل الى أصحابه الذين
كان معهم فاحضرهم فاشرك
صاحب العقل مع الوزراء
وضم صاحب الاجتهاد الى
أصحاب الزرع وامر لصاحب
الجمال بمال كثير ثم نفاه كى
لا يفتتن النساء ثم جمع علماء
أرضه وذوى الرأى منهم
وقال لهم أما أصحابى فقد
تيقنوا ان الذى رزقهم الله
سبحانه وتعالى من الخير انما هو
بقضاء الله وقدره وانما احب
ان تعلموا ذلك وتستيقنوه
فان الذى منحنى الله وهيأه لى
انما كان بقدر ولم يكن
بجمال ولا عقل ولا اجتهاد
وما كنت ارجو اذا طردنى
أخى ان يصيبنى ما يعيشنى
من القوت فضلا عن ان اصيب هذه المنزلة وما كنت أؤمل ان اكون ثم الانى قد رأيت فى هذه الارض من هو أفضل منى حسنا او جمالا

المسلمين ولا مغيث فدكوا قزوين وهمذان وصكوا الران وبيلقان وأغاروا على ممالك أذربيجان وبلغهم ان السلطان جلال الدين له في مجلس جماعة مجتمعين مقدمهم السلاحدار بكتكين وفيهم من الاعيان كوجبوغاخان فتوجه اليهم عساكر فبدد شمل أولئك الزعما وأبادهم وفرقهم وشتتهم ومزقهم ثم أغاروا على غالب عراق العجم فأوسعوا القفار بالضرم وأوسعوا البحار بامطار الدم وملؤا الوجود بالعدم ثم قصدوا أردبيل وجعلوا أهلها ما بين أسير وقتيل وكانوا في أول المرور قد صالحوا أهل نيسابور وانتقلوا الى مرو منها وراودوا أهلها عنها فأغلقوا أبوابهم وأدلقوا جوابهم فطمعوا عليها ودخلوا اليها وحكموا في أهلها السيوف وكان شهر الصيام ففطر وهم على كاسات الحتوف ونقل الى جوار الله تعالى منهم المئين والالوف فضبطوا من أمكن ضبطه من القتلى واستسعد بنيل الشهادة من الشهدا فكان ألف ألف نسمه وثلثمائة ألف وثلاثين ألفا مكرمه وكل هذه الفتنة والفتره في سنة ثمان عشرة عامت الدنيا في الدماء عوما وكانت مدة نحو تسعين يوما ثم توجهوا الى شروان وأفاضوا من بحار الدماء الطوفان ودخلوا من الباب الحديد واتصلوا من الدست بذلك الشيطان المريد فتيقظ الناس من الفكره وأفاقوا مما كانوا فيه من السكره وتصوروا انها سحابة صيف انقضت أو نسمة أزمنة هبت بارقة أومضت ولكن احتاطوا واستعدوا وتحفظوا واستمدوا وحصنوا الحصون والمعاقل وجمعوا الجنود والجحافل فلم يكن باسرع من ايابهم وتعاطي ما كانوا عليه من دأبهم والشروع في اعمال حرابهم بخرابهم وأخذهم في ضروب ضربهم وضرابهم واستقر تولى في ممالك العجم وهو أبو هلاكو الكافر الاغتم فوصلوا الى شيراز وقد استعدت للحصار واستمدت للمناوشة والنقار فأخذوها عنوة وزحفا وقتلوا منها مما أمكن ضبطه سبعين ألفا ثم توجهوا الى طوس فازهقوا ما بها من نفوس ثم الى سائر القلاع بالحضيض واليفاع فاستولوا على الكل قهرا وأخذوه عنوة وقسرا وسعوا في احلال البؤس وازهاق النفوس ثم الى موقان ولم يبقوا بها أحدا كائنا من كان وعم القتل المبير كل صغير وكبير ثم حل أولئك البور ببلدة نيسابور فكافحت بعدما كانت صالحت وتحصنت بعد أن أذعنت واعتمدت على عددها واستندت الى عددها وبرجالها استعانت بعد ان كانت قد دانت ولانت واستكانت وكان فيها من آلات الحرب ورجال الطعن والضرب ما لا يحصى ولا يبلغه الاستقصا فكان فيها من المجانيق المرسلات الصواعق على اسوار الحصار ثلثمائة منجنيق أصغرها كالغضبان في المقدار خارجا عن المكاحل والمدافع المهلكات بالصواعق الصوافع ومن رماة القوس القصير المنفذ حكمه قاضي التقدير ثلاثة آلاف بطل كل أرمى من بني ثعل وأما عدد الضارب والنابل والقاتل والمقاتل والرامح والناطح والصارع والقارع والحاذف والجارف والخاطف والقاطف والناهب والسالب فالضابطون فيه تاهوا وما يعلم جنود ربك الا هو فوجه التتار الهمة اليها وانحنوا كالقضاء المبرم عليها وحمى الوطيس وخاطر بنفسه كل خسيس وبذل مهجته من الغزاة كل نفيس فقتل من أهل العدوان طغاجارخان زوج ابنة جنكزخان وكان من عتاة الكفار المعتبر من ابن التتار فحنق العدو لذلك وسددوا المسالك وسمع بذلك تولى الكافر الموغولي وكان في بعض الجوانب مشغولا بالدواهي والمصائب دفادوم قلبه وتاججت نيران كربه وتاسف افتقد ختنه وثار غبار احنه فتوجه من فوره بجنته وجوره ونزل على نيسابور وحل بالبوار على أولئك البور وزحف بالعساكر وتقدم بالطعن والضرب كل كافر فلم تمض غلوة حتى أخذوها عنوه ودخلها من كفر من التتر يوم السبت خامس عشر صفر سنة تسع عشره وستمائة من الهجره وأعطى تولى لاخته ذلك عوضا عن زوجها الهالك وقال لها تسلي عن ذلك المفقود بهذا الموجود وتحكمي في أهل البلد بما ترتضيه من سرور ونكد وتصرفي في الاموال والارواح فهما تريه فهو لك مباح فامرت أن لا يبقى على ذي روح وان تجري السيول من الدم المسفوح فاطلقوا في ميادين الحتوف أعنة صوارم السيوف فجرت جباه الجياد وجادت بجود الجد على أجياد

واشد اجتهادا وافضل رايا فساقني القضاء الى أن اعتززت بقدر من الله وكان في ذلك الجمع شيخ فنهض حتى استوى قائما وقال انك قد تكلمت بكلام كامل عقل وحكمة وان الذي بلغ بك ذلك وفور عقلك وحسن ظنك وقد حققت ظننا فيك ورجاءنا لك وقد عرفنا ما ذكرت وصدقناك فيما وصفت والذي ساق الله اليك من الملك والكرامة كنت أهلا له لما قسم الله تعالى لك من العقل والراي وان اسعد الناس في الدنيا والآخرة من رزقه الله رايا وعقلا وقد احسن الله الينا اذ وفقك لنا عند موت ملكنا وكرمنا بك ثم قام شيخ آخر سائح فحمد الله عز وجل واثنى عليه وقال اني كنت اخدم وانا غلام قبل انا كون سائحا رجلا من اشراف الناس فلما بدا لي رفض الدنيا فارقت ذلك الرجل وقد كان اعطاني من اجرتي دينارين فأردت أن اتصدق بأحدهما وأستبقي الآخر فاتيت السوق فوجدت مع رجل من الصيادين زوج هدهد فساومته فيهما فأبى الصياد أن يبيعهما الا بدينارين فاجتهدت ان يبيعنيهما بدينار واحد فأبى فقلت في نفسي اشتري احدهما واترك الآخر ثم فكرت وقلت لعلهما ان يكونا زوجين ذكرا وانثى فافرق بينهما فادركني لهما رحمة فتوكلت على الله وابتعتهما بدينارين واشفقت ان ارسلهما في أرض عامرة ان يصادا ولا يستطيعا ان يطيرا مما لقيا من الجوع والهزال ولم آمن عليهما الآفات فانطلقت

الاجواد

الاجواد وصارت كأسن الشعراء النقاد تهيم من النظم والنثر فى كل واد فمحوا عن لوح الوجود بلسان شواظ السيف ذات الوقود سطور ذوات ذلك السواد الاعظم وكتاب كتائب تلك الخلائق والامم وزادوا فى الاشتطاط حتى قتلوا الكلاب والقطاط ثم أمرت أن تجمع روس أولئك الجمهور وتميز روس الاناث من الذكور فميزوا روس الرجال عن ذمم ربات الحجال وطرحوا كل كاشيه فى ناحيه فصارت الروس كرواسى الجبال وتلك الدور والقصور كالاعصر الخوال ولم يخلص من قطع الاروس سوى أربعة أنفس كانوا من ذوى الحرف فجذبتهم المهارة من سفح بحر الفناء الى الطرف ثم ركبت تلك البسوس ووقفت على تلال الروس فلم تنطفئ نارها ولا برد اوارها وزعمت انها لم تستوف ثارها وأن دود ترابها من علق تلك الأمم ما تكفت وغيظة غيظها بزور السيوف ما تشفت واستغاثت بالرجال وصاحت بلسان الحال وأنشدت

وهبان النساء للن سيفا * فصلن وجلن كالفحل الغيور

فزلزلن الجبال فطارت خوفا * بضاهين السحاب على الطيور

وصار لسفكهن البر بحرا * آيغنيهن ذلك عن الابور

فأمرت بهدم البلد واحراق ما فيها من آلات وعدد فدكوها دكا وأعدموها سبكا وسفكا وتصرفت أيدى النوائب فيها فتكا وبتكا ثم انثنت لوى العنان وقصدهراة من خراسان فأخذها بالامان ولم ينج من ذلك الطوفان سوى تلك الكوره واستمرت تحت أوامرهم مقهوره وأمهات بلاد خراسان ومقر سرير السلطان كانت أربعة أمصار كل ذات اعتبار جليلة المقدار نيسابور وقد صارت بور وبلخ وقد كسيت من البوار ثوب سلخ ومرو الرود وقد انمحت من الوجود ولم يفز بالنجاه الا بلدة هراه وسائر الامصار شملها البوار ولبست من خلع الدثور الدثار وكل منها مصر جامع وبها بحر واسع وبحرها كصدر البرمداه شاسع وأما القرى والقصبات والرساتيق والمزدرعات فأكثر من ان تحصر أو تضبط بحساب دفتر فأبيد ذلك كله وأبير فالحكم لله العلى الكبير كل ذلك فى أدنى مده وأوهى رقده وما ذكر ذرة من طور وقطرة من بحور فسبحان من لا يسئل عما يفعل ثم ان جنكزخان الهامة الهاميه والفتنه الطامة الطاميه لما عاق به المرض وحصل له فى خراسان العرض رجع الى بلاده واستمر مرضه فى ازدياده ولم يزل على ذلك حتى أورد سبيل المهالك وتسلم روحه الخبيثة مالك وحين أيس من الحياه وقنط من رحمة الله جمع المعتمد عليه من أولاده المشاركين له فى عتوه وفساده وهم جغتاى وأوكتاى وأوليغ نوبين وجرجاى وكاكات وأورجات وأوصاهم بوصايا وطرائق فى سياسة الرعايا حافظوا عليها وتناهضوا اليها فثبت لهم من ملكهم أساس لم ينهدم وأقام بنيانا الى يومنا لم ينخرم وعروش قواعد أركانها لم تنثلم مع كثرة عددهم ووفرة مددهم وشكاستهم وشراستهم وشماستهم وتعاستهم وغلاظتهم وفظاظتهم واختلاف أديانهم واتساع بلدانهم وهلك الطاغية جنكزخان وانتقل الى الدرك الاسفل من النيران واستقر فى لعنة الله وعقابه وأليم زجره وعذابه فى رابع شهر رمضان الشامل بالفضل والاحسان والبركة النامية الهاميه سنة أربع وعشرين وستمئه فى سرة ممالكه المشوم وأعظم امصاره ايميل وقوفان وقراقروم واستمرت بعده الفتن والشرور والمحن تغير على ممالك الاسلام وتبير شعائر شرائع خير الانام وتثير غبار الافساد والمفسدين فى وجوه سنة سيد المرسلين وتحصر جنود الاسلام وتقص جيوش العلماء الاعلام وتنقص اطراف الارض وتنقض أركان الدين بعضها على بعض. وناهيك يامولانا السلطان بفتن هلاكو تولى بن جنكزخان وبعده أبغا ابن هلاكو الذى تجبر وطغى وتكبر وبغى وبعده ابنه ارغون وبعده ابنه قازان المفتون واستمرت بحار الفتن منهم تؤثر

بهما الى مكان كثير المرعى والاشجار بعيد عن الناس والعمار فارسلتهما فطارا ووقعا على شجرة مثمرة فلما صارا فى أعلاها شكرا الى وسمعت أحدهما يقول للآخر لقد خلصنا هذا السائح من البلاء الذى كنا فيه واستنقذنا ونجانا من الهلكة وانا لخليقان ان نكافئه بفعله وان فى أصل هذه الشجرة جرة مملوءة دنانيرا فلا ندله عليها فيأخذها فقلت لهما كيف تدلانى على كنز لم تره العيون وانتما لا تبصران الشبكة فقالا ان القضاء اذا نزل صرف العيون عن موضع الشئ وغشى البصر وانما صرف القضاء أعيننا عن الشرك ولم يصرفها عن هذا الكنز فاحتفرت واستخرجت البرنية وهى مملوءة دنانير فدعوت لهما بالعافية وقلت لهما الحمد لله الذى علمكما مما رأى وانتما تطيران فى السماء واخبرتمانى بما تحت الارض فقالا لى أيها العاقل اما تعلم ان القدر غالب على كل شئ لا يستطيع احد ان يتجاوزه وأنا أخبر الملك بذلك الذى رأيته فان أمر الملك أتيته بالمال فاودعته فى خزائنه فقال الملك ذلك لك وموفر عليك* انتهى باب ابن الملك وأصحابه

(باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين)

وهو باب من يرى الرأى لغيره ولا يراه لنفسه (قال) الملك للفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثلا فى شان الرجل الذى يرى الرأى لغيره ولا يراه لنفسه قال الفيلسوف ان مثل ذلك مثل الحمامة والثعلب ومالك الحزين قال الملك وما مثلهم (قال) الفيلسوف زعموا أن حمامة كانت تفرخ فى رأس نخلة طويلة ذاهبة فى السماء فكانت الحمامة تشرع فى نقل العش الى رأس تلك النخلة ولا يمكن

عنهم ومرجهابور الى ان نبغ الاعرج تيمور فأهلك الحرث والنسل واختلط المباح بالبسل وحل بالعالم البأس وفسدت أحوال الناس وانما ذلك كله بفساد الراس ومن جملة فتنهم وطعنهم فى طعنهم جالوا فى معركه وصالوا فى دست بركه فقتلوا فى مثل حرب البسوس وقطعوا فى ناحية من الروس جملة زادوا ضبط عددها بعدان أبانوها عن جسدها فلم يقدروا ان يحصروها فرسم اتلك البغاة سلاطينها أن يقطع من الروس آذانها يقطعون من كل رأس أذنا ولتكن الآذان اليمنى فجدعوا آذان بعض الروس وشكوها وفى خيوط سلكوها ثم فى قلائد ربطوها وبعد ذلك ضبطوها فكانت نحو مائتى ألف اذن مجدودة وسبعين ألف اذن معدودة (وانما) ذكرت يا ملك الطير امثال ما جرى من الشر والخير وجلوت عن مرآة ضميرك المنير صورة ما مر فى الزمان الدبير وما فعله من ملكه زمام الاقتدار وامهله سلطان السلاطين الذى يخلق ما يشاء ويختار وصرفه فى بلاده وعباده وبين له طريق صلاحه وفساده وأخبركم أيها الملوك والحكام بأموركم فى دنياكم وجلاصور أحوالكم على أعين أبصاركم وبين مزاياكم فى مراياكم فقال وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم فانظر ما فى هذه السير من الحكم والعبر لتعلم ان الدنيا محل الغير ومحك العقول والفكر والحال بها هدف لسهام القضاء والقدر مبتلى بكل خير وشر ونفع وضر غافل عن مواقع الحذر آمن وهو على شرف الخطر مقيم وقد جد به السفر مناقش بما مضى من أنفاسه مما حلا ومر ومحاسب على ذرات ما اكتسبه مطالب بالفتيل والقطمير مما ارتكبه فلما وصل الجمل فى الكلام الى هذا المقام قبل العقاب بين عينيه وزاد قربه لديه وأفاض خلع الانعام عليه وقال صدق عليه أفضل الصلاة والتسليم حيث قال كلمة الحكمة ضالة كل حكيم ونطق بالحق من قال لا تنظر الى من قال وانظر الى ما قال فاهل التحقيق وذووا النظر الدقيق راقبوا المعانى ولم ينظروا الى القوالب والمبانى فان سليمان عليه السلام وهو ملك الجن والاناس والوحش والطير والهواء والهوام ونبى مرسل وملك ذو فضل وسلطان الفصل بالعدل استفاد النصائح من نمله وجمع هدهده مع ملكة سبا شمله ويوجد فى الاسقاط ما لا يوجد فى الاسفاط ولقد ينطق بالفوائد من هو كافر وجاحد فيؤخذ من أقواله ولا يقتدى بأفعاله وقد قيل ان الحسن البصرى رحمة الله عليه دخل صبى مسجده وصلى بين يديه فرآه لا يتم سجوده ولا يرضى بصلاته معبوده فدعاه وخاطبه وانكر عليه وعاتبه وقال له تم سجودك ترض معبودك فقال يا شيخ المتقين هذه سجدات شخص من المؤمنين لو سجد احداها ابليس لآدم لما كان من الملعونين ولو سجدها فرعون مرة لكان من المسلمين ولم يصر من أهل العناد المطرودين * ورأى يوما صبيا ومعه سراج وهو سالك فى منهاج فسأله عن ناره وما فيها من أنواره من أين أخذها وكيف اتخذها فلم يجاوبه الا باطفاء السراج وسؤاله أين ذهب ذلك النور الوهاج قل لى أين ذهبت تلك الانوار أقل لك من أين جاءت تلك النار ثم ان العقاب ولى الجمل ما تحت يده من رقاب وقدمه على سائر الخدم وصنوف الطير وأجناسه من الامم وجعله الدستور الاعظم والوزير المقدم المكرم وفى هذا المقام امسك الحكيم حسيب عن الكلام وختم ما افتتحه من الحكم والاحكام بالدعاء والثناء والصلاة والسلام قال الشيخ أبو المحاسن المخجل بادبه امرأ القيس وأبا فراس فلما انتهى الحكيم فى مقترحه وما قصده من بيان محاسنه وملحه الى هذا المحل وفصل من فضله ما أجمل من جمل نهض الوزير وقبل قدميه واعترف له بالفضل المنعم به عليه وانه مالك أزمة الانشاء وملك الكلام يصرفه كيف شاء وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وكأنه شيخ المنقول وأستاذ المقول فمن أنوار الفاظه تنير العقول ومن كنوز عباراته تستخرج جواهر المعقول وأما أخوه الملك فطار بسرور به عن سريره واتخذه فى مهام أموره مقام أميره ثم أدت

أن تنقل ما تنقل من العش وتجعله تحت البيض الا بعد شدة وتعب ومشقة بطول النخلة وسحوقها فاذا فرغت من النقل باضت ثم حضنت بيضها فاذا فقست وادرك فراخها جاءها ثعلب قد تعاهد ذلك منها لوقت قد علمه بقدر ما ينهض فراخها فيقف باصل النخلة فيصيح بها ويتوعدها ان يرقى اليها فتلقى اليه فراخها فبينما هى ذات يوم قد أدرك لها فرخان اذ اقبل مالك الحزين فوقع على النخلة فلما رأى الحمامة كئيبة حزينة شديدة الهم قال لها مالك الحزين يا حمامة مالى أراك كاسفة اللون سيئة الحال فقالت له يا مالك الحزين ان ثعلبا دهيت به كلما كان لى فرخان جاءنى يهددنى ويصيح فى أصل النخلة فأفرق منه فاطرح اليه فرخى قال لها مالك الحزين اذا أتاك ليفعل ما تقولين فقولى له لا القى اليك فرخى فارق الى وغرر بنفسك فاذا فعلت ذلك وأكلت فرخى طرت عنك ونجوت بنفسى فلما علمها مالك الحزين هذه الحيلة طار فوقع على شاطئ نهر فاقبل الثعلب فى الوقت الذى عرف فوقف تحتها ثم صاح كما كان يفعل فأجابته الحمامة بما علمها مالك الحزين فقال لها الثعلب اخبرينى من علمك هذا قالت علمنى مالك الحزين فتوجه الثعلب حتى اتى مالكا الحزين على شاطئ النهر فوجده واقفا فقال له الثعلب يا مالك الحزين اذا أتتك الريح عن يمينك اين تجعل رأسك قال عن شمالى قال فاذا أتتك عن شمالك اين تجعل رأسك قال اجعله عن يمينى او خلفى قال فاذا اتتك الريح من كل مكان وكل ناحية أين تجعله قال أجعله تحت جناحى قال وكيف تستطيع ان تجعله تحت جناحك ما اراه يتهيأ لك قال بلى قال فارنى كيف تصنع فلعمرى يا معشر الطير لقد فضلكم الله علينا انكن

آراء

آراءه فكرته أن يستعمل انحاء لكشف كربته ويمشي في السعي بينه وبين اخوته لرتق ما انفتق وسد ما انخرق من سبيل الحسد فانبثق فامتثل أمره العالي ونهض بأمر الله المتعالي وأنفق من جواهر أفكاره في سوق المناصحة الرخيص والغالي ووضع ما استخرجه من يواقيت تلك من عباراته بما يستبعد عقود اللآلئ وتعاطى أسباب الاصلاح وساعده لحسن النية وخلوص الطوية السعد والنجاح

وهذب في الفضل مارتبه * ورتب بالفضل ما هذبه
واعجب ذا اللب ماشاده * فاثنى عليه بما أعجبه
واغرب في السبق اشراقه * فلله ذا السعد ما اغربه
فما شذ بالصدق عن نصحه * ولا شذ خل لما شذبه

فاستمال الخواطر النافره واطفأ بزلال ألفاظه العذبة شواظ تلك البائره وسكن بنسيم ملاطفاته قتام الاخلاق الثائره فاطمأنت القلوب وطهرت من غش التشاحن الجيوب واتصل المحب بالمحبوب وحصل الامن والامان ومساعدة الزمان ومعاضدة الاخوان ومصافاة الخلان وطيب العيش والمكان وافضل من هذا جميعه شفقة السلطان والاستقامة على الاسلام والايمان ونسال الله تعالى تمام نعمه واسبال ذيل احسانه وكرمه واللطف في القضا والعفو عما مضى والمعاملة باحسانه الجزيل وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله الاطهار وصحابته الابرار من الاختان والاصهار والمهاجرين والانصار وسلم تسليما طيب الاعطار ويتمسك باذيال عرفه نسيم الازهار في الاسحار مادامت الاعصار ودارت الادوار وترادف الليل والنهار وحشرنا في زمرتهم مع المصطفين الاخيار انه كريم ستار حليم غفار *(قال مؤلفه رحمه الله تعالى)* نمقه مؤلفه ولفقه مصنفه فقير عفو الله تعالى من غير تردد ولا تفكر ولا تعمق في تدبر مع توزع البال أحمد بن محمد ابن عرب شاه الحنفي سامحه الله تعالى وعامله بما يرتضيه تفصيلا واجمالا لا بما يقتضيه عدلا وجلالا في أواخر شهر ربيع الاول سنة ثمان وخمسين وثمانمائة أحسن الله خاتمتها وعاقبتها وجعل آخرها خيرا من أولها بمنه وكرمه آمين

اما بعد حمدك يا ولي الحمد وسؤالك دوام الصلاة والتسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومحبيه وحزبه فقد تم بعونه تعالى طبع فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء للعلامة الشيخ أحمد بن محمد بن عرب شاه

وبهامشه كتاب كليلة ودمنه تأليف بيدبا الفيلسوف الهندي وترجمة عبد الله بن المقفع
الكاتب وهما كتابان حازا قصب الفصاحة وعلو المكان وكان تمام تصحيحهما
وكمال وشمهما بالمطبعة الميمنية بمصر المحروسة المحمية بجوار سيدي أحمد الدردير
قريبا من الجامع الازهر المنير ادارة المفتقر لعفو ربه القدير أحمد
البابي الحلبي ذي العجز والتقصير في شهر جمادى
الثاني سنة ١٣٠٧ هجرية على
صاحبها أفضل الصلاة
وأزكى التحيه
آمين

تدرين في ساعة واحدة مثل ما ندري في سنة وتبلغين ما لا نبلغ ونحن خائفون ورؤوسكن تحت اجنحتكن من البرد والريح فهنيئا لكن فارني كيف تصنع فادخل الطائر رأسه تحت جناحه فوثب عليه الثعلب مكانه فاخذه فهمزه همزة دق قلبه ثم قال يا عدو نفسه ترى الرأي للحمامة وتعلمها الحيلة لنفسها وتعجز عن ذلك لنفسك حتى يستمكن منك عدوك ثم قتله وأكله *(فلما)* انتهى المنطق بالملك والفيلسوف الى هذا المكان سكت الملك فقال له الفيلسوف أيها الملك عشت ألف سنة وملكت الاقاليم السبعة واعطيت من كل شئ سببا مع وفور سرورك وقرة عين رعيتك بك ومساعدة القضاء والقدر لك فانه قد كمل فيك الحلم والعلم وزكا منك العقل والقول والنية ولا يوجد في رأيك نقص ولا في قولك سقط ولا عيب وقد جمعت النجدة واللين فلا توجد جبانا عند اللقاء ولا ضيق الصدر عندما ينوبك من الاشياء وقد جمعت لك في هذا الكتاب شمل بيان الامور وشرحت لك جواب ماسألتني عنه منها فابلغتك في ذلك غاية نصحي واجتهدت فيه رأيي ونظري ومبلغ فطنتي التماسا لقضاء حقك وحسن النية منك باعمال الفكرة والعقل فيما كما وصفت لك من النصيحة والموعظة مع انه ليس الآمر بالخير باسعد من المطيع له فيه ولا الناصح باولى بالنصيحة من المنصوح ولا المعلم للخير باسعد من متعلمه منه فافهم ذلك أيها الملك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(فهرست فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء للعلامة الاديب والفهامة الاريب الشيخ أحمد بن محمد بن عربشاه الحنفي تغمده الله تعالى برحمته آمين)

(تمت)

(فهرست كتاب كليله ودمنه المطرز به هامش فاكهة الخلفاء)

(تمت)

